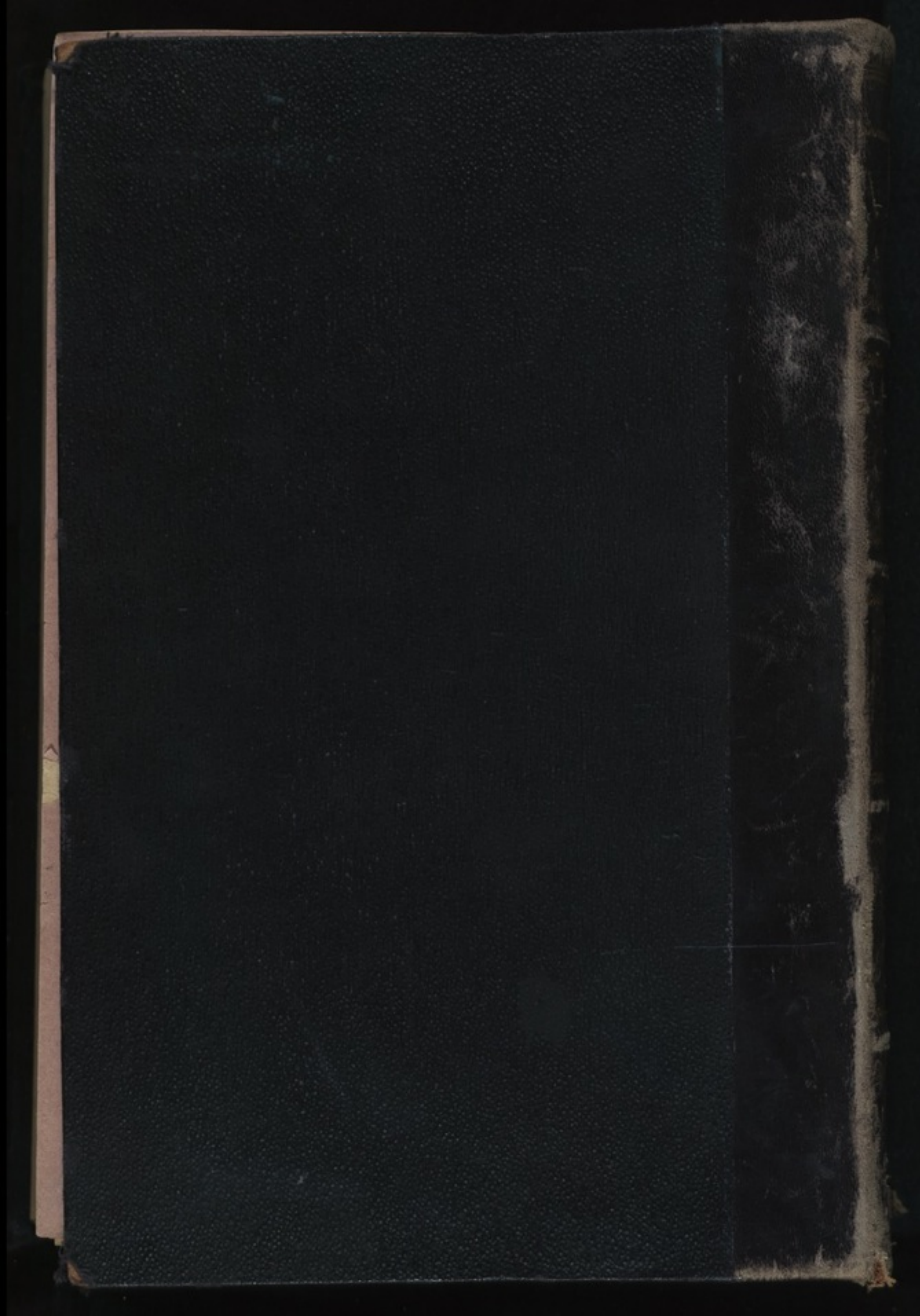


دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها ففيه النحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وتراجم مشهوري الشرق والغرب والجغرافية الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج وقانون الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاقرباذين والاحصاءات وسائر مايهم الانسان في جميع المطالب

﴿ تأليف ﴾

محمد فريد وجدي

(المجلد التاسع)

حاز هذا الكتاب رضاء وزارة المعارف العمومية والجامعة الازهرية ومجالس المديريات فقررته لجميع معاهدها الدراسية

(الطبعة الثانية)

﴿ طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين ﴾

(سنة ١٣٤٣ هـ وسنة ١٩٢٥ م)

وهو داء يأتي من وراء طريق الكوفة من قبل السماوة ثم يقطع طريق الكوفة الي طريق البصرة حتى يصيب في البحر في بلاد بنى سعد من يبرين

ومسقط مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن علي ساحل البحر ·ومسقط رستاق بساحل بحر الخزر دون الباب والابواب جيله مسلمون (أى الناس الساكنون به)لهم قوة وشوكة بين باب الابواب والسكز احدائه كسرى انو شروان

نقول ان مدينة مسقط التي هي الآن قصبة بلاد عمان يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نفس

﴿مسّك به﴾ يمسك اخذ به وتعلق واعتصم .(مسّك به) اعتصم به ومثله (امسك به) و(تمسك به وتماسك واستمسك) بمعنى اعتصم · و (فيه مسكة من خير) اى بقية

﴿المسك﴾ مادة تستخرج من افراز كيس خاص يحمله حيوان يسمي بالظبي المسكي .وهو حيوان من ذوات الثدى من الحيوانات الجترة العادمة القرن له ظلفان وله اربع معدات وقناه معوية طويلة .قامته كقامة الظبي، يكاد يكون عادم الذنب وهو مغطي بوبر كثيف اسمر من طرفه السائب بلون القرفة وابيض من قاعدته شديد التجعد صلب غليظ سهل التفتت اشبه بأبر القنفذ منه بالشعر هذا. الحيوان لايخرج الا ليلا ويعيش وحيداً في جبال تبيت وبلاد التتار والسواحل الواسعة بين سبيريا والصين شكله ظريف وهو خفيف في الجرى

أنواعه قليلة ومعظمها يعيش في البلاد الحارة اشهر أنواعه هو الذى وصفناه هنا وهو يتميز بشرطين ابيضين محدودين بالسواد ومنفصلين احدهما عن الآخر بشريط اسود وذلك علي طول العنق والذى يميزه جيداً هو الكيس الذى يحمله الذكر البالغ يتولد تحت جلد الخثلة امام القلفة وهو الذى يفرز المسك ويكون مخزناً حافظاً له

هذا الكيس محنور بقلم يمتد فيه القضيب وفيه قناة قاذفة للافراز فتحتها امام القلفة وذلك الكيس هو المفرز المسك ويكون صغيراً في الحيوانات المسنة وكبيراً زمن الازدواج فكأنه مرتبط بعمل التناسل وهو غشاء رقيق جاف محاط بنسوج

خلوى مملوء بعروق وفيه من الباطن غضون أشبه بصمامات يتكون منها حواجز غير تامة وهو ملتصق من الخارج بجزء من جلد الحيوان بل ربما أحاط به كله . وزن كل كيس خال من الجلد من ٥ الي ٨ دراهم وفيه تفرطح واستطالة واستدارة وقطره من ٥ الى ٦ سنتيمترات ودائرته من ١٤ الي ١٥ سنتيمتراً

أنواع هذه الاكياس في المتجر اثنان أحدهما أكياس مسك تونكين وهو الصينى والاجود وانما نسب الي تونكين لان الاوروبيين يتناولونه من هذه المملكة وأما الانجليز فيأخذونه من الصينيين بواسطة الهنود والوجه الظاهر لهذه الاكياس ملتصق بجلد رقيق من الحيوان مغطي بشعر أشقر. وهذه الاكياس مملوءة وفيها استدارة وليس فيها تقوس سوس

وثانيهما مسك كبردان ويظهر أنها تأتي من التبيت ولذلك يسمى مسكها التبيتى ويكون أقل اعتباراً من السابق وهي غالباً مستطيلة مستدقة الطرفين مغطاة بجلد ثخين شعره مبيض ففي وليست عظيمة الامتلاء وتكون احيانا منقبة من اكل السوس وقد يوجد في كل نوع منها ما يشبه الآخر. والصفة المميزة للنوع هي الرائحة التي تظهر جيداً اذا ادخل دبوس في الكيس

ويوجد في المتجر نوع يسمونه مسك بنغالة ونسب اليها لانه يمر بها في طريقه الي اوروبا اكياسه مستديرة وعليها شعر أشقر كالذى علي اكياس مسك تونكين وانما تكون رائحة هذا المسك ضعيفة تشبه رائحة مسك كبردان ولا تكون منقبة ويظهر أنها مصنوعة باليد وذلك هو ما تسميه العرب بالمتندى ويقولون عنه انه دم يؤخذ من الحيوان بالذبح ويضرب مع كبده وبعره ويجفف وهذا كما لا يخفى خطأ عظيم

المسك حبوب متجمعة غير منتظمة لونها اسمر محمر أي قاتم تشبه في المنظر الدم المتجمد الجفف ورائحته خاصة به قوية الانتشار وطعمه كريه فيه مرار وملمسه لطيف قطنى ورطوبته قليلة وقابلة للتجفيف ويكون متوسط السائلية في الحيوان الحي واكثر صلابة في الحيوان الميت مقدار مايحتوى عليه الكيس من المسك من درهمين الي ستة دراهم علي

حسب سن الحيوان

حلل الكيماويون المسك فوجدوه مركباً من دهن طيار وراتينج وجسم دهنى شمعي

وقد قارن بعضهم بين مسك تونكين ومسك كبردان فرأوا ان مائة غرام من الاول مكونة من ٣٣ر٨ من كربونات النوشادر و٠ر٧ من شمع نقي و٨٣ر٠ من راتينج و٥٠ من جلاتين أى مادة هلامية و٨٠ر٢٥ من مادة زلالية وأغشية حيوانية و٥٠ر٢ من ملح الطعام و٨٣ر٠ من البوتاسا و٣٣ر٣ من كربونات الكلس و٦٨ر١١ من أجزاء مفقودة ولم يوجد فيه شيء من دهن طيار

وأما الثاني فركب من ٥ من روح النوشادر و٥ من شمع غروى و٥٠ من مادة هلامية و٣٦ من أغشية حيوانية و٢ من كربونات الكلس و٢ من أجزاء مفقودة ولم يوجد فيه زلال ولا دهن طيار

المسك شديد الالتهاب يحترق بشعلة بيضاء ويبقى فحما اسفنجيا خفيفا جدا والماء المغلي والكحول يذيبان جزءاً منه والاثير الكبريتي يكاد يذيبه كله. ورائحته تضعف شيئاً فشيئاً بتعريضه للهواء بدون أن يفقد من وزنه شيئاً محسوساً اذا كان جافاً فلذا يجب حفظه في أوان من زجاج جيدة السد بسدادة زجاجية

وذكر العرب ان أجود المسك ما رعي حيوانه السنبل وانه يغش بالراوند ونشارة العود وبالقرفة والقرنفل والزراوند والسنبل ودم الاخوين والجاوى ونحوها تسحق مع مثلها من عصارة طحال الماعز المجففة ودم الحمام ودهن البيض ويخدم الكل بماء الورد المسك ويطيب بالمسك الطيب ويعلق في الكنف مدة وقد يزاد علي ذلك ماء التفاح

قالوا وربما كان غشه بمجرد الدم المجفف أو خره بعض الطيور أو الميعة أو برادة الحديد أو نحو ذلك وكثيراً ما ينندى بالبول. وتسهل معرفة هذا الغش بضعف رائحة هذا المسك ولونه وعدم توافق أجزائه وعدم ذوبانه كله علي النار

(خواصه الدوائية) اذا استعمل المسك بمقدار من قمحة الي أربعة قمحات فانه يوقظ الجهاز العصبي ويزيد القوى

بسرعة في المجموع الحيواني فان كانت المعدة حينئذ منهيجة شعر بعد ازدراده بثقل وحرارة في القسم المعدى وجشاء وجفاف في المرىء. فاذا أدمن من استعمال مقادير منه من ٤ قمحات الى ٦ في كل ساعة حتى بلغ المقدار في اليوم ٢٤ قمحة أو درهما أو أكثر نفذت قواعده الفعالة في البنية وأثرت في منسوجاتها وأحدثت تنبهاً عاماً . فقد يعرض رعاف وازدياد في التنفس الجلدى وتظهر ظواهر عصبية تدل علي ان المسك أثر علي المراكز العصبية كالصداع والدوار والسبات بل النوم غير الاعتيادى والهبوط والاضطراب والحركات التشنجية وارتجاف الاعضاء الصدرية والبطنية فيعلم من ذلك ان التأثير العصبى تغير عن حاله بعد استعمال هذا الجوهر وتكدر سيره في الجسم

توجد رائحة المسك في البول وفي المواد الثفلية والتنفس الجلدى وعرق المستعملين له . وتكثر تلك الرائحة فى افرازات بعض المرضى بحيث ان اليد التى تمس نبضهم تبقي حافظة زمنا طويلا لرائحة المسك . واذا فتحت جثة من استعمله وجدت تجاويف صدورهم وبطونهم مملوءة من عطريته النافذة أيضاً في جميع منسوجاتهم بل وفي الجوهر المخي . فاذا لم يشاهد شيء من ذلك كان المسك رديئاً

أهم ما في المسك من الخواص تأثيره تأثيراً خاصاً في الجهاز المخى الشوكي فأرادوا أن يستفيدوا من ذلك التأثير فائدة في الامراض التى لا يكون هذا الجهاز فيها سليما حتى ترسل مراكزه لجميع أجزاء الجسم تأثيراً غير منتظم يحرض في الاعضاء الدورية والتنفسية والهضمية حركات مرضية وتكدرات محزنة

وزعم الطبيب (كولان) انه أعظم الجواهر المعروفة مضادة للتشنج ومدحه في النقرس المتنقل والثابت . فيمكن أن يقال بوجه عام انه يصح استعماله في علاج الامراض العصبية الثقيلة التى تضاعف الامراض الاخر وتصاحبها على انها نتيجة أو عرض لها أو أصل متميز عنها . ولهذا استعمله بعضهم مع النجاح في بعض الالتهابات الرئوية المصاحبة للهذيان . ومدحوه أيضاً في الحمى التيفوسية المضاعفة بعوارض عصبية غير منتظمة كالهذيان واهتزاز الاطراف والحركات التشنجية والضجر واختلاط القوى

الحساسة ونحو ذلك وتلك أعراض ناشئة من المراكز العصبية فالمسك يسكنها ويعيد التأثير العصبى للحالة الموافقة لقوانين البنية الحيوانية وبذلك يحسن حال المريض ولكن ذلك بشرط سلامة القناة الهضمية . لانها ان لم تكن سليمة سبب تهيجاً في معداتهم واعراضاً أخرى مؤلمة وقلقا في القسم المعدى . أما من كان حشهم متكدراً أو معدوماً فيقبلون تلك الادوية ولا يتضررون منها عاجلا ولكن ادمان استعمالها قد يسبب فيهم اضطرابا وانخراما في الوظائف وذلك علامة علي الشدة التى طبعها ذلك الجوهر في آفات الجهاز المخي الشوكي

نعم شوهد ان المسك قد يحرض انفعالا ربما كان نافعاً لكن حصول مثل ذلك غير يقيني فلا تعلم جيداً الاحوال التى يكون المسك نافعاً فيها

وذكروا أنه دواء قوى الفعل في الفواق وخفقانات القلب وارتجاف المرىء والمعدة والامعاء فالمسك بخاصته المنبهة يزيد في تلك العوارض ولكنه اذا كان له فعل خاص علي الجهاز المخي الشوكي فيمكن أن يذهب احيانا الاستعداد المرضى الذى في تلك المراكز ويعيد تأثيرها في الاعضاء الي حالته الاعتيادية وربما كانت الفوائد الحاصلة منه في علاج الآفات العصبية آتية من تلك القوة التى تكون في تلك الحالة مسكنة وربما نسب لما وصف هذا الجوهر بأنه مضاد التشنج أوللآفات العصبية

وقد ذكروا مشاهدات من الالتهابات البلوراوية والرئوية المصاحبة للهذيان أعطي فيها المسك بمقدار من ٤ قمحات الي خمسة في كل ساعتين أو أربع ساعات نحو انحطاط الداء وبعد الفصد عدة مرات فنتج منه نوم مريح وتعريق لطيف وانقطاع فجائى للعوارض الشديدة الثقل . لكن ينبغي أن يعلم أنه يوجد حينئذ مع التهاب المنسوج الرئوى أو البلوراوى حالة مرضية في المخ وغيره من المراكز العصبية ولا يصير المسك نافعاً الا بارجاعه الجهاز الشوكي لحالته الاعتيادية وأوصوا به في الصرع وذكروا مشاهدات تقوى هذا الرأى. لكن أسباب هذا الداء مختلفة والدواء الواحد لا يمكن أن يقاومها كلها . علي انه قد يوجد في هذا الداء آفات تتجدد أدواراً وهي التى

تحرض التشنجات فيستطيع المسك أن يمنع ظهورها ؟ ثم انه يوجد في هذا الداء آفات دائمة لا يعلم هل مجلسها في المخ أو على مسير الحبيلات العصبية أو في القلب . وذلك لان نوبات الصرع يحفظ دوامها التهاب مخي جزئي أو درن في اللب المخي اوفي حبيل عصبي أو تيبس اوتنوع مرضى آخر في جزء من هذا اللب او من هذه الحبيلات اوضخامة في البطين الايسر أو اتساع في الفوهة الشريانية التي في ذلك البطين او نحو ذلك . والمسك لايقدر على رد شيء من تلك الآفات

وقد منع بعضهم استعماله اذا كانت بنيــة المريض ممتلئــة أى دموية حيث يتوجه الدم فيها بقوة نحو الرأس فيجب قبل استعماله استفراغ الاوعية لتحفظ من العوارض التى قد تحرضها قواعده المنبهة في الجسم الممتلىء دما وشدة فاعلية

وذكروا انه دواء قوى الفاعلية فى الخوريا أى الرعشة مع انه يوجد في هذا الداء قوتان تؤثران في الاطراف فالارادة المخية تبقي حافظة لسلطتها في العضلات فاذا امرت بشيء انقادت لها هــذه الاعضاء فتحصل فيها الحركات الارادية وهناك قوة أخــرى متولدة من التهيج المتعب للب النخاعي الذى للمخ وسيما النخاع الشوكي فهذه تحرض انقباضات عضلية وهناك عضــلات يلزم بقاؤها في سكون لكنها تدخل في الفعل دخولا في غير محله فحركاتها تكدر وتخرم جميع الحركات التى يريد المريض فعلها فاذا أراد المريض أرسال كوب لفمه مثلا عسر على ذراعه أن تبتدىء في الانثناء بل تنجذب الي الاسفل أو الى الاعلي أو الجانب بالعضلات التى تنقبض لمعارضة اختيار المريض فتخط تلك الذراع عدة انثناآت فيندفع الكوب في الاتجاهات المتعارضــة جداً قبــل أن يصل الي محله المقصود

وكذا هذا الشخص المصاب بالخوريا أو الرعشة اذا اراد ان يمشي نحيناً يوجه ساقه الي أمام تنقبض عضلات منه قهراً فتجذب هذه الساق الي الجانب أوتحفظها مثنية على الفخذ فلا يتقدم الرجل الي الامام لثقــل الجسم فيسقــط ذلك الجسم على الارض . ويعسر أن تدرك المنفعة التى تحصل من المسك في هــذه

العوارض او في الآفة التى انتجتها لانه لايمكنه ان يعيــد تحت سلطــة الارادة العضلات لحلها الذى فارقته الا بعد أن يتسلط علي السبب الذى حرض انقباضاتها أيقدر المسك علي أن يعيد النخاع حالته الاعتيادية و يعطي التأثير العصبي ســيره الاعتيادى ؟

وذكروا نفعــه في الخوف من المــاء في داء الكلب ولكن ليست المادة المعدية الكلبية هي التى يفسدها المسك كما زعموا وانمــا تعارض قوته العوارض التى ينتهى الحال بأن تحرضها هذه المادة المعدية في الجسم الحاوى لها . وبالجملة لم يثبت له عظيم فاعلية في ذلك

وذكروا نفع استعمالها في الهســتريا وان بعض العصبيات الــتى سقط رحمهن اذا شممن رائحته يرجع فيهن هذا العضو الى محله الطبيعي

وذكروا أيضا ان بعض النساء اذا شممن رائحتــه يحصــل لهن تقلص في الرحم وتلك حالة مهمة تجعل استعماله صعبا لهن لانه لايعلم من قبل هل تقع المرأة من استعماله في التقلص أم لا

والخلاصــة انه قد ثبت بالمشاهدات فاعليته في الهستريا كما نفع عند القدماء في معظم الامراض العصبية كالخدر والفالج والقوة و الرعشة والبلادة والوحشة والخفقان وانه يقوى الحواس ويمنــع ضرر الادوية والسموم والمسهلات اذا دخل فيها و يوصل كل دواء الي مايراد منه

وقد يجمع المسك مع نترات البوتاس لتلطيف فعله المنبه بخلافه مع الكافور فانه لزيادة فعله كما هو مع الافيون او الراتينجيات او البلاسم أو العنبر أو الادهان الضارة او أكسيد الخارصين أو غير ذلك من مضادات التشنج

ويجمع مع الكبريت الذهبى للانتيمون ليزول منه معظم رائحته بدون أن يتخلل تركيبه وأما القرمز المعــدني فيغيره فقط الي رائحة البصل . ويجمعه مع روح النوشادر لايقاف الغنغرينا ويجعل هذا الجوهر قاعدة لمركبات دوائية وقتية كثيرة كالجلاب المسكي لفوليبر والمسحوق التونكيني وهو مخلوط من ١٦ قمحة من المسك مع ١٢ من الزنجفر وتلك الكمية تستعمل كما في الصين لعلاج داء الكلب وكاقراص وحبوب مسكيــة نوشادرية مضــادة للتشنج ومقوية القوة

التناسلية . ويستعمل ايضا لتعطير بعض الاشربة الروحية

(مقدار استعماله) مقداره من ٤ قمحات الي نصف درهم حبوبا او معلقا في جرعة بمساعدة جسم لعابي والمخلوط المسكي يصنع بأخذ قرام من كل من المسك والصمغ العربي والسكر و ٤٨ من ماء الورد والاستعمال من اوقية الي اوقيتين في كل ساعتين او ثلاث ساعات

وقد تنوع الجرع فمن ذلك تصنع جرعة بأخذ اوقية ونصف من كل من مقطر زهر الزيزفون وماء زهر البرتقان . واوقية من شراب باسم طلو و ٢٤ قمحة من مسحوق الصمغ و ٦ قمحات من المسك ويعمل ذلك حسب الصناعة جرعة تستعمل بالملاعق الصغيرة

والحبوب المضادة للهستريا تصنع بأخذ قرام من كل من المسك وخلاصة الذرايانا و ١٢ قمحة من خلاصة الافيون وتصنع ١٦ حبة (ماخص من المادة الطبية)

﴿الامساك﴾ ويقال له القبض يعترى بعض الناس فيمتنعون عن التبرز ٢٤ ساعة او يومين اوثلاثة واكثر وهو ليس بمرض ولكنه عرض ثقيل جداً بسبب اعراضاً كثيرة كالكرب والالم في الرأس والثقل فيه والدوار أو قلة الشهية وغير ذلك وهو يكثر بين العصبيين وبين الذين يعيشون معيشة جلوسية والذين يكثرون من اكل اللحوم او الاطعمة المنبهة او الذين يقتصرون علي حمية شديدة أو يشربون أشربة روحية بكثرة او من يهمل التبرزفي وقت الحاجة اليه ويكثرفي الحوامل أيضا

(علاجه) يقوم علاجه اولا بجعل وقت معين للتبرز والقيام لقضاء الحاجة في تلك الساعة وان لم يكن هناك ميل للتبرز وذلك لتنبيه وظيفة الامعاء

ومن علاجه ايضا ان يأخذ حقنة باردة والماء البارد يفيد اكثر من الفاتر لانه مقو ينبه الامعاء الي حركتها الطبيعية بخلاف الفاتر او الساخن فانهما يكسبانها خمولا وضعفا . واذا لم يكف وحده يضاف اليه ملعقة من زيت الزيتون او الغليسرين أو قليل من الملح او الصابون او السكر

ومما جرب في الامساك دلك البطن باليد وهو ان يستلقي المصاب علي ظهره

قبل خروجه من السرير ويضع علي كفه قليلا من الفازلين لتسهل انزلاق كفه علي بطنه ثم يأخذ في دلك بطنه فينتجه من الجهة اليمنى تحت الخاصرة في خط مستقيم يقطع البطن تحت السرة بقيراطين وهو الموضع الذى يمتد فيه المستقيم الذى يحمل الفضلات فيمر بيده ضاغطا علي ذلك الخط حتى ينتهي الى الجهة اليسرى ثم ينزل بميل نحو العانة علي خط مستقيم متتبعاً سير بقية المعى الغليظ ويكرر هذا العمل مراراً عديدة ثم يدلك بطنه دلكا مستديراً حول السرة ثم يعمد الى الطريقة الاولى ثم يعود الثانية وهكذا نحو ربع ساعة ثم ينهض من السرير الي محل الخلاء فيفيده هذا الدلك في انزال الفضلات وتنبيه وظيفة الامعاء . ولو دأب عليها المصابون بالقبض لوصلوا الي شفاء مابهم من كسل الامعاء وخمولها علي شرط ترتيب أوقات التبرز وعدم امساكه متى حدث شعور بالضرورة اليه

فان استعصي الامساك علي هذه الوسائل يعمد المصاب الى وسائل أخرى وذلك بأن يكثر من أكل الخضر والفواكه فيأكل التفاح والكمثرى والخوخ والتين والعنب والبطيخ والشمام والاجاص (البرقوق) وغيرها صباحا وظهراً وعشياً وأن يكثر من المشي والتنزه في الهواء الطلق وأن يقلل من أكل القوابض كالرمان والعجينيات واللحم والاقاويه

واللبن الحليب يفعل فعل بعض الملينات أو المسهلات فيؤخذ كوب منه محلي بقليل من العسل الابيض قبل النوم

ومن الملينات الجيدة في ازالة القبض الراوند فهو يباع علي حالة مسحوق او أقراص صغيرة فيؤخذ نصف قرام قبل النوم من مسحوق أو حبة من حبوبه فان لم تفد فحبة ونصف أو حبتان فتكون مليناً حسناً في اليوم التالي مع تقوية المعدة وعدم احداث قبض بعد اللين

ومن العلاجات الحسنة له الصبر والمانيزيا . وفي الصبر عيب وهو أن يجعل احتقاناً في الاوعية الدموية التى حول المقعدة فيسبب البواسير فليجتنبه المصابون بها وكذا النساء المرضات لامراض حمية أو لازمة دموية

ومن الملينات نقيع عرق السوس ومسحوقه وهو يباع في مخازن الادوية في حقات من الصفيح

من الناس من يبادرون عند كل قبض بأخذ مسهل وهو خطأ عظيم فان المسهلات تحدث اقلاقا عظيما في اعضاء التبرز وافرازا كبيراً في الغدد المعوية لا يعمد اليه الطبيب الا عند الضرورة القصوى فلا يجوز لأحد الناس ان يعتمد علي هذه الوسيلة الا بأمر الطبيب الحاذق الحريص علي صحة الشخص . والملينات أفضل منها فهي تحدث اللين بدون أن تصيب الوظائف التبرزية بصدمة قوية بل تمل فعل الاغذية في البنية فتنبه وظائف التبرز بلطف

ويحسن بنا هنا أن نأتي علي مقارنة فعل المسهلات بالملينات ليتبين القارىء فضل الثانية علي الاولي فلا يعتمد الا عليها

(تركيب الجواهر الملينة وفعلها ومقارنتها بالمسهلات) الجواهر الملينة مركبات من لعاب وسكر وزيت ثابت وحوامض نباتية . واما الجواهر المسهلة فهي قواعد مرة وخلاصية وملونة بأملاح

الجواهر الملينة طبيعتها غذائية وموادها الكيماوية كثيراً ما تتسلط عليها القوى الهضمية فتغير طبيعتها وتحولها الي كيموس والجواهر المسهلة ليست قابلة للانهضام ولا يمكن استخدامها في تركيب القواعد المصلحة للجسم

الملينات ترخي منسوج الامعاء فاذا حصل عقب استعمالها استفراغات ثفلية فذلك لكونها صارت جسما ثقيلا متعبا فتسعي هذه الاعضاء في التخلص منها سريعا لكي يندفع جميع ما تحتوي عليه في باطنها .ولكن المسهلات تحدث في الطرق الهضمية تهيجا يثير الحركة الثفلية في الامعاء والاستفراغات التي تتبع استعمال مسهل يتركب معظمها من أثفال مخاطية ومصلية وصفراوية وهو الذى حرضها

الملينات تفعل علي جميع المنسوجات الحية انطباعا مرخيا أو معدلا ولا يتبع استعمالها بكدر أصلا في التأثير العصبي ولا ينتج أصلا جلة العوارض التى تكون تابعة لافراط الاسهال . واما الجواهر المسهلة فلها علي أعصاب المجموع العقدي وعلي النخاع الشوكي فعل لا ينبغي انكاره فاذا استعملت بمقدار كبير فانها تعطي التأثير العصبي صفة أخرى وتحدث احتقالات في الفخذين والساقين . ثم ان

امتصاص جزئياتها يثير دورة الدم ويرفع درجة الحرارة الحيوانية وغير ذلك

الملينات تستعمل في الامراض الناشئة من التهيجات والالتهابات وأما الجواهر المسهلة فكثيراً ما تزيد في قوة هذه الآفات فاذا استعملت الملينات في الامراض الحادة فانها كما هو واضح تلطف الاحتراق الحي وتقلل شدة العوارض المرضية . وأما المسهلات فاذا استعملت في هذه الامراض فانها تزيد في الحي وتقوى جميع الامراض وقد استفيدت منافع جليلة من المسهلات في الاحتقانات الدموية التى تكون في المخ وفي اعضاء الصدر ونحو ذلك واما الملينات فاستعمالها في هذه الحالة أن يكون غير نافع والمسهلات تكون قوية الفعل في الاوذيمات الخلوية وأما استعمال الملينات في ذلك فتعين غالباً علي زيادة هذه الاحوال المرضية

⟪ مساء ⟫ قال له مساك الله بالخير و (أمسى) دخل في المساء و (المساء) ما بين الظهر الي المغرب

⟪ مشجه ⟫ يمشجه خلطه . و (مشيج ومشيج) اى مختلط جمعه أمشاج

⟪ المشمش ⟫ يسمى باللسان النباتي (ارمينيا كارجاريس) وأصله من بلاد الارمن ثم نقل الي رومية وأنواعه كثيرة

(الاقاليم والارض) تنضج ثماره في شمال فرانسا والارض التى توافق شجر الخوخ توافقه

(تكاثره) يطعم علي شجر البرقوق وشجر اللوز وشجر المشمش المتحصلة من البزر

فشجر البرقوق هو الاكثر استعمالا وتنتخب منه الاصناف القوية لأجل تطعيمها وشجر اللوز أقل استعمالا من شجر البرقوق لأن المطعم عليه ينفصل منه بسهولة وشجر المشمش جيد لذلك وتطعم هذه الاشجار بالازرار أو التطعيم الاكليلي أو بالتطعيم بالشق

ويزرع هذا الشجر أما في بستان الفاكهة واما في بساتين الخضر فيزرع في بستان الفاكهة في الهواء المطلق ويعطي له الشكل الهرمي ويزرع في بساتين الخضر كما يزرع شجر الخوخ فتحصل منه محصولات وافرة

ولاجل ان يعيش الشجر زمنا طويلا

وتتحصل منه محصولات وافرة على الدوام لا ينبغي ان يترك وشأنه بل يلزم تقليمه في كل شتاء وبدون ذلك يتغطى نحو قاعدته بفروع عديدة شرهة غير لازمة تجذب نحوها العصارة الينفاوية فتميت معظم فروع هيكل الشجرة والفروع الثمرية فبعد زمن يسير يكون عدد الفروع اليابسة كعدد الفروع الرطبة تقريبا فاذا قرطت قمم الفروع مرتين في زمن الانبات امتنع بذلك نمو الفروع غير اللازمة التي هي مضرة من وجهين اولهما انها تمتص أغلب العصارة الينفاوية وثانيهما انه ينشأ عن ازالتها مرض الصمغ الذى هو مميت لشجر المشمش في الغالب

(تقوية شجر المشمش) هذا الشجر ينتهي بعد مضي ١٥ أو ١٨ سنة بأن يصير سقيما فتتجرد فروعه من الفريعات الثمرية وتجف وتنمو الفروع الشرهة السفلي غير اللازمة ثم قطعها كل سنة ينشأ عنه هذا السقم فمتى حصل ذلك ينبغي أن يقوى هذا الشجر ولاجل ذلك يكفي أن تقلم فروع هيكل الشجرة نحو قاعدتها فوق النقطة التي ينمو فيها فرع شره فهذه الفروع الحديثة الشرهة يتكون منها هيكل جديد ويأتي تكرار هذا العمل مراراً متعاقبة اذا اقتضت الحاجة ذلك

(امراضه) المرض الذى يخشى منه على هذا الشجر كثيراً هو الصمغ ويعالج بالطرق التى أسلفنا ذكرها

(اجتناء ثماره وحفظها) يجنى المشمش كما يجنى الخوخ ولا يتأتي حفظه رطبا وانما يجفف كالبرقوق بعد نزع عجمه منه فاذا عطن المجفف منه في الماء ثم طبخ مع السكر حسبما تقتضيه الصناعة تحصلت منه مربي لذيذة الطعم (من كتاب الزراعة لاحمد بك ندى)

(خواصه الغذائية والطبية) المشمش من الفواكه المنفذية للمولدة للدم ولكن فيه ثقل فيجتنب الاكثار منه

وقد ذكر له أطباء العرب خواص طبية جليلة فقالوا انه ينفع من الحكة والالهب والعطاش وهيجان الحارين والحيات المحرقة والبخار المتغير ويفتح السدد ويلين الصلابات ويعدل أمزجة المحرورين بشرط ان يتبع بما يخرجه من البدن بسرعة كالسكنجبين وربوب الفاكهة ومن اتبعه بالماء والعسل وتقيأه أخرج ما في المعدة من الاحتراقات حتى الكراثية

والزنجارية وقطع الحمى

وهو يضر المبرودين (يعنى العصبيين) ويضر المشايخ ومن غلب عليه البلغم ويضر المعدة لفساده وحمضه ويولد الرياح الغليظة . ومن فصد بعد أكله شاهد بياض الدم وبذلك يوجب البرص اذا أدمن ولا يجوز فوق طعام ولا على ريق الا بقصد القيء ويصلحه الانيسون والمصطكي بالعسل في المبرودين والا فبالسكر . ومما قيل تبين ان الخوخ أجود منه بكثير ويابسه أجود من طريه

ولبه المر حار يابس في الثانية والحلو حار رطب في الاولي ودهن كل يفتح السدد وينعم البشرة ويزيل الصلابات والخشونات والآثار والمريفتت الحصي شربا ويفتح الصمم قطوراً . ويسكن مع الافيون كل ضارب لوقته ويقوى فعل المسهلات وليس له بمفرده قوة في ذلك وأجزاء شجرته باردة يابسة في الثانية اذا طبخت وشربت أدرت وأسقطت الديدان وتحل الاورام نطولا وورقه يقطع الاسهال من خواصا التركيب في اللوز والخوخ وكل في الآخر

وقد ينقع المشمش ثم يضرب ويصفي من نواه ويفرش على الواح قد دهنت بالسيرج في الشمس وقد رقق كاللبن فيجف وهو المعروف بقمر الدين

﴿ مشط ﴾ الشعر يمشطه سرحه ومثله (مشّطه) و (امتشط) مطاوع و (المِشط) آلة التمشيط

﴿ المُشاقة ﴾ ما سقط من الشعر والكتان والحرير عند المشط . و (امتشقه) اختطفه واختلسه . و (قد ممشوق) أى طويل مع رقة

﴿ الماشية ﴾ الابل والغنم والبقر جمعها مواش و (المشاؤون) من الفلاسفة هم أتباع أرسطو لأنه كان يحدثهم في الفلسفة وهو ماش

﴿ المصر ﴾ الحاجز بين الشيئين والمدينة جمعه أمصار . و (المصير) المعى جمعه مُصران وجمع المصران مَصارين

﴿ مصر ﴾ من أشهر أقطار الدنيا وأقدمها ذكراً في التاريخ وأبعدها عهداً بالمدنية والعلم . موضعها من الكرة الارضية في الشمال الشرقي من افريقا وهى عبارة عن واد ضيق محصور بين سلسلتي جبال يختلف ارتفاعها بين ٨٠ و٣٥٠ متراً

وهما سلسلة جبال العرب جهة الشرق وسلسلة جبال ليبيا جهة الغرب . وخلف هاتين السلسلتين صحراوان تمتد احداهما شرقا الي البحر الاحمر وتسمي صحراء العرب والثانية تتصل بالصحراء الكبرى وتسمي صحراء ليبيا

يحد مصر شمالا البحر الابيض وشرقا بلاد الشام والعرب والبحر الاحمر وجنوبا بلاد النوبة وغربا طرابلس الغرب والصحراء

مساحة مصر (٦٠٠٠٠٠) كيلو متر أى (١٥٠) مليون فدان بما فيها الصحارى . ومن غير الصحارى تبلغ مساحته (٢١٠٠٠) كيلو متر أى (٦١٥٨٠٧٧) فدانا . منزوع منها (٥٦٥٠٠٠٠) فدان والباقي أرض قابلة الزراعة ولم تزرع

أما عدد أهلها فيبلغ الآن نحو ١٣ مليونا وكان سنة ١٨٠٠ (٢٤٦٠٢٠٠) وفي سنة (١٨٢١) حين احصاء محمد علي باشا (٤٤٧٦٤٤٠) وفي احصاء سنة (١٨٨٢) في عصر توفيق باشا بلغ (٦٨١٣٩١٩) وفي سنة (١٨٩٧) بلغ (٩٧٣٤٤٠٥) وبلغ في سنة (١٩٠٧) ١١١٤٣٠٠٠ وقد صار في سنة (١٩١٧) ١٢٥٦٦٠٠٠ واليك جدولا أصدرته مصلحة الاحصاء عن الاحصاء الأخير لسنة (١٩١٧) فيه تفصيل الاهالي في المديريات والمحافظات مع مقارنتها بعدد أهلها في سنة (١٩٠٧)

الزيادة في المئة	الاحصاء سنة ١٩١٧	الاحصاء سنة ١٩٠٧	الاقسام الادارية	
٢١،٥	٧٨٥٠٠٠	٦٤٦٠٠٠	مصر	
٢٣،٦	٤٣٥٠٠٠	٣٥٢٠٠٠	الاسكندرية	
٤٧،٥	٩٠٠٠٠	٦١٠٠٠	القنال	المحافظات
٨٨،٨	٣٤٠٠٠	١٨٠٠٠	السويس	
—	٣١٠٠٠	٥١٠٠٠	دمياط	
٢١،٩	١٣٧٥٠٠٠	١١٢٨٠٠٠	مجموع سكان المحافظات	

الزيادة في المئة	الاحصاء سنة ١٩١٧	الاحصاء سنة ١٩٠٧	الاقسام الادارية	
١٤،١	٨٨٤٠٠٠	٧٧٥٠٠٠	البحيرة	
٧،٦	٩٤٧٠٠٠	٨٨٠٠٠٠	الشرقية	
١٣،٣	٩٧٧٠٠٠	٨٦١٠٠٠	الدقهلية	الوجه البحرى
١١،٠	١٦٤٩٠٠٠	١٤٨٥٠٠٠	الغربية	
٢١،١	٥٢٧٠٠٠	٤٣٥٠٠٠	القليوبية	
١٠،١	١٠٦٨٠٠٠	٩٧٠٠٠٠	المنوفية	
١١،٩	٦٠٥٢٠٠٠	٥٤٠٦٠٠٠	مجموع سكان الوجه البحرى	
١٠،٩	٩١٩٠٠٠	٨٧٧٠٠٠	اسيوط	
٧،٧	٢٥١٠٠٠	٢٣٣٠٠٠	اصوان	
٢٠،٧	٤٤٩٠٠٠	٣٧٢٠٠٠	بنى سويف	
١٤،٧	٥٠٧٠٠٠	٤٤٢٠٠٠	الفيوم	
٧،٧	٨٥٤٠٠٠	٧٩٣٠٠٠	جرجا	الوجه القبلي
١١،٨	٥٢٣٠٠٠	٤٦٨٠٠٠	الجيزة	
٧،٥	٨٢٩٠٠٠	٧٧١٠٠٠	قنا	
١٦،٠	٧٥٧٠٠٠	٦٥٣٠٠٠	المنيا	
١١،٥	٥١٣٩٠٠٠	٤٦٠٩٠٠٠	مجموع سكان الوجه القبلي	
١١،٧	١٢٥٦٦٠٠٠	١١١٤٣٠٠٠	المجموع العام (مؤقتا)	

(التاريخ القديم للأمة المصرية) ينقسم التاريخ القديم لهذه الامة الي ثلاثة ادوار: دور الجاهلية ، ودور الاسر المالكة المصرية ، ودور الحكم اليوناني في مصر

فأما الدور الاول فأوله مجهول وينتهي الي سنة (٥٠٠٤) قبل الميلاد . واما الدور الثاني فيبدأ من سنة (٥٠٠٤) ق م الى سنة (٣٤٨٠) قبل الميلاد . واما الدور الثالث فيبدأ من تلك السنة الى سنة (٣) ق م

ا؛ ٣ = دائرة = ٤ = ؟ ؛

ثم يلي هـذا تاريخها الحديث وهو يبتدىء من سنة (٣٠) حيث استولي عليها المسلمون الي اليوم

(الدور الاول) تاريخ الامة المصرية في عهد الجاهلية غامض لا يعرف عنه شيء كبير وغاية ما عرف ان هـذه الامة كانت منقسمة الى قبائل علي كل منهـا رئيس مستقل ثم توحـدت هـذه القبائل واوجدت مملكتين احداهما في الوجه البحرى والاخرى في الوجه القبلي

في هـذا الدور كان للكهنة نفوذ قوى فرتبوا للامة ديانتها ووضعوا لها اسماء آلهتها وكان مقرهم مدينة طيبة وتسمي بالقبطية ابيدوس هي الآن العرابة المدفونة الغربية قبلي جرجا بينها وبين البلينا ساعتان

يبـدأ التمدن المصرى من سنة (٥٠٠٤) ق م حيث بدأ المصريون يلبسون جلود الحيوانات ويستعملون النحاس والفخار ويتخذون السيوف والمدى والاواني وينحتون النبال ويصنعون الآجر (الطوب) ويشيدون المباني ويستخرجون الذهب والفضة ويبنون السفن ويتجرون عليها

(الدور الثاني) يبـدأ من سنة (٥٠٠٤ الي ٣٣٢) ق م وهو دور الاسر المالكة او دور الفراعنة . بلغ عدد هذه الاسر (٣١) اسرة ملكت البلاد من اول سنة (٥٠٠٤ الي سنة ٣٣٢) ق م وهي ثلاث طبقات

(١) الطبقة الاولي تشمل العشر الاسر الاولى ومدة حكمها ١٩٤٠ سنة

(٢) والطبقة الثانية تشمل السبع الاسر التالية ومدة ملكها ١٣٦١ سنة

(٣) والطبقة الثالثة تشمل الاربع عشرة أسرة الاخيرة ومدتها ١٣٧١ سنة

(الطبقة الاولي) من سنة (٥٠٠٤) الي سنة (٣٠٦٤) اولها الاسرة الاولي من سنة (٥٠٠٤) الي (٤٧٥١) زعيمها الملك (مينا) او (مينيس) تزوج ابوه بأميرة من الوجه البحرى فصار مينا حاكما بالوراثة علي الوجهـين فأول ما وجه اليه همه اضعاف سلطة الكهنة وتقوية شوكة الملكية وبنى هيكلا للمعبود (بتاه) بقرب الجيزة وحول مجرى النيل من سفح الجبل

الغربي الي مجراه الحالي وبنى مدينة منف أو منفيس وهي الآن ميت رهينة والبدرشين ثم بنى جسراً لوقاية مدينته من النيل يعرف الآن بجسر قشيشة

مات وخلفه ابنه (تيتا) فأسس في منفيس القصور واشتغل بعلم الطب وعمل مجموعاً للوصفات الطبية توجد الآن بمكتبة برلين

(الاسرة الثالثة) من سنة (٤٤٤٩ الي ٤٢٣٥) ق م كانت في منف تقدم علي عهدها فن النقش والبناء وجر الاثقال بنى في مدتها الهرم المدرج بسقارة قرب البدرشين بناه الملك (ذوسر) الذى تولي سنة (٤٣٨٥) ق م وبنى في مدتها الهرم الكاذب بميـدوم أما محطة الرقة الآن ببني سويف بناه (سنفرو) آخر ملوك هذه الاسرة وهو أول من بنى السفن الحربية ومن أشهر اعمال هذه الاسرة أبو الهول الباقي الآن بقرب اهرام الجيزة

(الاسرة الرابعة) من سنة (٤٢٣٥ الي سنة ٣٩٥١) بمنف بنى في عهدها الاهرام الثلاثة الموجودة بالجيزة فبنى الاكبر (خوفو) في ثلاثين سنة وبنى الثاني (خافرع) ابنه . أما الهرم الثالث فبنى جزءاً منه الملك (منكاوْرَع) وتوجد جثته الآن بدار الآثار بلندن وأتمت بناءه الملكة (نيتوخريس) من الاسرة السادسة

(الاسرة الخامسة) أصلها من جزيرة اسوان (الفنتين) من سنة (٤٩٥١) الي (٣٧٠٣) ق م في عهدها بنيت اهرام ابو صير بالجيزة من ملوك هذه الاسرة الملك (رع اُسرآن) صاحب المقبرة الشهيرة بجهة سقارة ثم الملك اوناس وله هرم بالجنوب الغربي للهرم المدرج بسقارة

(الاسرة السادسة المنفية) من (٣٧٠٣ الي ٣٥٠٠) ق . م أشهر ملوكها مَري — رع الذى حارب النوبة وليبيا واستولى علي طور سينا وجعل لمصر شهرة عظيمة . وخلفه ابنه (مرنرع) الاول فغزا النوبة واحضر منها اسلابا كثيرة ثم الملك (نفر — كا — رع) الذى حكم مصر مائة سنة ، حافظت فيها علي رونقها ومجدها . وقام بعده (مرنرع) الثاني وقد وقعت ثورة بعد سنة من حكمه قتل فيها . ثم خلفته زوجته (نيتو كريس)

قال هيرودوت : « ان نيتوكريس لما تولت ، دبرت مكيدة لقاتلي زوجها فعملت سرداباً بوصل بين قاعة ، اعدت فيها وليمة فاخرة ، وبين النيل ، ثم دعت قاتلي زوجها وبينما هم في تلك القاعة، اذ فتحت طريق السرداب من النيل فدخل ماؤه الي القاعة واغرق من فيها » . وهي التي اتمت بناء الهرم الثالث بالجيزة . وقد اعدت لنفسها مدفنا بأعلي الحجرة التي دفن فيها الملك (منقرع) قبلها بخمسمائة سنة

(الاسرتان السابعة والثامنة المنفيتان والاسرتان التاسعة والعاشرة الاهناسيتان من سنة (٣٥٠٠ الي ٣٠٦٤ ق . م) لا يعلم شيء يذكر عن هذا الامر

قال لبسيوس المؤرخ عن الطبقة الاولي « انه في زمنها كثر علي الآثار اسم (اوزيريس) والتوسل اليه ، واتقنت صناعة التصوير وامتازت الصور باعتدال القامة واستدارة الوجه واشراقه . وكان القوم في ذلك العهد يعنون بالكتب فجعلوا لها دوراً ومراقبين ، واهتموا بعمل التقاويم السنوية ، فبينوا فيها اوقات شروق الكواكب وغروبها ولا سيما الشعرى اليمانية التي كان ظهورها علامة علي زمن الفيضان ورأس السنة

الطبقة الثانية من سنة (٣٠٦٤ — ١٧٠٣) ق . م

(الاسرة الحادية عشرة الطيبية) من سنة (٣٠٦٤ - ٢٨٥١) ق . م . من أشهر ملوكها (منتوحتب الثالث) الذي له صورة في جزيرة الكنوز وهو منتصر علي امم اجنبية يقاتلها . وله وقائع منقوشة باتقان في وادي الحمامات بمديرية قنا ، كان هذا الملك يخص بالعبادة الاله خم معبود مدينة قفط

وفي دار الآثار المصرية لهذه الاسرة اسلحة وآلات الصناعة وجدت بجهة ذراع ابي النجا

(الاسرة الثانية عشرة الطيبية) من سنة (٢٨٥١ الي ٢٦٠٠) ق . م

دخلت هذه الاسرة في دور جديد من الوحدة بعد ان كانت مقسمة بين امرائها . فلم يكن لملك مصر غير السلطة الاسمية . فلما حكمت هذه الاسرة كسرت شوكة الامراء وكان اول من ملك منها (آمن — ام — حت) الاول الذي انتصر علي قبائل واواي — الذين

كانوا العدو الالد للمصريين واسر قبيلة التانيو بصحراء ليبيا واعاد لمصر مجدها وكان لهذا الملك هرم في اللشت، وله كتاب تداولته المدارس القديمة لعظيم فائدته

(الملك اوسرتسن الاول) هو صاحب المسلة القائمة الآن بعين شمس البالغ ارتفاعها ٢٨ر٣٠ متراً، والمكتوب علي كل من جوانبها الاربعة باقلم الهيرو غليفي الالقاب الآتية: «ان هوروس الشمس، حياة المولودين، ملك الوجهين القبلي والبحري — خبر — كارع، سيد التاج المزدوج، حياة المولودين، ابن الشمس، اوسرتسن، صديق ارواح أون، الخالد، الاله هوروس، الذهبي، المولود من الاله الكريم خبر — كارع، هو الذي صنع هذا الاثر في اول السنة الثلاثين لحكمه الخالد الي الابد ». وكان بجانبها مسلة أخرى سقطت في اواخر القرن الثالث عشر وقد كان امام المسلتين هيكل الشمس المشرقة المسمي (توم) ووجدت للملك المذكور مسلة ثالثة بجوار قرية ابجيج بالفيوم اقامها تعظيما لمعبودات ذلك الاقليم . وبعد هذا الملك من الموصين الاول لمعبد الكرنك بطيبة ، وله هرم في اللشت .

(أوسرتسن الثاني) كانت مصر في عهده محافظة علي مجدها . من آثار هرم اللاهون (بالفيوم) المقامة بجواره مقبرة التماسيح . وللملك المذكور مقبرة بالمنيا بناها له خنوم — حتب ، بجوارها الآن بلدة بني حسن ، وعليها نقوش تدل علي احكام الوراثة في ذلك العصر ، وعلي أن (خنوم — حتب) كان قريب الملك وواليا علي المنيا ، وعلي انه صاحب هذا القسم واحيا اسم والده نهيري الذي كان والياً قبله، وعلي انه شيد المعابد واقام بها التماثيل ورتب لها ما يلزم القرابين وعين لها كاهنا اقطعه الملك اراضي كثيرة فرتب للاموات الصدقات في جميع الاعياد المشهورة ، وعلي قبر (خنوم حتب) المذكور رسوم دالة علي كيفية الفلاحة واعمال العسكرية والحان الموسيقي وتربية المواشي ، وبعض قواعد الاحكام وتدبير المنزل ، وفيها صور طقوس دينية وتاريخية وملاحظات علي الملاحة وعلم الحيوانات

(اوسرتسن الثالث) كان هذا الملك صاحب عزم وحزم نال بهما شهرة

عظيمة فعبده الناس بمدوفاته . من أعماله أنه ارسل جيشاً لمقاتلة النوبيين قصد توسيع مملكته . وشيد في وادى حلفاً ، بالقرب من الشلال الاول . قلاعاً واستحكامات وأقام حجر بن كحد فاصل بين مصر والنوبة مكتوبا علي احدهما : « هذا حد مصر الجنوبي وضع في السنة الثالثة من حكم الملك أوسرتسن الثالث المخلد الذ كر . لا يجوز لاى اسود كان أن يتجاوز هذا الحد أثناء سفره .لا اذا كان في سفينة تقل حيوانات من بقر وغنم وحمير من قبل بنى الاسود » . ولهذا الملك هرم في دهشور بجنوب سقارة وقد عرف الناس قدره فعدوه حامياً لمصر ورجلا مقدسا . وبعد مضي خمسة عشر قرنا من تاريخ موته أى في عصر الاسرة الثامنة عشرة شيد له تونميس الثالث معبداً في سمنة كتب عليه أدعية كان المصريون يتغنون بها في ذلك الزمن .

(آمنْ - آم - هَتْ الثالث) . هو ابن الملك السالف شيد العمارات الفخمة في الفيوم . ولما رأى ان النيل يفيض بكثرة في بعض أيام السنة ويتناقص في البعض الاخر اهتم بخزن مائه وقت الفيضان ، في ارض منبسطة بالفيوم ، احاطها بجسر سماه (ميرى) اى بحيرة وقد اطلق اليونان عليها اسم (موريس) . وكانت تلك البحيرة اذا طفحت وقت الفيضان ينصرف ماؤها الزائد في البحيرة الطبيعية المعروفة ببركة قارون : وقال هيرودوت : « ان في داخل سطح البحيرة كانت مشيدة (مدينه كروكود وبوليس او ارسينو (مدينة الفيوم) وكان في وسط البحيرة هرمان عظيمان يعلوهما تمثالان احدهما تمثال الملك والثاني تمثال زوجته المسماة سبك نفرورا» . وقدزعم بعضهم ان القاعدتين العظيمتين الموجودتين بجهة بيهمو (بالفيوم) ربما كانتا قاعدتي الهرمين المذكورين وزعم غيرهم انهما آثار موردة لشحن وتفريغ المراكب المارة بالبحيرة حيث هناك سلالم بتمثالين . وقد وجد رسم هذه البركة في صحيفة بردية محفوظة بالمتحف المصرى . ومن اعمال هذا الملك المدينة الشهيرة التى لغرابتها ظنها المؤرخون القدماء قصراً واحداً وسموه (لابيرانته) وهى لفظة مصرية اصلها (لابور - اهوت) اى معبد فم البحيرة

وكان يجتمع في قسم منها كبار المملكة وحكامها بأمر الملوك ، ويتداولون فى شؤون المملكة . وقد اقام ذلك الملك بجوار هذه المدينة هرم (هوارة المقطع) ، وله آثار في وادى الحمامات يؤخذ منها انه استخرج المادن واخصها الفيروزج من طور سيناء

(الملكة سبك — نفرورا) زوجة الملك السالف واخت الملك (آمن — آم— هت الرابع) ، تولت الملك بعد اخيها

مما تقدم يعلم ان مصر في عهد حكم هذه الاسرة كانت سائرة فى طريق الرقي فانتظم فيضان النيل ، وازهرت المدارس

(الاسرة الثالثة عشرة الطيبية) من سنة (٢٦٠٠ الى ٢٣٩٨) قم يطلق علي معظم ملوك هذه الاسرة لقب (سَبَكْ حُتب) و (نُفير حُتب) وجدت اسماء ملوكها مرتبة فى جدولين على ورقة تور ينو ، وعددهم سبعة وثمانون ملكا

حافظت مصر فى عهد هذه الاسرة علي مدنيتها ، كما دلت علي ذلك الآثار التى وجدت في جزيرة (ارجو) بجوار دنقلة وفي جهة (صان)

وقال مريت باشا عن هذه الاسرة : « ان آثارها توجد جهة الكاب (جنوبي اسنا) وجهة اسيوط »

(الاسرة الرابعة عشرة السخوية) من سنة (٢٣٩٨ الي ٢٣١٤) ق . م . لم يعرف شيء عن كثير من ملوكها اما آثارها ففي مديرية اسيوط. قال ماسبيرو: «ان انقراض هذه الاسرة نشأ من فتنة ضد آخر ملك لها »

(الاسرة الخامسة عشرة) طيبية وعربية من سنة (٢٣١٤ الى ٢٠٠٥) ق . م . ينقسم ملوك هذه الاسرة الي قسمين : وطنيين تاريخهم مجهول حكموا الوجه القبلي وجعلوا عاصمتهم طيبة . واجانب وهم العرب المعروفون بالهكسوس حكموا الوجه البحرى واتخذوا مدينة (اواريس) قاعدة لهم ثم جعلوا عاصمتهم مدينة صان

اغار العرب علي هذه البلاد وانتشروا في انحائها واخذوا يحرقون المعابد والقرى وينهبونها ، وعلي ذلك هاجر الامراء الوطنيون الى الوجه القبلي ، وحكموا هناك

في مدينة طيبة ، واصبح الوجه البحرى في قبضة العرب فعينوا لهم ملكا اسمه (سلاطيس) واتخذوا (منف) مقراً لهم ثم قام بعد سلاطيس خمسة ملوك خافوا من الامراء الوطنيين فاتخذوا مدينة اواريس قاعدة لهم . وقد كان المصريون يمقتون العرب و يضمرون لهم العداء

(الاسرة السادسة عشرة) العربية من سنة (١٠٠٠ لي ١٧٥٠) ق م

اثار ملوك هذه الاسرة حربا عوانا علي المصريين فأخذوا منهم الجزء الشمالي الوجه القبلي واعقب ذلك وفود كثيرين من السوريين والعرب الي مصر

جلبت هذه الاسرة الخيل الي مصر ومن ملوكها (رع – كا – نن) وهو المعروف عند العرب (بالريان بن الوليد) قال بعض المؤرخين : « انه في مدة هذا الملك وفد علي مصر جماعة الاسمعيليين الذين شروا يوسف الصديق من اخوته و باعوه الى فوطيفار رئيس شرطة مصر فأتي بيوسف الي منزله فبهر حسن يوسف زوجة فوطيفار فراودته عن نفسها فأبي فسجنت في سجنه ، وكان السجن يومئذ في الجهة الشمالية لسقارة بالقرب من هرم (بى) وتعرف للآن « بسجن يوسف »

و يقول بعض المؤرخين ان مجيء بنى اسرائيل من ارض كنعان الى مصر كان بعد طرد العرب منها ، اى في مدة الاسرة الثامنة عشرة الوطنية ، حيث قام يوسف بمدينة منف وتسلط علي سائر البلاد في ايام الملك توتميس الذى تولي بعد طرد العرب

وقد انقرضت هذه الاسر العربية بسبب الحرب التى اثارتها المناقشات الدينية بين ملوكها وبين الوطنيين من امراء الوجه القبلي وجلس (تا – آ) الاول علي سرير الملك ، واسس في الصعيد الاسرة السابعة عشرة

الاسرة السابعة عشرة – طيبية وعربية – من سنة (١٧٥٠ الي ١٧٠٣) ق م .

كانت مصر في عهد هذه الاسرة تحت حكم حكومتين : وطنية قاعدتها طيبة ، وعربية قاعدتها اواريس . ولما تولي الملك (تاآ) شهر الحرب علي العرب ، و بمساعدة الامراء له طردهم تدريجيا ، وقام خلفاؤه بعده فجدوا في حربهم طلبا لاستقلال مصر فلم يبق لهم

الا معسكرهم الحصين في اواريس . واخيراً تغلب عليهم الملك (احمس) الاول وطردهم نهائيا ، فلم يبق الا النفر اليسير منهم ، ولم تزل ذريتهم (البشامرة) تقطن شواطيء المنزلة محترفة صيد السمك وقنص الطيور وهكذا انتهت الطبقة الثانية علي أحسن حال

(الطبقة الثالثة) من سنة (١٧٠٣ –١٤٦٢) ق م

(الاسرة الثامنة عشر الطيبية من سنة ١٧٠٣ –١٤٦٢) ق.م

ظهرت هذه الاسرة بمظهر القوة فانفردت بالسلطة ، فتقدمت مصر وزادت ثروتها وسميت امبراطورية وأول براطرتها آه – ميس (احميس) ، ويسمي أيضا اوازيس وهو الذى قام بجيشه وحاصر قلعة اواريس براً وبحراً (كما ذكرنا) ففتحها وطرد العرب ، فتقفيا اثرهم الي نهر الفرات بأرض الجزيرة (مابين النهرين) ، فخلص مصر منهم بعد ان ملكوها خمسمائة سنة . ثم اصلح هذا الامبراطور المعابد المتداعية للسقوط ، واستخدم اسرى العرب في نقل الاحجار من (طرة) ، واصلح معبد (بتاح) بمنف ومعبد (آمون) بالكرنك وهدم قلعة اورايس ، وهجر مدينة صان وقد وجدت جثته بكنز الدير البحرى .

(تهوتمس) أو (توتميس) الاول أى ابن توت . تغلب علي بلاد النوبة وانيوبيا – وكانت تلك البلاد تصدر لمصر الحيوانات والحبوب والجلود والعاج والاخشاب والمعادن ولاسيما الذهب ثم غزا توتميس العرب بفلسطين وأرض كنعان ووصل الي نهر الفرات . ولهذا الملك عمارات كثيرة ومسلة توجد في معبد آمون بالكرنك

(الملكة هاتاسو) هي ابنة توتميس الاول . أقيمت وصية علي أخيها القاصر توتميس الثالث فتولت الحكم وشرعت في تشييد الهياكل وتمتين القرابين والصدقات لها . وكانت تحكم بلاد الشام والنوبة . بنت مراكب حربية وأرسلتها الى البحر الاحمر للاستيلاء علي بلاد بونت (اليمن والصومال) . فسلم أهلها بدون قتال . ثم أسست معبد الدير البحرى في مدينة طيبة . وكتبت علي جدرانه قصة غزوتها لبلاد البونت ، ومن اعمالها أيضا انها انشأت معامل لصنع الزجاج واقامت مسلتين بمعبد الكرنك ، ولم تزل

واحدة منها الي الآن مكتوبا عليها: «ان المملكة هاتاسو اقامتها لتخليد ذكر والدها توتميس الاول» ولما بلغ اخوها سن الرشد أشركته معها في الحكم وماتت بعد ان حكمت معامدة ٢١ سنة

(توتميس الثالث) هو من أعظم ملوك مصر امتنع في بدء حكمه أهل الشام عن دفع الجزية، وخرج عليه اغلب سكان آسيا فهزمهم شر هزيمة وفتح الشام ووصل الي (نينوى) ببلاد الجزيرة وقهر بلاد النوبة ونقش انتصاراته علي جدران هيكل الكرنك وعلي حجر محفوظ بالمتحف المصرى وفيه صورته ايضا وبنى اسطولا عظيما كانت له السيادة علي الجزء الشرقي من البحر الابيض. وفتح بمساعدة هذا الاسطول جزيرة قبرص والاناضول (آسيا الصغرى) فاتسع نطاق التجارة وعاش المصريون في عهده عيشا رغداً. وأقام مسلتين في عين شمس احضرتهما الملكة كليو بطرة سنة ٤٤ ق. م الي الاسكندرية فسميت باسمها

مات توتميس الثالث سنة ٤٤ من حكمه بعد أن نشر العلوم والمعارف وانشأ معامل الزجاج والفخار وقد كان عصره من اعظم العصور لمصر، وجثته محفوظة بالمتحف المصرى

(آمن ـ حتيب) او امنوفيس الثالث لما صعد علي سرير الملك كانت مملكته تمتد من اعالي الفرات الي الشلال الرابع، ولشهرته في الاقطار سماه اليونان (ممنون). وفي عصره اشتدت الفتن في الشام فأطفأها بحسن التدبير والسياسة وكان ماهراً في صيد الاسود، يعرف ذلك من النقوش المرسومة في هيكل الاقصر وفي صخور بالقرب من جزيرة فيلي أو فيليا. ولهذا الملك آثار عظيمة منها: هيكل للمعبود (موت) زوجة آمون، وانشأ ايضا علي شاطيء النيل الايسر تجاه الاقصر معبداً كان هذا المعبد من اعظم الآثار المصرية ولم يبق منه الآن الا التمثالان الكبيران الموضوعان علي يمين ويسار الداخل الي المعبد، يمثل كل منهما صورة الملك، ويعرفان (بشامة وطامة). ويعرف التمثال الموجود في الجهة البحرية عند الافرنج باسم (ممنون)

(آمن ـ حتيب) او (آمنوفيس) الرابع

كان هذا الامبراطور قبل توليه

الملك عابداً للشمس وكاهناً لها، فلما تولي حمل الناس على عبادتها، ورفض غيرها من سائر المعبودات، وسمي نفسه (خوت — ان — أتن) أى نور قرص الشمس، وصار يمحو أسماء أجداده المذكورة مع اسم المعبود (آمون) لبغضه له. وقد سرى اليه هذا المعتقد من أمه (تاهي) التى كانت تقدس الشمس، وامر هذا الملك بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العمارنة قرب المنيا علي الشاطيء الشرقي للنيل. وجعلها قاعدة الحكومة بدلا من مدينة طيبة التى فيها المعبود آمون، ونقل الى مدينته الجديدة تمثال قرص الشمس في معبد بناه لها وصارت الديانة الشمسية شعاراً له ولمشايعيه، ومع ذلك كان محافظا علي بلاده جرياً علي عادة اجداده. ومن آثاره هيكل ومسلة بطيبة مات عن غير وارث فتولي بعده خمسة ملوك، قامت في مدتهم فتن عظيمة في أنحاء البلاد بسبب تغيير الديانة وتعداد أحزابها، وأخيراً قام الاهالى ودكوا هيكل الشمس وخربوا المدينة الجديدة واحرقوا جثة الملك. فضعف المصريون لكثرة المنازعات بينهم، وعلي ذلك طمعت فيهم الامم الاخرى وخرج من طاعتهم اهل آسيا وسورية وانضموا الي الخيتاس

(الاسرة التاسعة عشرة الطيبية)

من سنة (١٤٦٢ — ١٢٨٨) ق. م. اجتهد ملوك هذه الاسرة في اخضاع امارات آسيا، حتى انه لما تولي (سيتى الاول) ابو الملك رمسيس الاول خف الي الاعمال النافعة، وعزز جانب المملكة المصرية، مقتدياً بجده توتميس الثالث، فهجم علي سكان آسيا الغربية، وتوجه بجيشه الي فلسطين وحارب الخيتاس فتغلب عليهم ولكنهم استمروا علي العناد حتى ارتبط معهم بمعاهدة. وشيد جزءاً كبيراً من معبد الكرنك اسمه «ايوان المائة العمود» كما شيد هيكلا فى العرابة المدفونة، وهو الذى رسم لاول مرة الخرائط الجغرافية، ووصل نهر النيل بالبحر الاحمر، بواسطة ترعة حفرها من تل بسطة (الزقازيق) متجهة نحو الشرق في وادى الطميلات (رأس الوادى) الي أن تصب فى البحيرات المرة، وفتح طريقا للقوافل من قرية ردامية (باقليم اسنا) الي معبد الذهب الموجود

بجبل أنوكي ، ولهذا الملك قبر في بيبان الملوك ، أما جثته فمحفوظة بالمتحف المصرى

(رمسيس الاكبر) وهو (رمسيس الثاني) يسميه اليونان صيزوستريس (١٤٠٠ - ١٣٣٩ق م)

كان اكبر ملوك مصر سطوة وجاها واعظمهم قوة وبأسا . وضمه ابوه وهو في سن الطفولة علي حجره فأدى له الشعب التحية والاكرام. وكان أبوه يستصحبه في الحفلات الرسمية يعلو هامته تاج صغيرمن الذهب. ولما قصد صحراء ليبيا في احدى غزواته استصحبه وهو في العاشرة من عمره

تولى رمسيس الاكبر فتمرد عليه سكان شمال سورية فهزمهم في ارض الآموريين ونقش حوادث انتصاراته في مسلةمنصوبةعلي شاطيء « نهر الكلب » شمال (بيروت) وقد عصاه ايضاً قبائل الخيتاس وكاني وكَرْكَميش التى يخترقها نهر الفرات ، زحفوا عليه حتى وصلوا الي وادى الارُنْط (نهر العاصي) المار بمدينة حماة وانطاكية ، فبرز رمسيس لمحاربتهم بالقرب من قدش واذ ضل وجيوشه الطريق شعر بالخطر الذى احدق به فعقدمجلساً من قواده وما لبثوا أن هجم عليهم الاعداء فلاذ معظم جيشه بالفرار وبقي رمسيس منفرداً ، فأنقض بعربته عليهم - بعد ان تضرع الى المعبودآمون - وخاض غمار القتال علي مرأى من أتباعه، فأحاط به الفان وخمسمائة عربة في كل منها ثلاثة محاربين ، فهزمهم شر هزيمة (كذا) فاضطربت قلوبهم وخرج رمسيس من وقعة قادرش او وقعة الخيتاس رافعاً راية الغلبة. ثم جمع جيوشه ووبخهم

وبعد قتال وحروب دموية دامت ١٦ سنة بين رمسيس والخيتاس ، سألوه الصلح وعقدوا بينهم معاهدة . ثم سار رمسيس بجيشه الي بلاد ايثوبيا وفتحها وحمل منها شيئاً كثيراً من الذهب والعاج وريش النعام . وبنى اسطولا كان له السيطرة علي البحر الابيض والبحر الاحمر وبحر الهند وجزائره ، حتى ان اهالي افريقية كانوا يؤدون الجزية لمصر من الذهب وخشب الآبنوس وسن الفيل وسن فرس البحر وجلده والحيوانات النادرة الوجود ، كذلك بلاد العرب فانها كانت تؤدى لها الذهب

والفضة والحديد والنحاس والمر والبخور ومثلها بلاد الهند فانها كانت تبعث اليها بالحجارة الكريمة والمواد المعدنية والاقمشة الثمينة وبعد ذلك شرع رمسيس في اقامة المباني والآثار بكل مدينة . فبنى هيكل الرمسيوم بطيبة وهيكل أبسمبل (بالقرب من كروسكو) ومعبد الكرنك والاقصر وابيدوس ومنف وتل بسطة . ونصب مسلتي الاقصر . ونشر العلوم والفنون والزراعة حتى بلغت مصر في الحضارة شأواً بعيداً . وقد جعل بعد ذلك اقامته في مدينة تانيس (صان) . وسخر بني اسرائيل في بناء مدينتي رمسيس (رعمسيس) وبيثوم (هيرو بوليس) بأرض جاسان ، وأمر بأن تقاس أراضي مصر فقيست بالسهم والقيراط والفدان. وكان له جدول فيه اسماء المشهورين من اجداده . ومجموعة بردية كتاريخ الممالك التى فتحها وبلغت انتى عشرة مملكة وقد نظم (بنتاؤر) الشاعر المصرى الشهير قصيدة منقوشة علي معبد الكرنك وعلي غيره من المعابد الشهيرة امتدحه بها لتشجيعه العلوم ومحبته لابيه . وكان رمسيس بطلا مهيباً تقياً ورعا مات بعد

ان حكم ٦٧ سنة ودفن في بيبان الملوك وخلفه (منفطا) وهو الثالث عشر بين أبنائه . وقد وجدت جثة رمسيس الاكبر بكنز الدير البحرى بعد ان اعتدت عليها أيدى اللصوص فسلبتها تاجها وصولجانها وبعد ان ظلت محجوبة نحو ثلاثة آلاف ومائتى سنة . وهى الآن بالمتحف المصرى

(مر — إن — بتاه) ومعناه محجوب بتاه ، ويسمي ايضاً (منفطا الاول) وهو لقب جده (سيتى الاول)

تولى منفطا وله من العمر ستون سنة وفي أيامه أغار الليبيون علي مصر من جهة الغرب ، والخيتاس من جهة الشرق قاصدين فتح الوجه البحرى ، فأقام منفطا الاستحكامات علي ضفة فرع رشيد . وأرسل طائفة من جيشه الي مواقع العدو. وبينما هو كذلك اذ رأى في المنام معبوده (بتاه) يقلده سيفا ويأمره بأن يبرز الى ميدان القتال بنفسه فامتثل وكسر الاعداء في حرب حمي وطيسها .وقصة هذه الوقعة ترى منقوشة علي معبد الكرنك . ولهذا الملك عمارات وآثار بطيبة ومنف . وله قبرة ببيبان الملوك . وقد عثر علي

جُثته المستر لورث سنة ١٧٩٩ م . في قبر أمنوتب الثاني بطيبة ، قال بعض المؤرخين ان خروج بنى اسرائيل من مصر على يد موسى عليه السلام كان في حكم (منفطا الاول) وقال غيرهم بل كان ذلك في حكم ابنه (سيتى الثاني)

سيتى الثاني : — هو ابن منفطا الاول وكان ناذراً نفسه لثالوث طيبة « آمون ، وزوجته موت،وابنهما خنسو » فبنى محرابًا في معبد الكرنك وقبراً في بيبان الملوك ، وفي آخر أيامه نازعه الملك رجل اسمه « سيتاه » أو امنميس » فاختل الامن وسادت القلاقل ومات سيتى بعد ان حكم سنتين ، وقد عُثر على جثته في قبر آمنوتب الثاني بطيبة فانفرد الولاة كل بولايته ، ومن ثم كثر وفود الاجانب على مصر

الاسرة العشرون الطيبية من سنة (١٢٨٨ - ١١١٠) ق م عدد ملوكها اثنا عشر ملكا ، اطلق كل منهم على نفسه اسم رمسيس واول هؤلاء الملوك رمسيس الثالث وهو من أعظم ملوك مصر حفلة تتويجه تُرى منقوشة على أسوار مدينة (آبو) بطيبة . ولما تولى وطد دعائم الامن في البلاد و بعد ثلاث سنين هاج الليبيون فأخضعهم . ثم سار أهل سورية وباتحادهم مع بعض قرصان (لصوص) البحر . من شواطيء آسيا الصغرى وشواطيء كريت . هجموا على الوجه البحرى . فقابلهم رمسيس الثالث بأسطوله العظيم وكسرهم على شواطيء سورية واغرق سفنهم وأسر كثيرين منهم وهذه الوقعة ترى منقوشة في الرواق الاول من معبد (آبو) . ثم بنى رمسيس سوراً بالقرب من السويس لحماية مصر . وأمر بزيادة القرابين لآمون ، وبعث بالسفن الي بلاد بونت لجلب البضائع ، وأرسل تجريدات الي سيناء فأخضعها وحصلت مصر في مدته على شيء من الراحة فاشتغلت بالتجارة والزراعة والصناعة ، ومات رمسيس الثالث بعد أن حكم ٣٢ سنة ودفن ببيبان الملوك ، وتابوته وجثته محفوظات بالمتحف المصرى :

رمسيس الرابع : — هو ابن رمسيس الثالث وكان عهده عهد سلام فزار معظم مدن مصر وكان مغرما بالعمارات فشجع المهندسين وقربهم منه والنقوش الموجودة في وادى الحمامات ، تدل على ذلك كله

تدل على انه كان يستخرج من هناك حجر الجرانيت « الصوان » والرخام الباقي وله قبر ببيبان الملوك منقوشة فيه أدعية وابتهالات للمعبودات . ومات رمسيس الرابع بعد أن حكم احدى عشرة سنة وقد وجدت جثته في قبر امنهوتب الثاني بطيبة وهى محفوظة بالمتحف المصرى

ومن أشهر خلفائه رمسيس السادس فانه كان فلكياً ماهراً ، وكانت له المؤلفات النفيسة في علم الزراعة ، وقد وجدت جثته بالدير البحرى . أما باقي ملوك هذه الاسرة فلم يشتغلوا بالحروب ، وتركوا السياسة للكهنة . وانغمسوا في الترف والبذخ . فضعفت لذلك شوكتهم وزالت هيبتهم . وقد أنشأ « هَر — هيرو » رئيس كهنة آمون حزبا مضاداً لحزب الرمسيسيين فتفرقت كلمة المصريين وانتهي « هر — هيرو » هذا بأن انتزع السلطة من رمسيس الرابع عشر وجعلها في قبضة الكهنة

(الاسرة الحادية والعشرون الطيبية والتانيسية من سنة (١١١٠-٨٩٠) ق م - : رأس هر - هيرو حكومة طيبة ولما كان ذلك بغير حق شرعي ساءت الاحوال وفقدت مصر كثيراً من مستعمراتها . ومما زاد الحال اضطرابا ان قبض (هر — هيرو) على من بقي من الرمسيسيين — وعددهم أربعة أمراء — ونفاهم الى الواحات . ولما مات هر - هيرو تولى ابنه الكاهن بيانخي ، الذى لضعف عزيمته كثرت الفتن واختل الامن حتى نبشت القبور . وخلف بيانخي ابنه الكاهن بنيوتم أو بنيوزم وفي أيامه هجم على مصر نمرود (ملك آشور) بجيش جرار وانتزعها منه وأدخلها تحت حكمه سنة ٩٨٠ ق م . ولما مات نمرود دفن بالعرابة المدفونة وخلفه ابنه الملك (شَشَنق) في حكم مصر وآشور

أما ملوك تانيس فقد قال عنهم العلامة ماسبرو : « انه لما أراد هر - هيرو حصر الملك في أسرته عارضه سكان الوجه البحرى وأقاموا سيمنتو - ميامون ملكا عليهم فاتخذ مدينة تانيس قاعدة لحكومته ونفى بعضاً من الكهنة الي اتيوبيا ولكن الاتيوبيين لضعفه وضعف خلفائه الاربعة خرجوا عن طاعة مصر واستقلوا تحت حكم كاهن قبطي من نسل (هر - هيرو)

ثم التجأ ملوك نانيس الى الدولة الآشورية وصاهروا ملوكها ، فانتقضت عليهم البلاد الموالية لهم ونشأ عن ذلك ضعف المصريين وتملك الاشوريين

(الاسرة الثانية والعشرون البسطية) : (أشورية) (٩٥٠ - ٨١٠ ق م) - : قاعدتها مدينة بسطة المعروفة بتل بسطة جنوبي الزقازيق . واول ملوكها « ششنق » وله هذا الرجل في مصر ولذلك احترمه معبوداتهم غزا ارض فلسطين وقصد اورشليم بألف ومئة عربة وستين الف فارس ، وقاتل رحبعام بن سليمان عليه السلام ونهب اموال الفضية الملكية وسلب التروس السليمانية الذهبية ، وقد رسمت هذه الحادثة علي السور القبلي من معبد الكرنك كما رسمت عليه صورة ملك يهوذا موثق اليدين ، ثم شاد ابوانا قبلي هيكل رمسيس الثالث يسمي « ايوان البيلسطة » . ومات بعد ان قطع دابر نابشي القبور وبعد ان حكم ٢١ سنة . ثم خلفه (اوسوركون او اسرخان) لحارب مملكة يهوذا ، ولما التقي بملكها في « وادى صمد » وقع الرعب في قلبه ففات وخلفه ابنه (تاكوت) الذى لم

يقف له التاريخ علي أثر . وقد كان ضعفه وضعف الملوك الآشوريين باعثا الي استيلاء جماعة من التانيسيين المصريين علي المملكة

الاسرة السادسة والعشرون التانيسية من سنة (٨١٠ - ٧٢١ ق م)

أول ملوكها (بتسوباستيس) حكم الوجه البحرى وأخذ في تقوية المملكة ونزع طيبة من الاتيوبيين ودام حكمه اربعين سنة وقام بعده أربعة ملوك كانت أيام هذه الاسرة أيام مشاغبات وتحزبات فانقسمت مصر الى ولايات صغيرة ، أما مستعمراتها فانها استقلت بالحكم

الاسرة الرابعة والعشرون الصاوية من سنة (٧٢١ - ٧١٥ ق م)

اول ملوكها (تفنخت) كان حاكما علي مدينة منوفي : ولما تولي المملكة كانت مصر منقسمة الي عشرين مملكة فأخضع كل هذه الممالك ثم قام بجيوشه الى الصعيد فوصل الي قسم ارمنت وحاصر قسم أهناس الذى كان تحت حكم الاتيوبيين ولما بلغ ذلك (بيانخي) ملك اتيوبيا حضر بنفسه وهزم تفنخت وضم مصر الي ملكه وأناب عنه تفنخت في حكمها . ولما

توفي تفنخت خلفه ابنه بوخوريس أو باكوريس وكان قانونيا متضلعاً ذا رأى صائب . فنزع السلطة من يد الامراء وخلع عن مصر نير الاتيوبيين . أما بيانخي فات علي أثر وصوله الي اتيوبيا وقام بعده (كاشتا) الذى لم يكن من أسرة ملكية . ثم خلفه ابنه (صباقون أو شبقة) واذ وقف علي ما أتاه باكوريس بن تفنخت قصد مصر لمحاربته . ولما رأى صباقون ان امراء مصر يمقتون باركوريس لنزعه السلطة منهم تعاون بهم عليه كما تعاون بهم بيانخي علي تفنخت من قبل . ولما وقع باكوريس في قبضة صباقون طرحه في النار . وهكذا عادت مصر الي حكم اتيوبيا وتشتتت الاسرة الصاوية المصرية في الدلتا تترقب خروج الاتيوبيين من مصر

الاسرة الخامسة والعشرون الصاوية — اتيوبية سنة (٧١٥ — ٦٨٠ ق م) - :

ان السبب في احتلال الاتيوبيين مصر هو اختلاف كلمة أمراء مصر في الاسرة السابقة واشتعال نار الفتن الداخلية ، فقضي الله ان يتولي امر مصر

ملك جبار يدبر شؤونها ، فأتاح لها صباقون الاتيوبي (الذى أتينا علي ذكره في الاسرة السابقة) فلقب نفسه بالالقاب الفرعونية وابقي كل أمير علي ولايته ثم قوى جسور النيل وطهر الترع وعمر مدينة بسطة وأصلح معابد طيبة وحكم بالعدل وأبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة فتمتعت مصر بالسكينة علي يده . وحدث أن مملكة آشور كانت في ذلك الوقت مستظهرة علي الفينيقيين وعلي بني اسرائيل والفلسطينيين فرأى هؤلاء من الصواب أن يتحالفوا مع (صباقون) لينقذهم من شر الآشوريين ، فبعث (هوشع) ملك بني اسرائيل بهداياه الى صباقون وطلب منه التحالف علي (سلمناسر) ملك آشور فأجابه صباقون الى طلبه ، ولما علم سلمناسر بذلك ، اسر هوشع اولا وحاصر مدينة السامرة ، ثم مات وتولى بعده (سرجون) فاقتفى بسلفه وفتح السامرة ثم زحف بجيوشه علي فلسطين فلما رأى صباقون ان سرجون غدر بحلفائه انضم بجيوشه الى أحدهم - (مانون) ملك غزة فقابلتهم جيوش الآشوريين وأسرت

حانون وهرب صباقون الى مصر مهزوما ، فصاه سكان الوجه البحرى وطردوه الى طيبة و بذلك استقلت مدينة صا الحجر وبسطة واهناس . ثم مات صباقون وترك حكم الصعيد وانيوبيا لابنه (سبيخون) وكان النزاع قائما بين الاسرتين الصاوية والتانيسية طمعاً في الاستيلاء علي الوجه البحرى . فلما تولي سبيخون انتقم من الاسرتين التين ناصبتا والده العداء وانفرد بملك مصر ، وما لبث ان قتله (طهراقة أو ترهاقة) الانيوبي وانتزع منه الملك وساعد امراء سورية وفلسطين ضد الآشوريين ، فأغار (آشور أخي الدين) ملك آشور علي مصر من ناحية فرع الطينة (هو أحد فروع النيل ويسمى الآن بحر البقر) وهزم طهراقة والانيوبيين ونهب مدينة منف وطيبة سنة ٦٧٢ ق م . ثم اشتغل باصلاح مصر ورد الي امرائها وعددهم عشرون ـ امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وأقام (نخاو الاول) أمير صا الحجر (او امير منف) رئيساً عليهم وكان نخاو هذا ذا نشاط وغيرة . ثم رجع (آشور اخى الدين) الي نينوى عاصمة بلاده . وبعد مدة اغار طهراقة علي مصر فبلغ (آشور اخى الدين) امره وكان قد تنازل لابنه (آشور بانيبال) فسار هذا لمحاربة الانيوبيين وتغلب عليهم وأرجع الحكم ثانية الى امراء مصر . ولما عاد الي وطنه اعاد طهراقة الكرة علي مصر واسترد طيبة ومنف وابطل منها عبادة العجل ابيس . ولما علم بذلك ملك آشور عاد الي مصر وهزم الانيوبيين امام طيبة ونهب المدينة وأخذ الاشوريين مسلتين نصبوهما في نينوى ، واستمرت مصر تابعة لمملكة آشور وباضمحلالها استولي (تنوات ميامون) ملك انيوبيا وربيب (ابن زوجة) طهراقة علي الوجه القبلي بواسطة طائفة من الانيوبيين كانوا قد أسسوا لهم حزبا قويا فى طيبة اما أمراء الوجه البحرى فعارضوه وحاربوه ، فأشار عليهم رئيسهم (بكرور) بأن يؤدوا له الطاعة

(الفترة ما بين الاسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين) مدتها ١٥ سنة وفيها ضعفت مصر وشق علي اهلها تحمل حكم ملوك انيوبيا ، فقام حكام مدن الوجه البحرى وطردوا الانيوبيين وملكوا عليهم (بسامتيك)

ابن نخاو الاول . ولقد أورد هيرودوت هذه الحادثة في قصة غريبة فقال . « ان كاهنا أنبأ امراء الوجه البحرى الاثنى عشر بأن سيأتي يوم يشرب فيه أحدهم الشراب في قدح حديدى تقربا من المعبود بتاح ، وبذا يصير ملكا علي مصر وحدث أنه بينما كان أولئك الامراء مجتمعين للتنادم علي الشراب تقربا لذلك المعبود وبينهم أحدى عشرة كأسا من الذهب ، أخذ كل منهم كأسا وبقي بسامتيك بدون كأس فنزع مغفره الحديدى عن رأسه وشرب فيه . فتذكر رفقاؤه نبوءة الكاهن فأكرهوا بسامتيك علي أن يختلي في أجمة شمالي الدلتا . واتفق أن رست بشاطئ الجهة سفن تحمل رجالا اشداء من ملاحي اليونان لينهبوا الشواطئ ، فتحالف معهم بسامتيك علي أن ينصروه وانضم اليهم حزبه أيضا فتغلب بسامتيك »

الاسرة السادسة والعشرون الصاوية

من سنة (٦٦٥ الي ٥٢٧ ق م) لما انفرد (بسامتيك الاول) بالحكم افتتح لمصر ثانية باب المجد وعاد اليها رونقها القديم وبعد ان اتم فتح الوجه البحرى حتى مدينة منفيس الشهيرة الآن بمنوف ، فتح الوجه القبلي الى الشلال الاول . ولما كان بسامتيك غريبا عن الاسرة الملكية لم يكن لذريته حق الوراثة قانونا ، غير ان تزوجه باميرة من السلالة الملكية جعل لذريته ذلك الحق ، فتزوج (تانيت تب) بنت الملكة (أمن ريتس) حاكمة الوجه القبلي وبذلك صار ملكا شرعيا . وكان معظم أبطال المصريين في مبدأ حكمه قد هلكوا فاعترى مصر الخراب من حروب الانيوبيين والآشوريين ومن ثم شرع بسامتيك في اصلاح الترع والطرق واعادة الامن الي نصابه وتعمير المعابد . فاتقنت صناعة النقش والرسم وجمعت التماثيل بين التناسب والاعتدال ، ثم عمد بسامتيك فشيد حصونا وقلاعا في مضايق طرق الشام وضواحي بحيرة المنزلة خوفا من هجوم الآشوريين علي بلاده ، وحصن الشلال الاول ، وجعل جزيرة اسوان معسكراً لصد هجمات الانيوبيين ثم حصن النقطة المشيدة عليها الاسكندرية اليوم اتقاء غزو الليبيين . ولما أتم اكل ذلك انتقل من حالة الدفاع الى حالة

المجوم انفز النوبة ثم أرض كنعان . قال هيرودوت «ان بعد هذه الفتوحات دهمت مصر مصيبة كبرى وهي وفود الاجانب من يهود و يونان عليها ، فاكرم بسامتيك مثواهم وأقطعهم – ولا سيما اليونان و بعض من سكان الاناضول (الكاريون) أرضا بالقرب من تل بسطة ليسكنوها . فأدخل اليونان أولادهم في المدارس المصرية فنبغ منهم الفلاسفة سولون وفيثاغورس وافلاطون ، فنقلوا الي بلادهم هذه العلوم وكان بسامتيك في عنايته بشأن هؤلاء الاجانب ناظراً الي الفائدة التجارية التى تعود علي بلاده منهم ولكن هؤلاء الاجانب سعوافي تكدير راحة البلاد وسلب أموال الاهالى فقروا منهم وقد جاء انعام بسامتيك علي اليونان بالرتب والوسامات ضغثا علي ابالة فاستاء منه المصريون لذلك ، وازدادوا استياء عند ماضم الي حرسه فريقا من أولئك الاجانب ، ومن ثم عزم بعض الاهالي علي هجر البلاد . واخلائها لبسامتيك وأصفيائه الاجانب . فاجتمع منهم نحو المائتين والاربعين الفا وكلهم شاكي السلاح وجعلوا وجهتهم بلاد اثيوبيا ، ولم يعلم بسامتيك بخبرهم الا بعد خروجهم من مصر ، فسار في أثرهم واستعطفهم بمعبودات بلادهم فلم يقوعلي مصالحتهم . اما ملك اثيوبيا فقابلهم بكل حفاوة واتخذهم جنوداً له . ومن هؤلاء تكونت أمة عظيمة بين النيل الابيض والازرق . لما رأى بسامتيك بلاده مجردة من جنودها البواسل عض أصبع الندم وأخذ في تدريب غيرهم ولكنه لما رأى أن ارجاع مصر الى سطوتها القديمة بعيد أشتد قلقه ومات سنة ٦١١ق م فدفن في صا الحجر وخلفه ابنه نخاو

الملك نخاو الثاني (نخو) من سنة (٦١١ الي ٥٩٥) ق م — : سمي باسم جده وتولي طاعنا في السن فسلك بهمة ونشاط مسالك مشهورى الفراعنة التوتميسيين والسيتيسيين حتى اعاد لمصر مجدها ، فأتم نظام الجيش الوطنى الذى دربه والده في آخر أيامه ، ورتب قواده و بنى سفنا حربية وأبدل السفن القديمة بسفن جديدة تسير بالمجاذيف (الاغربة) رغبة في الاستيلاء علي سواحل البحرين الاحمر والابيض . ثم هم بمشروع عظيم وهو ايصال البحر الاحمر بالبحر الابيض

وذلك بقطع برزخ السويس - وكان قد سبقه الي هذا المشروع سيتى الاول – ، فأعاد نخاو حفر الترعة من مدينة بسطة الي بركة التمساح والبحيرات المرة . قال هيرودوت : « ان مئة وعشرين الف نفس هلكت في حفر هذه الترعة فتشاءم نخاو ولم يتم حفرها لا سيما بعد ما أخبره الكهنة بأن حظ الانتفاع بها يكون لدولة أجنبية . ثم أمر نخاو بعض رجاله بأن يطوفوا حول أفريقية فساروا من البحر الاحمر الى المحيط الهندى ثم الي بحر الظلمات « المحيط الاطلسى » بعد أن ساروا حول « رأس الرجاء الصالح » حتى بلغوا بوغاز « أعمدة هرقول » المعروف ببوغاز جبل «طارق» أو « زقاق سبتة » ومروا منه الى البحر الابيض فوصلوا الى مصر في ثلاث سنين ، وقالوا انهم في بعض المواقع رأوا الشمس في الجهة الشمالية ، مما يثبت انهم مروا بخط الاستواء وفي هذه الاثناء انحطت قوة الآشور بين بسبب حروبهم مع الميديين فانتهز نخاو تلك الفرصة وصمد الى كركميش عن طريق الفرات بجيش جرار ، ولما اجتاز مدينة (أشدود) الي مضيق (كرمل) صدته عساكره « يوشيا » ملك يهوذا . فهزمها ثم عرج علي قادش فكركميش حتى وصل الى الفرات مدخلا تلك البلاد في حوزته . ولما نزل بجوار مدينة حماة بلغه ان اليهود تظاهروا ثانياً بالعصيان وجعلوا (يهوآحاز) بن يوشيا ملكا عليهم فاستدعاه اليه وعزله وولي (الياقيم) أخاه بدله وسماه (يهوياقيم) وحكم علي شعب يهوذا بغرامة قدرها مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب . و بعد أن استولي علي سورية وفلسطين رجع الي مصر ومعه (يهوآحاز) المعزول . أما مملكة بابل فانها في ذلك الوقت استظهرت علي مملكة آشور وخربت نينوى سنة (٦٢٤) ق م ومن ثم سقطت آشور ولم تقم لها قائمة بعده وهم (نبوخذ نصر) أو (بختنصر) ملك بابل (٦٠٩—٥٦١ق م) باسترجاع سورية وفلسطين من نخاو ، فتقاتلا عند نهر الفرات بالقرب من كركميش سنة ٦٠٥ ق م فانهزم نخاو ، ولكن (نبوخذ نصر) اضطر أن يعقد معاهدة معه لفتنة ثارت ببابل . أما يهوياقيم ملك يهوذا فانه لم يفلت من شر بختنصر فصمد اليه وقيده بسلاسل من نحاس وسحبه الي

بابل ، وبعد ذلك بسنتين مات نخاو الثاني وخلفه ابنه بسامتيك الثاني

الملك بسامتيك الثاني — : لما ولي قامت عليه اتيوبيا فأخضعها سنة ٥٩١ ق . م . ومات ولم يعلم من سيرته شيء وخلفه ابنه (يوه – آب – رع) أو أبرياس . وفي عصره استنجد به (صدقيا) ملك يهوذا علي (نبوخذ نصر) ملك بابل ، وكان ارميا النبي ينذر صدقيا وأسلافه بالكف عن فعل الشر لئلا يؤول أمر مملكتهم الي الدمار فلم يصغ أحد اليه وخرج صدقيا عن طاعة البابليين وامتنع عن أداء الجزية فغضب (نبوخذ نصر) الملك وسار بنفسه الي أورشليم وقتل صدقيا وقلع عينيه وسلب أمتعة الهيكل وأحرقه سنة (٥٨٦ ق.م) وسبى من بقي من اليهود الي بابل (السبي البابلي) . غير ان بعض اليهود التجأ الي مصر فقبلهم ابرياس وانتشروا في مجدل (شرق الدلتا) ومنف والصعيد فأراد (نبوخذ نصر) أن ينتقم من ملك مصر لاخذه بناصر اليهود . فأغار (نبوخذ نصر) علي مصر وقتل ملكها وأقام حاكما عليها من قبله ثم ساق أمامه اليهود الذين استوطنوها

ولما استنجد أهالي سواحل ليبيا بالملك أبرياس علي قبائل اليونان سكان القيروان رأى من الصواب ألا يرسل الي أهل هذه القبائل جنوداً يونانيين من جنسهم فأرسل اليهم جيشاً من الوطنيين ، ولما اشتبكت الحرب بين الفريقين جهة (ابراته) انهزمت فرقة الجيش المصرى ، فقامت مصر علي الملك لمخاطرته بجنودها الوطنيين دون جنوده اليونانيين وانتشر العصيان حتى عم جميع البلاد ، فبعث اليهم الملك رجلا اسمه احمس ليسكن هياجهم ، فأخذ يشير عليهم بالهدوء والسكينة وبينا هو كذلك اذ أقبل عليه أحد الجنود وألبسه مغفراً وصاح الجند بأعلي صوت . « قد رضيناك ملكا علينا » فقبل ذلك أحمس وسار معهم لمحاربة الملك ابرياس الذى لم يكن في صفه غير الجنود الاجانب البالغ عددهم ثلاثون الفا ، فالتقى الفريقان عند مدينة صا الحجر وانهزم الملك وجنوده ووقع أسيراً في قبضة أحمس ، فقتله الجنود خنقا

الملك أحمس الثاني (اموزيس) — : لما جلس علي عرش مصر تزوج بحفيدة

الملك بسامتيك وحافظ علي سطوة مصر في فينيقا واتم فتح جزيرة قبرص في البحر الابيض ، وكان ذكي الفؤاد حسن السياسة فهابته الامم . ولما كان يخاف علي مملكته من بطش الفرس (العجم) حسن علاقته مع ملكهم (كورش) وصفا له الجو خمسا وعشرين سنة فارتقت الزراعة ونمت التجارة وسعدت مصر في أيامه . ومن مآثره انه حتم علي كل مصرى ان يثبت اسمه في آخر كل سنة بمحكمة الجهة القاطن بها وان يبين صناعته وأسباب معيشته ، وعاقب من خالف ذلك او كان متشرداً عائشا من النصب والاحتيال . ولما كانت زوجته مقيمة بطيبة رمم مابها من الآثار ثم بنى في صا الحجر مداخل لمعبد (نيت) ونصب امامها تماثيل لابي الهول ومسلتين كبيرتين

وقد حذا هذا الملك حذو سلفه في الترحيب باليونان حيث أسكنهم مدينة نقراطيس (هي نبيرة الحالية غربي ايتاى البارود) وأباح لهم اشهار دياناتهم فنموا وكثروا وراجت تجارتهم غير انهم لم يقابلوا الاحسان بمثله اذ كانوا ينقلون اخبار مصر الي الخارج مما تسبب عنه طمع الامم فيها لاسيما الفرس الذين كانوا يتحينون الفرص لشن الغارة عليها واتفق ان مات كورش ملك الفرس وخلفه ابنه قمبيز فطلب ان يتزوج بابنة أحمس ظنا منه أن أباها يرفض طلبه فيحاربه . غير أن أحمس أدرك هذه المكيدة وأرسل اليه ابنة ابرياس سلفه بدل ابنته فناداها قمبيز يوما باعتبارها ابنه أحمس فأنكرت عليه ذلك ، فحقد قمبيز علي أحمس وعول علي أن يغزو مصر طمعا في كثرة خيراتها وفيض نيلها ، ولم يثنه عن عزمه الا خوفه من ضياع جيشه في الصحراء المتسعة اذ كان لا يعرف طريقا غيرها يوصله الي مصر . غير أن يونانيا يدعي (فانيس) — كان بين جنود مصر الاجانب — دله علي أقرب الطرق وباشارة هذا الخائن عقد قمبيز معاهدة مع قبائل سورية التى كانت علي تلك الطريق لتنقل الي جيشه الماء علي ظهور نوقها . وعلي ذلك سار الجيش الفارسي وما بلغ مدينة الطينة حتى علم بوفاة أحمس وتولية ابنه بسامتيك الثالث

الملك بسامتيك الثالث — : دارت رحي القتال بين قمبيز الفارسي وهذا

الملك ، وبعد ان دافع المصريون دفاعا طال أمده كانت الغلبة لقمبيز بسبب كثرة جيوشه وانتشار جواسيسه الاجانب المنتظمين في الجيش المصرى ثم تقدم قمبيز الى منف وحاصرها واستولي عليها قسراً وقتل كثيراً من الاعيان واسر بسامتيك وارسله الي فارس فمات هناك وبذلك دخلت مصر تحت حكم الفرس المرة الاولي

الاسرة السابعة والعشرون — الفارسية الاولى — من سنة (٥٢٧ — ٤٠٦) ق . م اول ملوكها قمبيز (٥٢٧ — ٥٢٢ق م) سلك في مبدأ أمره مسلك العقلاء فأبقى لمصر عاداتها واحترم امتيازات امرائها وقرب امناء الديانة المصرية منه وتعلم الحكمة المصرية من الكاهن (أوزاهوص) وعزم علي أن يجعل مصر حصنا يستعين به علي فتح افريقية ولما كان فتح قمبيز لمصر قد افزع الامم المجاورة أتاه الليبيون ودفعوا الجزية وكذلك القوريتيون سكان (قورينة وهي برقة الآن) . قال هيرودوت : « اراد قمبيز ان يغزو ثلاث امم مختلفة في آن واحد ، وهم القرطاجيون سكان مدينة قرطاجة والآمونيون سكان واحات آمون (واحات سيوة) والكوشيون وهم الاثيوبيون فجهز لغزو القرطاجيين سفنا يقودها الفينيقيون . واذ كان بين هؤلاء والقرطاجيين صلة قرابة فشلت هذه الغزوة . وارسل الي هذه الواحات خمسين الف جندى افتحها وهدم هيكل المشترى فضلوا الطريق وفقد منهم الزاد وهبت عليهم ريح السموم فأغرقتهم في بحر الرمال وبذلك لم يتجاوزوا حدود مصر . ولما رأى قمبيز ما آل اليه امر الاثيوبيين من رفعة المكانة بسبب كثرة الذهب ببلادهم ، طمع فيهم وارسل اليهم رواداً من وادى الكنوز باسوان يحسنون لغة اثيوبيا ويحملون الهدايا لملكها فعرف الاثيوبيون انهم جواسيس قمبيز ولكنهم رحبوا بهم ، واعجب ملكهم بهدية الشراب (من نبيذ التمر) التى كانت بين تلك الهدايا ، وأراد أن يتحف قمبيز بهدية عظيمة ، فأحضر قوسا واوترها بحضور رُسل قمبيز وقال لهم : « ان ملك اثيوبيا ينصح ملك الفرس أن يحضر بنفسه لمحاربته اذا استطاع هو أو أحد رعيته ان يوتر قوسا مثل هذه »

وما بلغت هذه العبارة آذان قمبيز حتى طاش عقله وهجم بجيشه علي غير انتظام قاصداً (نباتا) من طريق الصحراء باعتبارها أقرب طريق الي أثيوبيا فانحرف عن شواطيء النيل وتوغل بعساكره الكثيرة في صحراء كرسكو ، ولما قطع ربع الطريق وصل الى سهول رملية ، ففقد زاده واكل الجيش الحيوانات التى كانت تحمل ما معه من الاثقال ، ثم أكل بعضهم بعضا بالاقتراع . واذا خاف قمبيز علي نفسه من الهلاك رجع بجيشه القهقرى ولما وصل الى طيبة أراد أن يستعيض خسائره الجسيمة فسلك مسلك القسوة والجور وسلب أمتعة الهياكل وذخائرها واذ صادف دخوله منف يوم احتفال الاهالي بعيد العجل ابيس ، توهم انهم فرحون بهزيمته فقتل الكهنة وبعض الامراء وطعن العجل ابيس وخرب مدينة عين شمس ونهب النفائس المدفونة في القبور . وقد اسهب المؤرخون في وصف عتوه وقبح اعماله حتى قالوا انه كان فى بلاده (فارس) يلهو بقتل الاعجام ويذبحهم كالاغنام وان عتهه وتوحشه اديا به الي قتل اخته وزوجته قال هيرودوت : « بينما كان قمبيز يركب جواده في المكان الذى طعن فيه العجل أبيس قاصداً بلاد الفرس ليخلع عن عرشها من اغتصب ملكه بها اذا انساب سيفه من غمده فجرحه في فخذه جراحات علي أثره »

الملك دارا الاول — عندما جلس علي سرير ملك فارس نظم أمورها ووسع ممتلكاتها وضرب نقوداً من الذهب استعملت في مصر بدل النقود المصرية التى كانت علي أشكال الحلقات والجمارين وغيرها ، وفرض علي مصر جزية من الغلال تكفي لمؤونة جيش الاحتلال البالغ قدره اثنى عشر الفا . قال دى روجه : « ان دارا أحسن معاملة القبط لينزع من صدورهم ما كن فيها من فظائع قمبيز ، فاحترم ديانتهم وكهنتهم غير أنه اساء صنعا بعدم خلعه (أرياندش) الفارسي من منصب نيابة مصر — وكان قمبيز قد أسندها اليه اذ قد أفسد ارياندس أعمال دارا مما هاج المصريين ودعا دارا الي عزله وقتله ولم يكفه ذلك بل حضر نفسه الي مصر وهدأ خواطر أهلها وتوجه الي منف ليظهر أسفه لموت العجل ابيس وهكذا

أخمد نار الفتنة »

وقال هيرودوت :قبل ان يبارح دارا مصر زار معبد (بتاه) وأراد ان يصنع تمثالا بجوار تمثال رمسيس الاكبر فمنعه الكهنة قائلين : ان ما اتيته من فتح وغزو لايذكر بجانب ما اتاه رمسيس الاكبر لان رمسيس فتح بلاد السكينة (التركستان الصينية والروسية الآن) التي لم تفتحها أنت فامتثل لقول الكهنة واحترم رأيهم » ثم مهد دارا طرق التجارة فوصل البحر الاحمر بالبحر الابيض بواسطة الترعة التي لم يتم حفرها نخاوالثاني ، وفتح أيضا طريق قفط الموصل الي البحر الاحمر وطريق أسيوط الممتد الي قرية العرابة المدفونة فأسوان وحصن الواحات الكبرى وأصلح معبد آمون غير ان المصريين مع كل ماكان عليه دارا من حسن السياسة كانوا يترقبون فرصة لرد استقلالهم . لما اراد يونانيو ساردس هي (سارت الآن) أن يتخلصوا من سلطة الفرس وساعدهم سكان اثينا علي ذلك ، غضب دارا وتوجه الي بلاده وأرسل حملة الى اثينا تحت قيادة (هيثباس) فعبروا بحر الارخبيل ، فقابلهم الآثينيون بقيادة (ملتياس) وانتصروا عليهم عند سهل (مرتونون) سنة ٤٩٠ق.م

أما مصر فطردت جيش الاحتلال الفارسي وولت خبيش ملكا عليها سنة (٤٧٦)ق م وقد كان خبيش هذا من ذرية بسامتيك — بدأ حكمه بتحصين مصر والوجه البحرى بالقلاع خوفا من هجوم الفرس: وفي هذه الآونة مات دارا سنة (٤٨١)ق. م. وخلفه في فارس ابنه (شيارش اوزركسيس) الذى هجم علي مصر وقهرها ونهب معابدها

وفي حكم الملك ارتخشياش الفارسي (٤٦٥ — ٤٢٥)ق.م استقل المصريون أيضا ونصبوا ايناروس بن بسامتيك الثالث ملكا عليهم ، ولما لم يقو بجيشه الصغير علي مقاومة الفرس تحالف مع الآثينيين عليهم ، ولكن ارتخشيارش اجتهد في اضرام نار الشقاق بين الطرفين فرشا الآثينيين لينقطعوا عن مساعدة مصر وقد نجح فيما سعي اليه . ومن ثم هجم الفرس علي مصر وأسروا ايناروس وأرسلوه الى فارس وقتل هناك واقيم ابنه (ثانيراس) مكانه ولما مات ارتخشيارش قام بعده

(شيارش الثاني فسوغدياتوس فدارا الثاني) ، وفي هذه الاثناء ضعفت شوكة الفرس فاستدعي المصريون (امبرتيوس) الذى كان امير الدلتا ونصير ايناروس وجعلوه ملكا عليهم فاستظهر في الحرب علي الفرس وطرد جنودهم المحتلة وبموت دارا الثاني انقرضت من مصر أسرة الفرس الاولي وكانت مدتها ١٢١ سنة واستقلت مصر استقلالها الاخير الذى دام ٦٦ سنة

الأسرة الثامنة والعشرون الصاوية

(٤٠٦ — ٣٩٩ ق . م .) لما ارتقي (امبرتيوس) عرش مصر آلت الثمن بسبب توليته لانه لم يكن من السلالة الملكية ، فسعي في اخمادها وتوطيد سطوته ، فلما اعترف له جماعة الثائرين بالسيادة اطلق علي نفسه الالقاب الفرعونية واصلح في سنى حكمه السبع كل مادمرته ايدى الفرس من المعابد وأحيا الصنائع الاهلية ، ثم ادركته الوفاة فحالت دون نفاذ بقية مشروعاته الجليلة

الأسرة التاسعة والعشرون المندسية

منديس هي الآن تمي الا مديد الموجودة بقرب المنصورة (٣٩٩—٣٧٨) ق . م عدد ملوكها اربعة ومدتها ٢١ سنة .

أولهم الملك نفريتس الاول ولم يعلم التاريخ سبب ارتقائه العرش ولكنه يعلم انه كان باذلا همته في تقوية مملكته ووقايتها من الفرس مقتديا في ذلك بالملوك الصاويين ، فعقد المعاهدات مع خصوم فارس ، غير ان الفارسيين لم يهجموا علي مصر في مدته لاشتغالهم بحروب اخرى مات نفريتس وخلفه الملك (اخوريس) فتعاهد مع اهل جزيرة قبرص وأثينا والقبر وان وحصن بلاده من غارة الفرس الذين هجموا علي مصر فردهم خائبين، وسعي في اصلاح ماخربته أيديهم كما دلت علي ذلك النقوش المرسومة علي هيكل طيبة ، ومات اخوريس سنة ٣٨٢ ق . م فخلفه الملك (بساموتيس) الذى لم يقف له علي أثر غير صورته المنقوشة في الكرنك ومعبده الصغير في طيبة . وخلفه الملك نفريتس الثاني ابن الملك اخوريس ولم يحكم الا أربعة شهور وهزله الجيش بعدها ومن آثاره تمثال أبي الهول المحفوظ بمتحف باريس

الاسرة الثلاثون السمنودية من سنة (٣٧٨ - ٣٤٠ ق . م .) - : عدد ملوكها ثلاثة : أولهم (نخت-هو رهيب) المشهور بنقطانب الاول . كانت أيامه كلها قلاقل واضطرابات لاهتمام الفرس اذ ذاك باسترجاع مصر ، ولما هجم الفرس البالغ عددهم مائتا الف علي مصر وهزموا خفر السواحل قام نقطانب بجيشه وكسرهم وخلص مصر من ايديهم وهكذا رفرف الامن علي الربوع المصرية ،فبنى نقطانب هيكل (ايزيس) جهة بهبيت وبوابة في معبد خنسو بالكرنك ثم مات (وتابوته محفوظ بمتحف لندن) وخلفه الملك تاخو الذى فكر في أن يصد عن مصر هجمات الفرس قبل وصولهم اليها فأبرم معاهدة مع أهل اسبارطة (باليونان) تقضي عليهم بأن يكونوا يدا واحدة في مقاتلة الفرس اذا هاجموا فينيقية . وكان جيش تاخو مؤلفاً من ١٨ الف وطني و١٠ آلاف اجنبي ومائتى سفينة بحرية ، غير أن الجنود الوطنيين كانوا متحيزين ضد ملكهم لميله الي الجيش الاجنبي فما بارح الملك مصر حتى تمرد عليه الجنود الوطنيون وعزلوه وأقاموا قائدهم (نقطانيبوس) ملكا عليهم باسم نقطانب الثاني (٣٥٧ — ٣٤٠ ق.م) فاستمر هذا في تجهيز المعدات الحربية واقامة المتاريس والاستحكامات لمقاتلة الفرس الذين تولي عليهم (أوخوس) ابن ارتخشياش واتحد نقطانب مع أهل صور وصيدا واذحارب الفرس الصوريين ارسل اليهم نقطانب اربعة آلاف مقاتل لمساعدتهم فانهزم الصوريون وحرق أوخوس مدينة صور وتقوى علي مصر ونزل بجوار قلعة الطينة والتقي بجيش نقطانب الثاني ، ولما كان ثلثا هذا الجيش من الاجانب انهزم نقطانب الثاني أمام الفرس وجمع امواله وهرب الي بلاد اثيوبيا سنة ٣٤٠ ق م . ومن ذلك الحين غربت شمس المملكة الفرعونية وانقطعت سلسلة ملوك المصريين ومال دعائم عزهم وطويت صحيفتهم الناصعة في سجلات التاريخ

الاسرة الحادية والثلاثون الفارسية الثانية - (٣٤٠ - ٣٣٢ ق م) - : بعد ان تخلصت مصر من حكم الفرس ستا وستين سنة تغلبوا عليها ثانية وأسس

أوخوس هذه الاسرة وعدد ملوكها ثلاثة : أولهم أوخوس وتولي باسم (ارتخشيارش) أو أزدشير الثالث فاتبع طريق القسوة في فارس وفي مصر فمات مسموماً ، وخلفه الملك (ارسيس) ثم (كودومانوس) باسم دارا الثالث الذى في عهده ضعفت دولة الفرس لاختلاط ملوكها باليونان كما ضعف قبلهم المتأخرون من ملوك القبط وفي هذه الاثناء أخذت مقدونيا (شمال اليونان) في الظهور تحت حكم ملكها فيلبش اوفيليب ، ولما مات فيليب هذا خلفه ابنه (الاسكندر الاكبر) في السنة التى تولي فيها دارا الثالث وهي سنة ٣٣٦ ق.م. فوسع مملكة أبيه ثم بدد شمل فارس واستولي علي مصر سنة ٣٣٢ ق.م. ومن ذلك الحين دخلت مصر تحت حكم المقدونيين كما سترى وقد عثر علي حجر نقشت عليه حرب الفرس مع المقدونيين في مصر ، وغضب المعبود خنوم علي مصر ، وتنبؤه بزوال حكومة القبط ، والقصر علي تخليد ذكرى ملوكهم علي ممر السنين . وكانت مصر اذ ذاك أصابها الدمار لما كان عليه الفرس من طغيان وبغي حيث سلبوا أموالها وكنوزها العلمية والفنية وعمروا بها بلادهم التى كانت غريقة في بحور الجهالة والهمجية .

(الدور الثالث)

حكم اليونان (الاسرة المقدونية - البطالسة) (٣٣٢ — ٣٠ ق م)

الاسرة المقدونية من سنة (٣٣٢ — ٣٠) ق م

أول ملوكها الاسكندر الاكبر عامل المصريين بالرفق واللين وأطلق لهم حرية العبادة ورفع عنهم المغارم التى كانوا يؤدونها للفرس واحترم المعبودات آمون وبتاه والعجل أبيس وقدم لها الهدايا والقرابين ، وفي سنة ٣٣٢ ق م بنى مدينة الاسكندرية في المكان المسمي (راكوتي) وأباح للأجانب من يونان وسوريين وغيرهم أن يستوطنوا بها ، وأسند ولاية مصر الى أمير وطنى اسمه (اقليومنوس) ثم سار بجيشه الي آسيا وقهر دارا الثالث ملك فارس بقرب مدينة (اربل) عند الموصل سنة ٣٣١ ق.م ، وبعد ذلك غزا الهند ورجع الي مدينة بابل بموكب عظيم وقضي بها سنة أقام في خلالها الولائم والمآدب احتفاء

بانتصاراته ، ولما بلغ من العمر ٣٣ سنة أصيب بحمي مات على أثرها سنة ٣٢٣ ق م. وكان له أخ من أبيه اسمه (فيلبس اريدس) وابن من بنت دارا الثالث اسمه (هرقولوس) فاجتمع رؤساء الجند وولوا أخاه اريدس سنة ٣٢٠ ق م فوزع الايالات على طوائف أمراء الجند وقلد (بطليوس لاغوس) النيابة على مصر. ولما مات اريدس خلفه هرقولوس باسم الاسكندر الثاني سنة ٣١٧ ق م وحكم ست سنوات وبموته انقرضت الاسرة المقدونية وتقسمت مملكة الاسكندر بين قواده فاستقل بطليموس بحكم مصر وكون الاسرة المشهورة بدولة البطالسة

دولة البطالسة (٣٠٥—٣٠ ق م.)

انفصلت هذه الاسرة عن مملكة مقدونيا انفصالا تاماً وجعلت عاصمتها مدينة الاسكندرية . عدد ملوكها ١٤ وآخرهم الملكة كليوبترة

الملك بطليموس الاول (سوتير)

(٣٢٣ — ٢٨٥ ق.م) — كان والياً على مصر مدة ١٧ سنة ولما استتب له الملك سنة ٣٠٥ ق . م تفرغ لتنظيم شئون مصر وبنى الهيا كل ، وأسس المدرسة والمكتبة الشهيرة « بدار الحكمة » بالاسكندرية وفي أيام بطليموس انتشرت التجارة وكثر وفود الأجانب على مصر لاسيما اليونان اذ كانوا من جنس الاسرة المالكة — وأصبحت اللغة اليونانية لغة البلاط الملكي ، أما اللغة القبطية فظلت لغة الأمة كما ظلت الاوامر الملكية تكتب بها متبوعة باليونانية . وقد أرسل بطليموس قائده (نيكانور) لفتح سورية وأسر كثيرين من اليهود وضم الى مصر برقة وجزيرة قبرص (بالبحر الأبيض) وفينيقية — ثم تنازل لابنه بطليموس الثاني وتوفي سنة ٢٨٣ ق م.

الملك بطليموس الثاني (فيلادلفوس)

(٢٨٥ - ٢٤٧) ق . م — : نهج منهج أبيه في رفع شأن العلوم والفنون فجمع الكتب المفيدة وأرسل البعثات لاستكشاف شواطىء البحر الاحمر والمحيط الهندى وتأسيس المراكز التجارية هناك وجدد ترعة سيتى الأول التى أصلحها نخاو الثاني وأتمها دارا الثالث ، ثم أمر بترجمة التوراة من العبرانية الي اليونانية (هي الترجمة السبعينية) وأوعز الي مانيثون

بوضع تاريخ لمصر، وشيد منارة بالاسكندرية في محل طابية برج الزفر لتهتدى بها السفن، وبنى هيكل أنس الوجود القريب من خزان اسوان ثم مات وخلفه ابنه بطليموس الثالث

بطليموس الثالث (ايفرجيتس)

(٢٤٧—٢٢١.ق م) أشهر الحرب على سلوقيوس ملك سورية وانتصر عليه ثم غزا البلاد التى في غرب الفرات واخضع الجزيرة والعراق وتوغل في فارس حتى وصل الي همذان وبلخ واسترد معبودات المصريين التى كان قد أخذها قمبيز في اغارته على مصر، ثم عجل بالعودة الى الاسكندرية لفتنة قامت بها فأخمدها ومن ثم نحا نحو أبيه فوسع دائرة العلوم والفنون وسلم ادارة المكتبة الي العلامة (ابراتوستين) وأسس معبد (ادفو) ذا الابراج الشاهقة ، وفي أيامه سقط صنم جزيرة رودس ثم مات بطليموس الثالث وخلفه ابنه بطليموس الرابع

الملك بطليموس الرابع (فيلوباتير)

(٢٢١ ٢٠٥) ق.م كان صبياً مشتغلا عن الرعية بانهماكه في الملاذ والملاهي ، وكان وزيره (سوسيبوس) ينقل اليه اخباراً كاذبة ليحفظ مكانته عنده . وحدث أن انطونيوس الثالث ملك سورية أغار على مدينة سيلوقية التى يخترقها نهر الارونط التى كانت من أملاك مصر ، فألح الناس على بطليموس بأن يذهب بنفسه لمقاتلة ملك سورية فسار اليه ومعه سبعون الف جندى بين قبط و يونان فالتقي الفريقان بين العريش وغزة فانهزم ملك سورية وولي مدبراً الى (رفح) ودخل بطليموس يافا وسار الي أرشليم وسأل كاهن اليهود أن يريه « قدس الاقداس » وأواني الهيكل فأبي فحقد بطليموس على اليهود وما عاد الي الاسكندرية حتى امر باستئصال شأفتهم ثم وسع معبد ادفو ورمم دير المدينة ثم انهمك في الموبقات وخلفه ابنه بطليموس الخامس

الملك بطليموس الخامس المسمي ابيفان أى الماجد (٢٠٥-١٨١)ق.م تولي الملك وهو في الخامسة من عمره وفى عهده آثار العامة فتنة ضد وصيه (اغاسقليس) الذى كان أحد وزراء أبيه وكانت تلك الفتنة سبباً في سقوط اغاسقليس المذكور عن الوصاية ومن ثم عهد بها الى (اريستومين) . ولما بلغ

يغان من الرشد تزوج بكليو بطرة بنت انطيوخوس الثالث ملك سورية وقد ارتكب من المظالم ما حمل الاهالي علي المناداة بخلعه غير انه تدارك الامر بأن بعث الي رومية سنة ١٩١ ق م بألف رطل من الذهب ضمن هدايا أخرى ، فأيده مجلس شيوخها (السناتو) ولكنه مات مسموماً فخلفه ابنه بطليموس السادس

الملك بطليموس السادس (فيلومانير) (١٨١ - ١٦٤) ق.م تولى الملك قاصراً فقامت امه كليو بطرة بنت انطيوخوس بالامر بحزم وعزم غير ان اخاها (سلوقيوس) ملك سوريا قام بغزو مصر دون ان يراعي حرمة اخته وابنها القاصر الا ان المنية لم تمهله فمات وخلفه انطيوخوس الرابع الذى اتبع طريق سلوقيوس وهجم علي مصر ووصل الي منف سنة ١٧٢ ق م فخافت كليو بطرة بطشه ومن ثم أرسلت الجمهورية الرومانية قائداً اسمه (بو بيليوس) تغلب علي عسكر سورية وأخرجهم من مصر ، ولما كان انطيوخوس الرابع ملك سورية قاسيا علي اليهود بأورشليم فر من وجهه اونياس بن حنانيا رئيس كهنة اليهود والتجأ الي بطليموس وطلب منه التصريح ببناء هيكل لليهود بمصر علي مثال هيكل بيت المقدس . وكان عدد اليهود بمصر يومئذ يقرب من المائة الف نسمة . فأذن له بتشييد الهيكل الذى اشتهر بعد ذلك باسم اونياس

الملك بطليموس السابع المسمي أوبانير اى المجد أبه (١٤٦ - ١١٧ ق م) قامت عليه الرعية بسبب ظلمه وقوته فالتجأ الي جزيرة قبرص ولم يرجع الي الملك الا بمساعدة الرومان ولما مات خلفه أخوه بطليموس الثامن

الملك بطليموس الثامن المسمي لاثيروس (١١٨-١٠٧) : اتخذ له جيشاً أجنبياً وسام الرعية خسفاً فمقتته ، ولما استفحل شره ثارت عليه رعيته فهرب الي قبرص ثم أعيد ثانية (٧٨ - ٨١) ق م حيث اشتغل بتشجيع العلوم الادبية التي تلقاها علي المعلم اورستارخس الشهير وفي أيامه سافرت البعثة العلمية المصرية لاكتشاف بحر الهند برياسة القائد هورشيش القوزيقي الذى كان يحسن الارصاد الفلكية فتبين مواقع الارض وتخطيطها وطاف حول افريقية . ثم مات

بطليموس الثامن وخلفه العاشر لموت التاسع « سنة ٨٨ ق . م . »

الملك بطليموس التاسع المسمي فسكون (١٠٧ — ٧٧) ق م. كانت امه تبغضه وتحب اخاه الاسكندر فقام بينها وبين بطليموس نزاع شديد وقعت نتائجه علي رؤس المصريين حيث قامت الفتن الداخلية وكثرت الاحزاب مما ادى الي خلع بطليموس وتولية اخيه الاسكندر وما تولي هذا حتى طغي وكرهته أمه فقتلها وغضبت عليه الرعية فهرب من وجهها هاجراً مصر وعلي ذلك استدعي بطليموس ثانية وكانت طباعه قد تهذبت فبقي ملكا حتى مات

الملك بطليموس العاشر (دبونيزوس) (٨١ - ٨٠ ق . م) تولي بمعاونة السناتو الروماني ، ولما رأى الجنود المصريون ان الرومان يتدخلون في شؤون مصر بدون حق وان بطليموس راض عن ذلك ، عقدوا النية علي قتله فقتل ذبحا بعد تسعة عشر يوما من حكمه وبذلك انقرض نسل لاغوس

الملك بطليموس الحادى عشر « أوليتس » (٨٠ - ٥١) ق م لما تولى أوليتس احتج ورثة لاغوس علي توليته لدى الجمهورية الرومانية نقاوم أوليتس هذا الاحتجاج بهدايا أرسلها مع وفد الي بعض امراء هذه الجمهورية . ولما انعقد المجلس الروماني للنظر في الامر قام المستشار « رولوس » وطلب من المجلس أن يضم مصر الي الدولة الرومانية فعارضه الخطيب (شيشرون) وقال : « ان موقع مصر الجغرافي يقضي ببقائها مستقلة » فوافقه المجلس . وحدث بعد ذلك ان ثار المصريون علي أوليتس فهرب الي قبرص ومنها الي رومية وظل بها حتى سنة ٥٥ ق م حيث اقيم « بومبيوس » قنصلا علي الرومان وأمر قائده « بينوس » بأن يعيد أوليتس الى مصر ويرد اليه تاجها ، فقام ، بينوس بجيش يقوده معه « مرقس انطنيوس » صديق أوليتس ، ولما وصلوا الي الاسكندرية قاتلهم « ارخيلاوس » زوج بنت أوليتس فقتلوه وأقروا أوليتس علي سرير الملك ، ولما استقر له الامر انتقم من معارضيه وصادرهم في اموالهم وصلها لبينوس ومرقس اللذين تركاه وقفلا عائدين الي رومية مثقلين بالذهب بعد أن أبقيا مع

اوانس من يحميه وقد مات ممكنا الرومان من شؤون مصر فخلفه ابنه بطليموس الثاني عشر

الملك بطليموس الثاني عشر (٥١ – ٤٧) ق م كان قاصراً وكانت اخته كليو بطرة المشهورة في التاريخ تبلغ من العمر ١٧ سنة . وقد أوصي ابوهما قبل وفاته بأن تشارك كليو بطرة أخاها القاصر في الملك لتـدفق دلائل الذكاء من عينيها وكان لها ولع بالسياسة واستعداد للسيادة والحكم . فأقيم عليها ثلاثة أوصياء كانوا يمقتونها لموالاتها الرومانيين . ولما وقعت المداوة بين « يوليوس قيصر » و (بومبيوس) اللذين كانت بيـدهما ر ياسة الدولة الرومانية . أرسل بومبيوس ا كبر أولاده مع قائد من حزبه اسمه (كونليوس سيبوس) الى مصر يطلب من كليو بطرة اعانة علي خصمه فأمدته بستين سفينة حربية وخمسمائة جندى ، ولما كان ذلك علي غير رغائب اوصيائها حرضوا الاهالي عليهـا حتى فرت الي سو رية ولم تجد نجدتها لبومبيوس نفعا فجاء الي مصر فاراً من وجه يوليوس . فقبض عليه بطليموس وكان قد بلغ أشده وأمر بقتله امام مدينة الفرما . ولما حضر يوليوس قيصر الي الاسـكندرية وعلم بقتل خصمه حزن عليه وحنق علي بطليموس ورد كليو بطرة الى عرشها لتحكمها بالاشتراك مع اخيها

أما المصريون فـكانوا ناقمين علي الاسرة المالـكة وعلي تدخـل الرومان في شـؤون البـلاد فأشاروا علي الامير « اخلاس » قائد الجيـوش المصرية بأن يزحف علي الاسكندرية ويطرد قيصر منها . فاتفق الوزير « بوطين » الطواشي مع اخـلاس وهجما علي الاسـكندرية ومعهما ٢٢ الف جندى ، فارتبك قيصر وفضل احراق سفنه الحربية علي وقوعها في أيديهم . وبينما كان علي شفا الهزيمـة اذ جاءه جنـود من سـورية يقـودها « ميتريدات » عاونوه علي قهر الاسكندرية فغرق بطليموس في النيل وعلي اثر ذلك طلب اهالى الاسكندرية الصلح فأجابهم قيصر الى طلبهم وعين لهم بطليموس الثالث عشر ملكا بالاشتراك مع اخته كليو بطرة وأخيراً رجع الي رومية

الملك بطليموس الثالث عشر (٤٧–٤٣)ق.م تزوج بأخته كليو بطرة فأصبحت صاحبة الـكلمة والسلطة التامة في مصر ثم توجهت مع زوجها الي رومية لتوثيق عرى المودة بينهـا و بين يوليوس قيصر فقابلهـا الرومانيـون بالاجـلال والترحيب وأقامت بقصر علي نهر التيبر ولمـا قويت شوكة يوليوس قيصر أراد حزب الجمهورية أن يتخلص منه بقتله ، فأوعز بذلك الي (بروتوس) الذى جرد خنجراً طعن به قيصر في المحفل العام في ١٥ مارس سنة ٤٤ ق . . وقال قيصر وهو يموت : « لقد طعنت أباك ياهذا» قبـل وقد كان بروتوس بن قيصر من السفاح غير انه في وقت اعتدائه عليه لم يكن يعلم هذا السر ، و بعد موت قيصر أصبحت كليو بطرة فاقدة النصير ، لاسيما بعد أن فقدت زوجها الذى قيل انها دست له السم لتتوصل الى تمليك أصغر أولادها بطليمـوس الرابع عشر وهو علي دعوى المؤرخين ابن يوليوس قيصر (٤٠ – ٣٠) ق . م وفي مدته حـكم بطليموس الرابع عشر ، كان مرقس أنطنيوس — الذى قاد الجيش المساعـد لبطليمـوس الزامر كامر – رئيساً لمجلس روميـة مع شريكه (اكتافيوس) ، فلما رأى انطنيوس كليو بطرة اذهله جمالها فعشقها واهمـل بسببها شؤون وظيفته مفضلا الاقامة معها ولما هدده مجلس رومية بخلعه من منصب الرياسـة خرج من مصر مكرها ، فتوجه الي ايطاليا ومنها الى سورية لغزو الفرس وقد طالبت كليو بطرة منـه أن يعطيهـا جزيرة قبرص وبلادالعرب لتوسيع ملكها وترويج تجارة الاسكندرية التى كسدت اذ ذاك . و بينما هو في الطريق عرج علي مصر ليقوم بطلبات كليو بطرة،وقد حاول اضعاف الجمهورية الرومانية ، وأعطي لقب ملك لولديه من عشيقته ، فحكم عليـه المجلس بالعزل وأشهر الحرب علي مصر . فتأهبت كليو بطرة وتبعها انطنيوس الي ساحة القتال في مدينـة (أكتيوم) التى هي (ازبو) علي ساحل موريا في اليونان، وكان ذلك في ٢ سبتمبر سنة ٣١ ق . م. و بينما الحرب تدور رحاها اذ انفصـل ستون سفينـة عن .قي العمارة البحرية ، فولت كليو بطرة هاربة من القتال تمخر البحر علي احدى السفن — قال بعض الكتاب : « ولا يعـلم ان كان هرب كليو بطرة لفزعهـا من الحرب أو لاتفاق وقع بينها و بين اكتافيوس رئيس

الجمهورية » - وولي انطنيوس وراءهاقير ان اكتافيوس اقتفي أثرهما فسلمته كليو بطرة مدينة الفرما التي هي مفتاح مصر وأرادت بهذه الخيانة أن تخطب وده عازمة علي تقريبه منها باقصاء عشيقها عنها ، ولما وصل أنطنيوس الي الاسكندرية قابلته كليو بطرة بفتور ، وباشارة من تلك الخائنة انفصل الجيش عن أنطنيوس وانضم الي اكتافيوس ولكنها عادت فشعرت بسوء فعلتها فتوارت في مدفن كانت قد شيدته لتدفن فيه وأشاعت انها تريد الانتحار ، فلما علم أنطنيوس بذلك طعن نفسه بخنجر ، ثم بلغه وهو في النزع ان كليو بطرة لم تزل علي قيد الحياة فأمر أن يحملوه بها فأنزلوه في جهة من المدفن حيث مات شر ميتة وأما كليو بطرة فكانت تتظاهر والخنجر في يدها بطلب الموت قاصدة أن تفتن اكتافيوس كما فتنت عمه يوليوس قيصر وغيره فخاب ظنها ، ولما خافت الاسر فتلت نفسها شر قتلة.وقيل انها وضعت ثعباناً في سلة ومكنته من ثدييها فقتلها ، وأما اكتافيوس،فقد قتل ابنها بطليموس قيصرون ، ولما عاد الى رومية عمل لكليو بطرة تمثالا وبجانبه ثعبان ينهشها وبموتها انتهي حكم اليونان (البطالسة) لمصر سنة ٣٠ ق م وأصبحت هذه البلاد ايالة تابعة لحكومة رومية الي سنة ٦٤٠ م.

قال المؤرخون : ومع ان مصر تأخرت في أيام هذه الدولة ورجعت القهقرى الا أنها كانت كثيرة المفاخر والمآثر . فان البطالسة أطلقوا الحرية لجميع أهل البلاد وجعلوهم متساوين أمام الشريعة ، وأتموا كما ذكرنا عمارات كثيرة في بلاد النوبة وجزيرة البربي التي هي أنس الوجود وبنوا مدينة أرمنت وحسنوا طيبة وأقاموا فيها هيكل دير المدينة وقد شيدت كليو بطرة هيكل دندرة ومدينة ادفو القديمة . ولم تضعف دولة البطالسة الا بعد معاهدتها مع رومية حيث أخذت في الاضمحلال والفناء .

(لخصنا الفذلكة المتقدمة من (مختصر تاريخ الامة القبطية تأليف الفاضل سليم افندى سليمان فاننا ألفيناه أجمع ملخص لما يهم معرفته من تاريخ قدماء المصريين . وكان اعتمادنا عليه تنويهها بفضل مؤلفه)

(دور الدولة الرومانية) يبتدىء هذا

الدورمن سنة (٣٠) ق م الى السنة (٦٤٠) بعد الميلاد فكانت مصر تابعة لحكومة رومية الي سنة (٣٩٤) فلما انقسمت هذه المملكة الي قسمين شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومية وقعت مصر في حصة المملكة الشرقية من السنة المذكورة انظر (رومان)

فكان النظام المتبع في حكومة مصر أن ترسل اليها الحكومة الرومانية بالحكام من رومية أولا الي سنة (٣٩٥) ثم من القسطنطينية بعد ذلك الي سنة (٦٤٠) وفي تفصيل سيرة هؤلاء الحكام تطويل وغاية ما يقال ان مصر شهدت في ذلك العهد من المظالم مالم تره في أى عصر من عصورها ولا سيما فيما يختص بالاضطهادات لاجل الدين فان المصريين أخذوا بالديانة المسيحية في منتصف القرن الاول للميلاد بدعوة مرقس صاحب الانجيل فانه وفد الى مصر في منتصف القرن الاول ونشر التعاليم المسيحية فقبلها المصريون . وأول كنيسة شيدت في هذه البلاد كانت في الاسكندرية سنة (٦٧)

فلم يرق هذا الدين في أعين الرومانيين في أوروبا فعارضوه ومنعوا انتشاره وأخذوا متبعيه بالقسوة المفرطة فصاروا يحرقونهم او يعذبونهم حتى يموتوا تعذيبا وأوعزوا الي نوابهم في مصر ان يجروا على هذه الطريقة فجروا عليها في معاملة القبط فأزهقوا منهم أرواحا لا تحصى وظل الحال على هذا المنوال الي ان تولى الامبراطور الروماني ديقلاديانوس من سنة ٢٨٢ الي ٣٠٣ فعزم علي ابادة المسيحيين فأعمل فيهم السيف في اوربا وأمر نائبه على مصر ان يحذو حذوه في هذه البلاد ثم حضر هو نفسه الي هذه البلاد واعمل في أهلها الحديد والنار حتى قتل منهم مايزيد عن الثمان مئة الف نسمة وهي من الاضطهادات الكبرى التي قلت أمثالها في تاريخ البشر

ولم يكن الحكم الروماني من الوجهة المدنية علي اسلوب يحبب اهل هذه البلاد فيهم فقد كان الظلم سنة تلك الحكومة حتى ضج الناس ولم يجدوا لهم محيصا . غير الاستسلام فصبروا مكرهين الى سنة (٦٤٠) حتى أتاهم العرب مخلصين

(دور المسلمين في تاريخ مصر)

يبتدىء هذا الدور من سنة (٦٤٠) الى ماشاء الله ويحسن بنا اعطاء تفصيلات عن هذا الدور لابد منها لان هذا الدور أساس حياة مصر الحالية ومن اصوله تستمد أصول المصريين الحيوية

لما امتد ملك المسلمين في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الي الشام الح عمرو بن العاص علي الخليفة ان يأذن له في فتح مصر وأراه سهولة ذلك وان المصريين ينتظرون من يغزو بلادهم ليثوروا معه علي ظالميهم الرومانيين الي غير ذلك من الاقناعات حتى قبل منه ذلك فعهد اليه في سنة ١٨ وجهزه بجيش صغير فسار حتى بلغ الفرما وكانت بلدة بالقرب من قطيه علي بعد يوم منها وكانت محصنة فافتتحها بعد ما قاتل الرومانيين بها نحو من شهر وانما كان دفاعهم فيها شديداً لانها باب مصر . ثم سار عمرو حتى بلغ بلبيس وكانت محصنة أيضا فافتتحها بعد قتال عنيف وكان بها ابنة المقوقس القبطي وهو نائب الرومان علي مصر السفلي فأرسلها الي والدها [illegible] فوقع ذلك لدى المقوقس احسن وقع

ثم طلب عمرو من امير المؤمنين المدد فأرسل اليه أربعة آلاف رجل فسار بهم حتى نزل علي حصن قوى علي شاطىء النيل بضفته الشرقية يقال له بابل أو بابليون شيده الفرس قديما وكان هذا الحصن أمام مدينة منفيس علي الضفة الغربية وكان بها المقوقس فأخذ عمرو في مقاتلة الرومان يصبحهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب الي عمر بن الخطاب يستمده فأمده بأربعة آلاف آخرين وجعل علي كل الف واحدا من مشهوري القواد وكتب اليه : «اني قد امددتك بأربعة آلاف علي كل الف منهم رجل يقام الف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وأعلم انه صار معك اثنى عشر الفا ولا تغلب اثنى عشر الفاً من قلة»

وكان الرومان قد خندقوا عليهم والقوا بالخنادق حسك الحديد أى شوك الحديد وهو ما يعبر عنه الآن بالحدايد الشائكة . فلما امتنع الحصن علي المسلمين وضع الزبير بن العوام سلما الي جانب الحصن وصعد عليه وتبعه كثير من المسلمين فلم يشعر الرومان الا وقد دهمهم العرب فأخذوا في الحرب وتمكن الزبير

واصحابه من فتح باب الحصن فخاف المقوقس علي نفسه فهرب هو واكابر القبط من منفيس ولحقوا بجزيرة في وسط النيل وأمروا بقطع الجسر الذى يوصل بينها وبين الحصن وكان مصنوعا بسفن متلاصقة بعضها بجانب بعض

وأرسل المقوقس الي عمرو بن العاص يحسن له أمر الصلح ويخوفه من جيوش الرومانيين فقبل القائد العربي ان يصالح علي احد هذين الشرطين وهما : اما الاسلام واما الجزية . فقبل المقوقس الجزية علي ان يدفع كل قبطي في مصر من شريف ووضيع دينارين عن نفسه وليس علي من لم يبلغ الحلم ولا الشيخ الهرم ولا علي النساء شيء وان لهم ارضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها وأحصي من تستحق عليه الجزية يومئذ فبلغوا اكثر من ستة ملايين . فلما بلغ ملك الرومان ما فعله المقوقس ارسل اليه يقبح رأيه ويأمره بقتال العرب مستعيناً بالقبط وبمن في مصر من جنود الرومان وكان يبلغ عددهم مئة الف

فلم ير المقوقس ان يخرج مما دخل فيه وترك الرومان للعرب حتى تفيء الي أمر الله واعتزل هو وقومه القتال

أما هراقل امبراطور الرومان فأرسل الي مصر جيوشا كثيفة التقت مع العرب مرارا فكان العرب ينتصرون في كل مرة حتى أوصلوهم الي الاسكندرية فتحصنوا بها وكانت حصونها لاترام وكان القبط يمدون المسلمين بما يحتاجون اليه من الاطعمة والعلوفة . وكان الرومانيون تأتيهم الامداد من بلادهم بطريق البحر حتى هم هيراقل بالمسير بنفسه الى مصر فمات وهو يستعد لذلك سنة (٢٠) هجرية فانكسرت شدة الرومانيين بالاسكندرية ورجع منهم عدد عظيم وبقي عمر ينازل من بقي منهم حتى افتتحها يوم الجمعة من شهر المحرم سنة (٢٠) هجرية الموافقة ٢٢ ديسمبر سنة (٦٤٠) ميلادية بعد أن حاصرها أربعة عشر شهراً

ثم ان عمرو أخذ يتعقب من هرب من فلول الجيش الروماني الى داخل البلاد فلما بلغ الرومانيين ان حامية الاسكندرية من المسلمين قليلة عادوا فاحتلوا الاسكندرية وحصنوها فعاد اليها عمرو بن العاص فافتتحها ثانية وأقام بها وكتب بذلك الي امير المؤمنين فرد عليه

بأنه لا يجاوزها وقبح رأيه في تتبع من هرب

ثم عاد عمرو الي المكان الذى كان نزله المسلمون عند محاصرتهم لحصن بابليون وكان عمرو ترك به فسطاطه منصوبا فبنى المسلمون حوله بيوتا واختطوا خططا صارت فيا بعد مدينة أطلق عليها اسم الفسطاط وهي مصر القديمة وبنى بها مسجده المشهور الآن وهو الذى تصلي بآخر جمعة من رمضان رسمياً تذكاراً لفتح المسلمين مصر

من أعمال عمرو بن العاص النافعة حفره خليجاً يوصل النيل بالبحر الاحمر لسهولة المواصلة مع بلاد العرب ونقل الغلال الى تلك البلاد وبه تمكن من نقل الحبوب الى بلاد العرب زمن القحط وكان ذلك الخليج يسمي بخليج امير المؤمنين. وأبطل عادة القاء عذراء في النيل تقربا اليه باعتبار ألوهيته وقد ثبت ان هذا اختلاق

ثم أرسل عمرو جيشاً لفتح برقة فصالحه أهلها

ولما توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتولي الخلافة عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله ابن أبي سرح فسار سيرة حسنة محمودة وغزا ثلاث غزوات ذات شأن : غزا افريقية وقتل ملكها ، وغزا الاساورة حتى بلغ دنقلة وغزا الصوارى . وبلغ خراج مصر في مدته أربعة عشر الف الف دينار أى ١٤ مليون دينار فلما لقي عثمان عمرو بن العاص قال له قد علمت ان اللقحة درت بعدك. فقال عمرو نعم ولكنها أجاعت أولادها

والذى جباه عبد الله بن أبي سرح هو الجزية من عدد النفوس غير الخراج والاموال الديوانية . مات عبد الله بن أبي سرح سنة (٣٥) بعد أن استخلف علي مصر عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته احدى عشرة سنة ونحو نصف سنة

فلما تولي الخلافة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب ولي مصر سعد بن عبادة الانصارى فأقام قليلا ثم مات

فعقبه محمد بن أبي بكر فوصل الي مصر في نصف رمضان سنة (٣٧) فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذرار يهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو ابن العاص في جيش الي مصر فحدث قتال عنيف بينه وبين محمد بن أبي بكر وانتهى

القتال بغلبة عمر فهرب محمد فظفر به معاوية بن جديج فقتله ثم جعله في جيفة حمار وأحرقه بالنار سنة ٣٨ فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولي عامر بن عقبة الجهنى من قبل معاوية وصرف عنها سنة ٤٧ فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر

ثم تولي مسلمة بن مخلد الانصارى من قبل معاوية وتوفي في ولايته سنة ٦٢ فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر

ثم تولي سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من قبل يزيد بن معاوية وعزل سنة ٦٤ فكانت ولايته سنة واحد عشر شهراً

ثم تولي عبدالرحمن بن عقبة بن حجر من قبل عبدالله بن الزبير فأقام تسعة أشهر

ثم تولي عبد العزيز بن مروان من قبل أبيه الخليفة مروان بن الحكم سنة ٦٥ فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوماً

ثم تولي عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه عبد الملك سنة ٨٠ وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته اربع سنين وعشرة ايام

ثم تولي قرة بن شريك العبسى من قبل الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ فكانت ولايته ست سنين الا أياما

ثم تولي عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان بن عبدالملك سنة (٩٦) الي غاية صفر سنة ٩٩ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولي أيوب بن شرحبيل بن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ ومات سنة ١٠١ فكانت ولايته سنتين ونصف سنة

ثم تولي بشر بن صفوان الكلبي من قبل يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ وفي ولايته استولي الرومان علي تنيس ١٠٢

ثم تولي حنظلة بن صفوان وهو أخو شريك المذكور باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وعزل سنة ١٠٥ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولي محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل أخيه هشام سنة ١٠٥ فوقع وباء بمصر فهرب منها ولم يلها الا نحواً من شهر

ثم تولي الحر بن يوسف بن يحيي ابن الحكم من قبل عبد الملك واستقال

سنة ١٠٨ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى الحفص بن الوليد الحضرمي من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد اسبوعين

ثم تولي عبد الملك بن رفاعة ثانية فقدم مصر ثانية ١٠٩ ومات في نصف المحرم فكانت ولايته خمس عشرة ليلة

ثم تولي الوليد بن رفاعة باستخلاف من أخيه فأقره هشام بن عبد الملك فتوفي وهو وال في جمادى الآخرة سنة ١١٧ فكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر

ثم تولي عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من الوليد فأقام سبعة أشهر

ثم تولي حنظلة بن صفوان ثانية من قبل هشام بن عبد الملك سنة ١١٩ فحصل بينه وبين القبط محاورة فبلغ ذلك هشام فصرفه عنها وولاه أفريقية وخرج في ربيع الآخر سنة ١٢٤ فكانت جملة ولايته خمس سنين وشهرين

ثم تولي حفص بن الوليد الحضرمي ثانية من قبل هشام سنة ١٢٤ ولما مات هشام واستخلف بعده أخوه الوليد ابن يزيد أقر حفصا . ثم صرف عن الولاية سنة ١٢٥ فكانت مدة ولايته سنة وشهرين

ثم تولي عيسي بن عطاء من قبل الوليد بن يزيد الي أن عزله مروان الاخير ابن مروان الاول سنة ١٢٦ فكانت مدة ولايته خمسة اشهر

ثم تولي حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور في المحرم وعزله في سنته

ثم تولي حفص بن الوليد ثالثة علي كره فأقام رجب وشعبان ثم عزل في المحرم سنة ١٢١

ثم تولي حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلي من قبل مروان المذكور في المحرم سنة ١٢٨ فاجتمع الجند علي منعه فأبي عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فأخذ في طلب من كان سبباً للفتنة فجمعوا له فضرب أعناقهم. ثم صرف من ولايته في جمادى الاولي سنة ١٣١ وبعثه مروان الي العراق فقتل فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولى المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان سنة ١٣١ وتوفي سنة ١٣٢ فكانت جملة ولايته عشرة أشهر

ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل أبيه مروان الخليفة فكان آخر نواب خلفاء بني امية وذلك في سنة (١٣١)

(من تولي مصر من قبل الدولة العباسية) جاءت الدولة العباسية فكان اول نوابها بمصر صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس من قبل امير المؤمنين ابي العباس السفاح . قدم في المحرم سنة ٣٣ فقتل كثيراً من شيعة بني امية وجهز طائفة منهم الي العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الي صالح المذكور بامارة فلسطين واستخلافه علي مصر من يشاء

ثم تولي ابو عون بن عبد الملك الجرجاني في مستهل شعبان سنة ١٣٣ فوقع وباء بمصر فهرب ابو عون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الي دمياط سنة ١٣٥ ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن علي ثانية علي مصر في ربيع الاول سنة ١٣٦ ومات السفاح في ذى الحجة واستخلف أمير المؤمنين عبد الله المنصور فأقر صالحاً علي ولايته

ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات

ثم تولي ابو عون ثانية من قبل المنصور في ربيع الاول سنة (١٤١) ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولي موسي بن كعب بن عيينة من قبل المنصور في ربيع الآخر سنة (١٤١) فكانت ولايته ستة أشهر

ثم تولي محمد بن الاشعث الخزاعي من قبل المنصور في ذى الحجة سنة (١٤١) ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة اشهر

ثم تولي حميد بن قحطبة من قبل المنصور فدخل في عشرين الفا من الجند في شهر رمضان سنة (١٤٣) ثم صرف في ذى القعدة سنة (١٤٦) فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبعة أشهر

ثم تولي يزيد بن حاتم المهلب من قبل المنصور في نصف القعدة سنة (١٤٦) وصرف عنها في ربيع الآخر سنة (١٥٢) فكانت ولايته سبع سنين واربعة اشهر

ثم تولي عبد الله بن عبد الرحمن من قبل المنصور في ربيع الآخر وهو أول من خضب بالسواد وصرف عنها في رمضان سنة (١٥٤) فكانت ولايته

صنتين وشهرين

ثم تولي محمد بن عبد الرحمن بن معاوية باستخلاف من اخيه عبد الله فأقره المنصور ومات في نصف شوال فكانت ولايته ثمانية اشهر ونصف شهر

ثم تولي موسي بن علي بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور وبويع لولده محمد المهدى أقر موسي المذكور الى ذى الحجة سنة (١٦١) فكانت ولايته ست سنين وشهرين

ثم تولي عيسي بن لقمان بن محمد الجمحي من قبل المهدى في ذى الحجة سنة (١٦١) وصرف عنها في جمادى الاولى سنة (١٦٢) وصرف عنها في رمضان من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة شهور

ثم تولي منصور بن يزيد الرعيني وهو خال المهدى من قبل المهدى في رمضان سنة (١٦٢) وصرف في نصف القعدة فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام

ثم تولي يحيي ابو داود من خراسان من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة (١٦٢) وكان أبوه تركيا من أشد الناس واعظمهم هيبة واقدمهم علي الحرب فمنع من اقفال الدروب بالليل ومن اقفال الحوانيت ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلي اداؤه فكان الرجل يضع ثيابه في الحمام ويقول يا أبا داود احرسها فاذا ضاعت يأتيه فيمهله يوماً ثم يأتي بها ممن أخذها فكانت الامور علي هذا المنوال واستمر الي المحرم سنة (١٦٤) فكانت ولايته قريباً من سنتين

ثم تولي ابراهيم بن صالح بن علي ابن عبد الله بن عباس من قبل المهدى في المحرم سنة (١٦٥) وفي ولايته خرج دحية ابن مصعب بن مروان بالصعيد ودعا لنفسه بالخلافة فتراخي ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدى وعزله عزلا قبيحاً في ذى الحجة سنة (١٦)فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولي موسي بن مصعب من قبل المهدى في ذى الحجة سنة (١٦٧) فتوجه بعسكره الي بلاد الحوف لقتالهم فلما التقوا انهزم اهل مصر بأجمعهم وقتلوه من غير ان يتكلم وكان قتله في شوال سنة

١٦٨ فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ في خطبته انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها . فقال الليث اللهم لاتمقتنا

ثم تولي عصامة بن عمر باستخلاف موسي بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار فحارب يوسف بن نصر وهو علي جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معاً ورجع الجيشان منهزمين واستمر الي سلخ المحرم سنة ١٦٩

ثم تولي علي بن سنان بن علي من قبل الهادى سنة ١٦٩ ولما مات الهادى واستخلف هرون الرشيد أقر علي بن يوسف المذكور فأظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى في عدم هدمها مايزيد علي خمسين الف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات عزل في ربيع الاول سنة ١٧١

ثم تولي عيسي بن موسي العباسي من قبل الرشيد فأذن للنصارى في بناء الكنائس التى هدمها علي بن سنان فبنيت بمشورة العلامتين الليث بن سعد وعبد الله ابي لهيعة ثم صرف عن مصر سنة ١٧٢ فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة اشهر ونصف شهر

ثم تولي مسلمة بن يحيي البجلي من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها في شعبان سنة ١٧٣ فكانت ولايته أحد عشر شهراً

ثم تولي محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد في شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم له حال فصرف عنها في غاية ذى الحجة سنة ١٧٣ فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولي داود بن يزيد بن حاتم المهلبي وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا علي محمد الازدى فدخلا مصر في المحرم سنة ١٧٤ فأخرجا العسكر القديم الي الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة

ثم صرف داود المذكور عن ولايته في المحرم سنة ١٧٥ فكانت ولايته سنة ونصف سنة

ثم تولي موسي بن عيسى العباسي من قبل الرشيد في شهر صفر سنة ١٧٥

وصرف في شهر صفر سنة١٧٦ فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولي ابراهيم بن صالح ثانية من قبل الرشيد في غرة ربيع الاول سنة ١٧٦ وتوفي في ولايته فكان مقامه بمصر شهر بن وثمانية عشر يوما

وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد

ثم تولي عبد الله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ١٧٦ فكشف امر الخراج وزاد علي المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الي الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما و بعثه الي الحوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله

ثم صرف عبد الله المذكور في رجب سنة١٧٨ فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر

ثم تولي هرثمة بن اعين من قبل الرشيد في شهر رمضان سنة ١٧٨ فأشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقيه فكان مقامه شهر بن ونصف شهر

ثم تولي عبد الله بن صالح العباسي من قبل الرشيد ولم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب وصرف سلخ سنة ١٧٨ فكانت مدته شهراً واحداً ونصفا

ثم تولي عبد الله بن المهدى من قبل أخيه الرشيد في المحرم سنة١٧٩ فاستخلف بن المسيب وصرف في رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولي عيسي بن موسي ثالث مرة من قبل الرشيد فأرسل ابنه يحيي خليفة عنه في رمضان سنة١٧٩ وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٨٠ فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولي عبد الله بن المهدى ثانية من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه في جمادى الآخرة سنة ١٨٠ وصرف في رمضان سنة ١٨١ فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة أشهر

ثم تولي اسماعيل بن صالح العباسي من قبل الرشيد في سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب الخزاعي في جمادى الآخرة سنة ١٨٢ فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولى اسماعيل بن عيسي العباسي

سنة ١٨٢ وصرف في رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة شهور

ثم تولي الليث بن فضل من أهل بيورت من قبل الرشيد في سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر في شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الي الرشيد

ثم عاد وتوجه ثانية بالمال واستخلف هاشم بن عبد الله وكلما أتم سنة وخرج من حسابها توجه بالمال الي الرشيد ومعه الحساب

ثم صرف عن مصر في جمادى الآخرة سنة ١٨٧ فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر

ثم تولي احمد بن اسماعيل العباسي من قبل الرشيد في جمادى الآخرة سنة ١٨٧ ثم صرف في رمضان سنة ١٨٩ فكانت ولايته سنتين وشهراً ونصف شهر

ثم تولي عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسي من قبل الرشيد في شوال وصرف في شعبان سنة ١٩٠ فكانت ولايته عشرة أشهر

ثم تولي الحسين بن جميل من قبل الرشيد في رمضان سنة ١٩٠ وصرف في ربيع الآخرة سنة ١٩٢ فكانت مدة ولايته سبعة أشهر . ثم تولي دلهم الكلبي من قبل الرشيد في ربيع الآخرة سنة١٩٢ وصرف في صفر سنة ١٩٣ فكانت ولايته عشرة أشهر

ثم تولي الحسن التحتاح من قبل الرشيد في ربيع الاول سنة ١٩٣ فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لأخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام وكان سيره في ربيع الاول سنة ١٩٢ فكانت مدة ولايته سنة واحدة

ثم تولي الحاتم بن هو من قبل الامين في ربيع الثاني سنة ١٩٤ وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٩٥ فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر

ثم تولي حاتم الاشعث الطائى من قبل الامين وكان ليناً فلما حدثت فتنة الأمين والمأمون قام السرى بن الحكم

عصبياً للمأمون ردعا الناس الي خلع الامين فاجابوه وبايعوه للمأمون لثمان بقـين من جمادى الاولي سنة ١٩٦ وأخرجوا حاتماً الاشث فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولي عبادة بن محمد بن حسان ابن أبي نصر من قبل المأمون في رجب سنة ١٩٦ فبلغ الامين ماكان بمصر فكتب الي ربيعة بن قيس رئيس الحوف بولاية مصر وكتب الي جماعة تعاونه ببيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين صرف عبادة في شهر صفر سنة ١٩٨ فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

ثم تولي المطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون في ربيع الآخر سنة ١٩٨ ثم صرف في شوال فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

ثم تولي العباس بن موسي العباسي من قبل المأمون في ذي القعدة سنة ١٩٨ وعزل سنة ١٩٩

ثم تولي المطلب ثانيا من قبل المأمون في المحرم سنة ٢٠٠ وعزل في شعبان من السنة المذكورة

ثم تولي السرى بن الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون في مستهل رمضان سنة ٢٠٠ وتوفي السرى المذكور سنة ٢٠٤ وهي السنة التي مات بها الشافعي رضى الله عنه

ثم تولي محمد بن السرى المذكور من قبل المأمون وتوفي في شعبان سنة ٢٠٦ فكانت ولايته أربعة عشر شهراً

ثم تولي عبد الله بن السرى باجماع من الجند وعزله عبيد الله بن طاهر من قبل المأمون في ربيع الآخر سنة ٢١١

ثم تولي عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف عبد الله بن طاهر الى سابع عشر القعدة ٢١٣

ثم تولي الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم وأقر موسي علي الصلاة فقط وجعل صالح بن شيراز علي الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا أصحابه في صفر سنة ٢١٤

ثم تولي عمير بن الوليد التميمي باستخلاف أبي اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الحوف في ربيع الآخرة

سنة (٢١٤) فكانت ولايته شهرين

ثم تولي عيسي الجلودى ثانيه باستخلاف ابي اسحق بن هرون الرشيد فحارب أهل الحوف بالمطرية ثم انهزم فأقبل ابو اسحق في أربعة آلاف من أتراكه فقاتل أهل الحوف وقتل اكابرهم وخرج الي الشام غرة المحرم سنة (٢١٥) في اتراكه ومعه الاسارى . ثم تولي عبدويه ابن جبلة من قبل ابي اسحق فاستمر الي غاية سنة (٢١٥) وتوجه الي برقة

ثم تولي عيسي بن منصور الرافعي من قبل ابي اسحق المذكور في أول سنة (٢١٦) فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادى الاولي من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروبا عظيمة الي أن قدم عبيد الله المأمون الى مصر سنة (٢١٧) فسخط علي عيسي وحل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبى منهم من سبى وقتل منهم من قتل

ثم ولي الخليفة المعتز بالله بك التركي أميراً علي مصر فأناب عنه احمد بن طولون فولاه امارة مصر بالنيابة عنه وذلك سنة (٢٥٤) فاستقل بها وكان مؤسسا للدولة الطولونية من سنة (٢٥٤) الي (٢٩٢) هـ

أصل ابن طولون من التركستان وكانت أسرته تسكن بجوار بحيرة لوب ببخارى الصغرى فأسر ابوه في احدى الوقائع الحربية وجيء به الي ابي أسد الصمامى وكان من عمال المأمون يدفع له اتاوة سنوية من المماليك والخيل . فكان طولون في جملة من أرسلهم ابن أسد من المماليك الى المأمون سنة (٢٠٠) فأعجب به المأمون والحقه بحاشيته ومازال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بأمير الستر فبقي طولون نحواً من عشرين سنة في هذا المنصب علي عهد المأمون والمعتصم وفي هذه الاثناء رزق بابنه احمد بن طولون فرباه تربية عالية فشب تقيا حسن الاخلاق لين العريكة . ولما توفي والده سنة (٢٢٩) ولاه الخليفة امارة الستر بدلا عنه ولكنه كان مغرما بالعلم يتردد الي طرسوس لتلقي الدروس بها ثم استأذن أمير المؤمنين أن ينقطع في طرسوس لتلقي العلم بها فأذن له في ذلك مع بقاء القابه ومرتباته لحين عودته فأتقن احمد بن

طولون هنالك علم الحديث وغيره وعاد الي بغداد وقد اخذ من المعارف بقسط وافر فرأى أن الاتراك قد عزلوا المستعين وبايعوا المعتز وآل امر الاول الي التغريب بواسط فوكلوا به احمد بن طولون . فلما أراد المعتز قتل المستعين خوفاً من عودته الي الخلافة امر احمد بن طولون وهو الموكل به ان يقتله فأبي فبعث اليه المعتز من قتله فلما علم احمد بن طولون بذلك عظم لديه هذا الامر فجهزه ودفنه فرفعت هذه الحادثة من قدر احمد بن طولون في نظر الناس ولما تعين باك التركي والياً على مصر أرسل احمد بن طولون اليها بالنيابة عنه

دخل ابن طولون مصر وكان علي خراجها احمد بن المدبر فتلقاه باحتفاء عظيم وأرسل اليه بهدية فلم يقبلها احمد بن طولون فتخوف ابن المدبر من ذلك وأخذ يسعى في خلعه . أما احمد فلم يبال به بل أخذ في تعزيز حصون مصر واستحكاماتها واعداد الجنود من أهلها فكتب الامير اماجور التركي والي الشام الي الخليفة يخوفه من ابن طولون ويذكر له أنه قد صار له فيها دولة وكتب له مدبر الخوارج ابن المدبر بمثل ذلك ايضا . فأرسل اليه الخليفة بترك مصر والانتقال الي سامرا واستخلاف من شاء فهم بتلبية الامر ولكنه أدرك أنها حيلة لاصطياده فجهز احمد بن محمد الواسطي كاتب سره وأرسله بالنيابة عنه الى سامرا وزوده بالهدايا الفاخرة الي الوزير فملك اهواءه وسعى له عند الخليفة حتى الغي أمره السابق وأقره علي مصر كما كان وصرح له بنقل اسرته اليها

وفي سنة (٢٥٧) قتل باك التركي فخلفه برقون التركي وهو حمو احمد بن طولون فأقره على مصر جميعها وأحال اليه جباية خراجها ايضا فصار هو المتصرف المطلق بها

وفي سنة (٢٦٢) أرسل الموفق الي احمد بن طولون يطلب منه حمل خراج مصر اليه مع انه كان من نصيب المفوض (لان الخليفة المعتمد قسم الاعمال بينهما فكانت مصر من نصيب المفوض) وفي الوقت نفسه أرسل الخليفة المعتمد الي ابن طولون يطلب حمل المال اليه ويحذره من الموفق فعزم ابن طولون علي تسليم المال للموفق فسلمه لتحرير خادمه واخذ ما كان معه من الكتب . فوجد فيها

كتبا باسم بعض قواده يستميلهم اليه ويعدهم ويمنيهم فقبض عليهم احمد بن طولون وقتلهم

فلما وصل المال الي الموفق استقله فأرسل لاحمد بن طولون يوبخه فرد عليه أحمد جوابا غليظا . فلما وصل الجواب الى الموفق حنق حنقا عظيما وعزم علي عزله فعرض ولايتها علي كل جدير بها فأبوا لاحسان ابن طولون وأياديه لديهم فعرضها علي اماجور والي الشام فأباها بتاتا . فلما رأى ذلك أرسل قائده موسى بن بغا لاخراج احمد بن طولون من مصر بالقوة فلما وصل الى الرقة اختلفت جنوده عليه لقلة المال فاضطر الرجوع

وفي سنة (٢٦٤) توفي أماجور أمير الشام وتولي ابنه مكانه فطمع ابن طولون في ضمها الي ملكه فسار اليه فخضع له ابن اماجور بلا حرب فأقره عليها واتبعها بملكه . ولما ذهب احمد بن طولون الشام مرة ثانية لقمع فتنة ثارت بها عهد بادارة البلاد لابنه عباس فأغراه بعض الناس بشق عصا الطاعة علي ابيه فلما علم أبوه بذلك وقصده خاف عباس فأخذ الاموال التي في خزائن مصر وسار الي برقة وأخذ يستميل اليه اهل المغرب فلم تصادف دعوته قبولا وأخذ احمد بن طولون يكاتبه ويلاطفه فلم يقبل وما زال منتشراً في طرابلس الي سنة (٢٦٧) حتى اتبعه عصابة قوية فسار بها الي الاسكندرية لخلع ابيه . فأرسل أبوه وزيره احمد الواسطي لحاربه وانتصر عليه وأمسكه حياً وجاء به الى والده في منتصف سنة (٢٦٨) فاعتقله وقتل كل من كان سبباً في غوايته

وفي سنة (٢٦٩) اضطر ابن طولون الذهاب الي الشام لقمع فتنة ثارت بها وأخذ معه ابنه عباسا واستخلف علي مصر ولده خارويه وبينما هو يحارب بانطاكية أصيب بمرض عضال فحمل الي مصر علي الهودج فتوفي سنة (٢٧٠)

فقام بالامر بعده خارويه ابن أحمد من سنة (٢٧٠ الي ٢٨٢) فلما بويع له أحضر أخاه وطلب ان يبايعه فأبي فأعاده الى معتقله ثم قتله بايعاز القائد أبي عبد الله ثم خاف ابو عبد الله هذا من امكان ندم خارويه علي ما فعل فيعود الى الانتقام منه فكاتب الموفق وأخذ يصف بذخ خارويه وبطمعه في أخذ الشام من يده

لما توفي احمد بن طولون طالب اسحق بن كنداج عامل الجزيرة وابن ابي الساج عامل الكوفة من الموفق ان يأذن لهما في استخلاص الشام من يد خمارويه فأذن لهما فسارا اليها وفتحاها فأغضب ذلك خمارويه فسار في جيشه وجعل القيادة لسعيد قائده فبلغ المعتضد ذلك فسار من دمشق نحو الرملة فاتاه خبر خمارويه وكثرة من معه من الجنود فهم بالعود فلم يمكنه اصحاب خمارويه فدارت رحي الحرب وحملت ميسرة المعتضد علي ميمنة خمارويه فانهزمت فارتاع لذلك خمارويه وكان حدثا لا عهد له بالقتال فعمد الي الهرب هو ومن معه من الاحداث ونزل المعتضد خيام خمارويه وهو لا يشك في النصر فخرج اليه سعيد القائد ببقية الجيش فتوهم المعتضد أن خمارويه قد عاد فحدثت موقعة عظيمة قتل فيها من جنود بغداد عدد لا يحصى وبعد الوقعة تفقد سعيد خمارويه فلم يجده ثم علم انه هرب الي مصر وكان معه اخوه أبو العشائر فأقامه العسكر مقام أخيه فوزع بينهم الغنائم . فلما بلغ خبر هذا النصر خمارويه خجل من هربه ولكنه فرح بما حدث علي يد قائده

ووزع الاموال والصدقات واحتفل بهذا الحادث احتفالا عظيما

وفي سنة (٢٧٥) خلع ابن أبي الساج عامل الجزيرة طاعة خمارويه فسار اليه وقاتله وهزمه وولي مكانه اسحق بن كنداج

وفي سنة (٢٧٩) توفي الخليفة المعتمد وتولي المعتضد فأرسل خمارويه يتحبب اليه وأرسل له هدايا فاخرة وعرض عليه أن يزوج ابنته قطر الندى لابن الخليفة علي . فقبل الخليفة ان يكون الزواج له هو وحصل الزفاف علي احسن ما يكون سنة (٢٨٢) وفي هذه السنة قتل خمارويه قتله خدمه خوفا من تحقيق كان شرع فيه لما بلغه وجود علاقات غرامية بين بعض نسائه وبعض قواده

ثم تولي بعده جيش بن خمارويه من سنة (٢٨٢ الي ٢٨٣) ه وكان يلقب بأبي العساكر فلم يلبث ان ثار عليه الجنود طالبين خلعه وتولية عمه فلاطفهم كاتبه علي بن احمد حتى رجعوا فقتل جيش عمين له وثار الجند عليه فرمى اليهم بالرأسين فهاجوا وماجوا واقتحموا قصره وقتلوه شر قتلة وكانت ولايته تسعة أشهر

تولي بعده هرون بن خمارويه من سنة (٢٨٣ الي ٢٩٢) فأخذ الناس يشورون عليه بأيماز طنج بن جف حاكم الشام التابع له

وفي سنة (٢٨٥) قصد المعتضد بالله استرجاع بلاد الشام من هرون فارتاع لهذا الخبر وصالحه علي أن يتنازل له عن قنسرين والعواصم كلها بلا حرب فقبل الخليفة المعتضد ذلك

وفي سنة (٢٩٢) أرسل الخليفة المكتفي بالله قائده محمد بن سليمان بالجيوش لاستخلاص مصر من يد هرون ابن خمارويه فافتتحها وبلغ الفسطاط ووقع الفشل في جيوش هرون فقاتل بعضهم بعضاً فلما اشتد بينهم القتال سار هرون بنفسه لاطفاء الثائرة فأصيب بطعنة من أحد المغاربة فسقط ميتاً في ١٨ صفر سنة (٢٩٢)

تولي بعده شيبان بن احمد بن طولون وهو عم هرون فلم يهنأ بالحكم لان الامة أبت قبوله ملكا عليها وخابرت محمد بن سليمان قائد الخليفة المكتفي أن يعطيهم الامان فأمنهم وملك الفسطاط واعتقل بني طولون وشردهم في البلاد

وعادت مصر كما كانت تابعة الخلافة العباسية

فتولي مصر عيسي النوشري من قبل الخليفة المكتفي من سنة (٢٩٢) الي (٢٩٥)

ثم خانه محمد بن الخليج فلم يلبث الا قليلا حتى اقتضت الاحوال اعادة النوشري اليها فتولاها حتى مات سنة (٢٩٧)

فولاها المقتدر تكين الخزرى أبا منصور فبقي فيها الي سنة (٣٠٢)

فتولاها زكاء الرومي أبو حسن الاعور وبقي فيها خمس سنوات الي سنة (٣٠٧)

فأعيد تكين ثانية فبقي فيها الي أن توفي سنة (٣٢١) وكان له ولد يدعى محمداً فاستولي علي الحكومة بدون اذن أمير المؤمنين . فأراد هذا أن يعاقبه علي جرأته فولي علي مصر محمد بن طغج الاخشيد وكان هذا حاكما في دمشق وأصله من أولاد ملوك فرغانة كان المعتصم بن هرون الرشيد قد استقدم من فرغانة جماعة وصفوا له بالشجاعة والتقدم في الحروب فبالغ في اكرامهم وأقطعهم قطائع في مدينة سر من رأى . وكان من هؤلاء

جف جد محمد بن طغج فأقام بسر من رأى ثم توفي في بغداد سنة (٢٤١) وخرج أولاده الي البلاد في طلب المعاش واتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون فاستخدم في حكومة مصر ثم انحاز طغج الى أصحاب اسحق بن كنداج فأعجب به وأخذه من اسحق وقسمه علي جميع من معه وولاه دمشق ولم يزل كذلك حتى قتل خمارويه فسار طغج الي الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فلم يتزلف اليه طغج فأغرى به الخليفة المكتفى فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر . توفي طغج بالسجن وبقي ابنه محبوساً مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل بالعباس بن الحسن الوزير حتى أخذ بثأر أبيه منه وهرب الي الشام وأقام متغربا بالبادية سنة

ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزرى ولم يزل بصحبته الي سنة (٣١٦) ثم فارقه وسار لي الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فأقام بها الي سنة (٣١٨) فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الي أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر في رمضان سنة (٣٢١) لكنه لم يذهب الي مصر لان الخليفة جعل بدله احمد بن كيغلغ بعد توليه بشهر

وفي سنة (٣٢٢) عزل الخليفة القاهر بالله وتولاها الراضى بالله فعزل ابن كيغلغ عن مصر وولى مكانه محمد بن طغج فقدم لتسلم الولاية فامتنع ابن كيغلغ عن تسليمه فقاتله محمد بن طغج وانتصر عليه وهرب احمد بن كيغلغ بمن معه من ذويه ولحق ببرقة ثم سار منها الى القيروان والتجأ الي ابي القاسم القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي وحرضه علي المسير الي مصر فجهز الفاطمي جيشاً عرمرماً لفتحها فبلغ ذلك واليها محمد بن طغج فحصن الحدود الغربية لمصر وجعل فيها حامية قوية ولكن جيوش القائم بأمر الله الفاطمي وصلت الى تلك الحدود وانتصرت على حاميتها واستولت علي الاسكندرية وتقدمت الي الفسطاط واحتلت قسما كبيراً من الصعيد ثم رأى القائم بأمر الله ان جنوده ربما لا يقوون علي فتح العاصمة فأجل ذلك الي وقت آخر منتظراً قرب انحلال الخلافة العباسية

وفي الواقع كانت الخلافة العباسية

قد بطلت سطوتها ، وذهبت قوتها فطمع أصحاب الولايات كل في ولايته وكان من بينهم محمد بن طغج طمع في مصر فأعلن استقلاله سنة (٣٢٤) فاضطر الخليفة الي تثبيته لعجزه عن مقاومته وأضاف اليه سورية

وفي سنة (٣٢٧) أنعم عليه بلقب الاخشيد وكان ذلك لقب ملوك فرغانة وهو من أولاده ومعنى هذه اللفظة ملك الملوك

وفي سنة (٣٢٨) قلد الراضى بالله بن رائق أمير الامراء ببغداد أعمال حران والرها وما جاورهما وجند قنسرين والعواصم فسار اليها وطمعت عينه الي ملك الشام وكان عليها بدر بن عبد الله عاملا من قبل الاخشيد . فحاربه وهرب بدر الي مصر ثم تقدم ابن رائق قاصداً مصر حتى اذا بلغ العريش لقيته جنود الاخشيد فانتصرت عليه انتصاراً باهراً ولم يكد يرجع الا في فلول من أصحابه فأراد محمد بن طغج أن يتمم انتصاره علي خصمه فأرسل خلفه أخاه أبا نصر بن جف ليتعقبه فلبث له ابن رائق في دمشق وهزمه شر هزيمة وقتله ثم حدث بين الزعيمين صلح بأن تكون لاحدهما مصر والآخر سورية وذلك سنة (٣٢٩)

وفي سنة (٣٣٠) اتصل بطغج بن جف الاخشيد ان محمد بن رائق قتل فانتهز هذه الفرصة لاسترداد الشام فسار اليها واستولي علي دمشق وما جاورها

وفي سنة (٣٣٣) أغار سيف الدولة ابن حمدان علي حلب وملكها وتقدم الى حمص فأرسل اليه الاخشيد جيشاً تحت قيادة قائده كافور فانتصر عليه سيف الدولة وملك حمص وحاصر دمشق فامتنع عليه أهلها وكان الاخشيد قد خرج من مصر الي الشام لمقاتلة سيف الدولة فالتقي الجمعان في قنسرين فحصلت بينهما معارك شديدة فلم ينهزم واحد منهما فقفل سيف الدولة راجعاً الي الجزيرة والاخشيد الي دمشق . ثم عاد سيف الدولة الي حلب وملكها

وفي سنة (٣٣٤) توفي الاخشيد محمد ابن طغج في دمشق وسنه ٦٠ سنة فكانت مدة حكمه ١١ سنة و ٣ أشهر ويومين ودفن بالقدس الشريف

تولي بعده ابنه أبو القاسم انوجور وكان صغيراً فقام كافور قائد الاخشيد

وكان اسود خصيا بتدبير الدولة . وعلم سيف الدولة بموت الاخشيد فاغتنم هذه الفرصة وقدم دمشق واستولى عليها فلما بلغ ذلك كافور أسرع الى سيف الدولة بجيش عظيم فلقي سيف الدولة بالرملة قادماً من دمشق لملاقاته فالتحم الجيشان وبعد معارك دموية انهزم سيف الدولة الي الرقة واسترد كافور منه دمشق

وفي سنة (٣٤٩) توفي انوجور محمد الاخشيد بعد ان حكم ١٤ سنة وعشرة أيام كان الحاكم فيها في الحقيقة وزيره كافور

تولى بعده اخوه علي الملقب بأبي الحسن الاخشيد وقام كافور بتدبير الدولة في أيامه كما كان في أيام أخيه

ثم توفي علي بن الاخشيد سنة (٣٥٥) بعد أن حكم خمس سنوات وشهرين ويومين

فاستقل كافور بمصر وكتب له أمير المؤمنين المطيع بعهده علي مصر والشام والحرمين وكناه العالي بالله . فلم يقبل كافور الكنية ولقب نفسه الاخشيدى واستوزر ابا الفضل جعفر بن الفرات . كان كافور جواداً ممدوحا صبورا كثير

الخشية لله والخوف منه . وكان يدارى المعز لدين الله الخليفة الفاطمي بالمغرب ويهاديه

ثم توفي كافور سنة (٣٥٧) بعد أن حكم سنتين وأربعة أشهر

فقام بالامر بعده احمد ابو الفوارس ابن علي بن محمد الاخشيد وكان سنه ١١ سنة فقام بتدبير أمره الحسن بن عمه عبدالله بن طغج . وكانت الدولة الفاطمية التي أقامت بالمغرب تتحين الفرص للسقوط علي مصر فلما ضعف أمر هذه الدولة رأى المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ان الفرصة سانحة لضرب ضربة قاضية يحتاز بها مصر فأرسل اليه جيشاً كثيفاً تحت قيادة قائده جوهر الصقلي فاستولي عليها سنة (٣٥٩) وما زال يقاتل الاخشيدية حتى أجلاهم عن مصر سنة (٣٦٢) وزال حكم الدولة الاخشيدية وتلتها الدولة الفاطمية

فاختط جوهر القاهرة ليجعلها مقر الخلافة الفاطمية وبنى الجامع الازهر وحضر المعز لدين الله الي القاهرة سنة (٣٦١) واتخذها عاصمة ملكه

ولما توفي سنة (٣٦٥) كما تقدم خلفه

ابنه العزيز الي سنة (٣٨٦) وكان أهل مكة خطبوا المعز ابيه فلما مات امتنعوا عن الخطبة له فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصرت مكة والمدينة وضيقت عليهما حتى خضعتا

وفي سنة (٣٨٦) خلفه ابنه الحاكم بأمر الله بن العزيز فأصيب كما يقال بمرض في عقله وأتي من الاعمال الجنونية بما لم ير ومثله التاريخ وظهر مذهب الدرازية فجاهر باتباعه فاحتقره الناس وكرهوه من افعاله الغريبة المخالفة للاصول الاسلامية كاضطهاده اليهود والنصارى والزامهم بحمل علامة تميزهم عن المسلمين وذلك بأن يحمل اليهود اذا دخل الحمام جرساً والنصراني صليبا من الخشب طوله ذراع في مثله ووزنه خمسة ارطال وان يكون مكشوفا ليراه الناس ومنعهم من ركوب الخيل وأباح لهم ركوب البغال والحمير علي سروج من الخشب والسيور السود وان لا يستخدموا مسلما وان لا يشتروا عبداً ولا امة فأسلم منهم عدد عديد هربا من هذه البدع

ثم امر مرة بترك صلاة التراويح وقتل كل من جاهر بها ثم عاد فأباحها ثم أمر بهدم كنيسة القيامة ثم عاد فأمر

ببنائها علي نفقته الخاصة وفتح عدة مدارس ورتب فيها العلماء ثم قتلهم واخربها وأمر الناس باغلاق محلات تجاراتهم نهاراً وفتحها ليلا ثم ابطل هذا الامر وأمر النساء بعدم الخروج من بيوتهن وامر بعدم أكل الملوخية . ثم ادعي الالوهية وفتح له سجلا يكتب فيه الذى يؤمن به اسمه فكان عدد من كتبوا اسماءهم سبعة عشر الفا

وفي سنة (٤١١) خرج يطوف ليلا في جبل المقطم كعادته فلم يعد فخرج أهل الدولة للبحث عنه فوجدوا حماره مقطوع الايدى ثم وجدوا ثيابه مزررة ومطعونة عدة طعنات بالسكاكين فأيقنوا بقتله قيل ان اخته ست الملك اوعزت الى أحد قواده ابن دواس بقتله فأرسل رجلين فقتلاه ثم امرت رجالها بقتل ذلك القائد فقتلوه

ولكن أصحابه الذين كانوا يتابعونه في مذهبه انكروا ولا يزالون ينكرون موته ويقولون انه اختفي في بستانه داخل سرداب وانه سوف يخرج في آخر الزمان وفي وادى التيم وجبل لبنان وغيرهما من بلاد الشام قوم يقال لهم الدروز لا يزالون

يعتقدون خروجه في آخر الزمان ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت ظلما (انظر دروز)

ثم تولي ابنه الظاهر لاعزاز دين الله من سنة (٤١١) الى (٤٢٧) وكان سنه لا يجاوز السبع سنين فقامت عمته ست الملك بتدبير المملكة الي ان توفيت بعد اربع سنين وكان يخطب باسمه في مصر والشام وافريقية وكان حسن السيرة عادلا الا أنه كان منهمكا علي اللذات

خلفه ابنه المستنصر بالله من سنة (٤٢٧) لى (٤٨٧)

في سنة (٤٣٤) ظهر بمصر رجل كان يشبه الحاكم بأمر الله فادعي انه هو فتبعه خلق كثير ممن يعتقدون برجوعه فقاتلهم رجال المستنصر حتى ابادوهم

وفي سنة (٤٤٤) عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب الفاطميين وانهم كاذبون في دعواهم الانتساب الي علي عليه السلام . ولكن هذا لم يمنع علي بن محمد من اقامة الخطبة للمستنصر بتلك البلاد

وكانت والدة المستنصر قد استولت علي السلطة بمصر فضعف امر الدولة وانقسم جيشها الذي كان يتألف من العبيد والترك الي حزبين فاجتمع الأتراك تحت قيادة ناصر الدولة بن حمدان وقاتلوا العبيد قتالا عنيفا وهزموهم واستولوا علي الحكم وقبض علي والدة المستنصر وعزم علي قطع الخطبة له والدعوة للعباسيين فعلم القائد التركي الدكز بقصده فقتله سنة (٤٦٥) وبقي الامر مضطربا بمصر الي سنة (٤٦٧) فاضطر المستنصر لاستدعاء بدر الجمالي وكان متوليا سواحل الشام وطلب اليه ارغام المشاغبين علي الطاعة فقتل الدكز والوزير ابن كنيدة وغيرهما فعادت مصر الي احسن ما كانت عليه من الخفض والنماء وبقيت مصر بعد ذلك عشرين سنة لم يحدث فيها ما يوجب الذكر

وفي سنة (٤٧٧) توفي قائد الجيوش بمصر بدر الجمالي وتولى الوزارة بعده ابنه شاهين شاه وتلقب بالافضل

ثم توفي المستنصر سنة (٤٨٧) وكان مدة خلافته ستين سنة

خلفه ابنه المستعلي بالله وكان المستنصر قد عهد بالخلافة من بعده لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع ابنه الثاني احمد ولقبه

بالمستعلي فهرب نزار الي الاسكندرية وتبعه أهلها وخطبوا له ولعنوا الافضل وسار الافضل اليهم بالاسكندرية فهزموه ثم أعاد الكرة وتغلب عليهم وأخذ المستعلي أخاه وبنى عليه حائطا فمات علي أشنع حالة .

وتوفي المستعلي سنة (٤٩٥)

خلفه ابنه الآمر بأحكام الله وكان عمره لا يجاوز الست سنين فقام بتدبير الملك أمير الجيوش الافضل وفي عهده خرجت الشام من حكمهم الى الصليبيين بعد حروب كثيرة ولم يبق لهم فيها الا عسقلان

وفي سنة (٥١١) خرج بدوان ملك الصليبيين لفتح مصر فبلغ تنيس فأدركه مرض فعاد بعسكره الي أورشليم وعكف الافضل علي اصلاح البلاد وأقام مرصداً بجوار المقطم ، فلما ثقلت وطأته علي الآمر بأحكام الله أمر بقتله فقتل سنة (٥١٥) فولي بعده عبد الله بن البطائحي ولقبه المأمون فصار أشد عليه من الافضل فقتله سنة (٥١٩) وصلبه

كان الآمر بأحكام الله سيء السيرة مولعاً باللهو لا يسمع بامرأة جميلة الا أحضرها وفي سنة (٥٢٤) خرج الي متنزه له فكمن له عشرة من الباطنية فقتلوه وعمره أربع وثلاثون سنة

وكان له شعر منه قوله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي
سوى الهي وله الفضل
جدي نبي وأمامي أبي
ومذهبي التوحيد والعدل

تولي بعده الحافظ لدين الله من سنة (٥٢٤) الي (٥٤٩) وكان كثير اللهو واللعب وكان نصير بن عباس الوزير من أخص ندمانه فتقول الناس في علاقتهما أقوالا كثيرة ، فاستدعي الوزير عباس ابنه نصيراً وأطلعه علي ما يقوله الناس وأغراه بقتل الحافظ ليمحو منه ما يتحدث به الناس فقتله سنة (٥٤٩) ولأجل أن يخفي الوزير جريمته عزى قتله لأخوي الظافر جبريل و يوسف وقتلهما ظلما

ثم أتي بابن الحافظ وهو أبو القاسم عيسى ولم يكن له الا خمس سنين فأجلسه علي سرير الملك وبايعه الناس بالخلافة ولقب الفائز بالله

فانفرد الوزير عباس بادارة الملك فلم يرق ذلك في أعين نساء القصر فكتبن الي طلائع بن رزيك وكان والياً علي منية

خصيب وأعمالها (مديرية المنيا) وأرسلن اليه بشعورهن علي الكتاب يستغثن به من عباس ومظالمه ويطلبن اليه القدوم الى القاهرة ليسلمن الامور اليه فسار طلايع بن زريك في جنوده قاصداً القاهرة فهرب الوزير العباس بأمواله وأهله الى الشام فلقيه الافرنج فقتلوه وغنموا مامعه

أما زريك فتولي الوزارة في القاهرة وتلقب بالملك الصالح

وفي سنة (٥٥٥) توفي الخليفة الفائز بالله وكانت البلاد قد وصلت في أيامه الي منتهي الضعف حتى انها كانت تدفع للصليبيين شبه جزية ليتنحوا عن غزو مصر

ثم ان الوزير طلايع بن زريك هم باختيار أحد كبار الفاطميين الخلافة فنهاه أصحابه قائلين لا يكن عباس أحزم منك اذ كان يولي الصغار ليخلوله الجو ، فاختار طلايع أبا محمد عبد الله بن يوسف ابن الحافظ وهو حينئذ غلام ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته . واستبد الوزير بالأمر وشتت شمل الاعيان في البلاد ليأمن شرهم فأغاظ ذلك كبار رجال الدولة وسواهم وكان من الناقمين عليه عمة العاضد فأغرت به بعض الرجال فوقفوا في دهليز القصر وأخذوا يطعنونه بالسكاكين حتى جرحوه جراحا بالغة فحمل الي قصره وأرسل الي العاضد يعاتبه علي ما حدث ويلقي عليه تبعته مع ما له من اليد في توليته الخلافة . فأرسل اليه العاضد يؤكد له بأنه لم يكن الآمر بما حصل وليس له به علم وأظهر له شديد الاسف علي ما كان. فأرسل اليه الوزير يقول ان كنت بريئاً مما جرى فأرسل الي عمتك لانتقم منها . فأرسلها اليه فقتلها ثم مات هو أيضاً بعد أيام وذلك سنة (٥٦٦) وكان شجاعا جواداً كريماً فاضلا ، شديد المغالاة في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد في الرد علي أهل العناد وهو يتضمن امامة علي ابن أبي طالب والكلام علي الاحاديث الواردة في ذلك

وله شعر كثير منه قوله يؤيد مذهبه :

يا أمة سلكت ضلالا بينا
حتى استوى اقرارها وجحودها
ملتم الي ان المعاصي لم يكن
الا بتقدير الاله وجودها

لو صح ذا كان الاله بزعمكم
منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا
ينهي عن الفحشاء ثم يريدها

مات الوزير طلايع بن زريك الملقب بالملك الصالح فعهد بالوزارة من بعده لابنه زريك وتلقب بالملك العادل

وكان الملك الصالح قد عين أحد رجاله واسمه شاور أعمال الصعيد فأحسن السيرة وأخذ بالحزم في الامور حتى اجتمعت القلوب علي حبه فلما رأى الملك الصالح ذلك عزم علي عزله ولكنه خاف من عاقبة الاقدام علي هذا الامر فتركه علي عمله . فلما تولي الوزارة ابنه الملك العادل أغراه بعضهم بعزله فعزله فلما وصل اليه الرسول بكتابه قبض عليه وسار بجنوده الي القاهرة فهرب الملك العادل ولكن تمكن شاور من القبض عليه وقتله سنة (٥٥٨)

ودخل شاور القاهرة فاستوزره الخليفة العاضد ولقبه بأمير الجيوش

وكان صاحب الباب شخص يقال له ضرغام طمع في الوزارة ونازع شاور فيها وساعده بعض مريديه فثار علي خصمه في شهر رمضان من السنة المذكورة واضطره لترك القاهرة والهرب الي الشام ملتجئاً الي السلطان نور الدين محمود بن زنكي. واستوزر العاضد ضرغاما ولقبه الملك المنصور

أما شاور فانه أخذ يحسن للسلطان نور الدين فتح مصر ويكشف له عن وجوه ضعفها ، ولكن السلطان كان يخشي بأس الافرنج في طريقه الي تلك البلاد فيقدم رجلا ويؤخر أخرى . وما زال به شاور حتى رضي بأن يرسل الي مصر جيشاً تحت قيادة قائده أسد الدين شيركوه. وكان مع هذا القائد يوسف بن أخيه نجم الدين (هو يوسف صلاح الدين رأس الدولة الايوبية) ولكنه كان صغير السن فسار هذا الجيش حتى وصل الى مدينة بلبيس. فلما علم الوزير ضرغام بقدوم جيش الشام أرسل أخاه ناصر الدين بالجيوش المصرية فانهزم وعاد الي القاهرة واستمد أسد الدين شيركوه في زحفه حتى بلغ القاهرة فخرج الوزير ضرغام من باب زويلة هاربا فتبعه الناس بالسب والشتم حتى قرب من مسجد السيدة نفيسة فأمسكوه هناك واحتزوا رأسه وبموته عادت الوزارة الي

شاور. وأقام أسد الدين شيركوه بعسكره خارج القاهرة

فلما استتب الامر لشاور لم يف بوعده للسلطان نور الدين وأرسل يطلب الي شيركوه العودة الي الشام فامتنع من اجابة طلبه وأخذ يذكره بإيمانه لنور الدين فلم يؤثر ذلك فيه . فلما رأى شيركوه هذه الخيانة زحف علي مديرية الشرقية فامتلكها كلها . وعمد شاور الي الاتحاد مع الافرنج علي دفعه عن مصر فلبى الافرنج هذه الدعوة بكل ارتياح لتحقيق مطامعهم القديمة في امتلاك مصر وحاصر الجميع شيركوه فلم يستطيعوا أن ينالوا منه شيئاً وكان السلطان نور الدين في هذه الاثناء يقاتل الافرنج بالشام وينتصر عليهم فاضطر الافرنج المقاتلون بمصر أن يرجعوا عن شيركوه وترك هو أيضاً مصر ورجع لمولاه فوجده منتصراً علي الافرنج فانضم اليه وافتتح معه عدة حصون

ثم أن شيركوه أخذ يحث السلطان نور الدين علي فتح مصر وما زال به حتى عينه لذلك سنة (٥٦٢) فلما علم شاور بقدومه استمد الافرنج فأمدوه أما شيركوه فما زال ينتصر علي كل من يقف في وجهه حتى وصل الي اطفيح ومنها عبر النيل الي البر الغربي واستولى علي الجيزة وكثير من بلاد الصعيد

ولما وصلت امداد الافرنج الي مصر اتحدت مع جنود شاور وقصدوا جميعاً الجيزة فعاد شيركوه من الصعيد ولقيهم جميعاً وهزمهم ثم تقدم الي مصر السفلي منتصراً حتى بلغ الاسكندرية وملكها وولاها يوسف صلاح الدين

ولكن الافرنج جاؤا بامداد كثيرة وقطعوا عليه خط الرجعة فاضطر شيركوه لمصالحتهم فسلم البلاد الى شاور وعاد الي الشام

فازدادت مطامع الافرنج بمصر فطلبوا من شاور أن يكون لهم قنصل بمصر وأن تكون مفاتيح أبواب القاهرة بأيديهم وأن يحمل اليهم جزية سنوية فقبل شاور ذلك ولكن الافرنج كانوا قد استقدموا جيشاً جراراً لامتلاك مصر نهائياً . فقدم ذلك الجيش ودخل مديرية الشرقية وحاصر بلبيس وافتتحها وذبح جميع من فيها . وعزم جيش الافرنج علي التقدم لفتح القاهرة . فكتب شاور يستنجد بالسلطان نور الدين فأنجده بشيركوه فجاء

مصر ثالث مرة

ولكن شاور خاف من قدوم شيركوه فاتحد مع الافرنج علي ان ينسحبوا في مقابل دفع مليون جنيه فانسحبوا فقابلهم شيركوه وهو قادم من الشام في بلبيس فقاتلهم حتى شردهم ودخل القاهرة وقابل الخليفة العاضد فأسر اليه قتل شاور . فأمر شيركوه ابن اخيه صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك بقتل شاور فترصدا له بطريق الامام الشافعي فقتلاه . فولى العاضد الوزارة لشيركوه ولقبه بالملك المنصور

لم يكد شيركوه يتم هذه الاعمال حتى توفي سنة (٥٦٤) فولي العاضد الوزارة لابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فابت الجيوش الشامية اعتباره وزيراً لصغر سنه فأرضاهم بالعطايا الجزيلة

ثم ظهر لصلاح الدين خصم اسمه مؤتمن الخلافة جوهر الخصي حدثته نفسه بخلع صلاح الدين فاتفق من جماعة من الاعيان والجنود المصرية وأرسلوا للافرنج يستقدمونهم وجعلوا الكتب في نعل حتى لا تضبط بالطريق وسار الرسول حتى وصل الي قرب بلبيس فاشتبه في امره . احد رجال صلاح الدين ففتشه فلم يجد معه غير ذلك النعل الجديد فشقه فوجد فيه تلك الكتب فأرسلها هي والرسول الي صلاح الدين فعلم من مقابلة خطوطها بمن كتبها ووقف علي جلية الامر فأغضى عن مؤتمن الخلافة مدة ثم أرصد له من قتله

وكان ممن ساعد مؤتمن الدولة كثير من زعماء الشيعة منهم العويرس وقاضي القضاة وعمارة اليمني الشاعر الزبيدي وكان متولي كبرها (أى انه كان اكبر زعماء هذه الفتنة) فاراد صلاح الدين ان يفتك بهم ولكنه ترقب الفرص الي ان اتاه أخوه طوران شاه وحكي له ان عمارة مدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضي الي اليمن ويحمله علي الاستبداد به وعرض في تلك القصيدة بالمقام النبوى تعريضا يؤاخذ عليه وهو قوله:

فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به
الي سواك وأور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت ولايته
كما يقول الورى لحماً علي وضم
وكان أول هذا الدين من رجل
سعى الي ان دعوه سيد الامم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم في يوم واحد واستعمل صلاح الدين علي القصر

خصيا له أبيض يقال له قراقوش

غضبت الجنود المصرية واكثرهم من السودان لقتل مؤتمن الدولة الخصي واجتمعوا خمسين الفا وقاتلوا جنود صلاح الدين بين القصرين وكادوا ينتصرون عليهم لولا شجاعة طوران شاه اخي صلاح الدين فانهزموا شر هزيمة ثم طلبوا الامان

ولما استتب الامر لصلاح الدين كتب اليه السلطان نور الدين بقطع الخطبة للفاطميين وجعلها باسم العباسيين فكتب اليه صلاح الدين يرجوه ارجاء هذا الامر الي حين . فكتب اليه نور الدين بوجوب الاسراع في ذلك فلم تسعه مخالفته وكان قد قدم الي مصر عالم فارسي اسمه الامير العالم الخبشاني فلما رأى أحجامهم وعدم تجاسرهم خوفا من الفتنة قال لهم انا ابتدىء بقطعها واخطب المستضيء العباسي . فلما كانت الجمعة الاولى من المحرم سنة (٥٦٧) صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للخليفة المستضيء فلم ينكر عليه أحد فأمر صلاح الدين في الجمعة الثانية جميع الخطباء أن يخطبوا باسم الخليفة العباسي . وكان الخليفة الفاطمي مريضا فلم يعلم بما حصل أحد وبقي جاهلا هذا الامر الي ان توفي في تلك السنة وبه انقرضت الدولة الفاطمية سنة (٥٦٤) .

لما توفي الخليفة الفاطمي العاضد استولي صلاح الدين علي قصره وصادر جميع ما به من الذخائر والاعلاق وأرسل نور الدين يبشر الخليفة العباسي بما حصل فأرسل الى نور الدين سيفين علامة الملك علي الشام ومصر وأرسل الي صلاح الدين خلعة ومعها الشعار العباسي الاسود فصارت مصر من ذلك الوقت تحت سلطة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين نائب عنه فيها

وكان في مصر أحزاب الفاطميين فلم يقووا علي احداث أى شغب لتغيير الحكم الجديد

وأحس نور الدين ان صلاح الدين يريد استخلاص مصر لنفسه والاستقلال بها فأمر بالشخوص الي الكرك لينجده علي الفرنج فأظهر صلاح الدين الامتثال ثم عاد فجأة موهما انه حدث ما يقتضي عودته وبانه أن نور الدين يقصد اخراجه من مصر بالقوة او القبض عليه فيها فجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم: « بلغنا ان نور الدين يقصدنا فما الرأى ؟ » فقال

عمر بن أخيه . « نقاتله ونقصده » فأنكر عليه أبوه هذا القول وقال له . « أنا أبوكم ولو رأيت نور الدين لنزلت وقبلت الارض بين يديه والرأى عندى أن نكتب الي نور الدين كتابا نقول فيه بلغني انك تريد الحركة الي هذه البلاد فأى حاجة الي هذا يرسل المولي نجابا يضع في رقبتي منديلا و يأخذني اليك وما هنا من يمتنع

ثم أخذ صلاح الدين ابنه في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ولكن اذا أظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية عند الله » فاتبع الولد نصيحة أبيه وكسر من حدته

فلما وصل كتاب صلاح الدين الى نور الدين سكن من غضبه وهدأ من غيظه وترك قصد مصر واهتم بالصليبيين كما كان

ولكن صلاح الدين كان لا يزال متخوفا من بطش نور الدين فاتفق مع أولاده وأهل دولته علي الحصول علي مملكة اخرى حتى اذا تمكن نور الدين من طردهم من مصر التجأوا اليها. فاستولوا علي اليمن لهذا القصد

ثم عاد الجفاء بين نور الدين وصلاح الدين حتى عزم نور الدين نهائيا علي فتح مصر ومعاقبة صلاح الدين فأدركه الموت قبل أن ينفذ عزمه سنة (٥٦٩)

قام بعد نور الدين ابنه الملك الصالح وعمره احدى عشرة سنة فأظهر صلاح الدين الطاعة له. ولكن قواده اختلفوا عليه لصغر سنه وذهب كل منهم بما في يده . واتفق أن شمس الدين بن الداية والي حلب أرسل يستدعي الملك الصالح اليه ليقيم بحلب فلبى الدعوة وأخذ معه كشتكين فعظم أمره (أمر كشتكين) وقبض علي شمس الدين وغيره وحبسهم واستبد بالامر فخافه ابن المقدم الذى كان واليا علي دمشق فاتفق مع غيره من الولاة وكاتبوا صلاح الدين ليتسلم الملك فسار اليهم صلاح الدين فاستقبلوه أحسن استقبال ونزل بدار أبيه ولكن القلعة أظهرت عليه العصيان فتسلمها بالمال .

ثم ترك صلاح الدين دمشق بعد أن استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغتكين وسار الي حمص فملكها ثم حماة فأخضعها ، ثم قصد حلبا سنة (٥٧٠) وبها الملك الصالح بن نور الدين فجمع

رعيته من اهل حلب وقال لهم : « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه يأخذ بلادي ولا يراقب الله ولا الخلق » وزاد علي هذا كثيراً و بكي فبكي الحاضرون وعاهدوه علي مكافحة صلاح الدين فكانوا يخرجون ويقاتلونه عند جبل جوشن ولا يستطيع القرب من المدينة

ثم ان الملك الصالح كاتب ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده علي صلاح الدين وكان صلاح الدين طلب حصار حلب وقصد حمص لرد الفرنج عنها ثم سار الي بعلبك فملكها . فلبى سيف الدين غازى دعوة ابن عمه الملك الصالح وأمده بجيش تحت قيادة اخيه عز الدين مسعود بن مودود ابن زنكي فوصل هذا الجيش الي حلب وانضم اليه جنود الملك الصالح وقصدوا صلاح الدين فأرسل هو يبذل للملك الصالح حمص وحماة علي ان تبقى له دمشق ويكون فيها نائباً من الملك الصالح فلم يجيبوه الي ماطلب وساروا الي قتاله فقابلهم عند قرون حماة فكسرهم وغنم اموالهم وتعقبهم حتي حصرهم في حلب

فقطع صلاح الدين الخطبة باسم الملك الصالح بن نور الدين وأزال اسمه من السكة واستبد بالسلطة فطلب اليه الملك الصالح ان يصالحه عن ان يكون له مابيده من الشام ويترك مابقي له فصالحه علي ذلك ورحل عن حلب. ولما وصل الي حماة وصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

وفي سنة (٥٧١) حاصر حلباً ثم طلب اليه أهلها الصلح فصالحهم وترك الملك الصالح قلعة عزاز وسبب ذلك ان الملك الصالح أخرج الي صلاح الدين اختا له صغيرة فلاطفها صلاح الدين وقال لها ماذا تريدين ؟ فقالت له قلعة عزاز . وكانوا قد لقنوها ذلك فسلمها اليهم ورحل عنهم الي مصر بعد أن دوّخ الشام واستخلف عليه اخاه توران شاه

وكان صلاح الدين قد سلم امور مصر عند ذهابه الي الشام لوزيره الامير بهاء الدين الاسدى الملقب بقراقوش وهو خصي قومي وامره باحداث المباني اللازمة لتقوية البلاد وعمارتها فأنفذ الوزير اشارته علي احسن مايكون ونظم الري فأتت الارض بمحاصيل عظيمة

وامر صلاح الدين بعد عودته وزيره ببناء قلعة الجبل وترميم سور القاهرة ففعل ولا تزال تلك القلعة موجودة الي اليوم

واتهم الاهالي الوزير بهاء الدين بالظلم والاستبداد بالرأى ولقبوه بقراقوش اى الطير الاسود وهو العقاب وينسب اليه العامة احكام تناقض المعقول يبعد صدورها منه لانه غير ان مثل صلاح الدين لايعتمد الا علي الرجال الاكفاء وخصوصا حين غيبته عن البلاد فلولم يعلم ان بهاء الدين هذا ملء مركزه لما ترك له البلاد وهى علي مقربة من عهد الانقلاب

فلما عاد صلاح الدين الي مصر غزا الفرنج انطاكية فسطا عليهم صلاح الدين في فلسطين فخرج من مصر سنة (٥٧٣) وسار الي عسقلان فنهبها وتفرق عسكره يغيرون ويغنمون من الفرنج واحرقوا الرملة واخربوا عمل الله فاشتد رعب الناس منهم

فلما بلغ ذلك ملك ارشليم خرج لصلاح الدين فقاتله وهزمه وغنم ما معه وعاد المصريون بلادهم مكسورين

وفي سنة (٥٧٥) سار صلاح الدين الى الشام وفتح حصنا كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحزان فدكه وعاد الي مصر

وفي سنة (٥٨٧) سار صلاح الدين من مصر لقتال الفرنج والسبب في ذلك ان الصالح بن نور الدين كان قد توفي واستخلف عز الدين ملك الموصل فنقض هذا المعاهدة التى كانت بين صلاح الدين والملك الصالح واستنجد الافرنج علي الاستيلاء علي بلاد صلاح الدين بالشام فأسرع صلاح الدين الى سورية فجاء حلبا وحصرها فسلمت اليه ثم استولي علي الرها ورقة ونصيبين وسروج والخابور وسنجار وحران وحاصر الموصل ثم تركها واستولي علي آمد بعد قتال عنيف ثم عاد الي دمشق فطار صيت صلاح الدين وصار له الحكم المطلق علي مصر والشام والجزيرة واليمن فكان لا يوجد في هذه البلاد الشاسعة من يخالفه الا الصليبيين وهم محصورون في وسط ملكه

وقد كان الفرنج مهادنين لصلاح الدين فتجارأ (رانود وشاتيبلون) والي الكرك وهو فرنجي علي خرق شروط الهدنة وهجم سنة (٥٨٣) علي قافلة

للمسلمين وغنمها وأسر رجالها
فأرسل اليه صلاح الدين يطلب اليه أن يرد اسرى المسلمين ويعطيهم ما أخذه منهم احتراما لشروط الهدنة فأبي فاعلن صلاح الدين انتقاض الهدنة وعزم علي اخراج الفرنج من سورية فأغار علي الكرك وارسل ابنه للاغارة علي عكا فغنما غنائم شتى . ثم تقدم صلاح الدين وحاصر طبرية وفتحها فزحف اليه الفرنج فخرج اليهم صلاح الدين من طبرية والتقى الجمعان في حطين فأحيط بجيش الفرنج وقتل اكثر فرسانه وأسر الملك جوفروا ملك اورشليم ورانود صاحب الكرك وغيرهما من الامراء

فلما انتهت الوقعة جلس صلاح الدين في خيمته والي جانبه جوفروا الملك الفرنج فأعطاه السلطان ماء مثلوجا فشرب ثم ناول جوفروا الكوب لرانود فشرب هو أيضا . فقال صلاح الدين للترجمان قل للملك : « انت الذى سقيت هذا أما أنا فما سقيته » يريد بذلك ان جوفروا آمن ولكن رانود غير آمن . وكان السلطان شديد الحنق علي رانود هذا لانه هو الذى خرق الهدنة فقام وضرب عنقه بنفسه فاضطرب الملك جوفروا عند ذلك وخشي علي نفسه فهدأ صلاح الدين روعه

ثم سار صلاح الدين الي عكا فصالحها فرنجها علي الخروج منها مع أخذ ما يقدرون عليه من أموالهم وتركوا الباقي وكان شيئاً كثيراً جداً

وفي مدة اقامة السلطان بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها فأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها

ثم ارسل السلطان عسكرا الي نابلس فأتي السامرة وبها قبر زكريا عليه السلام فأخذه من النصارى وسلمه للمسلمين

ثم سار الي تبنين فحاصرها وضايقها فأطلق أهلها الاسرى المسلمين الذين كانوا عندهم فلم يرض السلطان أن يتركهم علي ذلك بل ضايقهم حتى طلبوا الامان فأمنهم وسار الي صيدا واجتاز في طريقه علي صرفند فأخذها بلا قتال . وكان صاحب صيدا عند سماعه بمجيء صلاح الدين اخلاها فدخلها صلاح الدين

وسار منها الى بيروت فقاتله اهلها قتالا عنيفا وبينما هم يقاتلون اذ ضج الناس ضجة عظيمة وتساءلوا عن الخبر فقيل ان المسلمين اقتحموا المدينة من جهة أخرى فاتضح لهم ان الخبر مكذوب ولكن لم يمكن تسكين ثائر الناس فاضطر المحاربون لطلب الامان فأمنهم السلطان ثم ارسل سرية من رجاله الي جبيل من اعمال لبنان فتسلمتها

ولما هزم صلاح الدين الافرنج بطبرية ارسل يبشر اخاه الملك العادل بمصر ويأمره بالمسير الى بلاد الافرنج من جهة مصر فأسرع الي ذلك ونازل حصن مجدل وحصره وغنم مافيه وسار معه الى مدينة يافا فملكها عنوة ونهبها وقتل رجالها واسر نساءها وأتي بها من أنواع القسوة مالم يسمع بمثله

وكان صلاح الدين يهتم جداً بفتح عسقلان وبيت المقدس لانه اذا أخذهما لم يبق الفرنج ملجأ فسار قاصدا عسقلان فحاصرها وقاتلها حتى استولى عليها . ثم بعث سرية من جيشه الي غزة وبيت جبريل والنبرون فأخذوها بغير قتال

ثم جمع جنوده وقصد بيت المقدس فوصله في ١٥ رجب سنة (٥٨٣) وكان الفرنج قد أخذوا اهبتهم لقتاله فجمعوا رجالاتهم المعدودين وفرسانهم المقدمين وحصنوا بيت المقدس تحصينا عظيما فلما قدم صلاح الدين طوقها وأخذ يقذفها بالمجانيق حتى اشتد علي اهلها الكرب فطلبوا الامان فلم يقبل صلاح الدين وقال للرسول لا افعل بكم الا كما فعلتم بأهل هذا البلد حين ملكتموه

فلما رجع الرسول خرج الي صلاح الدين احد عظمائهم . وقال له اهل انا في المدينة خلق كثيرون فان لم تقبل ان تؤمننا عمدنا الى نسائنا واولادنا فقتلناهم وأحرقنا جميع مالنا ثم اخربنا الصخرة والمسجد الاقصي وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسرى المسلمين وعددهم خمسة آلاف اسير ثم نخرج اليكم مقاتلين مستميتين فلا يقتل الواحد منا حتى يقتل امثاله منكم فنعيش اعزاء أو نموت كراما

ففكر صلاح الدين في الامر واستشار اصحابه فأشاروا عليه باعطائهم الامان فأمنهم وعاد بيت المقدس الي المسلمين كما كان

فلما حدث هذا الحدث الجلل هاج الاوروبيون في أوربا وأخذ رجال الدين يشعلون في صدورهم نيران الحماسة فأرسلت أوروبا الى الشام جيشاً عرمرما لاستنقاذ بيت المقدس من صلاح الدين تحت قيادة ملك الانجليز ريشارد قلب الاسد وفيليب ملك فرنسا وفريدريك ملك المانيا فسار بعضهم براً وبعضهم بحراً الي ان نزلوا علي عكا سنة (٥٨٥) وحاصروها برا وبحرا الأن صلاح الدين تمكن من انجادها بعد قتال فتح لجيشه طريقا اليها ودامت الحرب سجالا حول عكا ثم صادفوا السلطان نفسه وحملوا علي قلب جيشه فأزالوه وأخذوا يقتلون جنوده الي أن بلغوا الي خيمة السلطان فقاتلهم حرس السلطان حتى قتلوا منهم نحو عشرة آلاف نسمة وانهزم بعض جنوده صلاح الدين فوصل بعضهم الي طبرية وبعضهم الي دمشق

ومرض السلطان بالقولنج فرحل من عكا الى الخروبة بأمر الاطباء فتمكن الفرنج من حصار عكا ثانية . ولما انقضى الشتاء عاد صلاح الدين من الخروبة وعادت نار الحرب تتأجج حول عكا واشتد الحال علي المحصورين وكان قد أصاب السلطان مرض اعجزه عن الحرب فطلب أهل عكا الامان فأجيبوا اليه وتسلم الافرنج عكا بعد حصارها نحو سنتين

بعد ان استقر الفرنج بعكا ساروا قاصدين يافا وصادفهم ٢٠٠ الف مقاتل من جنود الشام فدارت بين الجيشين رحا الحرب فانهزم جنود صلاح الدين هزيمة شنعاء واستولي الفرنج علي يافا ، ثم عزموا علي قصد بيت المقدس فقابلهم صلاح الدين فردهم عنه . فعقد الفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر تكون في خلالها أبواب بيت المقدس مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونه بالسلاح

فعزم صلاح الدين علي غزو آسيا الصغرى وأخذ مافيها للمسلمين وبلاد الروم وفتح القسطنطينية والتطرق من هنالك الي الفرنج في بلادهم . ولكنه أصيب بحمى شديدة قضت عليه سنة (٥٨٩)ه ودفن في قلعة دمشق وخلف سبعة عشر ذكراً و بنتا واحدة

من صفاته انه كان حسن الخلق صبورا علي مايكره كثير التغافل عن

ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه . وكان طاهر المجلس لايذكر احداً في مجلسه الا بالخير

لما توفي صلاح الدين كان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين فأخذ لنفسه دمشق والساحل وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم

وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولي عليها . وكان بحلب ابنه الظاهر غازي فاستولي عليها وعلي اعمالها واطاعه صاحب حماة . وكان الملك العادل اخو صلاح الدين بالكرك فامتنع فيه ولم يبايع لاحد من ولد اخيه فأرسل اليه الملك الافضل وهدده بالقتال ان لم يحضر لدمشق ويبايع له فقبل

فانقسمت الدولة الايوبية الى ثلاث دول : مصر وهي للعزيز ، ودمشق وهي للافضل ، وحلب وهي للظاهر

تولي مصر العزيز بن يوسف صلاح الدين من سنة (٥٨٩ الي ٥٩٥) وكان معه بمصر موالي ابيه وهم لايحبون الافضل فأغروا العزيز بانتزاع دمشق من يده فسار الى دمشق وحاصر أخاه فأرسل هذا الى عمه العادل واخيه الظاهر صاحب حلب وابن عمه المنصور صاحب حماة فساروا الى دمشق وأصلحوا بين الاخوين

وفي سنة (٥٩١) عاودت الملك العزيز فكرة فتح دمشق فسار اليها فانقلب عليه بعض جنوده فاضطر للرجوع . وكان الملك الافضل قد كتب لعمه العادل يستنجده فلما رجع العزيز الي مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل فنزلوا علي بلبيس فطلب الملك مناجزة حاميتها فنهاه عمه . وقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فنهاه عمه العادل ايضاً وقال له (مصر لك متى شئت) وكاتب الملك العزيز سراً أن يرسل القاضي الفاضل ليصلح بين الاخوين فأصلح بينهما وأقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الى دمشق

وفي سنة (٥٩٢) اتفق العزيز والعادل علي قصد دمشق واخذها من الافضل وتسليمها للعادل فتم ذلك وسار الافضل الي قلعة صرخد

في سنة (٥٩٣) اخذ الملك العادل يافا من الفرنج واخذ الفرنج بيروت من

المسلمين

وفي سنة (٥٩٥) توفي الملك العزيز صاحب مصر بعد ان ملك ست سنين الا شهرا

تولى بعده ابنه ناصر الدين محمد ولقب الملك المنصور ولكونه كان صغيراً لايجاوز سنه الثمان سنين استدعي رجال الدولة عمه الملك الافضل من الشام ليتولى الوصاية عليه . فأرسلوا اليه بقلعة صرخد فجاء مختفيا خوفاً من عمه الملك العادل الذي كان بدمشق

فلما استقر الافضل بمصر حسن له اخوه الملك الظاهر صاحب حلب ان يقاتل عمه الملك العادل و ينتزع دمشق فخرج الافضل قاصداً تلك المدينة وأنجده اخوه الظاهر ثم حدث بينهما شقاق ادى الي تركهما دمشق لصاحبها . فلما رأى العادل ذلك زحف علي ابن اخيه بمصر سنة (٥٩٦) وهزمه ففر الي الظاهر فتبعه اليها فطالب الافضل الصلح علي شرط ان يعطي ميافارقين وحاني وسميساط فأجابه العادل الى ذلك ولم يف له به ودخل العادل القاهرة وسافر الافضل الي صرخد

تولي مصر الملك العادل اخو صلاح الدين من سنة (٥٩١) الي (٩١٥) ه علي انه وصي علي الملك المنصور محمد بن العزيز ابن صلاح الدين ولكنه خلعه بعد مدة يسيرة وأعلن ملكيته

فاتفق الملك الافضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين علي مقاتلة عمهما واخذ مابيده فبدآ بحصار دمشق وكان عليها الملك المعظم بن العادل فأخذها وحدث بينهما اختلاف ادى الا تفرقهما فزحف عليهما الملك العادل فأخضعهما لحكمه وبذلك توحد ملك صلاح الدين بعد ان كان قد تقسم

وفي سنة (٥٩٩) ه قاتل الملك العادل الفرنج في حصن الاكراد وطرابلس وغيرهما فهزمهم وقتل منهم كثيرا

وفي سنة (٦٠٠) ه وصل كثير من الفرنج بحراً الى عكا قاصدين بيت المقدس فنهبوا كثيراً من بلاد المسلمين فخرج لهم الملك العادل من دمشق ونازلهم ثم تقررت هدنة بين الفريقين كان من شروطها اخذ الفرنج يافا والناصرة وغيرها ونصف البلد والرملة . ولما رجع الملك العادل الي مصر اغار الفرنج علي

حماة واخذوا منها غنائم كثيرة

وفي سنة (٦٠٣) سار الملك العادل من مصر الي الشام فنازل عكا فصالحه اهلها ثم وصل الى دمشق وكان الفرنج قد اكثروا الاغارة علي حمص فاستعان صاحبها اسد الدين شيركوه بالملك الظاهر فأنجده حتى وصل العادل واخذ في مكافحة الافرنج لي الشتاء فلبثه في دمشق

وفي سنة (٦١٤) وصلت امداد الفرنج الي عكا فقصد الملك العادل الرملة ومنها الي لد وقصده الفرنج من عكا فسار هو الي نابلس فسبقه الفرنج اليها فنزل علي بيسان فتقدم الفرنج اليه وكانت جنوده قليلة فلم ير ان يقاتلهم لكيلا تكون هزيمة . وتقدم الفرنج الي بيسان فأخذوا كل مافيها ونهبوا البلاد من بيسان الي بانياس ثم رجعوا الي عكا بعد ان غنموا شيئا كثيراً ثم جاؤا الى صور وقصدوا الشقيف ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الي عكا ثم نازلوا قلعة الطور علي رأس جبل بالقرب من عكا) ثم رجعوا عنها

أقام الفرنج بعكا الي سنة (٦١٥) وساروا بحراً الي دمياط وأرسوا بسواحلها والنيل بينهم و بينها وكان علي النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد الي النيل . فلما نزل الفرنج الي ذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط . و بعث الملك العادل الى ابنه الكامل بمصر ان يخرج في جنوده و يقف امامهم ففعل ونزل بالعادلية قريبا من دمياط . وألح الفرنج علي منارة ذلك البرج اربعة اشهر حتى ملكوه ووجدوا سبيلا الي دخول النيل ليتمكنوا من النزول علي دمياط . فبنى الكامل بدل السلاسل جسراً عظيما يمانع الداخلين الي النيل فقاتلوا عليه قتالا شديداً حتى قطعوه فأمر الكامل بمراكب مملوءة حجارة وخرقوها وأغرقوها وراء الجسر لتمنع المراكب من الدخول الى النيل فحول الافرنج مجرى النيل واصعدوا مراكبهم اليه

اشتد خوف العادل من نزول الافرنج الي دمياط فرحل من مرج الصفر قاصداً مصر فأدركه أجله سنة (٩١٥) ه وكان قد قسم البلاد في حياته بين أولاده

فكانت مصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما وليها للمعظم عيسى، وخلاط وما وليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى، والرها وميافارقين لشهاب الدين غازى وقلعة جعبر للخضر ارسلان شاه

فلما توفي العادل استقل كل منهم بعمله فتجزأت دولة صلاح الدين مرة ثانية

تولى الكامل بن العادل من سنة (٦١٥) الي (٦٣٥) هـ وكان الفرنج محاصرين لدمياط والحال في غاية الخطورة وفي تلك الاثناء ثار الامير عماد الدين بن المشطوب الكردى طالبا عزل الكامل وتولية الفائز. فترك الكامل جنوده ونزل الى اشمون طناح فلما علم جنده تركوا معسكرهم وتبعوه فانتهز الفرنج هذه الفرصة فنزلوا الي دمياط وضيقوا عليها الحصار حتى فتحوا المدينة فنهبوها. وفي هذه الاثناء وصل الملك المعظم عيسى نجدة لاخيه فطردا الامير عماد الدين ابن المشطوب الي الشام فاتصل بالملك الاشرف صاحب الجزيرة وصار من جنده

أما الفرنج فبعد أن ملكوا دمياط بثوا سراياهم الى ما جاورها من البلاد وشرعوا في تحصينها وسمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط فأخذوا يفدون اليها من كل فج. فنزل الملك الصالح أمام طلخا ليمنع الفرنج من التقدم الي داخلية البلاد وأقام معسكراً في محلة المنزلة وأمر بتحصين المعسكر ببناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق وصارت هذه المدينة تدعى بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الي انتصاره علي الفرنج هناك. وكتب الي أخيه الملك المعظم بدمشق والملك الاشرف بالجزيرة يستنجدهما ويحثهما علي الحضور بنفسيهما. وكان الملك الاشرف مشغولا عن نجدته بما أصاب بلاده من اختلاف الكلمة ولما استقامت له الامور سار هو وأخوه صاحب دمشق سنة (٦١٨) هـ الي مصر وكان الفرنج قد زحفوا من دمياط الي أن نزلوا أمام الملك الكامل وبينهما بحر اشمون وشنوا الحرب عليه. فقصد الملك المعظم دمياط رأساً ليقطع خط الرجعة علي الفرنج وزحف الكامل والاشرف الى الفرنج واشتد بينهم القتال فعرض الكامل عليهم أن

يسلمهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة وصيدا واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين الا الكرك علي ان يتركوا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاث مئة الف دينار عوضا عن تخريب اسوار بيت المقدس ليعمروه بها. فعادوا الي القتال وقطع المسلمون النيل فركب الماء أكثر الارض التي عليها الفرنج ولم يبق لهم جهة يمرون منها الا جهة ضيقة ونصب الكامل علي النيل جسوراً عبر المصريون عليها فملكوا الطريق الذى يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الي دمياط فانحصر الفرنج في تلك البقعة وندموا علي عدم قبولهم شروط الصلح ولما يئسوا من النجاة أحرقوا خيامهم وأثقالهم وزحفوا الى المصريين فحالت الاوحال دون ما يرغبون وقلت أقواتهم فراسلوا الكامل يطلبون الامان ليسلموه دمياط بلا عوض. وأقبل الملك المعظم الذى قطع الخط علي الفرنج فاشتدت قوة المصريين فتم الصلح بين الفريقين علي تسليم دمياط والرضاء من الغنيمة بالاياب وكان ذلك في سنة (٦١٨) هـ

وفي سنة (٦٢١) وصل الى الشام فريدريك الثاني ملك المانيا ونزل عكا واستولى علي كثير من مدن المسلمين المجاورة لبيت المقدس ولم يقدر الكامل علي دفعه فراسله وهو بغزة في الصلح واستقرت القاعدة بينهم عن ان يسلموا الي فريدريك بيت المقدس ومواضع أخرى علي أن تستمر اسواره خرابا فاستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم مالا يمكن وصفه

وكان الملك المعظم بن الملك العادل قد مات سنة (٦٢٤) وتولي بعده ابنه الملك الناصر فزحف عليه الكامل وأخذ منه دمشق وعوضه عنها الكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك واعطاها لاخيه الملك الاشرف

احس الملك الكامل سنة (٦٣٥) بزكام فدخل الحمام وسكب علي نفسه ماء شديد الحرارة فحدثت له حمى مات منها السنة المذكورة. وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة محبا الفضائل واهلها

خلفه ابنه العادل من سنة (٦٣٥) الي سنة (٦٣٧) هـ فقام بالملك سنتين

ثم حصره جماعة من المماليك بعد أن قبضوا عليه وأرسلوا الي الصالح أيوب ابن الكامل فسار هو والناصر داود الي مصر وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه

تولي الملك الصالح من سنة (٦٣٧) الي (٦٤٨) فأول عمل عمله ان قبض علي أيبك الاسمر وعلي غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا علي أخيه العادل وأودعهم السجون وشرع في بناء قلعة الجزيرة بمصر واتخذها مسكنا لنفسه

في سنة (٦٣٨) قدم الخوارزميون هاربين امام جنكيز خان ملك التتر الي سورية الشرقية فأرسل اليهم الملك الصالح وسلا ليعاهدهم علي قتال الفرنج وأمراء سورية الذين يوالونهم فأجاب الخوارزميون واخترقوا سورية الي ان بلغوا غزة فحاربوا الفرنج عند أسوارها وانجدهم الملك الصالح من جهة مصر فهزم الفرنج فتبعوهم حتي استولوا علي غزة وبيت المقدس باسم الملك الصالح ووصلت الاسرى والرؤوس الي مصر ودقت فيها طبول البشائر عدة ايام وذلك سنة (٦٤٢) ثم سارت جنود الكامل والخوارزميون الي دمشق ففتحوها وعرضوا علي صاحبها بعلبك و بصرى والسواد . ولم يف الملك الصالح الخوارزمية ما وعدهم به فانقلبوا عليه وساعدوا صاحب دمشق الذي انتزعوها منه وهو الصالح اسماعيل وانضم اليهم صاحب الكرك فحاصروا جميعا دمشق . فاتفق الملك الصالح صاحب مصر والملك المنصور صاحب حمص وأهل حلب علي قتال الخوارزمية وهم محاصرون لدمشق فحدث بين الفريقين قتال شديد انتهي بهزيمة الخوارزميين وقتل رئيسهم حسام الدين

وفي سنة (٦٤٧) وصل الملك لويز التاسع ملك فرنسا الى دمياط في جيش عظيم لامتلاكها . فأمدها الملك الصالح بجيش بقيادة فخر الدين بن الشيخ ليكون امام الفرنج بظاهر دمياط . فلما وصل الفرنج عبر فخر الدين من البر الغربي الي البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي وقاتلوا حامية دمياط وهزموها فهربوا وهرب الاهالي معهم وتركوا المدينة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا علي ما بها وعظم ذلك علي الملك الصالح وامر بشنق حامية دمياط المهزومة فشنقت

فن آخرها ووصل الملك الصالح الي المنصورة ونزل بها فاشتد عليه المرض فات سنة (٦٤٧) ﻫ

كان هذا الملك عالي الهمة طاهر اللسان كثير الصمت جم من المماليك مالم يجمعه غيره حتي كان اكثر عسكره مماليكه وجم منهم جماعة حول دهليزه سماهم البحرية

تولي بعده ابنه الملك المعظم توران شاه من سنة (٦٤٧) الي سنة (٦٤٨) ولم يكن حاضرا لما توفي ابوه بل كان علي حصن كيفا وكان للملك الصالح جارية محظية تدعي شجرة الدر ذات رأي بسياسة فكتمت وفاته وقالت لجمهور الامراء والاعيان: ان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه وقد عين الامير فخر الدين أتابكا لادارة الاحكام ، فقبل جميع الامراء هذا الامر بالطاعة ثم ارسلت هذه الاوامر الي القاهرة (لانه توفي في ساحة القتال بالمنصورة) فبايع جميع من فيها وكانت تبعث الرسائل مختومة بختم الملك الصالح فكان الجميع يظنون انها خطه . ثم أرسل فخر الدين قاصدا لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا وشاع موت السلطان ولكن لم يجسر أحد أن يتفوه بذلك

وتقدم الفرنج من دمياط المنصورة وكان الامير فخر الدين المذكور في الحمام بالمنصورة فركب مسرعا فصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه . ثم حمل المصريون والمماليك البحرية علي الفرنج فردوهم عن الزحف . ووصل الملك المعظم توران شاه الي المنصورة واشتد القتال بين المسلمين والفرنج برا وبحرا فدارت الدائرة علي الاخيرين وغنم المسلمون منهم ٣٢ مركبا وكان المسلمون قد قطعوا خط رجعتهم الى دمياط فانهزموا فتبعهم المصريون وقتلوا منهم عددا كبيرا يبلغ الثلاثين الفا وانحاز لويز ملك فرنسا وجماعة من قواده الي بلد هناك وطلبوا الامان فأمنهم الملك المعظم توران شاه وأحضروا الي المنصورة واعتقل الملك لويز في دار فخر الدين ووكل به الطواشي صبيح المعظمي ولم يزل معتقلا حتى فداه الفرنسيون بتسليم دمياط المسلمين

وكان الملك المعظم توران شاه قد أحضر معه من كيفا بعض مماليكه فتسلطوا علي مماليك أبيه وأقروا الملك

المعظم بقتلهم لاستبدادهم عليه فال الملك المعظم لتنفيذ أغراضهم فاجتمعوا علي قتاله وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذى تولي السلطنة المصرية في دولة المماليك فهرب الملك المعظم منهزما والتجأ الي برج من خشب كان هناك فأضرموا فيه النار فلما وصلت اليه رمي بنفسه الي الخليج فجاءوا اليه ورموه بالسهام وهو في الماء فمات غريقا جريحا

فلما قتل وقعت الفتنة بين الامراء وتنازعوا الملك فاستدركت شجرة الدر مملوكة الملك الصالح وحظيته الامر وطلبت الملك لنفسها فبايعها الجميع علي أن يكون عز الدين ايبك الصالحي قائداً عاماً للجنود وخطب باسم شجرة الدر علي المنابر وضربت السكة باسمها وسميت والدة خليل نسبة الى ابن كان لها اسمه خليل توفي صغيراً

أول عمل باشرته عقد الصلح مع الفرنسيين علي اطلاق سراح ملكهم لويز في مقابل نزولهم عن دمياط وذلك في ٣ صفر سنة (٦٤٨)

ولما استقر الامر لشجرة الدر بمصر أرسل الامراء المصريون الي الامراء الذين بدمشق في الخطبة لها فلم يجيبوا اليه بل كاتبوا الملك الناصر يوسف صاحب حلب فسار اليهم وملك دمشق واطاعته سورية كلها

فلما رأى المصريون ان الشام خرجت من يدهم لاستخفاف الناس بهم من تمليك امرأة قيادهم هموا باسقاطها فرأى عز الدين ايبك أن يتزوجها ويجلس علي سرير الملك مكانها ففعل وتلقب بالملك المعز ولكن لم يصف له الامر فان الامراء قرروا أن يسند الامر الي واحد من ذرية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاختاروا الملك الاشرف وهو ابن يوسف صاحب اليمن

تولي الملك الاشرف بن يوسف سنة (٦٤٨) فتوجس الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب من ذلك شراً فسار قاصداً مصر وصحبه كثير من أمراء الايوبيين فلما التقي العسكران بقرب العباسية انهزم المصريون ولكن حدث ان جماعة من مماليك الملك الناصر انحازوا الي المعز ايبك قائد المصريين فكر بهم علي الشاميين فهزمهم وأسر ايبك جماعة

من أمراء الايوبيين فقتل بعضهم وحبس البعض الآخر

وبقيت حالة الحرب بين المصريين والشوام حتى أرسل الخليفة العباسي فأصلح بينهم سنة (٦٥) علي أن يكون للمصريين نهر الاردن وللملك الناصر دمشق وحلب وما وراء ذلك

وكان المعز ايبك قائد الجنود وزوج شجرة الدر يطمح الى خلع الاشرف وتبوأ الملك . وكان اقطاى الجامدار من أمراء المماليك يدافعه عن ذلك فأرصد له المعز ايبك ثلاثة من المماليك البحرية فقتلوه فأغضب ذلك مماليك اقطاى فثاروا ثم لحقوا بصاحب دمشق

فخلع المعز ايبك الملك الاشرف ومنع الخطبة له فكان آخر أمراء بني أيوب بمصر وخطب للمعز ايبك . ولما وصل المماليك الناقمون علي المعز ايبك الي دمشق حسنوا لصاحبها أن يزحف علي مصر فسار وملك غزة وبرز ايبك وجنوده الي العباسية واسترابت من المماليك المعزية الذين كانوا انضموا في الواقعة السابقة بينه وبين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق فعاد هؤلاء وانضموا الى صاحبها

وترددت الرسل بين المعز وبين الناصر صاحب دمشق فاتفقوا علي أن تكون الحدود بين مصر والشام العريش

ثم أراد المعز ايبك سنة (٦٥٥) أن يتزوج بنت لؤلؤ صاحب الموصل فثارت الملكة شجرة الدر وقتلته في الحمام

فتولي بعده علي بن المعز ولقب بالمنصور فانتقم لابيه وقتل شجرة الدر

وفي سنة (٦٥٥) اتصل بالملك الصالح صاحب دمشق ان المماليك الذين كانوا مقيمين عنده بعد مقتل اقطاى الجامدار يريدون الفتك به فاستوحش منهم وأجلاهم عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الي الملك المغيث صاحب الكرك وأرسل صاحب دمشق عسكراً في أثرهم فانهزموا الى البلقاء ملتجئين الى صاحب الكرك فحسنوا له فتح مصر فزحف عليها بجنوده والمماليك معه حتى التقى بجيش المصريين بالعباسية فانهزم صاحب الكرك ومن معه وكان في جملة المماليك الذين حسنوا له فتح مصر بيبرس البندقدارى الذى صار بعد ذلك ملكا علي مصر . فعاد أولئك المماليك الي الكرك فلم يزل صاحب دمشق مرتاباً

منهم ومن صاحب الكرك فبعث اليهم عسكره من دمشق فظفروا به واستفحل أمرهم بالكرك . فسار الناصر اليهم بنفسه سنة (٦٥٧) ومعه صاحب حماة فحاصرا الكرك فأرسل صاحبها الي الناصر يطلب اليه الصلح فشرط عليه أن يحبس المماليك فأجاب الي شرطه واتصل الخبر الي بيبرس أميرهم فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر صاحب الشام

وفي هذه الاثناء قدمت عساكر التتار الي الشام وملكوها وهرب الناصر الي مصر أولا ثم الى بلاد العرب ثم حسن له أصحابه أن يقصد هولاكو ملك التتار فأقبل عليه ووعده برده الي ملكه وأبقاه عنده

فزحف صاحب مصر وهو يومئذ الملك المظفر قطز علي الشام لمقاتلة التتار فانهزموا وقتل قائدهم النائب عن هولاكو فأحضر هولاكو الناصر ولامه علي ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام فاعتذر الناصر له فلم يقبل عذره ورماه بسهم فقتله ثم قتل الظاهر والصالح بن الاشرف صاحب حمص فانقرض بذلك ملك بني أيوب من الشام كما انقرض

ملكهم من مصر وذلك سنة (٦٥٩) وحلت محلهم دولة المماليك البحرية

وقد قدمنا ان سبب اتصالهم بالملك أن الملك الصالح بن الكامل بن العادل الايوبي كان قد استكثر من المماليك وبنى لهم قلعة بين شعبتي النيل ازاء المقياس وسماهم لهذا السبب بالبحرية . فكانوا عصبة سلطانه ، ومادة قوته ، وخاصة قصره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير ورديفه فارس الدين قطاى الجامدار وركن الدين بيبرس البندقدارى ، ولما توفي الملك الصالح سنة (٦٤٧) وهو يحارب الفرنسيين بالمنصورة تحايلت حظيته شجرة الدر علي تولية ابنه توران شاه فقتله المماليك كما مر ثم اجتمع أمرهم علي تولية شجرة الدر فتزوجها رئيس المماليك عز الدين ايبك وخلعها وتملك بدلها من سنة (٦٤٨) الي (٦٥٥) ولم يصف له الامر فان كبير الايوبيين بالشام الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين يوسف بن ايوب وهو يومئذ صاحب حلب وحمص وما يليها طلب الامر لنفسه فبايعه أهل الشام وأغروه بأخذ مصر فسار

اليها . فلما بلغ المماليك الخبر أرادوا أن يحتالوا بتولية احد بني ايوب ليكفوا ألسنة الناس عنهم ويكون لهم الحكم في الحقيقة فبايعوا لموسي الذى كان ابوه يوسف أطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وعينوا المعز ايبك رئيس المماليك الذى كان تولي الملك وصيا عليه فلم تمنع هذه الحيلة الملك الناصر من التقدم الي مصر فبلغها هو واكثر امراء الايوبيين سنة (٦٤٨) فجمع المعز ايبك جنوده وخرج لقتالهم فالتقوا بالعباسية فانهزم المصريون اولا ثم كروا فهزموا أهل الشام ورجع ايبك الى مصر منصورا فاظهر فارس اقطاى من الشجاعة ما لا مثيل له وكان زعيما لحزب من المماليك الصالحيين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما زالوا حتى نالوا مطلوبهم فلم يرق ذلك في عين عز الدين ايبك فأضمر له السوء فاستدعاه اليه يوماً سنة (٦٥٢) للمشاورة وكان قد اكمن له ثلاثة من مواليه فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه فثار حزبه وقصدوا القلعة

وطلبوا زعيمهم فألقي اليهم عز الدين ايبك رأسه فارتابوا في الامر واجمع امراؤهم ركن الدين بيبرس البندقدارى وسيف الدين قلاوون الصالحي وسيف الدين سنقر الاشقر علي المهاجرة الى الشام فيمن ينضم اليهم من المماليك البحرية واختفي من تخلف منهم وصادر عز الدين ايبك اموالهم وذخائرهم . فلما تخلص منهم قبض علي الملك الاشرف وخلعه وسجنه وأمر بأن يخطب باسمه وكانت امرأته شجرة الدر لا تلد فاتخذ له السرارى فولدت له احداهن ولداً اسماه نور الدين علياً ثم عزم علي مصاهرة بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل فثارت زوجته شجرة الدر وأغرت جماعة من خصيانها علي قتله في الحمام سنة (٦٥٥)

تولي بعده ابنه نور الدين علي باجتماع كلمة امراء المماليك علي مبايعته فأمر بقتل شجرة الدر امرأة ابيه . وفي هذه الاثناء اخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة وتقدموا الي الشام فاستصغر امراء المماليك سلطانهم نور الدين علي لعدم ممارسته الحروب وتحققوا انه لصغر سنه غير كفء لمحاربة التتار فخلعوه سنة (٦٥٧) بعد أن حكم

سنتين فقط ولولا سيف الدين قطز المعزى مماليك المزابيك

المظفر سيف الدين قطز تولى من سنة (٦٥٣) الي سنة (٦٥٨) وكان معروفا بالشدة والصرامة والاقدام فتلقب بالمظفر فقبض علي نور الدين وقتله وكان التتار بعد استيلائهم علي بغداد قد تقدموا بقيادة هولاكوخان بن تولى خان وعبروا الفرات ووصلوا الي الشام فأهلكوا فيها الحرث والنسل وبهم انقرض بنو ايوب من الشام كما انقرضوا من مصر ولما ضاق الحال بأهل الشام كتبوا الي السلطان المصرى سيف الدين قطز يستنجدونه وفي هذه الاثناء وصل الى قطز أيضاً رسالة من هولاكو يدعوه الى الخضوع فلم يكن من قطز الا أن ضرب اعناق رسل هولاكو ونهض علي رأس جيشه الي الشام لمقاتلة التتار وتقدم كتبغا قائد التتار لقائه فالتقيا بالغور علي عين جالوت فاقتتلا قتالا عنيفا انهزم بعده التتار هزيمة شنيعة وقتل قائدهم وتتبعهم المصريون فأفنوهم وهرب من بقي منهم الي المشرق

وأرسل السلطان قطز بيبرس البندقدارى وراءهم لطردهم من البلاد كلها فأظهر بيبرس من المقدرة والشجاعة ماجعل السلطان يتنازل له عن حلب ثم لم يف السلطان بما وعد فأضمر له بيبرس الشر ثم اتفق مع بعض الامراء علي قتله فقتلوه سنة (٦٠٨)

تولي بعده بيبرس من سنة (٦٥٨) الي (٦٧٦) هـ فلقبوه بالظاهر فأزال ما كان أحدثه سلفه من المكوس. ولما علم علم الدين سنقر بقتل قطز أعلن استقلاله بالشام فأرسل اليه الملك الظاهر استاذه علاء الدين البندقدارى فهزمه وأمسكه واحضره الي مصر فامتثله الظاهر

وفي سنة (٦٦٠) قدم الي مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمه احمد شهدوا انه ابن الظاهر محمد ابن الخليفة الناصر العباسي فيكون عم المستعصم آخر خلفاء بنى العباس الذى قتله التتار سنة (٦٥٦) فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيه أكابر الرجال والعلماء وأثبت القاضي نسب احمد المذكور وبايعه الملك والناس بالخلافة ولقب المستنصر بالله فأصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلافة العباسية الا أنه لم يكن لهم من الامر شيء فقد كانوا ممثلين الخلافة

الصورية ليس الا وكانوا يلقبون بالائمة

ثم اراد الملك الظاهر بيبرس أن يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين من يد التتار فأنفق أموالا طائلة في اعداد المعدات الحربية ثم نهض الي بغداد ومعه الخليفة المستنصر بالله فلما وصلوا دمشق عاد بيبرس الي مصر وتقدم المستنصر بالله قاصداً بغداد وقبل أن يصل اليها وصل اليه التتار فقاتلوه وقتلوه هو واكثر جيشه ولم تكن خلافته غير نحو خمسة اشهر

وكان بحلب رجل من العباسيين هو احمد ابو العباس بن علي هاجر اليها مختفيا من بغداد فاستقدمه الملك الظاهر الي مصر وبويع له بالخلافة ولقب الحاكم بامر الله

وكان الفرنج لا يزالون مالكين لكثير من بلاد فلسطين فعزم بيبرس علي اخراجهم منها وتجهز للسير لقتالهم ونهض سنة (٦٦٣) هـ من مصر ونازل قيصرية وفتحها وهدمها ثم سار الي أرسوف ففتحها وعاد الي مصر. ثم عاد الي الشام ثانية ففتح جيشه العليقات وحلبا وعرقا ونزل هو علي صفد وضيق على اهلها الخناق ثم فتحها بالامان وقتل أهلها عن آخرهم

ثم وجه جيشه الي الارمن فوصل الي بلاد سيس فانتصر على صاحبها وغنم منها مغانم شتى وعاد الظاهر الي مصر

وفي سنة (٦٦٨) عاد الظاهر الي الشام واغار علي عكا فرأى أنها لاتنال فتوجه الي دمشق ثم حماة وجهز عسكراً الي بلاد طائفة الاسماعلية فأخذوا مصياف وعاد الى دمشق ومنها الى مصر

وفي سنة (٦٦٩) رجع الملك الظاهر الي الشام فنازل حصن الاكراد وكان للفرنج وملكه ثم تسلم قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيلية. ثم جهز اسطولا لغزو قبرس فتحطم وأسر الفرنج من كان فيه من المصريين فلم يثن ذلك همة بيبرس بل أمر بانشاء اسطول آخر للاخذ بالثار ولكنه مات قبل أن يتم ما عزم عليه سنة (٦٧٦) وكان بدمشق ودفن فيها قرب الجامع الاموى وكتم مملوكه بدر الدين بيلي باى المعروف بالخازندار موته وارتحل بالجيش ومعهم المحفة مظهراً أن الملك فيها وأنه مريض ولما وصل بدر

الدين الي القاهرة أعلن موته وبايع لابنه بركة خان . وكانت مدة بيبرس نحو ١٧ سنة

تولي بعده ابنه السعيد بركة خان من سنة (٦٧٦) الى (٦٧٨) فقام بتدبير ملكه مملوك أبيه بيلي باى فسعدت البلاد في أيامه الا ان مدته لم تطل فات وكان السعيد يكره الامراء ويتهمهم بأنهم قتلوا بيلي باى ثم اختار لوظيفة الاتابكية اى الوزارة آق سنقر فلم يلبث معه الايسيرا حتى أمر بخنقه فلم يجسر احد من أمراء المماليك أن يتولوا هذا المنصب واضمروا السعيد الشر

وفي سنة (٦٧٧) سار الملك السعيد من مصر الي الشام فلما وصل الي دمشق أرسل بعض جيشه بقيادة الامير سيف الدين قلاوون للاغارة علي سيس بلاد الارمن فشنوا الغارة عليهم وعادوا منها بالغنائم ، وأجمعوا علي الثورة ضد الملك السعيد وخلعه ومروا علي دمشق ولم يدخلوها فأرسل اليهم الملك السعيد يستعطفهم ودخل عليهم مع والدته فلم يأبهوا به وتابعوا مسيرهم الى مصر فسبقهم اليها الملك ودخل القلعة وتحصن بها فأخذ من معه يتركونه و ينضمون الثائرين فأدرك سوء مصيره فاطاعهم علي الانخلاع علي أن يعطي الكرك بالشام فاعطيها فذهب اليها

ثم اتفق اكابر المماليك علي اقامة أخيه سلامش ملكا فبايعوه ولقبوه الملك العادل وكان عمره اذذاك سبع سنين وشهوراً واختاروه بهذا السن ليكون الامر لهم واقاموا الامير سيف الدين قلاوون الالفي وصيا عليه . ثم اجمع الامراء علي خلعه وأرسلوه الى الكرك منفيا

تولي بعده سيف الدين قلاوون من سنة (٦٧٨) الى سنة (٦٨٩) ولقب المنصور فلما علم بذلك سنقر الاشقر الذى كان قلاوون ارسله واليا علي الشام أيام كان وصيا اعلن الاستقلال وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر فجهز له الملك المنصور قلاوون جيشا بقيادة علم الدين سنقر الحلبي فبرز اليه سنقر الاشقر فانهزم وهرب الى الرحبة وكاتب ابغا بن هولاكو التتارى يطمعه في ملك الشام وسار فاستولي علي صهيون وبرزية والشغر و بكاس وعطار وشيزر وفامية

فسار قلاوون من مصر حتى وصل الي غزة قاصداً دفع التتار عن البلاد وكانوا قد وصلوا الى حلب فعاثوا فيها فساداً ثم عادوا الي بلادهم فعاد قلاوون الى مصر

وفي سنة (٦٨٠) سار قلاوون الي الشام لاصلاح أحوالها فبلغه ان ابغاخان ابن هولاكو سلطان التتار يقصد الاغارة علي الشام فلبث حتى وافاه جيش التتار بقيادة منكوتمر بن هولاكو فالتقي الفريقان في ظاهر حمص وحصل قتال عنيف انتصر فيه المصريون انتصاراً باهراً فانهزم منكوتمر وكان ابغاخان أخوه يحاصر الرحبة فتبعه في الهزيمة

وفي سنة (٦٨١) توفي ابغاخان بن هولاكو وتولي الملك بعده تكدار بن هولاكو فأسلم وتسمي احمد وأرسل الى الملك قلاوون يعلمه بذلك

وفي سنة (٦٨٤) استولي علي حصن المرقب بالشام وكان للفرنج

وفي سنة (٦٨٦) جهز جيشاً مع نائب سلطنته بالشام حسام الدين طرنطاى وأمرهم بالمسير الي قلعة صهيون وكان صاحبها حينئذ سنقر الاشقر كامر فاضطر سنقر لتسليمها شارطا الامان وسار حسام الدين طرنطاى الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج فحصره وتسلمه بالامان وهدمه ولما وصل سنقر الاشقر الي مصر أمنه السلطان وعفا عنه

وفي سنة (٦٨٨) خرج الملك المنصور قلاوون الي الشام ونازل طرابلس وكانت بيد الفرنج ففتحها ولم ينج من اهلها الا النزر اليسير

ثم عاد الملك المنصور الي مصر وأخذ يتجهز لفتح عكا ولكن المنية أدركته فمات سنة (٦٨٩) بعد أن ملك احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر

تولي بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل ففوض نيابة السلطنة الي بدر الدين بيدرا وأراد تتميم مقصد أبيه من فتح عكا فشخص الي الشام ونازل حصن الاكراد وفتحه ثم سار الي عكا وحاصرها ثم افتتحها عنوة وقتل من كان فيها من الفرنج وغنم غنائم لاتحصي. فاضطر الفرنج بعد سقوط عكا ان يخلوا صيدا وبيروت وصور بلا قتال وذلك سنة (٦٩)

ثم توجه الملك الاشرف سنة (٦٩١) الي قلعة الروم وهي حصن حصين علي

جانب الفرات ففتحها وغنم غنائم عظيمة واستناب عنه بالشام عز الدين ايبك الحوى وعزل علم الدين ايبك الشجاعي وكذلك عزل قرا سنقر نائب السلطنة بحلب واستصحبه وولى مكانه سيف الدين بيلي باى . وعند وصوله الي مصر قبض علي سنقر الاشقر وآخرين من أمراء المماليك ولم يعلم عنهم بعد ذلك شيء

وفي سنة (٦٩٣) ركب الصيد في نفر يسير من أصحابه فقصده بعض أمراء المماليك بينهم بيدرا ولاجين وقراسنقر فابتدره بيدرا بطعنا في كتفه ثم أردفها لاجين بأخرى فوقع الملك قتيلا وتركوه ملقي علي الارض فحمله ايدمر الفخرى الي القاهرة واليه ينسب الخان المشهور بالقاهرة بخان الخليل أو الخان الخليلي وكان في مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبناه علي أنقاضها

تولي مكانه بيدرا وتلقب بالملك القاهر ولكنه لم يستقر في الملك غير يوم واحد فان مماليك الملك الاشرف قاتلوه ومن معه فتغلبوا عليهم فانهزم بيدرا وتفرق عنه أصحابه فأدركه خصومه وقتلوه ورفعوا رأسه علي رمح واستتر لاجين وقراسنقر

فاتفق أمراء السلطنة علي تولية محمد ابن قلاوون أخي الملك الاشرف فولوه ولقبوه بالملك الناصر وسنه لا يزيد عن ٩ سنين وعينوا الامير زين الدين كتبغا وصياً عليه. أما لاجين وقراسنقر فأقطعها كتبغا الاقطاعات العظيمة ليكونوا عوناً له عند طلبه الملك. فانه سنة (٦٩٤) اعتقل الملك الناصر بقلعة الجبل وأعلن خلعه وتولية نفسه

جلس كتبغا علي سرير الملك ولقب نفسه الملك العادل وجعل لاجين نائباً وفي عهده حدث قحط عظيم حتى أكل الناس الميتة والقطاط

وفي سنة (٦٩٦) خرج الملك العادل من دمشق متوجها الي مصر فلما وصل الي نهر العوجا باغته نائبه لاجين محاربا ففر كتبغا راجعاً الي دمشق ولم يجد من يأخذ بناصره فاضطر لخلع نفسه وطلب الي خصمه لاجين أن يعطيه ملكا يأوى اليه فأعطاه صرخد

تولي بعده لاجين من سنة (٦٩٦) الي (٦٩٨) ولكن بعد أن أخذ عليه

المماليك شروطا منها ان لا يستبد برأى دونهم وان لا يسلط مماليكه عليهم فأجابهم الي ذلك ولقب بالملك المنصور وأرسل الي دمشق سيف الدين قبجق المنصورى

وفي سنه (٦٩٧) اغار الغارة علي بلاد سيس الارمنية وعاد بغنائم شتى ثم أمر لاجين بعمل غارة ثانية فخاف ملك الارمن فأرسل اليه يطلب الصلح فشرط عليه أن يكون الحد الفاصل بين ملك مصر وملك الارمن نهر جيحون وأن يكون للمصر بين كل مادونه من المدن والقرى والحصون فأجابهم ملك الارمن الى ذلك فكان من ذلك ما لا يحصي من الثروة

وفي سنة (٦٩٨) وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه وهو يلعب الشطرنج

بعد مقتل لاجين اتفق الامراء علي احضار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك واسناد السلطنة اليه ثانية فأحسن السياسه واجاد التدبير

في سنة (٦٩٩) خرج قازان بن ارغون ملك التتار بجيش كثيف فعبر الفرات ووصل الي حلب ثم سار الي حماة ونزل الي وادى مجمع المروج بين حمص وحماة وبلغ الملك الناصر ذلك فنهض له ولقيه في شرق حمص فحدث قتال شديد انهزم فيه المصريون شر هزيمة وتبعهم التتار حتى غزة والقدس و بلاد الكرك وأخذوا منهم غنائم كثيرة

ثم أعاد الملك الناصر تنظيم جيشه وزحف به علي التتار فأجلاهم عن الشام بعد أن هزمهم هزيمة شنيعة

وفي سنة (٧٠٢) حدث زلزال هائل بمصر والشام فأخرب بلادا كثيرة وخرجت المياه من عيونها في باطن الارض فأغرقت خلقا كثيراً

في زمن هذا الملك استبد سلار نائب السلطنة و بيبرس الجاشنكير بالامر حتى لم يبق للملك الناصر غير الاسم فأظهر انه ينوى الحج فلما انتهى الي الكرك أمر الامراء الذين حضروا معه بالانصراف وكشف لهم انه جعل قصد الحج وسيلة للمقام بالكرك

فاتفق الامراء علي تعيين بيبرس الجاشنكير من سنة (٧٠٨ الي ٧٠٩) فاستمر سلار نائباً للسلطنة فتلقب بيبرس بالملك المظفر ركن الدين . ولكن لم يكن أمراء المماليك مخلصين له فأخذوا

يستميلون الناس سراً الي الملك الناصر قلاوون المخلوع حتى كثرت احزابهم فلما تحققوا من نفسهم القوة ساروا الي الكرك وأعلموا الملك الناصر بما عليه الناس من طاعته ومحبته فلما تأكد الملك من صدقهم سار الي دمشق واستولي عليها ثم بدأ بتجهيز الجيش المسير الي مصر وأخرج بيبرس منها ثم سار حتى وصل الى غزة فاضطر بيبرس ان يخلع نفسه وطلب الامان وان يعطي الكرك او حماة أو صهيون فال الملك لاعطائه صهيون ولكن بيبرس عاوده الطمع فهرب الى الوجه القبلي طامعا في الاستيلاء عليه فأرسل الناصر من أسره واعتقله وكانت مدة السلطان بيبرس أحد عشر شهراً

عاد الملك الناصر محمد قلاوون وتولى السلطنة من سنة (٧٠٩) الي (٧٤١) وكانت هذه المرة الثالثة فلم يحدث في أيامه فتن ولا حروب فصرف جل اهتمامه لتحسين حال الزراع والصناع فراجت التجارة في مدته واغتنى الناس وكثرت المحصولات حتى بيع أردب القمح بخمسة دراهم واردب الشعير بثلاثة دراهم واستمر الحال علي ذلك الي أن توفي بعد أن صفا له الجو ٣٣ سنة

تولي بعده ابنه المنصور ابو بكر بن محمد من سنة (٧٤١) الي (٧٤٢) ه وتلقب بالملك المنصور وقام قوصون وزير ابيه بتدبير مملكته . ولكن لم يكن الملك المنصور أهلا للملك فنزع الى لذاته وشهواته وصار يمشي في طرق المدينة متنكراً مخالطا السوقة فخلعه قوصون بعد أن ملك سبعة وخمسين يوما

تولي بعده الاشرف علاء الدين كجك ابن محمد قلاوون وهو اخو المتقدم ولاه قوصون واستبد عليه فلما بلغ أمراء المماليك بالشام استبداد قوصون بايعوا احمد بن الملك الناصر اخي ابي بكر وكجك وكان مقيما بالكرك لان أباه كان قد ولاه عليها فكاتبوا طشتمر نائب حمص وخضر نائب حلب وحرضاه علي طلب الملك ، و بلغ الخبر قوصون فأرسل قطلوبغا الفخرى بالجنود لمحاصرة الكرك وكتب الي طنبغا الصالحى نائب دمشق المسير في عساكره للقبض علي طشتمر وخضر وكان قطلوبغا في نفسه شيء من قوصون لاستبداده فلما خرج بالجنود من مصر

بعث بيعته الي احمد بن الملك الناصر بالكرك وسار الي الشام يستدعي الناس لمبايعة احمد المذكور فاستولى قطلوبغا علي الشام كله بدعوة أحمد وبعث الي الامراء بمصر فأجابوه وهاجوا الاسماعلان قوصون فهجموا علي داره واقتحموا القلعة وقبضوا عليه وحبسوه بالاسكندرية فمات في الحبس . وخلفه الاشرف علاء الدين كجك بن محمد

تولي بعده الناصر شهاب الدين أحمد ابن محمد من سنة (٧٤٢ الي ٧٤٣) ه اذ قدم من الكرك ومعه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب وقطلوبغا الفخرى فاستولى علي الملك ولقب الملك الناصر وولي طشتمر نيابة السلطنة وبعث قطلوبغا الفخرى الي دمشق وقبض علي أخضر والي حلب وولي عليها مكانه ايدغمش و بلغ الخبر الى قطلوبغا الفخرى قبل وصوله الي دمشق فعدل الي حلب وقبض علي ايدغمش وبعث به الي مصر فاعتقله السلطان واعتقل معه طشتمر نائب السلطنة لارتيابه فيه فاستوحش الامراء من السلطنة وارتاب هو في اخلاصهم فرحل الي الكرك بعد ثلاثة أشهر من بيعته وأخذ معه طشتمر وأيدغمش معتقلين وبعث اليه امراء المماليك بالرجوع فامتنع وقال « هذه مملكتى (أى الكرك) أنزل من بلادها حيث شئت » ثم عهد الي طشتمر وأيدغمش فقتلهما فعين المماليك مكانه أخاه اسماعيل

تولى اسماعيل بن محمد ولقب الملك الصالح من سنة (٧٤٣ الى ٧٤٦) ه فولى نيابة السلطنة لآق سنقر السلاوى وأرسل الجنود الي الكرك للقبض علي أخيه فيها وهو الملك الناصر المخلوع فحدثت وقائع كثيرة قتل فيها الملك الناصر

استبد الملك الصالح بالملك وقبض علي نائبه آق سنقر واعتقله بالاسكندرية وقتله وولي مكانه انجاح الملك . ثم توفي سنة (٧٤٦) ه

تولي بعده الكامل زين الدين شعبان بن محمد من سنة (٧٤٦ الي ٧٤٧) وهو أخو المتقدم ولقب بالملك الكامل فجعل نيابة السلطان لارغون العلاوى وأرسل انجاح الملك ليكون نائبا بصفد ثم استرده من طريقة وبعثه معتقلا الي دمشق حتى توفي في معتقله ثم أطلق الملك الكامل يده بالعسف في أمراء المماليك

خوفاً من أن يتألبوا عليه ، ولكن ذلك دعاهم الي التآمر عليه فانتقض عليه طنبغا اليحياوى نائبه بدمشق وقام علي رأس جيش لمحاربته فساق الملك الكامل الجنود الي الشام واعتقل حاجي وحسينا أخويه بالقلعة وثار الامراء بمصر وركبوا الي قبة النصر فركب السلطان اليهم في مواليه واقتتلوا فقتل ارغون العلاوى نائبه فرجع السلطان الي القلعة منهزماً ودخل من باب السر مختفياً وقصد محبس أخويه ليقتلهما فحال الخدم بينه و بينهما وأغلقوا الابواب ودخل الامراء القلعة من بعده فأخرجوا حاجي أخا السلطان من معتقله وبايعوه وقبضوا علي الكامل واعتقلوه ثم قتلوه في اليوم الثاني وكان ملكه سنة وشهراً

تولي المظفر زين الدين حاجي بن محمد من سنة (٧٤٧) الي (٧٤٨) ھ وهو السادس من أبناء محمد بن قلاوون الذين تولوا الملك من بعده . فعهد المظفر بنيابة الملك الى أرغون شاه والحجازى وولى طشتمر الاحمدى النيابة بحلب والصلاحي النيابة بحمص ولم يكن المظفر أقل استبداداً من أخيه الكامل فقبض علي نائبه الحجازى والناصرى وقتلهما وأرسل ارغون شاه نائبه الى صفدلينوب عنه بها فاستوحش منه الامراء وانتقض عليه اليحياوى نائب دمشق وتبعه نواب الشام في الخلاف وبلغ الخبر الي مصر فتواعد الامراء بهما الوثوب علي المظفر ونما الخبر اليه فاستدعاهم من الغد وقبض عليهم وقتل بعضهم واعتقل الآخرين وبعث بعضهم الي الشام فقتلوا بالطريق وكان عددهم خمسة عشر فولي من غده بدلهم . وكان المظفر قد أرسل بعض خاصته لدمشق ليستطلع أمر اليحياوى فحمل الناس علي قتله فقتلوه فاستفحل الامر للمظفر ثم تجددت الثورة بمصر وخرج الامراء الي قبة النصر فركب المظفر في مواليه لقتالهم : ولما تورط في الزحف اليهم أسلمه من كان معه الى الامراء المخالفين له فقتلوه علي تربة أمه خارج القلعة وكان ملكه سنة وثلاثة أشهر

***

تولي بعده الناصر حسن بن محمد من سنة (٧٤٨ الي ٧٥٢) ھ كان صابح

الاخوة أولاد محمد بن قلاوون . لقب الملك الناصر وقام بيقاروس القاسمي بأمر دولته ثم شرع في العسف فعزل امراء واستعمل غيرهم وقتل ونفي كثيرين منهم وقبض أخيراً علي نائبه بيقاروس واعتقله واستعمل بدله الامير طاز . فأغرى طاز هذا بقية الامراء علي خلع الناصر ففعلوا

تولى بعده الصالح صلاح الدين بن محمد من سنة (٧٥٢ الى ٧٥٥) ھ وهو ثامن الاخوة من أولاد قلاوون فثارت بينه و بين الامراء فتن أدت الي القتال فانتصر عليهم . وفي أيامه كثر فساد العربان في الصعيد فجرد عليهم الامير شيخو فقاتلهم وأبادهم . وامر ان تكون عمائم اليهود والنصارى دون عشرة أذرع وأن يمنعوا من تولي الامور بالدواوين وان لايدخل واحد منهم الحمام الا بصليب في رقبته وأن لا يدخل نساؤهم مع نساء المسلمين وان تكون ازر النصارى زرقاء واليهود صفراء . فكان نتيجة هذا الجنون ان كرهه الامراء فدخلوا عليه وخلعوه وأعادوا الناصر حسن بن محمد ثانية من سنة (٧٥٥) الى ٧٦٢ ھ فعزل وولي الامراء واستبد شيخو بالدولة وكان سرغتمش رديفه في الولاية الى ان وثب يوما بعض الموالي علي شيخو في مجلس السلطان وضربه بالسيف ثلاثا فأصاب رأسه ووجهه وذراعيه فأمر السلطان بقتل المملوك الذى ضربه . ثم مات شيخو وهو أول من سمي بالامير الكبير واستقل رديفه سرغتمش بتدبير مهام الملك الي ان نقم عليه الملك فقبض عليه وعلي جمهور من الامراء واعتقلهم بالاسكندرية واستبد برأيه في الملك وكان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم في داره ويفاوضهم في المسائل العلمية ويحسن اليهم

وكان السلطان مملوك اسمه يلبغا رقاه الي ان جعله قائداً لالف فحدث انه استوحش منه فخاف يلبغا علي نفسه فالتزم معسكره لايخرج منه فركب اليه الملك الناصر ليلة لاغتياله وكان الخبر وصل الي يلبغا فخرج من معسكره وكمن له مع جنوده في بعض الجهات فلما قرب منهم خرجوا اليه فهرب السلطان ومن معه الي القلعة ولم يجد لجنوده خيولا لان الخيول كانت بالربيع فلبس الملك لبس العرب هو وايدمر الدويدار ونزل من القلعة في آخر الليل قاصدين الشام فعثر

بهما بعض المماليك فاحضروها الي الامير يلبغا فكان ذلك آخر عهد الناس به

تولي بعده محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون فلقبه يلبغا بالمنصور وقام بكفالته واستبد بالرأى فانتقض نائب دمشق المسمي استدمر من ذلك فاستقل بدمشق

فلما علم يلبغا ذلك قصده علي رأس جيش ومعه الملك المنصور وحاصره فنزل هو وأصحابه علي الامان فقبض عليهم واعتقلهم بالاسكندرية وولي الامير المارداني نائبا بدمشق وقطلوبغا الاحمدى نائبا بحلب

ثم ارتاب يلبغا في اخلاص الملك المنصور فعزله واعتقله وولي مكانه الملك الاشرف شعبان بن حسن من سنة (٧٦٤) الي (٧٧٨) وكان عمره عشر سنين فلقبه الملك الاشرف وتولى الوصاية عليه

حدث انه في سنة (٧٦٧) قصد ملك قبرس الاسكندرية بأساطيله ونزل اليها وسبي كثيراً من أهلها ونهبها بعدان هزم حاميتها ثم عاد من غده موقراً بالغنائم فقصده يلبغا والملك الاشرف الاسكندرية علي رأس جيش فبلغهم وهم في الطريق ان القبرصيين أقلعوا من المدينة فلم يتبعهم ذلك بل قصدوا الاسكندرية وشاهدوا ما حل بها من الويل فعزم يلبغا ان ينتقم من ملك قبرس فأمر ببناء مئة سفينة فلما أوشك هذا الاسطول علي التمام ببيروت حدثت عوائق منعته من اتمام مرامه

طال استبداد يلبغا بالناس والامراء الي ان صار يجدع الانوف ويصلم الآذان حتى انه فعل ذلك بأخي استدمر كبير خواصه فاستوحش منه وفاتح الامراء في الثورة علي يلبغا الي البحيرة وأخذ الجميع فسرح يلبغا الي البحيرة وأخذ الجميع يتشاورون في غيبته علي الايقاع به فبلغه ذلك فحضر الي القاهرة وخلع الملك الاشرف ونصب اخاه (انوك) ولقبه الملك المنصور واستعد لمحاربة السلطان الأشرف لانه كان غائبا عن القاهرة فلما قرب منهم اخذ جنود يلبغا يرمونه بالسهام ثم ادركته الجنود وانفض اصحاب يلبغا عليه فولي منهزما الي داره فقبض عليه الملك الاشرف واعتقله ثم حدث انه كان مقبلا علي الملك ليضرع اليه

فقابله بعضهم بالطريق فقطع رأسه

فقام بتدبير الملك استدمر الناصرى ورديفه تبيغا الاحمدى وغيرهما من الامراء واظهروا الاستخفاف بالسلطان والرعية ونادوا بخلع السلطان فركب في مماليكه وجنوده وبعض العامة فهزم الخارجين عليه وقبض علي استدمر فشفع فيه الامراء فأطلقه وابقاه في وظيفته

ثم انتقضوا عليه ثانية فقاتلهم وتغلب عليهم وقتل كثيرين منهم واعتقل بعضهم واستدعي منكلي بغا من حلب وجعله اتابكا واستقدم الامير عليا المارداني من دمشق وولاه النيابة

وفي سنة (٧٧٤) تولي منكلي الاتابك فولي السلطان مكانه الجائي اليوسفي وكان أميراً السلاح عنده فبطر النعمة وخرج علي مولاه فأمر بقتله فهرب ثم مات غريقا . واستدعي السلطان ايدمر العزى وكان نائبا بطرابلس فولاه الاتابكية مكان الجائي المذكور ورفع رتبته واستقر السلطان الاشرف في دولته مستبداً بالامر

ثم اراد الملك الاشرف قضاء فريضة الحج فخرج اليه سنة (٧٧٨) فلما انتهي الي عقبة ايلة انتقض عليه بعض مماليك يلبغا الذين كان قد ردهم الي خدمة الدولة فاضطر السلطان الي الرجوع لمصر من طريق البحر وكان عند سفره استخلف بها ابنه عليا بكفالة قرطاى الطازى فسولت لقرطاى نفسه الانتقاض واتفق مع بعض الامراء علي ذلك فأتي بالامير علي بن الاشرف وبايعه واستدعي الامراء القاعين بالقاهرة فبايعوه وأخذ كفالة السلطان وجعل ايبك البدرى رديفا له وأما السلطان فبلغه وقعة القاهرة وهو بالطريق فأسرع بالرجوع اليها وانتهي بمن معه الي قبة النصر ليلا ففشي أصحابه الناس فقاموا وانفرد السلطان عنهم واختفي وبلغ أهل الثورة امرهم فوثبوا عليهم وقتلوهم .وجاءت امرأة الي ايبك فدلته علي السلطان في بيت جارتها فأخرجه واستدل منه علي الخزينة ثم قتله خنقا وكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة

تولي بعده الملك المنصور علي بن شعبان من سنة (٧٧٨) الي (٧٨٣) ه وقام بأمر دولته قرطاى الطازى ورديفه ايبك البدرى . وكان قرطاى كثير

الانهماك على لذاته وشهواته فاستبد ردينه بأمور الدولة وأغرى السلطان على اسناد نيابة المملكة اليه فلم يمانعه قرطاى في ذلك وغاية ما فعله أنه طلب الامان لنفسه من أيبك فأمنه ثم قبض عليه بعد قليل وسيره الى صفد واستبد ايبك بالدولة

ثم انتقض طشتمر بالشام ووافقه كثيرون من الامراء فندب أيبك الجيش السير الى الشام وجعل في مقدمته ابنه احمد وأخاه قطلوبغا ثم خرج بالساقة مع السلطان والامراء والجنود فثار الامراء الذين كانوا بالمقدمة على أخيه فرجع اليه منهزما فاضطر أيبك الرجوع الى القاهرة مع السلطان والجنود فخرج ساعة وصوله جماعة من الامراء فسرح اليهم العساكر مع أخيه فأوقعوا به وقبضوا عليه فسرح أيبك اليهم من بقي معه من الامراء ثم هرب واختفى ولم يلبث أن ظهر فقبض عليه واعتقل بالاسكندرية

وأقام الامراء يلبغا الناصرى مكانه فلم يعطوا له الطاعة الواجبة وبقي أمرهم مضطربا فاستدعوا طشتمر من الشام وسلموه زمام الدولة ثم انتقضوا عليه واستدعوه الى القلعة وقبضوا عليه واعتقلوه بالاسكندرية

فقام بالامر من بعده الامير برقوق وبركة ثم وقع الخلاف بينهما وتغلب الاول على الثاني، بعث به الى الاسكندرية فحبس بها ثم قتل. واستبد برقوق بالدولة وصار صاحب النقض والابرام ولم يكن للسلطان سوى الاسم

تولي بعد المنصور الملك الصالح حاجي من سنة (٧٨٣) الي (٧٨٤) وجعل برقوق نائبا للسلطنة وكان الملك الصالح صغير السن فقام برقوق بكفالته فولي كثيرين من أصحاب يلبغا الذين كانوا أنصاره لانه منهم فطمعوا في الاستبداد وظنوا بلذة الملك ومالت نفوسهم الي أن يستقل اميرهم بالدولة . وكان برقوق حسن السيرة جميل الاثر في البلاد فأنس به الناس وأحبوه وبلغ الامراء هذا الامر فامتعضوا واخذوا يتناجون في حيلة ليوقعوا به فنمي اليه خبرهم فقبض عليهم فقتل واعتقل بعضا ونفي البعض الآخر

ثم تفاوض أصحاب برقوق في أمر نصبه ملكا عليهم فجمع في رمضان سنة

(٧٨٤) الخاصة من الجنود والعلماء والاعيان فأجمعوا على بيعة برقوق وعزل السلطان الصالح وبعث برقوق أميرين من الامراء فأدخلا السلطان الي بيته وتناولا السيف من يده وأحضراه الى برقوق فلبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة وجلس على سرير الملك وأتاه الناس يبايعونه وكان الملك الصالح آخر ملوك دولة المماليك البحرية وخلفتهم دولة المماليك الجراكسة الآتي ذكرها

أول دولة المماليك الجراكسة الملك الظاهر برقوق وانما دعيت كذلك نسبة الي أصل ملوكها فانهم من الامة الجركسية

أما برقوق هذا فكان مملوكا اشتراه يلبغا أيام كان نائب السلطنة بمصر فرباه وعلمه الفقه والعلوم الاسلامية المعروفة حتى انه كان يلقبه يلبغا بالشيخ وتعلم أيضا آداب الملك وأتقن الرماية وما زال في خدمة يلبغا الى أن قضي الله عليه فتشتت مماليكه وقبض علي بعضهم وسجنوا فسجن برقوق هذا في الكرك هو وأمير آخر خمس سنين ثم أطلقا فدخلا في خدمة منجك حاكم الشام اذ ذاك فاستدعي الملك الاشرف برقوق وأضافه الى حاشية ولده الامير علي فلم يزل برقوق معه حتى صار في دولته نائب السلطنة . ولما توفي السلطان علي عين برقوق أخاه السلطان حاجي ملكا ثم طمع في الجلوس على سرير الملك كما رأيت فتم له ما أراد وخلع السلطان الصالح حاجي واستبد بالامر دونه في ١٩ رمضان سنة (٧٨٤) كما مر ولقب بالملك الظاهر

لما استتب الامر للملك الظاهر برقوق قبض على يلبغا الناصرى واعتقله ثم أفرج عنه فسار الى حلب وأغرى بعض الامراء على الانتقاض على السلطان وبلغ ذلك السلطان فاعتقل أولئك البعض من الامراء فاجتمع بعض الامراء الي يلبغا الناصرى المذكور بقصد الثورة سنة (٧٩١) واتصل الخبر بطرابلس وكان بها جماعة من الامراء يرومون الفتنة فعمدوا الي الايوان السلطاني وقبضوا على نائب السلطنة وحبسوه . وفعل مثل ذلك أهل حمص وغيرها وبلغ الخبر الي السلطان الملك الظاهر برقوق فأرسل الجنود لقتال هؤلاء الثائرين . فلما وفد هذا الجيش الى دمشق أرسل سفراء الي يلبغا الناصرى

ليعيده الى الطاعة فاعتقل السفراء ولم يجب وصار لقاء جيش السلطان فلما حدث القتال دارت الدائرة علي جيوش الملك الظاهر ودخل الناصرى دمشق واستولى عليها وعاثت عساكره في نواحيها واستعد السلطان برقوق للمدافعة

أما الناصرى فبعد هذا الانتصار عمد الى الزحف علي مصر حتى وصل الي بلبيس ثم تقدم الي بركة الحاج وبرز السلطان في مماليكه ووقف أمام القلعة بقية يومه وبعض الجنود والعامة يهرعون الي الناصرى حتى ان بعض الامراء طلبوا منه الامان خوفا من بطشه فرأى السلطان ان مركزه قد تحرج فعمد الي ملاطفة يبيقا فكتب اليه بالصلح فأشار عليه أن يتوارى بشخصه مخافة أن يصيبه أحد بسوء فتوارى وملك الناصرى وأصحابه القلعة واستدعوا السلطان حاجي بن الاشرف وهو الذى خلعه برقوق واستولي علي سرير الملك بعده فأعادوه الي مملكه ولقبوه بالملك المنصور واستدعوا الامراء المعتقلين بالاسكندرية فحضروا وركب الناصرى وأصحابه لقائهم وأشرك الناصرى الجوباني في تدبير المملكة

ثم طلب الامراء الملك برقوقا فما زالوا يبحثون عنه حتى استدلوا عليه وتشاوروا في أمره فكان منطاش وغيره يطلبون قتله وأبي يبيقا الناصرى والجوباني الا الوفاء له فأرسلوه الى الكرك واعتقلوه بها ووكل به يبيقا الناصرى أحد خواصه وأوصاه بخدمته ومنعه ممن يريده بسوء

أما الامراء الثائرون فجعلوا الجوباني اتابك السلطان المنصور ويبيقا الناصرى رأس النوبة الكبرى (أى مدير الدولة) ثم بعثوا بذلار نائباً علي دمشق وكشبغا نائباً علي حلب وقبضوا علي جماعة من الامراء الذين كان هواهم مع برقوق منهم سودون والطرنطاى نائب دمشق وغيرهم فحبسوا بالاسكندرية والشام ثم تتبعوا مماليك السلطان برقوق فحبسوا أكثرهم وأجلوا بقيتهم الى الشام

كان منطاش يريد بدخوله مع الناصرى ومتابعة هواه في الثورة علي السلطان أن يناله قسط كبير من الامر والثروة فلما لم يشركوه في الامر أخذ يوقظ الفتنة النائمة ووافقه عليها كثير من أمراء المماليك وبلغ الخبر يبيقا الناصرى والجوباني فعزما علي نفي منطاش

الي الشام فتمارض وأقام في بيته أياماً ليحكم التدبير فأرسل بعض رجال الثورة الي الجوباني فترصدوا له في بيته وقتلوه وركب منطاش الي الرميلة واجتمع اليه من تابع أهواءه في الثورة وبرز يبيقا الناصرى له وأمر الامراء بالحملة علي أصحاب منطاش فوقفوا ولم يجيبوه الى ذلك فأحجم الناصرى عن الحملة في ذلك النهار

وفي الغد تزايدت جموع منطاش فهاجمه الناصرى فانهزم وانفض أصحابه عنه فهرب لا يدرى له وجهاً فاستقل منطاش بتدبير الدولة ونصب في وظائفها من شاء من أصحابه . ثم كتب الى نائب الكرك بأن يقتل السلطان برقوق وكان الناصرى قد أوصاه أن يمنعه ممن يريده بسوء فلم يقبل وشعر برقوق ان منطاش يريد اغتياله فأرسل غلمانه الذين معه لقتال حامية الكرك فهزموهم وقتلوا قائدهم واستولي السلطان برقوق علي قلعة الكرك وبايعه أهلها وفشا الخبر بالنواحي فتسارع اليه مماليكه من كل جهة . وبلغت أخباره الي منطاش فأوعز الي ابن باكيش نائب غزة أن يصير في جنوده اليه ويردد برقوق في لقائه ثم عزم علي الشخوص الى دمشق فسار اليها ومعه الف رجل أو يزيدون فأرسل جنتمر نائب دمشق اليه جيشاً لمدافعته فانهزم ذلك الجيش واستمر السلطان برقوق في زحفه علي دمشق ثم أحس بأن ابن باكيش وجنوده يتبعونه فكر اليهم ليلا وصبحهم علي غفلة منهم فانهزموا واستولي السلطان علي ما معهم واستفحل أمره فقصد دمشق ونزل بميدانها فأغلق أهلها أبوابها فأقام محاصراً لها الي المحرم من سنة (٧٩٢)

أما منطاش فانه رأى أن لا مناص من مقابلة السلطان برقوق بكل قوته فخرج من مصر علي رأس جيش ومعه الملك المنصور والخليفة والقضاة والعلماء في أواخر سنة (٧٩١) وكان برقوق اذ ذاك محاصراً دمشق فترك حصارها ونزل بقرب شقحب وحدثت بين الفريقين هنالك وقعة هائلة انتهت بفوز السلطان برقوق واستحواذه علي الملك المنصور والقضاة والخليفة والعلماء ولحق منطاش بدمشق موهما نائبها بأنه قد انتصر علي السلطان برقوق وان الملك المنصور قادم علي أثره . ثم ما هي الا أيام حتى وافاه

السلطان برقوق فقاتله وهزمه وأثخن في جنوده ثم عاد الي شقحب وحمل الملك المنصور علي التنازل عن الملك وحمل الخليفة والعلماء علي اعادة الملك اليه وسار بهم الي مصر فدخلها في ٤ صفر سنة (٧٩٢) فأفرج عن الامراء المعتقلين بالاسكندرية والتفت الي منطاش فأخذ يرسل اليه بالامراء لمقاتلته وكانت الحروب بينهم سجالا حتى انتهي الامر بانحلال أمره فهرب الي حي من العرب يقال لهم آل فضل وتزوج منهم وأقام بينهم فصاروا يدافعون عنه. ثم وفد علي السلطان برقوق أحد أمراء آل فضل ووعده بتسليم منطاش اليه فوعده السلطان ومناه فرجع ذلك الامير وقبض علي منطاش وسلمه الى نائب حلب وبعث السلطان أميراً من مصر فاحتز رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الي القاهرة سنة (٧٩٥) فعلق علي باب القاهرة ثم دفعه الي أهله فدفنوه وانتهت به الفتن والثورات

وفي سنة (٧٩٦) فر أحمد بن أويس صاحب بغداد أمام تيمورلنك التترى الذى كان قد ملك أكثر البلاد الشمالية وأثخن فيها وحاصر بغداد فهرب صاحبها المذكور وجاء الى السلطان برقوق مستنجداً به علي طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجابه السلطان الي طلبه وجهزه بجنود الي الشام وكان تيمورلنك بعد أن استولى علي بغداد زحف علي تكريت وحاصرها ٤٠ يوماً وملك ديار بكر والرها . فكتب السلطان الظاهر برقوق الي جليان نائب حلب أن يخرج الى الفرات بجيشه ليترصد تيمورلنك ثم أرسل اليه بمدد من دمشق مع كشبقا الاتابك وغيره وكان تيمورلنك قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً ثم ملكها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الي ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الكرد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وبقي السلطان الي شعبان من السنة المذكورة متربصاً لخصمه وبدا لتيمورلنك أن يقصد بلاد الهند فقصدها فعاد الملك الظاهر برقوق الى مصر

وفي سنة (٨٠١) هـ أرسل تيمورلنك للملك الظاهر برقوق يطالب اليه أن يخطب باسمه علي منابر مصر فأجابه السلطان اجابة تدل علي الازدراء والاستخفاف وتريه انه عازم علي قتاله وابتدأ الظاهر من يومه بجمع الجنود لمحاربته ولكن أدركته منيته قبل ان ينفذ ما عزم عليه سنة (٨٠١) هـ

تولي بعده ابنه الناصر فرج من سنة (٨٠١) الى (٨٠٩) وكان عمره عشر سنين فظن الناس ان الاحوال تضطرب في أيامه ولكن لم يحرك احد ساكنا

وفي سنة (٨٣٠) أغار تيمورلنك علي بلاد الشام ونازل حلبا وافتتحها ومثل بأهلها تمثيلا شنيعا فخاف اهل الشام وقدموا طاعتهم اليه. اما اهل بعلبك فامتنعوا عليه فسار اليهم وضيق عليهم الحصار فطلب اهلها الامان فلم يؤمنهم بل أوغل فيهم قتلا وتمثيلا

فاتصل الخبر بالملك الناصر فخرج بجيشه لملاقاة تيمور لنك الذى كان بجوار بداريا اذذاك . فحدثت عدة مناوشات بينهما ثم حدث خلاف في جيش السلطان فعاد فريق منهم الي مصر . ودخل بعض خواص السلطان فخوفه من احتمال وقوعه أسيراً في يد تيمورلنك ومما يتوقع من سوء معاملته له فداخله الذعر فرجع قاصداً مصر من ليلته فلما علم تيمورلنك بهرب خصمه احاط بدمشق وملكها وقتل اعيانها وسبى نساءها وأحرقها هي والجامع الاموى وكان فيه جم غفير من الملتجئين اليه من النساء والاطفال والشيوخ فهلكوا جميعا حرقا. ثم أخرب جميع المساجد والمعابد والقلاع وارتكب جنده من الفظائع مالا يوصف كعادتهم

ثم سار تيمور لنك من دمشق الي ماردين وبغداد فملكهما وحارب بايزيد السلطان العثماني وقهره سنة (١٤٠٢) ميلادية

وفي هذه السنة أرسل تيمورلنك الي السلطان فرج بمصر هدايا نفيسة واعتذر اليه عما فعله بسورية من الفظائع

وفي سنة (٨٠٨) هـ وقعت فتن بين الامراء بمصر فخاف السلطان فرج علي نفسه واختفي ولم يعلم احد اين ذهب بعد ان ملك ست سنين واشهرا

فبايع اهل الحل والعقد اخاه عبد العزيز بن برقوق ولقبوه الملك المنصور ثم ظهر الملك الناصر من مخبأه فأمسك أخاه المنصور عبد العزيز وحبسه ثم قتله فكانت مدة ولايته ٤٧ يوما

فعاد الملك الناصر فرج ثانية . وفي سنة (٨٠٨) ظهر أمير عربي اسمه يعبر ابن ههى فوثب علي دمشق وامتلكها

وهزم نائب السلطان بها وشكا الناس من جوره فقصده الملك الناصر فأزاله عنها وجدد بناء الجامع الاموى

وفي سنة (٨١٠) اتفق الامير شيخ ونوروز نائب الشام وغيرهما من الامراء علي العصيان بالشام فخرج اليهم السلطان فلما وصل الي غزة فر بعض عسكره الي الامير شيخ ونوروز فقصدهم السلطان بمن معه فتوجها الي القاهرة عن طريق بعلبك ووادى التيم فجد في طلبهما حتى أدركهما بالناصرة فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم السلطان وهرب الي دمشق فحاصراه بها ثم طلب الامان فأمناه . فلما نزل من القلعة قبضا عليه وسجناه وادعي عليه أحدهم بقتل أخيه ظلما فحكموا عليه بالقتل فقتلوه وألقوه عريانا علي مزبلة ثلاثة أيام وأضيفت السلطنة الي الخليفة بمصر المستعين بالله أبي الفضل العباس ابن محمد العباسي وصار خليفة وسلطانا مدة ستة أشهر

وكان الامير شيخ المحمودى الذى ثار علي الناصر يعمل علي أن ينال السلطنة فلما ولى الخليفة السلطنة ولي هو النيابة عنه بمصر ونوروز النيابة عنه بالشام ثم تطلع الامير شيخ المذكور لانتزاع السلطنة من يد الخليفة وتذرع لنيل غرضه بقومه فثاروا علي الخليفة وعزلوه من الخلافة والسلطنة معاً وولوا السلطنة للامير شيخ المذكور وولوا الخلافة الفضل داود العباسي

تولى الملك الامير شيخ المحمودى الظاهرى أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه في المراتب الي أن صار مقدم الف في دولة الملك الناصر فرج ثم نائب السلطنة بطرابلس ثم بالشام أيضاً وأسره تيمورلنك في حلب ثم نجا من الاسر وكانت له أمور مع الملك الناصر فسجنه مدة . ثم انضم الي نوروز نائب الشام في عصيانه ولما قتل الملك الناصر وولى الخليفة العباسي كان الامير شيخ قائماً الجنود بمصر لخلع الخدمة كما تقدم وجلس مكانه في سرير الملك سنة (٨١٥) وتلقب بالملك المؤيد

من صفاته انه كان عاقلا حسن السياسة فسعدت البلاد في أيامه ولم يكدرها الا عصيان نوروز نائب الشام عليه لأنه لما رأى استبداده بالملكة وخيانته العهود التى كانت بينهما بقي يخطب

باسم الخليفة العباسي علي منابر دمشق واستمر واضعاً يده علي البلاد الشامية الي غزة والي الفرات الي سنة (٨١٧) التى فيها سار الملك المؤيد بالجنود من مصر الى الشام ومعه الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فوجد نوروز قد حصن دمشق فحاصره المؤيد فسلم نوروز نفسه فقطع رأسه وأرسله الي القاهرة فعلق علي باب زويلة ثم دفن

أقام الملك المؤيد بعد ذلك بدمشق أياما لتنظيمها ثم عاد الي مصر واستمر سلطانا علي مصر والشام الى أن مات سنة (٨٢٤) وهو الباني لمسجد المؤيد المشهور بالقاهرة بقرب باب زويلة

لما توفي الملك المؤيد شيخ اجتمع الامراء وبايعوا لابنه احمد بن شيخ وكان طفلا لم يتجاوز الثانية فعارض الخليفة في توليته ولكنه اضطر للاذعان فبايع له ولقبه الملك المظفر . وقام الامير تتر بتدبير الدولة حتى يبلغ رشده ثم طمع في الملك فخلع المظفر وجلس علي السرير مكانه سنة (٧٢٤)

استتب الامر للامير تتر وخطب باسمه علي منابر مصر والشام وتلقب بالملك الظاهر ولكنه لم يهنأ بالملك طويلا فتوفي سنة توليته

تولي بعده الملك الصالح محمد بن تتر من سنة (٨٢٤) الى (٨٢٥) هو ابن المتقدم وكان عمره احدى عشرة سنة فقام بتدبير دولته جاني بك الصوفي فصار صاحب السلطة التامة فاستوحش الملك أمراء المماليك فثار عليه برس باى فقيده وأرسله الى السجن بالاسكندرية وقويت شوكة برس باى وتعصب له جماعة من الامراء فخلعوا الملك الصالح محمد بن تتر ونادوا ببرس باى ملكا فكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً

تولي بعده برس باى وتلقب بالملك الاشرف من سنة (٨٢٥) الي (٨٤١) وكان عاقلا حسن السياسة فأزال المظالم التى أحدثها سلفه وسعدت البلاد في أيامه واغتنى الفقراء . من أعماله التى تدل علي وفور عقله منعه الناس من تقبيل الارض بين يديه كعادة الملوك الذين سبقوه وابداله ذلك بتقبيل اليد فقط

أرسل في سنة (٨٢٩) جيشاً الى قبرس لقتالها ولا تنس ان القبرسيين

سقطوا على الاسكندرية في عهد الاشرف شعبان فأحدثوا فيها من المنكرات ما لا يوصف ثم رحلوا عنها فبلغ جيشه الي الماقوصة ثم الي الملاحة وحدث قتال شديد بين الجيشين فانهزم ملك قبرص فأسر عساكر السلطان نحو ٧٠٠ أسير وملك حصن لا مسون وقتل أخو الملك وأسر الملك نفسه فأحضروه الي مصر بعد أن نهبوا قصره وأحرقوه وأحرقوا معه دوراً أخرى كثيرة وغنموا شيئا كثيراً . ولما بلغوا بملك قبرص الي القاهرة اصطفت جنود مصر صفين أمام باب القلعة وأدخلوا الملك بينهما مقيداً راكبا بغلا فسجن . ثم اتفق الملك مع السلطان أن يفدى نفسه بمئتى ألف دينار يدفع له نصفها معجلا والنصف الآخر عند عودته الي قبرص وأن يدفع له جزية سنوية ٣٠ الف دينار فقبل السلطان ذلك

في هذه السنة أى (٨٢٩) أكملت عمارة المدرسة الاشرفية عند سوق الوراقين بالقاهرة

وفي سنة (٨٣٣) حدث في مصر طاعون شديد اجتاح منها خلقا كثيراً حتى مات في يوم واحد نحو ٢٤ الف نسمة وضج الناس وصار بعضهم يودع بعضاً كأنهم في ساحة حرب لا مناص فيها من الموت الزؤام

وفي سنة (٨٤١) مرض السلطان الملك الاشرف برس باى وحدثت له ماليخوليا فأمر بنفي الكلاب من القاهرة الي الجيزة ورسم أن لا تخرج المرأة من بيتها فكانت المرأة اذا أرادت الخروج لحاجة حصلت على رخصة من المحتسب وعلقتها برأسها ليباح لها أن تمشي في السوق

توفي الاشرف في تلك السنة بعد أن ملك ١٧ سنة وستة أيام

تولي بعده ابنه العزيز يوسف ولقب الملك العزيز وكان عمره أربع عشرة سنة فقام بتدبير دولة الاتابك جقمق فاستبد بالامور وصار صاحب الحل والعقد حتى دبت عقارب الفتن بينه و بين بقية الامراء المماليك فأخذوا في مماكسته وكان الملك العزيز يبعد جقمق كالالعوبة وهم جماعة بقتل جقمق فلم يمكنهم أنصاره من الامراء المشايعين له فانتشب القتال بين الطائفتين فهزمت الطائفة الثائرة فاتفق أنصار جقمق بعد هذا النصر العظيم على تمليكه وخلع العزيز فحصل ذلك وتولى

جقمق الملك باسم الملك الظاهر

تولي الملك الظاهر من سنة (٨٤٢) الى (٨٥٧) تنقلب الملك الظاهر فوزع المناصب والاقطاعات على حزبه فولى نيابة السلطنة بمصر لاقبغا التمرازى وهو آخر من تولى هذه الوظيفة بمصر لان المماليك ابطلوها بعده

وفي سنة (٨٤٣) خرج اينال الحكمي نائب الشام عن الطاعة وتابعه على ذلك تغرى برمش نائب حلب فأرسل الظاهر اليهما العساكر ونصب الاتابك أقبغا التمرازى المذكور نائبا بالشام بدل اينال فسار التمرازى وحارب الثائرين وهزمهم وأسرهم وضرب أعناقهم وأرسل برؤوسهم الي القاهرة فعلقت على باب زويلة

وفي سنة (٨٥٧) شعر الظاهر بقرب أجله فاستدعي القائم بأمر الله وقضاة المذاهب الاربعة وخلع نفسه من الملك وعين بدله ولده عثمان

أنشأ الملك الظاهر كثيراً من المساجد والقناطر والجسور وكان يكرم العلماء ويحب الفقراء ويواسيهم

تولي بعده ابنه عثمان جقمق فلقب بالملك المنصور فعين اينال العلائي رئيسا لجيشه واضطر لنقص مرتبات الجنود لعدم توفر المال لديه فثار عليه الامراء وخلعوه وعينوا اينال قائد جنوده ملكا عليهم وحاصروا الملك عثمان بالقلعة وقطعوا عنه الماء وضيقوا عليه وعلى من معه حتى اضطر للتسليم فقبض عليه اينال وأرسله معتقلا الي الاسكندرية فكانت مدته ٤٣ يوما

تولي الملك اينال العلائي ولقب بالاشرف من سنة (٧٥٧) الي (٨٦٥) كان عاقلا حسن السيرة سعدت الامة في عهده ولم يحدث في ايامه مايهم التاريخ من الحوادث . ولما مات كان الاسف عليه عاما

تولي بعده ابنه احمد فلقب المؤيد وكان عمره ٣٨ سنة واهلا للملك بصيراً بمصالح الرعية فغدر به المماليك وخلعوه وبايعوا قائد جنوده خوش قدم

تولي خوش قدم من سنة (٨٦٥) الي (٨٧٢) ولقب بالظاهر ولم يكن جركسي الاصل بل روميا اشتراه التاجر ناصر الدين وباعه الملك المؤيد شيخ فأعتقه فبلغ رتبة جامدار ثم صار خاصيكيا في عهد الملك المظفر ثم رقي الى مقدم

الف بدمشق . ولما تقم السلطان علي الامير قاني بك حاجب الحجاب تفاه واستحضر خوش قدم وانعم عليه باقطاع الامير المذكور سنة (٨٥٤) ثم صار اميراً السلاح في دولة الملك الاشرف اينال ولما توفي وتولي بعده ابنه احمد جعل خوش قدم قائداً الجنود . ولما خلع المماليك السلطان أحمد اينال عينوه سلطانا ولقبوه بالملك الظاهر سنة (٨٦٥) فكان حكيا براً حليما محبا الرعية ساهراً علي راحتها فأجمع الكل علي طاعته وحبه فحكم ست سنين ونصف سنة كانت كلها سلاما ورخاء وتوفي سنة (٨٧٢)

تولي بعده الملك الظاهر بلباى المؤيدى نسبة الي الملك المؤيد شيخ وحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف وقضاة المذاهب الاربعة فبايعوه بالسلطنة وسمي الملك الظاهر وكنى ابي نصر ولقب سيف الدين. وعين تمر بغا قائد الجنود ووزع بقية المناصب علي خاصته وقبض علي بعض الامراء وسجنهم بالاسكندرية وقطع مرتبات بعض الخدم فتنفرت منه القلوب وحدثت فتنة أفضت الى اجتماع الامراء سنة (٨٧٢)

خاموا فيه الملك الظاهر بلباى بحضور الخليفة والقضاة الاربعة واتفقوا علي ان يبايعوا رئيس الجنود تمر بغا ثم قبضوا علي بلباى وقيدوه وأرسلوه معتقلا الى الاسكندرية فكانت مدة حكمه شهرين الا أربعة أيام

تولي تمر بغا سنة (٨٧٢) ولقب بالظاهر وهو رومى الاصل كان كثوا الحكم وله المام ببعض العلوم. فجعل الامير قايت باى قائداً لجنوده ووزع المناصب والاقطاعات علي من شاء من الامراء . ثم وقعت وحشة بينه و بين مماليك السلطان خوش قدم فاتفق رئيسهم خير بك مع بعض الامراء علي خلع الملك الظاهر والبيعة لنفسه فهجموا علي قصر السلطان وقبضوا علي جماعة من امرائه وخيل للامير خير بك انه قد تم له الامر فأخذ يوزع المناصب من ليلته . وكان قائد الجنود قايت باى غائبا فأسرع الي مصر تلك الليلة فثار مع رجاله علي خير بك واسقطه في تلك الليلة نفسها ودعا الناس الي مبايعته وسار من غده الي القلعة فلما رأى خير بك ما حل به أخرج السلطان تمر بغا من السجن وأجلسه علي منصة

الملك وقبل الارض بين يديه وقال له انتلني فقد كنت باغيا عليك . فقال له السلطان : قضى الامر ولم يبق لي ولا لك بقاء ودافع رجاله وخير بك عنه دفاع الابطال فلم يغنوا عنه شيئاً وقبض عليهم قايت باى وسجنهم بالقلعة وارسل السلطان تمر بغا مكرما الي دمياط . وكانت مدة حكمه ٥٨ يوما

تولي قايت باى من سنة (٨٧٢) الى (٩٠١) ولقب بالملك الاشرف وهو جركسي الاصل كان من مماليك الملك الظاهر جقمق اشتراه من تاجر اسمه محمود فأعتقه وجعله جامدارا ثم خاصكيا ثم دويدارا وتوفي الظاهر جقمق وخلفه الظاهر بلباى فجعله رأس نوبة النواب ولما تولى الظاهر تمر بغا جعله اتابك الجنود أى قائدها فتم الامر كما رأيت سنة (٨٧٢) وسمي الملك الاشرف وكنى ابا النصر ولقب سيف الدين

لما تولي هذا الملك كانت البلاد علي أسوأ حالات الاضطراب فاستعمل الحزم والعزم في معاملة المفسدين حتى عادت السكينة الى البلاد وعمها العدل ولم يحدث مدة ملكه الطويلة شيء من الفتن بمصر

فالتفت الاشراف الي الخارج ورأى أن هناك دولة تتربص بمملكته الدوائر الا وهي المملكة العثمانية وكان السلطان العثماني في عصره بايزيد فطمع في الاستيلاء علي الشام ومصر فأرسل جيشه سنة (٨٩٢) لفتح سورية فبلغ الملك قايت باى الخبر فأرسل جيشه لصد الترك فحدثت بينهما موقعة قتل فيها خلق كثير من الطرفين وانهزم الترك ورجعوا الي أدنة فتبعهم اليها الجراكسة وحاصروها واخذوها منهم

وفي سنة (٨٩٤) طمع الترك في الاستيلاء علي حلب فأرسل قايت باى جيشا تحت قيادة قانصوه الشامي فاستولي علي بعض بلاد الترك ثم حصل صلح بين بايزيد والاشراف وتبادلوا اطلاق الاسرى

مات هذا السلطان وعمره (٨٦) سنة بعد ان حكم ٢٩ سنة وأربعة اشهر وأيام ولم تتفق هذه المدة لغيره من سلاطين هذه الدولة وقد خلف كثيراً من الآثار التى تخلد ذكره منها مدرسة بمكة وعمارة المسجد المكي ومدرسة بيت المقدس ومدرسة بدمشق واخرى بغزة وورابعة

بدمياط وخاصة بالاسكندرية وجامع بالصحراء وآخر بالروضة وغيرذلك

تولى من بعده الناصر محمد بن قايتباى من سنة (٩٠١ الى ٩٠٢) وكان عمره ١٤ سنة فانهمك على اللعب فلم يرق في نظر الناس فاجتمع امراء الجراكسة والخليفة والقضاة وعزلوه وولوا مكانه قائد الجنود قانصوه خمس مئة (لقب بذلك لانه اشترى بخمس مئة دينار)

تولى قانصوه خمس مئة ولقب بالملك الاشرف فامر بالقبض على الملك الناصر فتعصب له بعض المماليك وحدث بين الفريقين قتال فتغلب حزب الناصر على حزبه وحاصروه هو ومعه الخليفة والقضاة يومين حتى جرح قانصوه واختفى عليه لخدمه بعض غلمانه وعاد الناصر الى الملك

عاد الملك الناصر محمد بن قايتباى من سنة (٩٠٢ الى ٩٠٤) فتوجه اليه الخليفة والقضاة الاربعة وهنأوه بانتصاره بعد ان كانوا بالامس مع خصمه قانصوه يفتون له بما يحب ويهوى . ورجع الناصر الى ما كان عليه من اللعب وشرب الخمر حتى سئمه الناس وتربصوا به لاغتياله

وفي سنة (٩٠٤) خرج السلطان الى الجيزة فقضى هنالك ثلاثة ايام مع ندمانه وغلمانه في أشد حالات التهتك والخلاعة ثم ركب في آخر تلك الايام عائداً الى القاهرة ولم يكن معه الا أبناء عمه وبعض سلاحداريته فمر على الطالبية وكان هناك طومان باى الامير الجركسي فخرج مسرعا لقاء السلطان وسأله أن ينزل عنده فأبى فقدم له كأسا من لبن فوقف السلطان وهو على جواده ليتناول ذلك اللبن وطومان باى آخذ بلجام فرسه واذا بخمسين مملوكا خرجوا من الخيام التى هنالك فعالجوه بالسيوف فقتلوه شر قتلة ونسب ذلك الى طومان باى

فاتفق المماليك على تعيين قانصوه الاشرفي وهو خال الملك الناصر فبايعوه ولقبوه بالملك الظاهر وكنوه أبا سعيد فعين الامير جان بلاط لقيادة الجنود واستعمل دولت باى في نيابة حلب والامير قصروه في نيابة الشام وبلباى في نيابة طرابلس

وكان طومان باى يطمع في السلطنة فهرب الى الصعيد فأرسل اليه السلطان يستدعيه وحلف له بأن يحسن اليه ويكرمه فلم يرجع فأحس الملك الظاهر بقرب

الشر فأخذ يستعد للحصار وملأ القلعة بالمؤن والذخائر وقبض على بعض المماليك المشايعين له ووزع السلاح على خاصته وحضر طومان باى من الصعيد في رجاله واتفق مع رئيس الجنود وهو الامير جان بلاط على احداث ثورة فكان ما أراد واستمرت الحروب ثلاثة أيام وانتهت بهزيمة شيعة الملك وهرب هو في زى امرأة الى المقابر . فعثروا عليه بعد خمسة عشر يوماً وأرسلوه الى الاسكندرية معتقلا بعد أن تولى سنة وثمانية أشهر ويومين

تولى بعده جان بلاط ولقب بالاشرف من سنة (٩٠٥) الى (٩٠٦) فأظهر قصروه نائب الشام العصيان فأرسل اليه جان بلاط أمير جنوده طومان باى لاخضاعه ، ولكن طومان باى هذا بدل ان يحارب الثائر انضم اليه وعادا معاً الى القاهرة فخلع جان بلاط وخاف الامراء شر طومان باى فأخذوا يتخلون عن الاشرف وينضمون اليه . وتقدم طومان باى فقبض على الملك وقيده بقيد ثقيل وارسله الى الاسكندرية معتقلا . ثم امر بخنقه وكانت مدة ملكه ستة أشهر وثمانية عشر يوماً

تولى بعده طومان باى ولقب الملك العادل سنة (٩٠٦) وكان عند بيعته بدمشق فصلى الجمعة بالمسجد الاموى ثم دخل قلعة دمشق وسكنها وخطب له بالشام . ثم قصد مصر وفي خدمته قائد جنوده قصروه الذى كان نائب الشام ففرح به الناس لبغضهم لجان بلاط فلما تمكن طومان باى من الملك قتل قصروه واستخف بالامراء المقدمين فحقدوا عليه واتفق الامير قنبل امير السلاح وقانصوه الغورى الدويدار الكبير وغيرهما على الثورة عليه فهرب طومان باى واختفى ثم عثروا عليه فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التى كان أعدها لنفسه أيام امارته في أطراف الصحراء فكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ونصف شهر

تولى قانصوه الغورى ولقب الملك الاشرف وكان لين العريكة سهل الازالة في أى وقت ارادوا لانه كان اقلهم مالا واضعفهم حالا . ولما عرضوا عليه الملك قال لهم اقبله على شرط أن لاتقتلوني فاذا أردتم عزلي فاخبروني وأنا اتنازل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك ففرح الناس

بولايته . كان كثير الدهاء والفطانة شديد
الطمع كثير الظلم فأخذ يغرى بعض الامراء
ببعض ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم
في الدسم حتى أباد كبراءهم ودهاتهم

وفي سنة (٩٢٢) بلغ قانصوه أن
السلطان سليم العثماني يقصد الشام ومصر
فتجهز له وخرج الي دمشق ومنها الى
حلب وهناك وصله وفد من السلطان
سليم العثماني للمفاوضة معه في الصلح وكان
ذلك خدعة من السلطان سليم ليمنع
قانصوه من الاستعداد . فخام قانصوه
على الوفد وأرسل الي السلطان سليم الامير
مغلباى الدويدار للمفاوضة في الصلح
فقبض السلطان سليم عليه ووضعه في
الحديد وأراد شنقه فشفع فيه بعض
وزرائه فتركه ثم أمر السلطان سليم جنوده
بأن يسيروا نحو حلب فوصلوا الي عنتاب
وملكوا ملطية وغيرهما فلما بلغت هذه
الاخبار الملك قانصوه خرج من حلب
وسير أمامه النواب والجنود وعاد اليه
الامير مغلباى سفيره وقص اليه مالقيه
من الاهانات وبلغه رسالة السلطان
العثماني وهي : « قل لسلطانك أن يلاقينا
بمرج دابق » فاضطرب قانصوه من
ذلك

وفي يوم الاربعاء ١١ رجب سنة
(٩٢٢) رحل قانصوه الى مرج دابق
فوصله في ١٥ منه وأقبلت عليه جنود
السلطان التركي فحصلت بين الفريقين
معركة دموية انجلت عن هزيمة الجراكسة
وقتل قانصوه الغوري وتشتت جيوشه
شذر مذر ووقع كل ما كان معه في قبضة
سليم الاول

كانت مدة ولاية السلطان الغوري
١٥ سنة و ٩ أشهر . من آثاره جامع
الغورية ومدرسة الغورية في أول شارع
السكة الجديدة بالقاهرة

دخل السلطان سليم حلب فملكها
ثم توجه الي حماة وحمص فاستولي عليهما
ثم قصد دمشق فاستقبله أهلها وطلبوا
منه الامان فتم له ملك سورية برمتها فأقام
عليها العمال وسار منها الي مصر

تولي بعد السلطان قانصوه طومان
باى ابن أخيه وكان يدبر الملك في غيبته
فلقبوه الملك الاشرف فبدأ يستعد لملاقاة
الاتراك . أما السلطان سليم فلم يمهله فقد
قسم عسكره الي فرقتين أرسل فرقة من
تحت الجبل الاحمر وفرقة لمقاتلة الجراكسة

في الريدانية فهزمتهم وشتتت شملهم وثبت
الملك الاشرف طومان باى يقاتل مع نفر
قليل الي أن خاف أن يقبض عليه فهرب
واختفي ودخل القاهرة جماعة من الترك
شاهرين سيوفهم وذلك في أواخر سنة
(٩٢٢) م

فلما حلت سنة (٩٢٣) أمر السلطان
سليم جنوده بالكف عن النهب وأمر
باحضار من قبض عليه من الجراكسة
فضرب أعناقهم . وفي يوم الاثنين ٣
من المحرم دخل السلطان القاهرة في موكب
عظيم

أما طومان باى فانه لما اختفي جمع
عسكرا كثيفا ووثب يوم الاربعاء ٥ محرم
على محلة السلطان سليم وأحاط بها فنشب
بينهم القتال ودام الليل كله واستمر الى
اليوم التالى فانهزم الجراكسة بعد أن قاتلوا
قتال الجبابرة وكان أشد ما اقره من هذه الحرب
مدافع السلطان سليم وبارودة ولم يكن معهم منها
شيء

فهرب طومان باى الي الصعيد ولحق
به هناك كثيرون من الامراء والعساكر
فلما قوى شأنه تقدم الي الجيزة فبرز اليه
الترك وحصلت بين الفريقين موقعة هائلة
أخرى تغلب الجراكسة في أولها ثم
دارت عليهم الدائرة في آخرها وولي
طومان باى منهزما فلاقاه حسن بن مرعي
في ضيعة اسمها البوطة وكان صديقه من
زمان بعيد فأنزله ضيفا عنده وحلف له ان
لا يخونه ولا يدل عليه واذا بالعربان
احتاطوا به من كل جهة وهو لا يدرى
وأعلموا السلطان العثماني بمكانه فأرسل
جماعة من جنوده فقبضوا عليه وقيدوه
بالحديد وأتوا به فأبقاه مقيدا أياما وفي
يوم ١١ ربيع الاول سنة (٩٢٣) أمر بشنقه
على باب زويلة فكانت مدته ثلاثة
أشهر وأربعة عشر يوما وبموته انقرضت دولة
المماليك وأصبحت سورية ومصر في قبضة
العثمانيين

وكانت مصر مقر الخلافة الاسلامية
من بنى العباس كما قدمنا من عهد السلطان
الظاهر بيبرس فكان الخليفة على عهد
السلطان سليم المتوكل على الله محمدا فطلب
السلطان الى الخليفة أن يتنازل له عن الخلافة
فتنازل له وسلمه الآثار النبوية وهي الراية
والسيف والبردة وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين
فأصبحت الخلافة في سلاطين الترك من
ذلك الحين

وفي سنة (٩٢٣) عاد السلطان سليم الى مقر ملكه بالآستانة بعد أن ولى مصر خير بك امير الامراء طعمة له طول حياته وكان وعده بذلك من قبل فتولاها ومات سنة (٩٢٦)ﻫ

فصارت مصر مع العثمانيين كما كانت مع الدولة الرومانية يرسل اليها الولاة لمدة قصيرة فتولاها بعد خير بك مصطفى باشا ثم قاسم جزل باشا ثم احمد باشا الملقب بالخائن سنة (٩٣٠)ﻫ وكان السلطان سليمان بن سليم قد ولي الصدارة أودا باشا وكان احمد باشا والي مصر أقدم منه في الخدمة وكان يؤمل ان يرقي الي رتبة الصدارة قبله فأراد السلطان أن يسترضيه فولاه على مصر فصار الصدر الاعظم يتحين الفرصة لاتهامه بما يوجب قتله فأوعز الى امراء الجراكسة بمصر أن يجتمعوا عليه و يقتلوه و يولون احدهم مكانه الي أن يرسل اليهم واليا جديداً فعثر احمد باشا علي هذه المكيدة فأظهر الاستقلال بمصر وضرب السكة باسمه وكان قد حبس بالقلعة امير بن كبير بن من امراء المماليك وهما وهب جانم الحزاوى ومحمود بك واراد قتلهما فبلغهما انه دخل الحمام فكسرا السجن وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا وناديا من اطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحته خلق كثير وصار سردارهم جانم الحزارى ومحمود بك وتوجها بالجنود الي الحمام فكبسوه علي احمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه فأعجله عن حلق النصف الثاني هجوم الجنود فهرب الي سطوح الحمام وتسلق من مكان الي مكان الي أن وصل الي الارض فنهبوا جميع ما كان عنده من السلاح والذخيرة ثم اقتفوا أثره فأدركوه بمنية جناح بالغربية فقتلوه في أواخر سنة (٩٣٠)ﻫ وجزوا رأسه وجيء بها الى مصر وعلقت في باب زويلة ثم جهزت وأرسلت الي السلطان نفسه فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة

تولي بعده ابراهيم باشا سبعة أشهر ثم طلب لتولى الصدارة العظمي فخلفه سليمان باشا الخادم سنة (٩٣١)ﻫ فعين الامير كيوان سنة (٩٣٣) لمساحة قرى مصر وضبط أراضيها كل اقليم علي حدته من الاطيان السلطانية والارزاق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك

دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وسميت دفاتر ترابيع سنة (٩٢٣) ثم عينه السلطان باليمن سنة (٩٤١)

ثم تولي خسرو باشا سنة (٩٤١). ثم عاد سليمان باشا الخادم لولاية مصر وبقي فيها الي سنة (٩٤٥)

ثم تولي داود باشا سنة (٩٤٥) فبنى مدرسة عظيمة بسويقة اللالة بمصر ووقف لها أوقافا جمة وبقي بمصر الي سنة (٩٥٥) فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهراً وعشرين يوما وتوفي بمصر

ثم تولى مصطفي باشا صنصغان فلم تزد مدة ولايته عن أربعة أشهر ونصف شهر

ثم تولي علي باشا الى سنة (٩٦١) فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر و ٢٦ يوما

ثم توالت ولاة لا فائدة في ذكرهم عقبهم سنان باشا سنة (٩٧٥) فورد عليه الامر بالتوجه لفتح اليمن واسترجاعها من الزيديين الثائرين فتوجه اليها ومعه جماعة من أكابر صناجق مصر وكان أولئك الصناجق قد أتهموا بقتل أحد الولاة فلم يرجع منهم الي مصر أحد

فتح سنان باشا اليمن واسترجعها من يد الثائرين الزيديين . ثم تولي بعده اسكندر باشا الفقيه وهو جركسي الاصل فبقي لي سنة (٩٧٩) ثم عاد سنان باشا فأحدث فيها مآثر جليلة ومساجد جميلة وربطا وتكايا في كثير من البلاد السورية والمصرية بحيث فاق في ذلك كل من تقدم من الولاة. ثم توجه لزيارة قبر السيد البدوى فبلغه ان الامير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية صغير السن غير ملتفت لغير اللعب واللهو ولكنه مع ذلك يستند الى معونة الصدر الاعظم سياوش باشا فخشي سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية فعزله عن ولايته وجعل مكانه الامير علام بن بغداد وقبض علي الامير منصور وسجنه بالقلعة فبقي معتقلا الي ان تولى مصر حسن باشا الخادم فأطلقه وأعاده الي ولايته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات

ثم دعي سنان باشا لتولي الصدارة بعد أن مكث بمصر المرة الثانية سنتين

ومن ولاة الترك بمصر مسيح باشا وليها سنة (٩٨٢) وكان عادلا مهيبا عفيفا

يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطريق ويتجسس عن أخبارهم ومواطنهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع في قتله فانتظمت الاحوال في زمانه وأمن الناس علي أنفسهم وأموالهم وخافه الحكام والولاة وبطلت الرشوة . توفي سنة (٩٨٨) بعد أن لبث بمصر خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما

ثم تولى بعده حسن باشا الخادم فأمر بأن يلبس اليهود الطراطير الحمر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق . وكان هذا الوالي محباً لجمع المال فصادر أموال الكثيرين من المصريين

تولي بعده الوزير ابراهيم باشا ففرح الناس بقدومه وكان بيده أمر سلطاني بمحاسبة حسن باشا الوالي السابق وكان يرجو أن يظفر به في مصر الا انه كان قد سبقه وأقام وكيلا عنه لمقاضاته فظهرت هذه أموال كثيرة أخذها من الناس غصبا . ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الي بئر الزمرد فأحاط بها علما وأخذ منها بعض الاحجار وتوجه الي الاهرام وأراد الوقوف علي سره فلم يستطع الى ذلك سبيلا

ثم تولي اويس باشا فحدثت في أيامه فتن فهرب الناس الي كل فج خوفا من الجنود الثائرة ومنع المصريين من الانتظام في سلك الجندية ومن التشبه بالجنود في ملابسهم وحدثت مناهب ومسالب . وحدث زلزال لم ير مثله في مصر فسقطت منائر بعض المساجد وبيوت وربوع وفاض الماء من حوائط الحمامات وخاف الناس خوفا شديدا . وتوفي اويس باشا سنة (٩٩٩) ه فكانت مدة ولايته أربع سنوات وشهراً واحداً وثمانية أيام

تولى بعده احمد باشا حافظ وكان محباً للعلماء والفقراء ذا رأى وتدبير عمر وكالة كبيرة ووكالة صغيرة وسوقا وقهوة وبيوتاً وربوعا ببولاق وصنع صحابة بطريق الحاج ثم ولي الصدارة فسافر من مصر فحزن الناس لفراقه حزنا شديدا لما كانوا رأوه من عدله وحسن أثره بينهم. ثم انه استقال من الصدارة ومر حاجا فلقيه المصريون باحتفال عظيم أظهروا له فيه ما تكنه صدورهم من حبه والشعور بمآثره

تولي بعده الشريف محمد باشا سنة (١٠٠٤) فأهرع الناس اليه يشكون من حكومة حسن الشافرت وأحمد السلماني بسبب خيانتهما في جميع الاموال الديوانية فحقق التهم الموجهة اليهما فثبتت عليهما فأمر بشنقهما

ثم عزم علي التوجه الي الربيع فنهاه بعض خاصته لما يعلم من تألب البعض عليه فلم ينته فذهب وقضي وطره وبينما هو عائد بموكبه الحافل تعرض له الجنود عند باب الوزير فوقفوه وأمروه بالمجيء معهم للمحاكمة فلما رأى أن حرسه لا يكفي للدفاع عنه أوهمهم بانه قد أطاعهم وسار معهم الي ان وصل الي الرملية فركض فرسه ودخل القلعة واقفلها عليه واستمر علي ذلك حتى صرف عن ولايته ومما يعزى اليه اصلاحات أحدثها بالازهر

ومن ولاة الترك علي باشا تولاها سنة (١٠١٠) وعند قدومه تكاثرت عليه الشكاوى من الكشاف (أى مديرى الاقاليم) واكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فأمر بقتله ثم حدثت شكاوى في حق محمد بن نجا حاكم النخراوية فأمر بقتله أيضاً فهابه الحكام واستقاموا له وخافه الناس كلهم ولقبوه بالنمر

ثم بداله كأكثر ولاة الترك أن يزور السيد البدوى في موكب حافل فزاره ووزع الصدقات علي الفقراء والجوائز علي المستخدمين . وبينما هو راجع تصداه الجنود بالسلاح فطلبوا اليه أشياء كان منعهم اياها فلم يسعه الآن منحهم اياها وحدث له بعد ذلك غيظ شديد مرض بسببه فطلب من السلطان أن يقيله فأقاله سنة (١٠١٢) ه

في زمنه ظهر بمصر التبغ وولع به السود والسوقة وسرى الي بعض الخاصة

ومن ولاة مصر ابراهيم باشا وكان مستبداً برأيه لا ينقاد لنصح ناصح ولا اشارة مشير فأخذ يتتبع عثرات الجنود ويتجسس عن أخبارهم وعن اجتماعاتهم ولاسيما في مجالس الانس والطرب فانتهز الجنود فرصة وجوده بولية ومعه الامير اللواء محمد خسرو باشا فهجموا عليه وطلبوا اليه مطالب لا يمكن منحها فاغلظ لهم في القول وهم امير اللواء محمد خسرو بدفعهم فقتلوه وقتلوا الوالي وحملوا رأسيهما علي جريدتين وهما بباب زويلة

تولى بعده مصطفي أفندى عزمي

زاده سنة (١٠١٣) فلم يلبث غير شهرين وثلاثة عشر يوما

ثم تولي بعده جرجي محمد باشا فأقلته الرياح وهو قادم لمصر الي ثغر دمياط فنزل منه وتعقب قتلة ابراهيم باشا فهربوا منه في كل وجه فتتبعهم فمن عثر عليه منهم قتله ومن لم يعثر عليه بقي مشرداً . ثم دعي بعد نحو سبعة أشهر لتولي الصدارة العظمي

ومن ولاة مصر محمد علي باشا وليها سنة (١٠١٦) ه فتراكمت عليه الشكاوى من جميع الجهات عند قدومه لان الناس كانت في ضنك شديد من تصرف مديرى الاقاليم فكان لا يرد علي أحد منهم بكلمة ثم أخذ في اصلاح الامور فاستدعي اليه سليمان ابن درغت كاشف المنوفية وبرويز بجر كاشف الغربية وكوسة علي كاشف البحيرة فقتلهم وولي كشافا بدلهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يسيروا بالعدل والا يجحفوا بحقوق مرؤوسيهم وكان من جملة من ولاهم الحلوجي عينه الغربية فتوجه لي بولاق لقضاء بعض مصالحه فلقيه جمهور من الجنود فطلبوا اليه شيئاً فلم يعطهم اياه فقصدوه بالسوء فألقي بنفسه الى سفينة هناك ومنها رمي بنفسه الي البحر فغرق فبلغ ذلك الوالى فجمع أمراء الجنود بالميدان ونصب البيرق ونادى مناد من كان مطيعاً لله ورسوله وأولي الامر فليدخل تحت لواء السلطنة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر الجنود فلبثوا هنالك ثلاثة أيام ثم مازوا الذين فتكوا بالحلوجي من سواهم وقتلوهم فهدأت تلك الثائرة

ثم أن جنوداً تألبوا من الاقاليم واجتمعوا في المرج والزيات وتحالفوا علي الحرب فأرسل لهم محمد باشا من يعظهم ويردهم الي الطاعة فلم ينتهوا فلم يسعه الا أن جمع جنوداً وضم اليهم بعض العرب وأمر السردار مصطفي بك بمقاتلة الثائرين فساروا الي أن وصلوا بركة الحاج فلما تراأى الجمعان انهزم الثائرون وقبض علي محركيهم وضربت أعناقهم ولم ينج منهم الا القليل فقال أحد شعراء ذلك العصر في ذلك وانما نذكر هذا الشعر ادلالا علي ما كانت عليه حالة الادب في مصر في ذلك العهد قال:

يوم نصر الوزير قد كان عيداً
عيد فطر لفطر قلب الحسود
واذ قلت عيد أضحي فصدق
فضحاياه ضاريات الاسود
ألحدوا في الانام نهبا وقتلا
فأزيلوا وأسكنوا في اللحود

وقال شاعر مورخا :

أنظر أنظر الى البغاة ومن هم
لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طوراً وجاؤا بافك
طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج
واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل
لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم الذل فأرخت زالوا
وكفي الله المؤمنين القتالا

ونظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشرى في ذلك :

بشرى لمولانا الوزير محمد
فهو الذى يذرى المفاسد يفتك
وعلي البغاة له انتصار دائم
تاريخه جمع الخوارج أهلكوا

ثم دعي محمد باشا المذكور الصدارة العظمي فخرج من مصر في موكب حافل وتقلد الولاية بعده حاجي باشا فلم يبق الا شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً ثم خلفه محمد باشا سنة (١٠٢٠) وجاء معه أربعة آلاف جندى من الاتراك كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية فاحتال عليهم وأخذهم معه موهما اياهم باسكانهم مصر واغداق خيراتها عليهم فلما حضروا أمرهم بالاستعداد للسفر الي اليمن فأدركوا ان اخراجهم من بلادهم كان حيلة أريد بها نفيهم الي حيث لا يعودون فثاروا ثورة رجل واحد وألقوا بالامر عرض الحائط ثم أظهروا الانقياد فعين الوالى عليهم فندق بك فيروز فلما مروا بباب النصر عادوا الي التمرد فأقفلوا باب النصر والفتوح وألقوا خلفهما الاحجار واحتاطوا لانفسهم من كل جانب ومنعوا ضباطهم من الخروج والذهاب الي الديوان مخافة أن يتركوهم وشأنهم لنيران المدافع ثم سدوا الشوارع الموصلة اليهم حتى لا يستطاع ايصال المدافع تجاه معقلهم وتحصنوا وراء متاريس أقاموها وصعدوا الى أسطحة المنازل وعلي مآذن المساجد فتعذر علي جنود الوالي التغلب عليهم لانهم كانوا ينالون الجنود من أعالي الاسطحة بالاذى ولا ينالهم من رصاصهم شيء . فجمع الوالى الصناجق

والكشاف ومعهم رجالهم ودفعهم على الثائرين فلما رأوا ذلك خافوا ورفعوا الحواجز والمتاريس وأظهروا انهم أذعنوا للسفر فأحضر لهم الوالي أكثر من ثمانين جملا لحمل أثقالهم فلما انتهت الجمال اليهم أسقطوا أحمالها وضربوها بالسيوف فنفرت ثم عادوا فأقفلوا الابواب وحصنوا وراءها أعظم تحصين وأشيع انهم قتلوا ضباطهم فأمر الوالي بالخروج اليهم فخرج هو ومعه جمع كبير من الامراء الجراكسة وتقدم الامير يوسف القطاس ومعه ستة مدافع وتقدم الامير علي فتوصل اليهم من وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدى من جهة الخلف ورفع الامير يوسف القطاس الحواجز والمتاريس ونقب الجنود عليهم أماكن مختلفة فتسربوا اليهم من كل مكان فاضطر الثائرون لطلب الامان وأظهروا اذعانهم للوالي فنقلهم الي السويس ومنها الي اليمن فدفعت تلك الفتنة وقال شاعر مصر اذ ذاك :

خرج الخوارج للسويس وهججوا
من أرض مصر لكثرة الافساد
رقصت لهم طربا فقالوا زلزلت
زالوا فزالت جملة الانكاد
حفروا لمولانا الوزير محمد
بئراً فتيها أوقعوا لفساد
والله ساعده علي اذهابهم
وأمده بنهاية الامداد

حصل في زمن هذا الوزير رخاء عظيم حتى بيع الاردب من القمح بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول بخمسة عشر نصفا والعدس والبازلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوى بمئة وستين نصفا وبيعت اللحوم والاسماك بما لا يتصوره العقل . وزن القنطار القوى المذكور هنا (٢٥١) رطلا

صُرف محمد باشا عن ولاية مصر بعد أن مكث واليًا ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما

تولي بعده احمد باشا الدفتردار سنة (١٠٢٤) فركب بموكب حافل قاصداً القلعة وكان علي عمامته ريشتان من الماس العظيم وبينا هو امام جهة الجوخيين سقط علي عمامته حجر وزنه خمسة أرطال فألقى احدى الريشتين علي الارض ومزق جانبا من الشاش واتهم رجل من أقارب ابراهيم المنصورى الخياط بريي

ذلك الحجر فقبض علي الرامي وشنق وكان ذلك الرامي موصوفا بخلل في عقله فمكث احمد باشا واليًا سنتين واحد عشر شهراً وثلاثة أيام

ومن الولاة جعفر باشا تولاها سنة (١٠٢٨) فلما صدر الامر بتقليده حكومة مصر فرح المصريون فرحا لامزيد عليه لانهم كانوا يعرفونه من قبل ، وذلك انه لما أرسل واليًا علي اليمن مر بمصر ومكث بها أياما فعرفه الناس بالعلم والفضل والقناعة وكانت له مشاركة في أكثر العلوم فلما ولي مصر استبشر به الناس وأملوا في حكومته خيراً فخرج لاستقباله يوم مجيئه العلماء والامراء والاعيان فركب في موكب حافل جداً . ولكن الله لم يرد أن يكون علي يديه مايفرح به الناس فداهمهم الوباء الفتاك حتى اشتغل الناس بدفن موتاهم فلما ذهب الوباء واستعد الوالي المذكور لاظهار مواهبه ، والعمل علي شاكلته أتاه امر الدولة بالعزل فذهب مأسوفا عليه

ثم توالت علي مصر الولاة الي أن تولي السيد أبو بكر باشا الطرابلسي في ٢٥ ربيع الاول سنة (١٢١١) ه وفي مدته قدم الجنرال بونابرت (نابليون الاول) فاتحاً مصر من قبل الدولة الفرنسية فنزل بجيشه الي الاسكندرية ثم زحف علي مصر فاستقبلهم جيش مصر عند الرحمانية فانهزم المصريون وحدثت موقعة دموية أخرى بالجيزة كان حظ المصريين منها كحظهم في الموقعة الاولى وفر مراد بك الجركسي ومن معه من الذين كانوا يقاتلون في الشاطيء الغربي من النيل الي الصعيد وهرب ابراهيم بك الجركسي الذى كان يقاتل في الشاطيء الشرقي الى الشام فدخل الجنرال بونابرت الي القاهرة ونشر منشوراً ذكر فيه انه انما جاء لتخليص البلاد من جور الجراكسة وانه لايتعرض للاهالي في دينهم وعقائدهم وأموالهم وانه يحترم كتاب المسلمين ورسولهم والعثمانيين أيضاً وحدثت من بعض الاهالي مقاومة اضطرت الجيش الفرنسي الى الايقاع بهم ومكث الجنرال بونابرت بمصر سبعة أشهر ثم توجه لفتح الشام في رمضان من تلك السنة وكان بها احمد باشا الجزار فحاصره بونابرت في عكا حصاراً شديداً ولم يظفر به ثم عاد الي مصر بعد أن فقد من رجاله ٤٠٠٠ جندى فحصن القاهرة ببناء القلاع حولها

اما الدولة العثمانية فانها أرسلت الي مصر جيشا مؤلفا من ١٨٠٠٠ رجل من جهة أبي قير لاخراج الفرنسيين تحت قيادة مصطفى باشا فذهب اليهم بونابرت بجيشه وهزمهم وأسر قائدهم وعاد الي مصر ثم بدا له أن فرنسا في حاجة اليه فأخذ بعض قواده معه ونزل من أبي قير ووصل الي فرنسا ناجيا من السفن التى كانت أرصدتها انجلترة للقبض عليه فتولي قيادة الجنود في غيبته الجنرال كليبر فهجم عليه في ذات يوم أحد طلبة الشوام بالجامع الازهر وقتله ولما سئل عن شركائه في الجريمة لم يعين أحداً وانما قال انه جاء من سورية بقصد اغتيال كليبر منذ ثلاثين يوما واختبأ في رواق الشوام بالازهر وسمي جماعة كان مقيما معهم وهم ثلاثة من العلماء فاتهمهم الفرنسيون بأنهم كانوا يعلمون بقصد ذلك السورى ولم يخبروا عنه فقتلوهم معه وأقفل الجامع الازهر خشية أن يكون مصدراً للحوادث التى من هذا القبيل

أما انجلترة فلم يرقها احتلال الفرنسيين مصر لان هؤلاء كانوا يضمرون لمناكفتها بامتلاك طرقها الي الهند فاتفقت مع الترك علي محاربتهم فأرسل السلطان سليم الثالث جيشاً تحت قيادة الصدر يوسف باشا من طريق سورية فوصل الي غزة في رجب سنة (١٢١٤) ثم زحف علي العريش ففتحها بعد أن حدث بين الفريقين تعاقد علي خروج الفرنسيين من مصر علي سفن انجليزية حاملين علي كرامتهم العسكرية ولكن الاميرال (كيث) الانجليزى أبلغ كليبر بعد ايام بأن الحكومة الانجليزية لم تقر علي هذا الاتفاق وتصر علي تسليم الجيش الفرنسى بدون شرط. فغضب كليبر من ذلك وهجم علي الجيش التركي في المطرية فهزمه. ثم عاد الى القاهرة وكان ابراهيم بك الجركسى قد عاد اليها فضربها كليبر بالمدافع وتمكن ن دخولها بعد عشرة أيام. فلم يسع مراد بك الا الاتفاق مع الفرنسيين علي حكم مصر تحت سيادتهم وان يدفع لهم جزية سنوية فدخلت مصر ثانية تحت الحكم الفرنسى وكاد يستقر فيها قدم الفرنسيين لولا حدوث تلك الحادثة التى قتل فيها كليبر بيد ذلك السورى وكان ذلك في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ فتعين مكانه الجنرال منو

وفي أول سنة (١٨٠١) نزل ٣٠٠٠٠ انجليزى الى مصر تحت قيادة الجنرال ابركرمبى من أبي قير فحدثت بينهم و بين جيش منو واقعة انهزم فيها منو هزيمة شنيعة بسبب عدم مساعدة الجنرال رينييه له فاضطر لان ينسحب الي الاسكندرية ولكنه وقع بها محصوراً وبقي نائبه بليار محصوراً أيضاً بالقاهرة مع ٨٠٠٠ جندى فاضطر للتسليم علي شروط رقعة العريش الي الاتراك والانجليز الحاصرين له فخرج منها محافظاً بالتكريم العسكرى واركب في سفن انجليزية وأعيد الي بلاده. وفي ٢ سبتمبر من السنة المذكورة (١٨٠١) سلم الجنرال منو أيضاً علي شروط بليار وأعيد الى بلاده علي سفن انجليزية فتم اخلاء مصر من الفرنسيين

كان في الجنود العثمانية فصائل من الالبانيين والانكشارية والقليونجية وهم من أنواع الجند العثماني فتفرقوا في بلاده لحماية مصر العليا والصعيد. اما الانجليز فنزلوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون الي الاسكندرية ولبثوا فيها ريثما يتم الامر للباب العالي و يكبح جماح المماليك الذين كانو لا يزالون يعملون لنيل الاستقلال

فأرسل الباب العالي خسرو باشا وكان من مماليك حسين قبطان باشا وكانت معه اوامر تحتم عليه قتل المماليك وابادة عصاباتهم بأية وسيلة كانت فأخذ يحاربهم بالصعيد فضاق بهم الامر فلم يروا وسيلة أفضل من استنجادهم بفرنسا فكتبوا اليها فلم تستطع أن تحرك ساكنا لما كانت فيه من الحوادث الثورية

أما الحملة التى بعثها خسرو باشا الي الصعيد فقد قاتلت المماليك في عدة مواقع ولكنها لم تفز منهم بطائل وكان محمد علي قد رقي اذذاك الي درجة قائد علي أربعة آلاف من الالبانيين فبعثه خسرو باشا علي رأس رجاله مدداً لحملة الصعيد فانكسرت تلك الحملة قبل وصول محمد علي اليها فعزا قائدها انكساره لتلكؤ محمد علي عنه عمداً فعزم خسرو باشا علي قتله وامره بالشخوص اليه ليلا. فأدرك محمد علي ما ينويه الوالي في حقه فلم يلب طلبه وأعلن انضمامه الي المماليك وبه تمكنوا من اخراج خسرو باشا من القاهرة ففر الي دمياط فعينوا مكانه طاهر باشا ثم حدثت فتنة قتل فيها هذا

الوالي واحتل محمد علي القلعة فقام أحمد باشا رئيس الشرطة اد ذاك يطلب الولاية لنفسه فطرده المماليك من القاهرة . ثم أتحد المماليك ومحمد علي على محاربة خسرو باشا في دمياط لاخراجه من مصر كلها فأسروه وأتوا به الى القلعة مستقلا

أما الدولة العثمانية فانها لما بلغها هذا الخبر ارسلت الي مصر واليا اسمه علي باشا الجزائرى فلم يصل الي مصر الي بصعوبة ولما تولي الاحكام اخذ يكيد للماليك ومحمد علي فدارت الدائرة عليه

والذى فت في عضد المماليك واضعف أمرهم انه كان لهم رئيسان يتزاحمان على السلطة احدهما محمد بك الالفي والآخر ابراهيم بك البرديسي . فسار الالفي لطلب معونة انجلترة فاغتنم محمد علي هذه الفرصة واتفق مع خصمه البرديسي على الايقاع به . فأدرك الالفي انه مقصود بالاذى من الرجلين ففر الى الصعيد برجاله فخلا الجو في القاهرة للبرديسي ولكن محمد علي كان له بالمرصاد يريد اسقاطه ليتم له الامر نهائياً فأوعز الي رجاله من الالبانيين ان يثوروا و يطالبوا بمرتباتهم فثاروا وهددوا البرديسي بالاذى اذا لم يدفع اليهم مرتباتهم فاضطر لتحصيل الاموال من اهل القاهرة بالعنف فثاروا جميعاً عليه فاضطر الى مغادرة القاهرة وذلك سنة (١٨١٤) فخلا الجو لمحمد علي فجمع اليه العلماء والاعيان وتفاوضوا في أمر اطلاق خسرو باشا من سجنه وأن يعود الى منصبه فأقروه على ذلك فأعادوه ولكنه لم يلبث الا يوما واحداً حتى اخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها أرسل الي الآستانة وكان ذلك بمساعي محمد علي ومهارته لنيل مآربه

ثم تظاهر محمد علي بان الامور لا تستقيم الا بتعيين وال عثماني تركي صميم حر لا جركسي معتوق وأشار على العلماء والاعيان بتعيين خورشيد باشا وكان بالاسكندرية فوافقه الناس على ذلك وعلى أن يكون محمد علي نائبا عنه وارسلوا الي الباب العالي يخبرونه بذلك و يسترحمونه في قبول اقتراحهم

فلما تولى خورشيد باشا رأى ان محمداً علياً مستأثراً بالامور وأن ليس له هو الا الاسم وذلك اعتمادا على رجاله الالبانيين فاتخذ له جنوداً من المغاربة

اسموهم الدلاتية ليستعين بهم على محمد علي ولكن حدث ان هؤلاء الجنود كانوا يسيئون الي الناس فكرهوهم

وفي ٢ صفر سنة (١٢٢٠) وردالي محمد علي أمر من الآستانة بولايته على جدة وكان القصد من ذلك اقصاءه عن مصر لما بدا لهم من تطلعه اليها فتظاهر محمد علي بأنه يريد الذهاب الى جدة فثار عليه الجنود يطالبونه بمرتباتهم فقال لهم ان مرتباتكم لدى الباشا الوالي ورجع الي داره بالازبكية وهو ينثر الذهب فوق رؤوس الناس فازدادوا حباً له وكرهاً في الوالي

وبعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ سار العلماء والاعيان الى دار محمد علي وهم يصيحون لا نقبل خورشيد باشا والياً علينا . فقال لهم محمد علي ومن تريدون اذن ؟ قالوا له لا نريد سواك. فامتنع أولا وجعل يرغبهم في خورشيد باشا ويحسن لهم الاذعان له فلم يقبلوا . فاضطر الي موافقتهم فأحضروا له الكرك والقفطان وألبسوه اياهما وبعثوا الي خورشيد باشا يطلبون منه أن ينزل من القلعة فأبي فحاصروه فيها وكتبوا الي الباب العالي بذلك واسترحموه في تعيين محمد علي فورد اليه الفرمان بالولاية في ١١ ربيع الآخر سنة (١٢٢٠) ٩ يوليه سنة ١٨٠٥ وعزل خورشيد باشا فخرج من القلعة بأمر من مولاه فتادر البلاد وفي نفسه من الغيظ على محمد علي ما فيه . ولكن المماليك كانوا أشد منه غيظا لما ظهر لهم من خدع محمد علي لهم واسقاطهم في شر أعمالهم الواحد بعد الآخر بعد ان استخدمهم لاغراضه فثاروا عليه وفي مقدمتهم الالفي فانه عند ما علم بتولية محمد علي ثار عليه وكتب الي انجلترة بأن تساعده على عزله وهو يسلمها البلاد وعلم قنصل فرنسا بذلك فأخذ يعرقل مسعاه وأخذ يتحد مع محمد علي على شيء يتنازل له عنه فلم يتفقا فعاد الالفي لمخابرة قنصل انجلترة فأقنعت هذه الدولة الباب العالي بوجوب ارسال وال حازم مع العفو عن المماليك فبعث واليا اسمه موسى باشا فقام العلماء والوجهاء ومعهم سفير فرنسا في الآستانة يوضحون للباب العالي مقاصد المماليك من هذه الحركة فثبت محمد علي في مركزه ولكنه أمر بعدم التعرض للماليك وساعدته المقادير بوفاة البرديسي ثم الالفي فتولي

علي المماليك شاهين بك ولكن كانت سطوة أولئك المماليك قد قلت

أما انجلترة فاعتبرت اعادة محمد علي اهانة لها فأرسلت حملة الي مصر تحت قيادة الجنرال فراز ر لارجاع السلطة للمماليك ولكن المماليك كانوا قد تشتتوا في البلاد ولم تعد لهم جامعة كما كانت ايام الالفي والبرديسي فأقامت الجنود الانجليزية في ثغور مصر مدة ثم اصطلحت على ابقاء محمد علي والياً على مصر . ثم سعي بعضهم في الصلح بينه و بين شاهين بك زعيم المماليك فتصالحا وقدم هذا الى مصر بالهدايا الثمينة لمحمد علي فأكرمه وبنى له قصراً لسكناه بالجيزة

أخذ محمد علي بعد أن تم له الامر علي ما رأيت يصلح ما أفسدته الفتن من مصالح الناس فعين كثيراً من اقاربه الموثوق بهم في الوظائف الكبيرة وكان شديد الحب لاسرته

وفي هذه الاثناء ظهرت فئة الوهابيين في بلاد العرب وهم طائفة ادعت انها علي الحنيفية السمحة وكان صاحب دعوتها يدعي محمد عبد الوهاب ولد سنة (١١١٠) هجرية تفقه وحج واظهر دعوته فاجتمع عليه الناس فكان من مذهبه ان الناس ضلوا وبدلوا الدين وعبدوا القبور والاحجار باسم زيارة الاولياء والصالحين فاستحال الاسلام الى ديانة وثنية كالتي جاء الاسلام بنقضها وأخذ يشير علي أصحابه بهدم القبور والقباب والمآذن وكل ما لا يوافق القرآن وجعل القرآن دستوره ورفض جميع المذاهب والاقوال الشارحة القرآن فاجتمعت عليه أحزاب كثيرة فلما آنس من نفسه قوة فتح نجداً فالحجاز فالحرمين وما زال يوالي الفتوح حتى مات سنة (١٢٠٥) وسنه ٩٦ سنة فاستمر اتباعه يتممون ما عهده اليهم الي سنة (١١٢٤) تحت قيادة الامير سعود فأصبح لهم مملكة يحدها من الشمال صحراء سورية ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الاحمر فلم ير الباب العالي طريقة لكبح جماحهم امثل من تكليف بطل مصر محمد علي باشا بتقويض دولتهم

فأجاب محمد علي باشا الامر فجمع جيوشه وأخذ أهبته ولكنه قبل أن يخرج من مصر فكر في أمر المماليك وتحقق انه لو تركهم وشأنهم احدثوا حدثاً

عظيما قد يعجز عن تلافيه فأجمع أمره علي ابادتهم قبل خروجه فأعد أربعة آلاف جندي تحت قيادة ابنه طوسون باشا لارسالها الي بلاد العرب وكتب الباب العالي يطلب اليه أن يرسل اليه بالخشب لبناء سفن لنقل الحملة فأرسل اليه ما طلب فبني بالسويس ١٨ سفينة

وكان المماليك قد يئسوا من الاستقلال لما رأوا عليه محمد علي من العزيمة واليقظة فاكتفوا بالتمتع بأرزاقهم في حالة سلام وهدوء فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وبعضهم الاقاليم الاخرى . وكان رئيسهم في أرض له بين الجيزة وبني سويف أقطعها اياه محمد علي باشا

وفي المحرم من سنة (١٢٢٦) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة العرب في الصحراء ينتظرون باقي الحملة ومعها طوسون باشا وتعيين يوم الجمعة لوداعه والاحتفال بخروجه فأعلن ذلك في المدينة ودعي جميع الاعيان لحضور ذلك الاحتفال وفي جملتهم المماليك وطلب اليهم أن يكونوا بملابسهم الرسمية

فاحتشد الناس يوم الجمعة ٥ صفر وجاء شاهين بك في رجاله فاستقبلهم الباشا في قصره وقدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة المعينة أمر محمد علي بالمسير فسار الموكب فجعلت المماليك في الوراء يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا قربوا من باب العزب من أبواب القلعة أمر محمد علي باشا باغلاق الابواب وأشار الى جنوده الالبانيين باطلاق النار عليهم فأخذتهم النيران من كل صوب فهموا بالهرب فلم يجدوا طريقا فحاولوا الفرار مترجلين فتركوا خيولهم وأخذوا يعدون يميناً و يساراً والجنود تصيبهم من هنا وهنا وتقتلهم . فقتل شاهين بك رئيسهم أمام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الالتجاء الي الحريم أو الي طوسون باشا فلم يتمكنوا من ذلك فقتل في هذه المجزرة نحو ٤٠٠ من المماليك منهم ٢٣ بيكا ونادى مناد في المدينة من وجد مملوكا فليقتله فصار الناس يتصيدونهم ويأتون بهم زرافات الي كتخدا بك فيذبحهم ذبح الاغنام . وبهذه الوسيلة لم ينج من زعماء المماليك الا اثنان أحدهما اسمه احمد بك وكان غائباً بجهة موش والثاني أمين بك وكان قد أتي متأخراً فلما قرب من باب القلعة وسمع اطلاق

الرصاص على مسر المكيدة فقفز جواده وفر لايلوى على شيء وقيل انه لحق بالآستانة

ثم نزل الالبانيون وأخذوا ينهبون دور المماليك وقصورهم ويسبون نساءهم وفي اليوم التالي نزل محمد علي باشا من القلعة وطوسون باشا معه طافا بالمدينة ينهون الناس عن النهب ويوعدونهم بالقتل ان هم خالفوا الامر

وأمر محمد علي باشا بحفر حفر في الارض والقاء جثث زعماء المماليك فيها وحمى نساءهم ولم يسمح بتزويجهن الا لرجاله

فلما أمن محمد علي باشا على مصر من تشغيب المماليك أخذ ينظر في أمر الوهابيين لفتح طريق الحج فكتب الي الشريف غالب شريف مكة يخبره بأنه أعد حملة لانقاذه من الوهابيين وطلب اليه أن يمهد له السبيل فأجابه شاكراً ووعده بالاعانة

أما سعود أمير الوهابيين فأنبأه جواسيسه بما تم فاستعد لملاقاة جيش مصر . وسارت الحملة تحت قيادة طوسون باشا بن محمد علي باشا حتى وصلت الي ينبع فملكتها وسارت منها الي صفر وفيها معسكر ابن سعود وكانوا قد تأهبوا للدفاع فهجم طوسون باشا فتقهقر سعود ورجاله أولا ثم ارتدوا على الجيش المصرى فهزموه وغنموا منه جميع ماكان معه من مؤن وذخائر فاضطر الجيش أن يعود الي ينبع

فلما بلغ محمد علي باشا ماحل بجيش مصر أمده بعدد عظيم فأعاد طوسون باشا الكرة حتى أتي الي المدينة فحاصرها وهدم سورها و فتحها ووضع السيف في حاميتها حتى ملت فانتشر خبر افتتاح المدينة في جميع بلاد العرب فخاف الوهابيون وفرح أعداؤهم وكان الشريف غالب في جدة لايدرى ماذا يكون من أمر تلك الحملة فلما بلغه خبر انتصارها طار فرحاً

أما الوهابيون فبعد هزيمتهم في المدينة جلوا من مكة فاحتلها طوسون باشا بلا قتال وكتب الى أبيه ففرح بذلك فرحا شديداً وجيء اليه بقائد حامية المدينة الوهابي فأرسله الى الآستانة فقتلوه هناك . أما من بقي من قادة الوهابيين فكانوا في مأمن خارج مكة مع ابن سعود

فلما جاء صيف سنة ١٢٢٨ (١٨١٣) علم الوهابيون ان جنود طوسون لا يقوون على حر الحجاز فساوأهم القتال وافتتحوا تربة وهي واقعة شرقي مكة ثم ساروا الي المدينة فاستولوا على كل مابينها وبين مكة وتهددوا المدينة فاتصل الخبر بمحمد علي فلم يرَ بداً من ذهابه بنفسه لنجدة الجنود المصرية فسار ووافى جيش عظيم حتى الى جدة فنزلها في ٣٠ شعبان سنة ١٢٢٨ فلاقاه الشريف غالب بالترحاب و بعد ان ادى فريضة الحج رأى ان الشريف ليس ممن يعتمد عليهم في الدفاع فخلعه ووضع يده على ممتلكاته وأرسله وأسرته الي القاهرة ومنها الي سالونيك فعاش فيها أربع سنوات ومات

اما الوهابيون فمات قائدهم سعود في ٢٦ من ربيع الآخر سنة (١٢٢٦) ه فانحطت دولتهم وقام مقامه ابنه عبدالله ولم يكن كفؤاً لهذا الامر فحصلت بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بفائدة

وفي ٢٨ من المحرم سنة (١٢٣٠) حدثت موقعة فاصلة بين جنود محمد علي باشا والوهابيين تحت قيادة فيصل أخي عبد الله انتهت بهزيمة العرب فتقدم طوسون باشا الي نجد الا انه اضطر الي الوقوف لقلة المؤونة ولم يصل الي درعية عاصمة الوهابيين

ثم اقتضت الاحوال عود محمد علي الى مصر فاهتم بتدريب الجنود على النظام الاوروبي فتبرم من ذلك الالبانيون فتركهم وشأنهم وأخذ في تدريب المصريين عليه

وفي أثناء ذلك عاد طوسون باشا الي مصر فوجد ان امرأته قد وضعت غلاما كانت حملت به قبيل ذهابه فسماه عباسا ولم يعش طوسون بعد ذلك الا قليلا فمات من حمى أصابته بضع ساعات وكان محمد علي بالقاهرة حين مرض طوسون فلما بلغ الخبر اليه أسرع الي الاسكندرية فقابله قيل له انه توفي بهت ولم يبد حراكا وبقي على حالته تلك ثلاثة أيام. ونقلت جثة طوسون باشا الي القاهرة ودفنت بقرب الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن الاسرة الخديوية

ثم عاد محمد علي باشا الي رشده بعد صدمة ابنه فأخذ يفكر في ابادة الوهابيين بعد ان استنقذ منهم الحرمين

فكتب الى عبد الله بن سعود بأن يرد الاموال التى سلبها من الحرم النبوى والكعبة وان يذهب المسير الي الآستانة فأجابه معتذراً عن المسير اليه وقال عن تلك الاموال انها قد وزعت في عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فأعاد محمد علي اليه هداياه وكتب له يهدده ثم جرد اليه حملة عهد قيادتها الي ابنه ابراهيم باشا . فسارا ابراهيم باشا بحملته من القاهرة في النيل الي قنا ومنها في الصحراء الي القصير ومنها الي ينبع ثم الي المدينة وتربص هناك يستعد الهجوم فالتف حوله العرب المخلصون لابيه ولما اكتملت قواته شهر الحرب فما زال يحارب حتى قبض علي زعيم الوهابيين عبد الله بن سعود فأرسله الي أبيه فوصل الى القاهرة في ١٨ من المحرم سنة (١٢٣٣) فأذن له بالمثول بين يديه فقبلهما فرحب به كثيراً لانه كان معجبا بجسارة الوهابيين ثم أرسله الي الآستانة فطافوا به في أسواقها ثلاثة أيام ثم قتلوه وخلع السلطان علي ابراهيم باشا خلعة سنية وسماه واليا علي مكة . فلما وصلت هذه الاخبار الي درعية عاصمة الوهابيين هدموا مدينتهم وفروا هاربين فاحتلها الجنود المصريون وانتهي أمر الوهابيين

اما محمد علي فانه نال من السلطان لقب خان مكافأة له علي اخلاصه وبسالته وهو لقب لم يمنح لاحد من رجال الدولة غير حاكم القرم

ثم فكر محمد علي باشا في افتتاح السودان فجند خمسة آلاف من الجنود النظامية وبعض العربان وجعل معهم ثمانية مدافع وارسل الجميع بقيادة ابنه اسماعيل باشا فسارت تلك الحملة من القاهرة في شعبان سنة (١٢٣٥)ه الموافقة لسنة (١٨٢٠) م عن طريق النيل فقطعت الشلال الاول والثاني والثالث حتى السادس فأتت شندى والمتمة بعد ان اخضعت كل مامرت به من القرى والبلدان بدون مقاومة ثم سارت الى سنار علي البحر الازرق وراه الخرطوم فدخلت سنار وبورنيو وكوردفان في املاك الحكومة المصرية . ثم سار اسماعيل باشا الي فزغل وهناك ظن انه اكتشف معادن الذهب وفشاني رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم وصلت اليه نجدة مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد بك الدفتردار

فقوى امره فأبقى صهره في كردفان وسار هو بجيشه الي المتمة علي البر الغربي من النيل ثم اجتازه الي شندى في البر الشرقي لجباية المال وجمع الرجال فاستدعى اليه ملكها واسمه (النمر) وقال اريد منك أن تملأ قاربي هذا من الذهب وأريد فوق ذلك الفين من الرجال . فأخذ النمر يستعطف الباشا ليتنازل عن هذا المقدار فقبل منه بدل الذهب عشرين الف ريال من الفضة فأجابه الي ما اراد ولكنه لم يكن يستطيع جمعها في تلك المهلة فطلب اليه اطالة الاجل فضربه اسماعيل باشا بالشبك في وجهه قائلا له اذا كنت لاتدفع المال فوراً فليس لك الا الخازوق . فسكت النمر مضمراً له الشر ولكنه كظم غيظه ووعده بأداء المال . وأخذ يأتي بأحمال من التبن ويضعها حول معسكره موهما انه يحمل اليه علفاً للبهائم حتى احاط المعسكر بتلك الاحمال وفي المساء جاء هو في نفر من رجاله يزمرون ويرقصون علي اسلوب بلادهم وكان اسماعيل باشا جالسا مع أركان حربه وخاصة رجاله فطربوا لذلك واجتمع الناس فمازال الناس يكثرون حتى صار الباشا ورجاله محصورين واذذاك امر النمر ورجاله بالهجوم فهجموا فقتل اسماعيل باشا ورجاله ثم أشعل التبن أيضا فاحترق كثيرون من الجنود ولما أصبحوا قتلوا الباقين واستاقوا جميع ما كان معهم في معسكرهم من الاموال والسلاح

فلما بلغ صهره احمد بك الدفتردار ماحصل اشتعل غضبا واقسم لينتقمن من السودانيين بقتل عشرين الفاً من رجالهم مقابلهم وبر بقسمه فهدأت الاحوال ولم يعد يستطيع أحد هنالك ان يحرك ساكنا وتم فتح السودان . وبقي احمد بك المذكور واليا عليه الي سنة (١٢٤٠) ثم أبدل برستم بك

وفي سنة (١٢٣٩) أرسل محمد علي باشا حملة مصرية بقيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورة من بلاد اليونان الثائرة فأبلي المصريون في تلك الحرب بلاء حسنا ولكن الدول الاوربية ساعدت اليونانين بأساطيلها فتم لهم الفوز

ثم حدث بين والي عكا وبين محمد علي باشا عداء فارسل الاخير ابنه ابراهيم باشا لقتاله سنة (١٢٤٧)ه الموافقة لسنة (١٨٣١)م فسارت الحملة براً وبحراً

فاستولت حملة البر علي غزة ويافا بغير كبير مقاومة ثم وصل ابراهيم باشا الي يافا وسار قاصداً عكا فحاصرها براً وبحراً نحو خمسة أشهر ثم هجم عليها هجوما عاما فسلمت له . ثم زحف قاصداً دمشق فأخضعها وبارحها الى حمص

اما الدولة العثمانية فعدت ابراهيم باشا خارجا عليها وارصدت له جيشا في حمص تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فحدثت بين الجيشين معارك انتهت بأخذ المصريين حمص فهال السوريين امر الجيش المصرى فسلمت له حلب بدون قتال وحذا حذوها غيرها فلم يسع الباب العالي الا ارسال السرعسكر حسين باشا على رأس جيش لوقف ابراهيم باشا عند حد . ولكنه لم يكن خطه احسن من خط محمد باشا والى طرابلس فانهزم الي الاسكندرونة فزحف اليه ابراهيم باشا وكسره هنالك أيضا وأخذ في الزحف شمالا فلم يجد مقاومة تذكر وزحف قاصداً قونية وكان السلطان محمود قد أرصد له هناك جيشا عرمرما تحت قيادة رشيد باشا وكان ابراهيم باشا قد قوى جيشه بما جمعه من الجنود الجديدة من البلاد التى افتتحها فحدث بين الجيشين معارك انتهت بهزيمة رشيد باشا فانفتح امام المصريين طريق الآستانة فتدخلت الدول الاوربية ولاسيما الروسيا فأرسلت الي محمد علي البرنس مورافيف تطلب اليه ان يأمر ابنه بالوقوف والا اضطرت اصده فبعث والي مصر لابنه بالوقوف ثم حدث بين الدول اتفاق مؤداه ان تكون سورية قسما من ملكة مصر وان يكون ابراهيم باشا حاكما عليها وجابيا لخراج ادنة وقدتم ذلك الاتفاق سنة (١٨٣٣)م وهو المدعو اتفاق كوتاهيا

فعاد ابراهيم باشا الي سورية يدبر أمورها وجعل مقامه اولا في انطاكية وابتنى له فيها قصراً وثكنات وولي اسماعيل بك علي حلب واحمد منكلي باشا على ادنة وطرسوس . فثار علي ابراهيم باشا السلط والكرك وامتدت الفتنة الي اورشليم ثم تفاقم امرها فبلغت السامرة وجبال نابلس . وهجم المسلمون بصفد علي اليهود ففتكوا بهم وفعلوا بالمسيحيين مثل ذلك بالناصرة وبيت لحم واورشليم وأصبحت سورية كلها شعلة من نار فلم يسع محمد علي باشا الا أن حضر بنفسه

اليها وشتت شمل الثائرين الا النابلسيين فانهم قاوموه طويلا ثم انتهي أمرهم بالاذعان ثم هاجم السلط والكرك وهدمهما فهدأت الاحوال قليلا . ولكن الثورة ما عتمت ان ظهرت بجبال النصيرية فأرسل اليها محمد علي جنوداً اتحدت مع المارونيين والدروز فقمعوها . ثم سعي ابراهيم باشا في تجريد السوريين من السلاح ففعل ولكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين

فأخذ محمد علي يعمل لتوسيع دائرة حكمه وشرع يتأهب لذلك بجمع الجيوش والخيول فلم ترق هذه الحركات في نظر السلطان محمود فأرسل حافظ باشا على رأس ثمانين الف مقاتل سنة (١٨٣٩) لمحاربة محمد علي وكان قد شخص الى السودان تاركا القاهرة لتدبير حفيده عباس باشا فلما عاد اليها علم بما أعده الباب العالي فكتب الى ابنه يستحثه لحشد جيوشه في حلب لدفع العثمانيين ثم علم ان معهم الاهالي يرغبون في حكم دولتهم الاصلية ويستعدون للتسليم متى لاحت لهم الفرصة . وكان اشد ميلا لذلك الدروز تحت قيادة بطلهم شبلي العريان

حدثت معارك شديدة بين الجيش التركي والجيش المصرى في نزيب انتهت بهزيمة الاول متقهقراً الي مرعش . وكان السلطان قد أرسل أسطولا لاحتلال الاسكندرية فاصابها ما أصاب الجيش البرى وتوفي السلطان محمود قبل ان يبلغه خبر هذه الهزائم

فرأت الدول أن تعقد مؤتمراً دوليا للفصل بين الدولة العثمانية وتابعتها الحكومة المصرية وكان ذلك سنة (١٨٤٠) فاجتمع هذا المؤتمر بلوندرة فقضي أولا باعتبار محمد علي تابعا للدولة العثمانية

فلم يبال محمد علي باشا بقرار المؤتمر معتمدا علي جيش له يبلغ ١٧٠ الف جندى علي تمام الاستعداد والدربة ولكنه بعد قرار الدول أخذ في زيادة هذا الجيش فضم اليه تلاميذ المدارس حتى استخدم فيه الجرحي والمرضى فعرضت عليه معاهدة لندرة فلم يوافق عليها فأعطي عكا ترضية له وطلب اليه أن ينسحب من سورية فأبي

فاضطرت انجلترة ان تنفذ نص القرار بالقوة فأرسلت بجيوشها الي صيدا

فتقهقر ابراهيم باشا الي الجليل وكان الكومودور (نابيه) قد سار في أسطول انجليزى بحرى الي بيروت وكانت تحت ادارة سليمان باشا الفرنسي وكانت علي أحسن ما يكون من التحصن فجاءت الاخبار بأن ابراهيم باشا قتل فلم يرد المقاومة قبل أن يتحقق من الخبر فترك بيروت بعد أن ترك عليها الميرالاى صادق بك فوصل اليها الاسطول الانجليزى قبل أن يعود سليمان باشا فاضطر صادق بك للفرار و بلغ سليمان باشا أن ابراهيم باشا لا يزال حياً وأنه يأمر بالدفاع فعاد فوجد أن صادق بك قد فر وخشي صادق بك عاقبة عمله فانضم هو ورجاله الي الانجليز. ثم سار الاميرال نابيه من بيروت الي عكا فحاصرها ففر اسماعيل بك فيمن معه من الرجال وسلمت المدينة

ثم سار نابيه الى الاسكندرية بست سفن وعرض علي محمد علي باشا الصلح فقبله وعقدوا معاهدة وقع عليها الطرفان ولما ارادوا تقريرها عارضت الدول في ذلك و بقيت الامور على حالها حتى دارت المخابرات بين الباب العالي ومحمد علي باشا فأراد السلطان عبد المجيد أرضاء محمد علي باشا فأعطاه مصر بالوراثة بشرط ان يكون له الحق المطلق في اختيار خلفه من ذريته فتردد محمد علي باشا بادىء الرأى ثم أمر جيوشه بالانسحاب من سورية .وكان عددها عند ذهابها اليها ١٣٠ الفا فلم يعد منها الا ٥٠ الفاً فكانت خسائرها ٨٠ الف جندى وكان التعب قد بلغ من تلك الجنود حداً لا يطاق

وصدر اليه فرمان بالولاية سنة (١٨٤١) ثم فرمان آخر بولايته علي بلاد النوبة ودارفور وكردفان وسنار فأرسل ابنه سعيد باشا لتقديم فروض الشكر علي هذا الانعام .وفي سنة (١٨٤٦) قصد الآستانة بنفسه لتقديم شعائر الاخلاص للسلطان فنزل ضيفاً علي صديقه رضا باشا ثم مثل بين يدى السلطان فرحب به ولما أراد تقبيل حاشية ردائه على العادة التركية أمسكه السلطان بيده وأجلسه الي جانبه وحادثه ساعة وزار محمد علي في هذه السفرة خصمه القديم خسرو باشا الذى كان والياً علي مصر وصافاه .ثم بعد نحو شهر من وصوله الي الآستانة قصد مسقط رأسه (قولة) فبني فيها مدارس وملاجيء ثم

بارحها الي مصر فقوبل بأعظم مظاهر التكريم وكان يستقبل الناس أفواجاً وعلي صدره الطغراء العثمانية تتلألأ كالشمس

وفي منتصف عام (١٨٤٨) بدت علي محمد علي باشا آثار الانحلال العقلي من الطعون في السن فلم يكن بد من تولية ابراهيم باشا مكانه فتوجه بنفسه راجياً تثبيته فثبته السلطان. وكان بابراهيم مرض مزمن فعاوده فمات في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ فدفن في مدفن الاسرة الخديوية جهة الامام الشافعي

(اعمال محمد علي باشا) استولي محمد علي باشا علي مصر وهي في منتهي درجات الفوضي في كل ضرب من ضروب الشؤون الاجتماعية فبذل في تخليصها منتهي جهده فبدأ أولا بأنقاذها من الفوضي الحكومية وسمي الذلك سعياً حثيثا وارتكب في سبيله مسألة ابادة المماليك وهو عمل قاس جداً الا انه ربما كان ضروريا اذا تأكد نزوعهم الي الثورة عند أول فرصة . فكان اصلاح نظام الحكومة اساسا للاصلاح الاجتماعي فسعي بعد ذلك في ضبط الادارة في البلاد وتوحيد السلطة فيها ومسح الاراضي الزراعية وتحرير الضرائب عليها

كانت الاراضي المصرية الي ذلك الحين ملكا لبيت المال ، وكانت علي قسمين ، قسم يزرعه بعض الناس بوضع اليد ، وليس عليه ضريبة ، وقسم تعطيه الحكومة للناس ليزرعوه وتلزمهم دفع الخراج عنه فكان الفلاح يعجز عن دفع ما يفرض عليه فيضرب وتصادر ممتلكاته فكان الناس يهربون من وجه الحكومة حتى لا تلزمهم بأخذ أراض للزراعة . فكانت تضطر الحكومة السابقة لاعطاء الاراضي الخراجية لبعض الاقوياء من الناس باسم ملتزمين وهم يلزمون الناس بزرعها ويحصلون منهم ما تفرضه الحكومة . وكانت الحكومة تمدهم بسلطة واسعة . فلا تسل عما كان يحدث من جراء ذلك من التعديات والمظالم وضروب الضغط

فلما استتب الامر لمحمد علي باشا مسح الاراضي وقسمها الي مديريات ومراكز ونواح وعين عليها المديرين والوكلاء والمأمورين والجباة وأبطل الالتزامات ووزع أراضي كل جهة علي

أهلها فيبلغ بعض الانصبة ثلاثة فدادين وبعضها خمسة وجعل للنواحي مشايخ أعطاهم أطيانا معفاة من الضرائب وعين الضباط المتقاعدين في الجهات لارشاد الاهالي لوجوه الاستغلال

ثم انشأ الدواوين ومنها ديوان المعاونة وظيفته النظر فيا يعرض عليه من الدواوين الاخرى . ومنها الديوان الخاص وكان يقوم بأعمال دواوين الداخلية والخارجية والضابطة . ومنها ديوان الاشغال وديوان المبيعات وديوان الفردة ثم أنشأ بعد ذلك ديوانا للامور الخارجية خاصة وديوانا العسكرية وديوانا المالية وديوانا للاوقاف وديوانا للمعامل ودواوين التفتيش والحقانية والترسانة والابنية والمدارس وكلها ترجع الي ديوان المعاونة

ثم أنشأ مجالس القضاء وأوجد لها ما تستدعيه من النظامات والاصول ورتب ادارة البريد براً وبحراً وأنشا تلغرافاً بالاشارات بواسطة أبنية مرتفعة ممتدة علي خط واحد من المدن الكبيرة بين البناء والآخر مسافة تكفي لفهم الاشارة

انشأ الضابطة لتأييد الامن العام وفرق رجالها في انحاء البلاد فأمن الناس علي اعراضهم واموالهم

ونظر الي الزراعة فجلب اليها الصنوف الضرورية كالقطن والنيلة وغيرهما واكثر من غرس الحدائق والاشجار وأقام سدوداً في أبي قير وترعة الفرعونية والشنوم الدبية والشنوم الجبيل وغيرها وانشأ كثيراً من الجسور والترع والمساقي وأبدل الخولة بالمهندسين في أعمال الرى وبعث كثيراً من المصريين الى أوروبا لدرس فن الزراعة والعلوم الطبيعية وغيرها . وبنى القناطر الخيرية عند رأس الدلتا لحجز مياه النيل عن الاندفاع الي البحر الابيض بدون جدوى . وقد كانت مياه النيل قبل ذلك تفيض في الصيف فتغرق بلاد الصعيد وتنصب الي الوجه البحرى فتروى الاراضي البور والمزروعة علي السواء فاذا ذهب دور الفيضان وجاء دور التحاريق لم يوجد في النيل ما يكفي لرى الاراضي القابلة الزراعة فكان الناس لا يستفيدون منها . ولكن جاءت قناطر الدلتا فغيرت الحالة اذ جعل لها ابوابا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء

فاذا قفل باب أحد فرعي النيل انصرف الماء الي الفرع الثاني فروى الاراضي المحتاجة للماء ومنع الماء عن الاراضي البور

وأما اصلاحه الجندية فكان من أظهر الاصلاحات . كانت الجندية في مصر وقفاً علي الجراكسة والالبانيين والمغاربة والانكشارية ومن جرى مجراهم وكانوا كثيراً ما يعيثون في البلاد فساداً وكان أسلوبهم الاسلوب القديم العقيم فأبدل هذا كله وأنشأ عسكراً علي النظام الاوروبي واستقدم له مدربين من الفرنسيين وأنشأ المدرسة الحربية لتخريج الضباط وكان مركزها بالخانكاه قرب المطرية وجعل سراى مراد بك الزعيم الجركسى بالجيزة مدرسة الفرسان وأنشأ مدرسة أخرى للمدفعية وهذا كله تم برأى الجنرال (سيف) الذى استقدمه محمد علي باشا من فرنسا لتدريب جيشه . ثم أسلم هذا الجنرال فيا بعد وسمى نفسه سليمان باشا الفرنسي الموجود تمثاله الآن في ميدان سليمان باشا بالقاهرة . فكان من أثر هذا التعليم العسكرى انتصارات ابراهيم باشا علي الجيوش العثمانية في سورية والاناضول

وأنشأ محمد علي باشا في الاسكندرية داراً لصناعة السفن جاء اليها بأساتذة من الانجليز والفرنسيين وبنى في الاسكندرية حصوناً منيعة لدفع الغارات الاجنبية وهي قائمة هنالك للآن وان كانت لا تغنى شيئاً أمام القنابل الجديدة

ثم انه أخذ في تنشيط حركة التجارة فأنشأ ميناء الاسكندرية وكانت الميناءان المصريتان مينائي رشيد ودمياط وحفر ترعة بين النيل والاسكندرية دعاها بالمحمودية نسبة الى السلطان القائم اذ ذاك فتقاطر الي الاسكندرية التجار من جميع أصقاع أوربا وأقيمت فيها المباني علي الطراز الاوروبي فأصبحت من أجل المدن المصرية في قريب من الزمن

ثم التفت الصناعة فبنى المصانع والمعامل في جميع أرجاء مصر وجلب اليها مهرة الاساتذة من أوروبا لتعليم المصريين فكان بمصر معامل لعمل الاقمشة البيضاء والطرابيش والجوخ والورق والحرير والكتان والصوف واتخذ معامل لصنع الاسلحة والذخائر الحربية

ثم نظر للامور الصحية فأسس بمصر

مدرسة طبية بقصر العيني وهو منزل الزعيم الجركسي ابراهيم بك البرديسي خصمه القديم وعين عليها الدكتور كلوت بك الفرنسي لتخريج الاطباء وبنى مستشفى بأبي زعبل قرب المطرية وأنشأ مجلساً صحياً ومدرسة بيطرية ورتب مستشفيات وأطباء للجيش وأخرى للأهالي وعين أطباء لمراعاة الاحوال الصحية في المديريات

عرف محمد علي باشا ان العلم قوام الحياة الاجتماعية فأخذ في نشره في البلاد فافتتح المدارس الاولية والثانوية والعالية وساق اليها الناس بالاجبار لان المصريين كانوا يتخيلون ان أبناءهم يؤخذون بهذه الوسيلة الي الجندية وعزز هذه النهضة بارسال ارساليات سنوية الي أوروبا لتخريج كبار الرجال في المعارف الضرورية

وأنشأ مطبعة أميرية وأمر بترجمة كثير من الكتب العلمية وأنشأ جريدة رسمية هي الوقائع المصرية وأسس ديوان المهندسخانة وغير ذلك

(صفاته وأخلاقه) كان محمد علي ربعة في الرجال عريض الجبهة مشرق الوجه بارز حجاجي العينين أسود المقلتين غائرهما صغير الفم كبير الانف فيه هيبة يخالطها وداعة . وكان سريع الخطوات ثابتها، وكان اذا مشي جعل يديه متماسكتين من الخلف غالباً وكان لباسه علي نحو لباس المماليك علي رأسه الطربوش العسكري ثم لبس العمامة وأبدل لباسه العسكري بلباس واسع

كان يكره أن يستكثر من الحاشية فلم يكن علي بابه الا رجل واحد لخفارته وكان اذا جلس أمسك بيده حقة النطوس (النشوق) والسبحة . وكان يحب لعب البليارد والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط . وكان أكثر جلوسه مع القناصل والسياح الكبار الذين كانوا يلقبونه بمبيد المماليك أو محيي البلاد المصرية

كان محمد علي باشا طاهر القلب مع دهاء كبير، وكان سريع التأثر لا يعرف كظم الغيظ . وكان مع وفور عقله كثيراً ما تروج لديه الدسائس . ولكنه كان كريم النفس سخياً فيعطي بسعة وقد يسرف في البذل أحياناً . وكان يحب الاطلاع علي سياسة أوروبا وله من يترجم له أطوارها

وصل محمد علي باشا الي درجة والي مصر وهو أمي فابتدأ يتعلم القراءة والكتابة بعد أن بلغ الخامسة والاربعين وكان شديد التمسك بالاسلام، كثير الهواجس السياسية يأرق كثيراً ويتقلب علي فراشه ولذلك وكل اثنين من الخدم يتناوبان السهر في حجرته ليغطياه كلما انكشف جسمه . وكان من أسباب أرقه شهقة ارتجافية كانت تتردد عليه كثيراً وكان أصيب بها عقب ذعر شديد أصابه في بعض وقائع الوهابيين ولكنه مع هذا كان نشطاً يهب من نومه في نحو الساعة الرابعة ويقضي نهاره في أعمال المملكة الشاقة

فالناظر في صفات هذا الرجل والمتأمل في سيرته يحكم لأول وهلة بانه كان واحداً من النوابغ الذين يوجدهم الخالق في أدوار خاصة من حياة الامم لانهاضها واخراجها من حال الى حال فهو أحد أفراد يمكن عدهم في العالم الانساني كله علي الاصابع . فتدبر كيف كانت أحوال الحكم في هذه البلاد، والى أي حال كانت وصلت الارتباكات فيها ثم انظر كيف تغلب علي كل هذه العقبات وتوصل من رتبة ضابط صغير الى الجلوس علي منصة الاحكام فدبر أمورها علي الاسلوب المطلق الذي لم يشاركه فيه مشارك ثم قوم العوامل الداخلية والخارجية التي كانت تقاومه وتغلب عليها كلها حتى خلا له الجو ولم يصرف بقية أيامه متمتعا بلذة السلطان علي ما مهد في الشرق كله اذ ذاك بل انصرف الي تنظيم ادارة البلاد واعداد الامة للنهضة العلمية والصناعية مستخدما في ذلك كل الوسائل المعروفة علي غير مثال رآه فيما حوله فلم يدع وسيلة عمرانية الا استخدمها لذلك حتى انقلبت حال مصر من طور الي طور آخر، كل هذا يسمح للناظر المنصف أن يعتقد بأن محمد علي هذا كان نادرة الشرق في عهده ونابغة الاسلام في عصره، وممن لا يسمح بمثله الا نادراً

يعيب بعضهم علي هذا الرجل قسوته في ابادة المماليك وصرامته في قمع الفتن التي كانت قائمة في البلاد، وامتداد مطامعه الجلوس علي عرش الشرق كله . فاما اقصاء المماليك كانت ضرورية في نظرنا لان تلك الطائفة كانت لا تزال تتحين الفرص لاثارة القلاقل في البلاد

فان كان استطاع محمد علي في حياته أن يكبح جماحها بيد من حديد فما كان يؤمن شرها بعد وفاته ولهذه الطائفة تاريخ طويل في الفتن والقلاقل غص بها تاريخ مصر وقد أتينا علي طرف منه في هذه المادة فأبادتهم ربما كان من باب استئصال الشر من جرثومته . وقد حذا حذوه السلطان محمود فأباد جيش الانكشارية برمته وكان يعد بالآلاف رماهم بالمدافع في ثكناتهم حتى هدمها على رؤسهم . وسبقه بطرس الاكبر فأباد جيش روسيا القديم علي هذا النحو أيضاً وما كانت تركيا ولا روسيا تفلحان بدون احداث هذه المجزرة الفظيعة

أما امتداد مطامعه الي بسط سلطانه علي الشرق كله فلا يعاب عليه لانه كان سنة الاقوياء في تلك الازمان حيث كان التغلب أحد مقومات الحياة الشرقية أحدثه غفلة الشعوب عن ذاتها وهي حالة مرضية كانت ملازمة لمزاج الشرق اذ ذاك لا يمكن لقوى أن يتخلف عن اللغو في تيارها

ولد هذا الرجل الكبير سنة (١٧٦٩) في قرية قولة من مقدونيا من أب اسمه ابراهيم أغا كان متولياً خفارة الطرق وله له سبعة عشر ولداً لم يعش له منهم الا محمد علي فتوفي ذلك الوالد سنة (١٧٧٣) وتبعته والدته ولم يكن ولدهما يزيد عمره عن أربع سنين . فأصبح محمد علي يتيما ليس له الا عم اسمه طوسون أغا فكفله وكان موظفا بقولة فصدر أمر الباب العالي بقتله فقتل . فاشفق علي محمد علي صديق لوالده اسمه شربتجي فأخذه يربيه مع أولاده ولا تسل عن حالة يتيم يرمي بين أولاد آخرين فلقي من ذل هذه الحالة ما كان محدثه لقويه بعد ارتقائه منصة الحكم فقال ما معناه :

« رزق أبي بسبعة عشر ولداً فلم يعش له غيري فكان يحوطني بعنايته ويلحظني باهتمامه حتى توفاه الله فأصبحت يتيما لا أجد عائلا فكنت أسمع اتراب أبي يقولون ماذا عسي أن يكون مصير هذا الغلام المنكود الحظ بعد فقده والديه؟ قال فكنت أتفاءل من هذا الكلام شاعراً باحساس غريب يدفعني الي النهوض فكنت أجهد نفسي في كل عمل اتعاطاه حتى كان يمر علي أحياناً يومان لا آكل ولا أنام فيهما الا يسيراً . قال ومما قاسيته

اني كنت مسافراً يوما في سفينة فغرقت فتركني رفاقي وشأني في السفينة ونجواهم علي قارب كان بها ، فجللت اقاوم الامواج وأعمل جهدي النجاة حتى تحطمت يداي من التشبث بها علي الصخور التي كانت تدفعني اليها تلك الامواج ومازلت أجاهد حتى وصلت الي تلك الجزيرة التي هي الآن قسم من مملكتي

ومما يحكي عنه أنه كان وهو صغير يتردد علي رجل فرنسي مقيم في قوله اسمه المسيو ليون من كبار تجارها فكان يسعف محمد علي بحاجاته فلم ينس رحمه الله هذه المبرة فبعث اليه سنة (١٢٨٠) استقدمه الى مصر ليكرمه جزاء عنايته به وهو طفل فلبى دعوته ولكنه توفي قبل ان يتمها فأسف عليه محمد علي باشا وأرسل الي شقيقته هدية ثمنها عشرة آلاف فرنك

ربي محمد علي باشا ببيت شربتجي فتعلم الضرب بالسيف والجريد وما يتعلمه ابناء تلك البلاد فلما بلغ أشده انتظم في سلك الجندية تحت امرة مربيه فأظهر في تحصيل الضرائب مهارة فائقة فرقاه الى رتبة بلوك باشي وزوجه من بعض قرابته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فترك الجندية وأخذ في الاتجار في الدخان فاكتسب شهرة في حسن معاملاته . ومازال تاجراً الي سنة (١٨٠١) أى الي أن بلغت سنه (٣٢) سنة واذ ذاك حول الباب العالي علي استرداد مصر من الفرنسيين وأخذ بجمع الجنود فانتظم محمد علي في فرقة البحرية برتبة معاون لعلي أغا بن مربيه علي ثلاث مئة جندى ألباني . فجاءت بهم السفن الى ابي قير فتغلب الاسطول الفرنسي علي أسطول العثمانيين فنزل محمد علي الى البر مع جنوده وترك له رئيس القيادة وعاد الى بلاده فترقي محمد علي الى رتبة بكباشي وحدث منه ماحدث بعد ذلك مما رأيته تفصيلا في هذه المادة توفي سنة (١٨٤٨) بالغا من العمر (٧٩) سنة

تولي بعده ابنه ابراهيم باشا وعمره نحو ٦٢ سنة وقد تقدمت سيرته ضمن سيرة أبيه لانهما عملا معا في مصر وكان ابراهيم باشا عضد أبيه في كل مشروع شرع فيه ولد سنة (١٢٠٤) ومال من صغره للاعمال الحربية وكان فيه مواهب كبار القواد وأعماله في مصر والشام والمورة

والسودان تشهد له بالحذق والبراعة وكان يعرف من اللغات العربية والتركية والفارسية وله اطلاع على تاريخ الامم الشرقية

تولى امارة مصر سنة (١٢٦٥) عقب تنازل والده فسار على خطواته ولكنه كان على غير أخلاق أبيه فانه كان شديداً كما هي صفات رجال العسكرية وكان أبوه لين العريكة حسن السياسة حكيما. لم يتول ابراهيم باشا الاحكام غير شهر واحد ثم توفي وأبوه حي

كان ربعة في الرجال ممتلىء الجسم قوى البنية مستطيل الوجه والانف أصفر الشعر في وجهه أثر من الجدرى قليل النوم كان نقش خاتمه (سلام على ابراهيم)

خلفه عباس الاول وهو ابن طوسون باشا بن محمد علي ولد سنة (١٢٢٨) وربي تربية حسنة وكان محبا لركوب الخيل رافق عمه ابراهيم باشا في حملته الى الشام وشهد أكبر الوقائع الحربية هناك وفي سنة (١٢٧٥) تولي زمام الاحكام في مصر بعد وفاة عمه وكان جده يحبه حبا جما

شرع في مد الخط الحديدى بين مصر والاسكندرية . وأسس المدارس الحربية بالعباسية ومد أسلاكا تلغرافية.

كان له ولد اسمه الامير ابراهيم الهامي باشا زار الآستانة فزوجه السلطان ابنته وهو والد الاميرة والدة عباس باشا الثاني الخديوى السابق

من مآثر عباس باشا الاول بناؤه لمسجد السيدة زينب ووضعه الحجر الاول بيده . ولما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا أرسل لها مدداً وشيع رجاله بنفسه والقي عليهم خطابا مؤثراً

توفي عباس باشا الاول مقتولا قتله بعض مماليكه بنها سنة (١٢٦٣) الموافقة لسنة (١٨٥٤)

خلفه سعيد باشا بن محمد علي باشا ولد سنة (١٢٣٧) كان محبا العلوم بارعا فيها وعلى الخصوص في اللغات الشرقية والعلوم الرياضية والبحرية والرسم . وكان يجيد التكلم باللغة الفرنسية

من آثاره الخط الحديدى بين مصر والاسكندرية والشروع في مد غيره ونظم لوائح الاطيان وأرجعها من المتعهدين الى أربابها وعدل الضرائب ونزح ترعة المحمودية . وفي أيامه أخذ دولسبس مشروع انشاء قناة السويس بمساعدته

وبنيت مدينة بورسعيد وغرس الاشجار في طريق المنشية

وفي السنة الثانية من حكمه وضع أساس القلعة السعيدية على رأس الدلتا ولكنها خربت الآن

ثارت في أيامه مديرية الفيوم على الحكومة فأخمد ثورتها . ولما ختن نجله طوسون باشا أطلق جميع المسجونين حتى القتلة . وفي سنة (١٢٧٦) زار سورية وكان في أثناء سيره في الطرقات ينثر على الناس الذهب

خلفه اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا ابن محمد علي . ولد سنة (١٨٣٠) وتولى الاحكام سنة (١٨٦٣) وخلع سنة (١٨٧٩) وتوفي سنة (١٨٩٥)

كان لوالده ثلاثة أولاد ذكور أكبرهم البرنس احمد باشا ولد سنة (١٨٢٥) ثم البرنس اسماعيل باشا ثم البرنس مصطفى باشا ولد سنة (١٨٣٢) وكان البرنس احمد باشا من توابع أولاد محمد علي باشا يشبه ابراهيم والده خلقا وخلقا ولكنه توفي فصار أكبر أولاد ابراهيم باشا نجله اسماعيل فتولي الملك

ربي اسماعيل باشا في مدرسة خاصة بالقصر العالي فتلقي مبادىء اللغات العربية والتركية والفارسية وشيئاً من الرياضيات والطبيعيات فلما بلغ السادسة عشرة من عمره أرسله جده مع ولديه المرحومين البرنسين حليم باشا وحسين بك البرنس أحمد باشا الى أوروبا مع عدد من شبان مصر لتلقي العلوم بباريز تحت أشراف اصطفان بك الارمنى فقضوا في الدراسة بضع سنوات تلقوا فيها العلوم العالية ثم عادوا الى مصر في عهد عباس باشا فكث اسماعيل باشا على صفاء وسلام الى أن حدث شقاق بين عباس باشا وسعيد باشا بن محمد علي بشأن توزيع التركة أدى الى خصام بين الطرفين فانحاز جميع أفراد البيت الخديوى الى سعيد باشا فسافر الى الآستانة لعرض شكواهم على السلطان عبد العزيز فأرسل السلطان فؤاد افندى وجودت أفندى من توابع رجاله فأصلحوا بين عباس وأقاربه فعادوا جميعاً الى مصر الا اسماعيل فبقي في الآستانة فعينه السلطان عضواً في مجلس أحكام تركيا

وفي سنة (١٨٥٤) توفي عباس باشا وخلفه سعيد باشا فعاد اسماعيل الى مصر

فولاه عمه رئاسة مجلس الاحكام فنظمه على مثال مجلس أحكام تركيا

وفي سنة (١٨٦٣) أفضت الولاية اليه بموت عمه سعيد باشا فأخذ في تنظيم البلاد بفتح الشوارع العظيمة وغرس الاشجار على جانبيها وتشييد المباني الفخمة وانشاء الترع والمصارف بسخاء عظيم

من أعمال اسماعيل باشا سعيه في نيل رتبة الخديوية وكان آباؤه يلقبون بالولاة وبذل جهده في جعل الوراثة منحصرة في أولاده لا في الارشد من الاسرة وصدر له الفرمان بذلك سنة (١٨٧٣)

ومما يؤثر عن اسماعيل انه سهل على الاوربيين والامريكيين سكنى البلاد المصرية بقصد نقلها من حالتها الشرقية الى حالة تشاكل بها المدنية الغربية فبذل للجالية الاجنبية كل مساعدة وأيدهم في مشروعاتهم المالية وفتح أمامهم طرق المكاسب استدراراً لاموالهم فأقبلوا على مصر برؤوس أموالهم طلباً للارباح العظيمة

وفي سنة (١٨٦٩) احتفل اسماعيل باشا بافتتاح قناة السويس فدعا لحضور هذا الاحتفال ملوك أوروبا فحضرت ملكة الانجليز وأوفد نابليون الثالث امبراطور فرنسا امرأته بدلا عنه وأقام لهم مآدب وزينات يقصر عنها وصف الواصف فبلغت نفقات هذا الاحتفال ستة عشر مليونا من الجنيهات

وفي عام (١٨٧٢) تعدى الاحباش على حدود مصر وأسروا بعض المصريين وكان اسماعيل باشا يود توسيع نطاق مصر بأخذ البلاد الحبشية فأعلن الحرب على الحبشة فلم يوفق لفتحها

وفي سنة (١٨٧٣) قصد زيارة السلطان بالآستانة فاستقبل هناك استقبالا عظيما وعاد فاحتفل المصريون بقدومه أعظم احتفال

وفي هذه السنة احتفل بتزويج أولاده الثلاثة توفيق باشا وحسن باشا وحسين باشا (وقد تولى سلطنة مصر) فأقام لذلك أفراحا يقصر عن وصفها قلم أبلغ البلغاء صرف عليها أموالا طائلة

قلنا ان اسماعيل باشا كان ينفق بسخاء عظيم في مشروعاته العمرانية واحتفالاته العامة فكان ايراد مصر

لا يكفي لسد هذه النفقات فيضطر للاستدانة من مصارف أوروبا فبلغ دين مصر في عهده ٩١ مليون جنيه وهو مبلغ باهظ بالنسبة لحالة الميزانية اذ ذاك . وقد كان الدين على عهد سلفه (٣٢٩٢٨٠٠) فقط . وكانت فائدته ٧ في المائة وكانت هذه الديون قسمين دين الحكومة ودين الدائرة السنية فضم الدينان في ٧ مايو سنة (١٨٧٦) الى دين واحد . فرأى اسماعيل باشا أن توحيد الدين على هذه الصورة لا يتم فأصدر أمراً في ١٨ نوفمبر باصدار سندات بمبلغ ١٧ مليون جنيه بضمان الخطوط الحديدية المصرية وميناء الاسكندرية وفائدته ٥ في المئة وسماه الدين الممتاز

ولكن المالية المصرية لم تكن على حالة تستطيع معها توفية الاقساط المطلوبة للدائنين ولا فوائد هذه الملايين فاضطرت الدول الى تعيين لجنة مالية مختلطة لمراقبة حسابات الحكومة المصرية فحضرت تلك اللجنة وفحصت الحسابات فوجدت فيها عجزا مقداره مليون وستمائة الف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن أملاكه الخاصة وأملاك أسرته للحكومة وهي التي تعرف بأملاك الدومين وتقرر اقتراض ٨ ملايين جنيه ونصف لتسوية الحسابات وجعلوا أملاك الدومين رهنا لها وهذا هو الدين المعروف بدين روتشيلد

كانت أعمال الحكومة تجرى بارادة الخديو المطلقة ولكن لما تعين المراقبان الاجنبيان على المالية اضطر اسماعيل باشا لمتابعة النظامات الدستورية فعين وزارة لتدبير أمور المصالح المختلفة تحت رئاسة رئيس مسئول أمامه فتشكل مجلس النظار برئاسة نوبار باشا وصادق على تعيين المراقب الانجليزى ناظراً للمالية والمراقب الفرنسى ناظراً للاشغال فرأى مجلس النظار أن يقتصد من النفقات العسكرية فأحال كثيرين من الضباط على المعاش فثار أولئك المرفولون وعددهم ٤٠٠ ضابطا ومعهم جنود كثيرون وحاصروا المالية وطلبوا صرف رواتبهم وكلموا المراقبين والوزراء بعنف وعلت الضوضاء وكاد يحدث ما لا تحمد عقباه فحضر اسماعيل باشا فهدأ الثائرين . فاستقال نوبار باشا ورياض باشا لما آنسوه في أعمال الخديو من المخاطرة فأصدر أمره بتعيين

ابنه توفيق باشا رئيساً لمجلس النظار ولكنه عاد في ٧ ابريل سنة (١٨٧٩) فأسقط هذه الوزارة ودعا شريف باشا لتأليف وزارة وطنية باحتة وأمره بعدم قبول المراقبين الاجنبيين لما رآه منهما من معارضة مشروعاته . فلم ترض انجلترة وفرنسا بهذه الاهانة وأصرتا علي وجوب اعادة الوزيرين وهددتا اسماعيل باشا بالعزل فأصر الخديو علي رفضهما فسعت تانك الدولتان لدى الباب العالي فأصدر أمره بعزله في ٢٥ يونيو سنه (١٨٧٩) وأتي فرمان بتوليه ابنه توفيق باشا

من أعماله تقسيم مصر الي ١٤ مديرية وتأسيس مجلس دعاه مجلس النواب علي نحو مجلس شورى القوانين وتنظيم القضاء الاهلي والشرعي وجعله لكل منهما روابط وحدوداً ، ووضع نظام المجالس الحسبية وانشاء المحاكم المختلطة بمساعي وزيره نوبار باشا وقد جاءت رحمة علي المصريين بالنسبة لما كان حاصلا في مصر اذ ذاك من جراء اطلاق المحاكم القنصلية

وبيان ذلك ان الأجانب في مصر امتيازات خاصة بهم فلا يحاكم واحد منهم مدنياً ولا جنائياً الا امام قنصله فكان اذا تعامل أحد الاجانب مع أحد المصريين وحدث بينهما خصام ترافعا الي القنصل فكان يحدث من ذلك سوء تفاهم كبير بسبب جهل المصريين بلغة اولئك الاجانب من جهة وبسبب عدم حيازة تلك المحاكم القنصلية لجميع الضمانات التي يستدعيها الفصل بين الخصوم . فهضمت بذلك حقوق كثير من المصريين فلم ير اسماعيل باشا بداً من ابدال هذه الفوضى بمحاكم مختلطة تعين الدول أعضاءها تحت رئاسة قضاة من المصريين الفصل في الخصومات المدنية التي تقع بين الاجانب أو بينهم وبين المصريين وعهد اليها أيضاً النظر في الخلافات فكانت نتيجة تأسيس هذه المحاكم ضمان حقوق المصريين ووجود الوئام بينهم وبين الاجانب وكان من أحسن نتائجها حصر سلطة القناصل وتضييق دائرتها

وكانت مصلحة البريد تابعة لشركات أجنبية فجعلها اسماعيل باشا مصلحة اميرية وعهد بادارتها الى بعض الاكفاء من الاجانب

وزاد في مطبعة بولاق أدوات كثيرة

وأمر بترجمة كتب عديدة وطبعها ونشرها وأسس بالمطبعة معملا للورق وتكاثرت علي عهده المطابع والجرائد فظهرت أولا جريدة التجارة ومصر والوطن (قبل عهدها الاخير) والاهرام والكوكب الاسكندرى وروضة الاسكندرية وروضة المدارس واليعسوب ونزهة الافكار وحديقة الابصار ووادى النيل (قبل عهده الاخير) فحدثت نهضة عربية وكان اسماعيل باشا يحب العلماء ويجيزهم الجوائز العظيمة وكان يشهد الاحتفال بامتحان التلاميذ بنفسه ويسلم الجوائز لمستحقيها بيده وقد يقف عند تقديمها تنشيطا لهم

ولم يكن في مصر حين توليه الاحكام لا الخط الحديدى الممتد بين الاسكندرية والقاهرة فأنشأ كثيراً من الخطوط الحديدية في شرق البلاد وغربها ومد الاسلاك التلغرافية وبلغ مقدار ما صرف علي ذلك نحو عشرة ملايين جنيه

ومن آثاره مدينة الاسماعيلية علي قنال السويس وأنشأ منارات في البحرين الابيض المتوسط والاحمر وجعل سوراً علي حديقة الازبكية وغرسها اشجاراً ضخمة وبنى بنايات كثيرة بالقرب من طرة ليجعلها معامل البارود والاسلحة ولم يستخدمها لذلك وبنى ليمان الاسكندرية والحمامات المدنية بحلوان . وبنى مرصد العباسية وكثيراً من معامل السكر وحفر قنوات الرى وأقام علي النيل جسوراً عظيمة فمن تلك الترع الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس . ومن أعظم القناطر قنطرة قصر النيل (الكوبرى) وبنى حوضا لترميم السفن بالسويس

وقد ابطل الرقيق في زمنه وتم فتح السودان وبلغت جنوده ما وراء خط الاستواء وعني بتحسين احوال السودان فمهد شلال عبكة وفتح سداً كبيراً جنوب فشودة طوله ستون ميلا كان يعيق مسير السفن في النيل الابيض فسهلت طرق التجارة . واعاد رونق المدارس اليها بعد ان كانت أخذت في الاضمحلال بعد عهد جده محمد علي وأسس مدارس اخرى فمن التى اسسها او رقاها مدارس المبتديان والتجهيزية ومدرسة الهندسة والمساحة والالسن والعمليات والادارة واللسان القديم والتجارة ومدرسة البنات بالسيوفية

وغيرها . وفي عهده حلت الماموئية مصر فأدخلها تحت حمايته ودخل في سلكها نجله توفيق باشا

وفي عهده ارتفع سعر القطن الى ١٦ جنيها القنطار الواحد وذلك لوقوع الحرب بين امريكا الشمالية والجنوبية فأصاب المصريون ثروة طائلة . الخلاصة أنه كان لا يعيب اسماعيل باشا الا بذله حتى وقعت البلاد تحت اعباء الديون

كان اسماعيل باشا ربعة في الرجال ممتلىء الجسم قوى البنية عريض الجبهة كث اللحية يميل الى الصفرة وبعينه ميل الي الحول أو ان احديهما كانت اكبر من الاخرى قليلا وقد كان عظيم الهيبة حتى ان مخاطبه كان يندفع الي طاعته كأنه مسوق بزاجر نفساني لا يمكن التغلب عليه وكان يتكلم اللغة الفرنسية ويحسن العربية والتركية والفارسية وكان يحب البذخ والترف والتنعم

استبدل اسماعيل باشا معاشه قبل وفاته باثنين وعشرين الف فدان باع منها ٣٠٠٠ للاوقاف العمومية و ١٥٠٠ لحفيده عباس حلمي باشا فبقي له ١٨٥٠٠ منها ١٢ الف فدان بتفتيش ابياي البارود وقفها علي زوجاته الثلاث في حياتهن ثم يرثها ورثته بعدهن والباقي وهو ٦٥٠٠ فدان تركها بلا وقف وترك غير ذلك مما ورثه عن والده وهو ٥٠٠٠ فدان وهبها له عباس باشا الاول و ٩٠٠ فدان وقصراً في حلوان وسراى القصر العالي ومعها حديقة تبلغ ٣٤ فدانا وترك أيضاً ما ورثه من ابنه المرحوم البرنس علي جمالي باشا وهو ٦٠٠ فدان . وترك أيضا في العباسية قصر الزعفران وفي الآستانة قصر ميركون وهو يحتوى علي قصرين كبيرين وقصرين صغيرين وترك فيها أيضا قناق بايزيد وتقدر قيمة أرضه بثلاثين الف جنيه وأوصله المرحوم البرنس حليم باشا فأخذه السلطان عبد الحميد منه ووهبه لاسماعيل باشا

وكان قد أضاف في وصيته نحو ٤٨٠٠ فدان من أطيانه في أيام ولايته الي الاطيان الموقوفة علي اهل قولة وقدرها عشرة آلاف فدان في كفر الشيخ وحفظ لنفسه الشروط العشرة ثم آلت نظارة هذا الوقف اليه ففصل الاربعة الآلاف والسبع المئة الفدان التي أضافها اليه ووقفها علي حاشيته كلها ولم يستثن احداً مهما

كان جنسه ودينه حتى كتب حصة السكرتيره الفرنسي وطبيبه الانجليزى فبلغ عدد مستحقي هذا الوقف من الجوارى ٤٥٠ منهن ٤٠٠ من الجركسيات كان قد زوجهن من اعيان مصر وكبرائها قبل مفارقته الديار المصرية

وأقام قائده الكبير راتب باشا وكيلا لحرمه وأوصى أن يعطي ١٥٠ جنيها شهريا وأن تعطى حرمه ٥٠ جنيها شهرياً وأن يضاف مرتبها الى مرتبه اذا توفيت في حياته

خلفه ابنه محمد توفيق باشا من سنة (١٨٧٩) الي (١٨٩٢) ولد سنة ١٨٦٢ فلما ترعرع واشتد أدخله والده الي مدرسة المنيل فدرس فيها العربية والجغرافية والتاريخ والطبيعيات والرياضيات واللغات التركية والفرنسية والانجليزية وكان به ميل العلم والمعرفة . تولي رئاسة المجلس الخاص في حياة والده وسنه ١٩ سنة ، ثم تقلد نظارة الداخلية ونظارة الاشغال ورئاسة مجلس النظار

ولما بلغ الحادية والعشرين تزوج بالاميرة آمنة بنت الامير الهامي باشا وهي من أكمل النساء عقلا فولد له سنة (١٨٧٤) أي في السنة التالية لزواجه ولده البكر عباس حلمي باشا الخديوى السابق ثم الامير محمد علي باشا سنة (١٨٧٦) والاميرة خديجه سنة (١٨٧٧) والاميرة نعمت سنة (١٨٨١)

ما زال المرحوم توفيق باشا يتقلد الرظائف في أيام أبيه حتى أسندت اليه الخديوية بعد اقالة والده وكان ذلك في ٢٦ يونيه سنة (١٨٧٩) وكان مشهوراً بالعطف علي رعيته خفف الضرائب وأحدث اصلاحات جمة

وفي عهده تألفت لجنة تصفية الديون وأنشأت قانونا فصادق عليه

ومن أعماله أنه سن للبلاد نظامات شورية كمجلس شورى القوانين ومجالس المديريات والجمعية العمومية

وفي أيامه أنشئت المحاكم الأهلية وتقدمت مصلحة الرى ورفعت السخرة

وفي أيامه حدثت الثورة العرابية والثورة السودانية . فأما الاولي فأحسن ما يكتب فيها اجمالا ما كتبه أحمد عرابي عن نفسه ننقله عن مجلة الهلال قال فيه تاريخ الوجود لتلك الحركة وتفصيل أدوارها تفصيلا وان كان قد راعي فيه

تخفيف التبعة عن نفسه الا انه أجدر بكتاب علمي كدائرة المعارف بمعزل عن المناقشات السياسية . قال :

(نشأتي الاولي) ولدت في ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ من أبوين شريفين من ذرية العارف بالله السيد صالح البلاسي البطائحي ومقامه الشريف بقرية فقوس بمديرية الشرقية وهو أول من قدم الي بلاد مصر من بلاد البطائح بالعراق في أواسط القرن السابع للهجرة وهو من ذرية الامام علي الرضا بن الامام موسي الكاظم من سلالة الامام الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء البتول بنت محمد صلي الله عليه وعلي آله وسلم : واسم والدي محمد عرابي بن السيد محمدوفي بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد عبد الله الي آخر السلسلة الشريفة واسم والدتي فاطمة بنت السيد سليمان ابن السيد زيد تجتمع مع والدي في جدى الثالث عشر المسمي ابراهيم . فقد رحمه الله تعالى . ومولدى كان بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقيـة علي ميلين من شرقي بندر الزقازيق وهي بلدة قديمة جداً من ضواحيها مدينة بوبسطة كرسي مملكة العائلة ٢٢ في زمن شيشاق ابن نمرود التي يقال لها الآن (تل بسطة) وعشيرتي فيها نحو ربع تعدادها وكان والدى رحمه الله تعالى شيخا عليها الي أن توفي في شهر شعبان سنة ١٢٦٥ هـ في زمن الهواء الاصفر عن ثلاث نسوة وأربعة أولاد وست بنات وكنت ثاني أولاده الذكور وسنى ٨ سنوات وترك لنا ٧٤ فدانا ولو شاء لاستكثر من الاطيان الزراعية ولكنه رحمه الله تعالى يراعي صالح أبناء عمومته حيث أن أطيان القرية كغيرها كانت مكلفة بأسماء المشايخ يوزعونهـا بمعرفتهم علي أهل بلادهم بحسب الاحتياج الي عهد المغفور له عباس باشا الاول وهو أول من كلف الاطيان بأسماء الافراد وألزمهم بدفع خراجها وما زاد عنهم يترك الميرى و يسمونه المتروك

وكان والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان عالما فاضلا تقيا أقام بالجامع الازهر ٢٠ سنة تلقي فيها الفقه والحديث والتفسير وبرع في كثير من العلوم النقلية والعقلية علي كثير من المشايخ كشيخ الاسلام القويسنى رحمه الله تعالي وغيره من العلماء الاطهار

ولما آلت اليه وظيفة الشياخة علي عشيرته جدد عمارة المسجد المنسوب الي عشيرته بالقرية المذكورة وفيه أربعة أعمدة من الحجر الصوان القديم ومنبر من الخشب عجيب الصنعة وانشأ بجوار المسجد مكتبا لتعليم القرآن الشريف وجعل له فقيها صالحا عالما يسمي الشيخ نجم من سلالة السيد العزازى وألزم الاهالي بتعليم أولادهم . وكان رحمه الله يشدد عليهم في ذلك حتى صار نحو نصف تعداد الناحية المذكورة يحسنون القراءة والكتابة وكل منهم يعرف واجباته الدينية ومنهم نحو مائة وخمسين فقيهـا عالمـا ومنهم المرحوم الشيخ محمد حسين المراوى من علماء الجامع الازهر والشيخ العارف بالله ابراهيم المصيلحي نفع الله به المسلمين فلما بلغ سني ٤ سنوات أرسلني والدى الى المكتب المذكور . فأقمت فيه ثلاثة أعوام ختمت فيها القرآن وعمرى اذ ذاك ثماني سنين و بضعة شهور فلما توفي والدى كفلني أخي الأكبر المرحوم السيد محمد عرابي الذى توفي في ٢٥ شعبان سنة ١٣١٨ رحمه الله تعالي وأخذت عنه مبادىء علم الحساب وتحسين الخط مع ملاحظة بعض أشغال الزراعة ثم بدا لي المجاورة بالازهر حين بلغت اثنى عشر عاما فكنت أجود القرآن علي أقاربي نهاراً وأتوجه الي بيت عمي ليلا وتلقيت شيئا قليلا من الفقه والنحو و بعد سنتين رجعت الي بلدى

(سعيد باشا) وكان المرحوم سعيد باشا عليه سحائب الرحمة والرضوان قد تولى الحكومة الخديوية في ١٥ شوال سنة ١٢٧٠ وأمر بدخول أولاد مشايخ البلاد وأقاربهم في العسكرية فدخلت من ضمنهم وانتظمت في سلك الأورطة السعيدية المصرية بقناطر فم البحر في شهر ربيع أول عام ١٢٧١ وجعلت فيها وكيل بلوك أمين من أول يوم صار انتظامي في سلك العسكرية بعد امتحاني بحضور ابراهيم بك أميرالالاى وحسن أفندى الالاي حكيم الالاى ثم ترقيت الي رتبة بلوك أمين في شهر رجب من السنة المذكورة بعد اعادة الامتحان الى الطالبين فلك من غير واسطة أحد غير الجد والاجتهاد

وبعد عام نظرت فرأيت بعض الباشجاويشية المصريين ترقي الى رتبة

الملازم الثاني وعلمت أن البلوك أمين لا يترقي الا الي رتبة الصول قول أغاسي وفيها يفنى عمره . فجزعت من ذلك وذهبت الي أمير الالاى وطلبت منه ترتيبي في رتبة جاويش في أورطة كانت أفرزت لارسالها الي مدينة المنصورة فدعاني الميرالاى المذكور عن سبب ذلك حيث أن راتب الجاويش أقل ١٠ قروش من راتب البلوك أمين وان كانت الرتبتان متساويتين فأفصحت له عما خالج فكري واني اذا صرت جاويشا سهل علي الحصول علي رتبة الجاويش ثم الانتقال الي رتبة ضابط . فعجب لذلك الخاطر وأمر في الحال بجعلي جاويشا فمكثت في هذه الرتبة سنتين وفي تلك المدة جنحت الي الاعتزال عن الناس والاشتغال بدراسة القوانين العسكرية مع التدبر في معانيها حتى أتقنت قانون الداخلية وقوانين تعليم النفر والبلوك والاورطة وبعض فصول من تعليم الالاى

وفي أوائل عام ١٢٧٤ أمر سعادة راتب باشا بجمع الصف ضباط فاجتمعنا حوله في فسحة قصر النيل وبلغنا ارادة المرحوم سعيد باشا وقال : ان افندينا بلغه انكم تقولون في ما بينكم كيف يصير ترقي الصف ضباط الجدد وتأخير من هو أقدم منهم في الرتب وانه أمر أن لا يترقي أحد بعد الآن الا بعد الامتحان علما وعملا فمن فاق أقرانه في الامتحان ترقي الى الرتبة التي يستحقها ولو لم يثبت في رتبته الاولى غير شهر واحد فمن أراد منكم الامتحان فليتقدم الي الامام

فعند ذلك تقدمت أمام سعادته وأحجم الآخرون خوفا وهلعا ظنا منهم انه يريد معاقبة من يتظاهر بذلك

ولما كرر عليهم الطلب خرج آخر وآخر حتى بلغ عدد الراغبين في الامتحان نحو ٣٠ شخصا فصار امتحانهم بحضوره تحت رئاسة المرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت أول فائز في الامتحان

ثم صار جمع الضباط والصف ضباط بمعرفة سعادة راتب باشا الذي كان وقتئذ أميرالاى وصار طابي امام الجميع ووضع في صدري نيشان الباشجاويش وأعلن ترقيتي الي هذه الرتبة

وبعد عام أي في أول عام ١٢٧٥ صار امتحان الباشجاويشية بحضور سعادة

راتب باشا أيضا والمرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت الفائز الاول وترقيت الى رتبة الملازم ثاني التي كنت أدأب في الحصول عليها منذ البدء

ثم بعد سبعة اشهر صار امتحان الضباط في القصر العالي فكنت اول فائز فيه وكتب اسمي في اول الامتحان ولما عرض الجدول علي ساكن الجنان سعيد باشا امر باعادة امتحاني وانتدب لذلك المرحوم سليمان باشا الفرنساوي رئيس رجال العسكرية

فطلبت ثانيا الي الامتحان وكان يوما مشهوداً وبعد الامتحان التمس سليمان باشا المشار اليه خروج الخديوى المرحوم الي ميدان الامام الشافعي رضي الله عنه وهناك يصير امتحاني في الميدان باورطة من العساكر بحضرته الخديوية

فسأله الخديوى عما يقصده بذلك فقال انه مستحق لرتبة الميرالاى لان الذين ترقوا الى هذه الرتبة من المدارس الحربية لم يقرروا في اجوبتهم مثله

فقال الخديوى رحمه الله تعالى لا يمكن ذلك

فقال له يحسن الي علي الاقل برتبة بكباشي فأبي عليه ذلك وقال يلزم أن يتدرج في كل رتبة ليعرف واجباتها واحسن الى برتبة ملازم أول وأمر باعتبار جدول هذا الامتحان وأن يكون الترقي علي مقتضاه بدون تجديد امتحان لمدة مجهولة وقبل مضي شهرين أحسن علي برتبة يوزباشي والتحقت بمعيته

وفي أوائل سنة ١٨٧٦ ترقيت الي رتبة صاغقول أغاسي في بني سويف

وبعد العودة الى مصر صار ختان المرحوم الطيب الذكر طوسن باشا النجل الوحيد المرحوم سعيد باشا فاولم المرحوم الخديوى وليمة شائقة دعى اليها جميع أعضاء العائلة الخديوية في قبة عظيمة حضرها جميع الضباط والذوات وغيرهم من الاجانب وبعد الطعام انتصب الخديوى رحمه الله تعالي قائما وقال خطبة ارتجالية ذكر فيها «ان من أمعن النظر في تاريخ بلادنا هذه وتوالي حوادثها المحزنة لايسعه غير الاسف والتعجب كيف توالت الامم الاجنبية علي أهلها وهم يظلمون سكانها كالكلدانيين والفرس قبل الاسلام والترك والاكراد والشركس وغيرهم بعد الاسلام وكلهم يفسدون و

يصلحون واني عزمت علي تثقيف ابناء البلاد وتهذيبهم وترقيتهم حتى تكون حكومة البلاد بأيديهم بصفة كوني مصريا منهم وبالله الاستعانة »—

فوقع هذا الخطاب علي من حضر من غير المصريين وقوع الصواعق وتهلك وجوه المصريين وشكروا ودعوا وانقضت الحفلة

ثم في آخر سنة ١٢٧٦ ترقيت الي رتبة بكباشي وفي اوائل عام ١٢٨٧ أحسن الي برتبة القائمقام الرفيعة كما احسن بها علي السيد محمد باشا النادى وعلي المرحوم راشد باشا راقب الذى استشهد بحرب الحبشة في عام ١٢٩٣ وعلي المرحوم سليم باشا رفقي الذى صار ناظراً للجهادية قبل الثورة الوطنية . فكنا اربعة قائمقامات اثنين مصريين واثنين شركسيين وكل منا استلم قيادة الاى بيادة

وفي السنة المذكورة سافرت بمعية المرحوم سعيد باشا الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام برتبة القائمقام كما ذكرتم ذلك في كتابكم «تاريخ مصر الحديث»

وفي عام ١٢٧٨ رأى سعيد باشا ان الحكومة سقطت في دين يبلغ مقداره ٦ ملايين جنيه مصرى وذلك يساوى ايراد الحكومة في ذلك الوقت سنة كاملة تقريباً وكان ذلك المبلغ ثمن أسلحة ومهمات حربية وملبوسات وذخائر عسكرية موصي عليها في معامل اوربا وردت بعد وفاته رحمه الله تعالى . فأمر برفت جميع الالايات وأبقي أورطة واحدة كان فيها يوزباشي سعادة مصطفي فهمي باشا رئيس النظار الآن وعلي فهمي باشا الذى نفي معنا الي سيلان . وأمر باستيداع الضباط بالمحافظات والمديريات علي حسب رغبتهم ومن له بلد يتوجه الي بلده ويصرف لهم نصف مرتباتهم في استيداعهم وأمر أن تضاف مرتباتهم علي الاطيان مؤقتاً ريثما يتم تسديد الدين . فخص الفدان الواحد ٥٠ فضة اى غرش واحد وربع . وقد حصل ذلك فعلا ثم صار بيع الخيول ومأكولات العساكر ومفروشاتها وكانت من البوسطي وغيرها وكذا القضيات الموجودة في خزائن الامتعة والمسافرخانات . وكذا الفوريقات الموجودة في جميع القطر المصرى والاطيان المتروكة في كل المديريات كل ذلك رجاء تسديد الدين

وفي أوائل عام ١٢٧٩ سافر المرحوم سعيد باشا الي أوروبا لمعالجة نفسه من داء السرطان وكان بمعيته المرحوم محمد علي باشا الحكيم المصرى الذى استشهد في حرب الحبشة عام ١٢٩٣ فصدر أمره الكريم الي قائمقام خديوى فخامة اسماعيل باشا الخديو الاسبق بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم واقامتهم في قصر النيل ومداومتهم علي التدريس في القوانين العسكرية يقول فيه :

« ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ولو تركناهم علي هذا الحال الذى لا يؤول عليهم منه الا الويل لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن يعتبر

«وبما اننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم وأظهرناهم فلا يصح لنا تركهم في هذا الحال الذى ذكرناه فقد اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن بالعين والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليلا ونهاراً في قصر النيل »

وبناء علي هذه الارادة صار اجتماعنا في قصر النيل

وفي ربيع الاول انتدبت لفرز الصف ضباط في الوجه القبلي وتعين معي حكما للفرز المرحوم سالم باشا سالم الحكيم وكان برتبة قائمقام أيضاً

وفي ٢٧ رجب من تلك السنة توفي المرحوم سعيد باشا ودفن في الاسكندرية بالمدفن المجاور لمسجد النبي دانيال عليه السلام بعد عودته من أوربا وجلس علي الاريكة الخديوية ابن أخيه اسماعيل باشا الخديو الاسبق وصار ترتيب الالايات فكان ترتيبي قائمقام ٦ جي ألاى بيادة . وأما سعادة نادى باشا فتعين علي ألاى جميع ضباطه من المصريين المترقين في زمن سعيد باشا وأرسل الي السودان

وحاصل الامر اني دخلت العسكرية نفراً بسيطاً في أوائل سنة ١٢٧١ وبلغت رتبة القائمقام في أواخر علم ١٢٧٧ بجدى واجتهادى وسهر الليل والنهار على حد قول القائل ومن طلب العلي سهر الليالي

ونجح كثير من تلامذتي نجاحا تاماً حتى كانوا في مقدمة جميع الضباط في الامتحانات العمومية

وكان السبب في هذا الاجتهاد الغريب الذى قالوا به المتخرجين من المدارس الحربية وكان أغلبهم أمين رغبة سعيد باشا في تقدم أبناء الوطن ومساواتهم لغيرهم كما ذكر ومحبته لهم واصطفائه اليوم ومعاملته الجميع بالعدل والمساواة مع تفقد أحوالهم ومراعاة سيرهم وحسن سلوكهم كأنهم أولاده وكفي بالامر الصادر منه وهو في بلاد أوربا في حقهم المذكور آنفاً برهاناً صادقاً علي حسن معاملتهم الوطنيين كأنه كان وصية منه عليهم لمن يخلفه . وهذا هو الذى أوغر علينا صدور اخواننا من الترك والشركس وغيرهم

ولقد قال لي مرة رحمه الله تعالي وأنا برتبة قائمقام ان جميع الناس عادوني حتى أهلي رجالا ونساء بسبب مساواتكم بغيركم فحققوا أملي فيكم ماأجبته « ولكن الله سبحانه وتعالي يرضى عنك والامة المصرية ترضى عنك لمراعاتك الحق والانصاف » هذا وبسبب عدله وقناعته أثرت البلاد في زمنه وأخصبت الارض وانتعشت الامة حتى صار الرجل المزارع الذى يعمل بيده يحصل له فرق عشرين جنيها في السنة وهذا ماحفظ مصر من الافلاس في مدة خلفه الذى بلغ دين الحكومة في زمنه مائة الف الف والف الف جنيه كما هو مدون في بطون الدفاتر

(نشأتي الثانية) ولما تولى الخديوية المرحوم اسماعيل باشا وأمر بانشاء ٦ ألايات بيادة كنت قائمقام في الالاى السادس وكان المرحوم خسرو باشا أميرالايا علي ألالاى الثانى ثم ترقي الي رتبة لواء باشا وكان رحمه الله متعصباً لابناء جنسه تعصباً أعمي وترتب قومندانا علي الالاى ٥ و٦ ولما وجدني وطنياً فحماً عظم عليه وجودى في الالاى وسعي في رفتي من الالاى لاجل اخلاء محلي لترقية أحد أبناء المماليك مصطفي افندى سليم بن سليم بك المشهور بالحجازى

ولاجل هذه الغاية صار يترقب الفرص للايقاع بي الي أن صدر أمر الجهادية بامتحان الضباط لاجل استكمال النقصان وبعد أن صار الامتحان وتحررت العرائض المستحقين وختم عليها من أرباب الامتحان وكنت من ضمن أعضاء مجلس الامتحان تحت رئاسة الباشا المذكور أرسل لى عريضة أحد الملازمين

اسمه سيد أحمد أفندى وطلب أختمني من عريضته والختم علي عريضة ضابط آخر من اورطة مصطفي افندى سليم البكباشي لكونه دائماً يباشر خدمة منزل البكباشي المذكور . فشق علي هذا الامر وتوجهت الي مركز اللواء باشا وأخبرته بأن يعفيني من الختم علي عريضة من لايستحق . فقال لابد من الختم لاجل خاطر البكباشي المذكور فقلت ان هذا ظلم لا أفعله واذا كنت تراعي خاطر البكباشي في الظلم فأولي لك أن تراعي رئيسه في العدل .وذكرته بعاقبة هذا الامر اذا تشكي المظلوم الي ديوان الجهادية وطلب امتحانه مع الآخر كما حصل مثل ذلك في زمن المرحوم سعيد باشا وصار عزل جميع أعضاء مجلس الامتحان مع رئيسهم بسبب ظلم نفر مستحق رتبة أو نباشي وهي أدني رتب الصف ضباط ثم ذكرته بعاقبة الظلم غداً بين يدى العزيز الجبار

فحنق لذلك حنقاً شديداً وذهب الي ناظر الجهادية المرحوم اسماعيل باشا سليم وأخبره اني لا أطيع له امراً ولا أعبأ بأوامر ديوان الجهادية .وناظر الجهادية عرض الخديوى الاسبق بذلك ثم صدر الامر برفتي من الجهادية بالقول انى قوى الرأس شرس الاخلاق (وأبي والله من شراسة ولكن جبلني الله سبحانه علي حب العدل والانصاف وكره الظلم والاعتساف) فترتب علي ذلك رفتي من الخدمة وحرماني من المائتي فدان التي صدر أمر الخديوى بالاحسان بها علي كل من القائمقامات الجهادية عقيب مناورة عسكرية حضرها الخديوى وكنت من ضمن من حضرها وكان أصدار ارادة سنية للمديريات بوجه يجرى بتسليم تلك الاطيان الي المنعم بها عليهم

فصدرت ارادة سنية ثانية بتوقيف التسليم فيما يخصني وقد حصل

ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون فانتقم بعدله ممن ظلم من غير امهال وذلك أنه صدر أمر الخديوى في الاسبوع الذى رفت به بالغاء الالاى ٥ و٦ أى اللواء الثالث وأرسل خسرو باشا الى السودان وأصيب حسين باشا الطوبجي بالفالج ومحمد بك أمين القبرصلي بالفالج أيضاً حتي ماتا وأمين بك رئيس فلم يرقي

بديوان الجهادية انتحر بعد تكبيله في الحديد وارساله الي السودان وهكذا كل من اشترك في هذه المظلمة أصيب بقارعة عظيمة

وأما مصطفي سليم المذكور فقد رفت أيضاً وأقام في بيته مرفوتاً نحو عشر سنين حتي أذله الله

وأما اسماعيل باشا ناظر الجهاديه فانه مات في حرب كريد ولكن ليس شهيداً بل مات بسبب اكلة من فريك القمح فانسدت امعاؤه وقضي نحبه وجيء بجثته الي مصر ودفن فيها سامحه الله تعالي

وفي شهر ربيع أول عام ١٢٨٣ عرضت الخديوي بواقعة الحال والتمست انصافه فصدر امره في ١٦ رمضان عام ١٢٨٣ نمرة ١٦ عرض وهاك صورته:

«ديوان جهادية ناظري سعادتلو باشا حضرتلري

٦ جي بيادة سابق قائمقامي أحمد عرابي بكك اشبو عرضحال منظورم أولدي خطا سي عفوا يندش اوله يغمدن حاله مناسب خدمة ظهورنده استخدام اينديرلمسي حقنده ايجابني اجراء ايلمكز ايجون اشبو أمرم اصدار قلندي»

وحيث ان ناظر الجهادية المذكور كان مساعداً لخسرو باشا كرهت الخدمة في العسكرية وطلبت احالتي علي ديوان المالية

وفي التاريخ المذكور صار تعييني محافظاً علي بحر مويس وجزء من البحر الاعظم بمديرية الشرقية زمن فيضان النيل بمعرفة المرحوم اسماعيل باشا صديق

وبعد انقضاء زمن النيل من غير أن يحدث أدني ضرر في مديرية الشرقية كما حصل من الغرق بقطع نادر وقطع بطرة وغيرهما ترتبت مأموراً لتشهيل بناء قناطر فم الاسماعيلية بقصر النيل وتشهيل قطع الاحجار في معامل طرة والدقيقة بالعباسية والجبل الاحمر بالبساتين وشحنها بالمراكب الي القناطر المذكورة والي سد فم الرياح في شبرا والي القناطر الخيرية والي جميع مديريات الوجه البحري وتشهيل مراكب النقل وتفريغها بقناطر الاسماعيلية وسد الرياح في شبرا وكان عملا شاقاً جداً من غير مراعاة الحكومة لاسباب التسهيل . فكنت أنتقل في كل يوم الي المحلات المذكورة علي ظهر فرسي أو حماري حتي جاءت

سنة ١٢٨٥ فانتدبت لتشهيل بناء كبري قشيشة المغلبر بمديرية بني سويف وكبري الرقة بمديرية الجيزة وكبري أبو راضي علي سكة حديد الفيوم وبعد تمام تلك الاشغال كوفيء غيري بخمسة آلاف جنيه مصري ... ثم أحيل علي عهدتي تمديد سكة حديد المنيا الى محطة ملوى وبعد نهوها تصادف جعل المرحوم قاسم باشا فتحي ناظر الجهادية وكان يعرف قدر أعمالي واقتداري فطلبني وكافني الانتظام في تلك العسكرية ثانية

فاجبته الي ذلك وترتبت قائمقاما في ٣ جي الاي بياده في أوائل سنة ١٢٨٧ وفي سنة ١٢٨٨ انتقلت الي رئاسة ٢ جي الاي بياده ولكن برتبة القائمقام وفي أواخر سنة ١٢٩٠ توجهت بالالاي المذكور براً الي رشيد للاقامة فيها وفي ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ انتدبت الي ترتيب عساكر محافظين القلاع الحجازية من أهالي تلك البلاد وارسال العساكر النظامية المصرية الي مصر فتوجهت اليها وحيداً فريداً علي مصاريف نفسي في أول يوم من شهر رمضان حتي وصلت الي قلعة نخل ورتبت لها العساكر اللازمة للمحافظة عليها وجعلت فيها مكتبا لتعليم ابنائهم القراءة والكتابة ثم ذهبت الي قلاع العقبة والمويلح والوجه وأجريت فيها كما اجريت في قلعه نخل وارسلت العساكر النظامية الي مصر ثم عدت قافلا بحراً الي بندر القصير ثم براً الي قنا وبحراً الي أسيوط وبراً الي مصر

ولما عرضت انتهاء مهمتي علي ناظر الجهادية فخامة صاحب الدولة حسين باشا كامل قال لي اني لاعتمادي عليك ووثوقي بك قد عينتك مأموراً لحملة الحبشية فاستمد لذلك بعد عشرة أيام فانتخبت من أعتمد عليهم من الضباط والكتبة وسافرنا جميعاً الي مصوع وبعد انتهاء تلك الحرب المشؤومة عدت الي مصر فامرني دولة المشار اليه ان أعود الي السويس لتشهيل المحضرين من مصوع وزيلع وارسال الذخائر اللازمة لتلك الجهات بدل المرحوم علي غالب باشا حيث أنه تعين مديراً لمديرية الدقهلية فذهبت اليها

وبعد انتهاء تلك المأمورية أيضاً عدت الي الالاي الذي بعهدتي برشيد وفي أوائل سنة ١٢٩٦ صدر لنا الامر

بحضور الالايات الموجودة برشيد الى مدينة القاهرة وتسليم الاسلحة والمهمات وارسال العساكر الى بلادهم لحضرنا . وكنا ثلاثة آلايات وسلمنا المهمات في يوم وصولنا وفي اليوم الثاني صباحا ذهبت الى منزل سعادة محمد نادى باشا وكان أميرالاى أحد الالايات المحضرة من رشيد حينئذ لك فما نشعر الا وأحد الضباط اسمه أحمد افندى نجم حضر وأخبرنا ان تلامذة الحربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية فجاءت العساكر من ١ جي آلاي وضربت عليهم بالسلاح فاندهشنا لهذا الخبر المريع وأرسلنا غيره من الضباط ليستكشف الامر ويأتينا بالحقيقة فذهب وعاد وأخبرنا بما صار وبعد يومين صار طلبي وطلب نادى باشا بطلب مىر تسريفاتي خديو سعادة عبد القادر باشا حلمي فذهبنا اليه في بيته فأخبرنا ان الخديو بلغه انكار علي بك الروبي قد أغرى التلامذة والضباط على حصر المالية وانه سيجرى تحقيق ذلك فان ثبت هذا عليكم صارت مجازاتكم بأشد الجزاء » وصار يهددنا تارة ويعدنا بالسلامة تارة أخرى فاجبناه بقولنا « ياسبحان الله انا حضرنا أمس من رشيد وكنا مشغولين بتسليم الاسلحة والمهمات بمخازن العسكرية وصرف العساكر الى بلادهم فكيف يتصور اننا نغرى تلامذة الحربية والضباط ونحن لسنا موجودين بالقاهرة ولا كان أحد من ضباط عساكرنا موجوداً في هذه الحركة أصلا على ان هذا العمل الخارج عن حد التعقل يلزم تدبيره وترتيبه قبل اجراآته بمدة « فضحك » لانه يعلم ان تلك الحركة كانت بإيعاز مقام عال وعمل جاهين باشا جنج لاجل التخلص من نظارة وبلسن المختلطة وأيضا صار طلب المرحوم علي بك الروبي بطرف مأمور الضبطية محمود سامي باشا البارودى وبلغه تلك التهديدات بعينها والافتراآت الظاهرة فتنصل منها

وبعد ذلك صار تشكيل مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة رئيس أركان الحرب اسطون باشا الامريكي وعضوية سعادة افلاطون باشا والمرحوم مرعشلي باشا وجميعهم يعرفون الحقيقة كما يعرفون آباءهم ولكن المسألة خرجت عن مركزها المعين

ثم بعد ذلك صار طلب الضباط

والمتهمين من رتبة بكباشي فما فوقها بسراى عابدين وقام الخديو بطيب خواطرنا ووعدنا بخير ولكن ...

أمور يضحك السفهاء منها
ويبكي من عواقبها اللبيب

هكذا قلت لسعادة محمد باشا النادى والمرحوم علي باشا الروبي المتهمين معي في مسألة الاحاطة بديوان المالية

وفي ذلك الاجتماع صار جعلنا نحن الثلاثة من ضمن الياوران الذين بمعيته

— عجباً وألف عجب — لكن بعد أسبوع الخلع علي الروبي من العسكرية وتعين رئيساً لمجلس المنصورة وأبعد نادى باشا بألايه الجديد الي الاسكندرية ثم صار طلبي الى ديوان المالية فذهبت الي ناظرها المرحوم راغب باشا فأخبرني ان أهالي جرجا وأسيوط ومديريات الوجه القبلي قد انتخبوني أمينا من طرفهم في تسليم ٧٠٠ ألف أردب قمح وشعير وفول الى بنك قطاوى وبيحة واجيون باسكندرية لسداد ماعليهم من الديون — والله يعلم ان الامر غير ذلك وأنا أعلم أيضا .... ومع ذلك توجهت الى الاسكندرية وأديت تلك المأمورية التي حقيقتها سلفة نصف مليون بنتو أخذتها الحكومة لتسديد بعض الاقساط من أرباح الدين المصرى

وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٦ صار خلع المرحوم اسماعيل باشا وتولية المرحوم توفيق باشا وشاهدت الاحتفال بتوديع الخديو المخلوع حين انزاله في السفينة من أسكلة سكة الحديد منفياً الي بلاد ايطاليا كما أنزل عمه حليم باشا الي بلاد القسطنطينية

***

وعلى هذا انتهت مدة ولاية اسماعيل باشا كما علمت ولم أنل منه رتبة ولا نيشانا والا اختصني بجارية من جواريه ولا أصبت منه خيراً قط ولا أقسمت على الدفاع عنه كما ذكرتم ولا خدمت بمعيته أصلا ولا انتهرني أبداً ولا صحت حول سرايه ولا قال عني ماذكرت ان صوتي أكثر قعقعة أو قرقعة من الطبل وأقل نفعاً منه

وقد تحملت مدة ولايته بكل صبر وثبات جأش ومكثت برتبة القائمقام ١٩ سنة وأنا أنظر الى اليوزباشية والملازمين

الذين تحت ادارتي وقد صار بعضهم أمير الاي وبعضهم أمير لواء وبعضهم أمير الامراء أعنى باشوات وفرقاء وانهمرت عليهم سحب الانعامات والاحسانات فاقطعوا الاقطاعات الواسعة وأخذوا القصور العالية وأغدقت عليهم الخيرات وهم يعلمون قوتي واستعدادى

ولقد اجتهد صاحب الدولة حسين كامل باشا عم الحضرة الفخيمة الخديوية اذذاك في ترقيتي الي رتبة أمير الاى ولكن لم يقبل منه . أخيراً قال لي « اني بذلت مالي وسعي في طلب ترقيتك ولكن قيل لي انك من رجال سعيد باشا » فعجبت لذلك وقلت له اني من رجال الوطن وبلدى اسمها هرية رزنة بمديرية الشرقية ولست مملوكا لاحد

فطيب خاطرى ولاطفنى وقال لي « لا تفتر همتك وسأواصل السعي في انصافك » فشكرت له وخرجت وأنا أشعر بأني لا أنال خيراً في مدة أبيه وكنت أتوسم كل خير في المرحوم توفيق باشا

ولكن من اعتمد علي غير الله سبحانه وتعالي أخلاه منه لانه سبحانه غيور علي عباده المؤمنين

(خاتمة أمرى) ولما تولي المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية وحضر الى الاسكندرية أحسن علي برتبة أمير الاى علي الالاى الرابع فتوجهت الى رأس التين وقدمت تشكراتي وامتناني الى حضرته الكريمة ودعوت له بخير ثم جعلت من ضمن ياوران الخديو ولما صار المرحوم عثمان رفقي باشا الشركسي ناظراً الجهادية في وزارة مصطفي رياض باشا واستبدوا بالادارة لا يسأل كل من النظار عما يفعل في ادارته واستخفوا بأمر الخديو كل الاستخفاف وخصوصا عثمان رفقي لجهله وعجبه — خيلت له نفسه أن يمنع ترقية المصريين من العسكر العامل في الالايات والاكتفاء بما يستخرج من المدارس الحربية وصدرت أوامره بذلك

ثم أردفها باحالة عبد العال حلمي بك أمير الاى علي ديوان الجهادية ليكون معاونا وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة ليس الا ورتب بدله خورشيد نعمان بك من جنسه علي الالاى المذكور وكان سنه فوق الستين وهو ضعيف لا يقدر علي الحركة العسكرية ورفت احمد بك

عبد الغفار قائمقام السوارى وترتيب شاكر بك طازه من جنسه بدله وهو طاعن في السن ثم خشنت تلك الاوامر وصار قيدها بدفاتر الجهادية

وكنت لا أعلم بشيء من ذلك أصلا وأنما دعيت الي وليمة وسماع تلاوة القرآن الشريف بمنزل المرحوم نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج الشريف وكان ذلك ليلة ٤ صفر سنة ١٢٩٨ ولما وصلت الى منزل الداعي وجدته غاصا بالذوات العسكرية وغيرهم فجلست بجوار المرحوم نجيب بك وهو رجل كردى الاصل وبجانبه المرحوم اسماعيل كامل باشا الفريق وهو شركسي الاصل ولكنه يتظاهر بحب العدل والانصاف فأخبره نجيب بك بما صار وانه نصح ناظر الجهادية بالاعراض عن هذا الاجحاف فلم يصغ لقوله ولذا فهو ساخط ومضطرب

ثم أوعز اليه أن يخبرني بما سمع منه فأخبرني نجيب بك بحقيقة الحال همساً في أذني فقلت لاسماعيل باشا كامل . « أحق هذا ؟ » فقال « نعم وأعطيت الاوامر الي الكتبة للاجراء علي مقتضاها »

فقلت له « ان تلك لقمة كبيرة لا يقوى ناظر الجهادية عثمان رفقي علي هضمها » وبعد تناول طعام المأدبة حضر لي أحد الضباط واخبرني بأن كثيراً من الضباط ينتظرونني بمنزلي وفيهم عبد العال بك حلمي وعلي بك فهمي

فأسرعت وهم في هياج عظيم وقد بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم

فلما رأوني أخبروني بما سمعته من المرحوم اسماعيل باشا كامل

فقلت لهم « قد سمعت من غيركم فماذا تريدون » فقالوا « انه ليس ذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع الشراكسة بمنزل خسرو باشا الفريق صغيراً وكبيراً وهم يتذاكرون في تاريخ دولة المماليك في كل ليلة بحضور رفقي باشا ويلعنون حزبك ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا وانهم لا يغلبون من قلة وظنوا أنهم قادرون علي استخلاص مصر وامتلاكها كافعل أولئك المماليك » . وقد تحققوا ذلك ممن يوثق بخبره

فقلت لهم « وما ذا تريدون اذاً ؟ » فقالوا انما جئناك لاخذ رأيك فيما دهمنا

الايقاع بنا أورفض الاجتماع على ذلك
وما دعانا الى مجلس نواب للأمة
ينظر في صوالحها ومصالحها الا ماحل
بالمرحوم اسماعيل صديق باشا الحائز لرتبة
المشيرية الحق من لوازمها حفظ صاحبها
ولو باستعمال السلاح في عهد الخديوى
الاسبق اسماعيل باشا بسبب كلمة حق
قالها – وما حل بحضرة السيد حسن
موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد بها
مساواة الاهالي ، الذين دفعوا الحكومة
سبعة عشر مليون ١٧،٠٠٠،٠٠٠ مليون
من الجنيهات المصرية باسم المقابلة
و٥،٠٠٠،٠٠٠ أخرى باسم السهام
بالاجانب أصحاب الديون وما حصل
لكثير من القتل والخنق في السجون بغير
حق ولاتحقيق بل بمجرد ظلم واجحاف
واستعلاء على الناس بالقهر والجبروت بما تأباه
النفوس الشريفة. وفي ضحوة الغد ذهبت
الي ديوان الداخلية وقدمت العريضة الي دولة
رئيس النظار فقال لنا « سأنظر في هذا
الامر وأتكلم مع ناظر الجهادية » وبعد
يومين ذهبت الي بيت الرئيس المذكور
وهي الاميران المذكوران فلما تمثلنا بين
يديه وسألناه عما تم في هذا الامر قال
«ان هذا الطلب مهلك وهو أشد خطراً
من العرض الذى قدمه أحمد افندى
فني الذى أرسل بسببه الي السودان »
(وتحرير الخبر ان احمد افندى فنى هذا
كان كاتبا بديوان المالية وكان طلب
المساواة مع خدمة الديوان المذكور لظلم
حاق به فكان جزاؤه ارساله الي مقبرة
الابرياء من المصريين بالسودان)
فأجبته بأننا لم نطلب الا حقا وعدلا
وليس في طلب الحق من خطر على اننا
نستبرك بالمصريين فاهذا التعريض وما
هذا التهديد ؟ «فقال انه «ليس في البلاد
من هو أهل لمجلس النواب » فقلت له
«عجبا انك مصرى وباقي النظار
مصريون والخديو أيضا مصرى اتظن ان
مصر ولدتكم ثم اعقمت لايل فيها من
العلماء والفضلاء والنبهاء والبلغاء . وعلى
فرض انه ليس فيها من يليق كما ظننت
أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد معارفكم
ويكون كمدرسة ابتدائية وبعد خمسة
أعوام يتخرج منها رجال يخدمون الوطن
بصائب فكرهم ويعضدون الحكومة في
مشروعاتها الوطنية » فانتهر لذلك وقال

من الخطب العظيم »
فقلت لهم «أرى أن تطيبوا نفوسكم
وتهدئوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم
وتفوضوا لهم النظر في مصالحكم وهم
ينتخبون لهم رئيساً منهم يثقون به كل
الوثوق يطيعون أمره ويحفظونه
بمعاضدتكم »
فقالوا كلهم «وقد فوضنا اليك هذا
الامر وليس فينا من هو أحق به وأقدر
عليه منك » . فقلت لهم « لا . انظروا
غيرى وأنا أسمع له وأطيع وأنصح له جهدى »
فقالوا «لانبغي غيرك ولانثق الا بك »
فقلت « ارجعوا لانفسكم فان هذا أمر
عصيب لايسع الحكومة الا قتل من يقوم
به ويدعو اليه » .
فقالوا «نحن نفديك ونفدى الوطن
بأرواحنا»
فقلت لهم «اقسموا لى بذلك»
فأقسموا
وفي الحال كتبت عريضة الي
دولة رئيس النظار رياض باشا مقتضاها
الشكوى من تعصب عثمان رفقي لجنسه
والاجحاف بحقوق الوطنيين والتمست
فيها تشكيل مجلس نواب من نبهاء الامة
المصرية تنفيذاً للامر الخديوى الصادر
أبان توليته
ثانياً ابلاغ الجيش الى ثمانية عشر
ألفا تطبيقا لمنطوق الفرمان السلطاني
ثالثاً تعديل القوانين العسكرية بحيث
تكون كاملة للمساواة بين جميع أصناف
الموظفين بصرف النظر عن الاجناس
والاديان والمذاهب
رابعاً تعيين ناظر الجهادية من أبناء
البلاد على حسب القوانين العسكرية التى
بأيدينا . ثم تلوت العريضة هذه على مسامع
الجميع فوافقوا كلهم عليها فأمضيتها بامضائي
وختمتها بختمي وختم عليها على بك فهمي
أمير الاى الحرس الخديوى وعبد العال
أمير ألاى السودان
ولما تم ذلك صار ترتيب ما يلزم
لحفظ الذات الخديوية وحفظ اعضاء
العائلة الخديوية وحفظ الوزراء والامراء
الوطنيين اذا حدث أى حادث من
الضباط الشراكسة الطامعين في التغلب
على البلاد مع ترتيب اللازم لحفظ البيوت
المالية وبيوت التجار من الاجانب
والوطنيين من مطامع الرعاع وحفظنا
أيضاً من بطش الحكومة اذا أرادت

لنا « سننظر بدقة في طلباتكم هذه » فانصرفت علي ذلك

ولما كان يوم غرة ربيع الاول سنة ١٢٩٨ انعقد مجلس تحت رئاسة الخديوى بعابدين حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين وكلهم من الترك والشراكسة الا قليلا من الاوربيين وقرروا فيه لزوم توقيف الثلاثة أمراء الالايات الذين أمضوا علي العريضة المتقدمة الذكر ثم اجراء محاكمتهم في مجلس مخصوص مختلط من رجال الجهادية

فقال رئيس النظار رياض باشا داني أرى أنه اذا صار توقيف الميرالايات المذكورين يلزم ايضاً توقيف ناظر الجهادية لانه في عدم توقيفه مثلهم خطراً عظيما وذلك لما رأيته فيهم من الجراءة « فلم يوافق المرحوم الخديوى علي ذلك وتعهد ناظر الجهادية المذكور بأنه ضامن لاخذنا بسهولة

وفي الحال دعي المرحوم أحمد خيرى باشا الشركسي وكان مهر دار الحضرة الخديوى وصاحب الرأى النافذ فحضر وتلا بالمجلس المذكور امراً فحواه « أن هؤلاء الثلاثة أمراء الالايات احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمى مفسدون في الارض وانه يقتضى توقيفهم من الخدمة ومحاكمتهم علي افسادهم ومجازاتهم بأشد أنواع الجزاء في مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة ناظر الجهادية ويكون من أعضائه أسطون باشا رئيس أركان الحرب (وهو أمريكي) وناظر المدارس الحربية ارقي باشا (وهو فرنساوى) «فوقع الخديوى عليه وسلمه الي ناظر الجهادية عثمان رفقي باشا وأرفض المجلس بعد ذلك

وفي المساء أرسل ناظر الجهادية لكل منا تذكرة يدعونا فيها للحضور الي ديوان الجهادية بقصر النيل في غد يوم ٢ شوال سنة ١٢٩٨ لنشهد الاحتفال بزفاف شقيقة الحضرة الخديوية المرحومة جميلة هانم وكان وقت زفافها لم يحن بعد فتيقنا أنه يريد خدعتنا والبطش بنا

فالتجأنا الي جانب الحق سبحانه وتعالي وأخذنا حذرنا ثم أعددنا ما يلزم لنجاتنا اذا اقتضت الحال ذلك

وحين حلول الوقت المعين ذهبنا الى ديوان الجهادية فوجدناه غاصا بجميع الشراكسة من رتبة الفريق الى رتبة

الملازم الثاني وجميع شبانهم بأيديهم الطبنجات ذوات ٦ طلقات مملوءة بالخراطيش وكلهم في فرح ومرح ولا فرح هناك ولا زفاف

فلما حضرنا دعينا للحضور أمام مجلس الملاك فأجبنا طائعين وتلي الامر الخديوى الآنف ذكره ثم أمرنا بتسليم سيوفنا فأطعنا علي هذا التسليم وما يعقبه من السجن وهو مخالف للفظ الحاكم بالتوقيف ثم تعين بحضرتنا من يستلم أمرة الالايات وساقونا الي السجن في قاعة بقصر النيل

فمررنا بين صفين من الشراكسة المسلحين وبعد اقفال السجن جاء خسرو باشا وكان رجلا صلفا جاهلا فوقف خارج السجن وقال (ايه زنبيل لي هرفلر) يعني فلاحين شغالين بالمقاطف ولما أقفل علينا باب الغرفة قال علي فهمي بك أحدنا « والله لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار » وجزع جزعا شديداً فأردت تثبيته وقلت له متمثلا بقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكان يظنها لا تفرج

فلا وأبيك ما كان الا هنيهة حتى جاءت أورطتان من ألاى الحرس الخديوى بقيادة الشهم الهمام محمد افندى عبيد البيكباشي وأحدقوا بديوان الجهادية ثم أسرع بعض الضباط الصف ضباط ففتحوا الابواب وأخرجونا من السجن وقد فر ناظر الجهادية المشئوم هاربا وكذا رجال المجلس وغيرهم من المجتمعين

ولما فرج الله علينا أسرعت الي العساكر وحذرتهم وأنذرتهم وقلت لهم « لا تمدوا أيديكم بسوء الى أحد من الجراكسة فأنهم موالينا واخواننا استأثروا بأنفسهم علينا ونريد الانصاف والمساواة معهم ليس الا » ثم نظرت فوجدت بجانبي المرحوم اسماعيل كامل باشا أنفت نفسه أن يفر مع الفارين فأخذت بيده وضممته الي صدرى أمام العساكر وقلت هذا جركسي كما تعلمون ولكنه أخي حرام علي دمه وماله وعرضه وكذلك غيره من الجراكسة » فانصرفوا بانتظام علي بركة الله ثم سرنا جميعا الي قشلاق عابدين وكانت الاورطة الاولي من

الحرس الخديوى حكمدارية البيكباشي المرحوم احمد افندى فرج واقفة أمام سراى الخديوية لحفظها منها عسي أن يطرأ من الامور كما أمرت بذلك من قبل أمير الالاى الحرس علي فهمي بك

ولما تم وجود عساكر الالاى المذكور امر امير الالاى العساكر بحمل أسلحتهم بحركة (سلام دور) وعزفت الموسيقة بالسلام الخديوى ونادوا جميعا « يعيش الخديوى » ثلاثا وذلك كان اشارة واعلانا للقوم بأننا علي اخلاصنا للحضرة الخديوية

ثم انهم تشاوروا فيما بينهم فقال اسماعون باشا الامر يكيهذا عصيان ظاهر والواجب حصر القشلاق المذكور بالطوبجية والآيات البيادة و يطلب من هذا الالاى تسليم الثلاثة امراء فان أبوا تضرب عليهم المدافع وتمطر عليهم البنادق ناراً حامية حتى يضطروا الي التسليم

فاستحسن الجميع ذلك الرأى الامريكي ولكن ابتدره المرحوم اسماعيل كامل باشا المذكور آنفا وقال « انا اعتقد اتفاق جميع اصناف العساكر علي رأى واحد فلا يجدى هذا الرأى نفعا »

وفي أثناء مفاوضتهم حضر آلاى السودان من طرة وانضم الى آلاى الحرس ثم عزفت الموسيقية بالسلام الخديوى وهتفوا جميعاً « افندى مزجوق يشا » وأنا العاجز الضعيف كتبت الي وكيل فرنسا السياسى في مصر الكونت « دورنج » من غير أن يكون لي به ولا بغيره من قناصل الدول الاوربية سابق معرفة ولا مقابلة ألتمس منه مخابرة باقي قناصل الدول بما حصل بيننا و بين حكومتنا من الخلاف وأطلب منهم التوسط في اصلاح ذات البين

ثم بتنا علي ذلك وفي صباح الغد حضر لنا المرحوم احمد خيرى باشا مهر دار الخديوى ومعه محمود سامي باشا ناظر الاوقاف من قبل الخديوى وقالا لنا « ماذا تريدون » فقلنا « العدل والمساواة » قالا « ثم ماذا ؟ » قلنا « استبدال ناظر الجهادية برجل وطنى وتشكيل مجلس نواب للامة ينظر في مصالحها وصوالحها وتعديل قوانين العسكرية وابلاغ الجيش الي ثمانية عشر الفا ونحن علي طاعتنا للحضرة الخديوية

فذهبا الي الخديوى ثم رجعا وقالا « قد عزل عثمان رفقي فمن الذى تريدونه ناظراً للجهادية » قلنا « الذى يختاره الخديوى من الوطنيين » فذهب وعاد ثانية وقالا « ان الخديوى يقول لكم اختاروا انتم من ترضونه حتى لا يحصل منه مثل ما حصل من عثمان رفقي » فقلنا قد أخترنا هذا محمود سامي باشا وهو من أولاد المماليك الاول ولكنه صدق معنا ولم يقصد الغدر بنا »

ثم صدرت الاوامر الخديوية باعادة كل منا الي آلايه وعزل عثمان رفقي وصار تولية محمود سامى علي نظارة الجهادية مع نظارة الاوقاف وأخذ في سن القوانين العادلة وتعديل القوانين الاصلية وتنقيحها

ثم لما شاعت الاراجيف الكاذبة في أوربا بخروج العساكر المصرية عن الطاعة حضر من الحكومة العثمانية وفد برئاسة المشير علي نظامي باشا و بمعيته أحمد راتب باشا والي الحجاز الآن لتحقيق امر العصيان فرده الخديوى قائلا ان عساكرى علي طاعتي وان ليس ثم عصيان

و بعد ذلك اجتهدت الحكومة في غدرنا وأخذنا علي غرة أو بحيلة من ضروب الحيل ولما لم يوافقها ناظر الجهادية محمود سامي باشا علي نواياها صار عزله بتذكرة من رياض باشا رئيس النظار وتشدد عليه بأن لا يجتمع بنا ولا يقيم بالعاصمة وتعين بدله داود باشا يكن وهو عديل الخديوى ولكنه رجل جاهل أحمق مشؤوم فأسرع باصدار أوامر لا يستطاع قبولها فارتدت اليه وتفرت القلوب منه

فكتبت له في ٩ سبتمبر سنة سنة ١٨٨١ بأننا سنحضر بجميع العساكر الموجودين في القاهرة الي ساحة عابدين لعرض طلباتنا علي فخامة الحضرة الفخيمة الخديوية في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وكلفته عرض ذلك علي الحضرة الخديوية ثم كتبت الى جميع قناصل الدول بذلك واعلنتهم بحفظ جميع رعاياهم فلا خوف عليهم ولا علي أموالهم

وفي الوقت المعين اجتمعت الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية في رحبة عابدين وكان ماهو مسطر في

بطون التواريخ وهو اسقاط الوزارة وترتيب
مجلس النواب وابلاغ الجيش الي القدر
المحدد بالفرمان السلطاني

وقد حبانا المرحوم الخديوى باجابة
تلك الطلبات العادلة

وقد تعرض لنا المستر كوكس قنصل
انكلترا بالاسكندرية حين ذاك وهددنا
فلم نعبأ بتهديده لاعتمادى علي صدق
عزيمتي وطهارة ذمتي

ثم صار استدعاء شريف باشا
من الاسكندرية وتعيينه رئيساً
للوزارة علي حسب اختيارنا له وتعيين
محمود سامي باشا ناظراً الجهادية ثانية
وقد توقف شريف باشا في قبوله ٧ أيام
ثم رضي بعد ذلك وصار توظيفي وكيلا
للجهادية

وفي تلك النظارة صارت الامتحانات
وترقي كثير من الباشوات وأمراء الالايات
والقائمقامية وغيرهم من جميع الرتب
واستكملت الالايات وانشئت القوانين
العادلة وتعدلت الرواتب والماهيات بنسبة
كل رتبة الي ما دونها وصرف الحقوق الموقوفة
من زمن مديد وانشيء مجلس النواب وجعل
رئيسه أبو سلطان باشا وهو العدل واستقامت
الامور وحين ذاك عرضت علي رتبة لواء
(باشا) فرفضتها لئلا يقال اني انما أشتغل
لمصالحي فقط وبقيت في رتبة الميرلاى مدة
وكالتي الجهادية

وأما رفيقاى عبد العال حلمي وعلي
فهمي فقد تشرفا برتبة الباشوية الرفيعة

ثم ان مجلس النواب قرر في لائحته
الاساسية أن يكون لهم الحق في نظر
ميزانية الحكومة ومعرفة كيفية ايرادها
ومصروفها بشرط عدم الخروج عن دائرة
التعهدات الدولية وقانون التصفية فلم يجبهم
المرحوم شريف باشا لذلك لانه ماعجه
الله أخذ رأى السير مالت وكيل انكلترا
السياسي في مصر وقنصل فرنسا أيضاً فأشار
عليه بعدم قبول لائحة المجلس فأمر مجلس
النواب علي الطلب في تنفيذ لائحتهم لم
يوافقهم وقدم استعفاءه واستعفت هيئة
نظارته ثم تشكلت هيئة جديدة وتولي
رياستها محمود سامي باشا وجعل من رجالها
حسن باشا الشريعي رحمه الله تعالي والمرحوم
سليمان باشا أباظه والمرحوم عبد الله باشا
فكرى والمرحوم محمود باشا فهمي وسعادة
مصطفى باشا فهمي رئيس الوزارة المصرية
الآن

وجعلوني أيضاً ناظراً الجهادية
لاجل اطمئنان خاطر العسكرية الذين
لا يأمنون غيرى في ذلك الوقت فقبلت
ذلك

ثم أحسن علي برتبة لواء باشا من
لدن المرحوم الخديوى توفيق باشا وكنت
لا أريد ولكن قالوا انه لا يليق أن يكون
ناظر الجهادية برتبة أميرالاى وفي نظارته
اللواءات والفرقاء

فقبلتها للضرورة وشكرت الحضرة
الخديوية وقد انتظمت الامور وهدأت
الاحوال وصارت العساكر في أمن من
الغدر — ولكن ألحت أوروبا علي الدولة
العلية فأرسلت وفداً مندوبا من طرفها
تحت رئاسة المشير المرخص درويش باشا
بتحقيق مايقال من العصيان فجاء درويش
باشا وبحث في الامر وكتب الحضرة
السلطانية بأن العساكر علي الطاعة وكذلك
كتب المرحوم الخديوى بالحقيقة فأرسلت
الحضرة السلطانية الي الحضرة الخديوية
أربعمائة نيشان من أنواع مختلفة للاحسان
بها علي المستحقين من ضباط العساكر
وأحسن علي بنيشان الدرجة الاولي المجيدى
وحضر بوابور مخصوص بحمله سعادة
سليم بك ياور الحضرة السلطانية فأبيت
استلام النيشان المذكور الا من يد مولاى
الخديوى

ثم كتبت تلغرافا الي المابين الهمايوني
برفع تشكراتي الخيرية للحضرة المقدسة
السلطانية وتشرفت تلغرافيا بقبول تشكراتي
لدى جلالة السلطان الاعظم وحصول
المحظوظية لدى جلالته . كذا قبل
بالتلغراف

وفي شهر مايو سنة ١٨٨٢ جاءت
الاساطيل الحربية الانجليزية والفرنساوية
الي ثغر الاسكندرية وتقدمت الحكومة
المصرية لائحة مشتركة من دولتي فرنسا
وانكلترا مجحفة باستقلال الحكومة المصرية
وحقوق الدولة العلية وتقدمت منها نسخة
للخديوى فرفضها مجلس النظار وقبلها
الخديوى فاستعفت الوزارة من
وظائفها

وهاجت الافكار العمومية وطاشت
العقول الزكية وجميع مجلس النواب
وقناصل الدول حولي كمرف الضبع يطلبون
مني حفظ الامن والراحة العمومية
فقلت لهم لا قدرة لي علي ذلك لاني قد
استعفيت

فذهب وفد من مجلس النواب وطلب من الخديوى اعادتي الى نظارة الجهادية حفظا للنظام والراحة فصدر الامر الخديوى باعادتي الي النظارة المذكورة ثم دعيت الى الحضرة الفخيمة الخديوية فوجدت عنده جميع قناصل الدول ماعدا وكيل انكلترا السياسي وبحضرته درويش باشا المندوب السلطاني فأخذ علي تعهداً بحفظ رعايا الدول الاجنبية وصار اعلان جميع مصالح الحكومة بذلك

وفي ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ حدثت حادثة اسكندرية المشؤومة بتدبير ذوى الغايات لاجل تشويه اعمالي في نظر اوروبا وخدش تعهدى بالحفظ والامن العمومى فأسرعت بارسال العسكر الى الاسكندرية حتى ملئت شوارعها بالعساكر وانتهت الفتنة التي ابتدأ بها أحد المالطية من التبعة الانجليزية مع أحد حارة الاسكندرية بايعاز وتعليم

ثم صار الشروع في تحقيقها في مجلس مختلط تحت رئاسة ذى الفقار باشا محافظ الثغر ومن الغريب العجيب انه لم يبحث أصلا في الدماء التي سفكت بل كان البحث قاصراً علي معرفة مقدار البضائع التي انهبها الرعاع ليس الا

وبعد ذلك تشكلت الوزارة بمعرفة الخديوى تحت رئاسة المرحوم الطيب الذكر راغب باشا وكنت من رجالها أيضاً ثم انتقل الخديوى ودرويش باشا الي الاسكندرية

وفي يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت افادة الي قومندان عساكر الاسكندرية من طرف أميرال الاسطول الانجليزى يقول فيها انه جارى تهديد العمارة الانجليزية بترميم القلاع والاستحكامات وانه يطلب تخريب القلاع وهدمها بأيدى العساكر المصرية والا ضرب الاسكندرية وخرب المدينة ودمرها

فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الخديوى حضره درويش باشا المندوب العثماني وقدرى بك من رجال الوفد المذكور وجميع النظار وكبار الذوات المتقاعدين و بعد المذاكرة أجمعوا علي رفض هذا الطلب والاستعداد للحرب ولكن لا يبدأ بها الا بعد اطلاق ثلاث قنابل من الاسطول الانكليزى حتى لا نكون نحن البادئين بالحرب فأعطيت

الاوامر بذلك

وعند اشراق يوم ١٢ يوليو بدأت مراكب الانجليز بالضرب علي مدينة الاسكندرية وجميع سواحلها وانتشب القتال بين مصر والحكومة الانجليزية

وأما الاسطول الفرنساوى فاعتزل جانباً كالمتفرج

وضربت الطوابي حتى تهدمت استحكاماتها

وفي أثناء الحرب خرج سكان المدينة مهاجرين منها خوفا وهلعاً وفي اليوم الثامن انهزمت العساكر فرجعت الي كفر الدوار واتخذت خطا دفاعياً وتراجع المنهزمون الى

وفي ١٤ يوليو أرسلت القطار الخديوى لاستحضار الخديوى ومعيته ومن معه من النظار ولما وصلت القطارات الي سراى الرمل لركوب الحضرة الخديوية ووجوهه الى عاصمة بلاده أبي ان يعود وأسرع في الذهاب الي رأس التين بعائلته ومن بمعيته وانحاز الي السفن الانجليزية

واستدام الحرب الي أن قدر الله تعالي شأنه الخذلان العظيم في التل الكبير كما هو معلوم للجميع وتم الامر بنفينا الي جزيرة سيلان وخرجنا من مصر في يوم ١٦ صفر الخير سنة ١٣٠٠ علي قطار مخصوص الي السويس وفي سبعة عشر منه بارحنا الثغر المذكور علي مركب انكليزى اسمه «...ر يوطة» وفي أول شهر ربيع الاول خرجنا من السفينة الي ثغر «كولومب» ومكثنا بها تسع عشرة سنة الي أن تشرفت جزيرة سيلان بزيارة كريم الشيم عظيم الرأفة والحنو الدوق (كرنوال ديورك) ولي عهد الحكومة الانكليزية وتشرفت بزيارة سموه في مدينة كندى وتفضل علي بالسؤال عن حالي وما أقاسيه من تباريح الغربة وذل النفي فقلت لسموه الامبراطورى اني اعتبر تشريف سموه الى هذه الجزيرة وتشريفي باقبال سموه سببا عظيما لانالني نعمة الحرية والعود الي وطني العزيز من لدن مولاى الخديوى عباس باشا الثاني

فقال لى وهل تعرفه فقلت نعم وقبلت يد سموه مذ كان في سن ١٠ أعوام فوعدني خيراً فشكرت ودعوت ثم أحسن علي بسجارة ملوكية قبلتها أدبا لحفظها تذكاراً للطف سموه ولم أحرقها بنار

وفي ٦ صفر الخير سنة ١٣١٩ صدرت الارادة الخديوية بالرخصة في

بالعود الي مصر والاقامة فيها

أني ارجو من مكارم سمو مولاى الخديو عباس باشا تمام رضاه وقد عرضت لسموه العالي تشكراتي ودعواتي الخيرية الصادرة من صميم الفؤاد واخلاص النية

وقد تفضل حفظه الله سبحانه وتعالي بحملي وعائلتي الي مصر علي مصاريف حكومته الخديوية

فأرجو من الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه

هذا واني أبرأ الي الله من حولي وقوتي في كل ما ذكرته أوفعلته

واني يكون للمخلوق العاجز الضعيف مثلي من قوة تدافع بها ارادة أوربا وقوة انكلترة العظمي فضلا عن بطش حكومة مصر القادرة وموافقة جلالة السلطان الاعظم علي الاعلان بعصياني في جورنال الجوائب وانحياز حاكم البلاد الى المحارب لنا وانما كان ما كان بقضاء الله وقدره ولا راد لقضاء الله وقدره وليس فيه الا مجرد الكسب الاختيارى الذى اثاب او اعاقب عليه ولم يخطر ببالي اصلا الاقتداء بالفاتحين والمتغلبين كما ذكرتم ولا بتأليف دولة عربية كما أرجف المرجفون

لاني أرى ذلك ضياعا للاسلام عن بكرة ابيه وخروجا عن طاعة الله ورسوله صلي الله عليه وعلي آله والبرهان علي ذلك ارتفاع صوتي بالمحافظة علي حياة المرحوم الخديوى السابق كمحافظتي علي نفسي بكرة وعشيا مع احترام أعضاء عائلته الكريمة يشهد لي بذلك ماهو واضح بدفتر الاخبار اليومية المحفوظ بالديوان الخديوى وارادته الخديوية الصادرة الى مجلس التحقيق بعد الخذلان العظيم بالتل الكبير وسجننا مع جميع رجال العسكرية وأعيان البلاد وحكامها وعلمائها وقضاتها وتجارها مما هو معلوم لدى الجميع وغنى عن البيان

والله الذى لا اله الاهو فالق الحب وبارىء النسمة الى ما خدمت بذلك دولة انكلترا ولا فرنسا ولا كنت آلة لدولة ما ولا الخديوى الاسبق المرحوم اسماعيل باشا ولا المرحوم حليم باشا ولا أرمي الي بمساعدة الدولة العلية من عرش عظمتها

وانما كنت أجتهد في حفظ

أستقلال بلادى مع نيل الحرية والعدل والمساواة لأهل بلادى المساكين وأنا خادم لهم وناديت سراً واعلانا بتأييدها وتأييد الذات الخديوية

ولكن المقادير الالهية غالبة فانعكست المرئيات وتوالت الصعوبات لنفاذ ما هو كائن في علمه أزلا سبحانه وتعالي

واني والله لا أكره شركسياً ولا رومياً لذاته وانما أكره الاعمال المنافرة للعدالة والانسانية والآداب الشريفة وأحب العدل والمساواة بين بنى الانسان

والحمد لله أولا وآخراً والشكر لله والحضرة الفخيمة الخديوية التى منحتنى نعمة العود الي وطنى العزيز لاحظي برؤية ذاته الكريمة ورؤية أبناء وطنى الكرام قبل أن أفارق هذه الحياة الدنيا والحساب علي الله

أحمد عرابي الحسيني المصرى

هذا ماكتبه أحمد عرابي عن نفسه ولا نتعرض له بمناقشة لان المجال لا يسمح بذلك وكفانا أن نقول ان هذا البيان بقلم ذلك الزعيم نفسه بلال لمن يريد أن يعرف أدوار تلك الحركة

عقب انكسار عرابي في التل الكبير انفتح الطريق للجيش الانجليزى فاستمر في تقدمه حتى دخل القاهرة في سبتمبر سنة (١٨٨٢) م فقضي بذلك علي الحركة العرابية وعادت الاعمال الي ماكانت عليه واحتلت انجلترة مصر احتلالا عسكريا

في سنة (١٨٩٢) توفي محمد توفيق باشا فخلفه ابنه الاكبر عباس حلمي باشا ففتح السودان في أيامه وتقوضت دولة الدراويش وأتفقت دولة انكلترة مع مصر علي أن يكون السودان المصرى شركة بينهما

وفي شهر أغسطس سنة (١٩١٤) هبت الحرب الاوربية العامة التى اشتركت فيها روسيا وانجلترا وفرنسا واليابان وبلجيكا وسربيا والجبل الاسود ضد ألمانيا والنمسا فأخذ لهيبها يشتد ويلتهم مايجاورها من الامم فانضمت بلغاريا وتركيا الي ألمانيا والنمسا وكان عباس الثاني فيمصيفه بالآستانة فلما انقطعت العلاقات بين انجلترا وتركيا رأت الاولي أن تعلن حمايتها علي مصر وأن تعزل

خديوها وتجعل مصر سلطنة مستقلة تحت حمايتها فأسندت السلطنة الى الامير حسين كامل باشا ولقبته بلقب سلطان فلم يقبل المصريون الحماية ونهضوا تحت قيادة الزعيم الكبير سعد باشا زغلول يطالبون بالاستقلال التام وتتوالى ما لقوه في سبيل حريتهم من الخطوب الجسام فرأت انجلترة أن تعترف لمصر بحقها في ذلك فأصدرت تصريحاً رسمياً به في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٣ وتلقب جلالة الملك فؤاد الاول القائم بالأمر الآن بلقب ملك وبقيت بيننا وبين انجلترة مسائل معلقة ينتظر أن تحل في مصلحة مصر والله المستعان

(احصاءات عن الشئون المصرية)

ننقل هذه المقتطفات الاحصائية عن الاحصاء السنوى العام الذى تصدره الحكومة

طول الخطوط الحديدية بلغ سنة (١٩١٥) ٤٦٦٣ كيلو متراً منها ٩٩٥ كيلو متراً تابعة لشركة سكك حديد الدلتا و ١٦٦ كيلو متراً سكك حديد الفيوم الضيقة و٩٠٩ سكك حديد الوجه البحرى الضيقة

وبلغ عدد الوابورات ٨٠٦ منها ١٦٠ تابعة لشركة الدلتا و ١٣ لسكك الوجه البحرى الضيقة و١٩ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات الركاب ١٤٨٣ منها ٢٦٦ لشركة الدلتا و ٥٤ لسكك الوجه البحرى الضيقة و٤٧ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات البضاعة ١٥٩٨٠ منها لشركة الدلتا ١٥٧٢ ولسكك حديد الوجه البحرى الضيقة ٣٠٦ ولسكك حديد الفيوم الضيقة ٢١٣

وبلغ عدد الركاب ٣٣ مليون و٢٢٦ الف منهم ٥ مليون و٣٤ الف على سكك حديد شركة الدلتا و٧٣١ الف على سكك الوجه البحرى الضيقة و٦٥٧ الف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ ثقل البضائع المنقولة ٤ مليون و٨٥٧ الف طن منها ٥٥٢ الف طن على سكك شركة الدلتا و٦٢ الف على سكك حديد الوجه البحرى الضيقة و ٩٥ الف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت ايرادات السكك الحديد في تلك السنة ٢ مليون و٤١٤ الف جنيه منها ٨٠ الف لشركة الدلتا و ١١ الف لسكك حديد الوجه البحرى الضيقة

و ١٢ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت الايرادات من جميع الخطوط المصرية ٣ مليون و ٩٦٦ الف جنيه في سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦ يقابلها ٤ مليون و ٢٣١ ألف جنيه سنة ١٩١٣ أى قبل الحرب

أما الترموای فقد زاد عدد ركابه في سنة (١٩١٥) أربعة ملايين عما كان عليه في سنة (١٩١٤) وقرب ان يوازى عدد الركاب سنة (١٩١٣)

وبلغت تجارة مصر الخارجية (مجموع الصادرات والواردات) في سنة (١٩١٥) ٤٦ مليون و ٤٠٠ الف جنيه يقابلها ٥٩ مليون و ٥٠٠ الف في سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب

وبلغت واردات النقود ٢٠ مليون جنيه يقابلها ٣٧ مليون و ٧٠٠ الف جنيه في سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب

وبلغت الصادرات من النقود ٢٧ مليون و ١٨٠ الف جنيه يقابلها في سنة (١٩١٣) قبل الحرب ٤٢ مليون و ٨٠٠ ألف جنيه

بلغ مجموع ما أورد في صناديق التوفير ٥٤٩ الف جنيه يقابلها ٧٥٠ ألف جنيه سنة (١٩١٤)

وورد في ذلك الاحصاء عن الامة المصرية ما يأتي :

« الامة المصرية على الارجح هي جزء من الاصل الحامي الذى تولد منه أيضاً البربر والعرب والاتيوبيون لكن هذه السلالة التى من جنس واحد تغيرت في مصر محلياً في جهة الشمال بدخول الاجانب وعلى الخصوص من سورية وفي الجنوب بامتزاج ضعيف مع الجنس الاسود والعرب . وقد حافظ المصريون بصفة عجيبة في مدة الستين قرنا الاخيرة على الصفات الظاهرة الآن على الفلاحين وهذا الثبات كما تقدم القول منسوب لانعزال القطر وعدم تغير جوار أهله الطبيعي

« والنوبيون هم سلالة جنس نشأ عن اختلاط النوع المصرى مع النوع الاسود

« ويوجد عنصر آخر مهم له علاقة بالوطنيين وهو يشمل القبائل الرحالة وا البدو الذين ينقسمون الى فريقين أصليين وهما القبائل التى تتكلم العربية وتسكن صحارى مصر السفلى والمتوسطة ، وقبائل

البيجا وهم القاطنون في الصحراء بين النوبيا وساحل البحر الاحمر

«ان أهم موارد ثروة القطر المصرى هي الزراعة التى يشتغل بها ثلاثة أرباع السكان وتربته ليست كتربة معظم الاقاليم ناتجة عن تحلل الطبقة الصخرية بل مكونة من طمي يجوف بواسطة النيل من تلال الحبشة وتركت فى اماكن هادئة وتربتها مؤلفة من طين صفيق رمادى اللون يختلف في طبيعته بين الطين والرمل الناعم وهى موافقة جداً للزراعة وخصبة لدرجة عظيمة وينسب لهذه الحالة مع اعتدال جوها أو انتظام الفيضان فيها ظهور التمدن بوادى النيل في أوائل التاريخ

« وأهم الحاصلات هي القطن والذرة والقمح والارز والفول والشعير والبصل والطماطم والتبن والقصب والبرسيم والبطيخ . وبجوار البلاد الكبيرة تزرع الخضروات كما انه جار تصدير كميات عظيمة من البصل والطماطم وبها أيضاً أشجار كثيرة من الفواكه المشتملة على البلح والبرتقال والموز والتين والعنب والتوت ولكنه لا يوجد في القطر الا قليل من أشجار الخشب وعلى ذلك يكون أغلب الاخشاب مجلوباً من الخارج

« والحيوانات الاهلية من جملتها الجمال والخيل والحمير والبقر والجاموس والمعز والغنم ولكن المواشي ليست كافية لتوريد ما يلزم من اللحوم التغذية ولم تزل آخذة في النقص ولذا تجلب حيوانات الذبح من الخارج بما قيمته مليون جنيه سنويا

«وأما الحيوانات الوحشية فقليلة وليست لها أهمية تذكر ومن طيورها المألوفة الغراب والعصفور والصقر والحدأة والسماني والكاشون والبط وطيور مائية أخرى

« أما السمك فكثير في النيل وفي البحيرات المنتشرة على ساحل البحر المتوسط

« أما الحشرات الموجودة بها فهي الذباب والنمل والجراد والناموس والبراغيث وقد اتخذت احتياطات فعالة لازالة الحمي الملارية بواسطة ابادة الناموس في الاسماعيلية وبور سعيد وحلوان وبعض جهات صغيرة

ولا يوجد في جهات السواحل

الواقعة جنوب وادى النيل معادن تصلح للصناعات خلاف الادوات الخاصة بالبناء التى لم توجد بكية وافرة

«أما ثروة القطر المعدنية فموجودة في الجهات الصحراوية اذ انه جار فيها الآن حفر بعض المناجم خلاف مناجم أخرى كثيرة معلوم بوجودها في أماكن مختلفة كما سيجيء الكلام عن ذلك واذا روعي عظم اتساع تلك الصحارى لقلت كثيراً بجانبه تلك المناجم المعلوم بوجودها الآن. ومع ذلك فلا يخفي بأن مساحة عظيمة من تلك الصحارى لم تجس الآن وقد يحتمل كثيراً أن يكون بها مناجم أخرى

« أما مواقع المناجم التى اكتشفت للآن فيبعد كثيراً بعضها عن كما وانها بعيدة أيضاً عن النيل وهذا هو السبب في تأخر اتساع صناعة حفر المناجم التى تقدت في السنوات الاخيرة تقدماً عظيما

« ولما كان المصريين مكرسين أنفسهم للاشتغال بالزراعة فلم يقدم منهم على الاشتغال في المناجم الموجودة إلا نفر قليل وان أصحاب هذه المناجم والقائمين بادارة أشغالها هم من الاجانب فقط

« وأهم المعادن الخام الجارى استخراجها لاستخدامها في الصنائع هى أحجار البناء والخزف والجبس والذهب والرصاص والنيكل والزنك والمنغنيس والملح والنطرون ونترات الصودا وزيت البترول والفوسفات وحجر الزيتون والفيروز

« أما محاصيل المحاجر والجبس ونترات الصودا والفيروز فجار البحث لايجاد طريقة لعمل احصائية عنها لانه لم يعمل للآن عن تلك المحاصيل شيء يعتمد عليه

« ولا يخفي بأنه يوجد أيضاً بالقطر خلاف ما ذكر مناجم الشبة والنحاس والزمرد وحجر الجرانيت والحديد والنيكل والكبريت ولكن لم يستخرج منها شيء حتى الآن »

ثم جاء في الاحصاء بعد ذلك احصاء عن قيمة محاصيل المناجم المصرية فجاء منه أن ايراد مناجم الذهب بلغ ٢٤٤٩١ جنيه في سنة ١٩١٥ والرصاص بلغت قيمته ١٨٧٢ واستخرج من النيكل ٢٣٣ طونيلاطه واستخرج من الزنك

ماقيمته ١١١٦ جنيه ومن نترات الصودا مائمته ٤٢٧١ جنيه ومن الفوسفات ماقيمته ٨٢٩٩٨ جنيها ومن زيت البترول مائمته ٣٠٠٥٤ جنيها

الحرارة الجوية نهايتها الكبرى في شهر يناير ١٨ر١ بالاسكندرية و٢٠ر٤ بأسيوط و٢٣ر٧ باسوان و١٩ بالجيزة

وفي فبراير ١٩ر٣ . و٢٢ر٩ و ٢٦ر٢ و٢١ في الاولى والثانية والثالثة والرابعة من الجهات المذكورة

وفي مارس	٢٠ر٩	و ٢٦ر٧	و ٣٠ر٣	و ٢٣ر٤
وفي ابريل	٢٣ر٦	و ٣١ر٩	و ٣٥ر٧	و ٢٧ر٩
وفي مايو	٢٦ر١	و ٣٥ر٨	و ٣٩ر٤	و ٣١ر٩
وفي يونيه	٢٨	و ٣٧ر٤	و ٤١ر٩	و ٣٤ر٢
وفي يوليه	٣٠ر٢	و ٣٧ر٢	و ٤١ر٧	و ٣٥ر١
وفي أغسطس	٣٠ر٤	و ٣٦ر٧	و ٤١ر١	و ٣٤ر٤
وفي سبتمبر	٢٩ر٤	و ٣٣ر٦	و ٣٩ر٥	و ٣١ر٦
وفي اكتوبر	٢٧ر٥	و ٣٠ر٦	و ٣٢	و ٢٩ر٤
وفي نوفمبر	٢٣ر٩	و ٢٦ر٣	و ٣٠ر٦	و ٢٥
وفي ديسمبر	٢٠	و ٢١ر٨	و ٢٥ر٣	و ٢٠ر٥

هذه درجة الحرارة التى يصل اليها الجو في النهاية الكبرى في الاسكندرية وأسيوط واسوان والجيزة . وأما نهايتها الصغرى في الجهات المذكورة فهي :

في يناير	١٠ر٣	و ٤ر٥	و ٩ر٤	و ٦ر٥
وفي فبراير	١١ر١	و ٦ر٥	و ١١	و ٦ر٤
وفي مارس	١٢ر٥	و ٩ر٣	و ١٣ر٧	و ٨ر١
وفي ابريل	١٤ر٧	و ١٤ر١	و ١٨	و ١١ر٥
وفي مايو	١٧ر٥	و ١٨ر٤	و ٢٢ر٣	و ١٤ر٦
وفي يونيه	٢٠ر٤	و ٢١ر٣	و ٢٤ر٨	و ١٧ر٦

وفي يوليه	٢٢ر٧	و ٢٢ر٤	و ٢٥ر٣	و ١٩ر٤
وفي أغسطس	٢٣ر٣	و ٢٣	و ٢٥ر٤	و ٢٠
وفي سبتمبر	٢٢ر١	و ٢٠ر٩	و ٢٣ر٢	و ١٧ر٨
وفي اكتوبر	٢٠ر٣	و ١٧ر٧	و ٢٠ر٦	و ١٥ر٧
وفي نوفمبر	١٦ر٥	و ١١ر٦	و ١٥ر٢	و ١١ر٧
وفي ديسمبر	١٢ر٤	و ٧ر١	و ١١ر١	و ٧ر٨

أما متوسط درجة الحرارة في هذه الجهات الاربع في الشهور المذكورة فهي :

في يناير	١٣ر٥	و ١١ر٦	و ١٤ر٨	و ١٠ر٩
وفي فبراير	١٤ر٣	و ١٣ر٢	و ١٦ر٨	و ١٢ر٣
وفي مارس	١٥ر٦	و ١٦ر٨	و ٢٠ر٣	و ١٤ر٩
وفي ابريل	١٧ر٨	و ٢١ر٩	و ٢٠ر٣	و ١٤ر٩
وفي مايو	٢٠ر٨	و ٢٦ر٢	و ٢٩ر٣	و ٢٢ر٨
وفي يونيه	٢٣ر٣	و ٢٨ر٨	و ٣١ر٩	و ٢٥ر٤
وفي يوليه	٢٥ر٤	و ٢٩ر٣	و ٣٢ر٤	و ٢٦ر٥
وفي اغسطس	٢٦	و ٢٩ر١	و ٣٢ر٢	و ٢٦ر٣
وفي سبتمبر	٢٤ر٩	و ٢٦ر٤	و ٣٠ر٣	و ٢٤ر١
وفي اكتوبر	٢٣	و ٢٣ر٤	و ٢٧ر٥	و ٢١ر٦
وفي نوفمبر	١٩ر٣	و ١٧ر٩	و ٢١ر٤	و ١٧ر١
وفي ديسمبر	١٥ر٥	و ١٣ر٦	و ١٦ر٥	و ١٢ر٧

أما أعلى درجة من النهاية الكبرى في الجهات المذكورة فهي :

في يناير	٢٧ر٢	و ٣٠ر٥	و ٣٧ر٢	و ٢٩ر٨
وفي فبراير	٣٣	و ٣٤	و ٣٧ر٥	و ٤٠ر٧
وفي مارس	٣٩ر٤	و ٤٢ر٥	و ٤٣ر٢	و ٣٥ر٩
وفي ابريل	٣٩	و ٤٩	و ٤٦ر٦	و ٤١ر٥

(٢٥ = دائرة = ٤ = ٩)

وفي مايو	٤٢	و ٤٦	و ٤٧ر٢	و ٤٢ر٦
وفي يونيه	٤٤ر٩	و ٤٩	و ٥٠ر٠	و ٤٥ر٨
وفي يوليه	٣٧	و ٤٥	و ٤٧ر٢	و ٤١ر٦
وفي اغسطس	٣٥	و ٤٢ر٥	و ٤٨ر٣	و ٣٩ر٢
وفي سبتمبر	٤٠	و ٤١ر٥	و ٤٨ر٣	و ٤٠ر٤
وفي اكتوبر	٣٩ر٩	و ٣٩ر٥	و ٤٨ر٩	و ٤١ر٥
وفي نوفبر	٣٥	و ٣٤	و ٤١ر٥	و ٣٧
وفي ديسمبر	٢٩ر٥	و ١٣ر٦	و ٣٥ر٢	و ٢٧ر٦

أما أقل درجة من النهاية الصغرى في الجهات المذكورة فهي :

في يناير	٤	و ٠ر٥	و ٣ر	و ٢ر٥
وفي فبراير	٣	و ٠ر	و ٣ر٥	و ٠ر٥
وفي مارس	٥ر٥	و ٢ر٠	و ٣ر٩	و ١ر٠
وفي ابريل	٩ر٧	و ٧ر٥	و ١٠	و ٤
وفي مايو	١٢	و ١٠ر٥	و ١٤ر٤	و ٨ر٣
وفي يونيه	١٦ر٣	و ١٥	و ١٩ر٠	و ١٢ر٢
وفي يوليه	١٧ر٥	و ١٥ر٥	و ٢٠ر٦	و ١٥
وفي اغسطس	١٨	و ١٩	و ١٧ر٨	و ١٦ر١
وفي سبتمبر	١٥ر٧	و ١٦ر٥	و ١٣ر٣	و ١٢ر٥
وفي اكتوبر	١٢ر٢	و ١٠ر٥	و ١١ر١	و ١٠ر٢
وفي نوفبر	٨	و ٤ر٥	و ٣	و ٤ر٥
وفي ديسمبر	٦	و ٠ر٥	و ٢ر٥	و ٤ر٥

(التعليم في مصر) جاء في كتاب الاحصاء الرسمي تحت عنوان (نبذة تاريخية وجيزة عن سير التعليم الرسمي القائمة به الحكومة في القطر المصري ماياتي :

« أدخل المرحوم محمد علي باشا مؤسس الاسرة الحاكمة التعليم الحديث بالقطر المصري نظراً لاحتياجاته الحربية

« وضع التعليم على الطريقة الشرقية في القطر المصري منذ سنة (٦٤١) م على الاقل وكان عبارة عن التعليم المشتمل خصوصاً على العلوم الدينية والآداب وأول جامع شيده عمرو بن العاص في مصر القديمة لم يلبث طويلا حتى صار معهداً دينياً مهما . وكان من دأب الامراء المسلمين الذين يولون أمر مصر توطيداً لسلطتهم وتخليداً لذكراهم أن يشيد كل منهم جامعاً من أهم مميزاته وجود مدرسة فيه

« ونحو سنة (٩١٠)م.أسس القائد الفاطمي جوهر الجامع الازهر الشريف في القاهرة فحاز أهمية كادت تفوق على أهمية مدينة بغداد التي كانت وقتئذ أهم مركز في العالم للتعليم الاسلامي ولهذه الاهمية كان محطا لرحال عظماء فقهاء الدين وجهابذة علماء اللغة العربية من جميع العالم الاسلامي وقد بلغ عدد طلبته في القرنين الثالث والرابع عشر عشرين الفا

« وفي نحو القرن الخامس عشر انحط شأن هذا المعهد العظيم لما توالي على البلاد الاسلامية من الوهن أما الآن فقد أدخل فيه بعض الاصلاحات الحديثة من جهتي النظام وطريقة التعليم

« وبخلاف هذه المعاهد العلمية الكبرى التي لم يزل باقياً منها خمسة للآن توجد مدارس أخرى معروفة بالمكاتب منها ماهو تابع الجوامع ومنها ما هو تابع للأسبلة والأضرحة وفي هذه المكاتب كانت تتعلم التلاميذ الكتابة وحفظ القرآن . أما اليوم فقد نظمت على حسب الطرق الحديثة بواسطة الاعانات الجارى منحها لها بأن اتسع نطاق التعليم وعين لها مدرسون أكفاء بنسبة حالتها

« أما طريقة التعليم الاوربية الحديثة المتبعة الآن كثيراً في القطر المصري فلم تكن مستنبطة من طرق التعليم الشرقي بل هي طريقة مستجلبة اذ أنه لما أسندت ولاية مصر الي المرحوم محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ وبعد (تخلصه) من المماليك العصاة سنة (١٨١١) عزم على تمكين دعائم سلطانه بانشاء جيش بري وبحري منتظمين على الطرق الاوربية ولايجاد المستخدمين اللازمين لهذه المصالح الجديدة وادارة دفتها كان محتاجا

والحالة هذه الي رجال غير الذين نشأوا في المعاهد الدينية فشرع في سنة (١٨١٦) أن يرسل الي ليفون وميلان وفلورنسا وروما وفيما بعد الى انجلترة وفرنسا ابناء المماليك والاتراك ثم اتبعهم بأبناء المصريين لدرس الفنون الحربية والعلوم الهندسية (ملكية وعسكرية) والعمارات البحرية والملاحة والنظام الادارى والطب وخلافه وبعد ذلك ببضع سنين أنشأ في بحر عشر من السنين تقريبا (١٨٢٤ — ١٨٣٤) عشر مدارس ابتدائية ومدرسة الطب ومدرسة للبيادة ومدرسة السوارى ومدرسة الطوبجية ومدرسة بحرية ومدرسة الطب البيطرى ومدرسة المهندسين وخلافه

« وفي سنة (١٨٣٦) أنشأ الوالي مجلسا للمعارف وحول ادارة التعليم من نظارة الحربية الي (نظارة معارف عمومية) وفي خلال السنة التالية أوصل مجلس المعارف عدد المدارس الابتدائية الي خمسين ثم أنشأ مدرسة ثانوية ومدرسة الزراعة ومدرسة للادارة والمحاسبة ومدرسة الترجمة ومدرسة الفنون والصنائع وجعلها منظم على قدر الامكان على الطرق الفرنسية ولكن درجة نشر التعليم لم تكن مناسبة لدرجة تقدم البلاد نفسها ولذا قضى على عدة مدارس أن توصد أبوابها بعد سنة واحدة الا عدداً قليلا جداً من بينها بقي حتى سنة (١٨٤١) ومع أن التلاميذ كانوا يسكنون ويأكلون ويلبسون على نفقة الحكومة وتعطي لهم أيضاً اعانة فما كانوا ليدخلوا المدارس الا مرغمين كما قال يعقوب ارتين باشا في كتابه المسمى « التعليم العام في القطر المصرى »

« وقد نمت كراهة الفلاح المصرى الخدمة العسكرية الي الدخول في المدارس رغما من الفوائد التي كانت تعود عليه من قيام الحكومة بالانفاق على ولده لتربيته وتعليمه . وقد كان الاهالي يأبون بالاجماع الانتفاع بهذه الفوائد حتى اضطرت الحكومة الى ايجاد نظام اجبارى للدخول في المدارس وبذلك غصت جميع المدارس تقريباً بالتلاميذ الذين أخذوا قهراً من آبائهم ووزعوا عليها على حسب أعمارهم وبنيتهم وهيئتهم وكانت الحكومة حرة في رفت التلاميذ أو نقلهم من مدرسة لاخرى أو ابقائهم

فيها تبعا لذكائهم وأميالهم

« وقد أوجب تنقيص الجيش عند انتهاء وقائع المرحوم محمد علي باشا الحربية والغاء احتكارات الحكومة وقفل معاملها زيادة من عدد الشبان الحائزين على شهادات عالية اكثر بكثير من الوظائف الخالية لهم حتى كان عدد كبير من الموظفين الذين ربتهم الحكومة عالة عليها لعدم استطاعتها الانتفاع بهم ولهذه الاسباب الغى عباس باشا الاول حال جلوسه على العرش سنة (١٨٤٩) جميع المدارس ماعدا المدرسة الحربية

ولما جلس اسماعيل باشا على الاريكة الخديوية سنة (١٨٦٣) أعاد انشاء المدارس على قاعدة أوسع من ذى قبل الا أنه التزم فيما بعد على تخفيض عددها نظراً لكون المصاريف التي كانت تنفق عليها لم تأت بنتيجة في وقت قريب وعلى أثر الارتباكات المالية اضطرت الحكومة الي الاقتصاد في هذا الصدد حتى انه في وقت عزل اسماعيل باشا كانت مصاريف التعليم خفضت الى مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه مصرى سنويا

« وفي مدة المراقبة الانجليزية الفرنسية زيد المبلغ المخصص للتعليم الي ٧٠٠٠٠ جنيه مصرى وفي سنوات الاحتلال الانجليزى اضطرت الحكومة الي عمل توفيرات عظيمة لاصلاح حالة البلاد المالية ولما تحسنت الحالة المالية بعد ذلك رأت الحكومة أن توجه أولا نظرها نحو حاجاتها الضرورية ولم يتيسر للمصلحة المالية ايصال مصاريف التعليم الى مبلغ ٩١٠٠٠ جنيه الا في سنة (١٨٩٠) ومن بعد ذلك الحين وخصوصا من ابتداء سنة (١٩٠٤) كانت هذه المصاريف تزاد على الدوام وقد تقدم التعليم بدرجة عظيمة

« وفضلا عن المدارس الاميرية وجد عدد عظيم من المدارس الاهلية ابتدائية وثانوية منظمة تقريبا على نظام المدارس الاميرية وسائرة على انموذج التعليم المتبع فيها وكثير من هذه المدارس ينفق عليها من جمعيات خيرية وهناك أيضا بعض من المدارس خاصة بالنزلاء الاجانب وأغلبها تابع للارساليات الدينيه أنشئ بعضها في أواسط القرن التاسع عشر

وفي سنة ١٩٠٧ أنشأت الحكومة ادارة التعليم الزراعي والصناعي والتجارى وجعلتها تحت مراقبة وزارة المعارف

العمومية سداً للاحتياج العظيم الي صناع ماهرين وبقصد توسيع دائرة التعليم العملي في المستقبل وان دائرة التعليم الزراعي التي أتسع نطاقها آخذ في الزيادة يوما عن يوم قد نقل مركزها سنة (١٩١٤) الي وزارة الزراعة الي انشئت في بحر سنة (١٩١٠) وقد وسع نطاق التعليم بالمدارس الثانوية وبمدارس البنات ومدارس المعلمات

«وبمقتضى قانون نمرة ٥٢ الصادر في سنة (١٩١١) ضمنت مجالس المديريات سلطة واسعة لنشر التعليم الدبني ولهذا الغرض رخص لها بفرض ضريبة عقارية اضافية قدرها ٥ في المئة تعطى اعانات المدارس الاهلية الابتدائية والصناعة الثانوية» انتهي

في المدارس المصرية ٥٣٧٢٧٠ تلميذاً منهم ٧٩٥٧٣ بنتا وباقيهم أى ٤٥٧٦٩٧ من الذكور منهم مسلمون ٣٩٨٨٦٦ من البنين و٥١٥٣١ من البنات ومن الاقباط ٣٧٤٣٩ من البنين و١١١٨٦ من النبات . ومن الارثوذوكس ٧٢٢٧ من البنين و٥٥٥١ من البنات ومن الكاتوليك ٧٢١٧ من البنين و٦٣٣٨ من البنات ومن البروتستنت ٢٤٠٩ من البنين و٩٠٤ من البنات . ومن الاسرائيليين ٤٣٦٨ من البنين و ٣٨٨٩ من البنات . ومن ديانات أخرى ١٧١ من البنين و١٧٤ من البنات

«وعلاوة علي ذلك فان وزارة المعارف

في القاهرة	٦٩١	مدرسة فيها	٨٣٥٧١	تلميذ
وفي الاسكندرية	٣٨٦	« «	٤٢٩٨٨	«
وفي بورسعيد	٤٦	« «	٥٦٦٣	«
وفي الاسماعيلية	١٩	« «	١٢٦٩	«
وفي السويس	٢٥	« «	١٨٤٤	«
وفي دمياط	٣٨	« «	٤٢٥٨	«
وفي مديرية البحيرة	٥٤٤	« «	٣٧٠٤٥	«
« « الدقهلية	٧٠٤	« «	٤٢٩٣٦	«
« « الشرقية	٨٢٦	« «	٢٢٨٠٣	«

وفي مديرية الغربية	١٢٥١	مدرسة فيها	٧٦٠٧٨	«
« القليوبية	٤٢٣	«	٢٠٤٣٤	«
« المنوفية	٧٧٨	«	٤٥٠٢٢	«
« اسيوط	٥٥٠	«	٣٢٢٦٢	«
« اسوان	١٥٩	«	٩٨٠٠	«
« الجيزة	٢٩٩	«	١٤٠٧٤	«
« الفيوم	٣٠٨	«	١٣٤٤٤	«
« المنيا	٤٦١	«	٢٢٣١٥	«
« بنى سويف	١١٦	«	٧٥٣٢	«
« جرجا	٤٩٧	«	٢٣٢١٥	«
« قنا	٤٤٢	«	٢١٢٧٩	«

وجاء في ذلك الاحصاء تحت عنوان (لمحة تاريخية من أعمال مصلحة البريد في القطر المصرى مايأتي :

(نظامها الاول) لم يعثر علي أثر لاشتغال البريد في القطر المصرى قبل زمن المرحوم محمد علي باشا الكبير فقد أنشئت في عهده ادارة بوستة للمراسلات الاميرية فقط وكان مخصصاً لنقلها سعاة مشاة تحت رئاسة رجل يدعي الشيخ عمر حمد من القاهرة ولم تتمد أشغال البريد في بادىء الامر حدود القطر المصرى الا انها ما لبثت أن امتدت الي السودان حين فتحه سنة (١٨٢١) فاضطرت الحال حينئذ لتعيين سعاة هجانة بها

« ولما كانت الحكومة لاتسمح لسعاتها بنقل خطابات خصوصية نظم الشيخ حسن البدلي من مكان القاهرة بريداً من سعاة خصوصيين لنقل رسائل الجمهور

« ولم توضع وقتئذ تعريفة عن الرسائل التى كانت ترسل بواسطتهم بل كانت كلما اقتضت الحال لنقل رسالة يتساومون علي أجرتها

« الا انه فيما بعد أخذت الحكومة علي نفسها نقل خطابات الجمهور المرسلة الي مصر الوسطي ومصر العليا (الصعيد) والسودان ووضعت لذلك رسوما تتفاوت بين ١٠ بارات و٣٠ بارة أى من ٢ ونصف الي ٧ ونصف مليمات عن الدرهم الواحد وهو يساوى ٣ غرامات ونصف وذلك عن المراسلات التي برسم مصر الوسطي ومن قرش الي ثلاثة قروش أى من ١٠ مليمات الي ٣٠ مليما عن المراسلات التي برسم مصر العليا ومن ثلاثة قروش و٢٥ بارة الي ستة قروش وخمسة بارة أى ٣٦ مليماور بع المليم الى ٦١ مليماور بع المليم عن الرسائل التي برسم السودان

(أول ادارة بريد نظمت بين الاسكندرية والقاهرة) وفي ذلك الحين أنشأ رجل يسمى كارلوميراتي وأصله من ليفورنو ادارة بريدية علي ذمته في الاسكندرية لتصدير وتسليم الخطابات المتبادلة مع البلدان الاجنبية واستلام الواردة منها فكان يستلم المراسلات من الجمهور ويحملها لي البواخر المسافرة كما انه كان يتوجه لاستلام الخطابات الواردة ويوزعها علي أصحابها وبذلك توصل لانشاء مكتب بوستة في الاسكندرية .

ولما رأى نجاح عمله هذا أنشأ أيضاً في سنة (١٨٤٣) ادارة منظمة لنقل المراسلات بين الاسكندرية والقاهرة وكان السعاة يقطعون المسافة بين هاتين المدينتين في ظرف ٢٤ ساعة

(البوستة الاوربية) وعلي أثر وفاة ميراتي المذكور تولى أولاد أخته اخوان تشيني ادارة البريد وكانت معروفة وقتئذ بالبوستة الاوروبية

« وفي سنة (١٨٤٧) اشتركا مع جاكو موتسي الذى صار فيما بعد موتسي بك وهو أول من عين مديراً البوستة المصرية

(مكاتب البوستة الاولية) وأول ما افتتح من مكاتب البوستة بعد مكتب الاسكندرية كان في القاهرة والمعطف ورشيد في سنة (١٨٥٤) ومكتب دمنهور وكفر الزيات في (١٨٥٥) وقت انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية وكفر الزيات وتلا ذلك افتتاح مكاتب طنطا وبنها والبركة في سنه (١٨٥٦) حين مد خط السكة الحديدية الى القاهرة

(نقل البوستة علي قطارات السكك الحديدية) وما كاد يمتد خط من خطوط السكك الحديدية الا وبادرت ادارة البريد الي ارسال مراسلاتها عليه بدلا من السعاة وذلك مقابل مبلغ كانت تدفعه الحكومة سنوياً وبلغ أقصاه في آخر الامر ٧٨٠ جنيها مصرياً وفي سنة (١٨٦٢) رخصت الحكومة بنقل مراسلات البوستة مجاناً علي قطارات السكك الحديدية كما ان البوستة الاوربية أخذت علي نفسها فرز المراسلات الاميرية وارسال مستخدمين من قبلها لمرافقتها بلا مقابل

«شراء الحكومة لادارة البوستة) ولما رأت الحكومة اتساع نطاق أعمال تلك الادارة وأهميتها عزمت منذ سنة (١٨٦٤) علي شرائها لجعلها مصلحة عمومية فوسطت محل درفيه وشركاه وعهدت اليه المفاوضة في ذلك مع اخوان تشيني وجاكو موتسي الذين تنازلوا للحكومة عن ادارة البوستة مقابل مبلغ ٩٥٠٠٠٠ فرنك

« وبناء علي ذلك دخلت ادارة البوستة تحت سلطة الحكومة المصرية من أول ينايرسنة (١٨٦٥) فصارت مصلحة أميرية وكان عدد مكاتبها وقتئذ ١٩ مكتبا

« سير أعمال البوستة منذ سنة ١٨٦٥) كانت التسعة عشر مكتباً المنوه عنها تتبادل المراسلات علي اختلاف أنواعها وكذلك الخطابات ذات القيمة المقررة وحوالات البوستة وصرر النقود وارساليات الاشياء الثمينة

«وأول مافكرت فيه المصلحة الجديدة هو تخفيض رسم الخطابات المتداولة في دائرة الوجه البحرى فجعلته قرشاً واحداً أى ١٠ مليمات عن كل سبعة غرامات ونصف

«وفي سنة (١٨٧٨) قررت أن يكون هذا الرسم عينه عن ١٠ غرامات بدل من ٧ ونصف كما انها خفضت رسم الخطابات المصدرة الي الوجه القبلي من قرشين عن العشرة غرامات الي قرش واحد فأصبح الرسمان متساويين في الوجهين البحرى والقبلي ثم خفض هذا الرسم أيضاً في سنة (١٨٩٠) الي ٥ مليمات عن كل ١٥ غراما وأصبح الآن ٥ مليمات عن كل ٣٠ غراما وكذا رسم التسجيل فبعد أن كان قرشين عن كل مراسلة خفض الى قرش واحد عن كل ١٠ غراما

ثم جعل الآن قرشا واحداً عن كل ٢٠ غراماً وفي سنة (١٩٠٥) خفض هذا الرسم الي • مليمات عن المراسلات المصدرة الي بريطانيا العظمى ومستعمراتها وفي سنة ١٩٠٦ عن المصدرة الي ايطاليا وستعمراتها ومن أول يوليه سنة (١٩١٢) عن المراسلات المتبادلة مع بلاد النمسا

« كانت أشغال البريد مع البلدان الاجنبية في بادىء الامر قاصرة علي تبادل المراسلات ولكن تخليص رسومها لم يكن يخلو من صعوبة وهذه الصعوبة كانت ناشئة عن تحصيل رسمين عن رسالة واحدة رسم مصرى عن الداخل ويلصق عليها بقيمته طوابع بوستة مصرية ورسم أجنبي عن الخارج ويلصق عليها بقيمته أيضاً من طوابع ذلك البلد الاجنبي المصدرة اليه تلك الرسالة وكذلك كانت الحال عند ارسال مراسلات من الخارج الي هذا القطر . ولما كان من الصعب الحصول علي الطوابع الاجنبية فمعظم الخطابات المرسلة من والي الخارج كانت تتحصل عليها قيمة الرسوم الباقية مضاعفة في البلاد المرسلة اليها

(وقد تناقص هذا الضرر تدريجياً بفضل الاتفاقات الخصوصية التى عقدتها البوستة المصرية الواحد تلو الآخر مع بلدان أجنبية كثيرة وبمقتضى تلك الاتفاقات أمكن التخليص علي المراسلات بطوابع البلد الصادرة منه وقد تلاشي ذلك الضرر كلية بتنفيذ قرارات مؤتمر برن

(عقد المؤتمر الدولى للبريد سنة ١٨٧٤) في برن فقرر تأسيس اتحاد البوستة العام الذى انتظمت فيه مصر منذ تأسيسه والغاء حسابات الرسوم الخاصة بتبادل المراسلات لان المتحصل عن المراسلات غير خالصة الاجرة كان حقا للبلد الصادرة منه تلك المراسلات وقرر أيضاً الغاء الرسوم العالية والخصوصية لكل بلد وصادق علي وضع رسوم متساوية لجميع البلدان القابلة باتحاد البوستة العام عن المراسلات التى ترد غير خالصة الاجرة أو غير مستكملتها

وفي مؤتمر البريد المنعقد في باريس سنة (١٨٧٨) قبلت الحكومة المصرية بأحكام النظام الخاص بتناول الحوالات

الخارجية الا ان مصلحة البوستة المصرية لم تنتظر عقد هذا المؤتمر لتبادل هذه الحوالات بينها وبين بعض البلدان بل عقدت اتفاقا خصوصيا عن ذلك في سنة (١٨٧٢) مع البوستة الايطالية وفي سنة (١٨٧٤) مع البوستة البريطانية

« وفي سنة (١٨٨٠) قرر مؤتمر باريس تبادل طرود البوستة داخل القطر ومع البلدان الاجنبية

« وفي سنة ١٨٨٥ قرر مؤتمر لشبونة الحوالات التلغرافية والطرود المؤمن عليها والمحول عليها وأشغال التحصيل ودفاتر اثبات الشخصية

« وفي سنة (١٨٩١) قرر مؤتمر فينا طريقة الاشتراك في الجرائد الخارجية والتأمين علي الخطابات والعلب ذات القيمة المقررة والتأمين أيضا علي صرر النقود من الاخطار التى تحدث في الاحوال القهرية (وذلك بعد أن أقر علي مبدأ خلو مصر من مسؤولية الاخطار التى تحدث في الاحوال القهرية أسوة بكثير من البوستات الاجنبية) وتخفيض أقل رسم يؤخذ عن الحوالات الخارجية وقد أجاز المؤتمر المذكور أيضاً دفع رسوم طرود البوستة الجمركية وغيرها مقدما في محل الارسال بدلا من تحصيلها في البلدان المصدرة اليها الطرود

« في سنة (١٨٩٨) قرر مؤتمر وشنجتون زيادة أكبر وزن مقرر للعينات وتخفيض رسم الحوالات الخارجية مع اعلاء أقصى القيمة المقررة لها

« وفي سنة (١٩٠٦) قرر مؤتمر روما اعلان وزن الخطابات وتخفيض رسمها وتوسيع المحل المخصص للتحرير في تذاكر البوستة وقسائم الجوابية وتخفيض رسم الحوالات ورسم مرور ارساليات البوستة

« قبل أن تصير البوستة في مصر مصلحة أميرية رأى الأجانب مختلفو التبعيات الذين كان لهم وقتئذ في الشرق أشغال عديدة أن ينشئوا لهم في القطر مكاتب بوستة خصوصية ولم يبق للآن من جميع تلك المكاتب الا مكتبي البوستة الفرنسية في الاسكندرية وبورسعيد وأنشيء أولها سنة ١٨٣٦ أما مكتباها في القاهرة والسويس فأنشئ الاول سنة ١٨٧٥ والثاني سنة ١٨٨٨ وكذا ألغيت المكاتب الاجنبية الاخرى فمنها مكتبا البوستة

الانجليزية في الاسكندرية والسويس وكان انشاؤها في سنة (١٨٣١) والغاؤها في سنة (١٨٨٨) وكذا المكاتب النمساوية واليونانية والايطالية والروسية وكلها في الاسكندرية فانها أنشئت في سنوات ١٨٣٨ و١٨٥٩ و١٨٦٦ و١٨٥٧ والغيت في سنوات ١٨٨٩ و١٨٨٣ ١٨٨٤ و ١٨٧٥

« ورغبة في ايجاد طرق المواصلات مع الجهات التي لم تزل محرومة من الخطوط الحديدية أنشأت مصلحة البوستة وابورات لنقل البريد والركاب أيضاً فرتبت في سنة (١٨٦٩) خط وابورات بوستة في قناة السويس بين بور سعيد ولاسماعيلية . وبعد سنة (١٨٨٠) أنشأت خطوطاً مثلها في النيل بين أسيوط وأسوان وبين كفر الزيات والعطف وفي البحر الصغير بين المنصورة والمنزلة وفي بحر شبين وقد الغيت جميع هذه الخطوط بالتدريج على أثر مد خطوط السكة الحديدية اليها

(أنشئت خطوط البوستة الطوافة في أول مايو سنة (١٨٨٠)

(في سنة (١٩٠٥) ابتدىء بتبادل بونات البوستة الانجليزية ما بين القطر المصرى وبريطانيا العظمى والمستعمرات الانجليزية

« ونظرا للفوائد من فائدة استعمال هذه البونات صدرت بونات مصرية في يوليه سنة (١٩١٥) للتعامل بها في داخلية القطر فقط وهي تعرف باسم أذونات البوستة الداخلية

(طوابع البوستة) أصدرت الطوابع الاولي البوستة المصرية في سنة (١٨٦٦) وكان صنعها في مدينة جنوة وفئاتها : ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و٢ و ٥ و ١٠ قروش

« ثم الاصدار الثاني في سنة (١٨٦٧) وكان تشغيله في مطبعة بناسون وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و٢٠ بارة و١ و٢ و ٥ قروش

« والاصدار الثالث في سنة (١٨٧٢) وجرى تشغيله في المطبعة الاميرية ببولاق وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و١ و ٢ و ٢ ونصف و ٥ قروش

« وفي سنة ١٨٧٤) عمل اصدار اضافي من فئة ٥ بارات (برسم معكوس) و ١٠ و ٢٠ بارة ومن فئة القرش الواحد وفي سنة (١٨٧٩) عدلت قيمة بعض طوابع من فئة القرشين ونصف السالفة

الذكر وجعل بعضها من فئة خمس بارات والبعض الآخر من فئة عشر بارات بواسطة طبع هذه القيم عليها

«أما الاصدار الرابع فكان في سنة (١٨٧٩) وعهد بتشغيله الي محل الخواجات ديلارى بلوندرة ولم يزل هذا المحل قائما بطبع الطوابع المصرية الي الآن واول طوابع صنعت فيه وجرى تداولها في سنة (١٨٧٩) كانت من فئات ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة ومن ١و٢و٥ قروش

« سنة (١٨٨٤) أصدرت طوابع جديدة بنفسجية ورمادية اللون من فئات عشر بارات

« وفي سنة (١٨٨٤) عهد الى المطبعة الاميرية ان تحول مقدار من الطوابع الي فئة عشرين بارة بواسطة طبع الرقم عشرين بارة عليها وفي تلك السنة صنعت طوابع جديدة في محل ديلارى من فئة عشرة وعشرين بارة وقرش وخمسة قروش

« وفي سنة (١٨٨٤) أنشئت علامات الاجر المستحقة وجرى استعمالها وهي شكل طوابع بالقيمة المستحقة على المراسلات الغير خالصة الرسوم او الغير مستكملها وهي من فئة عشرة وعشرين بارة وقرش وقرشين وخمسة قروش وكان صنعها بمطبعة بناسون في الاسكندرية

« وعلي أثر تغيير طريقة العملة المصرية في سنة (١٨٨٨) عهد الي الخواجا ديلارى طبع طوابع بوستة من فئة مليم ومليمين وخمسة مليمات الجارى أستعمالها للآن

« ولتلك المناسبة عهدت المصلحة الي مطبعة بناسون بصنع علامات جديدة للاجر المستحقة من فيه مليمين وخمسة مليمات ومن قرش وقرشين وخمسة قروش المراسلات الغير خالصة الرسوم او الغير مستكملها

« وفي سنة (١٨٨٩) أصدر طابع جديد من فية عشرة قروش كما أن علامات الاجرة المستحقة الجديدة من مليمين وأربعة مليمات وقرش وقرشين جرى طبعها في تلك السنة في محل ديلارى

(وفي سنة (١٨٩٧) أصدرت طوابع بوستة مصرية مكتوب عليها (سودان) لتستعمل في بوستة السودان

(وفي سنة (١٨٩٩) أصدرت مصلحة بوستة السودان طوابع خصوصية

لها . وفي شهر مايو سنة (١٨٩٨) حولت علامات الاجر المستحقة من فئة القرشين الي فئة ثلاثة مليات وذلك بواسطة طبع هذه الفئة فوقها لكي تستعمل علي المخطابات غير خالصة الاجرة الواردة من رجال الجيش الموجودين بحامية السودان

(وفي سنة (١٩١٤) أصدرت سلسلة مدموغات جديدة من الطوابع البريدية تتألف من عشرة طوابع مبصوم علي كل منها منظر أو أثر مصرى يختلف من الآخر وذلك بدلا عن منظر أبي الهول والاهرام الذى كان مطبوعا علي كافة الطوابع

(وكان عدد الطوابع القديمة تسعة والطابع الزائد الآن هو من فئة ٢٠٠ مليم

(وقد ابتدىء في بيع الطوابع الجديدة في يوم ثمانية يناير (١٩١٤) الموافق يوم عيد جلوس الجناب العالي الخديوى السابق عباس باشا حلمي الثاني علي الاريكة الخديوية

أما الرسومات المطبوعة علي العشرة طوابع الجديدة فهي :

فئة	مليم	
«	١	سفينة شراعية في النيل
«	٢	الآلهة ايزيس
«	٣	سراى رأس التين
«	٤	الاهرام
«	٥	أبو الهول من منظر وجهه
«	١٠	تماثيل مدينة طيبة
«	٢٠	بوابة الكرنك
«	٥٠	قلعة القاهرة
«	١٠٠	هيكل أبي سنبل
«	٢٠٠	خزان أسوان

(وهذه الرسومات الجديدة مطبوعة أيضاً علي تذاكر البوستة والظروف والحازم

(حجم الطوابع الجديدة ذات فئة عشرين وخمسين ومئة ومائتين مليماً أكبر من حجم الفئات الاخرى

(الاشغال البريدية بالسودان) من سنة (١٨٢١) أنشئت مواصلات بريدية مع السودان كما توضح آنفا وكانت تلك المواصلات الي مديريتي دارفور وخط الاستواء حين فتحهما في عهد المرحوم الخديوى اسماعيل باشا

(غير انه لم تفتح مكاتب بوستة في دنقلة وبربر والخرطوم الا في سنة

(١٨٧٣)

(و بناء علي طلب غردون باشا عند تعيينه حاكما عاما للسودان افتتحت في سنة (١٨٧٨) مكاتب بوستة في الـ...ية وسنار وكرجوج والقضارف وفازوغلو وفاشودة والفاشر والابيض وبهذا العمل امتدت البوستة الي جميع الجهات المهمة

(وفي سنة (١٨٨٣) حين حدوث الثورة في السودان قطعت العلاقات البريدية فجأة مع القطر المصرى

« اما مكتب الخرطوم فظل مفتوحا حتى سقوط المدينة

«وآخر ارسالية من ارساليات البوستة التى وردت من الخرطوم سافرت منها علي الوابور بردين في ٤ نوفمبر سنة (١٨٨٤) ومما هو جدير بالذكر ان المرحوم جياكو لابروزو الذى كان وكيلا لمكتب البوستة هناك منذ انشائه ذبح بأيدى الثائرين وهو محافظ علي مركزه في ذلك المكتب

(وعند استرجاع السودان انشئت ادارة مؤقتة لاشغال البوستة وكانت تتبع الاعمال أولا بأول كلما تقدم الجيش جهات البلاد وعند وضع النظام الادارى

في ذلك القطر تقرر تثبيت تلك الادارة نهائياً وجعلت مصلحة تحت سلطة حكومة السودان

« ومع ذلك فتعتبر بوستة السودان جزءا من البوستة المصرية فيما يختص باشغالها الخارجية اذ أن الاخيرة قائمة من أول الامر بجميع الاشغال الخارجية والخاصة بالبوستة السودانية

«بلغ عدد المراسلات التى تبودلت داخل القطر المصرى سنة (١٩١٥) أحد وعشرين مليون و٤٢٥ الف رسالة وكانت سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب ٢٦ مليون و٨٠٢ الف

(وتبودلت بين مصر والخارج ثلاثة عشر مليون و٦٤٦ الف رسالة وكانت قد بلغت سنة (١٩١٣) ستة عشر مليون و٣٢٥ الف

(ويبلغ عدد ماتبودل من تذاكر البوستة ٩ ملايين و٢٢٤ الف

و بلغ عدد الخطابات المسجلة اربعة مليون و٤٢٣ الف

و بلغ عدد المطبوعات والاوراق التجارية والعينات ٩ ملايين و٥١٨ الف وكانت بلغت ١٣ مليون و٨٩

الف في سنة (١٩١٣)

«و بلغ عدد المراسلات الاميريه ٢٨ مليون و٦٩٥ الف . فبلغت جملة المراسلات الداخلية والخارجية ٧٧ مليون و١٣٢ الف وكانت قد بلغت ٨٦ مليون و٩٢٥ الف

«و بلغت قيمة الحوالات العادية ٤ ملايين و٩٠٦ الف و٢١٢ جنيها

«وبلغت صرر النقود مليون واحد و٣٦٩ الف و٣١٨ جنيها

«و بلغت صرر النقود المرسلة من الحكومة بحوالات بوستة ٣ ملايين و١٤٤ الف و ٨٢٥ جنيها

«فيكون مجموع قيمة النقود التى تبودلت ٦ ملايين و ٤٢٠ الف و ٣٥٥ جنيها

«وصدر بالبوستة الى البلاد الخارجية ٣٥١ الف و ٨٨٨ جنيها . وورد منها ٩٣ الف و٤٦٣ جنيها

«فيكون جملة ذلك ٤٤٥ الف و٣٥١ جنيها

«و بلغ عدد الطرود الداخلية ٤٢٨ الف و٩١٠ وبلغ عدد الطرود الصادرة الي السودان ٥١ الف و ٥٣٤ والوارد منه ٨٢٥٩. وعدد الطرود التى صدرت من مصر الى الخارج ١٥٢٨٩٩ والتى ورد اليها ٣٢٢٢٥٧ فيكون مجموع الطرود الداخلية والخارجية ٩٦٤٧٨٠

«و بلغ قيمة أوراق التحصيل الداخلية والخارجية ٣ ملايين و٦١٥٦٧١ جنيها

« التلغراف المصرية) جاء في احصاء سنة ١٩١٥ الحكومة المصرية تحت عنوان مذكرة تاريخية عن تلغرافات الحكومة المصرية مايأتي :

« لم توجد أوراق يستدل منها تماما علي منشأ تلغرافات الحكومة وان ماوجد محفوظا منها هو فقط من بعد سنة (١٨٨٩)

«و يستخلص من الاوراق الموجودة بدفترخانة مصلحة التلغراف ان الخطوط التلغرافية مدت في الاصل بمعرفة مصلحة السكك الحديدية ولم تنظم ادارة قائمة بنفسها للتلغرافات الا بعد ذلك بكثير

« في سنة (١٨٥٦) رخص للمستر جيشبورون بان ينشيء خطوطا تلغرافيه تربط الخط الجغرافي البحرى الواصل من الدردنيل الي الاسكندرية بالخط الذى كان مصمما علي مده بين عدن والسويس

« ومن هذا الترخيص يعلم ان المواصلات التلغرافية بين القاهرة والاسكندرية كانت موجودة قبل هذا التاريخ

«وفي سنة (١٨٧٠) بلغ طول الخطوط التلغرافية الجارى تشغيلها بالقطر المصرى ٦٣٢٠ كيلو متراً بما فيها ٢١١٠ كيلومترات في السودان

« كان القطر المصرى بالنظر لتعريفة التلغرافات مقسما الي ثمانية أقسام وكانت تلك التعريفة مقررة علي الوجه الآتي :

«عشرة قروش عن العشرين كلمة الاولي يزاد عليها خمسة قروش عن كل عشر كلمات أخرى وذلك اذا كانت الاشارة التلغرافية لا ترسل خارجا عن دائرة القسم الصادرة منه ، وعشرون قرشاً عن كل اشارة مركبة من عشرين كلمة وترسل من القسم الاول الثانى ، وثلاثون قرشاً من القسم الاول للثالث وهكذا الي النهاية بزيادة عشرة قروش عن كل قسم

« وفي السنة نفسها أى سنة (١٨٧٠) أعطي التزام الى شركة التلغراف الانجليزى بمد خطوط تلغرافية بين الاسكندرية والسويس وتكون مختصة بنقل الاشارات الخارجية بين أوروبا والشرق ثم في سنة (١٨٧٤) انتقل هذا الالتزام الي شركة التلغرافات الشرقية التى رخص لها أيضاً لمدة خمس سنوات بتوصيل اشارات داخل القطر بين مكاتبها في الاسكندرية والقاهرة والسويس

«وفي سنة (١٨٧٧) بلغ عدد المكاتب التلغرافية الموجودة بالقطر المصرى والسودان ١٥١ مكتباً موزعة كما يأتي :

الوجه البحرى	٨٦
الوجه القبلي	٤٤
السودان	٢١

«وكان بالوجه البحرى ثمانية وعشرون مكتبا لقبول الاشارات الافرنجية أما الوجه القبلي فلم يكن به مكتب ما لهذا الغرض

« وفي أول ابريل سنة (١٨٧٨) استلمت حكومة السودان الخط التلغرافي القائم قبلي حلفا

«وفي سنة (١٨٧٩) سحب من

شركة التلغرافات الشرقية الامتياز الذى كان معطي لها من توصيل الاشارات التلغرافية بين مكاتبها داخل القطر

« وفي السنة نفسها حلت دوائر تلغرافية بسيطة محل الدوائر المدنية التى كانت مستعملة وبذلك أمكن الحصول علي دائرتين بدلا من واحدة

« ومن أول اكتوبر سنة (١٨٨٤) سلمت خطوط السودان التلغرافية الي ادارة تلغرافات الجيش الانجليزى

« ومن أول سبتمبر سنة (١٨٨٧) وحدت تعريفة الاشارات الداخلية فجعلت خمسة مليمات عن الكلمة بحيث لا تقل أجرة الاشارة عن خمسين مليما

« وفي ١٥ مايو سنة (١٨٨٧) أعيد الخط الذى كان تحت ادارة الجيش الانجليزى الي مصلحة التلغرافات المصرية

ثم في أول يناير سنة (١٨٩١) وضعت تعريفة أخرى بالطريقة الآتية وهي :

« ٥ مليمات عن كل كلمتين بحيث لاتقل أجرة الاشارة عن ٢٠ مليما

(وفي يونيه سنة (١٨٩٦) تقرر أن تكون التعريفة عن الرسائل المستعجلة ثلاثة أمثال العادية

« أما خط الطور فقد مدته وزارة الحربية في سنة (١٨٩٧) ثم ربطته مصلحة التلغرافات بمكتبها بالسويس وتقرر أن تكون الاشارات بهذا الخط ضعف الاجرة العادية

« أما التعريفة عن السودان فتقرر أن تكون من أول ينايرسنة ١٩٠٠ كما يأتي:

« ٤٠ مليما عن كل كلمتين أو كسورهما في الاشارات المستعجلة
« ١٥ « « « « العادية
« ١٥ « أربع كلمات أو كسورها « المستبطأة
« أما الاشارات التى تتجاوز ثمان كلمات فتعريفتها كما يأتي :
« ٦٠ مليما عن الاشارات المستعجلة
« ٦٠ « « العادية
« ٣٠ « « المستبطأة

« ولا تسلم الاشارات المستبطأة قبل ٤٨ ساعه

« وسنة (١٩٠١) رخص لشركة السكك الحديدية الضيقة بانشاء مكاتب تلغرافية في المحطات الواقعة علي خطوطها الحديدية وأن تتبادل الاشارات مع مصلحة التلغرافات بشروط مخصوصة

« وفي سنة (١٩٠٥) خفضت تعريفة الاشارات التى تصدر الي أوروبا وتقرر في سنة (١٩٠٦) أن تكون الاشارات المختصة بالجرائد بنصف أجرة بشروط مخصوصة

« وفي سنة (١٩١٠) سلمت وزارة الحربية خط الطور الى مصلحة السكك الحديدية وهذه قررت له التعريفة العادية بدلا من تعريفته الخصوصية

« وفي سنة (١٩١١) أنشيء في بور سعيد مكتب التلغراف اللاسلكي لقبول وتوصيل الاشارات المعروفة باسم (راديو تلغراف) الي المراكب في البحر

« وفي سنة (١٩١٢) حصل تبادل الاشارات المستبطأة بنصف اجرة ما بين القطر المصرى والبلاد الاجنبية الشهيرة بواسطة خطوط شركة التلغرافات الشرقية بشرط أن تكون الاشارات المذكورة واضحة المعنى ومحررة باللغة الفرنسية أو باحدى لغات البلاد الصادرة منها أو المصدرة اليه

« وفيما يختص بالخطوط التلغرافية الخاصة بشركة قناة السويس أنظر الملاحظة المدونة في الجزء الثالث من هذا الفصل

« أما النشرات الرسمية من التلغرافات فهي :

(١) التقارير السنوية لمصلحة السكك الحديدية المصرية والتلغرافات الاميرية

(٢) دليل التلغراف

« طول الخطوط التلغرافية المصرية (١٣٤١) كيلو متراً وطول الاسلاك (٢٢٤٨١) كيلو متراً . وعدد الآلات التلغرافية (١٣٢) وعدد المكاتب ٤٠٠ وعدد اشارات مصلحة السكك الحديدية والجرائد ٣١٧٤٨٢٦

وجاء في الاحصاء المذكور تحت عنوان (الخطوط التلغرافية الجارى تشغيلها بمعرفة شركة التلغرافات الشرقية ما يأتي :

«مذكرة تاريخية — بخلاف مكاتب تلغرافات الحكومة يوجد ايضا مكاتب مستقلة لشركة التلغرافات الشرقية ليتم في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس وبور سودان وسواكن ومرخص لهذه المكاتب بقبول وارسال اشارات برقية من والى خارج القطر

الشركة المذكورة اسلاك خصوصية غير أسلاك الحكومة تنقل عليها مايرد اليها من الاشارات البرقية الي انحاء القطر ولها أيضا اسلاك بحرية لربط المواصلات البرقيه بين القطر المصرى وبلاد الهند وجهات أخرى واقعة علي البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط

لا يجوز الشركة ان تستعمل أسلاكها لنقل الاشارات بين جهتين واقعتين في دائرة القطر المصرى الا فيما عدا الاشارات المتبادلة بين البحرين حيث يمنع اتصالها وجود قناة السويس

وبمقتضي ترخيص من الحكومة المصرية مؤرخ ٨ أغسطس سنة (١٨٨٢) واتفاق مبرم بين شركة قناة السويس وشركة التلغرافات الشرقية بتاريخ ٢٧ نوفمبر السنة المذكورة قد تنازلت الشركة الاولي الثانية عن حق استعمال خطها الخصوصي الواقع بين السلكين البحريين اللذين أحدهما في السويس والآخر في بورسعيد مع ابقاء ذلك الخط ملكا لشركة قناة السويس الذى انشأته لحساب وأشغال شركة التلغرافات الشرقية وقد اشترط فيما بينهما بأن تقوم هذه الاخيرة بدفع مبلغ قدره ٢٥٠٠٠ فرنك سنويا لشركة قناة السويس مقابل قيامها بحفظ وصيانة ذلك الخط وتكون مدة هذا التنازل مساوية للمدة المرخص بها من الحكومة لشركة التلغرافات الشرقية المذكورة

فقد انشئت في سنة (١٨٧٤) بانحلال شركتي (بريتش اند رياسوب مارين تلجراف كومباني) و (انجلو مديترانيان تلجراف كومباني) اللتين كان ترخص لهما من الحكومة المصرية بمقتضى عقود في ٢٧ فبراير سنة (١٨٥٦) و ٧ فبراير سنة (١٨٦٢) و ٨ مارس سنة (١٨٧٠) انشاء وتشغيل خطوط برقية مختلفة في القطر المصرى وبشروط لا محل لذكرها الآن حيث استبدلت جميعها بشروط أخرى مؤرخة في ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤)

«وقد قضت أيضا هذه الشروط بتخويل الشركة المذكورة جميع حقوق الالتزامات التي كانت منحت من قبل الى الشركتين بادىء الذكر وذلك لمدة ٣٨ سنة تنتهي في ثمانية مارس سنة ١٩١٢ وقد تعهدت الحكومه عند حلول هذا التاريخ بامتداد مدة الالتزام لعشرين سنة أخرى بشروط يتفق عليها الطرفان . وفي حالة عدم اتفاقهما يسوى الخلاف بينهما بواسطة لجنة تحكيم عرفية

«وقد خولت الشركة علي سبيل المساعدة ذلك الحق الذى كان للشركتين السابقتين وهو التمتع بقبول الاشارات البرقية الداخل القطر لمدة تنتهي في أول مارس سنة (١٨٨٩) فقط

« وقد تقرر أن تدفع الشركة المذكورة للحكومة سنويا مبلغ (١٠٠٠) جنيه انجليزى ويكون للمصالح الاميرية حق الانتفاع بخصم ٥ في المئة علي رسائلها من تعريفة الشركة العموميه

« أما الالتزام المحرر بشأنه عقد ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤) فلا يشمل احتكاراً لجانب شركة التلغراف الشرقيـة بل أن الحكومة حفظت لنفسها الحق علي الأخص باعطاء التزامات من هذا القبيل الي شركات أخرى

« ولغاية سنة (١٨٧٤) لم يكن للشركة الا ثلاثة مكاتب فقط كائنة في القاهرة والاسكندرية والسويس وفي شهر أغسطس سنة (١٨٧٢) ترخص لها كما ذكر آنفا بانشاء خط بور سعيد والسويس خصيصاً لربط المواصلات بين البحر الاحمر والبحر الأبيض المتوسط

وبتاريخ ١٠ يناير سنة (١٨٧٤) عقد اتفاق بين الحكومة المصريه والحكومه الانجليزيه من جهة وشركة التلغراف الشرقية من جهة أخرى بالترخيص لهذه الاخيرة بانشاء خط برقي بين السويس وسواكن وتكون مدة التزامه مساوية لمدة الالتزامات السابقه وبتخويل الشركة المذكورة أيضا حق الاولوية بالتزام جميع مايستجد من الخطوط التي يتراءى للحكومتين لزوم انشائها بين القطر المصرى والبلاد الأجنبية . واذا أرادت الحكومة المصريه الغاء هذا الاتفاق عند نهاية مدته فيجب عليها أن تعلن الشركة بذلك قبل انقضاء المدة بستة شهور

وتدفع لها مبلغا قدره مئه وخمسون الف جنيه انجليزى بصفة تعويض وذلك بخلاف الفوائد التى لاتزيد في أى حال عن مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه انجليزى عن هذا مع حفظ الحق للشركة المذكورة بأبقاء مكتب لها في سواكن لتبادل الاشارات البرقية مع عدن

« ويقتضى اتفاق آخر في التاريخ المذكور رخصت الحكومة للشركة بفتح مكتب تلغرافي في بور سعيد مقابل دفعها للحكومة مبلغا اضافيا لايزيد عن ٢٥ مليما عن كل كلمة من الاشارات الواردة والصادرة من هذا المكتب ويظل المكتب المذكور باقيا طالما كان خط الحكومة البرى بين بورسعيد والاسكندرية موجوداً

« وباتفاق آخر مؤرخ ١٢ مايو سنه (١٨٩٠) تعهدت الشركة بأن تدفع أيضاً للحكومة سنويا مبلغاقدره ٦٧٥٠ جنيها انجليزيا بصفة ايجار للخطوط الممتدة في انحاء القطر وذلك لمدة عشر سنوات صار امتدادها في أول نوفمبر سنة (١٨٩٩) الى ٨ مارس سنة (١٩١٢)

« وبتاريخ سنه (١٩٠٥) عقد « اتفاق ابتدائي بين الشركة والحكومة بتخفيض تعريفة الشركة من أول يوليه من السنه المذكورةوعلي أثرهذا التخفيض الموضح نصه في طلب الاتفاق قد خفض أيضاً مبلغ خمسة آلاف جنيه انجليزى من أصل مبلغ ستة آلاف وسبع مئه وخمسين جنيها انجليزيا الذى كان قدتقرر علي الشركة دفعه سنويا

« ومن جهة أخرى قد تعهدت الشركة التى جددت مدة التزامهاالغاية ٨ مارس سنة (١٩٣٢) بأن تدفع للحكومة مليما ونصفا عن كل كلمة تنقلها على الخطوط البرية وكذلك أيضا عن كل كلمة من الاشارات البرقية الواردة أو الصادرة من مكاتب القاهرة والاسكندرية وبور سعيد

« وقد ثبتت هذا الاتفاق نهائيا في عقد١٣ ابريل سنة(١٩٠٩)والذى بمقتضاه امتدت مدة التزام الشركةلغايه ١٠ نوفمبر سنة (١٩٦٨) « المادة الاولى »

(الخطوط التلغرافيه الخاصه بشركة قناة السويس) جاء في الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان مانصه :

« أنشأت الشركة الخطوط التلغرافيه

الاول مدة حفر القناة لحاجة اشغالها الخصوصية وهذه الخطوط هي :

(١) الخط من الاسماعيليه الي الزقازيق وهناك يلتقي بأسلاك تلغرافات الحكومة المصرية وقد انشئت في سنة (١٨٦٢)

(٢)الخط من الاسماعيليه الى بور سعيدوقد أنشيء سنة(١٨٦٣)

(٣) الخط من الاسماعيليه الي السويس وقدانشيءفي سنة(١٨٦٤)

«ولم يأت اول يوليه سنة (١٨٦٤) الا وكانت ادارة هذه الخطوط سائرة علي مايرام وكان عدد مكاتبها التلغرافية وقتئذ عشرة

«اما في سنة (١٨٦٧) فنظراً لزيادة سكان ذلك البرزخ من جهة ولعدم وجود خطوط تلغرافية هناك للحكومة من جهة أخرى دعت الحال لفتح خطوط الشركة المذكورة للمواصلات العمومية

«وقد وضعت لائحة نص بها عن الاجرة التى يقتضي تحصيلها ومعافاة الاشارات الاميرية منها

« وباتفاق مؤرخ ٢٣ ابريل سنة ١٨٦٩(المادة الثالثة) تقرر ان تنشيء الحكومة في تلك المنطقة مكتبا للبوستة وآخر للتلغراف وذلك لخدمة الشركة المذكورة والاهالي مع حفظ الحق للشركة بابقاء خطوطها الخصوصية لاستخدامها في اشغالها وفي مرور المراكب من القناة

«وحسب نصوص هذا الاتفاق ظلت الشركة سائرة في اشغالها التلغرافية الي الآن مع استمرارها ايضا علي قبول وتوصيل الاشارات الاميرية بدون مقابل

«وقد دلت التجارب في ذلك الحين علي ضرورة فتح خطوط الشركة أيضا لقبول الاشارات الخصوصية الصادرة والواردة من والي المراكب المارة في القناة وقد تم ذلك باتفاقين أولهما بتاريخ ٢٥و ٢٧ ابريل سنة(١٨٨٨) والآخر بتاريخ ٢١ ديسمبر سنة (١٨٨٩) وقدخول اول هذين الاتفاقين بان توصل الشركة خطها بخط الحكومة بين بور توفيق والسويس (المدينة) وخول الثاني وصل خط الشركة بخط الحكومة ايضا في بور سعيدونص به عن الطريقة التى تتبعها الشركة في توصيل الاشارات البرقية بين المراكب المارة في القناة وبين خطوط الحكومة كما

نص به ايضا بنوع أخص بان تحصل الشركة من مصلحة التلغرافات الاميرية قرشا واحداً عن كل اشارة برقية تبلغ بواسطتها

« وقد ظلت الشروط معمولا بها لغاية الآن ولم يطرأ عليها اى تعديل ما

«ولا يفوتنا أن نذكر هنا ماتم الاتفاق عليه بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة (١٨٨٢) بين شركتى قناة السويس والتلغرافات الشرقية مع مصادقة الحكومة عليه وذلك ان تستخدم الشركة الثانية أسلاك الاولى لاشاراتها الخصوصية التي ترسل رأسا بين السويس وبورسعيد

(التليفون) جاء في ذلك الاحصاء علي التليفون مانصه:

«وفي ٢٦ يناير سنة (١٨٨١) رخصت الحكومة الخواجه الكسندر جراهم بل بانشاء مواصلات تليفونية في القاهرة والاسكندرية . وقد تنازل الخواجه المومي اليه في شهرابريل من السنة المذكورة عن هذا الترخيص الي شركة التليفون الشرقية ليمتد بلوندرة (اور ينتال كومباني ليمتد) فنالت هذه الشركة ترخيصاً آخر في ٣٠ يناير سنة (١٨٨٣)

بمد اسلاكها في بور سعيد والاسماعيلية والسويس والزقازيق والمنصورة وطنطا ثم انها تنازلت عن جميع الترخيصات الي شركة التليفون المصرية ليمتد التي مركزها بلوندرة وقائمة اليوم بادارة اشغال التليفون في القطر المصرى وذلك بمقتضي عقد محرر في شهر فبراير سنة (١٨٨٥) وبلغ ذلك التنازل الحكومة المصرية في ١١ منه ومن ثم أخذت أسلاك هذه الشركة في الانتشار سواء كان في مكاتبها المفتوحة او بفتح مكاتب جديدة وعلي ذلك فتح مكتب اسيوط في سنة (١٨٨٩) ثم مكتب الفيوم في سنة (١٩٠٨) وبعدهما مكتبا المنيا و بنى سويف في سنة (١٩٠٩) ومكتب الاسماعيلية في سنة (١٩١٢) ومكتب دمنهور في سنة (١٩١٣) ومكتب كفر الزيات في سنة (١٩١٤) ولما طلبت الشركة المذكورة من الحكومة بتاريخ ٢٠ اكتوبر سنة (١٨٩١) الترخيص لها بانشاء اسلاك تليفونية جديدة خاصة ببعض الافراد في داخل القطر رأت الحكومة ان تضع شروطها خصوصية بهذه الاسلاك التى تركب في جهات خارجة عن الجهات التى نالت

الشركة عنها ترخيصاً خصوصياً

« ومن بين هذه الشروط الخصوصية نذكر أهمها وهي الآتية :

(أولا) حفظت الحكومة لنفسها الحق في الترخيص أو رفض هذه الاسلاك وهي مع ذلك آخذة دائماً في الازدياد

(ثانياً) حددت الحكومة في أول الامر مدة الالتزام لخمس سنوات يسوغ تجديدها برضاء الشركة لمدة مساوية لها وتقرر فيما بعد أن يكون انتهاء مدد جميع الامتيازات التى منحت وستمنح في يوم واحد هو ٣١ ديسمبر سنة (١٩١٧)

(ثالثاً) قررت الحكومة أن تدفع لها الشركة مبلغاً قدره عشرون قرشاً في السنة عن كل ميل انجليزى وذلك عن الاسلاك المقامة في جهات غير الجهات الموجودة فيها مواصلات تلغرافية أو كانت بعيدة بأكثر من كيلو مترين من مكتب تلغرافي ، ومبلغ ٥٠ قرشاً في السنة عن كل ميل انجليزى في الجهات المرتبطة بمواصلات تلغرافية وكانت المسافة بينها و بين مكتب تلغرافي أقل من كيلو مترين

« وفي سنة (١٩٠٠) عقد اتفاق آخر بين الحكومة والشركة بعد المواصلات التليفونية داخل الاقاليم حتى تتيسر المخابرة بين القرى والمراكز التابعة لها أو بين بعضها بعضاً وعلي ذلك ابتدأت الشركة بمد هذه المواصلات في مركز منيا القمح

« ونظرا لما يأتي به هذا المشروع من عظيم الفائدة صار تعميمه في جملة مراكز أخرى حتى انه لم تنته سنة (١٩١٦) الا وكانت هذه المواصلات منتشرة في انحاء جميع المديريات

« وعلى اثر ذلك أبرمت اتفاقات خصوصية بين الحكومة والشركة عن المدد التليفونية التى توضع في مصالح الحكومة وآخر هذه الاتفاقات كان في أول يناير سنة (١٨٩٩) ولمدة خمس وعشرين سنة . هذا وانا لا نألوا جهداً في موافاة القراء بالاتفاقات العديدة المبرمة بين الحكومة والشركة عن وضع مواصلات جديدة

« ومن الجداول الآتية يعلم مقدار امتداد الخطوط التلفونية داخل القطر

« اما الاسلاك التى في الاقاليم فتقوم الحكومة بانشائها وصيانتها وعلي

الشركة ادارة تشغيلها بمعرفتها وحدها وتحت مسئوليتها وبشروط مختلفة واما بعض الخطوط مثل الخط الواصل بين القاهره والاسكندرية فتدفع الشركة عنها ايجاراً سنويا قدره ثلاثة جنيهات مصرية عن كل كيلو متر واحد منها وفي غيرها من الخطوط الاخرى تقاسم الحكومة الشركة بنسبة ١٠ في المئة من اجمالي ايراداتها وتتولي ايضا بضمان الشركة علي اجرة سنوية مقررة بحسب طول الخطوط

«وبلغ مجموع الخطوط التليفونية التى تحت الارض في المدن ٢٩ الف و ٨٦٤ كيلو متراً . ومجموع الخطوط الهوائية ٤٢ الف و٧٥ كيلو متراً فيكون مجموعها ٨٤ الف و٢٨٤ كيلو مترا

« وهناك خطوط لخدمة الحكومة والافراد والمكاتب العمومية يبلغ طولها ١٨ الف و٤١٠ كيلو مترات

«وقد بلغ مجموع ايراد هذه الخطوط ١٧٨ الف و٤٠٣ جنيهات و بلغت نفقاتها ١١٠ آلاف و٥٣٦ جنيها

(الحجاج) وورد في الاحصاء المذكور بيان عدد الحجاج الذين مروا بالسويس في عدة سنين فنختار سنة (١٩١٣) لانها كانت قبل سنة الحرب مباشرة فهي أدل علي حقيقة العدد العادى من السنين التالية

« كان عدد الجزائريين ٣٩٢٢ والمصريين ١٤٥١٤ والمراكشيين ١٥٩ والعثمانيين ١٣٢٠ والاعجام ٢٠٥٦ والروسيين ٢٤١٧ والتونسيين ١٤٠٥ وغيرهم ٦٣٣

(قناة السويس) جاء في الاحصاء الرسمي تحت هذا العنوان مانصه :

«ان اول مشروع درس في العصور الاخيرة لحفر قناة تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الأحمر منتسب الي زمن الحملة الفرنسية سنة (١٧٩٨) حينما قدم المهندس (لبير) الي الجنرال بو نابرت سنة (١٨٠٠) مشروعه الخاص بحفر قناة ذات بوابات تنفصل عن النيل بقرب الزقازيق متجهة شمالا نحو بلوز وجنوبا نحو السويس

« ولكن المشروع الذى تم بحفر القناة في برزخ السويس راجع الي فرديناند دولسبس مدة اقامته في مصر بصفة معتمد دولة فرنسا السياسى في القطر (١٨٣١-١٨٣٨) فانه بين مشروعه في تقرير كان

في النية رفعه الي المغفور له عباس باشا الاول لولا العلم بان الوالى كان مضاداً لكل مشروع من هذا القبيل سنة (١٨٥٢)

«وفي ٣٠ نوفمبر سنة (١٨٥٤) بعد محادثات جرت بين المغفور له سعيد باشا وفرديناند دولسبس اعطي الاول الثاني امتياز حفر القناة واستثمارها لمدة مئة سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة وستنتهي هذه المدة في شهر نوفمبر سنة (١٨٦٧) وتصبح القناة في ذلك الوقت ملكا للحكومة المصرية . وقد سعت شركة القناة في سنة (١٩١٠) في اطالة مدة الامتياز ٤٠ سنة ولكن بلا فائدة

«واتم دولسبس درس مشروعه في المدة من سنة (١٨٥٤) الي (١٨٥٨) بمعاونة المهندسين الفرنسيين ليناز وموجيل الذين كانا في خدمة الوالى وقدم سعيد باشا المشروع الي لجنة فنية دولية اقرته بعد زيادة البرزخ اول يناير سنة (١٨٤٥)

«وفي ١٠ ديسمبر سنة (١٨٥٨) تألفت شركة قناة السويس العمومية برأس مال قدره مئتا مليون من الفرنكات وابتدات عملية الحفر في ٢٥ ابريل سنة (١٨٥٩) واحتفل بافتتاح القناة في ٧ نوفمبر سنة (١٨٠٩)

«وأما قناة السويس فعبارة عن طريق للملاحة خال من البوابات يصل البحرين الاحمر والمتوسط طوله (١٦٤) كيلو متراً بما في ذلك بواغيز المواني

«وبلغ عمق القناة تحت سطح الماء ثمانية امتار بعد تمام عمليات الحفر الاولي بعرض ٢٢ متراً في قاعها

ومن ثم اجريت اشغال مهمة لتحسين القناة وتنظيمها حتى بلغ عمقها الحالى عشرة امتار ونصف علي الاقل واقل عرض لقاعها ٤٥ متراً . اما النهاية العظمى لعمق الماء المسموح للمراكب التى تجتاز القناة الدخول فيه فهي ثلاثون قدما انجليزيا اى تسعة امتار و١٤ سنتيما

«وقد شرع في ادخال تحسينات جديدة بها ليبلغ عمق القناة ١٢ متراً وعرضها في القاع ٦٠ متراً في الجزء الواقع بين البحيرة الكبرى والسويس وتقرر أيضا انشاء محطات بحرية يكون فيها عرض قناة السويس ستون متراً وطولها ثمان مئة متر وذلك كل عشرة كيلومترات في الجزء الواقع بين بور سعيد والبحيرة المذكورة

«وانسهيل الملاحة ليلا ونهاراً وضعت عوامات لارشاد السفن طول القناة وعلي شاطئيها مرابط السفن عند تقابلها لانه ما عدا في بعض الاحوال عند تقابل سفينتين يجب علي احداهما ان ترسو لتمر الاخرى

«أنشئت كذلك محطات للاشارات كل عشرة كيلو مترات لملاحظة السفن في سيرها واعطائها التعليمات اللازمة لاجتياز القناة وتصل سلوك التلغراف والتليفون. هذه المحطات ببور سعيد والاسماعيليه والسويس

« والشركة القناة اسطول من البواخر الخاصة لسحب السفن التي تجنح علي الشاطيء وهي معدة أيضاً لمعاونة السفن التي يتسرب الماء اليها أو التي تشب النار فيها

(تعريفة رسوم اجتياز القناة) تضمن عقد امتياز حفر القناة اعطاء الشركة حق فرض رسم لا يتعدى العشرة فرنكات على كل طن من اجمالي حمولة المراكب ولكن الشركة كانت تحصل هذا الرسم عن كل طن من صافي الحمولة الرسمية المقيدة بدفاتر الركب وحددت النهاية الكبرى لعمق حجم السفينة في الماء الي سبعة امتار ونصف

«فرضت الشركة الرسم المنوه عنه سابقا علي اجمالي الحمولة الرسمية»

«ومبلغ الرسم المقرر الآن عن كل راكب عشرة فرنكات وعن كل ولد بالغ من العمر ٣ الي ١٢ سنة ونصف هذه القيمة اما الاولاد الذين لا يتجاوز أعمارهم الثلاث سنين فلا يدفع عنهم رسم ما

«والمدة التي تستغرقها المراكب في اجتياز القناة ١٦ ساعة تقريبا

(المجالس البلدية والمحلية) وجاء في الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان ما نصه:

«تنقسم الادارات البلدية في القطر المصرى الي ثلاثة انواع مختلفة

(ا) مجلس بلدى الاسكندرية

(ب) المجالس البلدية المختلفة او البلديات

(ج) المجالس المحلية العادية

(مجلس بلدى الاسكندرية) يرجع تأسيس مجلس بلدى الاسكندرية الى لجنة من اعيان المدينة الذين كانوا اعضاء قومسيون الدائرة البلدية الملغاة. ذلك

القومسيون المؤقت الذى كان مكلفا بالنشاء وتنظيم الطرق بواسطة ضرائب اختيارية وقد الغى في ١٥ مارس سنة (١٨٨٩)

«ففي شهر يوايه سنة (١٨٨٧) قدمت اللجنة المشار اليها عريضة الى وكلاء الدول ضمنتها مشروع المجلس البلدى وفي ٥ يناير سنة (١٨٩٠) صدر الامر العالى بتشكيل قومسيون لمجلس بلدى الاسكندرية

«ومن ذلك الحين لم يدخل علي نظامه تعديل ما

«يشكل المجلس من ٢٨ عضواً كالآتي وهم:

«ستة أعضاء قانونين وهم محافظ الاسكندرية أو وكيله والنائب العمومي لدى المحاكم المختلطة ومدير عموم الجمارك أو وكيله، ورئيس النيابة أمام محكمة الاسكندرية الاهلية أو وكيله والطبيب الشاغل في الاسكندرية أرقي رظيفة بين مستخدمي مصلحة الصحة العمومية، والمهندس الشاغل في الاسكندرية أرقي وظيفة بين مستخدمي وزارة الاشغال العمومية

«ثمانية أعضاء يعينون من قبل الحكومة

«ستة أعضاء منتخبون بمعرفة الناخبين الذين لا يقل سنهم عن خمس وعشرين سنة ولا تنقص قيمة ما يدفعه كل منهم عن خمسة وسبعين جنيهاً مصريا ايجار مسكن سنوياً

«ثلاثة أعضاء منتخبون بواسطة تجار الصادرات

«ثلاثة أعضاء منتخبون بواسطة تجار الواردات

«عضوان ينتخبان بمعرفة ذوى الاملاك الكائنة بمدينة الاسكندرية وضواحيها

«هذا ولا يجوز أن يعين في القومسيون البلدى أكثر من ثلاثة أعضاء منتخبين من جنسية واحدة سواء كانت مصرية أو أجنبية

«كانت ايرادات المجلس البلدى للاسكندرية في سنة (١٨٩٠) ٥٤٩١٠ جنيهات فبلغت في سنة (١٩١٥ - ١٩١٦) ٣٢٧٧٦٢ جنيها

(المجالس المحلية المختلطة أو البلديات) ان المجالس المحلية المختلطة أو البلديات

لاتختلف عن مجلس بلدى الاسكندرية الا في مسألة جوهرية واحدة وهي كون الضرائب البلدية فى هذه المجالس غير مصادق عليها من الدول وبهذا فانها لا تسرى على الاجانب بمجرد صدور لوائح مصرية بها

(فتشكيل البلديات على هذه الصفة يستدعي حينئذ أن يقبل السكان مقدما بالضرائب التى تقدمها تلك البلديات لاصلاح المدينة والسكان الذين يقبلون أن يكونوا الهيئة الناخبة ويلزمون بدفع تلك الضرائب

(والمبدأ الذى عليه تشكيل البلديات هو أن يكون عدد أعضائها احد عشر ثلاثة منهم أعضاء قانونيون وهم المدير بصفة رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمباني بالمديرية وأربعة أعضاء وطنيين ينتخبهم الوطنيون وأربعة أعضاء أوروبيين ينتخبهم الاوروبيون بحيث لايجوز تعيين أكثر من اثنين من جنسية واحدة

أما ايرادات هذه البلديات فتكون من الانواع الآتية :

(١) اعانات من الحكومة

(٢) الضرائب المتنازلة عنها الحكومة مثل عوائد الذبيح ورسوم أشغال الطريق العمومى والتنظيم

(٣) الضرائب الاختيارية التى قبل السكان تقريرها على المحصولات الصادرة من والى المدينة وكذا المباني وغيرها

(٤) الارباحات الناتجة من مد مواسير المياه والنور

« وقياما بدفع المصاريف الخاصة بمد هذه المواسير تقترض البلديات من الحكومة مبالغ تسددها على أقساط سنوية قدرها خمسة في المئة من قيمة القرض يخصم منها اثنان ونصف لحساب الفائدة والباقي يحسب لاستهلاك القرض المذكور

(المجالس المحلية العادية) المجالس المحلية العادية تختلف عن المجالس المحلية المختلطة فان هذه فيها هيئتان ناخبتان احداهما وطنية والاخرى أوربية

(ثانياً) أن يكون عدد أعضائها سبعة : ثلاثة قانونيون وهم المدير بصفة رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمباني في المديرية وأربعة منتخبون

« وايراداتها بوجه عام من مساعدة

الحكومة كما هو آت :

(١) الاعانة

(٢) المحصل من الضرائب المتنازلة عنها الحكومة

(٣) الارباحات الناتجة من مواسير المياه والنور ومصاريف ذلك مأخوذة من الاموال المقروضة لها من الحكومة

(٤) المساعدة المالية من الاهالي (وهي مهمة جدا في المجالس المحلية المختلطة) ومع انها ليست مقررة في الاصل الا ان أهالي دمياط قاموا بهذه المساعدة من تلقاء انفسهم فقرروا على أنفسهم بأنفسهم ضرائب اختيارية وبهذا كانوا قدوة لاهالي المدن التى أنشىء فيها بعد ذلك مجالس محلية . والاختصاصات المهمة التى تعهدت بها المجالس المحلية المختلطة والمجالس العادية هي ادارة حركة ايرادات المدينة ومصلحة التنظيم والطرق والكنس والرش وتبليط وانارة الشوارع والميادين العمومية واعمال التطهير وخدمة المياه والوقاية من الحريق و وضع الميزانية وكافة الاعمال التى ينطبق عليها معنى البلدية والاشغال غير العادية التى تكلفها بها وزارة الداخلية . وقياما بتلك الاعمال يمكن لهذه المجالس عقد قروض بمصادقة وزارة الداخلية وموافقة وزارة المالية

(الهيئة الناخبة) وعدا عن التعهد الخاص بدفع الضرائب البلدية كما هو مذكور آنفاً يشترط مبدئياً ان يكون الناخب في المجالس البلدية المختلطة حائزاً (ماعدا بعض الاحوال) الشروط الآتية :

(١) ان يكون سنه خمسا وعشرين سنة

(٢) ان يكون مقيما في نفس المدينة

(٣) ان يملك في المدينة اما عقاراً أو يدفع عنه عوائد ملك سنوية قدرها جنيهان مصريان أو أطيانا يدفع عنها مالا سنويا قدره أربعة جنيهات مصرية أو أن يكون محترفا بحرفة حرة

(٤) ان يكون ذا لياقة تامة لهذا المركز كما ولم يصدر في حقه أحكام تحط بقدره

(قسم البلديات والمجالس المحلية) تسير البلديات والمجالس المحلية جميعها تحت ادارة ومراقبة قسم البلديات والمجالس المحلية الكائن مركزه في وزارة

الداخلية واختصاصاته هي :

(١) تحضير مشروع انشاء المجالس المحلية العادية والمجالس المحليـة المختلطة والقيام بتنظيمها في مـدن الاقاليم التي تطلب اهاليها ان يكون لهم مجالس وعليه أيضـاً مراقبة سـيرها وتوصيم مواردها على الوجه الأنفع لصالح الاهالي وعـدا ذلك فهو الواسطة بين هـذه المجالس والوزارات

(ب) عليه بواسطة مهندسيه وضع خطوط التنظيم وانشاء الطرقات العمومية ومراقبة اعمال الطرق

(ج) عليه بواسطة مهندسيه أيضاً وضع مشروعات من مواسير المياه والنور والمصارف في تلك المدن ومراقبة هـذه الاعمال

(اللجنة الاستشارية) وتوصـلا لحل المسائل المهمة تساعد قسم البلديات لجنـة تسمي (باللجنة الاستشارية) وتشكل من وكيل وزارة الداخلية رئيساً ومدير عمـوم المساحات المصرية بالنيابة عن وزارة الماليـة ومدير عمـوم مصلحة المدن والمباني بالنيابة عن وزارة الاشغال العموميـة ومدير عمـوم مصلحة الصحة العمومية ومدير قسم البلديات فتعرض عليها المسائل المهمة الخاصة بالميزانيات ومد مواسير المياه والنور والالتزامات وكافة المسائل التي تعتبر مبدأ فتقرر فيها رأياً ويكون قرارها نافذا

(وزارة الاوقاف) جاء في الاحصاء الرسمي لسنة (١٩١٠) تحت هذا العنوان ما نصه :

(بيان تاريخي) الوقف هو حبس عين عن التمليك يخص الواقف ريعها لاعضاء عائلته او لغيرهم بشرط أن يصرف بعد انقراض المستحقين على وجه من وجوه الخير والبر كمسجد أو مدرسة أو التصدق على الفقراء وهذا ما يسمي بالوقف الاهلي

« ويوجد نوع آخر من الوقف يسمي (بالوقف الخيرى) وهـو اما أن يكون وقفا أهلياً تحول الي خـيرى بعد انقراض المستحقين وذريتهم او موقوفاً مباشرة على وجه من وجوه الخير والبر

« ففي النوعين الاهلي والخيرى يعين الواقف الناظر الذى يدير أعيان الوقف وعادة يحفظ لنفسه الحق في النظارة وفي ريع الوقف ويختار الناظر الذى يخلفه من

المستحقين فاذا انقرضوا كلهم ولم يوجـد نص بالوقفية أو كان النص يستلزم الخيار فالقاضي وحده تعيين الناظر

« ومع مضي القرون كثر عـدد الاوقاف الخيرية وكان يديرها نظار كثيرون لا رقيب عليهم فصاروا يتناولون الجزء الاكبر من ريعها ويهملون وجوه الخير والبر المخصص لأجلها هذا الرابع الى أن صـارت المساجـد تتخرب وأصبحت المدارس والمكاتب مهجورة وذلك رغما عن وفرة ايراد الاعيـان الموقوفة عليها . ثم ان هذه الاعيان نفسها صارت تؤول الي السقوط وتصبح لا ريع لها لاهمال النظار في ترميمها وحفظها فلملافاة هذه الحالة شكل محمـد علي باشا الكبير في سنة (١٨٣٥) ادارة عمومية للاوقاف المذكورة وألغاها بعـد ثلاث سنوات ثم أعاد تشكيلها عباس باشا الاول في سنة (١٨٥١) وكان اختصاصها قاصراً على ادارة مراقبة النظار ومخابرة القاضي لطلب عزل من يتضح لها منهم اهماله أو اختلاسه مال الوقف وفي سنة (١٨٦٤) قرر اسماعيل باشا انها تخالف كل من مات أو عزل منهم

« ومن ذلك الحين صارت الادارة المشار اليها ليست فقط تراقب ادارة نظارة الاوقاف الخيرية بل تدير أيضاً جزءاً منها وعدد أوقاف هذا الجزء آخذ في الازدياد زيادة مطردة من وقتها الي الآن

« وفي عهد اسماعيـل باشا جعلت نظارة يديرها ناظر كباقي نظارات الحكومة واستمرت كذلك لغاية ٢٣ يناير (١٨٨٤) اذ اتفق توفيق باشا مع نوبار باشا الذى كان وقتئذ رئيس مجلس النظار على جعلها مصلحة مستقلة عن النظارة يديرها مدير عام يتلقي الاوامر بشأنها من سمو الخديو مباشرة

« وفي ١٣ يوليه سنة (١٨٩٥) صدر أمر عال بناء على طلب مجلس النظار وبعد أخـذ رأى مجلس شورى القوانين بالتصـديق على لائحـة عمومية لديوان الاوقاف من ضمن مانص فيها انه يدير الاوقاف الاهلية التي يعين حارسا قضائيا عليها والتي يطلب نظارها ومسـتحقوهـا انابته عنهم في ادارتهـا . وان تصرفات القاضي في الاوقاف الاهليـة أو الخيرية التي في ادارة الغير من استبدال وتحكير واستدانة وعزل أو تولية نظار يؤخذ رأى

(١٩١٥—١٩١٦) مالية يبلغ عددها ١٤٧٥ ينفق عليها مبلغ ٦٣٠٠٠ جنيه مرتبات خدمة يبلغون ٧٥٤١ في وظائف متنوعة ويبلغ عدد الجهات الاهلية ١٦٥ علا بها من الخدمة ٦٨٦

(الدين العمومي المصرى) جاء في كتاب الاحصاء الرسمي تحت هذا العنوان مانصه :

(لمحة تاريخية) افتتحت مصر عهد سلفها العمومية بقرض عقده واليها سعيد باشا في سنة (١٨٦٢) وكان مقداره ٢٢٩٢٨٠٠ جنيه انجليزى تستهلك في مدة ثلاثين عاما وفائدته سبعة في المئة

«وقد عقد الخديو اسماعيل باشافي أيام ولايته قروضاً عديدة منها ماهو بضمانة أملاك العائلة الخديوية (الدوائر) وفي الجدول الآتي بيان عن حالة الدين العمومي في أوائل سنة (١٨٧٦)

تاريخ القرض	قيمة القرض	معدل الفائدة	تاريخ السداد	قيمة الدين في سنة ١٨٧٦
١٨٦٢	٢٢٩٢٨٠٠	٧	١٨٩٢	٢٥١٧٠٠٠
١٨٦٤	٥٧٠٤٠٠	٧	١٨٧٩	٢١٣٢٠٠٠
١٨٦٥	٣٣٨٧٣٠٠	٧	١٨٨١	١٤٥٧٣١٢
١٨٦٦	٣٠٠٠٠٠٠	٧	١٨٨٤	— — —
١٨٦٧	٢٠٨٠٠٠٠	٧	١٨٨١	١٠٥٧٠٠٠
١٨٦٨	١١٨٩٠٠٠٠	٧	١٨٩٨	١٢٨٢٢٥٢٠
١٨٧٠	٧١٤٢٨٦٠	٧	١٨٩٠	١٠٣٢٦٢٠
١٨٧٣	٣٢٠٠٥٠٠٠	٧	١٩٠٣	٣١٣٠٣٦٥٩
	٦٨٤٦٧١٦٠			٥٣٣٢٦١١

«وما عدا ذلك فقد كان علي الحكومة والدوائر من الدين السائر مايبلغ قيمته ٢٣٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزى

الديوان فيها وهو يقدم ملاحظاته عنها في مدة ١٥ يوما والا جاز القاضي توقيع الصبغة الشرعية للمصروفات المطلوبة وأن يكون تنظيم حسابات الديوان والصبر فيها بمقتضي القواعد التي تقررها لذلك نظارة المالية. وفي ٢٠ نوفبر سنة (١٩١٣) صدر أمر عال بتحويل ديوان الاوقاف الي نظارة من نظارات الحكومة وقضت المادة الثالثة من ذلك الامر أن تكون ميزانية الاوقاف نافذة المفعول بمقتضي ارادة سلطانية بعد تصديق المجلس الاعلي و بعد أخذ رأى الجمعية التشريعية ويقدم للجمعية التشريعية الحساب الختامي أيضا لكل سنة بعد انقضائها »

(الايرادات والمصروفات والمال الاحتياطي للأوقاف) بلغت ايرادات الاوقاف سنة (١٩١٥ — ١٩١٦) ٤١٣٠٠٠ جنيه وكانت سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب ٥١٨٩٠٠ جنيه وبلغت نفقاتها (٤٧٠٩٥٨) جنيها وبلغ مالها الاحتياطي ٧٤٤٣ جنيها

(المعاهد العلمية الدينية) المعاهد الدينية هي الجامع الازهر ومعاهد الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط وأسيوط

(الجامع الازهر) هو أول مسجد أنشيء بالقاهرة (نقول القاهرة غير الفسطاط التى بنى بها عمرو بن العاص مسجده) أنشأه القائد جوهر في سنة (٣٦٩) وأول من رتب فيه المدرسين هو الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار بن المعز سنة (٣٧٢) هجرية . وينقسم التعليم الي ثلاثة أقسام أولى وثانوى وعال ومدة كل قسم ٥ سنين وبه مكتبة جليلة يبلغ مافيها من المجلدات ٣٩٤٦٩

(المعهد الديني بأسيوط) أنشيء هذا المعهد بارادة سلطانية بمدينة أسيوط واحتفل بافتتاحه يوم ٢٧ ذى الحجة سنة (١٣٣٣) الموافق ٦ نوفبر سنة (١٩١٥)

(المستشفيات وما يماثلها) يتبع وزارة الاوقاف ثلاثة مستشفيات وثماني عيادات وأربع تكايا وملجأ لتربية اليتامي وقد بلغ عدد المرضي الذين عولجوا فيها في المدة من أول ابريل سنة (١٩١٥) لغاية مارس سنة (١٩١٦) ٥٦٤٢٤١

(المساجد وملحقاتها) المساجد وملحقاتها التى كانت تديرها الوزارة في سنة

« وحيث ان جميع هذه القروض أصدرت بشروط فادحة فالمبالغ التى دخلت منها فعلا خزينة الحكومة كان أقل كثيراً من قيمتها الاسمية . وكانت جميع ايرادات الحكومة مخصصة لاستهلاك كل من هذه الديون وفي بعض الاحيان لمدة ديون معا

«وزيادة على ذلك فانه بمقتضى القانون المعروف بقانون المقابلة الذى أصدر وسنة(١٨٧١) أعني أصحاب الاطيان على الدوام من نصف الاموال المضروبة على أطيانهم مقابل دفعهم الحكومة مبلغاً يعادل قيمة تلك الاطيان من ست سنوات سواء كان دفعة واحدة أو باقساط متتابعة لمدة ست سنوات . وفيما بعد أجل هذه الاقساط الى اثنى عشره سنة. وهذا العمل يعد بمثابة قرض فائدته ثمانية وثلث في المئة

«فالعسر المالي الذى وقعت فيه الحكومة المصرية وعدم اقتدارها على القيام بالنفقات الناتجة عن هذه القروض أوجبا اصدار الامر العالى المؤرخ ٦ ابريل سنة (١٨٧٦) القاضي بايقاف دفع السندات والبونات المستحقة في ذلك الحين

«وفي تلك الاثناء كان قد تعين المستر(ستيفن كيف) أحد موظفي الحكومة الانجليزية لدرس الحالة المالية الحكومة المصرية فقدم تقريراً أشار فيه من جهة باستعمال محصولات المقابلة لسداد القروض القصيرة الميعاد التى أصدرت سنة (١٨٦٤)و(١٨٦٥)و (١٨٦٧)ومن جهة ثانية بتحويل سائر الديون الى دين واحد قدره ٧٥٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزى يسدد في خمسين سنة وفائدته ٧ في المئة . وقد أشار أيضاً بانشاء مصلحة للمراقبة يعهد اليها باستلام محصولات بعض أنواع الايرادات على أن لا يصدر أى قرض جديد الا بعد موافقتها عليه

«وقد صدر في ٢ مايو سنة(١٨٧٦) أمر عال يعلن قرب توحيد الديون ويقضي بانشاء مصلحة صندوق الدين العمومى تحت ادارة قومسيون يؤلف من أعضاء أجانب يعينهم الجناب الخديوى بناء على ما تعرضه الدول التابع لها كل منهم مع توكيل تلك المصلحة باستلام الايرادات المخصصة لخدمة الدين من المصالح المحلية واستعمالها لهذا الغرض دون سواه . وكان هذا الامر يقضى أيضاً على الحكومة بعدم اجراء أى تعديل كان من شأنه تنقيص أموال الاطيان المخصصة لخدمة الدين بغير موافقة القومسيون المذكور وأن لا يعقد أى قرض جديد الا لاسباب تقضي بها حاجة القطر وبعد الحصول على موافقة القومسيون المذكور غير أنه حفظ الحق الحكومة بأن تستلف بالحساب الجارى مبلغاً لا يزيد عن خمسين مليون فرنك للقيام بخدمة الخزينة وتقرر أن تكون المحاكم المختلطة مختصة بنظر كل الدعاوى التى يرى صندوق الدين رفعها على الادارة المالية خدمة لمصالح أصحاب الديون

« وفي سبعة مايو من السنة المذكورة صدر أمر عال بتحويل ديون الحكومة الدائرة السنية الي دين واحد قدره ٩٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وفائدته سبعة في المئة يسدد في مدة ٦٥ سنة . وقد جاء في الامر المذكور أن السندات المختصة بقروض سنى ١٨٦٢ و ١٨٦٨و ١٨٧٠ و١٨٧٣ تستبدل بسندات جديدة من الدين العمومى بواقع المائة مئة وأن اصحاب قروض سني ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و١٨٦٧ يعطون سندات جديدة تحسب لهم بواقع خمسة وتسعين في المئة من قيمتها الاسمية . أما سندات الدين السائر فتستبدل بسندات جديدة بواقع ثمانين في المئة من قيمتها الاسمية

« وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات مديرية الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وعوائد الدخولية في القاهرة والاسكندرية ورسوم الجمارك وايرادات السكك الحديدية وعوائد الدخان والملح وعوائد الملاحة وبعض رسوم أخرى وقدر مجموع الايرادات المذكورة بمبلغ ٦٤٠٠٥٢٥٦ جنيها انجليزيا بما في ذلك المبلغ المقرر على الدائرة السنية وقدره ٦٨٤٤١١ جنيها انجليزيا وتقرر أيضاً ايقاف دفع المقابلة

« وقد أحدث هذا القرار احتجاجات عديدة من الاجانب حاملي الاسهم وخصوصاً أصحاب سندات القروض ذات المدة القصيرة وسندات دين الدائرة السنية . وعلي أثر المفاوضات التى جرت مع الخواجات جوشن وجوبير بصفة كونهما وكيلين من أصحاب الديون صدر في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أمر

بتعديل المشروع الاول بالكيفية الآتية:

(ا) فصل ديون الدائرة السنية عن ديون الحكومة وعقد اتفاق خصوصي بشأنها

(ب) اصدار سندات ممتازة بمبلغ ١٧ مليون جنيه انجليزى فائدتها خمسة في المئة تسدد في مدة ٦٥ سنة علي أن يبدأ بأخذ المبالغ اللازمة لها من الايرادات المخصصة للدين وخصوصا من ايرادات مصلحة السكك الحديدية وميناء الاسكندرية التى عهد بادارتهما الي مجلس دولى وتلك السندات تعطي بالافضلية لحاملي سندات قروض سنى ١٨٦٢ و ١٨٦٨ و ١٨٧٣

(ج) أقراض قروض سنى ١٨٦٢ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ من الدين الموحد واستهلاكها بواسطة احكام العقود الخاصة بكل منها بواقع ثمانين في المئة بواسطة ايرادات المقابلة التى أعيد تحصيلها بهذا القرار

(د) تخفيض العلاوة المقررة في الامر العالي المؤرخ ٧ مايو سنة (١٨٧٦) لاصحاب الدين السائر من ٢٥ الي عشر في المئة

(ه) تخفيض الدين الموحد الى ٢٩ مليون جنيه انجليزى وابقاء الايرادات المبينة أعلاه وتقرر انه علاوة علي المبلغ المخصص لدفع الفوائد التى خفض معدلها الي ٦ في المئة يستعمل مع زيادة ايرادات الميزانية مئة وخمسين الف جنيه انجليزى يصير الاستهلاك بواقع ثمانين في المئة

(و) اعتبار صندوق الدين بصفة مستديمة لغاية استهلاك الدين بأكله

« وفي ١٢ و ١٣ يوليه من سنة (١٨٨٠) عقد اتفاق بخصوص تسوية دين الدائرة فيما بين وكلاء أصحاب الديون من جهة وبين كل من الدائرة السنية والدائرة الخاصة من جهة أخرى فبموجب الاتفاق الاول تحول قروض سنة ١٨٧٠ والدين السائر للدائرة السنية الى دين واحد قيمته ٨٨١٠٤٣٠ جنيها انجليزيا ودعي بدين الدائرة السنية العمومي وقررت له فائدة قدرها ٥ في المئة مع جواز بلاغها الي ٧ في المئة في بعض الاحوال علي أن يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع خمسة وسبعين في المئة أو بواقع المئة مئة حالا يخفض الدين الي خمسة ملايين جنيه انجليزى

(وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات الدائرة السنية والدائرة الخاصة مضافة اليها اعانة معينة تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديوية وكل ما زاد من الايرادات علي فائدة الخمسة في المئة يخصص للاستهلاك ودفع فائدة اضافية لاصحاب الديون واعفاء مخصصات الحضرة الخديوية من الاعانة المقررة عليها وتحسين حالة الاملاك وذلك حسب نص الشروط المبينة في العقد ولذلك رهنت أملاك الدوائر المذكورة لاصحاب الديون ووضعت تحت ادارة مراقبين يعينهما أصحاب الديون . ثم أنه بموجب اتفاق ١٣ يوليه الذى عقد مع الدائرة الخاصة تقرر انشاء سندات خصوصية لحاملي سندات الدين السائر للدائرة السنية ولحاملي بونات الدائرة علي الخزينة (وهذه البونات داخلة في الدين الموحد) وتلك السندات الخصوصية تمثل قيمة الدين البالغ قدره ١٩٨٤٥٤٢ جنيها انجليزيا مع زيادة ١٠ في المئة وفائدتها ٥ في المئة وتقرر أن يصير استهلاكها بطريقة الشراء او بطريقة القرعة بواقع خمسة وسبعين في المئة وان يخص لخدمتها قسط سنوى قدره ٥٠ الف جنيه انجليزى تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديوية

« وكانت الشؤون المالية تزداد عسراً حتى انه في أوائل سنة (١٨٧٨) عينت لجنة التحقيق خولت سلطة عامة النظر في هذه الحالة فكانت احدى النتائج الاولى من أعمال صدور أمر عال في ٢٦ اكتوبر سنة (١٨٧٨) يقضي بالتنازل للحكومة عن بعض أملاك تخص جملة أعضاء من العائلة الخديوية واصدار قرض قدره ٧ ملايين وخمس مئة الف جنيه انجليزى وفائدته ٥ في المئة مضمونا بتلك الاملاك التى عهد بادارتها الى قومسيون دولي

(وفي حالة عدم كفاية ايرادات الاملاك المذكورة لخدمة هذه السلفة يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العمومية وبمقتضي الاتفاقية المحررة في ٣١ اكتوبر مع محل روتشلد المدونة فيها شروط هذه السلفة رخص القومسيون ببيع تلك الاملاك كلها أو بعضها وتخصيص صافي المحصل من هذه المبيعات مع مايزيد من الايرادات بعد سداد الفوائد لاستهلاك السلفة علي أن يكون هذا الاستهلاك بطريقة القرعة بواقع المئة مئة

الشراء بسعر السوق

ثم انه بمقتضى الامر العالي المؤرخ ٢٢ ابريل سنة (١٨٧٩) خفضت فائدة الدين الموحد مؤقتاً الي ٥ في المئة وفي خلال الشهر المذكور رفعت لجنة التحقيق تقريرها النهائي تجاه في نتيجته

(اولا) ان الحكومة المصرية في حالة الافلاس

(ثانيا) انه يجب اتخاذ بعض الوسائل لتسوية الحالة المالية وتصفية ديون الحكومة

(ثالثا) ان الحالة تستدعي تشكيل لجنة التصفية

(وقد دعت الحوادث التي جرت بعد تقديم هذا التقرير الي عزل الخديو اسماعيل باشا وتولية نجله توفيق باشا في ٢٦ يونيه سنة (١٨٧٩)

وجاء الفرمان السلطاني الصادر في صبغة أغسطس بهذه التولية محظراً علي الخديو عقد القروض الا ما كان منها مختصاً بتسوية الحالة المالية في ذلك الحين

وصدر أمر عال في ٦ يناير سنة (١٨٨١) يقضي بالغاء قانون المقابلة نهائياً

(وفي ٣١ مارس أنشئت بأمر عال لجنة التصفية مؤلفة من أعضاء ينوبون عن مصر وعن الدول الاجنبية فكلفت بتحضير قانون لتسوية علاقات الحكومة مع مداينيها علي أن تجعل أساساً لعملها الآراء التي أبدتها لجنة التحقيق في نتيجة تقريرها . فوضعت هذه اللجنة قانوناً دعي بقانون التصفية وصدر في ١٧ يوليه سنة (١٨٨٠) وكان من أهم أحكامه ما يلي :

(ا) اصدار سندات ممتازة اضافية ١٥٨٤٣٨٠٠ جنيه انجليزي تستعمل مع رصيد سلفه الدومين وموارد أخرى في تصفية متأخرات الخراج (الويركو) والدين السائر وغيرها من التعهدات الموقوفة . وتعيين قسط سنوي قدره ١١٨١٤٢٤ جنيها انجليزيا لدفع فوائد الدين والاستهلاك

(وتقرر أن يكون الاستهلاك في مدة خمس وستين سنة بطريقة القرعة بواقع المئة منه وأن تضمن خدمة هذا الدين بايرادات السكة الحديدية والتلغرافات وميناء الاسكندرية وفي حالة عدم كفاية

هذه الايرادات فانك تضمن بالافضلية بالايرادات المخصصة بالدين الموحد

(ب) تخفيض فائدة الدين الموحد الي ٤ في المئة مع الترخيص باصدار سندات جديدة بمبلغ ١٩٩٢٨٠ جنيها مصريا يصير حسابها بواقع ستين في المئة تستعمل في تحويل الباقي من قروض سنتي ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ بواقع ثمانين في المئة من قيمتها الاسمية

(ج) تخصيص صافي ايرادات الجمارك بما فيها عوائد الدخان وايرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط لخدمة الدين الموحد . وفي حالة عدم كفاية هذه الايرادات لدفع الكوبونات تقوم الحكومة بدفع الفرق وكل مايزيد من الايرادات المخصصة وكل مايحصل من موارد أخرى غير ثابتة يستخدم في استهلاك الدين الموحد بطريقة الشراء بسعر السوق . وعلاوة علي ذلك اذا اتفق ان زيادة الايرادات المخصصة له تعادل نصف في المئة من مجموع الدين الموحد تقوم الحكومة بدفع كمالة هذا النصف في المئة من زيادة الايرادات الحرة علي المبلغ المقرر لمصروفات المصالح الاميرية البالغ قدره ٤٨٩٧٨٨٨ جنيها مصريا

(د) باعتبار أملاك الدائرة السنية والدائرة الخاصة التي عقد في شأنها اتفاقية ١٢ يولية سنة (١٨٧٧) ملكا للحكومة وتخصيصها لضمان دين الدائرة السنية مع وضعها تحت ادارة مصلحة دولية وتقرر دفع مبلغ ٤٠٠٠٠٠ جنيه مصرى الى الدائرة السنية بصفة تعويض لعدم وفاء المقرر علي مخصصات الحضرة الخديوية وحدد لدين الدائرة السنية فائدة ٥ في المئة منها ٤ في المئة بضمان الحكومة وواحد في المئة فائدة تكميلية لايصير دفعها الا اذا سمحت بذلك ايرادات الاملاك وكل مايزيد من الايرادات يخصص بعد دفع فائدة ٥ في المئة أولا لتكوين مال احتياطي غايته ٣٥٠٠٠٠ جنيه مصرى ثم للاستهلاك كما كان المتحصل من بيع املاك الدائرة يخصص ايضا للاستهلاك الذى يصير بطريقه الشراء أو بطريقه القرعه بواقع ثمانين

(هـ) ضم دين الدائرة الخاصة الذى انشيء باتفاق ١٣ يوليه سنة (١٨٧٧)

الى دين الدائرة السنية على أن تقوم وزارة المالية بدفع القسط السنوى اللازم لخدمته وقدره ٣٤ الف جنيه مصرى

(و) ابقاء ايرادات مديرية قنا مخصصة لقرض الدومين بصفة ضمان ثان كما تقرر ذلك باتفاق اضافي تاريخه ١٤ ابريل سنة (١٨٨٠)

(ز) تأييد الغاء قانون المقابلة وتخصيص مبلغ مئة وخمسين الف جنيه مصرى سنويا لمدة خمسين عاما لصرف التعويضات اللازمة لارباب الاطيان عن الاموال التي دفعوها طبقا لهذا القانون

« لكن الحالة المالية مالبثت ان عادت فاضطربت بسبب حوادث سنة (١٨٨٢) ونفقات حملة السودان وعجز الايرادات التى وضعت تحت تصرف الحكومة القيام بمصروفاتها الادارية وقد انتهت المداولات التى دارت بهذا الشأن بأن عقد مندوبو الدول اتفاقية في لندرة في ١٨ مارس سنة ١٨٨٥ عقبها صدور الامر العالي المؤرخ ٢٧ يوليه سنة ١٨٨٥ وكان أساس هذا الاتفاق اصدار قرض ٩ مليون جنيه انجليزى بفائدة ٣ في المئة يضمنه كل من دولة المانيا والنمسا والمجر وفرنسا وايطاليا وروسيا وتعيين لفوائد واستهلاك هذا الدين قسط سنوى قدره ٣١٥ الف جنيه انجليزى يبدأ بأخذه من الايرادات المخصصة لخدمة الدين الممتاز والموحد وقد تقرر أيضاً أن يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المئة مئة . أما المبالغ المحصلة من القرض فخصصت لدفع تعويضات الاسكندرية ومطلوبات خلافها ولاعمال الرى مع حفظ مبلغ ٥٠٠ الف جنيه مصرى لادارة اعمال الخزينة العمومية ومن جهة أخرى خفض مقدار المبالغ التى كان رخص للحكومة باقتراضها بالحساب الجارى لخدمة الخزينة العمومية فتقرر أن لايتجاوز المليون جنيه مصرى

« هـذا وقد تعين المصروفات الادارية التى تؤخذ من ايرادات الحكومة الحرة مبلغ ٥٢٣٧٠٠٠ جنيه مصرى مع امكان زيادته في بعض الاحوال . واذا اتفق ان الايرادات الحرة لم تبلغ المقدار المذكور فيقوم صندوق الدين بسداد الفرق من زيادة الايرادات المخصصة وبدفعه للحكومة ، ككل مايزيد من الايرادات المخصصة وكل مايزيد من

المقرر يقسم مناصفة بين الحكومة وصندوق الدين بعد خصم المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة والمصروفات الادارية المرخص بها كما تقدم فالحصة التى تعود لصندوق الدين تستعمل أولا في استهلاك الدين المضمون لغاية ٩٠٠٠٠ جنيه انجليزى ثم في استهلاك الديون الاخرى على حسب الشروط المقررة وفيما عدا ذلك يوقف استهلاك الدين الممتاز والدين الموحد

« وتقرر أيضاً بصفة مؤقتة أن يستقطع ٥ في المئة من قيمة كوبونات الدين العمومي في مدة سنتين حتى اذا لم تتمكن الحكومة بعد هذا الميعاد من دفع الفوائد بأكملها تشكل لجنة دولية لاعادة النظر في الحالة المالية

« غير أن تحسن الحالة المالية لم يدع موجباً لتنفيذ هذا القرار

« وقد رخص بأمر عال تاريخه ٣٠ ابريل سنة (١٨٨٨) اصدار سندات بمبلغ مليوني جنيه مصرى فائدتها أربعة ونصف في المئة وذلك من أصل الخمسة الملايين التى رخص بها سلطان تركيا ، وخصص معظم هذا المبلغ لتصفية مطالبات الخديو السابق اسماعيل باشا وأعضاء العائلة الخديوية ولاستبدال الماهيات وكانت السلفة المذكورة بقيمة اسمية قدرها ٢٤٣٠٠٠٠ جنيه مصرى تتقرر لخدمتها قسط سنوى قدره مئة وثلاثون الف جنيه مصرى تؤخذ من المصروفات الادارية

« واشترط انه في حالة تأخر الحكومة عن سداد هذا القسط تحول محصلات الاموال المقررة والغير مقررة في مدينة القاهرة الي خزينة صندوق الدين المكلف بخدمة القرض المذكور

« أما الاستهلاك فيعين بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المئة مئة وقد اشترط أيضاً ان المحصل من مبيع أملاك الميرى الحرة الواردة في الجداول يورد الي صندوق الدين لاستخدامه في استهلاك هذه السلفة الجديدة والدين المضمون معاً

« وفي ١٢ يولية سنة (١٨٨٨) صدر أمر عال يقضي باستعمال زيادة الايرادات المخصصة لصندوق الدين بموجب اتفاقية سنة (١٨٨٥) مع المحصل من مبيع الاراضي وموارد أخرى لتكوين مال احتياطي يحفظ في صندوق الدين ويستعمل

لشراء سندات من الدين المصرى غير انه رخص للاعضاء بتسليف الحكومة ما يلزمها من هذا الاحتياطي لمصروفاتها الغير الاعتيادية

« وفي الوقت نفسه تقرر ايقاف تنفيذ الامر العالى الصادر في ٢٧ يوليه سنة (١٨٨٠) والخاص باستهلاك الديون حتى يبلغ المال الاحتياطي مليوني جنيه مصرى

« وقد قضت الاوامر العالية الصادرة بتاريخ ٦ و٧ يونية و ٥ يولية و ٨ نوفمبر سنة (١٨٩٠) بادخال التعديلات الآتي بيانها

(ا) تحويل قرض أربعة ونصف في المئة المعقود في سنة (١٨٨٨) الي دين ممتاز

(ب) اصدار سندات ممتازة جديدة الحصول على مليون وثلاث مئة الف جنيه مصرى تخصص لاعمال الرى واستبدال الماكينات

(ج) تحويل الدين الممتاز من خمسة في المئة الي ثلاثة ونصف في المئة مقابل دفع تعويض نقدى لحاملي هذه الاسهم قدره تسعة في المئة

(د) زيادة قيمة الدين الممتاز مبلغا قدره سبعة ملايين ومئة الف وثلاثة آلاف ومئتا جنيه انجليزى كنتيجة العمليات المذكورة آنفا

(ه) تحويل دين الدائرة السنية العمومي واعطاء أصحاب الديون سندات جديدة فائدتها أربعة في المئة بمعدل خمسة وثمانين في المئة من قيمة أسهمهم وبذلك خفضت قيمة هذا الدين الاصلية مبلغ مليون ومئتين وثمانية وثمانين الف ومئة وعشرين جنيها انجليزيا

(و) الترخيص بتحويل قرض الدومين ولم يحصل هذا التحويل الا في سنة (١٨٩٣)

(ز) ابقاء الدين الممتاز الجديد ودين الدائرة السنية وقرض الدومين لمدة خمس عشرة سنة كاملة بدون سداد شيء من أصلها الا بطريقة الاستهلاك بالشروط التي وضعت لكل دين ويكون الاستهلاك اما بالشراء بسعر السوق أو بطريق القرعة بواقع القيمة الاصلية

(ح) الوفورات الناتجة عن تحويل الدين الممتاز ودين الدائرة السنية وقرض الدومين في خزينة صندوق الدين مع

تخويله الحق في تشغيلها بسندات من الديون المصرية والمبالغ المتجمعة بهذه الطريقة تقيد بحساب خصوصي يسمى (مال الوفورات الناتجة عن تحويل الدين)

« وقد حصل تحويل قرض الدومين بمقتضى الامر العالي الصادر في ٢٥ مارس سنة (١٨٩٣) فخفضت فائدته من خمسة في المئة الي اربعة وربع في المئة

وفي ٢١ يونيه سنة (١٨٩٨) عقدت الحكومة مع احدى النقابات التي صارت فيما بعد (شركة الدائرة السنية) اتفاقا مفاده ان هذه الشركة تتولي بيع أملاك الدائرة السنية وتدفع الحكومة المبالغ اللازمة لسداد سلفة الدايرة السنية في استحقاقها اى ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) وجميع الارباح الناتجة من ذلك البيع بعد خصم المبالغ اللازمة لاستهلاك الدين ودفع فائدة قدرها ٥ في المئة علي رأس مال الشركة تقسم مناصفة بين الحكومة والشركة

« وقد تقرر بالامر العالي المؤرخ يناير سنة (١٩٠٠) بأن الوفورات الناتجة من تحويل قرض الدومين لا تورد الي صندوق الدين الا اذا زادت ايرادات مصلحة الدومين عن المبالغ اللازمة للقيام بسائر مصاريفها أما المبالغ التي تورد بصفة وفورات فتخفض لسد عجز ايراداتها وتقرر ان لا يسدد قرض الدومين قبل أوائل يناير سنة (١٩١٥) بطريقة الاستهلاك وذلك بواسطة ما يحصل من بيع الاملاك أو من زيادة الايرادات

« وقد رخص بالامر العالى المؤرخ ١٢ يوليه سنة ١٩٠٠ اصدار سندات ممتازة جديدة قدرها مليون وسبع مئة وأربعة وثلاثون الف ومئتا جنيه انجليزى تخصص لادخال تحسينات علي سكك حديد الحكومة فكان هذا القرض مع سلفة أربعة ونصف في المئة المعقودة في سنة (١٨٨٨) وقرض سنة (١٨٩٠) تتمة الخمسة الملايين جنيه مصرى التى رخص به سلطان تركيا في سنة (١٨٨٨)

ثم أنه بموجب الاتفاق الانجليزى الفرنسي الموقع في ٨ ابريل سنة (١٩٠٤) وبمقتضى القانون نمرة ١٧ الصادر في ثمانية وعشرين نوفمبر سنة (١٩٠٤) الذى سرى مفعوله ابتداء

من أول يناير سنة (١٩٠٥) قد استبدلت تلك الطريقة المتقدم سرد تاريخها بنظام جديد فكان من أهم احكامه ما يلي :

(ا) استبدال الايرادات المختلفة المخصصة لخدمة الدين المضمون والدين الممتاز والدين الموحد بإيرادات أموال الاطيان في جميع مديريات القطر المصري ما عدا مديرية قنا التي سبق تخصيص ايراداتها بصفة ضمان اضافي لقرض الدومين وبما أن محصلات تلك الاموال قدرت بمبلغ اربعة ملايين ومئتي الف جنيه مصري فقد اشترط انه لايجوز اجراء أي تعديل في ضرائب الاطيان ينجم عنه تخفيض أموالها الي ما دون الاربعة الملايين جنيه مصري الا بعد موافقة الدول

(ب) استخدام المحصل من الايرادات المخصصة في سداد المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة وذلك حسب الترتيب الآتي :

(أولا) مبلغ ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصري قيمة القسط السنوي المخصص للدين المضمون

(ثانيا) قيمة فوائد الدين الممتاز

(ثالثا) قيمة فوائد الدين الموحد

« فاذا لم تكف تلك الايرادات لخدمة هذه الديون يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العمومية

(ج) توريد المحصل من الايرادات المخصصة من جهات التحصيل مباشرة الي صندوق الدين حتى تستوفي المبالغ اللازمة لخدمة الدين وما يزيد عن ذلك يرسل الى وزارة المالية مباشرة

(د) تخفيض مبلغ مليون وثمانون مئة الف جنيه مصري بصفة مال احتياطي لصندوق الدين ومبلغ آخر لادارة الاعمال وقدره خمس مئة الف جنيه مصري (وقد زيد هذا المبلغ باتفاق الحكومة وصندوق الدين الي مليون و٢٥٠ الف جنيه مصري) وتوليد المبالغ الباقية من الاموال الاحتياطية ومن الوفورات الناتجة من تحويل الدين الي خزينة الحكومه

(ه) حفظ الحق للحكومة في سداد هذه الديون بواقع قيمتها الاصمية ابتداء من التواريخ الآتية وهي :

« ١٥ يوليه سنة ١٩١٠ الدين المضمون والدين الممتاز

« ١٥ يولية سنة ١٩١٢ الدين الموحد

فاذا لم تف تلك الايرادات بخدمة هذه الديون يؤخذ من ايرادت الحكومة العمومية

ولا يسدد قبل هذه المواعيد شيء من هذه الديون الا فيما يختص بالدين المضمون الذي يستمر استهلاكه بما يتبقى بعد دفع الفوائد من القسط السنوي المقرر لخدمته وقدره ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصري

(و) استعمال كل ما يزيد من ايرادات الدومين والدائرة السنية بعد دفع الفوائد بواقع أربعة ونصف في المئة لدين الدائرة السنية والمبالغ المحصلة من بيع الاملاك في استهلاك ديون المصلحتين المذكورتين كل واحدة عما يخصها وبخلاف هذه الطريقة لايجوز استهلاك شيء من تلك الديون قبل التواريخ المقررة لسداد كل منها وهي أول يناير سنة ١٩١٠ لقرض مصلحة الاملاك الاميرية و ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) لدين الدائرة السنية

(ز) حفظ باقي المطلوب لحساب تصفية سنة (١٨٨٠) وقدره الف جنيه انجليزي بصفة أمانة في صندوق الدين لغاية سداد الطلبات المرقومة

(ج) استمرار دفع قسط المقابلة وقدره ١٥٠٠ الف جنيه مصري سنويا لغاية ٣٠ يونيو من سنة (١٩٣٠) وذلك من أصل المال المحصل عن الاطيان التي دفعت عنها المقابلة قبل (١٨٨٠)

« طبقا للاتفاق الذي عقد في ٢١ يونية سنة (١٨٩٨) قد سدد الباقي من دين الدائرة السنية في ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) وذلك بواسطة المبالغ المحصلة من بيع أملاك هذه الدائرة

«وعلى أثر الاستهلاكات التي أجريت حسب الشروط المبنية في الاتفاق المؤرخ ٣١ اكتوبر سنة (١٨٧٨) أصبح قرض مصلحة الاملاك الاميرية جميعه مسدداً في أول يونية سنة (١٩١٣)

« وفي الجدول الآتي بيان عن وجه الدين العمومي في آخر السنة المالية (١٩١٥ — ١٦) مع ماطرأ عليه من التغيرات في السنة نفسها

الدين المضمون بفائدة ٣ في المئة

قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٦ ملايين و ٩٢٩ الفا ومئة جنيه . المستهلك منه في خلال سنة (١٩٠٥) ١٢٥٦٠٠ جنيه . قيمة هذا الدين في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٦٨٠٣٥٠٠ جنيه . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ٨٣٦٠٠ جنيه . وقيمة سنداته المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ٦٧,٩٩٠٠ جنيه

الدين الممتاز بفائدة ٣ ونصف قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٣١ مليونا و ١٢ الفا وثمان مئة وثمانون جنيها وقيمته في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٣١ مليونا و ١٢٧ الفا وسبع مئة وثمانون جنيها . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين مليونا جنيه و ٤٧٦ الف جنيه وقيمة السندات المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ثمانية وعشرون مليونا وست مئة واحد وخمسون الفا وسبع مئة وثمانون جنيها

الدين الموحد بفائدة ٤ في المئة قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٥٥ مليونا و ٩٧١ الفا و ٩٦٠ جنيها . وقيمته في أواخر مارس سنة (١٩١٦) وهي مثل القيمة المتقدمة . وقيمة السندات الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ثلاثة ملايين واربعون الف ومئتان وعشرون جنيها . وقيمة السندات المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) اثنان وخمسون مليونا وتسع مئة واحد وثلاثون الفا وسبعة مئة واربعون جنيها

فتكون جملة الديون ٩٤ مليونا و ٢٨ الفا و ٨٤٠ جنيها وقيمة المستهلك في خلال سنة (١٩١٥) ١٢٥ الفا وست مئة جنيه . وقيمتها في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٩٣ مليونا وتسع مئة وثلاثة آلاف ومئتان واربعون جنيها . وقيمة سنداتها الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين خمسة ملايين وخمس مئة وتسعة وتسعون الفا وثمان مئة وعشرون جنيها وقيمة سنداتها المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ثمانية وثمانون مليونا وثلاث مئة وثلاثة آلاف واربع مئة و ٢٠ جنيها

انتهى ما اقتطفناه من الاحصاء الرسمي للحكومة التي صدر سنة (١٩١٦) من سنة (١٩١٥)

وقد أغفلنا الكلام على الآثار

المصرية القديمة التي لها قيمة كبيرة في علم الاركيولوجيا (علم الآثار) لأننا أشبعنا الكلام فيها في كلمة (آثار) حرف الالف

﴿ مص ﴾ الشيء يمصه مصاً رشفه و (أمصه اللبن) جعله يمصه و (تمصّص الماء) مصه ومثله (امتصه) و (المصاص) خالص كل شيء . و (المُصاصة) ما يمص من الشيء . و (المصمصة) مثل المضمضة الا أنها تكون بطرف اللسان . وأما المضمضة فتكون باللسان كله . و (مصمص الاناء) غسله

(رجل مصّاص) أي شديد وقيل هو الممتلئ الخلق الاملس وليس بالشجاع و (قصب المص) قصب السكر

و (المَصّاص) الحجام . و (المَصّان) الماص يقال للرجل (يا مَصّان) والمرأة يا مَصّانة) أي ياراضع الغنم لؤما وفي هذا تعبير برضع الغنم من أخلافها بالفم

و (المُصّان) قصب السكر
و (مُصة المال) أي خالصه
و (المَصُوص) الناقة القمئة
و (المَصُوصة) المرأة المهزولة

و (المُصامِص) خالص كل شيء و (فرس مُصامِص) أي شديد تركيب العظام والمفاصل

و (رجل مُصامِص) أي حسيب زاك أي خالص يقال (انه لمُصامِص في قومه) اذا كان زاكي الحسب خالصاً فيها

و (فرس مُصَمِّص) أي شديد تركيب المفاصل

﴿ المصطكي ﴾ هذا الاسم معرب عن مصطيخا اليوناني وتسميه العرب علك الروم وهو راتينج يستخرج من نبات من الفصيلة التربنتينية وهو شجيرة تحمل أوراقا متعاقبة ريشية منتهية بفرد أو مثلثة الاوراق وأزهارها عنقودية الشكل وهي تنبت في الاقاليم المجاورة لحوض البحر الابيض المتوسط . ومنها أنواع يبلغ عددها اثنى عشر تختلف في راتينجيتها وثمرها يتوتي يؤكل ويستخرج منه دهن جيد للاستصباح

شجيرة المصطكي تنبت في بروفنسا من ايطاليا وبلاد العرب وأفريقا والجزر اليونانية وقد استنبت هذا النبات بأماكن كثيرة من البلاد التركية.

ولكن أشجار المصطكي لا تكون منتجة في جميع البلاد فهي في بروفنسا لا تنتج شيئا وفي بعضها تنتج سنة ولا تنتج أخرى وأعظم مقدار يرد الي العالم من المصطكي يستخرج من جزيرة صاقس وهو هناك رأس ثروة أهل تلك الجزيرة

لاجل اجتناء المصطكي من شجره تعمل شقوق كثيرة خفيفة في اليوم الخامس عشر من شهر يوليه في جذوع أشجاره فتسيل منها عصارة سائلة ثم تجمد وتبقى متعلقة بالشجر علي شكل حبوب وقد تسقط علي الارض اذا كثرت فتجني في ٢٧ أغسطس فيؤخذ منها مصطكي كثيرة ثم تعمل شقوق أخرى في ٢٥ سبتمبر وهو زمن الاجتناء الثاني ويمتنع بعد ذلك من جنيها الا في السنة المقبلة

ولكن العرب ذكروا ان شجرته تصمغ في السنة ثلاث مرات الاول يكون حباً كبيراً بيضياً والثاني دون ذلك والي الصفرة والثالث يكون صغاراً سوداً وأجودها الابيض النقي

وقد زرعها الاتراك في ٢١ قرية جنوب الآستانة وقد علم انهم يجنون منها في السنة نحو ٦٠٠٠٠ أقة يرسل أفضلها الي الآستانة ويرسل الاجتناء الثاني الي مصر وغيرها

ويظن ان الاتراك استنبتوها في بلاد الاناضول أيضاً وكانت مزروعة بمصر في زمن جالينوس

المصطكي راتينج مكون من حبوب صغيرة مصفرة منتقمة اللون جافة سهلة الكسر ملساء شفافة رائحتها تربنتينية قليلا تظهر كثيراً اذا طرحت علي النار حيث تحترق جيداً وينتشر منها دخان أسود وتميع. وهناك نوع ثان يكون قطعاً كبيرة صنجابية غير منتظمة وغير نقية مكونة من تراكم حبوب ومخة فيها جواهر غريبة وهذه التى تسقط علي الارض . والنوع الاول هو المصطكي المذكورة أو الحبوبية والثاني هو المؤنثة أو العامة والرغبة فيها أقل

(خواص المصطكي الكيماوية)

المصطكي وجدت مركبة من راتينجين وقليل من دهن طيار فأحد الراتينجين الذى يتكون منه معظم الكتلة يذوب في الكحول البارد والآخر الذى يكون بمقدار يسير في مصطكي المتجر لا يذوب في الكحول الا اذا كان حاراً ويبقى زمناً

طويلا رخواً بالكحول الماسك هوله

وقال بعض الكيماويين ان الجزء الغير القابل للذوبان في الكحول من المصطكي يكون جوهراً خاصاً مرنا لزجا غروياً مادام محتويا بين اجزائه علي الكحول فاذا لم يبق فيه كحول فانه يصير جافا سهل التفتت ويذوب في الكحول الحار ولا يذوب في البارد ويظهر انه يشبه الراتينج الذى يوجد في الراتينج الحي

(خواص المصطكي في الطب)

تستعمل المصطكي كثيراً في بلاد المشرق لتعطي الفم رائحة زكية فيمضغها نساء الترك واليونان والارمن واليهود بكثرة لذلك السبب ويعزون لها خواص لتطييب النكهة وتقوية اللثة وتبييض الاسنان . وهم يعطرون بها بيوتهم ويضعونها في الاطعمة

وهي في ظنهم تعتبر مقوية للمعدة ومضادة للتشنج وتستعمل كادات علاجا للاوجاع الروماتيزمية والنقرسية والعصبية وتقلصات الصدر والآفات العظمية ورأى لين العظام وأوجاع الآذان والاسنان

وتعطي من الباطن عندهم في نفث الدم والنزلة المزمنة والسيلان الابيض والاسهال والآفات الجربية ونحو ذلك

ولكنها في أوربا الان لا تستعمل في الطب . وقد توسع أطباء العرب في ذكر خواصها فنقلوا عن جالينوس انها مركبة من جوهر مائي حار قليل ومن جوهر أرضي بارد ليس بكثير المقدار أيضا وبسبب ذلك صارت تقبض قليلا وتجفف وأما حالها في البرودة والحرارة فحالة وسطى معتدلة المزاج والقبض في أجزاء هذه الشجرة علي مثال واحد أى في عروقها وورقها وقضبانها وأغصانها وأطرافها وثمارها ولحائها

وهي تشرب وحدها أو مع أدوية أخرى في قروح الامعاء واستطلاق البطن وهي نافعة جداً لمن به نفث الدم والنساء اذا انفجر من أرحامهم دم وكذا اذا برزت الرحم أو خرجت المقعدة وكذا في نتوء السرة

وقالوا عن ديسقوريدس أن الشجرة كلها قابضة وقد يطبخ قشرها وورقها وأصلها بالماء طبخا طويلا ثم يطبخ هذا الماء حتى يثخن ويصير كالعسل فهذا الماء لقبضه يشرب لنفث الدم واستطلاق البطن وقرحة الامعاء ونزف الدم من

الرحم وظهور الرحم والقمدة وقد يقوم مقام هذا الطبيخ عصارة الورق . واذا صب طبيخ الورق على القروح المتيقة وعلي العظام المكسوة بنى اللحم في القروح وعلي العظام وشد الاعضاء المسترخية وقد يقطع سيلان الرطوبات المزمنة من الرحم ويمنع القروح الخبيثة من السعي ويدر البول واذا تمضمض به شد الاسنان المتحركة . واذا عمل من أغصانها مساويك وتسوك بها جلت الاسنان

وقد يؤخذ من هذه الشجرة دهن قابض يوافق كل ما احتاج الي قبض

ومدح الاستاذ ميريه الفرنسي مطبوخ خشب المصطكي دواء عاماً للنقرس واستعمل أيضاً غرغرة ومضمضة و يصنع منه سنون و يعطي ايضا منقوعاً نبيذيا و يستخرج منه لون أصفر جميل بواسطة الكحول

قال اطباء العرب وهناك نوع من المصطكي يعرف بالنبطي اسود تجفيفه أشد من تجفيف الابيض وقوة القبض فيه أقل ولذا كان أنفع لمن كان محتاجاً الى التجفيف والقوة ومن أجل ذلك ينفع للاورام الصلبة التي في ظاهر البدن

وأما دهن المصطكي فيتخذ من النوع الابيض وقوته شبيهة بقوة المصطكي وهو جيد للمعدة يحرك الجشاء وينفع من الصداع البارد بخوراً وسعوطا بدهن زنبق

واذا ديف بزيت ولطخ به شقاق الشفتين أبرأه . والشراب المتخذ من المصطكي يقوى الاعضاء الباطنة اذا أخذ ممزوجا بالماء البارد عند العطش . وهو يدر البول . واذا حل المصطكي في الادهان القابضة شد اللثة ، واذا تمودي علي المضمضة به منع من تحرك الاسنان وذا دهنت المعدة بأحد الادهان النافعة لها وذر عليها مسحوق المصطكي نفع ذلك من وجع المعدة ومن القيء . وان طبخ المصطكي في الشيرج وقطرذلك في الاذن فتح السدد وأزال الصمم (مجرب) وأن يحرج بها قطن بل بماء ورد وجعل علي العين سكن الرمد والوجع . واذا طبخت مع الزيت أزالت النافض

وقال الاستاذ ميريه ثمار المصطكي لوز ابيض منتقع مزعفر مناسب للاكل وذكر بلنياس ان تلك الثمار كانت تؤكل مربيات كالزيتون في زمنه . وقال أن

ديفريطس أبرأ بنت القنصل سرفيوس وكانت مصابة بمرض مزمن باستعمال لبن ماعزة كانت تتغذى بثمر المصطكي

(مقدار الاستعمال) تستعمل المصطكي من الباطن بمقدار من ٥٠ سنتي غرام الي غرامين حبوبا . وماؤها المقطر من ٣٠ غراما الي ٦٠ في جرعة. وشرابها يصنع بجزء منها و٦ من الماء المقطر و٨ من السكر والمقدار من ٢٠ الي ٣٠ غراما في جرعة والصبغة تصنع بجزء منها و٥ من الكحول الذي في ٣٥ ينقع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يرشح والمقدار من غرامين الي أربعة في جرعة (انظر المادة الطبية)

﴿مصوع﴾ ثغر من بلاد الحبشة على البحر الاحمر استولت عليه ايطاليا

﴿المَصْل﴾ هو المتحصل من التقطير . و(مَصْل اللبن) هو ما يستخرج منه من الماء . ويطلق المصل طبيا على السائل الذي يحتوي به كل من اللبن والدم

﴿مُضَر﴾ أبو قبيلة شهيرة من العرب (انظر كلمة عرب)

و(المَضيرة) نوع من الطعام كان العرب وهي لحم مطبوخ باللبن

﴿مضّ﴾ الامر وأمضه الامر آلمه وأحرقه . و(المُضَض) ألم المصيبة

﴿مَضمض﴾ الماء في فمه حركه و(تمضمض) بمعنى مضمض و(المَضمضة) صوت الحية

المضمضة في الوضوء سُنة لا يبطل الوضوء بتركها

﴿مضَغ﴾ الطعام يمضَغه ويمضُغه مضغا لاكه في فمه . و(مَضَغه الشيء وأمضغه اياه) الاكه اياه . و(المُضغة) قطعة من اللحم أو غيره

﴿مضغ الاطعمة﴾ المضغ لاتنحصر فائدته في تحطيم الاغذية وتهيئتها للانهضام في المعدة بل وظيفته أسمي من ذلك أيضا وهو احالة الاغذية النشائية غير القابلة للانهضام الي مادة سكرية تسمي بالجليكوز تقبل الانهضام في الاطعمة وبما أن اكثر ما نأكله يحتوي علي مواد نشائية فيجب مضغها جيداً حتى يدر عليها اللعاب ويخالط به ويتحد الخمير الموجود به واسمه (الدياستاز) بالمادة النشائية فيكون المادة السكرية التي قلنا ان اسمها الجليكوز. هذه الوظيفة كما ترى من أهم وظائف الهضم يتوقف عليها

انهضام المواد النشائية فينبغي والحالة هذه أن يعنى الآكلون بالمضغ جد العناية وأن يعودوا أنفسهم المثابرة عليه حتى تنهضم المواد النشائية في افواههم والا فلو نزلت الي المعدة ثم الي الامعاء الدقاق غير محالة الي الجليكوز فانها لاتقبل هنالك الانهضام وتنزل مع البراز كما اكلت ولا يكون من ورائها الا ماجناه الانسان من التعب في تناولها

﴿مضَى﴾ الشيء يمضي ويمضو مُضيا ذهب .(وأمضي الامر) أنفذه

﴿مطَرت﴾ السماء تمطُر أنزلت الماء من السحب و(أمطرت السماء) مثله و(استمطر الله) سأله المطر . و(يوم مَطِير) ذو مطر

(المطر) السبب الطبيعي للمطر هو أن المياه الموجودة علي سطح الارض في البحار والانهار والبحيرات والمستنقعات تتبخر أي تستحيل الي بخار طول مدة الصيف فتصعد الي الجو ولا تظهر فيه بسبب شدة الحرارة فاذا جاء البرد تكاثفت تلك الابخرة وظهرت وارتفعت الي مسافات عالية من الجو و بقيت فيه أو اندفعت مع الرياح فاذا تراكت علي جوجهة ن الجهات وادركتها هنالك برودة شديدة استحالت الي حالتها الاصلية أي الي ماء فيسقط ذلك الماء وينزل علي هيئة خيوط من السماء هو المطر المعروف

فان قليل لماذا لا تظهر تلك الابخرة المائية في الصيف وتظهر في الشتاء ؟ قلنا انها لا تظهر في الصيف لان الحرارة تفرق أجزاء تلك الابخرة وتلطفها فلا تظهر . والدليل علي ذلك اننا في اثناء تنفسنا نزفر حمض الكربون وبخار الماء ولا يظهر ذلك البخار في الصيف ولكن اذا جاء الشتاء وجدنا ان لزفيرنا دخانا كالسحب هو في الحقيقة بخار الماء الخارج من رئتينا يتكاثف بمجرد ملامسته الهواء البارد كذلك ابخرة الماء التي تنتشر في الجو لاتظهر في أثناء الصيف بسبب شدة الحرارة فيه ولكنها تظهر في الشتاء كما تقدم

﴿مَطَّ﴾ الشئ يمُطه مطامده ومثله (مطّطه) و (تمطّط) تمدد

﴿مَطَع﴾ يمطَع مطوعا ذهب

﴿مطق﴾ تمطّق الطعام تذوقه ورددهفي فيه

﴿مطَل﴾ الحبل يمطُله مطلا مده و (مطَل زيداً بدينه) سوفه بوعد الوفاء مرة بعد مرة ومثله (ماطله) و (المطّال) الكثير المَطل

﴿مطى﴾ امتطى الدابة وأمطاها جعلها مطية . و (تمطّي الرجل) تمدد . و (المطية) جمعها مطايا

﴿معَدّ﴾ حي من العرب (أنظر غرب)

﴿المعدة﴾ المعدة هي العضو الرئيسي لهضم الاغذية مركزها تحت الرئة اليسرى والقلب يفصلها منهما الحجاب الحاجز وهي مؤلفة من ثلاث طبقات أو أغشية فالطبقات الظاهرة تسمي الزلالية والمتوسطة العضلية والباطنة المخاطية

تشبه معدة الانسان كرش الحيوان من حيث طبقاتها فتجد ان الغشاء الظاهرى لها أملس صقيل والغشاء المتوسط مؤلف من خويطات علي طبقتين أليافها متصالبة والغشاء الباطن رخو تظهر فيه غضون

هذه معدة الانسان أما الحيوانات التى تأكل الاعشاب وتجتر كالغنم والمعز والبقر والجمل فلها أربع معدات . فالاولى تسمي الكرش ووظيفتها أن تقبل الاطعمة من الفم فيبتل فيها ويتنفش ثم تدفعه الي المعدة الثانية ومنها يرجع الى الفم فيجتر الحيوان الطعام بفمه ثم ينزل الي المعدة الثالثة ثم ينزل من هناك الي المعدة الرابعة

شكل معدة الانسان يبقى كشكل القربة طرفها الغليظ الى اليسار والدقيق الي اليمين وقاعدتها مستديرة تشمل المراق الايسر وجزءامن اسفل الكبد

حجم المعدة يختلف بحسب الخلاء والامتلاء . قطرها المستعرض نحو ٢٠ سنتيمتراً والجزء المقدم الخلفي من ٨ الي ١٠ سنتيمترات . وقيس مسطح المعدة كله متى بلغ غاية نموه فبلغ متراً مربعاً ويمكن أن تشمل المعدة ثلاثة لترات علي الاقل ووزنها المطلق ٢٠٠ غرام

يميز للمعدة وجه مقدم ووجه خلفي وحافتان علياوسفلي وحدبتان كبيرةوصغيرة وطرفان يميني و يساري

فالوجه المقدم يصير علويا متى امتلأت المعدة وتحدبها مجاوراً للحجاب الحاجز الذى يفصله عن الاضلاع الكاذبة والكبد والجزء العلوى من جدران البطن

ويجاور التقعير الشراسيفي

واما الوجه الخلفي فيصير سفليا كلما تمددت المعدة ويجاوز القولون المستعرض (وهو قسم من الامعاء)

واما الحافة السفلي المسماة بالقوس المدى الصغير وتقعيرها الي الاعلي وهي ممتدة من الفؤاد الي البواب (الفؤاد هي الفتحة العليا للمعدة والبواب هي الفتحة السفلي لها)

واما الحافة السفلي المسماة بالقوس المدى الكبير فهي أكثر طولا من العليا وهي محدبة مستديرة تنطبق علي الجدر الباطنية

والمنتفخ من المعدة الموضوع علي يسار الفؤاد يسمى بالحدبة المعدية الكبيرة وهي تجاور الطحال من اليسار حالة الامتلاء وتكون منفصلة عنه في حالة الفراغ بالرباط المعدى والطحال، ومن الامعاء تجاور السطح السفلي للحجاب الحاجز والست الاضلاع الاخيرة، ومن الخلف البنكرياس والمحفظة فوق الكلي وقة الكلي اليسرى

واما الحدبة الصغيرة فهي عبارة عن الانتفاخ الصغير المجاور للبواب . والطرف اليسارى للمعدة يسمي بالفؤاد ويتصل بالمرىء. وأما الطرف اليميني فيسمي بالبواب ويتصل بالمعى الدقيق

المعدة مغطاة من الباطن بغشاء مخاطي أبيض ضارب للسمرة ذى ثنيات وميازيب غير منتظمة تزول حالة تمدد المعدة فتكون في حذاء البواب شبه ثنية حلقية

(تركيب المعدة)

تتركب المعدة من أربعة أغشية وهي من الظاهر الي الباطن الغشاء المصلي ثم الغشاء العضلي ثم الغشاء الخلوى ثم الغشاء المخاطي

فالغشاء العضلي يتركب من ثلاثة انواع من الياف ملساء طولية وحلقية ومنحرفة فالطولية سطحية وهي استطالات الالياف الطولية للمرىء وهي تشع في جميع الانجاهات

وأما الالياف الحلقية فتكون منها طبقة مستمرة في جميع امتداد المعدة ويتراكم بعضها علي بعض في محاذاة البواب فتكون العضلة العاصرة للبواب

وأما الالياف المنحرفة الخاصة بالمعدة فموضوعة أسفل الغشاء المخاطي

مباشرة وهي عبارة عن عروة عضلية تقعيرها محيط بالحدبة المعدية الكبيرة وبالجهة اليسرى من الفؤاد وطرفاها يتجهان بانحراف الى اليمين واليسار علي وجهي المعدة وبانقباض هذه الالياف المنحرفة تنقسم المعدة الي قسمين سفلي يسارى هو مستودع الاغذية، وعلوى يتكون منه قناة تتبع القوس الصغير وهي معدة لمرور السوائل مباشرة من المرىء والاثنى عشرى

وأما الطبقة المصلية فمتكونة من البريتون المحيط بوجهي المعدة ثم ان وريقتى البريتون تلتصقان فيتكون منهما رباطان أحدهما حذاء القوس الصغير ويسمي بالسرب الصغير أو الرباط المعدى الكبدى والثاني حذاء القوس الكبير ويسمى بالسرب الكبير أى الرباط المعدى السربي القولوني

وأما الغشاء الخلوى فهو عبارة عن طبقة خلوية ليفية معدة لاندغام الطبقة العضلية ومحتوية علي الاوعية الدموية التى تنتهي في الغشاء المخاطي

وأما الغشاء المخاطي فيغشى السطح الباطن من المعدة ويستمر من جهة مع الغشاء المخاطي للمرىء والاثنى عشرى وسطحه السائب محتو علي ثنيات طولية ومستعرضة وارتفاعات صغيرة تسمي بالحلمات وأدمته مركبة من ألياف ليفية وبشرته ذات خلايا أسطوانية ويوجد في سمكها الغدد المعدية وهي أنبوبية بسيطة أو مركبة مستقيمة كل واحدة منها تتركب من غشاء خاص وبشرة وتنقسم هذه الغدد الي نوعين غدد العصير المعدى وغدد المخاط

فالاولي توجد في جميع سطح المعدة الا في مجاورة البواب وتشتمل بواطنه علي خلايا البيبسين التى هي مستديرة وفي باطنها نويات ومواد حبيبية

والثانية أى الغدد المخاطية توجد بالقرب من البواب وكل منها مغطي من الباطن بقشرة ذات خلايا أسطوانية

ويوجد أيضاً في سمك الغشاء المخاطي المعدى طبقة رقيقة من ألياف عضلية ملساء محيطة بقاع الغدد المعدية

٭٭٭

هذا وقد أتحفنا حضرة الدكتور الفاضل حسين افندى الهراوى ببحث جليل في المعدة وبعض أمراضها ننشرها هنا مع الشكر لحضرته علي هذه الخدمة

العلمية وهي :

﴿ المعدة

المعدة موجودة في أعلي التجويف البطنى من الجهة اليسرى ولها فتحتان العليا فتحة الفؤاد وهي خلف غضروف الضلع السابع علي بعد ١٠ سنتمترات من الامام والفتحة الثانية فتحة الاثنى عشرى علي بعد أربعة قراريط من مكان اجتماع غضاريف الاضلاع وعلي بعد قيراط واحد من خط التمائل المتوسط ونهايتها من الاسفل أمام الضلع التاسع . هـذه الحدود تتغير في حالات امتلاء المعدة وخلوها ولكن لايمكن أن يصل الحد الى السرة بأى حال من الاحوال اذا كانت المعـدة سليمـة من الآفات

(اختبار محتويات المدة)

من استخراج محتويات المعدة واختبارها نستفيد فائدة عظمي وهي معرفة أنواع الاحماض الموجودة بها مثل حمض الـكلوريدريك والبنيك ودرجة الببسين وعدم قوة المعدة علي الهضم

(القيء) نلاحظ رائحته ولونه وكيته ومحتوياته . فالرائحة تتغير بما أكله الشخص من المآكل ذوات الروائح والزيوت العطرية والكحول . أما اللون فاذا اختلف عن لون المآكل المعروفة فانه يتغير الي الاحمر والاسود بوجود الدم والى الاصفر والاخضر بوجود المواد الصفراوية ويجوز أن يكون فيه زبد مخاطي ويجب أيضاً معرفة درجـة الهضم وفي كم ساعة حصل ذلك

والبحث بالميكروسكوب يرى أجزاء نباتية وحيوانيـة كألياف عضلية وأجزاء نشائيـة وميكروبات لا عداد لها . وبعد ترشيح القيء يمكن تحليله كماويا

(غـذاء الاختبـار) اذا لم يتقايأ المريض من نفسه ويراد معرفة حال المعدة يمكن اعطاء المريض غذاء علي سبيـل الاختبار وهو أن يأكل في الصباح أوقيتين ونصف من الخبز ويشرب ١٠ أوقيات من الماء أو الشاى الخفيف وتغسل المعدة بعد ساعة بواسطة أنبوبة غسيل المعدة ويحلل السائل المأخوذ لحمض الـكلوريدريك يرسب الرصاص والفضة في مركباتهما الـثلثة وحمض البنيك الخالص يحول لون الورق المصبوغ بصبغة الكنتو الحمراء الى اللون الازرق . وأحسن الاختبارات لحمض

الـكلوريدريك هو كشاف جنزبرج وهو عبارة عن غرامين من فلوروجلوسين وغرام واحد من الفانيلين وثلاثين غراماً من الكحول الخالص فاذا وضع قليل من النقط من هذا الكشاف علي قليل من السائل الذى يحتوى علي حمض الكلوريدريك وسخن ذلك علي النار انقلب اللون الى أحمر وردى جميل وكشاف أوفلمان لاجل حمض البنيـك هو عبـارة عن عشرة سنتيمترات من سائل حامض الفنيك أربعة في المئة علي عشرين غراماً مكعبة من الماء ونقطة واحـدة من صبغة ثاني يودور الحديد فيتحول اللون الازرق الي اللون الابيض

(حامض الزبدة) يستخلص الاثير من الراسب الباقي بعد ترشيح محتويات المعدة ثم يرشح ويؤخذ السائل ويبخر ويذاب الباقي في ماء ويضاف اليه كلورور الحديد فينفصل الحمض علي شكل حبيبات شحمية

(حامض الخل) يعرف باللون الاحمر اذا أضيف اليه قليل من صبغة ثاني يودور الحديد

اما قوة الهضم فتعرف بمقـارنة قوة الهضم الطبيعية بما تضمه محتويات المعدة من الفبيرين أو مح البيض بعد اضافة ٢ر. في المئة من سائل حمض الـكلوريدريك

« امراض المعدة »

سوء الهضم أو عسر الهضم ألفاظ تطلق علي عدم هضم المأكولات علي الشـكل الطبيعي أو بقاء الاغذية في المعدة فوق الوقت المعتاد وكل هذا ينشأ من وجود أمراض في المعدة سواء كانت التهابات مختلفة أو أورام أو قرح أو انسداد في فتحة المعدة الاثنى عشرية ولكن في الغالب الشائع أن تكون هذه الآفات نتيجة عدم افراز السـوائل الهـاضمة علي الشكل الطبيعي أو عدم تحرك المعدة علي الشكل العادى أو أن يكون الافراز غير ملائم للاغذية أو أن تكون القوة العصبية الهضمية ناقصة من أى وجه كان

وقد يجـوز أن يكون المنشـأ عدم اعطاء الغذاء الكافي أو فوق العادة فينتج من وراء ذلك تهيـج في المعـدة أو عدم قدرتها علي اداء وظيفتها بالشكل المطلوب وفصل هذه العوامل يؤثر في المعدة فينشأ عنها الالتهاب المعدى فيحول دون معرفة الحقيقة

(عسر الهضم)

يكون هنا ناشئا عن خلل عملي من أكل زائد عن المعدة أو مهيج لها. ويسرى هذا على اى رجل سليم البنية يأكل ما يزيد عن حاجته أو يشرب كثيراً من القهوة أوالشاى أوالمشروبات الكحولية فان الطعام يبقى في معدته أكثر من الزمن اللازم بغير هضم مثال ذلك بعد الاعمال الشاقة مدة عدة ساعات لا تستطيع المعدة هضم أى غذاء هذا بخلاف الرياضة الجسمية الغير الشاقة فانها تحسن للمعدة

(اعراضه) اما أن تبتدىء بعد الاكل مباشرة أو بعد عدة ساعات فيشعر الانسان بألم في جهة المعدة أو شعور غير طبيعى في هذه الجهة وربما الاكل حصل فى وقت الغداء فيبقى في معدته حتى وقت النوم فينام الشخص بدون أى ألم فيه ولكنه يستيقظ من ألم في معدته و يكون لسانه جافا وبه صداع شديد فيبقى ساهراً مدة من الزمن وربما حصل ألم في جهة القلب وفي بعض الاحيان تضطرب ضربات القلب وفي الصباح لا تنفتح شهية المريض للاكل ولكن كل هذه الاعراض تزول في قليل من الساعات وفي بعض الاحيان ينتهي المرض بسرعة زائدة بحصول القيء فيزول كل شيء وربما تكرر القيء ومج معه قليل من الصفراء وربما حصل اسهال في الاثنى عشرى في الساعة التالية لوقت المرض

(العلاج) ايجاد القيء بأى شكل كان سواء بالمقيئات أو بتهييج داخل الحلق وفي الاحوال البسيطة يمتنع عن الطعام مدة من نصف يوم الى يوم

(سوء الهضم المزمن)

أسبابه اما من نفس الطعام أو أن افراز المعدة لا يكفي للهضم أو من عدم انتظام حركاتها والسببان الاخيران تحت تأثير المجموعة العصبية

وتضعف قوة الهضم اذا كان ما يؤخذ من الطعام زائداً عن الحاجة أولعدم مضغه من عدم وجود الاسنان أو مرضها أو أن يكون المأكول لا يذوب في عصارة المعدة بسهولة كاللحم الخشن أو الفواكه النابطة أو الخضر ذات الالياف الكثيرة وفيها كمية كبيرة من السليولوز

أما من جهة المعدة فان كل مرض عضوى يسبب سوء الهضم مثل قلة افراز

حمض الكلوردريك والببسين او كثرة افراز المخاط وضعف جسم المعدة اوضمنها من ضخامة أى جزء من محتويات البطن أو سقوط المعدة من محلها وهذا شائع جداً في السيدات اللاتى تعدد حملهن

(الاعراض المحلية) الم بين ضلعي زاوية غضاريف الاضلاع يبقى مدة من الزمن بعد الاكل ثم يزول وربما وصل اشعاعه الى مكان القلب ولذلك دعوه (حرقان في القلب) ويعلل بصعود حمض الكلوردريك الي البلعوم وربما وصل أيضا الي الظهر وكلما مضي الزمن علي الهضم امتدت وتوسعت دائرة الالم الي السرة وغيرها من البطن وفي بعض الاحيان يكون الالم قبل الاكل ولا يزول الا بتناوله

(الم المعدة)

ألم المعدة اما ان يكون من سوء الهضم او من سبب عصبي خصوصا في السيدات وغالبا يكون من المصابات بالنقرس

(الرياح)

اكثر ما تكون مصحوبة بسوء الهضم فتنتفخ المعدة وما حولها وتزداد الآلام ثم يتجشي المصاب وقد تخرج الارياح من الجهة الاخرى وتسمع القراقر في البطن

وقد تكون الرياح نتيجة تخمر في المعدة من وجود ميكروبات اذا كان افراز حمض الكلوريدريك ناقصا وهو من مطهرات المعدة فضلا عن خصائصه الهضمية وقد يكون التجشي غاز حمض الكربونيك من فعل الحمض علي أى كربونات موجودة في الطعام

(التهوع والقيء)

التهوع والقيء معروفان فلا لزوم لشرحهما

(الاعراض العامة للمعدة) يختلف منظر اللسان عن العادة فتارة تكسوه طبقة بيضاء ويكون اكثر انبساطاً او أعظم احراراً والطبقة التى تكسوه قد تكون بيضاء او صفراء وفي بعض احوال سوء الهضم قد يكون ناشئا عن سرعة عبور الطعام عن المعدة الي الامعاء فينتج الاسهال وكثيراً ما يحصل القيء و يكون هناك أيضا طفح جلدى يختلف الانواع ويتأثر المجموع العصبي فيشعر

الانسان بدوران وعدم النشاط وصداع ورؤية أنوار كاذبة وحمق وضعف عقلي وشيء من قفر الفم

(انواع سوء الهضم)

هي كما قدمنا اما قلة حركة في المعدة أو زيادة في هذه الحركة اوقلة او زيادة في حمض الكلوردريك او قلة البيبسين ولكن هذه الانواع كلها لاتتأكد في كثير من الاحيان الا باختبار افراز المعدة ولكن هناك نوع سوء هضم مسم التنجشي يكون عادة من عدم قوة المعدة و يشع الي الظهر وقد يوجد انتفاخ وامساك شديد

{ زيادة افراز حمض }
(الكلوريدريك)

زيادة افراز حمض الكلوردريك يسبب الما بعد الاكل بساعتين او اكثر ويزداد هذا الالم فيشعر المريض بحرقان في موضع فتحة الفؤاد

وأكثر ما يكون هذا الالم بعد أكل المواد النشائية والسكرية وربما لا يحصل مطلقا بعد أكل اللحم. واذا استمر افراز الحمض علي الدوام يحصل قيء حمضي وعلي العموم فان هذا النوع له ادوار كل واحد منها يمكث عدة ايام اما سوء الهضم الناتج عن آفة عصبية فهي تلك الحالات المصحوبة بألم عظيم في المدقوق، واخراج غازات وهي اكثر ما تكون في العصبيين وباختبار افراز المعدة لايوجد فيه أى تغير

(العلاج) قد أطلنا الشرح الماضي لان هذه الآفات قد لايخلو منها انسان ولا منزل ولذلك سنطيل في الشرح أيضا في ذكر العلاج والمسألة تتعلق بصبر المريض وحكمة الطبيب لان من الامثال الشائعة انه لاتوجد آلام قوية ينساها المصاب بسرعة الا آلام المعدة اذا جلس المرء علي مائدة الطعام ولديه شهية وهو جوعان. وقبل البدء في علاج سوء الهضم يجب أن يتأكد عدم وجود قرحة أو ورم خبيث اوما أشبه ذلك و يجب أيضا الاعتناء بحالة الاسنان اذا لم تكن لها قدرة علي تأدية عملها من تكسير او مرض. ثم يجب السؤال عن الطعام فاذا كان غير لائق او صعب الهضم فيجب الامتناع عنه . ولكن الشرط العلمي ان تختبر مفرزات المعدة قبل البدء في أى علاج وتقدير الناقص منها واذا لم

يتيسر ذلك فان من النقط العلمية أيضاً ما يساعدنا علي خير الوجوه فان سوء الهضم إما أن يكون بسبب تهييج المعدة من الاغذية أو قلة افرازها للمواد اللازمة للهضم أو عدم قدرة المعدة علي الحركات الهضمية فلذلك يجب تعديل نظام الطعام اى يؤخذ الطعام بمقادير صغيرة علي دفعات متعددة في أزمنة صغيرة والامتناع عن أكل المواد المهيجة والحريفة مثل لحم الخنزير والحم الخشن وأم الخلول والفت وأمثالها ويقتصر علي الاطعمة السهلة الهضم ولكن في الاحوال الشديدة يجب الاقتصار علي اللبن المضاف اليه شيء من البيبسين ثم بعد تقوية المعدة يتدرج المريض في الطعام

واذا كان في المعدة تخمر حمضي وجب الاقتصار في الطعام علي المواد الزلالية والامتناع عن المأكولات النشائية والتي تحتوى علي كثير من الدقيق

وفي الغالب تكون الاطعمة الموافقة هي نتيجة اختبارات المريض واذا كان نبيهاً فيمكنه أن يحكم علي الاطعمة الموافقة لمعدته

واذا كان هناك ضعف في المعدة أو انهاك عصبي فان الراحة التامة للمعدة خير واسطة في صلاحها

فاذا وجد ان هذا الضعف موضعي فقط فان التقوية الرياضية هي خير علاج للمعدة كركوب الخيل والقفز والتدليك وما أشبه ذلك

أما العلاج بالعقاقير فينحصر في الكربونات القلوية قبل الأكل والبزموت والاحماض والعقاقير المرة كساق الحمام ومحضرات الكواسيا والجنطيانا والجوز المقيء وفي الحالات البسيطة يضاف حمض الكلوردريك

وتعطى المواد الطاردة للرياح مثل روح النوشادر العطرى والجبهان والزنجبيل

أما زيادة حموضة المدة لخير علاج لها أن يعطى المريض غرامات من بيكربونات الصودا بعد الأكل بساعتين ويمتنع عن أكل المواد النشوية

ثم يعطى خلاصة الجوز المقيء مع الكينين

الدكتور حسين المراوى

هذا ما كتبه حضرة الدكتور حسين أفندى المراوى الفاضل وليس علينا أن نزيد عليه الا سرد جميع أنواع أمراض

المعدة سرداً موجزاً مع الاشارة الي أعراضها وعلاجاتها علي حسب الخطة التى اختططناها لهذه الدائرة فنقول :

(الاعراض العامة لأمراض المعدة)

من الاعراض العامة لآفات المعدة فقد الشهية ويصحبها النوازل المعدية والانيميا فاذا كان سبب فقد الشهية ليس من مرض بالمعدة فتستعمل لايقاظ الشهية العلاجات المرة كمنقوع خشب الكواسيا والجوز المقيء والجنطيانا والراوند . وأما اذا كان بالمعدة حالة نزلية فيلزم الابتداء بمعالجتها

ومنها افراط الشهية وهو المسمي بالبوليميا وهذا المرض يصحب الآلام العصبية للمعدة فترى المريض يأكل ويملأ معدته ولا يشبع ويشاهد هذا المرض أيضاً في أمراض البول السكري والامعاء من دودها وانتفاخ عقدها الليمفاوية

وهناك مرض يقال له فساد الشهية ويعبر عنه بالبيكا يشتهي فيه المريض المواد غير المغذية أو القذرة بشراهة مفرطة كالطين والطباشير والجير ونحوها وهذا المرض يشاهد في أثناء الحمل وفي الهستريا وفي الجنون

والتجشي وهو يصحب فساد الهضم غالباً وهو اما أن يكون غازياً أو سائلا

فالتجشي الغازى ينشأ من خروج الغازات من المعدة وحدها ومصحوبة ببعض أجزاء من الطعام. وقد تخرج الغازات متحملة بسوائل حمضية يحس بها في الحلق

وأما التجشي السائل فانه يصحب فساد الهضم أو يكون متعلقاً بحالة نزلية أو يكون ذاتياً عند بعض النساء والشبان ويحصل في الصباح غالباً ويصحبه تألم في القسم الشراسيفي ثم يخرج السائل من المعدة ويصل الي الفم بمقدار وافر ويكون حمضياً محرقاً أو يكون تفهاً لاطعم له ويتكرر خروج السائل بحركة التجشي بدون قيء ومتى انتهي يحس المريض بالاستراحة وزوال التعب الشراسيفي. وقد يصل مقدار السائل الخارج من عدة أواقي الي ليتر في اليوم ويكون السائل رائقاً أو رغوياً. فبعضهم ينسبه الى ماء الشرب وبعضهم الي زيادة افراز اللعاب ويجمعه في المريء فوق فتحة الفؤاد ثم

خروجه علي حالته القلوية

يعالج التجشي الغازى والحمضي بالبزموت وحده أو مصحوبا بالأفيون والادوية المرة أو القابضة كالكينا والجنطيانا

(٣) والقيء وهو يشاهد في أمراض المعدة المختلفة كسوء الهضم والالتهاب والاورام المعدية وقد يحصل في بعض الامراض العصبية كالهستريا والضعف العصبي . وقد يشاهد القيء في بعض أمراض المخ والنخاع كالاحتقان المخي وخراجاته والاحتقان والأنيميا وفي هذه الحالة يتكرر القيء غالباً عند حركات الرأس أو انخفاضها أو ارتفاعها الفجائي وبعض الآفات المشوية يوجب القيء كالتهاب الغشاء المخاطي للأنف والشعب التي يصحبها سعال شديد وأمراض القلب والامعاء والكبد والكلي والبريتون وأعضاء التناسل

وقد يستدل بالقيء علي ابتداء السل الرئوى قبل ظهور علاماته الطبيعية وعلي داء اديسون والحمل عند المرأة ولكن في هذه الحالة الاخيرة لا يستمر القيء فيها الا عدة أسابيع

ومتى اصطحب القيء بالاسهال يعرف ان المعدة والامعاء في حالة اضطراب من تأثير برد أو سوء هضم وقد يستدل منه علي البول الزلالي أو علي التسمم الحاد والمزمن بالجواهر المهيجة كالزرنيخ والانتيمون

يعالج القيء العصبي إما بمنع الغذاء والشرب جميعاً مدة أيام الي أسبوعين وتغذية المريض بالحقن في المستقيم أو بعدم التصريح للمريض الا بملعقة صغيرة من اللبن ثم يضاعف له المقدار باحتراس ثم يعتني بعد ذلك في انتخاب الاغذية السهلة الانهضام

(٤) والسعال المعدى ويعرف بأنه جاف متكرر ويتسبب عنه خروج مواد مخاطية تأتي من المعدة

(٥) والفواق وهو ينشأ من انقباض الحجاب الحاجز بحالة فجائية تتكرر في مسافات قريبة أو بعيدة تحدث بصوت مخصوص في المزمار عقب مرور الهواء فيه بقوة . وليس للفواق أهمية اذا كان وقتياً وانصرف في بضع دقائق أو بضع ساعات. وأما اذا استمر أياماً متوالية فانه يدل علي خطر

(٦) والاضطراب العصبي وهومن أعراض أمراض المعدة ويشمل الخفقان وعسر التنفس وثقل الرأس والاعراض العصبية الاخرى التي تصحب في الغالب امتلاء المعدة وتمددها بالغازات وسوء الهضم

(أمراض المعدة) (١) التهاب المعدة الحاد. في هذا المرض يلتهب الغشاء المخاطي للمعدة ويمتد الي الطبقات التي تحته وينقسم علي حسب شدته الى التهاب نزلي أو التهاب حاد والتهاب غلغلوني وتسمى ودفتيرى

أعراض الالتهاب النزلي الخفيف يعبر عنه بالتلبك المعدى والتخمة المعدية ونشاهد مثلا عند لاطفال متى أفرطوا في أكل المواد العسرة الهضم كالمشمش والبلح

ويحصل عند الكهول اذا أفرطوا في الاكل والشرب وأدخلوا الطعام علي الطعام وتعرضوا للتعب والسهر فتفقد شهيتهم ويحصل لهم غثيان وتبيض ألسنتهم وتتغطى بطبقة وسخة او مصفرة ويشعر بتكسر في الاطراف وملل ويحصل لهم حركة حمية خفيفة وقئ تقايأوا وتفرغت معداتهم يستريحوا ويبرأوا

وقد تكون النزلة المعدية أشد مما ذكر فيصحبها احساس بضغط وثقل في القسم الشراسيفي وتألم أصم ثابت أو منتشر يشع نحو الظهر أو بجوار اللوح ويزداد الالم بالضغط علي المعدة ويصحبه فقد في الشهية وكراهة للاطعمة وتعجن في اللسان وتغطيه بطبقة وسخة سميكة وعطش وميل الى المشروبات الباردة ويكتسب النفس رائحة غير مقبولة ويحصل تجشي غازات منتنة وغثيان وقيء مواد غذائية غير تامة الهضم ومختلطة بمادة مخاطية وقد يتبعها قليل من الصفراء وقد يصحب هذه الاعراض تكسر في الاطراف وحركة حمية خفيفة ونقص في افراز البول مع تركزه وقد يظهر علي الذقن والشفة طفح

تنتهي النزلة المعدية الحادة عادة بالشفاء من يوم الي ثلاثة أم أسبوع ما لم يستمر المريض علي فساد معدته وحينئذ تستحيل النزلة الحادة الي نزلة مزمنة

أسباب هذا المرض عدم انتظام التدبير الغذائي والافراط في الاكل

والتوابل والمشروبات الروحية والاطعمة الساخنة او المثلجة وادخال الطعام علي الطعام وأكل المواد العسرة الانهضام او اللحوم الفاسدة كالسمك والمخلول العفنة وتعاطي المواد الحريفة والتعرض للتغيرات الجوية في فصل الربيع والخريف وشدة الحرارة في الصيف والتعب واستنشاق الابخرة الزرنيخية كالنوم في غرفة مبطنة بالورق الملون بلون يحتوى علي تركيب زرنيخي. ويحصل هذا الالتهاب أيضاً من الانفعالات النفسية الشديدة

تشخيص هذا الالتهاب المعدى لا صعوبة فيه ولا يلتبس بالحمي التيفودية وانما يجب الدقة في تعيين نوع الالتهاب أن ذاتيا او تسمميا أو عرضيا

معالجة الالتهاب المعدى يكون باعطاء المريض مسهل ضد التلبك المعدى أو التخمة لاجل استفراغ الاطعمة غير المنهضمة الراسخة فوق المعدة وذلك المسهل يكون سلفات الصودا اوماء يولنا أوبرننس دورف. واذا أضطر الي القيء فيعطي غرامين من عرق الذهب أو يضاف اليه • سنتيغرام من الطرطير المقيء وتراعي الحمية المطلقة وقد تكفي هذه الحمية لشفاء الالتهاب المعدى في ٢٤ ساعة واذا لم يطق المريض الامتناع من الاكل فيعطي اللبن بارداً ومخففا بماء الجبن او ماء الصودا او ماء الشعير اوماء الرز المعطر بقليل من ماء الزهر او ماء القرفة والليموناده الخفيفة وهذه الاخيرة يجب ان يحترس منها وتؤخذ بمقدار قليل ومتى تحسنت الحالة يصرح له بأغذية نشوية كالبالوظة والرز المدقوق مع اللبن (المهلبية)

ولاجل تلطيف العطش يعطي المريض قطعا صغيرة من الثلج يستحلبها ببطء

ولاجل تلطيف القيء يعطي البزموت مع كربونات الصودا والمورفين

(٢) الالتهاب المعدى المزمن يتبع هذا المرض النزلة المعدية الحادة غالبا ويكون أصليا عقب تكرار سوء الهضم والتعرض لاسباب التلبك المعدى والافراط في المشروبات الروحية، وهذا الالتهاب يلازم في الغالب بعض آفات المعدة البطيئة السير كالسرطان والقرحة الوحيدة وبعض الامراض التي توجب اعاقة الدورة الوريدية كآفات الصمامات القلبية وسيروز الكبد والانفزيما الرئوية

والالتهاب البلعومي أو المزمن ونحو ذلك ويشاهد هذا الالتهاب المعدي المزمن أيضا في الانيمياء والخلوروزوغيرهما

(أعراضه) تنحصر أعراض الالتهاب المعدي المزمن في سوء الهضم وسيأتي تفصيله في البحث الثالث الآتي وتبطل الشهية ويتعجن الفم ويشعر المريض بتعب في المعدة وتألم بعد الاكل وحصول التجشي والانتفاخ البطني والقيء والامساك وتتألم المعدة من الجس ويشعر بتيبس جدرها أو تمددها وبرجهار بما تسم القلقة الخاصة بالتمدد ومتى طال الداء ينشأ عنه النحول وضعف القوى وقد يتضاعف بـبـروز الكبد أو البول الزلالي وأساس المعالجة التدبير الحبي الغذائي وغسل المعدة

(٣) الدسبيسيا اوسوء الهضم المزمن. يتم الهضم الطبيعي بأمرين اولهما العصير المعدي وثانيهما حركات المعدة فاذا تنوع العصير المعدي أو اختلفت حركات المعدة ينتج عن ذلك عدم انتظام الهضم وبما أن الافراز المعدي وحركات المعدة يتعلقان بسلامة الاجزاء الداخلة في تركيبها كالغدد والعضلات

والاوعية والاعصاب والطباق المكونة لجدرها فتكفي اصابة أحد هذه الاجزاء لاضطراب نظام الهضم وحصول بطء فيه أو عسر ولذلك يحدث سوء الهضم عن أسباب شتى متنوعة

وبما أن سوء الهضم يعقب دائما اصابات المعدة فلا يمكن اعتباره كرض ذاتي وانما هو عرض لهذه الاصابة

أسباب سوء الهضم أسبابه اما تعلقة بالاغذية أو بالمعدة فاذا كان الغذاء صحيا فربما يحدث سوء الهضم من نقص حمض الموريانيك والببسين في العصير المعدي أو من افراط حموضته او من الزيادة في افراز المادة المخاطية أو الضعف في قوة المعدة او التهاب غشائها المخاطي أوضعف الاعصاب المعدية أو المراكز العصبية فبدلا عن أن تنهضم الاغذية تتخمر ويتكون منها حمض الكربونيك والخليك والزبديك وتتألم المعدة ويثقل عليها الغذاء ويحصل التجشي والغثيان والقيء

وأما اذا كانت المعدة سليمة والغذاء رديئا عسر الهضم ان كان مقداره زائداً عن طاقة المعدة اوكان النشا ناقص الهضم واللحوم متيبسة من افراط الطبيخ

أو كان مضغها وتشربها باللعاب غير تام أو حصل افراط في تناول التوابل والمشروبات الروحية

فيمكن حصر أسباب سوء الهضم في هذه الاسباب وهي :

(أولا عدم نظام التدبير الغذائي كالافراط في الاكل أو عدم مضغه جيداً أو شرب البارد المثلوج الخ الخ

(ثانيا) التعب العظيم وقلة الحركة وعدم الفسحة وادمان السهر والافراط في الاعمال العقلية أو في الشهوات والحزن والهموم والانفعالات النفسانية ، كل هذه الاحوال تؤثر على الهضم وتفسده

(ثالثا) بعض الامراض العامة والانيميا والخلوروز والنقرس والسل لان النقرس يصيب المعدة كما يصيب الروماتيزم القلب ويسبق في الغالب النوبة النقرسية و تؤذن بها أو يستمر بلا فتور

(رابعا) اصابة بعض الاعضاء البعيدة كالكبد والرحم والحمل وامراض الجهاز البولي والقلب التي توجب ركود الدورة الدموية

(خامسا) الوراثة والشيبة والكهولة لغاية الخامسة والاربعين أو الخمسين

وما عند الاطفال أو الطاعنين في السن فلا يشاهد سوء الهضم الا قليلا وذلك لان سن الشبيبة والكهولة عرضة للافراط في الاعمال العقلية والجسدية وهموم المعيشة

(أعراض سوء الهضم) تتنوع أعراض سوء الهضم المزمن بتنوع الاشخاص والاسباب فيقال على وجه عام أنه يصحب سوء الهضم ضعف في الشهية ويحس بتألم خاص في القسم الشراسيفي يسمى بلغة مصر بالسخسخة أو يشعر بتألم شديد يشبه التقلص . فاذا أكل شعر بثقل وتعب يصحبه غالبا احتقان في الوجه وثقل في الرأس وميل النعاس ويستمر ذلك بضع ساعات ويصحبه تألم في القسم الشراسيفي أو يمتد خلف القص ويتسبب عنه ضيق في التنفس أو يمتد الي الظهر بجوار اللوح الايسر ويتألم المريض من الضغط على المعدة وقد يوجب الضغط خفة واستراحة ويتلذذ من شرب الماء البارد والبعض لا يحس بعطش ويتعبه شرب الماء

ويشكو المريض عادة من كراهة طعم الفم وجفافه ومرارته أو بتعجنه وتكون رائحة النفس كريهة ويكون اللسان وسخا

منطى بطبقة مبيضة أو مسمرة ويتضاعف سوء الهضم كثيراً بالابحة الحلقية الحبيبية المزمنة

وقد يصحب سوء الهضم المزمن امساك مستعص وثقل في الرأس أو صداع جبهي وتعب في الاطراف وكسل في القوى العقلية وعدم القدرة علي الاشغال أو دوار ومالبخوليا . ومتى تقدم المرض أبطأ النبض وضعف الجسم وتكون أقل حركة موجبة لسرعته ويحصل عند بعض المصابين خفقان وضيق نفس ويكون الجلد جافا أو ترابياً او رخواً مندى بالعرق وقد تأتي نوبة حمية خفيفة تأتي في المساء وتنتهي بالعرق ويكون البول غزيرا رائقا أو قليلا مركزاً فيه رسوبات بولية أو كسالية او فوسفاتية أو يكون البول زلالياً ولا يشاهد نحول المصاب الا اذا تقدم المرض

ليس القيء بشرط في سوء الهضم المزمن وانما يشاهد غالبا عند المدمنين علي الخمر وقد يحل محل فقد الشهية زيادة مفرطة فيها

(تشخيص سوء الهضم) تشخيص هذا المرض سهل وانما الصعوبة في تعيين نوعه هل هو متعلق باضطراب وظيفي فقط أو بالتهاب معدى مزمن أو بضعف المعدة أو مرتبط بمرض عام أو بمرض عضو بعيد هو سابق ومؤذن بمرض عضوى موضعي كالقرحة والسرطان فيجب الاعتناء بالبحث عن ذلك وتكرار البحث يومياً

(المعالجة) تتنوع معالجة سوء الهضم وتكون تدبيرية أو علاجية

فالمعالجة التدبيرية يمكن تطبيقها علي أنواع الطعام وهى عبارة عن الاعتناء في تدبير الاغذية وانتخابها وتعيين مقدارها وترتيب أوقاتها وأوقات النوم واليقظة

فلا يأكل المريض الا الاغذية السهلة الانهضام ويعول علي الخضر لانها لا تهضم في المعدة بل في الامعاء فيتناول الاسفاناخ والقرع الصغير والرجلة والخرشوف والمليون فتحضر بحيث لا يوضع فيها دسم . ويؤكل الرز المطبوخ مع اللبن والشعرية والمهلبية . وأما الفجل والجزر وجميع الجذور الصلبة فالاصوب تركها . ويتجنب أكل الكرنب والبقول لانها تولد الرياح ويؤكل الخبز محمراً علي

النار ولا تؤكل حيوانات البحر ولا قواقعه ولا الجبن ولا المخللات ولا الفواكه الجافة كالبندق والجوز ويؤخذ اللبن والكوكا مع الماء بدل القهوة والشاى ولا يشرب المريض مع الطعام الا مقداراً قليلا من الماء والافضل عدم الشرب مع الاكل بل بعد الاكل بساعتين أو ثلاث ساعات . ويمتنع عن التوابل بتاتاً ويجب أن يأكل ببطء وأن لا يملأ معدته وأن يمضغ الاغذية مضغاً بالغاً الغاية

وأن لا يعرض نفسه التعب العقلي والجسدى مدة الهضم وأن يواظب علي الفسحة في الهواء الطلق يومياً وعلي تعهد الجلد بالاستحمام

وأما المعالجة الدوائية فتختلف باختلاف الاحوال وبحسب ما اذا كان مرضاً مستقلا وتابعاً أو منذراً بغيره

(٤) في قروح المعدة تقرحات المعدة عديدة ومتنوعة وأهمها القرحة الوحيدة وهذه التقرحات تحدث من أنواع شتي فاما أن تعقب الانزفة الشعرية في الالتهاب المعدى الكحولي والبولي أو تعقب الاحتقان المعدى الركودى عقب أمراض القلب او سيروز الكبد وتتصف هذه التقرحات بكونها كثيرة جداً بحيث يصل عددها ٤ أو ٦ في السنتي متر المربع من النشاء المخاطى وتكون منتشرة علي مسير التفرعات الشعرية الوريدية ولا يزيد قطرها عن نصف سنتي متر وتكون مستديرة أو بيضية وحافتها منحرفة مفلطحة

وقد تحصل هذه التقرحات عند الطفل الغض ويكون محلها غالباً قوس المعدة الكبير ويصحبها احتقان وريدى واضح ويتسبب عنها قيء تتركب مواده من مواد مخاطية منقطة بنقط مسودة طبيعتها دموية وتكتسب سحنة الطفل هيئة العجوز وتغور عيناه وينقبض جلده

التقرحات الدرنية تشاهد في المعدة أقل مما تشاهد في الامعاء ومحلها في الغالب القوس الكبير للمعدة وتوصف بكونها غير منتظمة ومحفورة علي هيئة قمع يختلف حجمها وقد يصل الى ٣ او ٤ سنتيمترات وكل من قاعها وحافتيها يكون موشحاً بحبيبات درنية ينشأ من لينها اتساع القروح ، والانسجة تكون تحتها مرتشحة بالدرن علي امتداد كبير بطول الاوعية الشعرية . ويندر أن يتسبب عنها

تعب المعدة او فتح الاوعية ويعقب ذلك التهاب بريتوني او نزيف خطر

يمكن مشاهدة تقرحات المعدة ايضاً في الحمي التيفودية وفي الزهري وهو نادر جداً وفي الحروق المتسعة الجلد وعقب رض القسم الشراسيفي

واما القرحة المعدية الوحيدة وتسمي بالقرحة المستديرة والقرحة الثاقبة فهي قرحة أكالة تمتد في السطح والعمق وتثقب المعدة غالباً وتفتح الاوعية الدموية وهي قابلة للشفاء والالتئام

(أسباب هذه القرحة) رأى العلامة ويرشوأن قلوية الدم تمنع تأثير العصير المعدي علي نسيجها فاذا انسدت الشرايين او الاوردة الشعرية باستحالة شحمية أو غيرها ووقفت الدورة في نقطة من المعدة استولي عليها العصير المعدي وهضمها ويعقب ذلك تكون القرحة الوحيدة فتكون علي هيئة قمع قاعدته في حذاء الغشاء المخاطي وقمته مواجهة البريتون . واعترض المؤلفون علي هذا الرأي بأن ركود الدورة المعدية عقب آفات صمامات القلب وسيروز الكبد لم يتخلف عنه ظهور القرحة الوحيدة وان القرحة الوحيدة لمرىء لا يصل اليها العصير المعدى ومع هذا فلا يمكن انكار تأثير العصير المعدي علي القرحة

تشاهد هذه القرحة الوحيدة في سن الشبيبة والكهولة اى بين ١٦ و ٥٠ سنة من عمر الانسان وتقل مع التقدم في السن ولا تشاهد قبل العاشرة الا في احوال نادرة وتصيب الاناث اكثر من الذكور

(اعراض القرحة المعدية) هي الالم والقيء وقد تسبقها أعراض سوء الهضم أما الالم فتختلف حدته من درجة الانقباض والثقل في القسم الشراسيفي الي درجة الحرق والقرص والتمزق والثقب ويبتدىء الالم عادة بعد تناول الطعام ببضع دقائق الي نصف ساعة في النادر ويستمر مدة الهضم ويزول بعد تمامه واذا حصل القيء وفرغت المعدة يستريح المريض من الالم ويشتد الالم بالضغط علي القسم الشراسيفي وبتعاطي المواد الغذائية الصلبة او العسرة الهضم او الساخنة وفي النادر جداً يحصل الالم علي خلاء المعدة ويتلطف بتعاطي الماء الدفيء . وقد يظهر الالم علي نوب بدون سبب واضح او يستمر بلا انقطاع مدة ايام او اسابيع متوالية خصوصاً اذا

أزمن المرض ويكون محل الالم في القسم الشراسيفي في حذاء النتوء الخنجرى أو علي يمينه أو يساره بقليل أو أسفل منه بنحو قيراطين ويصحب الالم الخنجرى ألم فقرى شديد يحس به في حذاء الفقرة الاولي القطنية وقد يكون في حذاء الفقرة الثانية القطنية أو التاسعة الظهرية . ويتحرك الالم ويشتد بالضغط علي القسم الشراسيفي حتي ان المريض لا يتحمل أدني ملامسة حتي ولو لامس الملابس وقد يحرك هذا الضغط الالم الفقرى أيضاً . وفي أحوال نادرة جداً يتلطف الالم بالضغط

أما القيء فيبتدىء عادة بعد ظهور الالم ببضعة أيام أو بضعة أسابيع ويكون دموياً في القرحة الوحيدة . ويصحب القرحة المعدية الوحيدة عادة سوء الهضم والامساك وأما الشهية فقد تكون محفوظة ويرى علي الشخص المصاب هيئة الصحة التامة

يبتدىء هذا المرض غالباً بسوء الهضم ثم تحصل الآلام والقيء وقد تستمر هذه الحالة مدة شهر أو سنين وقد تبلغ من ٢٠ الي ٣٠ سنة أو أكثر مع نوران وفترات تحسين وباتباع التدبير الغذائي والعلاج ربما حصل الشفاء التام

وهذا الشفاء بذاته قد يحصل بمحض اتباع التدبير الصحي

وأما استحالة القرحة الي سرطان فبعض المؤلفين ومنهم (تروسو) ينفيها وبعضهم يقول بامكانها

(تشخيص هذا المرض) متى وجدت الآلام الخنجرية والفقرية بعد تعاطي الطعام وانصرفت بعد القيء أو بعد تمام الهضم وكان القيء دموياً أو مصحوبا بالميلينا وكان مقدار حمض الكلوريدريك في العصير المعدى زائداً عن الحد ولم يحصل يورم في المعدة وكان المريض شاباً أو كهلا فيمكن تقرير تشخيص القرحة الوحيدة المعدة

ولكن متى كانت الاعراض المذكورة غير تامة أو كانت قليلة الوضوح فتلتبس القرحة بأمراض أخرى كالآلام العصبية وسوء الهضم المؤلم وسرطان المعدة وقرحة الاثنى عشرى وسيروز الكبد والانيميا والسل عند الشابات ويلزم في هذه الاحوال اعتبار الاعراض الاخرى المميزة لهذه الاعراض والوصول

الي التشخيص بطريقة السرد فلآلام العصبية للمدة مثلا تتصف باشعاعها في الاعصاب بين الاضلاع وتلطفها بالضغط علي المدة أو بتعاطي الاطعمة ولا يصحبها قيء دموي . وان كانت هذه الاوصاف غير كافية دائما الا انها تساعد علي التشخيص

وسوء الهضم المؤلم لا يثور بتعاطي الاغذية ويتلطف غالباً بالضغط علي المعدة ولا يصحبه قيء دموي وتنتشر آلامه بين الاضلاع غالبا

وسرطان المعدة يحس بورمه بالجس ويصحبه تناقص حمض الكلور يدريك أو فقده في العصير المعدى

ومحل المغص الكبدى بجوار الحويصلة المرارية ويصحبه قيء وقشعريرة ويرقان وربما وجدت حصيات في البراز

(معالجة القرحة المعدية الوجيدة)
أهم معالجة هذا الداء هو اتباع الشروط الصحية فتجب ملازمة الفرش أو يكتفي بالرياضة الخفيفة ويعتنى بالتدبير الغذائي اللبنى الصرف حتى تلتحم القرحة فيعطي اللبن بمقدار قليل عدة مرات في اليوم و يكون نيئاً او بارداً بعد الغليان أو منعقداً في الاوانى (أى ابن زبادى) وأذا كره المريض اللبن تضاف اليه ملعقة من ماء الجير أو ملعقة من القهوة أو يضاف اليه ماء الجير مع مليغرام واحد من كلورايدرات المورفين أو الكوكايين أو يعطى له اللبن البيتوني أو يضاف اليه ماء الزهر أو يعطي البيض البمارشت ويرفق ذلك بالحقن المغذية من الشرج واذا جاء دور النقاهة تنوع الاغذية باحتراس فيعطى الرز مدقوقا ودقيق الارروت ثم مسحوق البسكوت ويجب اجتناب الحلو والسكر خشية تولد الغازات في المعدة وتمددها

أما المعالجة العلاجية فهي من خصائص الاطباء يعطونها علي حسب الاحوال

وبما أن القرحة المعدية عرضة النكسات فيجب مداومة التدبير الصحي في الغذاء مدة النقاهة وبعد الشفاء ويوصي المريض باجتناب أسباب الضغط علي القسم الشراسيفى (أى جهة نهايات الاضلاع) ويجب اجتناب جميع المجهودات

(٥) في الآلام العصبية للمعدة محل هذا الداء الفروع المعدية للعصب الرئوى المعدى والسمباتوى وقد تكون ذاتية أو تابعة لامراض أخرى موضعية أو عامة

(أسباب الآلام العصبية للمعدة)
قد تحدث تلك الآلام من تأثير البرد والتعب والافراط الشهواني والافراط في الاشتغال والسهر والحزن واستعمال التوابل القوية ، والمزاج العصبي مهيء لها وتظهر الآلام العصبية مصاحبة لسوء الهضم وقرحة المعدة وسرطانها وفي الخلوروز والانيميا والهستريا والاتاكسيا وفي النقرس والتسمم الاجامي والسل وأمراض الرحم والنخاع الشوكي وغير ذلك

(أعراض هذا المرض) العرض الاصلي الوحيد هو الالم الذى يظهر علي هيئة نوب وتكون تلك النوب عادة غير متعلقة بالهضم ولا بتعاطي الاطعمة فتارة تسبق الاكل بنحو ربع أو نصف ساعة وتسكن اذا تعاطي الشخص مواد غذائية وتارة تحصل بعد الاكل بنصف ساعة أو ساعة او تحصل بعد اتمام الهضم ويسبق النوب تجشؤ غازى أو حمضي أو غثيان ، ويكون الالم اما قاصراً علي المعدة فيحس به في القسم الشراسيفي كتشنج مؤلم ويصحبه قيء متواتر وهبوط أو اغماء أو يكون واخزاً أو محرقاً أو يشع بعيداً عن المعدة في الظهر والصدر والاعصاب بين الاضلاع والبطن والامعاء والمراقين أو ينزل في الحبل المنوى في فروع الضفيرة الشمسية فيتأوه المريض ويتلوى ويشحب وجهه و يغير أوضاعه علي الدوام وتستمر النوبة بضع دقائق الي ربع ساعة أو ساعة وقد تكرر مراراً في اليوم وتعود أياماً متوالية وقد يصحبها اضطراب هضم ولكن في الغالب يستمر الهضم طبيعياً والشهية محفوظه بل ربما تزايدت تزايداً مرضياً

ويتنوع سير هذا المرض بتنوع أسبابه فقد تكون الآلام فيه مستمرة وقد تكون وقتية وتنصرف بسرعة ولكنها عرضة النكسات

(تشخيص هذا الداء) تشع الآلام في الصدر والبطن وحصولها مدة فراغ المعدة وتسكينها بتعاطي الطعام وبالضغط علي المعدة واستمرارها بعد القيء وعدم وجود الدم فيه وعدم زيادة حمض الكلوريدريك يكفي في تمييز الآلام العصبية الذاتية من آلام القرحة الوحيدة

للمعدة التي فيها الآلام محدودة خنجرية قرية تظهر بعد الاكل وتسكن بعد تمام المضم أو بعد القيء وتزداد بالضغط علي المعدة والقيء فيها دموى ويحتوي علي مقدار وافر من حمض الكلوريدريك . أما السرطان فآلامه أقل حدة ويصحبه في الغالب ورم يحس به في القسم الشراسيفي، وسن المريض والقيء الدموى والكاشيكسيا والاوذيما البيضاء المؤلمة الخاصة بالسرطان دلائل علي التشخيص

وتتميز الآلام الروماتيزمية لعضلات البطن بكونها سطحية وتزداد بحركات البطن

وأما الآلام العصبية بين الاضلاع والمغص الكبدى فانها تتميز بالاعتناء في تحديد مجلسها والبحث عن النقط المؤلمة للاعصاب بين الاضلاع وعن الالم الكتفي في المغص الكبدى وزيادة حجم الكبد واليرقان والبول المعبر عنه بالكبدى وبقية الاعراض الكبدية

متى تعين تشخيص الآلام العصبية للمعدة وجب بيان سببها لانها ربما كانت مسبوقة بالسل الرئوى او التخشب أو متعلقة بالخلوروز أو المستريا أو ذابة صرفا

(المعالجة) يجب الاهتمام بمعرفة سبب النوبة فاذا كانت ناشئة من فراغ المعدة فيكفي تعاطي بعض الاطعمة لتسكينها وقد تسكن بالضغط علي قسم المعدة أو بالرقاد والاستراحة علي الظهر أو بتعاطي نقط من روح النوشادر العطرى او المانيزيا الكلسة وحدها نحو غرامين أو مع البزموت أجزاء متساوية ويمكن تدارك عودتها باعطاء هذه الادوية متوزعة في اليوم أو يعطي من ٥ الي ١٠ نقط من صبغة الجوز المقيء

وتعالج النوبة الشديدة بوضع مثانة مملوءة بالثلج علي قسم المعدة وتحقن تحت الجلد بمحلول كلوريدرات المورفين

وقد تظهر الآلام المعدية بعد الاكل بنحو ساعتين الي أربع ساعات وتستمر شدتها بضع ساعات

ويجب الاعتناء بالتدبير الغذائي واذا اقتضى الحال فيجب مراعاة الحمية اللبنية أو نصف اللبنية

(١) النزيف المعدى والقيء الدموى. النزيف المعدى هو نزيف ينشأ من أوعية المعدة الواصلة الى تجويفها سواء خرج

الدم فيما بعد بالقيء أو بالتغوط او لم يخرج الي الخارج . والغرض من القيء الدموى هو عرض يتصف بوجود الدم في القيء سواء كان منشأ الدم نزيفا معديا او ورود الدم الي تجويف المعدة من منشأ آخر كالانف أو الحلق أو الرئة

(أسباب هذا الداء) ينشأ النزيف المعدى غالبا من الاصابات المعدية الجرحية وآفاتها العضوية كالجرح والرض والالتهاب المزمن والقروح ولاسيما القرحة الوحيدة والسرطان وتمدد المعدة

وتمدد احتقان المعدة ربما أدى الي النزيف المعدى كسيروز الكبد وآفات صمامات القلب والالتهاب الرئوى المزمن التي تحدث احتقانا في الدورة الوريدية وكذلك الاحتقان والنزيف المستيرى والعرضي عقب انقطاع الحيض والبواسير وآفات الاوعية المعدية والانيميا الخبيثة والخلوروز والحميات العفنة والجدرى

(أعراض النزيف المعدى) يسبق القيء الدموى قشعريرة وشحوب في الوجه ودوار واغماء واحيانا لايحصل قيء دموى فيخرج النزيف مع الغائط وربما حدث القيء فجأة ونزل الدم من الفم غزيراً وربما هلك المريض لوقته او وقع في انيميا شديدة ولكن يندر حصول الموت عقب النزيف المعدى حالا ومع هذا الخطورة هذا المرض او عدم خطورته تتعلق بسببه

(معالجة النزيف المعدى) متى حصل هذا النزيف وجب أن يستلقي المصاب علي ظهره وان يضع مثانة الجليد علي معدته وأن يأخذ قطعا من الجليد يمتصها وان يعطي ليمونادة موريانية أو كبريتية غير محلاة وتستعمل القوابض كفوق كلورور الحديد وماء رابيل وخلات الرصاص بقدر ١٥ الي ٢٠ سنتيغرام مع خلاصة الافيون بقدر سنتيغرام واحد ويعطي زيت التربنتينا من ٢ الي ٣٠ نقطة في كل ست ساعات مرة مع ١٠ أو ٢٠ نقطة من حمض الكبريتيك في قليل من الماء

ومتى انصرف النزيف وجبت معالجة سببه

(٧) تمدد المعدة . المقصود بتمدد المعدة اتساع تجويفها سواء رقت جدرها أو غلظت

(أسباب التمدد) الالتهاب المعدى النزلي قد يتسبب عنه ارتخاء وشلل في

جدر المعدة فتتمدد المعدة وهذا ما يعبر عنه بالتمدد الحاد وهو نادر . ويحصل التمدد في العادة ببطء تدريجيا اما عقب ضيق البواب بورم سرطاني او بأثر التحام مثلا او عقب الافراط في الاكل والشرب فلا تقاوم المعدة الضغط الواقع عليها وتنتهي بالتمدد

وقد يحصل التمدد عقب الآفات التي تصيب جدر المعدة وتضعف عضلاتها أو تمددها كالالتهاب المعدى المزمن أو النهوكة التي تعقب الامراض الثقيلة كالحمي التيفويدية والسل الرئوي وأمراض النخاع الشوكي

ومما يهيء التمدد المعدى الكلوروز والانيمياء والضعف العصبي والهستريا والماليخوليا ويصحب التمدد المعدى غالبا خروج احدى الكليتين من مكانها وبقاؤها سابحة

التمدد المعدى اكثر حصوله بين الخامسة عشرة والاربعين من العمر ويشاهد عند الرجال اكثر مما يشاهد عند النساء

(أعراض تمدد المعدة) قد تزيد شهية المصاب بالتمدد او تنقص ويشعر بعطش شديد وامساك مستمر ويكون هضمه بطيئا صعبا ويحدث له قيء في الغالب وقد يصل مقداره الي بضعة لترات في اليوم من مواد سائلة مخاطية متكونة مرة الطعم ذات رائحة كريهة محتوية علي مواد غذائية متعفنة ربما تشاهد فيها بعض الاغذية التي تعاطاها المريض منذ يومين او ثلاثة. ويتسبب من تكرار القيء نقص البول ونهوكة المريض وقد يكون القيء دمويا. وبالكشف علي البطن يرى القسم الشراسيفي (أي مادون الاضلاع) بارزاً شديد الرنين تحت القرع ومتسما خصوصا متي كان المريض علي الخوى . ومتي رج الجذع رجا جانبيا سمعت له قلقلة تتضح متي أعطى المريض كوبا من الماء. وقد يتغير شكل البطن فيتكون بروز في الجهة اليسرى وانخفاض في الجهة اليمنى وبالجس يحس بتقوس تمر المعدة وحافتها السفلي وتقعر الحافة العليا

متي كان تمدد المعدة خفيفا فلا يحدث منه اضطراب واضح في الهضم ولكن متي تزايد وأزمن فانه يصحبه سوء الهضم بدرجات مختلفة مع تألم في القسم الشراسيفي وعطش زائد لان المعدة

المتمددة لا تمتص السوائل ويتكرر القيء وتبطل التغذية وتحصل النهوكة والنحافة وتتضاعف الاعراض عند بعض المرضي بالماليخوليا والدوار وتقطع النبض وقد تحصل نوب صرعية او تقلصات مختلفة او شلل او اعراض شبيهة بأعراض التسمم البولي ينسبها العلماء الي امتصاص المعدة السموم العفنة التي تحدث من تخمر المواد الغذائية . وقد يتضاعف تمدد المعدة بالروماتيزم المعقدى للاصابع وتقبض عضلاتها

(معالجة تمدد المعدة) تشتمل علي وسائط موضعية وعامة أما المعالجة الموضعية فالغرض منها تخليص المعدة من متحصلها الغزير الفاسد ثم تدارك فساد الاطعمة الجديدة

ويستحسن غسل المعدة يوميا ثم يبعد مابين الغسلتين متي بدأ التحسن فيها. وبعد الغسل يترك المريض ليستريح بضع ساعات ولا يسمح بغذاء بعدها الا قليلا من اللبن كل ساعتين مرة

وعلي كل حال تجب العناية بالتدبير الغذائي وتتبع الحمية اللبنية او الحمية الجافة علي حسب الاحوال ويجب اجتناب المواد الحلوة والنشائيات ولاجل تقوية المعدة تعطي القوابض المرة وصبغة الجوز المقيء لاجل سهولة الهضم يعطي المريض حمض المور يانيك ١٠ نقط في كوبة ماء صغيرة بعد الطعام بساعة ويعطي له قبل الطعام بساعة مسحوق من حمض الساليسليك او الريزورسين

باتباع هذه المعالجة بانتظام تتحسن صحة المريض وينتظم التبرز. وأما المعالجة العامة فتكون بمحاولة ازالة الأنيميا والاستعداد العصبي وأهمها حينئذ الاستحمام بالماء البارد والسكنى علي شواطيء البحار

واما الطب الطبيعي فيشير بعدم استعمال اى علاج من العقاقير وينصح بالاكتفاء بالتنزه في الفلوات والتغذى بالاشياء الجامدة دون السائلة وعدم شرب الماء دفعة واحدة بل علي دفعات متكررة ليكون مقداره قليلا لا يساعد علي تمدد المعدة ثم وضع رفادات علي المعدة ورفادات محيطة بالوسط كله واستعمال الحمام الجاوسي والحمام البخارى وعدم ملء المعدة بطعام حتى ترجع لحالتها الاصلية

(٨) سرطان المعدة. يتكون في المعدة

ورم خبيث فيصيب الرجال اكثر من النساء بعد سن الاربعين غالباً وللوراثة دخل كبير فيه والحزن المستطيل ميهيء له وقد يعقب الجراح كالصدمات على القسم الشراسيفي

وجود السرطان في المعدة تتسبب عنه آفات تابعية مختلفة فاذا كان محله البواب تسبب عنه تمدد المعدة واذا كان محله فتحة الفؤاد تسبب عنه ضمور المعدة واتساع المرىء

(أعراضه) يسبق ظهور السرطان بأشهر أو سنين حصول ازقة معدية خفيفة تشبه الازمة الرئوية التي تسبق السل. وأما الاعراض الاولية للسرطان نفسه فتشبه أعراض سوء الهضم البسيط في الغالب فتضعف الشهية ويحس بألم خفيف في القسم الشراسيفي بعد الاكل ويعقب الاكل تجشؤ حمضي ثم يزداد التألم وتفقد الشهية وينحل المريض وتضعف قواه ويشحب لونه ثم يزداد الالم ولكن لا يصل الي ألم القرحة المعدية وقد يبقى محدوداً على المعدة أو يشع الي الظهر والمرفقين ثم يتضاعف بالقيء

وقد يكون السرطان كامناً بحيث لا يشاهد سوء الهضم ولا القيء ويحصل ذلك اذا كان محل السرطان في فتحة الفؤاد أو في الطرف السفلي من المرىء وقد لا يشاهد اضطراب الهضم ولكن تحصل الاعراض العامة كالشحوب والضعف يستدل منها علي وجود آفة خبيثة في الجسم

° ° °

(نصيحة عامة) أكثر الامراض المعدية تنشأ من الافراط في الاكل والشرب أو من تعاطي الاغذية الغليظة العسرة الهضم أو كثرة التوابل التي أعتيد وضعها في الطعام أو من ضعف البنية وضعف الاعصاب فاذا اعتدل الانسان في مطعمه ومشربه وانتخب من الاغذية مالا يعسر انهضامه ولم يضع فيه شيأ من التوابل المهيجة لغشاء المخاطي المعدة، واعتنى بصحته علي وجه علم وأدمن علي التنزه في الخلوات واعتدل في أعماله الجسدية او العقلية وقي باذن الله من شر جميع الامراض المعدية. وقد كتبنا في كلمة أكل وغذاء وهضم مالا بد لمن يريد الاستقصاء في هذه المباحث من الرجوع اليها

﴿ المَعز والمَعَز ﴾ خلاف الضأن من الغنم أى ذوات الشعر والاذناب وهو اسم جنس واحده ماعز في المذكر وماعزة في المؤنث جمعه أمعُز ومَعِيز و(المِعزَى) اسم جنس كالمعز

الماعز من الحيوانات الثديية المجترة من فصيلة الخروف قرنه دقيق مرتفع مع ميل الى الخلف وله شبه لحية تحت فكه الاسفل

يعرف من المعز عدة أنواع وحشية تسكن آسيا ولكن لا يعرف من أى نوع منها الماعز الذى لدينا

يمكن أن يبلغ طول ماعز آسيا مترا ولكن الانثى تقل عن ذلك، لون صوفه داكن وهو يعيش أسرابا فوق الجبال

والماعز العادى قد يكون لونه احمر أو أسود أو أبيض أو مختلطا بين أبيض وأسود أو أبيض وأحمر

تحمل الماعزة خمسة أشهر ثم تضع سخلة او سخلتين الي اربع وهي تحمل مرتين في السنة وتربي لبنها الذى يعمل منه الجبن ويؤكل لحمها ولكنه ليس بلذيذ ولا كثير الافادة. ويتخذ جلدها لعمل القفازات والاحذية الجيدة

من أنواعها معزى أنقرة وهي ذات قرون عريضة وذاهبة أفقيا على جهتي الرأس ثم تلتوى علي شكل حلزوني خفيف. صوفها أبيض ناصع وطويل تورد منه مدينة أنقرة بالاناضول كل سنة نحو مليون من الكيلو غرامات وهو يجز في ابريل وتعمل منه ملابس غاية في الجودة واللطافة. وقد ربيت هذه المعزى في فرنسا واسبانيا وايطاليا وهي مربحة

المعزى قليلة الاكل حتى انها تستطيع أن تعيش في قمم من الجبال لا يستطيع غيرها من الحيوانات أن يعيش فيها لجدوبتها. وهي لقلة أكلها يكثر الفقراء من اقتنائها وهي في الجملة من الحيوانات المربحة لصاحبها

﴿ مَعِض ﴾ يمعض معضاً غضب ومثله (امتعض)

﴿ المعامع ﴾ الحروب والفتن. و (المعمعان) شدة الحر والبرد. و (المَعمعة) صوت الابطال في الحرب جمعها مَعامع

﴿ معُن ﴾ الماء يمعُن مُعونا سهل وسال. و (أمعن الفرس) تباعد في عدوه و (أمعن في الطلب) بالغ في الاستقصاء

و (الماهون) اناء معروف . و (الماعون) أيضاً الزكاة . و (السَمَان) المنزل . و (المَمْن) الطويل والقصير والقليل والكثير و (المَعين) الماء الجارى

﴿ معن بن زائدة الشيباني ﴾ هو أبو ابوالوليد معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة ابن مطر بن شريك الشيباني

كان من رجال الدولتين العباسية والاموية معروف بالشجاعة والكرم والعطايا الجزيلة حتى مدحه الشعراء وقصدوه من أقاصي البلدان . وكان مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور خصيصاً به وأكثر مدائحه فيه

كان معن في عهد بنى أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا الي يزيد بن عمرو ابن هبيرة الفزارى أمير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بنى العباس وجرى ما جرى بين أبي جعفر المنصور و بين يزيد بن عمرو المذكور من محاصرته بمدينة واسط ماهو معروف في التاريخ أبلى يومئذ معن بن زائدة بلاء حسنا في تلك الوقائع فلما قتل يزيد خاف معن من أبي جعفر المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له في استتاره غرائب

فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور آنفاً قال أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولى بلاد اليمن ان المنصور جد في طلبي وجعل لمن يحملني اليه مالا

قال فاضطررت لشدة الطلب الي أن تعرضت الشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجهاً الي البادية لأقيم بها

قال فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني أسود متقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض علي خطام الجمل فأناخه وقبض علي يدى فقلت له وما بك ؟ فقال انت طلب امير المؤمنين . فقلت ومن انا حتى اطلب ؟ فقال انت معن بن زائدة

فقلت ياهذا اتق الله عز وجل وأين أنا من معن ؟ فقال دع هذا فاني والله لاعرف بك منك

قال معن فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معي وهو بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا لسفك دمي

قال هاته فأخرجته اليه فنظر فيه

ساعة وقال صدقت في قيمته ولست أقبله حتى أسألك عن شيء فان صدقتني أطلقتك . فقلت قل . قال ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت لا . قال فنصفه ؟ قلت لا. قال فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن اني قد فعلت هذا قال ماذاك بعظيم ، أنا والله رجل فقير ورزقي من ابي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المألوف بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو أجود منك . فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمي العقد في حجرى ورمي خطام الجمل وولى منصرفا

فقلت ياهذا والله لقد فضحتنى ولسفك دمي علي اهون مما فعلت فخذ ما دفعته اليك فاني غنى عنه فضحك وقال اردت ان تكذبنى في مقالي هذا ، والله ما آخذه ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضي لسبيله ، فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الارض ابتلعته

لم يزل معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان علي المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة . ذكر غرس النعمة بن الصابي في كتاب الهفوات ما مثاله : لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالانبار وذلك في ذى القعدة سنة (١٣٤) وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكراً معتما متلثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور قال له من انت ويحك؟ فكشف لثامه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة . فأمنه المنصور واكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه

ثم دخل عليه بعد ذلك في الايام فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان ابن ابي حفصة مئة الف درهم علي قوله:

معن بن زائدة الذى زيدت به
شرفا علي شرف بنو شيبان

فقال كلا ياامير المؤمنين انما أعطيته
على قوله في هذه القصيدة:
مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فنمت حوزته وكنت وقاءه
من كل وقع مهند وسنان
فقال المنصور أحسنت يامعن
وقال له يوما يامعن ماأكثر وقوع
الناس في قومك . فقال يا امير المؤمنين:
ان العرانين تلقاها محسدة
ولا ترى للئام الناس حساداً
ودخل عليه يوما وقد أسن ، فقال
له كبرت يا معن . فقال في طاعتك ياأمير
المؤمنين . فقال وانك لجلد . فقال على
أعدائك يا امير المؤمنين . فقال وفيك
قية . فقال لك يا اميرالمؤمنين
قيل عرض هذا الكلام على عبد
الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال
ويح هذا ماترك لربه شيئا
أشهر قصائد مروان فيه وأحسنها
القصيدة اللامية التي ذكرنا بعضها في ترجمة
مروان وهي طويلة تزيد على خمسين
بيتا
وله فيه قصيدة:

قد آمن الله من خوف ومن عدم
من كان جاراً له من جور ذا الزمن
معن ابن زائدة الموفي بذمته
والمشترى الحمد بالغالي من الثمن
بر العطايا التي تبقى محامدها
فيما اذا عدها المعطي من الغبن
بنى لشيبان مجداً لازوال له
حتى تزول ذو والاركان من حضن
حضن المذكور في القافية الاخيرة
اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة
دخل على معن بعض الفصحاء يوما
فقال له : اني لو اردت ان استشفع اليك
ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك
سهلا، ولكني استشفعت اليك بقدرك
واستغنيت بفضلك ،فان رأيت ان تضعني
من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك
فافعل .واني لم اكرم نفسي عن مسألتك ،
فأكرم وجهي عن ردك
لمعن بن زائدة أشعار جيدة اكثرها
في الشجاعة والحرب فمن ذلك قوله في
خطاب أخي عبد الجبار بن عبد الرحمن
وقد رآه يتبختر بين السماطين (أى الصفين)
وكان قبل ذلك لقي الخوارج ففر منهم
فقال معن :

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم
وصبرت عند الموت ياخطاب
نختال خوّار العنان كأنه
تحت العجاج اذا استحث عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم
وكذاك من قعدت به الاحساب
وقال أبو عثمان المازني النحوى
حدثني صاحب شرطة معن قال بينما أنا
على رأس معن اذا هو براكب يوضع
(أى يسرع) . فقال معن ما أحسب
الرجل يريد غيرى . ثم قال لحاجبه
لاتحجبه . قال فجاء حتى مثل بين يديه
وأنشد :
أصلحك الله قل مابيدى
فما أطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر رمي بكلكله
فأرسلوني اليك وانتظروا
قال فقال معن وأخذته الاريحية :
لاجرم والله لاعجلن أوبتك . ثم قال
ياغلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها
اليه . فدفعها اليه وهو لا يعرفه
ولي معن بن زائدة في أواخر أمره
سجستان وانتقل اليها وله فيها آثار
وقصده الشعراء فيها من كل صوب فلما

كانت سنة (١٥١) وقيل (١٥٢) كان
في داره صناع يعملون له عملا فاندس
بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم
فتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة
الشيباني فقتلهم بأسرهم وكان قتله بمدينة
بست. ولما قتل معن رثاه الشعراء بمراث
كثيرة نثبت منها هنا بعض ماقاله شاعره
المشهور مروان بن أبي حفصة وهو :
مضى لسبيله معن وأبقى
مكارم لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم أن أصيب من
من الاظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذى كانت نزار
تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن
وقد يروى به الاسل النهالا
وأظلمت العراق وأورثتها
مصيبته الجليلة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه
لركن العز حين وهي فمالا
وكادت من تهامة كل أرض
ومن نجد تزول غداة زالا
فان يعل البلاد له خشوع
فقد كانت تطول به اختيالا

أصاب الموت يوم أصيب معن
على الاحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن
الى أن زار حفرته عيالا
ولم يك طالب العرف ينوى
الى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل
ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الفؤاد لمثل معن
ولا حطوا بساحته الرحالا
ولا بلغت أكف ذوى العطايا
يميناً من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض
من المعروف مترعة سجالا
لابيض لا يعد المال حتى
يعم به بغاة الخير مالا
فليت الشامتين به فدوه
وليت العمر مد له فطالا
ولم يك كنزه ذهبا ولكن
سيوف الهند والحلق المذالا
ومادنه من الخطى سمر
ترى منهن لينا واعتدالا
وذخر من محامد باقيات
وفضل تقى به التفضيل نالا

ومنها أيضاً :

مضى لسبيله من كنت ترجو
به عثرات دهرك أن يقالا
فلست بمالك عبرات عين
أبت بدموعها الا انهمالا
وفي الاحشاء منك غليل حزن
كحر النار يشتعل اشتعالا
وقائلة رأت جسمي ولوني
معاً عن عهدها قلباً فحالا
أرى مروان عاد كذى نحول
من المندى قد فقد الصقالا
رأت رجلا براه الحزن حتى
أضر به وأورثه خبالا
فقلت لها الذى أنكرت منى
لفجع مصيبة أنكى رجالا
وأيام المنون لها صروف
تقلب بالفتى حالا فحالا

ومنها أيضاً :

كأن الليل واصل بعد معن
ليالي قد قرن به فطالا
فلهف أبي عليك اذ العطايا
جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف أبي عليك اذ اليتامى
غدوا شعثا كأنهم سلالا

ولهف أبي عليك اذ القوافي
لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف أبي عليك لكل هيجا
لها تلقى حواملها السجالا
أقمنا باليمامة اذ يئسنا
مقاما لانريد به زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا
وماشهد الوقائع منك أمضى
وأكرم مقدماً وأشد بالا
سيذكرك الخليفة غير قال
اذاهو في الامور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك اللواتي
على أعدائه جعلت وبالا
ومعتركا شهدت به حفاظا
وقد كرهت فوارسه النزالا
حباك أخو امية بالمراثي
مع المدح الذى قد كان قالا
أقام وكان نحوك كل عام
يطيل بواسط الرحل اعتقالا
وألقى رحله أسفا وآلى
يميناً لايشد به حبالا

قال امير المؤمنين ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء دخل مروان بن ابي حفصة على جعفر البرمكي فقال ويحك أنشدني من مرثيتك في معن بن زائدة فقال بل أنشدك فيك فقال جعفر انشدني من مرثيتك في معن فأنشد يقول :

وكان الناس كلهم لمعن
الى أن زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه . فلما فرغ قال له جعفر هل أثابك على هذه المرثية أحد من أولاده وأهله شيئا ؟ قال مروان لا . قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال أصلح الله الوزير أربع مئة دينار . قال جعفر فانا نظن انه لايرضى بذلك قد أمرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن الفا وست مئة دينار قبل أن تنصرف الى رحلك . فقال مروان يذكر جعفراً وما سمح به عن معن على وزن تلك القصيدة ورويها :

نفحت مكافئاً عن قبر معن
لنا مما تجود به سجالا
فعجلت العطية ياابن يحيى
لنادبه ولم ترد المطالا

فكافأ عن صدى معن جواداً
بأجود راحة بذل النوالا
بنى الـخالد وأبوك يحيى
بناء في المكارم ان ينالا
كأن البرمكي بكل مال
تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف

وحكي ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني عن محمد البيدق النديم انه دخل علي هرون الرشيد فقال له أنشدني مرثية مروان بن ابي حفصة في معن بن زائدة فأنشد بعض هذه القصيدة فبكي الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه. ويقال ان مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فانه كان اذا مدح خليفة اومن دونه قال له انت قلت في مرثيتك:

وقلنا اين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلانوالا

فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع قصيدته

حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن ابي حفصة وقد دخل علي المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فانشده مديحا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهدي ألست القائل (وقلنا اين نرحل بعد معن) وانشد البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لاشيء لك عندنا جروا برجله . قال فجروا برجله حتي اخرجوه. فلما كان في العام المقبل تلطف حتي دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل علي الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة قال فمثل بين يديه وانشده قصيدته التي أولها :

طرقتك زائرة فحي خيالها

قال فأنصت لها المهدى ولم يزل يزحف كلما سمع شيئاً منها حتى صار علي البساط اعجابا بما سمع . فقال له كم بيت هي؟ فقال مئة بيت فأمر له بمائة ألف درهم . فقال انها اول مئة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس

قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الا أياماً حتي أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد انشده شعراً فقال ألست القائل في معن كذا وأنشده

البيت ثم قال خذوا بيده فأخرجوه فانه لاشيء له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته

ومن المراثي النادرة مارثي به معن بن زائدة أيضاً وهو من شعر الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدى وهي :

ألما علي معن وقولا لقبره
سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فياقبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن أنت أول حفرة
من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلي قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
والمضي من مضى الجود وانقضي
وأصبح عرنين المكارم أجدعا

﴿ معن ﴾ تمعّن فيهم وأدرك

﴿ المَعي ﴾ والمِعَى المصران

﴿ المَغَرة ﴾ صبغ أحمر يصبغ به

﴿ مغص ﴾ الرجل يمغص مَغصا ومُغص أصابه المَغص فهو ممغوص و (أمغصه) أوجع بطنه

﴿ المغص ﴾ هو ألم قد يبدأ خفيفا ثم يأخذ في الاشتداد شيئاً فشيئاً او يفاجيء الانسان بقوة ويبلغ أقصى درجاته فيصرخ ويستغيث ويتقلب من جنب الي جنب ضاغطا بطنه بيديه أو بوسادة أو ينحنى الي الامام أو يستلقي علي جانبه ضاماً فخذيه الي بطنه . ويكون اذ ذاك بطنه منتفخا متطبلا تسمع فيه قراقر. واذ قويت النوبة يكثر الجشاء والغثيان والقيء أحيانا . وتكون الامعاء منقبضة والنبض طبيعياً مالم تطل مدة النوبة ويشتد الالم فيصغر النبض ويسرع وأما الجلد فيعلوه عرق بارد . واذا أفلتت الغازات أو دفعت الامعاء فضلاتها دفعاً وافياً استراح العليل وهجعت جميع الاعراض المتقدمة

(أسباب المغص) سوء الهضم والتعرض للبرد ليلا وانسكاب الصفراء بكثرة الي الامعاء والانفعالات النفسانية كالغيظ والخوف وبل رجلي من لم يكن معتاداً علي ذلك والاطعمة الغليظة العسرة الهضم كاللحوم المقددة والاسماك والفواكه غير الناضجة والخضر غير المطبوخة جيداً والبقول اليابسة فكل هذه تولد

القضبان و يعطي لها احيانا شكل نعل الفرس والابر وهي علي شكل المعين . والمعين هوشكل هندسي رباعي اضلاعه متوازية وكل زاويتين متقابلتين فيه متساويتان ، منها زاويتان حادتان وزاويتان منفرجتان فالشكل المعين هو كشكل قطعة البقلاوة

(في القطبين المغناطيسيين) اذا أخذ قضيب من الحديد الممغنطس شوهد ان قوة الجذب ليست واحدة في جميع نقطه بل هو يبلغ نهايته العظمي في الطرفين ويثبت ذلك بغمر قضيب ممغنطس في رادة الحديد فيرى انها تنجذب بمقدار عظيم نحو طرفيه و يأخذ تراكمها في النقصان شيأ فشيأ من الطرفين الى الوسط و يكون فيه معدوما

فهذا الجزء المتوسط يسمي خط الخمود واما الطرفان حيث تتساقط فيهما قوة الجذب المغناطيسي فيسميان بالقطبين

متى عرض قطب المغناطيس علي رادة الحديد ظهر انهما من طبيعة واحدة ولكن الواقع انهما من طبيعتين مختلفتين والدليل علي ذلك انه اذا علقت ابرة ممغنطسة من وسطها بخيط ثم قرب لاحد طرفيها علي التوالي قضيب ممغنطس فيرى ان احدهم يجذبه بقوة والآخر يطرده . فهذا يدل علي انهماليسا من طبيعة واحدة ثم انه لو قرب مرة أخرى هذان الطرفان من الطرف الآخر للابرة المعلقة يرى أن الذي جذب الطرف الاول ينفره والعكس بالعكس . وهذا دليل علي أنه لا يوجد نوعان من الاقطاب

ولاجل معرفة طبيعة الاقطاب التي تتجاذب والاقطاب التي تتنافر يمين في قضيبين مختلفين القطبان اللذان من نوع واحد أى اللذان يطردان طرفا واحد لابرة معلقة ثم يعلق أحد هذين القضيبين ويقرب طرفهما المعينان من نوع واحد أحدهما من الآخر فيرى انهما متنافران والقطبان اللذان طبيعتهما مختلفتان يتجاذبان ، وبما تقدم يرى انه لو وضعت ابرة ممغنطسة تتحرك في مستوىافقي فوق قضيب ممغنطس فانها تأخذ وضعا موازياله وتكون الاقطاب المختلفة الطبيعية من كل من الابرة والقضيب أحدهما امام الآخر وكذا اذا أخذت من ابرة متحركة في مستوى رأسي حول محور افقي وحرك

غازات في الامعاء تحدث منها تلك الاوجاع الثقيلة

(علاج هذا المغص) يعتمد في تسكينه علي المسكنات كتعاطي خمس نقط من اللاردانوم الي عشرة في قليل من الماء أو من ١٠ نقطة الي ٢٠ من روح هوفمان، أو الكلوروددين وهو يباع في محال العطارة من ٥ الي ١٠ نقط في قليل من الماء ، أو مسكن آخر في نقيع مادة عطرية كالشمر أو الانيسون أو البابونج الخ مع رفادات مسكنة ساخنة . وهذه الرفادات تعمل مع لصقة بزر الكتان يرش عليهما نقط من اللاودانوم أو بمغص مغلي مركز من الخشخاش وتحضر بلزقة بزر الكتان أو تطبخ أوراق البنج أو الشوكران أو الخس وتحضر منها ضمادات . وتستعمل الحقن الملينة أيضاً . وبعد هذا يعطي العليل مسهلا من زيت الخروع لاجل تنظيف الامعاء من المواد المتهضمة التي فيه

ولاجل منع الاعراض من العودة تجتنب الاطعمة الغليظة العسرة الهضم و يلبس صوف علي البطن وتدفأ الرجلان وتحفظان من البرد والرطوبة

هذا اذا كان المغص ناشئا عن سوء الهضم ولكن قد يكون المغص ناشئاً من روماتيزم عضلي لجدر البطن وفي هذه الحالة يكون متنقلا مستمراً . وقد يكون المغص عصبياً محضاً أو من انسداد معوى أو عرض معدى كقرحة أو سرطان وقد يكون من مرض الكبد أو الكلي . كل هذا يجيزه الطبيب ان تكرر المغص فلا يجوز والحالة هذه أن تنسب جميع هذه المغوص لعلة واحدة وهي سوء الهضم بل يجب البحث عن عللها الحقيقية اذا تكررت لمعالجة الداء الذى يولدها

(المغناطيس) يوجد جسم يسمي حجر المغناطيس خاصيته جذب الحديد ومعادن أخرى كالكوبالت والكروم والنيكل . وهذا الجسم يوجد بكثرة في بلاد السويد والنوروفيج

الفولاذ يكتسب قوة جذب الحديد كالمغناطيس وذلك اذا دلك بحجر المغناطيس أو عرض لتأثير تيار كهربائي

لاجل معرفة خواص المغناطيس الطبيعي يستعمل المغناطيس الصناعي لامكان اعطائه الاشكال المناسبة . والاشكال المستعملة في التجارب هي :

حاملها بالتوازي لقضيب ممغنطس فتميل في جهة او في أخرى حسبما تكون قريبة من أحد القطبين او من الآخر

(تأثير الكرة الارضية على الابرة الممغنطة) شوهد ان الكرة الارضية تأثير على الابرة الممغنطة يشبه تأثير قضيب ممغنطس عليها .أى انه اذا أخذت ابرة متحركة في مستوى أفقي فيرى انها لاتكون في حالة موازنة الافقي وضع معين يقرب من اتجاه الخط الواصل من الشمال الى الجنوب. واذا غير وضع الابرة عادت اليه ثانية بعدان تحدث فيها عدة ذبذبات واذا كانت ابرة متحركة في مستوى رأسي ونقلت جهة الشمال يرى ان ميلها يزيد في هذه الجهة واذا انقلبت جهة الجنوب يشاهد أن ميلها يقل شيأ فشيأ وتصير افقية بجوار خط الاستواء واذا انقلبت هذه الابرة في نصف الكرة الجنوبي مالت جهة الجنوب وزاد ميلها في هذه الجهة كلما قربت من القطب الجنوبي للارض فينتج من ذلك حينئذ أن تأثير الارض على أبرة ممغنطة يشبه تأثير قضيب ممغنطس عليها ولذا شبهت الارض بمغناطيس عظيم قطباه قريبا من القطبين الارضيين وخط الاستواء المسمي خط الخمود ينطبق على خط الاستواء وبموجب هذا الفرض سمي القطب المغناطيسي الارضي الذى جهة الشمال بالقطب الشمالي والذى جهة الجنوب بالقطب الجنوبي

(ماهي المغناطيسية) حار العلماء في ادراك كنه القوة المغناطيسية ثم فرضوا لامكان تعليل الظواهر التى تنتج منها انه يوجد في الكون سيالان يدعي أحدهما جنوبيا والآخر يسمي سيالا شماليا . وقالوا ان هذين السيالين يكونان متحدين قبل تمغنطس الجسم حول كل جزئي منه لكنهما ينفصلان أحدهما عن الآخر بتأثير المغناطيس حتى أن أحدهما يؤثر في أحد النصفين والاخرى في النصف الثاني

(في قانون الجذب والتنافر المغناطيسيان) الجذب والتنافر المغناطيسيين قانونان مشابهان لقانوني الجذب والتنافر الكهربائيين وهما :

(أولا) الجذب او التنافر الذى ينتج من قطبي قضيبين ممغنطسين احدهما على الآخر وهما على ابعاد مختلفة يكون مناسبا لعكس مربعات الابعاد التي توجد بينهما

(ثانياً) هذه مايكون القطبان على بعد واحد تكون شدة الجذب أو التنافر التى تنتج من تأثيرهما أحدهما على الآخر مناسبة لحاصل ضرب مقدارى المغناطيسية الموجودة فيهما

(المغناطيسية الارضية) قلنا انه اذا أخذ قضيب ممغنطس معلق من وسطه فانه يأخذ بتأثير الارض عليه بعد جملة ذبذبات وضعاً يقرب من الخط الواصل من الشمال الي الجنوب فالمستوى الرأسي الذى يمر بمتعلق المغناطيس المعلق وهو في هذه الحالة يسمي مستوى الزوال المغناطيسي ولاجل تعيين مستوى الزوال المغناطيسي تستعمل عادة ابرة ذات شكل معين (الشكل المبين وصفناه فيما مضى) محولة من وسطها على سن رأسي ويعتبر ان الخط الواصل بين سنيها منطبقا على الخط الواصل بين قطبيها فاذا أخذت ابرة في هذه الشروط أى متحركة حول مركزها في مستوى أفقي يرى ان الوضع الذى تكون فيه في حالة توازن لا يكون الخط الواصل من الشمال الي الجنوب بل يكون خطا صانعا مع الخط المذكور زاوية حادة تسمى بالأنحراف المغناطيسي في النقطة الحاصلة فيها التجربة ، ويقال للانحراف شرقي اذا كان القطب الجنوبي للابرة يثبت شرق الخط الواصل من الشمال الي الجنوب ويقال له غربي اذا كان القطب المذكور يثبت غربي ذلك الخط

فاذا فرضنا الآن ان ابرة ممغنطسة متحركة في مستوى رأسي حول محور أفقي مار من وسطها وكان المستوى الذى تتحرك فيه منطبقا على مستوى الزوال المغناطيسي فيرى من التجربة انه في أغلب نقط سطح الارض تأخذ الابرة وضعاً مائلا بالنسبة للمستوى الافقي فالزاوية الحادة المكونة من النصف السفلي للابرة وهي في ذلك الوضع ومن الخط الافقي الموجود في مستوى الزوال المغناطيسي تسمي زاوية الميل

(في بوصلتي الانحراف والميل)

اذا أريد تعيين الانحراف والميل بطريقة مضبوطة في النقط المختلفة من سطح الارض فيستعمل لذلك جهازان أحدهما يسمي بوصلة الانحراف والثاني يسمي بوصلة الميل

تتركب بوصلة الانحراف من دائرة

اقية مقسمة الى ٣٦٠ درجة وفي مركزها سهم مرتكز عليه ابرة ممغنطة فاذا فرض وضع هذه الآلة بحيث يكون القطر المار بنقطة الصفر منطبقا على الخط الواصل من الشمال الي الجنوب فعدد الدرج الذي يكون من ذلك الصفر ومن الابرة الممغنطة يكون دالا على زاوية الانحراف

اما بوصلة الميل فتتركب من ابرة ممغنطة متحركة في مستوى رأسي حول محور افقي ومن دائرة رأسية مقسمة الى ٣٦٠ درجة ومركزها منطبقة بالضبط على المحور الذى تدور حوله الابرة . واذا فرض وكانت هذه الابرة منطبقة على مستوى الزوال المغناطيسي فعدد الدرجات التي تكون محصورة بين سنها المائل والخط الافقي يكون دالا على زاوية الميل

(في البوصلة العادية والبوصلة البحرية) بمعرفة المقدار المتوسط للانحراف المغناطيسي يمكن استعمال الابرة الممغنطة لتعيين الجهات الاصلية والجهاز المستعمل لذلك يسمي بالبوصلة وهو يشبه ساعات الجيب ويتكون من دائرة مقسمة الي درجات وفي مركزها سن حامل لابرة ممغنطة تدور حوله ولاجل تبيين اتجاه الشمال بواسطة هذه الآلة يكفي وضعها في مستوى أفقي وعد (ابتداء من طرفها الازرق) درجات بقدر المقدار المتوسط للانحراف . فالخط الواصل من النقطة النهائية الي مركز الدائرة المدرجة يكون هو الخط الواصل من الشمال الي الجنوب وبوصلة المساحين لا تختلف عن البوصلة العادية الا بكونها اكبر منها ويستعين بها المساحون ليبينوا على الخرط التي يصنعونها وضع الاشياء المرسومة بالنسبة للجهات الاصلية

البوصلة البحرية تستعمل في البحر لتوجيه السفن عند ما تكون بعيدة عن الشواطيء وهذه البوصلة تكون دائما مثبتة في الجزء الخلفي من كل سفينة امام السكان (أى الدفة) لكي يوفق مديرها اتجاه ابرتها باتجاه السفينة . ولاجل تسهيل هذا التوفيق يوجد داخل الوعاء الموجودة فيها الابرة خط ثابت موجود في اتجاه محور السفينة . فاذا اريد توجيه السفينة الي جهة ما فيجب على مديرها ان يعين اولا النقطة التي هو فيها اذ ذاك

يعلم الاتجاه الواجب اتباعه للوصول الي النقطة المراد الوصول اليها أى الزاوية المكونة من ذلك الاتجاه وخطوط العرض وحينئذ اذا أضيف الى أو طرح من هذه الزاوية المقدار المتوسط لزاوية انحراف المحل حسبما يكون شرقيا أو غربيا توجد الزاوية الواجب أن تكون مكونة من اتجاه السفينة أى الخط الثابت المرسوم في وعاء البوصلة واتجاه الابرة الممغنطة وان لم تكن السفينة في الاتجاه الواجب يعلم المدير ذلك من البوصلة ويردها حينئذ الى الاتجاه المذكور بتحريك السكان (الدفة)

(في طرق المغنطة) الينابيع المختلفة للمغنطة هي : تأثير المغناطيس القوى ، وتأثير الارض ، وتأثير التيارات الكهربائية

فأما المغنطة بالمغناطيس القوى فتعمل بثلاثة طرق : طريقة اللمس البسيط ، وطريقة اللمس المنفصل ، وطريقة اللمس المزدوج

الاولي لا تستعمل الا لمغنطة الابر وذلك انها لا تولد الا تمغنطا ضعيفا وغايتها ارلاق أحد قطبي قضيب ممغنط على الابرة المراد مغنطتها من طرف الى آخر ويكرر العمل مرارا بحيث يبتدأ دائما من الطرف الذى ابتدأ منه أول مرة وفي هذه الطريقة يتكون في الطرف المذكور قطب من جنس القطب الذى حصل به الدلك ، وفي الطرف الآخر قطب مضاد لهذا القطب

والثانية هي طريقة اللمس المنفصل تعمل بوضع قضيبين ممغنطين قويين على مستوى أفقي بحيث يكون قطباهما المختلفان أحدهما أمام الآخر ويثبت بينهما قطعة من الخشب ثم يوضع القضيب المراد مغنطته فوقهما ويؤخذ في اليدين قضيبان ممغنطان ويوضع طرفاهما على منتصف القضيب بحيث يكون القضيب المتكيء من كل منهما على القضيب المذكور عين القطب الملامس لقطعة الخشب من جهته فيحرك حينئذ كل من القضيبين الاولين في اتجاهين متضادين الي نهايتي القضيب الموضوع فوق قطعة الخشب ، ثم يردان الي موضعهما الاول ويحركان مرة ثانية وهلم جرا

والثالثة وهي طريقة اللمس المزدوج تقتضي أن يوضع القضيب المراد مغنطته

على قضيبين ممغطسين كالحالة السابقة ثم بوضع عليهما قضيبان آخران كما تقدم انما ينبغي فصلهما بقطعة من الخشب وبدل امرار القطبين على القضيب على حالة انفراد يجب امرارهما معا من الوسط الى أحد الطرفين ثم منه الى الطرف الآخر وهلم جرا

وبعد نهاية العمل يقتضي أن يكون التمرير حصل في المرة الاخيرة من الطرف الذى لم يلمس ابتداء الى الوسط وقد ظهر من التجربة ان التمغطس بهذه الطريقة أقوى بكثير من التمغطس بالطريقتين السابقتين

(في المغطسة بتأثير الارض) بما ان تأثير الارض على الاجسام يشبه تأثير الاجسام المغطسة عليها يرى أنه يكون من الممكن مغطسة الاجسام القابلة للتمغطس بتأثير الارض وفي الواقع فانه اذا وضع قضيب من الصلب في وضع مواز لابرة الميل عند ماتكون في مستوى الزوال المغناطيسي وطرق عليه بمطرقة أو حصل دلكه بجسم صلب فانه يتمغطس

وبهذه الصفة تتمغطس شيئا فشيئا جميع الآلات المصنوعة من الصلب التى يحصل فيها دلك أو طرق متعدد كالمبارد وغيرها

(في حفظ المغناطيسية) ويجب استعمال طرق خاصة لحفظ المغناطيسية في الاجسام الممغطسة . فاذا فرض قضيب ممغطس متروكا ونفسه في وضع ماافقد بتأني إما من تأثير الارض عليه أو من تأثير قضبان ممغطسة موضوعة بجواره ان السيالين الموجودين في ذراته ينتقلان في اتجاه مضاد للذى انتقلا فيه عند فصلهما وبذلك يحصل اتحادهما ثانيا شيئا فشيئا وتأخذ قوة ممغطسة القضيب في التناقص

ولاجل منع حصول هذه التأثيرات توضع القضبان الممغطسة كل اثنين معا في وعاء واحد بحيث يكونان متوازيين وأقطابهما المختلفة الطبيعية بعضها أمام البعض الآخر ثم يوضع بينهما قطعتان من الخشب لمنعهما من التلامس ويثبت على أطرافهما قطعتان من الحديد المطاوع فبتأثير القضيبين على هاتين القطعتين يتمغطسان ويؤثران في أقطاب القضيبين المذكورين ويحفظان قوتهما المغناطيسية

ولاجل حفظ مغطسة المغناطيس الذى في شكل نعل الفرس يوضع على

قطبيه قطعة من الحديد المطاوع . وقد ظهر من التجربة انه لحفظ مغناطيسية المغناطيس المذكور يكون من الحسن ألا يعلق في قطعة الحديد التى تثبت على طرفيه ثقل ما فيعلق عادة في الخطاف المثبت في قطعة الحديد اناء يوضع فيه كرات من الرصاص يضاف اليه كرة أو اثنتان في كل يوم وبذلك تزداد القوة المغناطيسية أى انه بهذه الطريقة يتوصل لجعل المغناطيس قادرا على حمل ثقل يزيد كثيرا عن الثقل الذى كان تمكنه حمله في بادىء الامر ويجب الاحتراس من اضافة عدد عظيم من كرات الرصاص في آن واحد لانه لو فصلت قطعة الحديد بتأثير ثقل عظيم فان قوة المغناطيس تضعف ويجب اعادة العمل السابق عليه ثانية . والعمل المذكور يعبر عنه بتغذية المغناطيس

(في المغطسة بالتيارات الكهربائية) شاهد العلامة ارغو انه اذا وضعت ابرة من الحديد المطاوع في وضع عمودى على اتجاه تيار فانها تتمغطس تمغطسا يدوم فيها مادام التيار مارا وينمحي عند قطع التيار واذا استعملت ابرة من الصلب المسقى فانها تتمغطس ببطء الا ان مغطستها تدوم بعد انقطاع التيار فينتج من ذلك حينئذ انه سواء كان التمغطس ناتجا عن فصل سيالين موجودين في كل من جزيئات الاجسام القابلة للتمغطس أو حصل تيارات خاصة توجد بين هذه الجزيئات في اتجاه واحد فيجب قبول ان التيار الذى يوضع بجوار القسم القابل للتمغطس يحدث تأثيرا على السيالين الموجودين في الجزيئات أو على التيارات التى تمر حولها بحيث يحيله الى مغناطيس والصلب يختلف عن الحديد المطاوع في كونه يقاوم حصول اتحاد السيالين أو عود التيارات الى الاتجاهات التى كانت فيها

(طريقة مغطسة الصلب بالتيارات الكهربائية) قد بين العالم امبير طريقة لتضعيف التأثير الذى ينتج من تأثير التيار على قضيب من الصلب وهي أن يلف سلك من النحاس لفا حلزونيا على أنبوبة من الزجاج يوضع داخلها القضيب المراد مغطسته ثم يمرر تيار كهربائي في ذلك السلك فيشاهد بعد برهة ان القضيب يكتسب تمغطسا قويا واتجاه ذلك التمغطس يتعلق باتجاه ذلك التيار

و بالاتجاه الذى يلف فيه السلك المدني علي الانبوبة الزجاجية وعلي كل حال فانه بتطبيق قاعدة امبير يمكن أن يعين بادىء بدء طرف القضيب الذى يتكون فيه قطب جنوبي

(في المغناطيس الكهربائي) مما تقدم يرى انه اذا وضع قضيب من الحديد المطاوع داخل ملف ملفوف حوله سلك من النحاس لفا حلزونيا ومغطي بالحرير فانه يصير مغناطيسيا مدة مرور التيار في السلك الذى حوله ويعود الي الحالة الطبيعية متى انقطع ذلك التيار وهذا هو اساس المغناطيس الكهربائي

عند ما يكون المراد عمل مغناطيس كهربائي معد لجذب قطعة من الحديد المطاوع وذى قوة عظيمة يستحسن أن يعطي لقطعة من الحديد المطاوع التي تتمغنطس بالتيار شكل نعل فرس يوضع فرعاه في ملفين ملفوف عليهما لفا حلزونيا سلك واحد من النحاس مغطي بالحرير وبما أنه يجب أن يكون تأثير الملفين علي فرعي نعل الفرس في اتجاه واحد وجب أن يكون السلك ملفوفا عليهما بحيث أنه اذا فرض نعل الفرس ممدوداً والملفان موضوعان أحدهما فوق الآخر تكون لفات أحد الحلزونين علي امتداد لفات الحلزون الثاني

فمتى مر تيار في سلك هذا المغناطيس يرى انه يمكنه جذب قطعة من الحديد المطاوع حاملة لثقل عظيم ومتى قطع التيار يشاهد انفصال هذه القطعة في الحال

(في الجرس الكهربائي) ان أشهر تطبيق للمغناطيس الكهربائي هو الجرس الكهربائي وهو يتركب من مغناطيس كهربائي علي شكل نعل الفرس مثبت علي لوحة من الخشب ويوجد امام فرعيه قطعة من الحديد المطاوع مثبتة من أحد طرفيها بواسطة صفيحة مرنة من الصلب في زر وطرفها الآخر حامل لقضيب ذى مطرقة معدة للطرق علي ناقوس صغير وقطعة الحديد تكون وقت ثباتها بعيدة قليلا عن فرعي المغناطيس الكهربائي ومتكئة علي قطعة معدنية متصلة ببريمة ضغط ، والزر الحامل لقطعة الحديد المطاوع متصل بأحد طرفي ذلك المغناطيس الكهربائي . اما الطرف الآخر لهذا السلك فتصل ببريمة الضغط المقابلة للبريمة

الاولي

فاذا أوصل قطبا عمود كهربائي ببريمتي الضغط مر التيار من قطعة الحديد المطاوع الي المطرقة ومنها الي سلك المغناطيس الكهربائي فيتمغنطس عند ذلك حديد هذا المغناطيس ويجذب قطعة الحديد نحوه فتبعد حينئذ هذه القطعة عن قطعة الحديد المطاوع فينقطع التيار وبذلك يعود المغناطيس الكهربائي الي الحالة الطبيعية وترجع قطعة الحديد الي وضعها الاول لأنها مثبتة في صفيحة مرنة وعند ذلك يمر التيار ثانية ويجذب تلك الحديدة مرة أخرى وهكذا ما دام التيار ماراً

فمن الواضح ان كل حركة من حركات هذه القطعة تولد طرقة من المطرقة علي الناقوس (أخذناه بتصرف من كتاب الطبيعة للعلامة اسماعيل باشا حسنين)

(الخواص الصحية والعلاجية للمغناطيس) كانت الامم القديمة تعرف خواص المغناطيس فنسبوا له تأثيرات علاجية كثيرة وعلقوا عليه وساوس كثيرة وأوهاما عديدة فاستعمله الناس قديما تمائم وطلاسم ولا يوجد أثر لاستعماله استعمالا معقولا في القرون الاولي من الميلاد المسيحي

فذكر جالينوس انه لو استعمل من الداخل كان مفرغا للماء ومسهلا

واعتبره ديسقوريدس عظيم النفع لاستفراغ السوداء

ويرى ابن سينا ان له سلطانا علي أمراض الطحال

كان المغناطيس يستعمل مسحوقا من الباطن ولكن سحقه يبطل خاصته المغناطيسية فلا يكون حينئذ الا كاكسيد حديدى

وكان أبقراط يأمر به من الباطن مع جواهر أخرى علاجا للعقم

وذكر بلنياس ان جميع أنواعه نافعة في أمراض الاعين ولا سيما التدمع وانه اذا كلس وأحيل الى مسحوق أبرأ الحروق

وذكر ابن سينا ان درهما منه يضاد التسمم بالحديد الذى كان يظن انه سام

وقد اعتبر في القرون التالية لعصر ابن سينا سما وهو خطأ

وقال آخرون انه مضاد السم لاحم الجروح وان خواصه عظيمة الغاية

ومنهم من نسب له خواص مقوية ومفتحة السدد فكانوا يعطونه الذلك مسحوقاً مجتمعاً مع العطريات والكبريت بمقدار خمس قمحات مرتين في اليوم في أحوال الذبول والنحول والاستسقاء

وقال العرب انه ينفع في النقرس ووجع المفاصل والنسا والحصا وغيرها

وقال العلامة (تروسو) الفرنسي من المحقق ان أملاح الحديد وأكاسيده حاصلة بأعلى درجة على الخواص التى نسبها ديسقوريدس وجالينوس وابن سينا المغناطيس

وقال فلوجيل ان القدماء كانوا يستعملون المغناطيس كثيراً لشفاء بعض الامراض التي نعالجها الآن مع النجاح بالمستحضرات الحديدية فاننا نعلم الآن مايفعله الحديد في بعض الاستسقاءات وفي دور نقاهة الحميات المتقطعة المصاحبة لذهاب لون المنسوجات وضخامة الطحال وأما مارآه ديسقوريدس فيما يتعلق بالسوداء فقد شرعنا في فهم سببه وذلك اننا بالبحث مدة طويلة في المعالجات الحديدية اتضح لنا ان هذا المعدن اذا استعمل بأى شكل كان يلون البراز بلون أسود كلون الحبر

« ومع ذلك فالاستعمال الظاهر المغناطيس كان هو المتسلط وحده لان من الاطباء مانسب له كما نسب الحديد خواص سامة قوية الفعل . وفي القرن الرابع جربه مرصليون فوضع في العنق حجارة المغناطيس لتسكين أوجاع الرأس

« ثم أمر اينوس فيما بعد المصابين بالنقرس والارجاع الروماتيزمية وأوجاع البدن والرجلين بأن يمسكوا في أيديهم حجارة المغناطيس

« ولكن في عهد القرون الوسطي لم يستعمل هذا الدواء غير الدجالين والروحانيين وأمثالهم

« وحوالى القرن السابع عشر سنة (١٦٠٦) جربه بوابر مع بعض الفلاسفة لشفاء أوجاع الاسنان وأوجاع العينين والاذنين

« وذكر أيضاً انه يسكن الاحتقان الهستيرى بأن يوضع في عنق المرأة قطعة منه وبعد ذلك بقليل سنة (١٦١٦)

كتب في بعض المؤلفات الالمانية ان امرأة مصابة بالسكتة حصل لها تخفيف واضح بوضعها حجراً مغناطيسيا خلف القفا وأكياسا صغيرة مملوءة ببرادة الحديد على العينين

ثم في سنة (١٧٦٣) تكلم المؤلفون الحوادث العلمية على المغناطيس مع ذلك نشر هلمان سنة (١٧٠٠) رسالة بحث في الادوية المضادة لوجع السنى وذكر من جملتها المغناطيس واشتهرت أيضا مشاهدات منزلة في بعض التجارب الطبية سنة (١٧٢٦) ثم في سنة (١٧٦٣) كان الراهب لونوبل مشتغلا بالطبيعة التجريبية بتعقل ونجاح فاخترع مغناطيسات صناعية واصطنع قضبانا وبطريات من الفولاذ المغنطس كان لها صيت عظيم مدة ١٢ سنة وأحدث بها شفاءات عجيبة عدت كأمور خارقة العادة في معظم أوجاع الاسنان وأكد كلاريش طبيب ملك الانجليز بالتجربة النتائج التى نالها لونوبل

« ووسع مجال تلك المداواة وبير والدريج وغيرهما في أمراض عصبية ولكن مع نجاح مبهم على الاقل

« وبالجملة حصلت مناقشات طويلة من جميع الجهات في المغناطيس ثم اتفقوا جميعاً على أن وضع القضبان أو البطريات المغنطسة أو حجر المغناطيس نفسه يسكن أو يبرىء أحياناً وجع الاسنان ويمكن أن يقبل أيضاً الفعل الجيد الذى استخرجه من الخواص الطبيعية للمغناطيس الطبيب المشهور مودجاني وقبله فبر بس وكركرنيوس مع نجاح عظيم

« وهو أن تستخرج به الاجزاء الحديدية التى نفذت في سمك القرنية

« وأما الامور الخارجة عن طور العقل كالصوقات المغنطسة التى وصفها الكيماويون الذين وجدوا في القرون الوسطي على أجزاء مختلفة من الجسم اما لشفاء الجروح واما لجذب السهام والنصول التى بقيت في أعماق الجروح فيجب عدم قبولها

« ومن العقل أن يشك في شفاء النقرس والسرطانات والفتوق ونحو ذلك مما بالغ في الاهتمام به المتعصبون للمغناطيس وشهرته العامة

« هذه على وجه التقريب حالة العالم في

تلك الازمنة الي أن نبغ هيـل الفلـكي الكبير بمدينة فينا فاخترع الدعائم المغنطسة أى الصفحات المغناطيسية المكونة من قطعتين أو جملة قطع توافق شكل الاعضاء التى توضع عليها

« وانتشر ذلك الاختراع بسرعة في السنة التى بعدها بواسطة (مسمير) في بلاد الالمان والراهب (لنو بل) في فرنسا فاستعملاهذا التداوى بالدعائم المغناطيسية بغيرة العامية وربما كان الوثوق الدينى بها أكثر من الخواص التى يخشي الطبيب العاقل من الاقرار عليها ، وتأثير الكيفية والحالة يبين علي ذلك اعانة جليلة وفى ذلك الزمن صارت شهرة الخاصة المغناطيسية المعدنية أعظم من شهرة المغناطيسية الحيوانية التي اشتهرت بعد ذلك ببضع سنين

وانما الفرق بين (هيل) و (لونو بل) و (مسمير) هو ان الاولين كان عندهما معارف طبيعية حقيقية فانجذبا باضطراب العامة حتي وصلا الي أهلي الاستنتاجات الصحيحة التي حصلتها لهم المشاهدات وكانت معارف (مسمير) مخلوطة بتصورات طبيعية خارجة عن العقل وخرافات فلكية مما كان متسلطا علي العقل فى القرن الخامس عشر فاستعمل سخريات معيبة عنـده أى المغناطيسية الحيوانيـة ليفهم انها واسطة من وسائط العلاج ولم تسقط تلك الواسطة فى الحول الا بسبب المبالغات الكاذبة التى بسببها أريد بقاؤها كما قال بعض الاطباء ممن عرفناهم مثل (تروسو)

(دائرة المعارف) نقول اننا ننقل ما قاله فوجيل علي علاته مترجماً بقلم الطبيب المصرى المشهور الرشيدى في مادته الطبيـة ولكن نرجو القارىء أن لايـنتهو به نسبته الى (مسمير) المبالغات الكاذبة

فان العلماء في عصر مسمير عدوا مشاهداته في المغناطيس الحيواني مبالغات كاذبة لانها كانت مشاهدات روحانيـة تنقض لهم نواميس الطبيعة التى اصطلحوا علي وضعها واستمر العلماء يعتبرون (مسمير) هذا مبالغا حتى جاء علم استحضار الارواح سنة (١٨٤٦) فأثبت أن مسمير كان علي الحق وان ما قاله وُعد عليه من المبالغات الكاذبة لا يُعد شيئا مما أثبته كبار العلماء الطبيعيين اليوم من

مشاهدات هي استحضار الارواح المرتبطة تمام الارتباط مع مباحث المغناطيس الحيواني كما سيمر بك . والذى علينا الآن أن نتابع نقل ترجمة فوجيل الي آخرها ونأتي علي كل ما ورد في هـذا الباب من آراء الموافقين والمخالفين ثم نكتب رأينا في ذلك في كلمة نوم مغناطيسى

قال فوجيل بعد ما مر : « ومع هذا فقد شـهر جماعة من الاطبـاء رأى مسمير بعـد أن نوهوه بعض التنويع وأيدوا آراءهم بأمور واقعية لايطن دائما وقوعها

« فقد ذكروا شفاء أشخاص مصابين بالاعتقال والتشنجات والشلل والاوجاع الروماتزمية ونحو ذلك باستعمال المغناطيس ولكن اذا تليت تلك المشاهدات تحقق أن منهم من كانت معارفه الطبية غـير كاملة مع ايهام المرضي الذين كانوا تحت نظرهم

« وقـد ألف لونو بل الذى كان في الغالب يعتقد في خاصـة الصفحات المغنطسة رسالة سنة (١٧٧٢) في اعماله الطبيعية والعلاجية وقدمها للمجمع الملكي الطبي بباريس و رأى أهـل المجمع أن يبادروا الي تحقيق هذا العلاج الممدوح جداً عند العامة تحقيقاً لا ريب فيه فكلفوا الطبيبين اندريه وتوريت اللذين كانا من أهل الثقة والصدق الطبى وجودة النظر وجميع الصفات الجيدة بأن يبيدا تجربات لنو بل وان يعملا بانفسهما تجربات عديدة فعمل هذان العالمان ما أمرا به وشرحا أعمالهما في رسالة تدل علي شرف عقولها الفلسفية وأمكنهم أن يؤكدوا تأكيداً غير مبهم شـفاء الاوجاع العصبيـة والشقيقة والوخزات المؤلمة والاوجاع الروماتزمية والآلام المعدية والشلل الاختناقي أى شلل اختناق الرحم . وكانت نتيجة هذه الرسالة هي ارجاع دعاوى المغناطيسيين الي اعتبارها الصحيح وتحرير الاحوال التى قد يكون هذا المغناطيس فيها واسطة للشفاء أو بالاقل يكون سـلاحاً علاجياً لا ينبغي اهماله اذا لم تنجح المعالجات الاعتيادية

« ومن حينئذ تأكد عند كثير من افاضل الاطباء من جميع الجهات مثل مارسلان ولاهنك والبير وشوميل وريكمبير وهاليه وغيرهم حقية أكثر

المشاهدات التى شهرها اندريه وتوريت »

« قال تروسو ونحن قد استعملنا أحيانا هذا المغناطيس وتيسر لنا أن نحقق أن هذا الجوهر العلاجي يؤثر علي العضو الذى يلامسه تأثيراً لا يمكن أن ينسب لتخيلات المرضي فقط فقد شاهدنا أوجاعا عصبية تنوعت ونوبا من عسر التنفس العصبي وقفت سريعاً وغير ذلك

« فنحن بدون أن ندخل في إيضاحات غير ضرورية العمل وغير مهمة نقتصر علي أن نبين أولا كيفية وضع المغناطيس وثانيا النتائج الفزيولوجية لهذا الوضع ، ونحيل ذكر النتائج العلاجية للمغناطيس علي ما سبق لنا ذكره وننهي هذا البحث بمستنتجات مختصرة

(كيفية وضع الدعائم الممغطسة)

يستعمل كما هو معلوم لاجل تكوين الدعائم جملة قطع من الفولاذ الممغطس تتوافق بالضبط علي شكل الاعضاء وأطرافها مثقوبة بثقوب معدة لكى بواسطتها تتعلق القطع بعضها ببعض أى أنها مؤلفة من قطع ممغطسة أو أقراص معوجة أو مستطيلة أو علي شكل عنيق أو حزام او شريط أو غير ذلك تختلف في الشكل والعدد والاقطار.

وهناك احتراس ينبغي مراعاته اذا وضعت وهو معارضة قطب لقطب بحيث يلتفت القطب الجنوبي للقطب الشمالي ولاجل الانتباه تتبين الاقطاب بأن يرقم بالنحت علي الصفحات حرف ج وحرف ش ويحفظ الشكل بشريط حرير أو خيط ثم يغطي بلفافة أو رباط يحيط بالعضو . وبالجملة يكون وضع قطعة المغناطيس كما قال هاليه بحيث تؤثر قطعة في أخرى ماراً تأثيرها علي الجزء المتألم ، وذلك هو ما يفعل في العادة اذا أريد وضع جملة قطع حول عضو وكان ذلك أيضا هو مقصود بعض الاطباء الذين يأمرون المريض بازدراد برادة الحديد ثم يضعون المغناطيس علي جزء من البطن

« وكذا مقصود من عالج السكتة (وهي ظلمة في البصر أو جرب وحرقة فيه أوهي حمرة في الاجفان) بوضع مغناطيس قوى علي القفا وأكياس مملوءة ببرادة الحديد علي الاعين فاذا لم يشغل الالم الا محلا واحداً تحتاج الدعامة لأن تتركب من قطعتين . فلأجل شفاء ألم عصبي صدغي يوضع أحد الاقراص علي الصدغ المتألم والآخر علي الجهة المقابلة لها بل يكفي أحياناً اذا كان الالم قوياً محدوداً وضع قرص واحد. وكذا يكفي أن يوضع مجرد قضيب ممغطس علي السن المسوس يمكن أن يزول ألمه

أما اذا كان الالم شاغلا لجميع طول طرف كما في عرق النسا فانه يجب أن توضع ٣ أزواج أو ٤ من المغناطيس في ارتفاعات مختلفة فاذا أريد شفاء ضيق النفس المصاحب لخفقانات القلب يحاط الصدر بمنطقة مرتبة من أربع قطع علي الاقل ومثل ذلك أيضاً اذا أريد مقاومة وجع شاقل لجميع الرأس أو لسلك طرف من الاطراف ومقدار الزمن الذى تحمل فيه الدعائم الممغطسة يختلف باختلاف شدة المرض الذى عولج بهذه الواسطة . ففي أحوال الاوجاع الروماتيزمية والآلام العصبية كثيراً ما يضطر لان يمسك المغناطيس موضوعا مدة أسابيع بل جملة أشهر. فاذا كان الداء متقطعاً لزم أن يكون التداوى كذلك

« قال تروسو : ولما نجح معنا في تسكين نوب الارطوبنيه أى التنفس الانتصابي تسكيناً وقتياً اذا كان يأتي مرة في كل شهر وذلك بأن يحمل المريض في الليل قرصين ممغطسين حول عنقه فاذا اضطر لابقاء الدعائم أكثر من ٢٥ يوماً ملامسة الجلد كان من المناسب تنظيفها ثم مغطستها فبدون ذلك الاحتراس تفقد جميع خواصها ولكن من حيث أن التأكسد هو السبب المضعف الخاصة المغناطيسية لزيادة التحرس منه يغطي الوجه الباطن للدعائم بورقة من الفضة والبلاتين وليس يلزم دائما أن يستخدم مغاطيسان حتى ولو أريد اثالة تيار مغناطيسي ينفذ من الاعضاء فلذلك توضع أكياس من برادة الحديد في الجهة المقابلة للمغناطيس فتنال من ذلك نتائج ثمينة عظيمة وان كانت أقل تأثيراً من النتائج التى تحصل من الدعائم

(النتائج الفزيولوجية لوضع المغناطيس) وضع دعامة ممغطسة لا ينتج في العادة نتيجة محسوسة . قال تروسو وقد تيسر لنا تأكيد ذلك كثيراً ومع ذلك فقد يتفق عندما تكون درجة حرارة قطع الجهاز مساوية لحرارة الجسم

أن يحصل في محل الملامسة حكة تولد أكلانا فحينئذ يصير أكثر حرارة وأشد احتقانا وينطي ببرق بحيث يؤكد الفولاذ في بضعة أيام بل احيانا في خمس ساعات أوست ساعات

«ومن المظنم الاعتبار ،اشاهده اندريه وتوريب واكده غيرهما وهو أن التأكد لايحصل اذا لم ينتج من ملامسة الدعامة نقص للالم ولا للاحساس المتاد الذى ذكرناه

«فاذا بقيت القطع الممغنطة زمناً طويلا انتهي حالما أن تسبب في الجلد اندفاعاً حوصلياً (اكزيما بسيطة) يظهر غالباً تحت الدعامة نفسها وأحيانا يبعد عن المحل الموضوعة عليه بمسافة ما. وبعض المرضي يشكو ايضاً من احساسات من نوع آخر فيرى شرر الامعاء او يحصل له طنين في الآذان اذا كانت الدعامة موضوعة. وشاهد اندريه وتوريت اسهالات شديدة تحرضت مع وضع جملة مناطيس علي هيئة حزام

«وقال تروسو : ونحن أيضاً وضعنا يوماقرصاممغنطاً في التقعير المعدى لامرأة وقرصاً آخر في المحل المقابل له من الظهر بقصد شفاء وجع تحس به المرأة فحرضنا بتلك الواسطة غمراً قويا في المعصم فكانت نتيجة ذلك هوجا كابدته المرأة مدة حياتها .وتلك الظاهرات تسمح لنا بان نجزم بصحة ما قاله المؤلفون من الظاهرات العصبية التى تحصل احياناًمن وضع الدعائم

«وقال ميريه : تختلف كثيراً النتائج المحسوسة لوضع المغناطيس وكانوا ينسبون ذلك لاسباب مختلفة فتارة تظهر حالا بعدالسكون الفجائي للآلام وذهاب التقلصات وغير ذلك وتارة تتأخر عن ذلك ففي الحالة الاولي قد يزول الداء ثم يظهر طوراً طوراً علي حسب وضع المغناطيس او ازالته ،وقد لا يحصل ذلك وفي بعض الاحوال يغير الداء محله او يتنوع .واحياناً يقاوم المغناطيس الخفيف ثم ينقاد للقوى .واحيانا لا نشاهد ظاهرة محسوسة .واحياناً أخر لاتنقص العوارض وانما يظهر انها زادت من المغناطيس ولكن ذلك نادر .وقد تظهر ظاهرات جديدة واحساسات شاقة كالحركات والتقلص والنشي والوخز والاكلان وغيرها ويزول ذلك اذا ازيل وضع

المغناطيس»

(النتائج العلاجية لوضع المغناطيس)

لم يبق علينا الاكلام عن النتائج العلاجية لوضع المغناطيس بعد النتائج التى ذكرناها سابقا فقد نتج من التجريبات المفعولة بسلامة قلب ونية أن المغناطيس لاينجح في الحقيقة الافي الآفات والاوجاع العصبية والامراض الروماتزمية،وان هذه الواسطة لاتستعمل عموماً الا اذا لم تنفع جميع الوسائط التى تنجح فى العادة ومع ذلك تنتج في بعض الاشخاص نتائج أنفع وأسرع من الوسائط الاخر ، والتحليل المختص ببعض الامور الواقعية كاف لتصور الاحوال الخاصة التى لايمكن ان تستعمل فيها هذه الواسطة مع المنفعة

(فأولا) في الامراض العصبية كالذبحة الصدرية أى الخناق الصدرى وضيق النفس العصبى والنقص الانتصابي المنتظم (أو رطوبنيه) والخفقان والهستريا أى اختناق الرحم

«فقد اتفق ان امرأة مصابة بخناق الصدر وكانت نوبه تتزايدمتقاربة تقاربا هائلا مع تزايد الالم

«ومنذ ثمانية أيام كانت النوب كأنها مهددة بفقد حياة المريضة كل لحظة

«فبعد تجربة جملة وسائط العلاج المسكن وعدم حصول تخفيف منها حتى ولا من وضع ايدروكاورات علي حراريق موضوعة علي طول أعصاب الذراع وعلي قسم القلب أوصاها (لبربتون) باستعمال المغناطيس فوضع لها دعامة مركبة من قطعتين علي الصدر ووضع قرصاعلي قسم القلب وقرصاً آخر من الخلف علي القسم المقابل فحصل التخفيف حالا ولكن مضى علي المريضة عشرون يوما بدون نجاح ومن ذلك الحين كان يحصل لها تزايدات قليلة الشدة فاتضح أن خناق الصدر لم يشف وانما نوع المغناطيس نوبها أحسن مما يحصل عليه بالوسائط الاخرى

«ومن الامور الهامة أن تنبه الي أن القرص المستند علي القسم القلبي يتأكد سريعا وان الجلد يتغطي بدماميل صغيرة كثيرة كاعلت

«وهناك أمر والمي شبيه بذلك ذكر في رسالة أندريه وتوليت

«وأوصي (لاحنك) بالمغناطيس في علاج خناق الصدر وشاهد ان هذا الفاعل العلاجي كثيراً مايسكن أو علي

الاقل أن بنوع الاوجاع التسببة عن هذا الداء الهائل . والنجاح الذى ناله أيضاً في الفواق التقلصي كان أيضاً واضحا

« واستعمل في هذا العصر الاخير (مرجولين) و (ويكبير) و (مرسلين) و (لاهنك) وغيرهم الدعائم الممغطسة مع النجاح في عسر التنفس الانتصابي العصبي

« قال تروسو : وتيسر لنا الحصول علي مثالين يدلان علي أن المغناطيس لا يبرىء هذه الداآت وانما ينوع شدتها علي الاقل . وذلك انه اتفق أن شابا عمره ٢٠ سنة كان مكدراً منذ ثمان سنين بخناق منقطع يأتي في الليل فقط ، ولا يوجد عند هذا الشاب آفة تشاهد في الرئة ولا في القلب . فبعد أن استعمل الحمامات ومضادات التشنج والمخدرات والحراريق والحمصات والمسهلات والافصاد والعلق وغير ذلك بدون منفعة التجأنا لوضع دعامة ممغطسة فوضعت احدى قطعتيها أمام الحنجرة والاخرى علي القفا وكانتا لا تحفظان علي الجلد الا مدة الليل فر علي الشخص أسبوعان لم يحصل له فيهما نوبة ثم ظهر الداء بشدة

« ولما أكسدت الاقراص ممغطسناها ثانية لحصل منها أيضاً تخفيف عظيم كالمرة الاولي ثم لم يحصل بعد ذلك من هذا التداوى نفع أصلا

« فالتجأنا لاوراق الداتورة وأمرنا المريض باستنشاق دخانها فنجحت هذه الوسيلة البسيطة نجاحاً تاماً بحيث أن المريض الذى كان لا يقدر علي الاضطجاع علي الجانب منذ ستة أشهر لم تحصل له نوبة شديدة واحدة في جملة سنين

« واتفق لعالم ماهر من أصحابنا من أرباب الشرائع ومن المحامين بباريز انه حصل له تخفيف أيضا بوضع دعامة ممغطسة مع ضيق نفس ومع ذلك رجع له مع دوام استعماله تلك الواسطة

« وهناك أمور واقعية ذكرها (أوزير) و (ديمان) و (هرسو) تدل علي شدة فعل المغناطيس في الهستريا ولكن نظير ذلك ما يذكرونه من الشفاء الخارق للعادة الذى يحصل للنساء المصابات بهذا الداء من المكث في الجبانات عند المقابر

« فهذا شيء يحوجنا للتشكك في

القصص والاخبار المتعلقة بالنساء والمستربات

« وكذلك ماذكره كثيرون بوثوق من كثرة الشفاء من الصداع مثل (لنوبل) و (مسمير) و (ديمان) و (هرسو) و (اندريه) و (توريت) و (غيرهم) مع ان أكثر الامور الواقعية التى ذكروها لم يحقق جيداً فيها التشخيص الاختلافي بين هذا الداء الهائل والآفات الاخر التشخيصية بل لم يؤكد ذلك في الحالة التى تنوع فيها مدة استعمال المغناطيس لان تجارب (اسكيرول) لم يثبت منها ثبوتا كافيا بأى علاج كان نقص كثرة نشبات الصرع وتقلها أحياناً مدة أشهر

(ثانياً) في الاوجاع العصبية . أكثر استعمال الدعائم المغناطيسية مع النجاح غير المشكوك فيه هو في الاوجاع العصبية الحقيقية والتجارب التى فعلها في أيامنا هذه (مرجولين) و (ابريتون) و (البير) و (هرتلوب) وغيرهم تؤكد تأكيداً قوياً مستنتجات رسالة اندريه وتوريت فان هذين الاخيرين ذكرا من أمثلتهما الغريبة قصة مريض كان معه منذ سنين ورض عصبي في الزوج الخامس سبب له أوجاعا شديدة مع تشنجات في عضلات الوجه فوضعت له الاقراص الممغطسة فتخدرت حالا حساسية الاعصاب وبدوام هذا العلاج انتهي الحال بحصول شفاء وقتي فقط فان النوب ظهرت ثانية وسكنت شدتها بالمغناطيس ففي الحقيقة لا تكون هذه الواسطة العلاجية الا مسكنة

ومدحوا المغناطيس كثيراً لمضادة الوجع السني ولكن هذه الحالة من الاحوال التى يعسر أن يؤكد فيها هل كانت آلام الاسنان وقتية كما هو الغالب بحيث يعسر أن يجزم بكون الداء شفي بنفسه أو زال بتأثير التداوى

ومع ذلك فهناك أحوال كثيرة تكون فيها فروع الزوج الخامس المتوزعة في الاسنان محلاً لوجع عصبي منقطع أو مستديم تطول مدته جملة أشهر

« فقد ذكر اندريه وتوريت قصة شخص كان معه وجع في الاسنان من النوع المذكور ولم يحصل له تخفيف الا بوضع قضيب من حديد ممغطس علي السن المتألم ويجب ادامة ذلك الوضع مدة من دقائق الي ٥ بل أكثر الي ربع ساعة

« ووسائل (كلاريك) وغيره ممن يكتبون علي المغناطيس بأمور واقعية تثبت خاصة مضادة الوجع الحسي في المغناطيس الطبيعي والقضبان الممغطسة والدعائم

« وأبرأ الطبيب ابرتون وجاعصبيا رحيا شاقا جداً بوضع ٣ أقراص ممغطسة أحدها علي جبل الزهرة والآخران علي الاربيتين

« مع ان ذلك الوجع النبر المصحوب بعلامة التهاب في الرحم قاوم الافصاد الموضعية والعامة والحمامات المرخية والمستحضرات المخدرة وغير ذلك

و (ثالثا) في الاوجاع الروماتيزمية هذه الاوجاع مها كان محلها عولجت في بعض الاحوال مع المنفعة بالمغناطيس والذين كتبوا في هذا البحث ذكروا أموراً واقعية ولكنها لاتخلو من شيء من الغلو وذلك انه يلزم أن لايقطع النظر من أمور كعدم تأكد مدة الوجع الروماتيزمي والتأثيرات الصحية الجديدة التي عرضت لها المرضي والاحوال الجوية التي قد تنوع سير الآفة ولذلك لاتقبل جميع المستنتجات التي استنتجها المؤلفون الذين سبق ذكرهم فانهم ذكروا انه يحصل منه دائما شفاء غير منازع فيه مع ان هذا الشفاء وقتي يقينا كما هو في معظم أحوال الاوجاع الروماتيزمية

ومن أمثلة ذلك قصة رئيس من كبار الحربيين بفرنسا اشتهرت في أيامنا هذه حالته المحزنة حيث لم يحصل لاوجاعه الروماتيزمية تخفيف الا من وضع الدعائم الممغطسة (أخذناه من المادة الطبية بذمرف)

***

(المغناطيسية الحيوانية) هي قوة خاصة بالانسان شبيهة بالقوة المغناطيسية التي في حجر المغناطيس قيل أنها تنتقل من شخص الي شخص ويحدث بسبب ذلك نوم يكون فيه تحت ارادة ممغطسه . وهذا هو المعبر عنه بالنوم المغناطيسي وقد أشبعنا الكلام في هذه المادة في كلمة نوم فليرجع اليها من شاء

﴿ مغنسيوم ﴾ أنظر مانيزيوم

﴿ المغنوليا ﴾ وقد يسمي بالمغنوليا الازرق ومغنوليا المستنقعات وشجر الكستور أي الجندبادستر واسمه النباتي مغنوليا غلوكا واسمه آت من اسم عالم نباتي يدعي مغنول كان موجوداً في القرن السابع عشر

عرف لهذا النبات الآن نحو ١٨ نوعا والنوع المذكور هنا هو الاكثر وجوداً ببساتين أوربا وهو شجر صغير جميل المنظر مفرح يعلو من ٥ الي ٢٠ قدماً أوراقه متعاقبة ذنيبية بيضية بالعرض كاملة خالية من الزغب خضر زاهية من الاعلي ومغبرة بالكلية من وجهها السفلي وأزهارها بيض وتتصاعد منها رائحة ذكية جداً لها شبه بزهر البرتقال وثمارها تبلغ من قيراط الى قيراط ونصف

وهذا النبات ينبت بالمحال الرطبة من جزائر كارولين وجبنى وغيرهما وحمل الي اوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وهو الآن يكثر في البساتين ولكنه صار بالتربية شجيرة كثيرة التفرع تعلو من ٦ أقدام الي ١٠ والمستعمل قشره الذي هو من عطرى يسمي أحيانا بكينا وورجينى فهو مقو مضاد للحمي ويقرب من قشر العنبر و من القرفة بسبب أوصافه الحارة والمنبهة والمعرقة يعطي في الولايات المتحدة الامريكية مع نجاح عظيم في

الاوجاع الروماتيزمية المزمنة وفي الحميات المتقطعة والمترددة ومكثوا مدة طويلة يعتبرونه قشراً للانجستور الحقيقي قبل أن يعرف

من أنواع هذا الجنس ما يسمي بالمغنوليا الكبير الازهار وهو أجمل أنواع هذا الجنس العظيمة الاعتبار بأمريكا الشمالية بسبب جمال أزهاره الكبير الزكية الرائحة وأوراقه اللامعة الثخينة الخضراء الجميلة من الاعلي والحديدية اللون من الاسفل ينبت بأمريكا من كارولين الي لويزيان وهو شجر يعلو من ٦٠ الي ٨٠ قدما وجذعه قائم اسطواني ينتهي بهرم جميل مخضر وفروعه احاطية وأوراقه متتابعة ذوات ذنيب وطولها من ٨ قراريط الى ١٠ وعرضها ٣ بالتقريب وهي بيضية بالعرض كاملة منتهية بطرف دقيق جلدية القمة خضر لامعة من الاعلي وقطنية حديدية اللون من الاسفل ، والاذينات قطنية ولونها زعفراني حديدى وأزهارها انتهائية بيض تنتشر منها رائحة غاية في الذكاء

وقد دخل هذا الشجر الجميل في بساتين أوربا من زمن طويل وقد

تستعمل بزور هذا الشجر في المكسيك النجاح علاجا للشلل

ومن أنواعه مايسمي مغنوليا قومنانا أى المنتهي بطرف حاد يوجد بأمريكا الشمالية ، أزهاره بيض كبيرة تقرب من أزهار مغنوليا غلوكا وقد يضرب لونها الي الزرقة تنقع هنالك في النبيذ فتجعله ذا مرارة عظيمة فيستعمل منه كوب أو أكواب في الصباح كحافظ من الحميات المتقطعة والآفات الروماتيزمية

ومن أنواعه مغنوليا يولان وهو نوع جميل اصله من الصين ويبلغ طوله هناك من ٤٠ الي ٦٠ قدما أزهاره بيضاء كبيرة شديدة الرائحة يحفظه الصينيون من البرد في بيوت الحصول على أزهاره في جميع الفصول ويربون أزرار أزهاره قبل نموها بالخل وتوضع ازهاره في الشاي لاجل تعطيره ويعطون منقوع ثماره في الآفات النزلية لاجل تلطيف السعال وتسهيل النفث ومسحوقها معطس وبزوره المرة كاغلب بزور النباتات المغنولية تستعمل مضادة للحمي

﴿المقدونس﴾ هو نبات مشهور جذره معمر عودى أبيض بسيط وساقه قائمة اسطوانية ومحززة زغبية متفرعة قليلا وأوراقه جذريه ذنيبية ريشية منتهية بفرد وريقاته عادمة الذنيب تقرب الشكل القلبي محفوفة الزاوية مسننة عادمة الزغب والاوراق وساقه وريقاتها أطول ومقطعة وأوراق الجزء العلوى كاملة تقرب الخيطية والازهار بيض وعلي هيئة خيمات عارية كالخويمات الصغيرة مركبة من أشعة عددها من ١٢ الى ١٥ تلتوى الي الاعلي والثمر بيضى أملس عادم الزغب منضغط قليلا ومحزز

هذا النوع كثير الوجود جداً في المحال المخضرة اليابسة وعلي طول الطرق في الغابات ويزهر في أواخر الصيف والمستعمل في الطب جذره وهو أبيض رائحته قوية وطعمه مر

وقد وجد فيه بالتحليل الكيماوى دهن أثيرى ودقيق وزلال وسكر متبلور وسكر سائل وراتينج ومادة خلاصية وزيت شحمى وحمض خلي وحمض جاوى وحمض تفاحي وكثير من الجوهر الخشبي فالجزء الفعال فيه هو الدهن الاثيرى

ويقال انه قابض مقو مشدد للمعدة وأوصوا به لاجل أن يزيل من الفم

طعمها الكريه . ويستعمل كالنبات كله والبزور علاجا للالتهاب النخامي وبحة الصوت والذبحة المخاطية وشلل الاسنان اذا مضغ

من أنواعه جنس يسمى بمبنيلا مجنا أى الكبير ينبت بالغابات الرطبة من أوربا ويحمل أزهاراً بيضاء أو وردية في صنف ينبت بجبال الالب وجذره يكون مسوداً اذا كان رطباً ويحتوى علي عصارة زرقاء تلون بالكحول

وقد حلل بعضهم هذا الجذر المنبه المستعمل في الطب البيطرى فوجد تركيبه مشابهاً لتركيب النوع السابق وهو يدخل في الماء العام وشراب الخطمية المركب وشراب القونصود الكبير وغير ذلك

وقد شوهد عليه نوع قرمز يحصل منه لون أحمر جميل وهذان النوعان تحب المعز الجبلية أن تأكلها لا بسبب رائحتهما فانهما يكادان يكونان بلا رائحة

النوع الاول منهما جذره أبيض والثاني جذره أسمر وكل منهما أبيض الزهر جذرهما معمر ومفتح ولاحم الجروح ومفتت الحصي ومنظف ومعرق يستعمل من تلك الجذور غرام من مسحوقها و٨ غرامات من منقوعها

(جذور المقدونس) يسمى نبات الكرفس الجبلي أو الصخرى . هو أبيض مخروطي فيه تفرع وغلظه كغلظ الخنصر تعلوه ساق اسطوانية بسيطة من الاسفل ارتفاعها من قدم ونصف الى قدمين أوراقها مقطعة ووريقاتها مشققة الى فصول حادة تشققا عميقا وأزهاره صغيرة بصفرة وثمارها بيضية فيها طول وخطوط مستطيلة تكاد لا تشاهد

هذا النبات سنوى أو ذو سنتين ينبت في المحال التى فيها عقم رائحة هذا النبات قوية خاصة به ولا سيما اذا دق وبزوره شديد العطرية يستخرج منها دهن طيار يتجمد بسهولة والمستعمل منه جذوره وأوراقه وثماره

ولا يخفي استعمال أوراقه في الاطعمة كالكزبرة الخضراء حيث يكونان من توابلها وتدخل في السلطات وكثيراً ما تدخل في طب العامة لانهم يظنونها لاحمة الجروح فيضعونها علي الاجزاء المرضوضة

ويحصل من خاصتها المحللة نتيجة

منتهية بقرنين قصيرين وهي ملساء ويعلوها مهابل وعطرية اذا كانت رطبة وقد اعتبروها مدرة للبول والطمث وطاردة الريح وغير ذلك وتدخل في الترياق ولكن ترك استعمالها . وذكروا أن أوراق هذا النبات عطرية اذا وضعت في الملابس منعت تسلط السوس والديدان عليها

وبالجملة خواصه كخواص المقدونس المعروف هو ايضا مضاد خفيف الحمي وهو مثله مناسب في الاحتقانات الحشوية البطنية والاستسقاء واليرقان والسيلانات البيض وبعض الاحتباسات الدموية الناشئة من الضعف

﴿ مقدونس الابل ﴾ هو نبات يعرف منه ٨ أو ٩ انواع له ساق متفرعة تعلو من قدمين الي ثلاث اقدام وهي عادمة الزغب ملساء أوراقها ثلاثية التريش مقطعة تقطيعاً كثيراً وأزهارها بيضاء تظهر في يوليو وأغسطس

ولعل هذا النبات هو المسمي عند العرب أطريلال وهو سم بربري أي لغة بربر بلاد المغرب

قال ابن البيطار وهذا النبت يعرف بالديار المصرية برجل الغراب وبعضهم يعرفه بجزر الشيطان

وانما سمي برجل الغراب لان ورقه يشبه أرجل هذا الطير وتسميته بجزر الشيطان لمشابهة ورقه لورق الجزر

قال أطباء العرب الأطريلال ينبت بالمواضع السبخة الحارة المزاج والممتدة بالاراضي المعمورة بالزرع و يشبه الشبث في ساقه وقدره . الأنزهره أبيض ويخلف حباً صغيراً مستطيلا دقيقا محراً مشربا بغبرة وهو حاد المذاق يحس بالحرارة عند مضغه وذلك الحب أصغر من حب المقدونس وأكبر من بذر الخلة وفيه حرافة ومرارة يسيرة يظهران في اللسان عند مضغه واذا أخذ منه غصن طرى ووضع علي مستوى من الارض أشبه رجل الطير في اصابعه المقدمة والمؤخرة وهو من النبات الربيعي يدرك في شمس الجوزاء بأرضنا وهو شديد الحرارة مع يبس

وذكروا البزر منافع جليلة في ازالة البهق والوضح اى البرص وأول شهرة منفعته في ذلك كان بالمغرب الاوسط كما قال ابن البيطار في جهات من أعمال بجاية وكان الناس يقصدون أهالي تلك

عميدة بخلاف ما اذا وضعت علي الجروح فانها تؤذيها لكونها تلهب شفتي الجروح فتكون كجسم غريب يمنع الالتحام

وذكر بعض الاطباء انه يحلل قرص الناسوس والنمل ويوضع أيضاً علي الثديين لازالة الاحتقان اللبنى كما يستعمل أيضاً في احتقانات غيرها من الغدد وتستعمل عصارته من ٤ أواق الي ٦ وقت شدة الحمي المتقطعة باعتبار انها مضادة للحمي

ويستعمل مطبوخ النبات نفسه في الجدرى . وجذر المقدونس مدر للبول معرق وظنوه مفتتا لحصي المثانة ولكنه الآن قد هجر استعماله في جميع ذلك . وهو أحد الجذور الخمسة الشديدة التفتيح كما ان بزره أحد الابزار الاربعة الخفيفة الحرارة

أوصي بعض العلماء بالدهن الطيار للمقدونس في البليورانجيا ولا سيما الحادة والسيلان الكثير بمقدار من نقطتين الى ثلاث نقط في اليوم في كوب من ماء ويزاد المقدار تدريجاً وذكروا انه ينجح بالاكثر اذا استعصى الداء علي الوسائط الاخرى المستعملة

ذكر أطباء العرب ان هذا النبات حار قطاع ولذا يحدث البول والطمث كثيراً ويحل النفخ ويذهبه

وفي ديسقوريدس انه يدر ويوافق نفخ المعدة والمغص . واذا شرب وافق أيضاً وجع الجنب والكلي والمثانة وقد يقع في اخلاط الادوية المدرة للبول وفي بعض المركبات

(مقداره في الاستعمال) يستعمل مطبوخه المصنوع منه بمقدار من ١٥ الي ٣٠ غراما بل الي ٦٠ غراما لتر من الماء

وماؤه المقطر يستعمل بمقدار من ٣٠ الي ١٠٠ غرام وعصارته المأخوذة بالعصر من ٣٠ الي ٦٠ غراما ويستعمل من الظاهر ماؤه المقطر غسلات بمقدار كاف في الامراض الحشرية أى التي تنمو فيها الحشرات كالقمل وغيره في جسم المرضى وتصنع ضمادات من أوراقه الرطبة

وهناك نبات ينسب لجنس آخر من هذه الفصيلة نفسها يسمي المقدونس المقدوني أو الكرفس المقدوني ينبت ببلاد اليونان ومقدونيا وبلاد المشرق بزوره صغيرة مستطيلة منجابية زغبية جداً

البلاد لمداواة هذا المرض وهم يخفون هذا
الدواء عنهم ولا يعلمون به الا خلفا عن
سلف الي أن أظهره الله علي يد بعضهم
فأشهر ذكره وعرف عظيم نفعه فكان
يستعمل مفردا أو مع جزء منه ربع جزء
من العاقر قرحا ويلعق ذلك بالعسل أو
يخلط غرام ونصف غرام منه مع غرام من
ورق السذاب وغرام من ملح الطبة ويسحق
الكل ويشرب منه علي قدر العلة والقوة
وتقادم المرض ومقداره من درهم الي ٣ دراهم
بجملته مع عسل منزوع الرغوة ١٦ يوماً
فيحصل البرء بعد تنقية البدن ويقعد شاربه
في شمس حارة صيفية ويكشف المواضع
البرصة لا غير فانه حينئذ يخرج منها ماء
أصفر بعد ما يتنفط الجلد وهذه علامة البرء
ومده مكثه في الشمس ساعة أو ساعتين
حتى يعرق فان الطبيعة تدفع الداء باذن
خالقها الى سطح البدن فيتنفط منها ولا
يصيب شيئاً من المواضع السليمة
أصلا فاذا انفقأت تلك النفاخات وسال
منها ماء أبيض مائل الي الصفرة قليلا
فليترك الشرب حينئذ الى تبدبل تلك
القروح بعد علاجها بالمراهم اللائحة
والمبردة ان احتيج حتى يرجع الجلد للونه
الطبيعي

وهذا الداء يسرع فعله في المواضع
الحمية ويبطيء في المواضع العصبية
والقريبة العظم

قال ابن البيطار وقد جربته غير
مرة فحمدت اثره وهو سر عجيب في هذا
المرض

وقد رأيت تأثيره مختلفاً في عامين
يسرع فيه انفعاله من أول دفعة من شربه
أو دفعتين وفي بعض أكثر من ذلك
ولا يزال يشفي منه ويقعد في الشمس مرة
وثانية وثالثة الي أن ينفعل بدنه ويتبين
صلاحه بعد تقديم ما يجب تقديمه من
استفراغ الخلط الموجب لهذا المرض في
أيام الصيف أو في وقت تكون الشمس فيه
حارة ودرهم منه يسكن المغص حالا كما
قال الزهراوي مجرب

وقال ابن البيطار زعم الشريف أن
الأطريلال هذا هو أحد أنواع النبات
المسمي باليونانية دوقس وليس هو كذلك
فاعلمه. انتهي من المادة الطبية

﴿ مقدونيا ﴾ هي قطر من أوربا
واقع في شمال البلاد اليونانية مساحته

(٩٤٠٠٠) كيلو متر مربع كان فيه غابات
عظيمة قطع العثمانيون اكثرها وفيه مراع غنية
و يستخرج منه صوف وجلود . وفيه كروم
وفواكه

ومنه الجهات المسماة سهول سرس
ولاغوس في غاية الخصوبة وتنبت الحبوب
والقطن .وقد بلغ مقدار ما يستخرج منها
سنويا من القطن خمسة ملايين كيلو غرام
وفيه تبغ كثير فان ثمن أرضها ينبته فيستعمل
منه ربح عظيم

و ينبت فيه شجر الافيون ايضا

اما الصنائع في هذا القطر فقليلة فلا
تصنع فيه غير السجاجيد والحلي الكاذبة
والطرق فيه غير منتظمة

وهو مجال التنازع والقتال بين
الشعوب البلقانية .فان فيه يونانا في جنوبه
و بلغاراً في شماله ،وصربيين حول اسكوب
واتراك افلاخيون علي هضبة كوبرول ،
وألبانيون في غربه، ويهود في سلانيك،
ولذلك لا تنقطع المنازعات فيه بين البلغاريين
واليونانيين لاجل نشر اللغة

و بلاده الشهيرة موناستير . وفي
سلانيك ينتهي الخط الحديدي الواصل
من فيينا .عدد أهله (٢٩٧٣٠٠٠)
نسمة

اشتهرت مقدونيا في زمن الاسكندر
الاكبر ومدت نفوذها علي جميع بلاد
اليونان وممالك شاسعة من آسيا ثم صارت
أيالة رومانية سنة (١٦٩) ثم فتحها العثمانيون
في القرن الخامس عشر ولما حدثت الحرب
البلقانية سنة (١٩١٣) التي اتحدت فيها
بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الاسود
علي الدولة العثمانية خرج هذا القطر من حكم
هذه الدولة وانقسم بين بلغاريا واليونان
وصربيا

ثم لما حدثت الحرب العامة سنة
(١٩١٤) اضطربت مقدونيا فاحتل
الحلفاء سالونيك وهي الآن من املاك اليونان
وقد استقرت الاحوال الآن هناك ولكن
مجال التنازع لا يزال واسعا

﴿ المقريزي ﴾ هو تقي الدين احمد
ابن علي بن عبد القادر ولد سنة (٧٦٦)
أصله من بعلبك وقطن مصر ونشأ بالقاهرة
وكان مولعا بالتاريخ

من مؤلفاته فيه (المواعظ والاعتبار
في ذكر الخطط والآثار) وله (امتاع
الاسماع) في ستة مجلدات الخ

توفي سنة (٨٤٥)

﴿ مقع ﴾ امتقع لونه تغير من فزع أو حزن

﴿ مقلة ﴾ بمقله فلانظر اليه (المُقلة) شحمة العين التي تجمع السواد والبياض او الحدقةوحدها

﴿ ابن مقلة ﴾ هو ابو علي محمد بن الحسين بن مقلة الوزير المشهور

كان في اول امره يتولي بعض الولايات ببلاد الفرس ويجبى خراجها وتنقلت به المناصب الى ان ولى الوزارة للامام المقتدر بالله سنة (٣١٦) ثم نقم عليه ونفاه الى بلاد الفرس سنة (٣١٨) بعد ان صادره

ثم لما ولى الامام القاهر استوزره فأرسل اليه في بلاد الفرس رسولا يجيء به ورتب له نائبا عنه فوصل ابن مقلة من فارس سنة (٣٢٠) وخلع عليه ولم يزل وزيره حتى اتهمه بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر سنة (٣٢٠)

ولما ولي الراضي سنة (٣٢٢) استوزره وكان المظفر بن ياقوت مستحوذاً علي أمور الراضي وكان بينه وبين ابن مقلة الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت المذكور الغلمان الحجرية انه اذا جاء الوزير قبضوا عليه وان الخليفة لايخالفهم في ذلك وربما سره هذا الامر

فلما حصل لوزير في دهليزدار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبصوا عليه وأرسلوا الي الراضي يعرفونه صورة الحال وغدروه ودنوا باسبابا تقتضى ذلك

فاستصوب الخليفة رأيهم فيا فعلوه وكان ذلك سنة (٣٢٤) واتفق رأيهم علي تفويض الوزارة الي عبد الرحمن بن عيسي بن داود بن الجراح فقلده الراضي الوزارة وسلمه الوزير بن مقلة فضر به بالمقارع وجرى له من المكاره بالتعليق والعقوبات شئ كثير وأخذ عليه صكا بألف الف دينار (أى مليون دينار) وأطلقه

فسكث الوزير ابن مقلة في داره بلاعمل

ثم ان ابا بكر محمد بن رائق استولى علي الخلافة وخرج عليها فأنفذ اليه الراضي واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله أميراً للامراء ورد عليه تدبير اعمال

الخراج والضياع في جميع النواحي وأمر أن يخطب له علي جميع المنابر فقوى أمره وعظم وتصرف علي حسب اختياره واحتاط علي أعمال ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين فحضر اليه ابن مقلة والى كاتبه وتذلل لما في الافراج عن أملاكه فلم يحصل منهما الا علي المواعيد

فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة وكتب الي الراضي يشير عليه بامساكه والقبض عليه وضمن له انه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلاث مئة الف الف دينار (أى ثلاث مئة مليون) وكانت مكاتبته علي يد علي بن هرون المنجم النديم فأطمعه الراضي بالاجابة الي ماسأل وترددت الرسائل بينهما في ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا علي أن ينحدر اليه سراً و يقيم عنده الي أن يتم التدبير فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لان القمر كا يقولون يكون تحت الشعاع وهو يصلح للامور المستورة فيا يزعم المنجمون فلما وصل الى دار الخليفة لم يمكنه من الوصول اليه واعتقله في حجرة ووجه الراضي من غده الي ابن رائق وأخبره بما جرى وانه احتال علي ابن مقلة حتى حصله في أسره وترددت بينهما المراسلات في ذلك

فلما كان رابع عشر شوال سنة (٣٢٦) أظهر الراضي أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التي كتب بها تلك المطالعة

فلما انتهي كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد الي محبسه

ثم ندم الراضي علي ذلك وأمر الاطباء بملازمته للمداواة فلازموه حتى برىء

قال أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة الطبيب وكان يدخل عليه لمعالجته:

كنت اذا دخلت عليه في تلك الحال يسألني عن أحوال ولده أبي الحسن فأعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح علي يده و يبكي و يقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كا تقطع أيدى اللصوص ؟

فأسليه وأقول له هذا انتهاء المكروه

وخاتمه القطوع . فينشدني ويقول :

اذا مامات بعضك فابك بعضاً
فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وأرسل الراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد لا يمنع الوزارة وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به

ولما قدم بحكم التركي من بغداد وكان من المنتمين الي ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضاً فقطع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء بنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه أخرى

وله أشعار في شرح حاله وما انتهى أمره اليه ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن ذلك قوله :

ماسئمت الحياة لكن توثقـ
ـت بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى
حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدي
حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش
ياحياتي بانت يميني فبيني

ومن المنسوب اليه أيضاً :

لست ذا زلة اذا عضني الدهـ
ـر ولا شامخاً اذا واتاني
أنا نار في مرتقى نفس الحا
سد ماء جار مع الاخوان

وفي الوزير المذكور يقول بعضهم :

وقالوا العزل للوزراء حيض
لحاه الله من أمر بغيض
ولكن الوزير أبا علي
من اللائي يئسن من المحيض

ومن شعره أيضاً ماقاله الثعالبي في يتيمة الدهر :

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة
في شامخ من عزه المترفع
قالت لي النفس العروف بقدرها
ماكان أولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحالة الي أن توفي في موضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة (٣٢٨) ودفن في مكانه ثم نبش بعد زمان وسلم الى أهله . وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة (٢٧٢) ببغداد

قيل ان الوزير ابن مقلة المذكور أول من صور الخط العربي بهذه الطريقة وكان قبل ذلك يكتب بطريقة الخط الكوفي

وقيل بل الذي نقل الخط الي هذه الصورة هو أخوه

وقد تبع ابن البواب طريقته ونهج أسلوبه

ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله : « اذا أحببت تهالكت ، واذا أبغضت أهلكت ، واذا رضيت آثرت ، واذا غضبت أثرت »

ومن كلامه أيضاً : « يعجبني من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا ، ويتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا » وله كل معنى مليح في النظم والنثر

وكان ابن الرومي الشاعر المشهور يمدحه فمن معانيه الغريبة فيه قوله :

أن يخدم القلم السيف الذي خضعت
له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لا شيء يعادله
ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت
ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وكان أخوه عبد الله الحسن بن علي ابن مقلة كاتباً أديباً بارعا والصحيح انه الذي نقل الخط العربي من الاسلوب الكوفي الي الاسلوب الحالي كما قدمنا وقد ولد يوم الاربعاء سلخ شهر رمضان سنة (٢٦٨) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة (٣٣٨)

وأما ابن رائق المذكور هنا فان الحافظ بن عساكر ذكر في تاريخ الامام المتقي بالله انه ولاه أمر دمشق وأخرج منها بدر بن عبد الله الاخشيدي ثم توجه الي مصر وتوائم هو وصاحبها محمد بن طغج الاخشيدي فهزمه الاخشيدي فرجع الي دمشق وتوجه منها الي بغداد . وقتل بالموصل سنة (٣٣٠) وقيل ان بني حمدان قتلوه انتقاما بالموصل . قتله ناصر الدولة الحسن

﴿ المقل ﴾ هو صمغ راتينج يأتي من الهند وبلاد العرب وكان معروفا عند القدماء باسم بادليوم ولم يعلم جيداً الشجر المنتج له

قال بعضهم انه ناتج من شجر يوجد في باراس في الشمال الشرقي من بلاد الفرس

وذلك الشجر مسود في عظم الزيتون وأوراقه تشبه أوراق البلوط وثمره كثمر البرى ، والمقل يشاهد رشحه من قشره كما يشاهد من ثمره

وذكر بعض آخرون ان المقل عصارة شجر نخلي

وذكر آخرون ان المقل خلاصة من شجر نخل يسمى لانطالوس دومستيكا

وهذا الرأى مردود فانه يستحيل ان صمغاً راتينجياً على شكل حبوب وكتل يكون خلاصة ثمر مأكول

وبما انه يوجد أحياناً مع الصمغ العربي فيكون هناك وجه الظن بأنه ناتج من الاقاقيا

وظن أيضاً انه ناتج من جنس السذاب

وظن العالم (لامارك) ظناً قريباً المقل انه من جنس اميرس

وذكر بعضهم انه شاهد بافريقا الشجر الذى يأتي منه المقل وأكد انه شوكي وانه يسمي عند الاهالى نيطوط ويعملون من شوكه مناقيش للاسنان ولم يزد على ذلك شيئا

وقال الاستاذ ميريه ان (بيرونيت) الذى مكث زمناً طويلاً في السنغال شاهد (نيطوط) الذى هو النبات المجهز للمقل عند أديسون وهو آيدولوسيا أفريقانا عند ريشار

وهو شجر من الفصيلة التربنتينية وينتج منه صمغ راتينجي وذلك يبطل جميع الافتراضات التى ذكرت في أصل هذا الجوهر

والنوع الثاني المقل الموجود في المتجر هو النوع الآتي من الهند وهو يوجد في المر وبسبب ذلك سمى مر الهند انتهي

هذا النبات هو الذى نعول عليه الآن بعد اضطراب كلام القدماء فيه ونظن انه هو المجزوم به الآن

وقال بعض أطباء العرب: المقل عند الاطلاق يراد به صمغ أى صمغ راتينجي فان كان الي الحمرة والمرارة فالمقل الازرق أو الي الصفرة فمقل اليهود وكلا النوعين صمغ شجر كالكندر بأرض شحر وعمان يعظم جداً ، أو الي غبرة وسواد فهو الصقلي وكثيراً ما يجلب هذا من المغرب

(صفاته الطبيعية) يوجد بالمتجر

نوعان من المقل الاول يكون على شكل دموع أى حبوب مستديرة متراكمة بعضها على بعض في حجم البندق ونحوه ولونه احمر معتم نصف شفاف لزج السطح سهل الكسر ومكسره شمعى قشرى وليس له رائحة خاصة وان كان فيه بعض عطرية وطعمه مر ويتكسر في الفم أكثر من كونه يلين فيه، ويبقي فيه فضلة كبيرة لينة وهي الجزء الراتينجي والثانى يكون كتلا حمراء مسودة معتمة لامعة السطح كأنها مذابة ورائحتها وطعمها كالسابق وذلك هو الا كثر وجوداً فى بيوت الادوية وكثيراً ما يوجد فيها أجسام غريبة ملتصقة بها . واذا حرق المقل انتشرت منه رائحة مقبولة وبسبب ذلك استعمل تبخيراً في آفات الرحم فى التقلصات ونحو ذلك

وفي ابن البيطار عن ديسقوريدس أن أجوده ما كان مراً صافى اللون كأنه الغراء المتخذ من جلود البقر وباطنه علك لزج في سريع الانحلال لا يخالطه شيء من خشب ولا وسخ واذا بخر به كان طيب الرائحة شبيهاً بالاظفار أى أظفار الطيب

وقد يوجد منه ما هو أسود وسخ غليظ كبير الحجم ورائحته كرائحة الدراشيشعان يؤتي به من بلاد الهند من البلاد التى يقال لها بتراس شبيه بالراتينج وقريب من لون الباذنجان وهو ثان بعد الجيد في قوته

وقل أيضاً عن جالينوس ان المقل نوعان أحدهما صقلي وهو أشد سواداً وألين من النوع الآخر وقوته ملينة وعمله بهذه القوة بليغ والآخر عربي أيبس من الاول وقوته أشد تجفيفا

ومن كان من هذا المقل حديثاً رطباً ويلين اذا عجن باليد فعمله مثل عمل المقل الصقلي

وكلما عتق وحدث في طعمه مرار شديد وصار حاراً حريفاً يابساً فقد خرج عن طبقة اعتدال الادوية الملينة للاورام الصلبة

وقال (درفول) من المتأخرين المقل نوعان الاول مقل أفريقا وهو كتل أو حبوب مستديرة مخضرة مكسرها وسخ شمعى والرائحة عطرية والطعم حريف وكثيراً ما يحتوى على قطع من الصمغ العربي

والثاني مقل الهند له شبه عظيم بالمر ولذا يسمي بالمر الهندى

قال (بوشارداه) ومقل الهند أشد عطرية وحرافة ومرارة ويباع باسم مر الهند وذكر (جيبور) للمقل نوعا سماه بالمنم

ومن العرب من يجزه الي ثلاثة أنواع هندى وعربي وصقلي

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ٥٩ر٠٠ من الراتينج و٩ر٢ من الصمغ و٣٠ر٦ من باصورين و١ر٢ من دهن طيار وأجزاء مفقودة ومغليه في الماء يعطي لونا كخضرة البحر أى أخضر مبيضا

أما الكحول فينلون منه بالحمرة وماؤه المقطر يحتوى علي عطريته

(خواصه الدوائية) يقال ان المقل فيه جميع خواص المر فرأى كثير من المؤلفين تشابه هذين الجوهرين بحيث يصح ان يسمي المقل (اميرا امبرفكتا) أى المر الغير الكامل والآن تل استعمال الاوربيين له بعدأن كان مشهوراً بكونه مفتحاً للسدد طارداً للسعال مدراً للطمث مضاداً للتشنج قابضا

وعالج به هوفمان كثيراً من قروح الرئة وغيرها من الاحشاء

وكان مستعملاً أيضاً من الظاهر كدواء محلل وذلك هو العلاج الوحيد المستعمل أحيانا

ويدخل هذا الجوهر في (مثروديطوس) وحبوب الحنظل ولصوق الحشائش والدياخلون المصمغ واللصوق الالمي وغير ذلك

وتوسع أطباء العرب في ذكر خواصه ونقلوا كلام القدماء فيه وزادوا عليه كثيراً من تجرباتهم وكانوا يرون ان المقل العربي يفتت الحصي المتولد في الكليتين اذا شرب ويدر البول ويذهب الرياح الغليظة ويطردها

ونقلوا عن ديسقوريدس ان قوة مسخنة ملينة فاذا احتمل أو تبخر به فتح الرحم المنضم وجذب الجنين وكل رطوبة

واذا شرب منه من بهسعال أونهشة شيء من الهوام نفع من ذلك كما ينفع من وجع الجنب والكزاز والرياح . وقد يقع في أخلاط

وعن الرازى انه ينفع من الطواعين

وعن أبي جريج فيه حدة فينفع الجراحات اذا خلط بمرهمها ويحل الخنازير

واذا طلي بالخل علي السلعة أبرأها

وعن حنين وغيره انه يحال الدم الجامد والاورام الداخلة شربا بمطبوخ ، والاورام الخارجة في الاعضاء ضماداً

واذا خاط بالادوية الحادة المسهلة قمع حدتها ونفع من سحج الامعاء والاضرار بها

وعن ابن سينا ينفع من وجع قصبة الرئة وأورامها ومن السعال المزمن وينقي الرحم وينفع من البواسير شربا وتدخينا

وقيل ينفع من جميع السموم . واذا ضمدت به الاورام البلغمية الصلبة حللها واذا وضع ذالك علي قيلة الماء نفعها في جميع الاسنان ، أو علي قيلة الحم في الصبيان خاصة أضمرها سواء كان معجونا برغوة الباقلا أو بلعاب الصائم حتى يصير كالمرهم

واذا سحق وخلط بنخالة القمح وتكون النخالة ثلاثة أمثاله وطبخ بربالعنب وحرك بشيء من السمن ثم وضع علي أورام النفانغ حللها مجرب

(المقدار للاستعمال) مقدار استعماله الباطن من عشر قمحات الي ٤٨ قمحة . وبالجملة مقاديره واستعمالاته كالمر

(تنبيه) يطلق المقل عند العرب علي ثمر شجر الدوم بل علي الشجر نفسه المخرج للثمر فيقال لذلك الثمر مقل مكي لكونه يوجد بمكة

قال ابن واقد المقل المكي ثمر الدوم وهو ينضج بمكة ويؤكل خارجها مع اللذة

أما بالاندلس فلا ينضج بل يكون كثير العفوصة قليل المائية خشنا جدا عسراً قابضاً يعقل البطن و يقوى المعدة

وليف المقل اذا حرق وغسل به البدن منع الجرب والحكة وولد القمل

وقال داود يطلق المقل علي شجر كالنخل فثمره رطباً يسمي النهس ويابساً الدقل وليفه هو المعروف بالمسد وهذا المقل المكي يؤكل في المجاعات

﴿ المقوقس ﴾ طائر مطوق وهو أيضاً لقب جريج بن مينا القبطي كبير القبط علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم كتب اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا الكتاب وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط

سلام علي من اتبع الهدى .

(أما بعد) فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم القبط ، يا أهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

فكتب اليه المقوقس :

« بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط

(أما بعد) فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج من الشام

وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها »

فتح عمرو بن العاص مصر في زمن هذا الزعيم واتفق معه علي الجزية فأغاظ ذلك قيصر الروم وأرسل اليه يوبخه ويسفه رأيه وبعث الجيوش لحاربة عمرو بن العاص فكان يساعد المسلمين علي أعدائهم بالمؤونة حتى لا يقهروا فيعود الرومانيون عليه وعلي قومه بأشد مما كانوا حتى تم أمر عمرو بن العاص فكان له يد لا تنكر في دخول العرب الي مصر

وانما فعل المقوقس ذلك لان الرومانيين كانوا يسومون القبط سوء العذاب ويضطهدونهم لاجل دينهم حتى قتلوا منهم مرة نحو ثمانمائة الف نسمة وهي مجزرة من أشنع مجازر التاريخ كما فصلنا ذلك في كلمة (قبط) فليرجع اليها من شاء

ومن أراد استقصاء خبر المقوقس فليراجع تاريخ مصر في كلمتي (عمرو بن العاص) و (مصر)

﴿ مكث ﴾ بالمكان يمكث مكثا أقام به والاسم المُكْث . و (تمكّث) تلبّث

﴿ مكر ﴾ به يمكر مكراً خدعه . و (ماكره) خادعه . و (المكّار) الكثير المكر

﴿ مكران ﴾ قال ياقوت الحموى في معجم البلدان . هي ناحية واسعة عريضة يغلب عليها المفاوز والضر والقحط . من اكبر مدنها (القيربون) ومدينتها (راسك) ووصفها غيره بأنها

علي مدن وقرى وعلي معدن (الفانيذ) وهو نوع من الحلي ومنها يحمل الي جميع البلاد واجوده الماسكاني ، والماسكان احدى مدنها . وهذه الولاية غربها كرمان . وسجستان شمالها ، والبحر جنوبها

وجاء في القاموس الجغرافي التركي اما بلاد مكران فهي قسم من بلاد بلوخستان واقع علي ساحل خليج عمان يبلغ امتداده من الشرق الي الغرب ٧٨٠ كيلو متراً وهي بلاد جبلية بلحها مشهور ومقر واليها مدينة (كنج)

﴿ مكس ﴾ الرجل يمكُس مكسا جبى مالا فهو (مَكّاس) و (مكَس فلانا) ظالمه و (ماكسه في البيع) استحطه الثمن و (ماكسه) شاكسه و (المَكْس) ما يأخذه المكاس

﴿ مكس ﴾ قال ياقوت الحموى : هو موضع بأرمينية من ناحية البسفرجان قرب قاليقلا

﴿ مكسيكا ﴾ هي جمهورية بأمريكا الشمالية ، تحد شمالا بالولايات المتحدة ، وشرقا بالمحيط الاطلانطيقي (خليج مكسيكا وبحر انتيلا) ، وجنوبا وغربا بالمحيط الهادى

أرض مكسيكا عبارة عن هضبة واسعة متوسط ارتفاعها (١٥٠٠) متر تقطعها سلاسل من الجبال طويلة تتجه من الشمال الغربي الي الجنوب الشرقي .

وتشتمل تلك الهضبة في وسطها علي صحار قاحلة رملية وعدة بحيرات مالحة تصب فيها بعض النهيرات وعلي بعض الاربضات التي تمشي شمالها . أما وسطها الذى تمتد فيه هضبة (اناهواك) وتداوها من جهة جنوبها هضبة مكسيكا الى ارتفاع (٢٣٠٠) متر فهي هضبة كثيرة البراكين والجبال الثلجية . وتفصلها من هضبة امريكا الوسطي سهول برزخ تيووانتيك

واما سواحل مكسيكا فضيقة منحطة كثيرة المستنقعات والبحيرات التي أشهرها بحيرة ترمينوس الكائنة جنوب خليج (كمبيش)

يمكن تقسيم ارض مكسيكا من حيث جوها الي ثلاثة اقسام (اولا) الاقاليم البادرة او الهضبات العالية وهي صحية خصبة . ولكن فيها جفاف شديد يضر

بنمو المزروعات

(ثانيا) الاقاليم المعتدلة وتشتمل منحدرات الجبال من ارتفاع ١٥٠٠ متر وهي أقاليم خصبه تنتج مثل الاقاليم السابقه مزروعات مختلفة كمزروعات أوروبا

(ثالثا) الاقاليم الحارة وتشتمل علي السواحل وسفوح الجبال الي ارتفاع ٦٠٠ متر وهي أقاليم موبوءة كثيرة الحميات وخصوصا الحمي الصفراء. والسهول الشرقية رطبة ولذلك درجة انباتها قوية واما السواحل الغربية فجافة يزرع فيها قصب السكر والبن والنيلاء والذرة والفواكه بأنواعها

مساحة المكسيك (١٩٠٠٠٠٠) كيلو متر مربع وسكانها (١٣٤٤٥٤٦٣) وعدد السكان النسبي اكثر من ٦ في كل كيلو متر مربع

يتألف سكانها من اكثر من مليون من الجنس الابيض وهم من ذرارى الاسبانيين الذين نزحوا الى تلك البلاد مستعمرين وحكموا في الازمان الغابرة وهو منعزله سلطة في تلك البلاد ومنه المتولون وفيها اكثر من أربعة ملايين من الهنود الامريكيين بعضهم وهم (الاستيك) الذين تهذبوا وتحضروا ومعظمهم من الزراعين والبعض الآخر لم يزل علي حال الوحشيه والوثنيه وفيها اخلاط من الاجناس الاخرى. وفيها زنوج كانوا أرقاء وصاروا الآن أحراراً

يدين المكسيكيون بالمذهب الكاثوليكي المسيحي ويتكلم معظمهم باللغة الاسبانية ما عدا بعض الهنود فانهم لايزالون يتكلمون بلغتهم الاصلية

المعارف في المكسيك متأخرة جدا حتى أن اكثر أهلها ليغلب عليهم الجهل وتسود فيهم الخرافات ولكن فيهم فئة متعلمة مهذبة

حكومتها جمهورية تعاهدية مؤلفة من ٢٧ جمهورية يحكمها رئيس ولها مجلسان مجلس نواب تنتخب أعضاءه الامة، ومجلس شيوخ تنتخب اعضاءه الجمهوريات ولكل جمهورية في كل منهما عضوان

جيشها البرى يبلغ عدده وقت السلم ٢٧٠٠٠ الف جندى وفي وقت الحرب يمكن ابلاغه الي نحو مليون جندى ولكن المدار في جمع هذه العدد علي وجود

الاسلحة والذخائر الحربية والضباط المتخرجين من المدارس. وأما سفنها الحربية فقليلة جداً

مالية المكسيك مختلة وهي في عجز مستمر وأهل البلاد في غاية الفقر ويبلغ ايراد الحكومة نحو عشرة ملايين جنيه ونفقاتها تزيد عن ذلك. وتبلغ ديونها أكثر من ١٥ مليوناً من الجنيهات

تنقسم مكسيكا الى ٢٧ جمهورية صغيرة مستقلة في ادارتها الداخلية وعاصمتها مكسيكو عدد أهلها ٣٥٠٠٠٠ نسمة وهي قائمة علي هضبة عالية تنشاها البراكين وهي في موضع جميل فيها معامل الصابون ومشهورة بصناعة الحلي والسروج

من أشهر مدن المكسيك (بوبيلا عدد أهلها نحو ١٥٠٠٠٠ نفس وهي مدينة محصنة تكثر بها صناعة الاواني الخزفية

ثم يلي هاتين المدينتين مدينة (جوانا جواتو) مشهورة بمناجم الفضة التى تعتبر أغزر مناجم العالم

ويليها مدينة (سان لويز بوتوزى) كانت مشهورة بغناها بتلك المناجم الفضية

ويأتي بعدها (جواد الاجارا) عدد أهلها نحو ١٢٠٠٠٠ نسمة وهي مشهورة بعمل الاواني الفخارية والسجاد

وبعدها (فيراكروز) يسكنها نحو (٣٥٠٠٠) نسمة وهي ميناء علي خليج المكسيك لها علاقة كبيرة مع أوروبا ردیئة الهواء

ويعقبها (تامبيكو) وهي ميناء علي الخليج المذكور. و (كمبيش) علي الخليج المسمى باسمها ومنها يصدر كثير من خشب الصباغة. و (مريدا) وهي مع سابقتها في شبه جزيرة (يوقطان) و (اكابلوا) وهي ميناء جيدة الهواء علي المحيط الهادى ومرمي السفن الذاهبة من بناما الي سان فرنسيسكو. و (شيبواهيوا) و (مونتيرى) و (فيكتوريا) و (دروانجو) و (زاكتيكاس) و (موريليا) و (جاكا) و (سان كريستوبال) وكلها عواصم لبعض الجمهوريات

(جغرافيتها الاقتصادية) أرض المكسيك وان كانت خصبة الا ان الزراعة فيها منحطة بسبب عدم الامن وقلة الطرق العامة والسكك الحديدية وقلة

المياه وكثرة المنازعات الاهلية . والصناعة فيها تكاد تكون معدومة

ولكن أخذت المكسيك بعد تكوين جمهوريتها تتقدم شيئاً فشيئاً يزرع فيها الآن الذرة والقمح والكاكاو وقصب السكر والتبغ والسحلب

ويكثر فيها الموز والصبر وخشب الآبنوس وخشب الصباغة وشجر التوت الذى يربي عليه دود القز

حيواناتها الاهلية من الثيران والاغنام كثيرة وخيولها التى استجلبت من القدم من اسبانيا جمة . ولكن تلك الحيوانات هائمة في أقليها الشمالية علي الحالة الوحشية

جبالها غنية بالمعادن فمنها تستخرج الفضة بكثرة و يكثر فيها الذهب والنحاس والزئبق والفحم الحجرى والكبريت والحديد ولكن الاهمال جعل كل هذه الثروة لاتزال كامنة في باطن الارض

تجارتها الداخلية كاسدة لعدم الامن العام وعدم كفاية الطرق ووعورة الارض وعدم وجود أنهار قابلة للملاحة وقلة خطوطها الحديدية

وتجارتها الخارجية قليلة أيضاً ومعظم ما يصدر منها هو الذهب والفضة والجلود وخشب الصباغة و بعض الحاصلات الزراعية

ويرد اليها من الخارج جميع أنواع البضائع وأكثر معاملاتها التجارية مع انجلترة والولايات المتحدة ثم فرنسا والمانيا واسبانيا وكولومبيا

بلغ مقدار ماأنتجته من الفضة في سنة (١٨٩٧) ٩٢٣٧٠ كيلوغراماً وبلغ ماأنتجته من الذهب ١١٠٥٤ كيلو غراما

بلغت صادراتها في سنة (١٩٠١) ماقيمته ١١٧٢٢١٣٢٨ دولاراً من الفضة و بلغت صادراتها لانجلترة ١٢٠٣٣٠٧٧ ولفرنسا ٢٨٢٤٣٠٣ ولالمانيا ٥٠١٨٤٦٤ ولاسبانيا ١١٨٧٧١٤ فيكون مجموع ذلك ١٤٨٦٥٦٣٥٨ منهم ٩٧٩٢٤٤٩٨ قيمة المعادن و ٣٦١٤٩١١٠ ثمناً للمواد النباتية

بلغ عدد السفن التى دخلت موانيها في سنة (١٩٠٠) ١٥٤١ سفينة حمولتها ٢٢٤٥١٦٦ طن منها ٨٤١٩١٩ طن أتت من انجلترة

فرنسا تورد المكسيك المنسوجات الصوفية والمنسوجات والاقمشة القطنية والساعات

(تاريخ المكسيك) لا نعرف شيئا كثيراً عن الحوادث التاريخية التى توالت على المكسيك قبل الفتح الاسبانيولي في القرن الخامس عشر ، وليس لدينا من الاسانيد التاريخية الامابرويه أهل البلاد في أقاصيصهم وما سلم من المخطوطات من الحريق الذى أمر به أول اسقف المكسيك فانه لكراهته لديانة المكسيكيين اراد حملهم على المسيحية بشيء من القهر فأمر باحراق جميع اساطيرهم فضاعت بضياعها جميع معالم تاريخهم

كل الذى يعلم الآن من تاريخ المكسيك و يكاد يكون محققاً أنه في أوائل القرن السابع الميلادى نزحت قبيلة التولتيكيين من شمال أمريكا الغربي ونزلت في جهة أناهواك من بلاد المكسيك فأسست هناك مملكة زاهرة نشأت فيها مدنية زاهية أشعت نورها علي جميع بلاد المكسيك وتعدتها الي ما يجاورها جواتمالا والهوندراس ويوكاتان

وقد ذهب العلماء اليوم ان التولتيكيين ورثوا جميع مدنيات البلاد الامريكية الوسطي فقاموا باعبائها وكانوا شعباً دمث الاخلاق لايضحى بالانسان كما كان يفعل المكسيكيون من اهالى البلاد وقالت اندبائهم كانت تنحصر في تأليه الحوادث الجوية والكواكب . فكان لهم ١٣ الهاً كبيراً وأكثر من ٢٠٠ اله صغير . فكان من بين آلهتهم المشهورين (تلالوك) اله المطر و(كيتز الكوالك) أو الثعبان ذو الريش اله الرياح والعقل . و(هو يتزلوبو كتـلي) اله الزوابع والشمس وكان هذا الاله في الوقت ذاته معتبراً الها للحرب عند الارنيكيين

ولقد كان للتولتيكيين قريحة صناعية طبيعية في غاية القوة فنهضت لديهم الصناعة نهضة عظيمه فانتجت صناعة الخزف والصياغة وترصيع الجواهر نتائج فخمة . وكانوا يعرفون النسج والصبغ واحداث زينات غاية في الدقة بواسطة ريش الطيور . وكانوا علي علم تام بحفر الخشب لعمل أشياء منزلية منه تصلح الزينة وكانوا يصنعون المرايا من الاحجار اللامعة أومن المعادن، و يستعملون الملاعق والسكاكين الخ وكانوا يستخرجون الاعطار و يتضمخون بها. وكانوا من جهة فن البناء بالمكان الرفيع

وقد عرفوا استعمال الاحجار والآجر والسمنت والخشب في آن واحد في مبانيهم وبلغوا من الآداب مدى بعيداً جداً فكانوا يراعون قواعدها بدقة وعناية ولا يعددون الزوجات . وكانوا يحفظون حوادثهم التاريخية بواسطة رسوم هيروغليفية أو خيوط ذات ألوان متعددة يصنعونها بألوان مختلفة ويعقدونها عقداً متعددة ذات أشكال مختلفة . وكان لهم مخطوطات على أقمشة قطنية وعلى جلود وعلى ورق عود النـد المضموم بعضه الى بعض . وكانت المعارف الفلكية لديهم قد بلغت مبلغاً عظيماً فكانت سنتهم مقسمة الى ٣٦٥ يوما كانوا يقسمونها الى ١٨ شهراً عدد أيام كل منها ٢٠ يوما وكانوا يتمونها في آخر السنة بخمسة أيام اذا كانت بسيطة وبستة أيام ان كانت كبيسة وكان شهرهم مقسما الى أربعة أسابيع عدة أيام الاسبوع خمسة . وكان القرن عندهم ٥٢ سنة

وكان فن الزراعة عند التولتيكيين معظما غاية التعظيم وكان اكثر زراعتهم الذرة . وكان لهم اوان وتماثيل واشياء اخرى من الفضة والرصاص والقصدير .

وكان لهم معرفة بنحت الاحجار وعمل التماثيل ولكن لم تخل مصنوعاتهم في هذه الاشياء من صفات الامم البربرية

وكان نظامهم السياسي حكم الطوائف فكان لكل طائفة منهم قطعة من الارض يستغلونها ويعيشون فيها من غير عدوان على مجاوريهم . وكان الابن يرث الاب في عمله وبالجملة كان المكسيكيون طليعة الشعوب الامريكية الى المدنية . وكانت عاصمتهم مدينة (تولا) اوتولاكان على بعد ١٥ فرسخا من شمال مدينة مكسيكو العاصمة الحالية

بقي حكم التولتيكيين أربعة قرون ثم اضمحل بسبب توالي الحروب مع القبائل المتوحشة النازلة في البلاد بتأثير المجاعات التى انتابت المكسيك . فاضطرت هذه الطائفة المتمدنة أن تهاجر من المكسيك وانقسمت الى فرقتين فرقة تبعث ساحل المحيط الاطلانتيقي وأخرى تبعث ساحل المحيط الهادى حتى نزلت أمريكا الوسطى ويوكاطان وأسست هنالك ممالك زاهرة المدنية مثل بالينك وأوكسمال وغيرهما وقد بقي من هذه الممالك خرائب غاية في الفخامة

بعد أن ترك التولتيكيون بلاد المكسيك قام مقامهم فيها بعد قرن من الزمان قبيلة الشيشميك وهم وان كانوا على شيء من المدنية الا أنهم لم يكونوا على مثل حال التولتيكيين وكانوا لا يزالون يعدون من المتبربرين (١١١٧) ونحن الآن نجهل تماما الحوادث التى أدت الى انقراض الشيشميك . فقد قيل انهم في القرن الثالث عشر هوجموا من الاستيكيين وهؤلاء من القبائل الشمالية وهم وان كانوا على شيء من المدنية الا انهم كانوا لا يزالون يحفظون بعض صفات المتوحشين كأكل لحوم البشر في احتفالاتهم الدينية فأسسوا سنة (١٣٢٥) مدينة تينو كتيتلان التى سميت المكسيكو بعد ذلك بزمان فلما فتح الاسبانيون بلادهم كانوا يدهشون من اسراف هذه القبائل في تضحية البشر لآلهتهم . فقد كان اله الحرب عندهم يسمي هوتزيلوبوكتلي فكانوا يضحون له سنويا من أسرى حروبهم من ٢٠٠٠٠ الي ٥٠٠٠٠ نسمة سنوياً . وفي سنة (١٤٨٦) في مناسبة الاحتفال بتأسيس معبد مكسيكو الكبير ذبحوا له ٧٠٠٠٠ انسان من أسراهم

وكانت صورة قتلهم أن يؤتي بالرجل ويلقي على مذبح الهيم فيأتي الكاهن ويشق بطنه ويستخرج قلبه وهو لا يزال يخفق فيهديه للاله وهو بين يديه ثم يقطع لحم المذبوح ويفرقه على الناس ليأكلوه

هذه كانت حالة المكسيك لما جاءها (فرناند كورتز) الاسباني فاتحاً لها بست مئة وخمسين رجلا فقط . فقد توصل بالحيلة والقسوة الى امتلاكها وكان ذلك من سنة (١٥١٩ الي ١٥٢١)

لما استولت اسبانيا على تلك البلاد جعلت همها استخراج معادنها ونقل الثروة منها الي بلادها وجعلت الحكم للرجال الذين كانت ترسلهم فتعسفوا بأهالي البلاد وعزلوا جميع العاملين منهم واستبدوا بالامر الي سنة (١٨١٠) حيث ثار القس (هيدالجو) وساعده في حركته بعض الضباط من مولدي المكسيك فجمعوا ٤٠٠٠٠ من أهل البلاد فاضطرت اسبانيا لمقاتلتهم بالقوة فحدثت حروب هلك فيها أكثر رؤساء الثائرين فلما جاءت سنة (١٨٢١) انضم القائد الاسباني ايتوربيد الى الثائرين وأعلن استقلال مكسيكا فلم توافق اسبانيا على هذا الاستقلال الا في

سنة (١٨٣٧) . فلما تم للثائرين الغلب انتخبوا القائد ايتور بيدامبراطورا سنة (١٨٢٢) فلم يلبث الا قليلا حتى ثار عليه الثائرون وطرده ثم قتلوه

فخلفت الجمهورية الامبراطورية وكانت تارة تعاهدية وطوراً موحدة فوقعت المكسيك في ثورات داخلية مدة ٤٠ سنة

وفي سنة (١٨٦١) امتنعت المكسيك عن أداء ديونها فاضطرت فرنسا وانجلترةواسبانيا التداخل ثم حدث بينها شقاق ادى الى رجوع انجلترة واسبانيا وبقيت فرنسا وحدها فحدث بينها وبين (جوارز) الثائر المكسيكي وقائع شديدة . وفي اثنائها ولى على البلاد الارشيدوق مكسيميليان النمساوى فترك الفرنسيون البلاد سنة (١٨٦٧) ولكن الثائر المكسيكي حاصر الارشيدوق مكسيميليان وقبض عليه وقتله رميا بالرصاص : فانتخبه الناس رئيسا الجمهورية ثم انتخبوه ثانياًسنة (١٨٧١) ثم مات فجأة سنة (١٨٧٢) فخلفه الجنرال ما نويل غونزالز فعادت العلاقات السياسية بين المكسيك وبين فرنسا وذلك سنة (١٨٨٢)

وفي سنة(١٨٨٤) انتخب الجمهورية الجنرال بورفيربودياز ولا تزال أحوال هذه المملكة مضطربة لا تستقرعلى حال

➤ مكة ➤ من أشهر مدن العالم كله وهي عاصمة بلاد العرب وفيها البيت العتيق الذى يحج اليه المسلمون من مشارق الارض ومغاربها . وبما أنها بهذه المنزلة فقد وجب علينا أن نطيل في وصفها وبيان احوالها ولا نجد مصدراً جديراً بالاعتماد عليه في ذلك غير ما كتبه الفاضل محمد لبيب بك البتنوني في رحلته الحجازية فانه قد شهد هذه المدينة في الحج وكتب عنها من عيان ، فرأينا أن ننقل هنا ما كتبه بحروفه لجليل فائدته قال :

« مكة وتسمى بكة وأم القرى ، مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ متراً وهي على عرض ٣١ درجة و ٢٨ دقيقة وفي طول ٤٠ درجة و ٩ دقائق وتصعد عماريتها الى عهد ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، وكان يعيش بنوه في الخيام والمضارب حتى عاد قصي بن كلاب من الشام في القرن الثاني من

الهجرة فبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ومن ثم أخذت تزيد في عمرانها الى الآن

ثم قال . « وهذه المدينة تمتد من الغرب الى الشرق على مسافة نحو ثلاثة كيلو مترات طولا وما يقرب من نصف ذلك عرضا في واد مائل من الشمال الى الجنوب منحصر بين سلسلتي جبال تكادان تتصلان ببعضهما من جهة الشرق والغرب والجنوب اعنى على أبواب مكة الثلاثة ولذا لاتشاهد أبنيتها القادم عليها الا وهو على أبوابها والسلسلة الشمالية منها تتركب من جبل الفلج (الفلق) غربا ثم جبل قيقعان ثم جبل المندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوله ومد آخره) وهو في أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله البلد حين الفتح أما الجنوبية فانها تتركب من جبل أبي حديدة غربا يتلوه جبلا كُدَى (بضم أوله والقصر لينا في آخره) وكُدَىّ (بالتصغير) بانحراف الى الجنوب ثم جبل أبي قبيس الى شرقيهما ثم جبل خندمة وكل سفوح هذه الجبال من الحرم تراها عامرة بالبيوت والمساكن التى تدرج عليها الى قلب الوادى ويبلغ عددها نحو سبعة آلاف منها الكبير والصغير يحتشد فيها زمن الحج ٢٠٠٠٠٠ نفس على الاقل . واذا كان الحج بالجمعة كان الناس أضعاف ذلك ومساكنها على شبه مساكن جدة ويكثر فيها مايسمونه بالادوار المسروقة ولاحوش لها في الغالب الا ماكان لعظائها وكبرائها وأعظم مساكنها بالقرارة وأحسن موقع في مكة شعب جياد لارتفاعه وسعة طرقه ومساكنه وفيه بيوت كثيرة جميلة على الطراز التركي يسكنها موظفو الولاية من الاتراك وفيه دار عظيمة الشريف عبد المطلب وداران عظيمتان السيد محمد السقاف الذى له أملاك واسعة في مكة والمدينة ومع ذلك فليس بمكة على قدم عهدها بالحضارة وعظم مكانتها في نفوس الناس من زمان بعيد جداً شىء يذكر من جهة العمارة القديمة مما هو موجود بكثرة بمصر والشام اللهم الا بيت الشريف ناصر باشا الذى هو في فخامة المنظر وجمال الصناعة العربية بمكان عظيم ويصح ان يكون احسن بيت في مكة

« وضمن هذه المساكن بعض الدور

القديمة فترى دار ابن عباس في المسعي علي يمين السالك الى المروة وفي الشرق الشمالي للحرم آثار دار أبي سفيان المشهورة في الجاهلية والاسلام . وهي مهدمة لا عناية للقوم بها . ولو لاحظوا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل لها يوم الفتح شأناً كبيراً حيث جعلها حرماً محترماً كل من دخلها من المشركين كان آمناً لكان المجلس البلدى بمكة أعارها شيئاً من عنايته

« والحرم الشريف بين هذه البيوت مائل الي الجهة الجنوبية مما يلي جبل أبي قبيس . وفي هذه الجهة دار الخيزران يتلوها شرة شعب بنى هاشم ويسمونه شعب علي ثم شعب المولد ثم شعب بنى عامر . وفي هذه الجهة كانت مساكن بنى عبد المطلب في الجاهلية وفيها الآن كثير من الاشراف أما بقي قريش فكانوا في الجهة الاخرى من الحرم خصوصاً جهة الشمال ومن دونهم باقي أهالي مكة

« ويتوسط مكة طريق يقطعها من الغرب الي الشرق وهو أكبر شوارعها ويختلف اسمه باختلاف الجهات التى يمر عليها . فاذا ابتدأ غربا من جرول يسمي حارة الباب ، ثم الشبيكة حتى اذا وصل الى الحرم من جهة الشمال سمي الشامية فاذا انعطف الي الجنوب علي يمين الحرم يسمي السوق الصغير ثم جياد وفيه البوستة والتلغراف والتكية المصرية ودار الحكومة العثمانية ويسمونها بالحميدية والي جوارها ادارة الصحة وقشلاق الطوبجية والمطبعة الاميرية ، فاذا وصل الى الصفا سمي المسعي ثم القشيشية ثم سوق الليل ثم الغزة ومنها الي باب مكة الشرقي أو باب المعلي . أما الشوارع التى في شمال الحرم فهي الشامية وفيها سوق المدينة والقرارة والنقا والسليمانية والجدرية والبراضية . وليس بمكة علي كبرها ميادين عمومية اللهم الا صحن المسجد الحرام الذى بسعته يؤدى وظيفة الميادين الكبرى . وهذه الطرق تختلف سعتها من مترين الي خمسة عشر متراً وتراها في زمن الحج غاية في الوساخة والقذارة مما يوجب علي المجلس البلدى في مكة أن يعتنى بنظافتها خصوصاً في مدة الموسم مع عدم اهماله أمر النور ليلا خدمة للدين وللانسانية وفي مدة الموسم يرى أهل البلاد لا سيما الاعراب يضعون

دائما سنادتين من القطن في فتحتي مناخرهم بعد أن يغمروهما بدهن المر ويسمونها الصمايم ويربطونهما بخيط يعلقونه في رقبتهم حتى اذا آنسوا عدم وجود قذارة رفعوهما وأرسلوهما علي صدورهم ، وهم لو علموا ان هذه السدادة ضررها أكبر من نفعها لا بطلوا استعمالها لان وظيفة الخياشيم انما هي لتنقية الهواء من الادران فتسوقه الي الرئتين نقياً . ولو دخل الهواء الفاسد الي الرئتين من طريق الفم فانه يدخل اليهما بما فيه من المادة الغريبة فيصل معها بالدم وهنالك يكون تأثيره الضار والعياذ بالله . أما الطبقة الراقية وخصوصاً من الاعراب فانهم يضعون طرف عمائمهم (كوفيتهم) علي فمهم وأنفهم ويثبتونها في عمامتهم أوعقالهم اتقاء البرد أو الروائح الكريهة

ويقصد مكة زمن الحج أنواع العالم الاسلامي من جميع الاطراف المسكونة فترى بها الازياء المتباينة والسحن المختلفة حتى ليجدر بها أن تسمي بالمعرض الاسلامي ولقد رأيت فيها رجلا يابانيا من كبار قواد اليابان قد أسلم وقدم اليها لتأدية فريضة الحج

وقد اعتاد الشوام والمغاربة سكنى الجهة الشمالية من مكة زمن الموسم ، والافغان والسليمانية (أهالي قندهار) في الجهة الشمالية الشرقية ، والهنود والجاوة في الجهة الشمالية الغربية ، واليمن والتركستان والضاغستان في المسفلة ، والعجم في شعب علي ، وما سوى ذلك في وسط المدينة. وأهالي مكة يبلغ عددهم ١٥٠ الف شخص منهم خمسون الفا من الاهالي والباقون من الاعراب كما تراه في الجدول الآتي

الف	
٥٠	أهالي
٢٥	أعراب وغالبهم حجازيون ويمنيون وحضارم من سكان حضرموت
٢٠	بخاريون
١٢	هنود
١٥	جاوة
١٠	سليمانية وأفغان
٥	شوام
٥	مغاربة
٨	أجناس مختلفة
١٥٠	المجموع

واغلب هؤلاء الاعراب يشتغلون بالامور المالية وخصوصا التجارية فالك نبه أمرهم وأصبحت مالية البلاد في ايديهم وانا نذكر لك بعض البيوت القديمة التى توطنت منهم في مكة من زمن بعيد وفيها كثير ممن اشتهر بالوجاهة والثروة

(ثم ذكر المؤلف اسماء بيوت كثيرة من الهنود والجاويين والبخاريين والحضارم والشوام والترك والمصريين ممن سكنوا مكة وأثروا بها ثم قال):

ومن اختلاط هذه الاجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة او المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا في خلقهم ،خليطا في خلقهم .فتراهم قد جمعوا الي طباعهم وداعة الاناضولي وعظمة التركي واستكانة الجاوى وكبرياء الفارسي ولين المصرى وصلابة الشركسي وسكون الصينى وحدة المغربي وبساطة الهندى ومكر اليمنى وحركة السورى وكسل الزنجي ولون الحبشي .بل تراهم جمعوا بين رقة الحضارة وقشف البداوة فبينما الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك وضمّنته بين يديك ، اذا هو قد استوحش منك وأغلظ في كلامه حتي كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه علي طبيعة الحضارة فلم يعلق ما تكلفه في حضرتك

وقد وصل هذا الخلط الي ازيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية :عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجر تراه علي الخصوص في حزام الاشراف مفضضا او مذهبا بشكل جميل جداً وكثيراً ما يكون مرصعاً بالاحجار الكريمة . ومع هذا فقد ترى الرجل الصانع الفقير يلبس القميص علي ياقته الظرافة المشغولة بالحرير وعلي رجل سراويله شيء يشبه الركامة وهو حافي الرجل(مثلا) . غير أنك لا تلاحظ ذلك في طبقة الاشراف التي ترفعت عن هذا الخليط فلم يدخل في مادتهم غريب ولا يتغلب عليهم خلق جديد ، بل خلقهم هو بعينه العربي البحث الذى ورثوه عن اجدادهم والفوه فطروا عليه من كريم العنصر وذكاء المحتد . وعلي العموم فأخلاق أهل مكة غاية في الكمال وخصوصا فى الطبقة العالية منهم رضى الله عنهم ولا يؤخذ علي مجموعهم خسة بعض السوقة فيهم

والذى يؤسف له أن هذا الخلط وصل الي لغتهم فتراهم يتكلمون في الغالب بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية أو غيرها وهم ينونون المضاف فيقولون في هذا حق فلان مثلا (هذا حقٌ فلان) مع ابدال القاف جيما مصرية ومنهم من يمد الحرف المنون فيقول (هذا حقون فلان) أو يؤنث لفظه فيقول (حقة فلان) ولا يحذفون النون من الفعل في صيغة الامر الجميع فيقولون (هباصلون المغرب واركبون) بدل صلوا واركبوا . ويستعملون الترخيم في غير المنادى فيقولون (قم لنا) أى قم لمندنا : ويقولون في الابل البِل بكسر الباء وفي الجبل البَل بفتحها . ويقولون كَيِّمنا أى كلنا (خلصنا) ويقولون (وصابق) في واصيبق .و(اللمن) في اليمن وما يكثر سماعه منهم قولهم .(دَحين) في هذا الحين . و(ازهم فلان) . في ادع فلانا . ويعبرون عن الرجل بلفظ (زله) ويجمعون الرجل علي أوادم . ويقولون (زكّنه) أى أضربه . و(قل كذا) أى أعمل كذا . ويقولون ايش للاستحسان . و(ستّم) في صنم أو اغن .و (انجمص) يعنى اجلس . و (فصخ حداك) أى اخلع نعالك . ويقولون (مشلح) للعباءه . و (شاية) للقفطان . و (امرح) اجر و (الودّن) الفدان من الارض . و (العمادة) الكوفية . و (ركّن عليه) أى أكد عليه و (زل) بمعنى مر . و (اندر) بمعنى اخرج . و (الا) بمعنى نعم . و (اقعد) في رح . ويستعملون قولهم (أشكل) لأفعل التفضيل من الحسن فيقولون هذا الشيء أشكل من هذا ، بمعنى أحسن منه . و يستعملونها احياناً للكثرة فيقولون (هذا أشكل من هذا) بمعنى أكثر. ويسمون الاولاد بالبزورة فيقولون (بزورة فلان أو بزران فلان) أى أولاده ويستعملون لفظ (هرّج) في معنى كلم فيقولون (ما هرجته) أى ما كلمته ويستعملون لفظ (صاقن) التركية للاحتراس والتنبيه . و (قربوز) البطيخ ويستعملون غير ذلك كثيراً من الكلمات التركية والفارسية مثل (روشن) الشباك ويقولون عن حياض مجرى عين زبيدة (بازان) وهو اسم لرجل أعجمى قام بعمارة هذه الحياض وان كان تبادر الذهن لاول وهلة انه لفظ فرنسي

فلنتنه انه من وضع بعض المهندسين الاتراك الذين كانوا يعملون في اصلاح هذه العين . كما استعملوا بعد ذلك من هذه اللغة الفاظا كثيرة في المدينة المنورة بعد وصول السكة الحديدية اليها فيقولون البيليت تذكرة السكة الحديدية و (استاسيون) المحطة و شماندفير السكة الحديدية والفاجون العربة و البرصونيل للمستخدمين وهكذا من الالفاظ التي لم يسمح الوقت لاستقصائها وهذا كله مع كثرة اغلاطهم النحوية وعدم مراعاة القواعد الصحيحة التي لا يهتمون بها في تقويم ألسنتهم أو أقلامهم واني بينا كنت محزونا لتأخر اللغة العربية في مشرق انوارها ومظهر اعجازها اذ عثرت على ترجمة فرنساوية لكتاب عمرو ابن العاص الذى أرسله الي عمر بن الخطاب لما استولي علي مصر يصفها له فيه ويشرح له السياسة التي سيتخذها فيها وقد نشر هذه الترجمة الكاتب الفرنساوى الشهير المسيو أوكتاف أوزان في جريدة الفيجارو الفرنساوية الشهيرة ونقلته عنها برمته جريدة البروجريه الفرنساوية المصرية مع التعليقات التي علقها عليه المسيو أو زان والتي وصف فيها هذا الكتاب بأنه من اكثر آيات البلاغة في كل لغات العالم ، وقال عنه أنه من الفرائد في ايجازه واعجازه واقترح وجوب تدريسه في جميع مدارس المسكونة حتى يتعلموا منه مع قوة الوصف ومتانة التعبير صحة الحكم علي الاشياء وكيفية تنظيم الممالك وسياسة الاستعمار . وانا اذا أسفت اشديد الاسف علي ضياع هذه اللغة من الوسط الذى لا تزال فيه هذه العترة الشريفة القرشية التي نزل بلغتها القرآن وصار معجزة الاسلام بفصاحته و بلاغته وكتب بها ابن العاص هذا الكتاب وهو في بداوته وعلي نشأته الاولى ، هذا الكتاب الذى بعثته من أدراجه مدنية العصر العشرين من دفاتر الغابرين وأعطته ما يليق به من التجلة والاحترام فقد يجب علينا أن نفتخر بأن كتاب ابن العاص بقي في مصر ملازماً لذلك الوصف الطبيعي الذى وصفها به عمرو من ثلاثة عشر قرناً ولا يزال قائماً بها الي الآن بل والي آخر الزمان . وقد أثرت بلاغته في المصريين الذين هم والحمد لله الآن في مقدمة الناطقين بالضاد حتى لكأني بمصر في أيامنا هذه وقد

انتقلت اليهم فصاحة الخطباء ومتانة الكتاب وبلاغة الشعراء في عصر الحضارة الاسلامية ، وعسي أن يكون هذا خير فأل او فأل خير لبنيها يكون لهم من ورائه ان شاء الله شأن كبير ومقام خطير

وغالب أهل مكة يتكلمون بالتركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مختلفة كالهنديه والاُوردية والجاوية والفارسية والصينية . أما أهل البادية فلغتهم عربية صرفة لا نكاد نفهمها اذا سمعناهم يتكلمون بها ولكل قوم منهم لغة مخصوصة تختلف في لفظها باختلاف القبائل فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول زربة في قربة . وعتيبة تقلب الكاف سينا فيقولون سواسب في كواكب و سليب في كليب وسبد في كبد . أما بنو شيبان فينطقون بالكاف جيما قارسية معطشة فيقولون جواجب وجليب وهم كذلك يقلبون القاف جيما فارسية فيقولون في قربة جربة وهكذا والعرب لا ينطقون بالقاف بل يلفظونها جيما مصرية . ومنهم من يقلب الميم باء كقولهم بكة في مكة ومنهم من يقلب الثاء فاء فيقولون (فم) في ثم . ومنهم من يغير الحركات في الكلمة كقول الحجازيين (الحَج) وقول نجد الحِج وهكذا . وعلي كل حال فلا يزال في عرب اليوم أثر ما كان في لغاتهم القديمة من الكشكشة والكسكسة والعنعنة والفحفحة والجعجعة والاستنطاء والطمطمانية والوتم مما هو مشروح بكتاب مميزات العرب لحفني بك ناصف المصرى (أنظر كلمة عرب من هذا القاموس)

وأهل مكة كلهم مسلمون ولا يدخلها غير مسلم من السنة التاسعة للهجرة التي نزلت فيها الآية الشريفة يا أيها الذين آمنوا ان المشركين نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وكان علي ينادى في الموسم الذى أعقب نزول الآية الشريفة بقوله:

(ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك) وكان المراد بذلك منع المشركين من الحج وعدم دخولهم البلد التي بها تتم مناسكم لانهم مع ما كانوا عليه من سوء الضمير وخبث الطوية كانوا يلقون بذور الشقاق والغل بين قبائل العرب

لمسلمين ويوغرون صدورهم بقصد التفرقة التي يكون من ورائها الطمن فلما مات رسول الله صلي الله عليه وسلم ارتدت العرب في أطراف الجزيرة بعد عشرة أيام من بيعة أبي بكر وذلك بتأثير المشركين منهم حتى بلغ من أمر هؤلاء ان ادعي النبوة منهم طليحة في الشمال وطيمة في اليمن ومسيلمة الكذاب مع سجاح في اليمامة شرق بلاد العرب وقام غيرهم في الدعوة لنفسه في وسط البلاد هنالك استنفر ابو بكر المسلمين الى قتال أهل الردة . وبعث اليهم بأحد عشر لواء وأمرهم أن يحاربوهم وان لا يقبلوا منهم غير الاسلام فساروا وأبلوا في قتالهم بلاء حسنا وخصوصا جيش خالد بن الوليد الذى كان له الفضل الاكبر في رجوع الناس الي الاسلام

وبعد وفاة ابي بكر سار عمر علي طريقته في تطهير بلاد العرب ممن كان علي غير دين الاسلام لأنهم أهل البلاد الذين بهم عزها ولهم يكون خيرها أو شرها وبهم تكون سعادتها أو شقاوتها وسار علي سنته من أتي بعده من الخلفاء الي اليوم . لذلك ترى الآن أهل الحرمين أنفسهم يبالغون فى مراقبة الاجانب الذين يفدون الى بلادهم فلا يتعدى ينبع وجدة وصنعاء جنوبا ومحطة العلاء شمالا أحد من الاجانب بالمرة وان فعل فانما هو مورط بنفسه الى حتفه من أهل البلاد ولذلك فان الاجانب من عمال السكة الحديدية الحجازية ماكانوا يغادرون المحطة لجهة الجنوب ولو لضرورة

أما أفراد الفرنجة الذين قصدوا مكة والمدينة في أزمنة مختلفة وكتبوا عنهما ماكتبوا على حسب نزعاتهم سياسية أودينية أو عمرانية أو جغرافية انما كانوا يتزيون بزى المسلمين بعد أن يعرفوا اللغة العربية ويدعون أنهم علي الدين الاسلامى ونخص بالذكر منهم بوركارت السويسرى وبرتون الانجليزى وهور جرونج الهولاندى وكور تلون الفرنساوى وأولهم هو أسبقهم الى التوريط بنفسه في بلاد العرب وبوركات سويسرى الجنس لوزاني المولد وفد الي مصر ودخل الازهر بعد ان ادعي الاسلامية وسمي نفسه ابراهيم المهدى وتعلم فيها العربية ثم سافر الى بلاد العرب وأقام بها نحو سبع سنين وكتب

عنها كتابه الذى هو احسن ماكتبه الفرنجة فيها خصوصا وصفه بلاد العرب وقبائلها ومات فى مصر علي زيه الاسلامي ودفن في قرافة باب الفتوح بجوار قبة الشيخ يونس ولا يزال قبره موجوداً بها ومكتوبا علي شاهد تربته هذه العبارة

(هو الباقي)
(هذا قبر المرحوم الي رحمة الله)
(تعالي الشيخ حاج ابراهيم المهدى)
(ابن عبد الله بوركهر الوزاني تاريخ)
(ولادته ١٠ محرم سنة (١١٩٩) وتاريخ)
(وفاته الى رحمة الله بمصر المحروسة فى)
(٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٣٢)

ومن عوائد اشراف مكة ان كبراءهم يرسلون أولادهم وهم في نعومة أظفارهم الي البادية وخصوصا الي قبيلة عدوان التى توجد في شرق الطائف وهي قريبة من سعد التى رضع فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم فينشأون فيها على البداوة التامة مع الامية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الي مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم واخذوا من عقائدهم وطباعهم واحسن ما تراه فيهم الفروسية والحرية فى القول والفعل وهذه العادة قديمة جداً فى القوم . ومما يذكر عن الرشيد انه رأى ولده المعتصم وهو صبى يتأفف من الذهاب الي الكتاب فمنعه منه وأرسل به الي البادية فمازال بها حتى عاد منها عارفا بلغتها عالما بأخبارها حافظا لكثير من اشعارها . وقد ولي الخلافة وهو علي اميته

ومن عادة شريف مكة ان يجلس للحكم في دار الامارة كل يوم من الساعة الخامسة نهاراً الي قبيل العصر فتعرض عليه المسائل الهامة وهنالك يستعد الي التوجه الى الحرم في ركبة بسيطة فيصلي العصر وكثيراً ما يجلس بالحرم حتي يصلي المغرب ثم يعود الي قصره فيتناول العشاء مع من يريد من بنيه وخاصته وضيوفه

ومن عادته انه يجلس صباح يوم الجمعة في ادارة الامارة للمقابلات فيفد عليه الوالي وكبار الموظفين ثم اعيان مكة ووجوهها وبعد السلام علينا يذهبون الي السلام علي الوالى ومن عادته ان يصلي الجمعة في الحرم حتي اذا كان في الطائف منزل منها في موكبه فيصليها فيه وبعد العصر يعود الي مصيفه

ومن عادة أهل مكة التأنق في

المأكل والمشرب واللباس وتكثر في لباسهم الالوان الزاهية الباهية وخصوصا الاحمر والازرق والوردى . وترى في مساكنهم كثيراً من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة وخصوصا البسط العجمية النادرة المثال

ومن عاداتهم تقديم الشاى في اى وقت تحية للقادم عليهم واقامت المآدب في حفلة يسمونها قليلة (لعلها آتية من القيلولة) ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة في شكلها وطعمها وليس لاطعمتهم نظام مخصوص فنها الهندى والعربي والشامي والمصرى والتركي ويقعد المدعوون في هذه الولائم على سماط يمد في الارض وتقدم عليهم الالوان بعد آخر . وبعد فراغهم من الطعام يجلسون للسمر او سماع بعض الاغاني وآلات الطرب كالعود او القانون او الربابة ثم ينصرفون وغالبا تكون هذه الحفلات في ضواحي مكة كالزاهر والشهداء وهناك يبكرون اليها و يقضون يومهم في سرور وحبور والعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة او النرد او الشطرنج مثلا ولاهل كل حارة من حارات مكة عادة مع اميرها ذلك أن يجتمعوا ويدعوا الشريف الى وليمة يقيمونها له كل سنة في احد متنزهاتها خارج مكة فاذا قبل منهم ذلك عين يوم الوليمة وفيه يذهب مع خاصته الذين يدعوهم للتوجه معه في موكب فخيم تجرى امامه خيالة الاعراب والبيشة والناس يهتفون له بقولهم — دا عا (يعيش) حتى اذا وصل مكان الدعوة جلس مع من اراد وفي وقت الغداء تمد الموائد على النظام الافرنجي والعربي ويجلس الشريف ويدعو خاصته الاكل معه . وبعد الطعام تلعب الاعراب بالعاب الفروسية تارة بالخناجر واخرى بالسيوف الى آخر النهار . وبعد فترة من الليل يعود الشريف في موكبه الى مكة

ومن عوائد اهل مكة انهم يأكلون مرتين في اليوم ، واحدة في نحو الساعة التاسعة صباحا والاخرى بعد صلاة العصر وهم يميلون الى الابهة والفخفخة كثيراً ويقلد صغيرهم كبيرهم في التظاهر بالكرم والشجاعة خصوصا في شهر رمضان وقد كانوا يفطرون في الحرم بعد صلاة المغرب فيمدون فيه الموائد هنا وهناك لاسيما في زمن الحر ولكن الشريف

عون الرفيق أبطل هذه العادة (وخيراً فعل) لان فضلات الاكل كانت توسخ المسجد فتكثر فيه الحشرات والقطاط وغيرها . ومن عوائد كثير منهم أنهم يشرطون وجنات صبيانهم ثلاث شرط في كل جهة ونساؤهم يدخن بالنارجيلة والزار يفشو فيهن كثيراً وبعضهن يخرجن الى الاسواق بملاءة واسعة سوداء في الغالب وبرقع كثيف فيه ثقبان صغيران فيما يقابل العينين وفي أرجلهن أخفاف ضخمة لونها أصفر غالبا

«وأفراحهم ومآتمهم غاية في البساطة

ومن عوائدهم في زواجهم أنهم يدعون الاهل والمحبين نساء ورجالا فأما الرجال فيجلسون في الاماكن المعدة لهم خارج البيت ووقت العشاء يمد لهم سماط مستطيل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون ثم ينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب قاعة الجلوس قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء فتحنى المرأة يداً من يديها ثم تدخل الى المكان وبعد السلام تجلس على هذا الحال مع باقي النسوة ولا يزلن يتجاذبن أطراف الحديث الى منتصف الليل وهناك يزففن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يضعن في عنقها عقوداً كثيرة من زهر الفل أو من ثمر التفاح وهو في قدر البندق

وأما مآتمهم فعند موت الميت تصرخ امرأة من أقرب النساء اليه صرخة واحدة او صرختين اعلاناً بالمصيبة فتتوافد عليها النساء فيجدن قصعة الحناء بجوار قاعة الجلوس فتحنى كل واحدة منهن يداً من يديها ثم يدخلن القاعة وبعد أن يعزين صاحبة الفقيد بكلمات قليلة يجلسن ويأخذن في الحديث في شؤون مختلفة ثم ينصرفن أما الميت فيأخذه بعض أقاربه ويدفنونه بغير احتفال كبير وبعد دفنه يتوارد الرجال على أهله فيعزونهم وينصرفون لوقتهم . ومن عوائدهم أنهم يحتفلون احتفالا كبيراً بختم أولادهم القرآن الكريم ويسيرون بهم بموكب عظيم في طرق مكة ويحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بالزاهر على مسافة نحو سبعة كيلو مترات من مكة على طريق المدينة فينصبون خيامهم في تلك الصحراء ويتفاخرون بكثرة

الطعام والشراب ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول ويعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول ميمونة وحول النبي في شهر رجب يحتفلون بزيارتهم المدينة المنورة

«ومن عاداتهم الاصطياف في الطائف ويرتفع عن سطح البحر بمسافة ١٥٥٠ متراً «والهدى فوق جبال كرا وترتفع عن سطح البحر بمسافة ١٧٦٠ متراً وفيه جنات كثيرة تجرى من تحتها الانهار ، فيها ما يشتهون من اثار وأزهار وأشهر مصيف في الطائف يسمي شبرا وهو لاشراف ذوي عون أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المثناة وهي القرى غالب وهي أحسن حدائق الطائف ومشهورة بخوخها وعنبها وماؤها أعذب مياه تلك الجهة . وللطائف طريقان طريق القافلة ويبعد من مكة بنحو ٦٦ ساعة وطريق البغال على جبل كرا وهو على نحو نصف هذه المسافة . ومدينة الطائف مشهورة بطيب هوائها وليس أحسن منها الا جبل الهدى الذى يبعد عنها بنحو ثلاث ساعات الي مكة وأهله مشهورون بجمال خلقتهم ونعومة بشرتهم وينسبون ذلك الي شربهم من نهر هناك يسمونه العسل يبالغون في حلاوة طعمه . وفي الطائف قبر السيد بن الطاهر والطيب ولدى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقبر سيدنا عبد الله بن العباس ويقصده اليمانيون لزيارته قبل الموسم وله علي الخصوص عندهم احترام كبير وكان بها زمن الجاهلية معبد اللات والعزى وكانت تدين بهما ثقيف وغيرهما من القبائل المجاورة للطائف ، وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ذهب اليهم في أول نبوته وطلب منهم نصرته فأبوا عليه ذلك

«ويتخلف من الحج كثير من أهل مكة ويقيمون فيها للمحافظة علي دورهم من اللصوص الذين يكثرون في هذه الآونة فيقطعون ليلهم سهراً بين اطلاق بنادقهم من كل الجهات اعلاناً بأنهم يقظون لكل من قصدهم بسوء

ويوجد بمكة وخارجها مزارات كثيرة منها مولد النبى صلي الله عليه وسلم ومولد علي ومولد فاطمة ودار الخيزران

«أما مولد النبي صلي الله عليه وسلم فهو في شعب بني عامر أو شعب المولد وهو

مكان قد ارتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف وينزل اليه بواسطة درجات من الحجر توصل الي باب يفتح الى الشمال يدخل منه الي فناء يبلغ طوله نحو اثنى عشر متراً وعرضه ستة أمتار وفي جداره الأيمن (الغربي) باب يدخل منه الي قبة في وسطها (يميل الي الطرف الغربي) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد نقر جوفها لتعيين مولد السيد الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه القبة والفناء الذى خارجها لا يزيد مسطحها عن ثمانين متراً مربعاً . وهما يكونان الدار التي ولد فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان السيد الرسول وهب هذه الدار لعقيل بن أبي طالب فباعها ولده لمحمد بن يوسف الثقفي (أخي الحجاج) فلما بنى داره المشهورة بدار ابن يوسف وكانت بجوارها أدخلها فيها حتى اشترتها الخيزران أم الرشيد وفصلتها وبنتها علي ماكانت عليه وجعلتها مسجداً وهي باقية كذلك الي يومنا هذا

«يقرب من مولد النبي صلي الله عليه وسلم مولد سيدنا علي رضي الله عنه وهو شكل سابقه الا انه أصغر منه

«أما مولد السيدة فاطمة ففي درب الحجر وهو دار خديجة بنت خويلد زوج رسول الله صلي الله عليه وسلم وفيها ولدت جميع أولادها منه . وقبل بعثته صلي الله عليه وسلم كان يعمل في تجارتها الى الشام ثم اختارته لنفسها لما كان عليه صلي الله عليه وسلم من كمال الصفات وصفات الكمال فتزوجها في سنة ٢٨ أعني قبل بعثته بخمس عشرة سنة وماتت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بأربع سنين وهي في الرابعة والستين من عمرها

«وهذه الدار قد ارتفع عنها الطريق أيضاً فينزل اليها بجملة درجات توصل الى طرقة علي يسارها شبه مصطبة مرتفعة عن الارض بنحو ثلاثين سنتيمتراً مسطحها نحو عشرة أمتار طولا في أربعة عرضاً وفيها كتاب يقرأ فيه الصبيان القرآن الكريم وعلي يمينها باب صغير يصعد اليه بدرجتين يدخل منه الي طرقة ضيقة عرضها نحو مترين وفيها ثلاثة أبواب الذى علي اليسار لغرفة صغيرة يبلغ سطحها ثلاثة أمتار طولا في أقل منها عرضاً وهذا المكان كان معداً لعبادته صلي الله عليه وسلم وقد كان ينزل الوحي

عليـه . وعلي يمين الداخل اليـه مكان منخفض عن الارض يقولون انه كان محـل وضوئه عليـه الصلاة والسـلام . والباب الذى في قبالة الداخل الي الطرقة يفتح علي مكان واسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض أربعة وهو المكان الذى كان يسكنه صلي الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضي الله عنها . أما الباب الذى علي اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول نحو سبعة أمتار ونصف وفي وسطهـا مقصورة صغـيرة أقيمت علي المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة رضي الله عنهـا وفي جـدار هذه الغرفة الشرقي رف موضوع عليه قطعة من رحي قديمة يقولون أنها من رحي السيدة فاطمة التى كانت تستعملها في حياتهـا . وعلي طول هذا المسكن والطرقة الخارجـة والمصطبة من جهة الشمال فضـاء رتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر مـتراً وعرضه نحو سبعة أمتـار وأظن انه المكان الذى كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها

« وهذه الدار كانت مقراً له صـلي الله عليه وسلم ومحل اقامته في مكة ومبعثه الي الخلق كافة اذا أنعمت بهـا نظرك وأمعنت بها فكرك لا تراها الا البساطـة بنفسهـا . دار تحتوى علي أربع غرف ثلاث داخليه منها واحدة لبناته والثانية له ولزوجه، والثالثة له ولربه والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس يالله ماهذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ؟ بل ماهذه الآداب الكبرى والكمالات الحيوية العظمي التى صيغت في شكل هـذه البساطة المتناهية ؟ تأمل قليـلا ترى ان هذا النظام هو بذاته ماقضت به المدنيـة العصرية لولا انه يعمـل فيها بشـكل تعددت صفاته ، وكثرت حاجياته . هذه هى دار الرسول الذى أرسـل الناس كافة نعم هذا هو منزل هذا النبى الامي وذلك هو نظامه في بيته . ذلك النظـام الذى وان كان مجرداً عن مظاهر العظمـة والفخـامة فقد اكتسي بحلي الجـلال والكمال . اللهم انى آمنت بك وبرسولك هذا الذى لم يتخذ دينك وسيلة الي عيش الاغنياء وحياة العظماء بل كان حسبه من عيشه ما كان يقوم بحياته التى انما كانت كلها خيراً وبركة ويمناً وسعادة الناس أجمعين

« ولما هاجر صـلي الله عليه وسلم الي المدينة استولى علي هذه الدار عقيل بن أبي طالب ثم اشـتراها منـه معاوية ابن أبي سـفيان فجعلها مسجداً وعمرت في زمن الناصر العباسى وقد وضـع في حائط الطرقة الخارجية علي يسار الداخل لوح من الرخام مكتوب عليه بالحروف البارزة « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة مربد مولد الزهراء البتول فاطمـة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمـد المصطفي المختار صلي الله عليه وعلي آله وسلم سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعـة علي الخلق أجمعين الناصر لدين الله امير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وجعل منافعه ومشتغلاته وأجره عائداً علي مصالحه ثم علي مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوى . عـلي مايرى الناظر المتولي له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المربد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجـه الله تعالي وطالبا لثواب الدار الآخرة تقبل الله ذلك منه وجزاه أجر المحسنين . وذلك علي يد الفقير الي رحمـة الله تعالى عـلي بن أبي البركات الدوراني الانبارى في سنة (٦٠٤) ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله والعنة اللاعنين الى يوم الدين آمين . وصلي الله علي سيدنا محمـد خاتم النبيين وعلي آله الطاهرين »

ثم عمرها بعد ذلك الاشرف شعبان ملك مصر ثم الملك المظفر صاحب اليمن ثم السلطان سليمان سنة (٩٣٥)

« أما دار الارقم المخزومي المشهورة بدار الخيزران فهي في زقاق عـلي يسار الصاعد الي الصفا وهي الدار التى كان يختبيء فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم في صدر بعثته هو ومن آمن معـه وكانوا يصلون بها سراً حتى اسلم عمر رضى الله عنه فقويت به عصبيتهم وجهروا بالاسلام والصلاة . وباب هـذه الدار يفتح الي الشرق ويدخل منـه الى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعـة وعلي يسارها ايوان مسقوف عـلي عرض نحو ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصـير وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان موضوعان فوق بعضهما مكتوب في أعلاهما بالحرف البارزة بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. هذا مختار رسول

الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الاسلام أمر بتجديده الفقير الي مولاه أمين الملك مصلح ابتغاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين » ومكتوب في الثاني « بسم الله الرحمن الرحيم هذا مختبأ رسول الله صلي الله عليه وسلم المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وانشائه العبد الفقير لرحمة الله جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الاصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول الي الله تعالي الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة بقاه وأذله في الدارين مناه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة »

« ومن الاماكن المقدسة غار حراء وهو الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلي الله عليه وسلم ومساحته تقرب من ثلاثة أمتار في مترين، ويوجد في قمة جبل النور الذي علي يسار السالك الي عرفة وفيه نزل الوحي عليه صلي الله عليه وسلم لاول مرة ثم جبل ثور وهو الي الجنوب من جهة المسفلة وعلي ساعتين منها وفيه الغار الذي اختفي فيه رسول الله مع صاحبه أبي بكر حين قصد الهجرة الي المدينة ومساحته نحو مترين في مترين . ثم المَعْلَي وهي مقبرة مكة وتوجد خارج بابها الشرقي وفيها ضريح السيدة خديجة زوج النبي صلي الله عليه وسلم وهو داخل قبة تجددت سنة (١٢٩٨) وفي القبة مقصورة من خشب الجوز أقيمت علي قبرها الشريف . والي جانبها مقصورة صغيرة مدفون فيها ستة عشر شخصا من الاشراف . وخارج هذه القبة الي الغرب قبر السيدة الكبيرة حرم ساكن الجنان محمد علي باشا وكانت قد أتت الي الحج سنة ١٢٦٦ فماتت ودفنت بهذا المكان وقبالة قبة السيدة خديجة الي الجنوب قبة السيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول عليه الصلاة والسلام وبجوارها مقصورة دفن فيها الشريف محمد بن عون . وفي شمالها قبة أبي طالب عم النبي صلي الله عليه وسلم وبجوارها قبة جده عبد المطلب وكانتا قد تجددتا في سنة ١٣٢٥ . وفي هذه القرافة قبر سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وكانت له قبة هدمها الشريف عون الرفيق فلما هدم ولم تشيد بعد وفيها قبر أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان قد حضر الي مكة حاجا في سنة (١٥٨) فمات ودفن بالمعلي ولا يعرف مكانه .

وفيها غير ذلك كثير من قبور الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم

« ومن المزارات بمكة أيضا مسجد الجن ومسجد الراية ومسجد الاجابة ومسجد البيعة ومسجد أبي بكر ومسجد عمر ثم جبل أبي قبيس وفيه مسجد بلال ومسجد انشقاق القمر وزاوية السنوسي التي لها في الحجاز شأن كبير ومقام خطير ومعظم الاعراب علي شيعته

« وفي مكة مكان التلغراف والبوستة بناه المرحوم عثمان باشا نوري عند بنائه لدار الحكومة (الحميدية) وغيرها منذ كان والياً عليها لاول مرة سنة ١٨٨٢ ميلادية

« وفي شوارع مكة كثير من القهاوي البلدية التي نرى في دوائرها دككا وكراسي من الخشب مقاعد مصنوعة من شبكة من الليف أو الخوص الجدول وأحسنها في جهة جياد فيجلس عليها الحجاج وخصوصاً فيما كان منها خارج البلد مدة الصيف، ويشربون بها الشاي (ويسمونه الشاهي) والقهوة والنرجيلة التي يجهزونها بالتمباك العجمي عادة لكثرة استعماله هناك . ولقد رأيت بعض الهنود يمر علي هذه القهاوي وهو ينادي قائلا « كابوس كابوس » (مكيساني) فاذا استدعاه أحد ممن فيها فرشه علي دكة وأخذ يكبسه بمهارة فائقة نحو نصف ساعة علي الاقل في نظير قرش أو قرشين ويقرب من هذه القهاوي عادة سوامر يقوم فيها بعض أناس في الغالب من اليمانيين يتغنون بأغنية جميلة تطرب منها النفوس وكلها في مدح النبي صلي الله عليه وسلم . وفي بعض الاحيان نرى هؤلاء المتغنين متنقلين في طرق مكة

« وفي مكة ثلاث تكايا وأكبرها وأفخرها وأنظمها وأكثرها مورداً التكية المصرية وهي بناء فخم شيده المرحوم محمد علي باشا جد العائلة الكريمة الخديوية في مكان دار السعادة التي كانت محل حكومة بني زيدان من الاشراف كما كانت دار الهناء محل حكومة بني بركات وكانت توجد مكان دار الشريف أبي نمي تجاه باب الوداع وفي هذه التكية مخازن وطاحونة ومخبز ومطبخ ومكان نظيف منظم لحضرة مديرها وأمكنة لمستخدميها ويطبخ بها يومياً الشوربة للفقراء والمعوزين الذين يغدون الى بابها

صباحا لاخذها مع ما هو مرتب لهم من الخبز الذى تقوم به حياتهم ويبلغ عددهم يوميا نحو خمسمائة شخص أو يزيدون

وفي مكة قلعتان تحكمان على المدينة ويسكن بهما عساكر الدولة وهما قلعة جياد الذى بناها الشريف سرور سنة ١١٩٦ هجرية في الجهة الجنوبية وقلعة الهندى التى بناها الشريف غالب سنة ١٢٢١ في الجهة الشمالية وفيها حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر، واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ . والثاني بالقشاشية ويسمونه حمام النبي وبها مطبعة الولاية وتسمى باسمها . ويصدر فيها جريدة بالتركية والعربية اسمها (حجاز) وهي شبيهة بالرسمية وكل ما فيها تقريبا يتعلق بأخبار الحكومة واعلاناتها

« وليس في مكة كتبخانات تذكر اللهم الا كتبخانة بسيطة في باب أم هاني، تسمى كتبخانة شرواني زادة محمد رشيد باشا والي الحجاز سابقا وأخرى في باب الدريبة قرب باب السلام تسمى بالكتبخانة السليمانية أسسها السلطان عبد المجيد وكونها من شتات كتب الحرم وغيرهما مما أرسله اليها من الآستانة. ولكل كتبخانة من هاتين فهرست بخط اليد ومدير يقوم بشؤنها . والكتب التى يقوم بها نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وغالبها باللغة العربية وفيها شيء بالفارسية والاوردية والهندية والتركية والجاوية (لغة الملايو) وقد كان بمكة كتب كثيرة مهمة وكانت موضوعة في دور البيت في دائر حائط الحرم، سرق بعضها والسيول التى أغرقت المسجد وخصوصا في سنة ٤١٧ صعدت الي هذه الخزائن وأتلفت منها شيئا كثيراً وكان في ذلك أكبر مصيبة على العلم والعلماء لانهم فقدوا بها مالا يصلحه الزمان ولا يعوضه الانسان

« وفيها مدرستان المدرسة الصولية بناها المرحوم الشيخ رحمة الله الهندى الشهير (صاحب كتاب اظهار الحق) ويدرس فيها القرآن الشريف وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والاعمال الحسابية والهندسية ويشرف عليها من تبرعات أهل الهند وهو أمر لا ثبات له ولا تدوم معه حياة مدرسة نافعة مثلها ثم المدرسة التى يقوم بها حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف محمد الخياط وهو

من علماء مكة الاماثل ويدرس فيها ما يدرس في الاولي بتوسعة، وعناية مولانا الامير بها كبيرة ولذلك فالامل في نجاحها عظيم . ولقد قرأت بعدد ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ من جريدة المفيد الغراء نقلا عن جريدة صباح أن الحكومة العثمانية افتتحت مدرسة بمكة المكرمة بحضور الوالي والشريف وجمهور من الوجهاء والاعيان فعسي أن يكون فيها الخير المرجو لام القرى بل لأم العواصم الاسلامية

« ولو كان مولانا الامير يقضى بأن يتخرج المطوفون من مدرسة مخصوصة يدرسون بها ما هو خاص بوظيفتهم لكان في ذلك أكبر خدمة دينية لان جل الموجود منهم الآن يجهل مأموريته الكبرى . وليت بعضهم يقف عند هذا الحد بل يلقي في ذهن الحاج ما ليس من الدين في شيء كمسألة الكنفاني والزلباني مثلاوهما حجران في طريق جدة الى بحرة يزعمون ان واحداً منهما كان كنفانياً والآخر كان زلبانيا وكانا يغشان الحجاج فمسخهما الله حجرين . ومسألة الناقة والحجام والحجامة بجبل عمر ذلك ان هناك صخرة تشبه ناقة باركة والي جوارها حجران يزعمون ان النبي كان بهذا المكان بناقته فأتي رجل حجام مع امرأته وأمسكا بالناقة التى لم تنهض برسول الله صلي الله عليه وسلم فمسخهما الله معها على هذه الصورة . ومسألة سارق الصندوق وهو صخرة الي جهة جبل النور تقرب من صورة رجل يحمل صندوقاً يزعمون انه كان سارقا فمسخه الله عليها. وأمثال هذا كثيرة مما تجب العناية بإزالته خدمة للدين المتين . والأدهى من ذلك أنهم يحرفون ألفاظ القرآن الكريم عمداً أثناء الطواف بتفخيمهم مالا يجوز تفخيمه أو ترقيقهم مالا يصح ترقيقه . بل منهم من يقلب الحرف بآخر لتقريبه الي نطق السامع ان كان تركيا أو هنديا أو فارسياً فيقولون مثلا « وكنا عذاب النار » في قوله تعالي « وقنا عذاب النار » و« مهمد رسول الله » في محمد رسول الله . و « يا أرهم الراهمين » في أرحم الرحمين و « الوهم » في الهم ونحو ذلك مما لا يجوز شرعا ولا اجماعاً

« ويدرس في الحرم الشريف بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ويقدر عدد الطلبة بيضع

مئات جلهم من الجاورة الذين يفرون الي هذه البلاد من المظالم التى تتساقط علي رؤوسهم من حكومة بلادهم فتراهم يشتغلون وقت الدرس في الدراسة ووقت الفضاء منها يعملون فيه عملا يقوم بحياتهم

« ويبلغ عدد المدرسين العاملين نحو الثلاثين وعنايتهم بالتعليم قليلة جداً وذلك لقلة موارد الارتزاق ولان مرتباتهم التى تصرف لهم من طرف الدولة لا تقوم بأودهم لانها تختلف من مائة الي خمسمائة قرش عثماني سنويا

الي أن قال : « وتجارة هذا البلد كلها أو جلها في يد الاعراب خصوصاً المنود وغالبها من صنف العطريات والسبح والسجاجيد والاقمشة الحريرية الهندية والشامية والصناعة فغير مهمة وهي لا تخرج من صياغة بعض قطع ذهبية أو فضية وخصوصا في عمل الدبل التى يدعون منفعتها البواسير شفاهم الله . والحدادة عندهم بسيطة جدا ولكنها دقيقة في عمل الاساحة وفيها من المصانع فخورة لعمل الدواوين والقلل وكل ذلك في يد الاجانب أيضاً . أما الاهالي فأغلبهم يعيش من مهنة التطويف أو التظاهر بالشعار الديني ولا تروج تجارتهم الا زمن الحج ومايأتيهم فيه من رزق يعيشون منه عامهم . غير أن كثيراً منهم يبرحون مكة بعد الموسم الي الجهات التى بها أناس ممن سبقت معرفتهم بهم في الحج فيفدون عليهم ببعض الهدايا ثم يعودون وقد أخذوا أضعاف ثمنها منهم

« والنقود التى تستعمل في مكة هي النقود التركية والمصرية فضية أو ذهبية والروبية والقروش الهندية والريال الشينكو وأبو طيرة والريال البُرُم الجادى وهو على أشكال مختلفة والجنيه الانجليزى والفرنساوى والرومي وليس لهذه النقود قيمة ثابتة هناك بل تراهم يستعملونها على الدوام في مصالحتهم فيأخذونها منك بأقل من قيمتها او يعطونها لك بأكثر مما تساوى . وهذا عيب كبير من عيوب المعاملات ولعل أرباب الامر والنهي يجتهدون في ازالته قريباً والريال ابو طيرة هو اكثر النقود استعمالا عند الاعراب وقيمته عندهم كالريال الشينكو والمصرى ومما يناسب ذكره هنا اني أعطيت مرة قطعة من النقود ممسوحة قليلا الى طفل صغير اعرابي فردها الى قائلا هذه زلطاه

وهي كلمة بدوية صرفة كأنها وقع عظيم على سمعي والاعراب لا يعرفون قيمة هذه النقود واذا وجد معهم شيء منها يتوجهون به الى التاجر ويقولون سوّ بهذه من الصنف الفلاني على أمانتك ولا تهمهم جودة الصنف بل تهمهم الكثرة منه

« وأسواق مكة كثيرة ومنها سوق الشامية في شمال الحرم وهي أشبه شيء بالاسواق التركية ولها سقف من الخشب على مثال الخان الخليلي بمصر لولا ان شوارعها أضيق وهذه السوق تضيق بالمارين خصوصا عند مرور الجمال بها وفيها يبيعون السبح والاقمشة الهندية والتركية وغيرها وفيها كثير من الفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذى يبيعه على الخصوص حجاج اليمن في شوارع المدينة بأثمان رخيصة

ثم السوق الصغير وهو تجاه باب ابراهيم وأغلب ما فيه الغذاء كالخبز واللحوم والبقول الجافة والخضراء التي يؤتى بها من الاودية المحيطة بمكة كوادى فاطمة شمالا ووادى اليمون شرقا ووادى العبيدية (العبادية) والحسينية جنوبا وكثير من هذه الخضر يأتي مع الفاكهة من جهة الطائف وجبال كرا . وفي هذه السوق دكاكين كثيرة يبيعون فيها الاسماك المقلية التى يؤتى بها من جدة وهي في الغالب مضرة جداً بالصحة لتعفنها من الحرارة وطول زمن النقل وفي شرق المسجد سوق الليل وهي سوق كبيرة مختلطة فيها جميع احتياجات الحاج وفي كل هذه الاسواق نرى مدة الموسم حركة لا تنقطع يأتي من ورائها ربح عظيم لاهل البلد ومدار حركة الاشغال الشاقة في مكة على العبيد فمنهم الحمالون والحطابون والحمارون والسقاؤن والخدامون . ولقد كان الرقيق سوق كبيرة اخذ أمرها ينمحي شيئاً فشيئاً حتى كاد لا يكون له أثر بالمرة وكانوا يسمون المكان الذى يبيعون فيه بالدكة لانه كان في حوشه دكة يجلسون عليها ما يراد بيعه منه

« وبهذه المناسبة أقول ان مايصرفه الحجاج بمكة ليس بالشيء الذى يستهان به الا اذا فرضنا ان متوسط عددهم يبلغ سنويا مائتى الف نفس وان متوسط مايصرفه سنوياً الواحد منهم مدة اقامته خمس جنيهات فيكون ما يصرفه الحجاج

في مكة علي أقل تقدير مليوناً من الجنيهات في نحو شهر من الزمان في أجرة مسكن وبعض المآكل وأجرة مطوف وزمزمي وبعض هدايا يشتريها لذويه وأهليه . ومع هذا كله فان بعض أهالي مكة لا ينظرون الي الحاج (بقطع النظر عن كونه ضيف الله وفي بلده الحرام) بالعين التي يجب أن ينظروه بها وعلي الاقل من الجهة الاقتصادية التي هي مصدر حياتهم لانهم مع احتقارهم له يستبيحون معاملته ويرون في ماله كلأً مباحا لهم ، ويتقولون في ذلك الاحاديث التي لاتخرج معناها عن قولهم « الحاج رزق لاهل الحرمين ورزق الحاج علي الله » ولعل هذه المعاملة السيئة كانت في ذلك الزمن السيء زمن الاستبداد الذي كان المطوفون فيه يوقفون أغنياء الحجاج في سوق المزايدة حتي يرسو أمرهم علي أيهم يتولي شؤونهم كما حصل لبعض سراة المصريين في سنة ١٣٢٦ ولا حول ولاقوة الا بالله

« وجو مكة كثير الحرارة قليل الامطار ومع ذلك فقد تحصل فيه سيول كثيرة من الامطار التي تنزل بكثرة في الجبال العالية المحيطة بالطائف . ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمل في شمال مكة قناطر لحجز مياه هذه السيول عن هذه المدينة وانصرافها من الجهة الشرقية نحو المسفلة الي خزان كبير في الجهة الجنوبية يسمونه بركة الماجن وهناك تستعمل للاعمال الزراعية ولا تزال لهذه السيول أضرار جسيمة بمكة ومبانيها

« وأهواء مكة تختلف في هبوبها جملة مرات في الساعة الواحدة ولهذا يقول المكيون « ان الله خلق سبعين هواء جعل منها في مكة تسعة وستين وفي العالم كله هواء واحداً » ذلك لان الهواء يدور في جو المدينة بين جبالها المحدقة بها كما تدور الدوامة علي سطح الماء ، فبينا تراه يدخل الي المساكن من المنافذ الغربية اذا به انقطع عنها ودخل من الشرقية أو الشمالية أو الجنوبية وهكذا . ولذلك نجد مساكنهم كثيرة النوافذ وغالبا الي الجهات الاربع حتي لاتحرم من الهواء من أي جهة كان ، والهواء البحري عندهم وهو الغربي أحسنها وألطفها لانه يأتي من جهة البحر ، ثم

هواء الشام ويسمونه الشمال والشمال ، أما الجنوبي والشرقي فهما حاران

« ويفسد هواء مكة في أيام الحر لكثرة الساكنين فيها وعدم العناية بنظافتها ، وتكثر فيها زمن الشتاء أمراض الصدر ويندر فيها التدرن الرئوي ، وفي زمن الصيف تكثر الاحتقانات الدماغية وضربات الشمس وأمراض العين والكبد والجهاز الهضمي والدوسنطاريا خصوصا بين الاطفال ويسببها عندهم أكل السمك العفن والفواكه الغير ناضجة وفي زمن الحر تكثر فيهم الحميات لاسيما عند فساد مياه الشرب ويكثر فيهم مرض الجدري ويموت بسببه سنويا اكثر من اثنين في الالف . ومما يجدر بنا ذكره أن الكوليرا لم تظهر في مكة الا سنة (١٢٤٦) هجرية أي في نحو سنة (١٨٢٥) ميلادية وفدت اليها مع حجاج الهند ولا تزال تفد اليها معهم ولو كانت الحكومة تعتني بشدة الحجر علي حجاج الهنود والجاوة في جزيرة قمران قبل دخولهم الي جدة بزمن لأمكنها الحيلولة بين حجاج بيت الله الحرام وهذا الداء الوبيل والاوبئة الكبيرة التي حصلت بمكة في زمن الحجاج وفتكت بالحجاج فتكا ذريعا كانت في سنة ١٨٩٠ ميلادية وسنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٢ . وفي مكة مستشفي معروف الآن باسم شفخانة الخاصكية وهو من خيرات خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني وفيها اجزخانات اثنتان في طريق المسعي وواحدة في مصلحة الصحة بجياد والرابعة أشبه شيء بدكان عطارة بسيطة فيها من الادوية ما فسد غالبه وأصبح ضرره اكبر من نفعه . وعلي كل حال فالعناية بالمسائل الصحية بمكة قليلة جداً لان ثقتهم بالطب القديم الذي مداره علي الكي والفصد والحمية الشديدة وبعض أصناف العطارة الشرقية كالمر والصبر اكبر من ثقتهم بالطب الحديث

«وقد كان الجناب العالي الخديوي حفظه الله (يريد الخديوي الاسبق عباس باشا الثاني) فكر في ايجاد مستشفي بمكة ورتب له طبيبا واجزاجيا فلم يتيسر لهما القيام بأموريتهما واكتفي الحال مؤقتا بالخدمة التي تقوم بها مأمورية الاوقاف الصحية زمن الحجاج ومقرها فيها يكون

في التكية المصرية والحق يقال ان لها أثراً يذكر فيشكر ومصاريف هذه المأمورية تبلغ سنويا فوق السبعمائة جنيه مصرى ومع هذا فانا لا ننسي الخدم التى تقوم بها مأمورية المحمل المصرى الصحية لعامة الحجاج لافرق بين مصرى وغيره

« وأهل مكة يشربون من ماء الآبار التى فيها مثل زمزم أو التى ضواحيها كالزاهر والمسفلاني والجعرانة وغيرها أو من الصهاريج التى تملأ من المطر أو ماء الينابيع او من عين زبيدة التي يجرى ماؤها الى المدينة في قنوات تحت الارض لها خزانات في شوارعها يملأ منها السقاؤن قربهم . وهذه العين لها أهمية عظيمة جداً وهي من أجل الآثار التي تنسب الى السيدة زبيدة زوج هرون الرشيد رضي الله عنها وكان السبب في انشائها أن هذه السيدة البارة رأت في حجها ما كان ينال أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام من العناء الشديد والاهوال الكثيرة لقلة الماء في تلك الانحاء، فأمرت رحمها الله باجراء الماء الي ام القرى من عين حنين التي توجد فيا وراء عرفة الي جهة الشمال الشرقي على مسافة نحو خمسة وثلاثين كيلو متراً من مكة وهذه العين تخرج من جبال طاد وتسير في وادى حنين الذى حصلت فيه (سنة ٨ الهجرة بعد فتح مكة) تلك الواقعة المشهورة بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين المشركين من هوازن وثقيف وثبت فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم ثباتا عظيما كا أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا وقتل فيها دريد بن الصمة وهو من اكبر رجال أهل الجاهلية المشهورين قتله رجل من المسلمين يقال ربيعة بن رفيع السلمي

«وقد اهتمت السيدة زبيدة بهذا العمل الجليل اهتماما كبيراً وأرسلت اليه العمال من جميع الاطراف فبنوا لهذا الماء مجرى عظيما وأوصلوا به مجرى آخر من وادى النعمان من الماء الذى ينزل اليه من جبال كرا التى تبعد عن عرفات شرقاً الي الجنوب بنحو اثنى عشر كيلو متراً وصيروا اليه سبع قنوات أخرى من الجهات التى تسقط اليها السيول حتى تساعد ماء المجرى الاصلي الذى عندما وصل الى جنوب منى تفرع في الصحراء

خزان كبير يصب فيه يسمي بئر زبيدة ومنه سيرت قناة الي مكة ومن هذا المجرى امتد فرعان واحد الي عرفات والآخر الي مسجد نمرة يسير الماء فيهما زمن الحج

« وفي نهاية القرن السابع الهجرى طم مجرى هذه العين وتهدمت قناتها وانقطع ماؤها عن المدينة وذل الناس من جراء ذلك جهد عظيم وذكر الفاكهي في تاريخ مكة ان الامير جوبان نائب السلطنة بالعراق عن السلطان أبي سعيد بن خربندة لعله خدا بنده ملك التتار) أراد ان يعمل عملا نافعا في أم القرى فطلب اليه ان يعمر عين زبيدة فأرسل رجلا من خاصته اسمه بازان لتعميرها فأتمها في سنة ٧٢٦ وفيها جرت مياه العين الي سقايته التى بناها في المسعي وسماها باسمه ويظهر ان هذا الاسم ينقلب علي باقي السقايات التى بمكة حتى صار يطلق علي كل واحدة منها اسم بازان الي الآن

« وما زالت هذه العين حياة لاهل البلد الحرام وحجاج بيت الله المعظم حتى أهمل شأنها وتهدم بنيانها وانقطعت مياهها مرة أخرى فيا بين سنتى ٩٣٠ و ٩٧٠ ونال الناس من ذلك أهوال ماكانت تخطر علي البال حتى بلغ ثمن زق الماء (قربة صغيرة تسع ٣ لترات تقريبا) بعرفة في غضون هذه المدة ليرة ذهبية .

وسبب اهمال هذه العين في المدة المذكورة ان ملوك مصرهم الذين كانوا يعتنون بها ويقومون بعمارتها في الغالب فلما تغيرت الأحوال ودخلت مصر مع أرض الحجاز سنة ٩٢٣ ضمن أملاك الدولة العثمانية التى كانت تشغل كل وقتها كثرة حروبها الخارجية أهملت الدولة ترتيبها الداخلية حكومتها خصوصا ماكان بعيداً عنها ولكن أهل الحرمين الشريفين قاموا في سنة (٩٦٩) والتمسوا من السلطان سليمان اصلاح هذه العين وهناك رجته كريمته صاحبة السمو الملوكاني مهرماه سلطان أن يشرفها باجراء هذا العمل المبرور من مالها الخاص وعينت مديراً للقيام بهذه المهمة وسلمته الاموال اللازمة لها فسافر من وقته الي مكة وشكل مجلسا من أهل الرأى فيها وأمر بحفر القناة وتنظيف فروعها وبناء ماتهدم من مجراها . ولما وصل الاصلاح الى بئر زبيدة بمنى أراد رجمه

الله ان ينبر مجراها الي مكة فاضطر الي
النزول علي هذا الجبل الصخري علي مسافة
نحو ٢٥ مترا من سطح الارض في مسافة
طولها اكثر من كيلو متر ثم عبرها في
حضن الجبل القبلي حتى أوصلها الى مكة
سنة ٩٧٩

« وينقسم هذا المجرى من البياضية
شرقي باب المعلي الي أربع شعب تتخلل
المدينة من جهة الي أخرى ويبلغ عرض
هذه القناة نحو متر وربع في ارتفاع نحو
متر ونصف وتقرب من سطح الارض
وتبعد عنه علي حسب ارتفاعها وانخفاضها
ولها خزانات تملأ منها السقاؤن

« وفضل ماء زبيدة يجري الى المسفلة
حتى يصب جنوب مكة في بركة الماجن
وهناك يستعمل في سقي بعض البساتين
والمزروعات التي لبعض الاشراف

« وكثيراً ماعبثت السيول بهذه
القناة فتعهدها أمراء مكة بالاموال التي
ترد اليها من الدولة أو من أصحاب الهمم
والخيرات من المسلمين وآخر ماحصل لها
من ذلك علي أثر السيول التي وقعت في
سنتي ١٣٢٧ و ١٣٢٨ فهدمت نقطا
كثيرة منها وطم مجراها بما تخلف اليه
من الرمال والاحجار فقام حضرة صاحب
الدولة الشريف حسين باشا امير مكة
وجمع الناس واصلح مااعتل منه وكان
الجناب الخديوى اكبر فضل في ذلك
لانه بمجرد مابلغ سامعه خبر هذه
الناجعة التى أصيبت بها أم القرى ارسل
بألفي جنيه مصرى لهذا العمل الجليل
ووعد بغيره كلما اقتضت الحال لمساعدته

« وهنا يجدر بنا ان نلاحظ علي
بلدية مكة ان الفتحات التى في أعلي هذه
العين من جهاتها المكشوفة في مكة وفي
اعلاها يستعملها الناس في غسيل ملابسهم
وخلافها مما لاينطبق علي القوانين الصحية
ولا تسمح به الشريعة الغراء الاسلامية
وهل يسمحون لى ان أقول لهم ان ذلك
ولا شك العلة الوحيدة لكثير من
الامراض التى تتفشي في مدينتهم وعليه
فيجب أن تكون العناية بأمر هذه
الفتحات كبيرة وان يضرب علي ايدى
من يعبث بها أو سدها في وجوههم بالمرة
وهل فاتهم قول صاحب الشريعة السمحاء
(النظافة من الايمان)

« وياحبذا لو يأمر دولة مولانا
الشريف بوضع طلبات علي فوهات

مجرى عين زبيدة في مكة ومنى وعرفة
وعلي بئر زمزم وتكون هذه الطلبات
كبيرة بحيث تكفي لحاجة الحجاج من
جهة ومن أخرى تجعل ماءها بعيداً عن
التلوث بأنواع البكتريا التي تكثر منها
الحميات في الحجاج وتودى في الغالب
بحياة الكثير منهم

« وعندى نصيحة الذين من عادتهم
العناية بأمر ماء الشرب ذلك انهم اذا
أرادوا الحج أخذوا معهم مايكفيهم من
المياه المعدنية أثناء الطريق أمامة وجودهم
في مكة والمدينة تحميهم غلي الماء
المخصص لشربهم ، ولو أضافوا علي كل
لترمنه عشر نقط من محلول مركب من
واحد في الالف من برمنجانات البوتاسا
لكان أحفظ لصحتهم وهناك طريقة
أخرى لتنقية الماء تنقية تامة وهي أن
يؤخذ أقراص مجهزة تسمي أقراص
(فيار وجوردج) ذات ثلاثة الوان الاول
أزرق والثاني أحمر والثالث أبيض ،
فيذاب أولا قرص أزرق ثم آخر أحمر
في لترمن الماء المراد تنقيته وهناك يتم
اتحادهما بهذا الماء فتموت جميع الجراثيم
التي فيه في مسافة عشر دقائق ثم يوضع
فيه القرص الابيض فيتحد اليود الذى
به ويعمل معه تركيبا عديم الطعم وبهذه
الطريقة يكون الماء صالحا للشرب . واذا
لم يكن لاهذا ولا ذاك فعليهم بفلتر سفرى
يمتصون به الماء ولو في الصحراء

« هذا وأرجو قبل قفل باب الكلام
علي مكة أن يسمح لي حضرة القارىء
بكلمة أسوقها اليه . ذلك اني زرت
القدس الشريف فرأيت به لكل نوع
من النصارى واليهود علي اختلاف
أجناسهم ومذاهبهم من الاديرة والتكايا
ومنازل الضيافة شيئا كثيرا جدا تمهدت
فيها سبل الراحة والحياة للناس أجمعين
فالفقير يجد فيها مكانا مجانا لمدة أسبوع
علي الاقل ، يرى نفسه فيه آكلا شاربا
نائما كما كنا مخدوما مشكورا من غير
مايتكلف لذلك قرشا واحدا ، والغنى
يجد فيها راحته في نظير أجر يدفعه يوميا
لايزيد عن الاجر الذى يدفعه في لوكاندة
بسيطة . ومن الاغنياء من يتخذها مسكنا
فقط ويتدارك اكله بنفسه . وهذه
الاماكن التى قامت بها شركات البر
والاحسان والممالك المختلفة علي
اختلاف جنسياتها ومذاهبها كثيرة جدا .

وأكثرها اليهود ثم الروس ثم للاروام ثم للارمن ثم للانجليز والفرنساويين والالمان وقد أقام الالمان هناك أخيراً دارا للضيافة والصحة علي جبل الزيتون صرفوا عليها أكثر من صبعين الف جنيه وهي دار رحيبة فسيحة شاهقة البنيان وطيدة الاركان وضع في مدخل سلمها تمثال امبراطور وامبراطورة الالمان . وافتتحت هذه الدار رسميا بحضور ولي عهد المملكة الالمانية البرنس ايتل في شهر ابريل سنة ١٩١٠ وعدا هذه الدور والاديرة والملاجيء ترى هناك لكل جنس من النصارى واليهود المستشفيات العظيمة المشيدة والمدارس الفاخرة بحيث تكاد ترى بجوار كل بيت من بيوت المدينة مدرسة هذه للالمان وتلك للانجليز وغيرها الروس وخلافها الفرنساويين وسواها اليهود ، بل تجد لكل فرقة من هذه الامم مدارس مخصوصة البنات والبنين علي أحسن طراز جديد والتعلم فيها علي أحسن بروجرام كافل لحياة المتعلمين الهم ان هذه هي الحياة الصحيحة وهذا هو الوجود بكامل معانيه وهل لاخواننا المسلمين في جميع أقطار المسكونة أن يقوموا بعمل مثل هذا بمكة ينتفع به الفقراء من حجاج المسلمين ولهم من مساعدة الحكومة مايوصلهم الى هذه الغاية الجليلة التي تكون من ورائهم راحة حجاج بيت الله الكريم . الخ

(تاريخ مكة) يصعد تاريخ مكة الي سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه نفي سنة ١٨٩٢ قبل المسيح أمره الله بالهجرة بولده اسماعيل وأمه هاجر (كما ورد في التوراة) فذهب بهما الي هذا الوادى الذى لم يسكنه أحد لعدم توفر الماء فيه الهم الا أولئك العماليق الذين كانوا يسكنون غالباً في الوادى الواقع شماله ويقال له الحجون . وهم قوم نزحوا الي هذا المكان من جهة البحرين وكان ملكهم فيها يمتد الى شبه جزيرة سينا والبابليون يسمونهم (ماليق) فأضاف اليهم العبرانيون لفظه هم (يعني أمة) فصارت (هم ماليق) فحرفها العرب الي عماليق والمصريون يسمونهم الهكسوس أى الرعاة

« فلما عثرت هاجر علي بئر زمزم التى أصبحت حياة جديدة لهذا الوادى نزلوا اليها وسألوها الاقامة معها علي أن يكون الامر لها ولولدها فقبلت ذلك

وكانت قد ابتنت لها بيتا تأوى اليه مع اسماعيل وكان ابراهيم يتردد لزيارتها من فلسطين فأمره الله تعالي بتطهير هذا البيت وجعله مصلي للناس . قال تعالي : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي وعهدنا الي ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » ثم أمرهما أن يرفعا قواعد هذا البيت وهنالك هدمه ابراهيم ورفع مع اسماعيل علي قواعده الكعبة المكرمة . قال تعالي : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » ثم أمره الله بأن يؤذن في الناس بالحج فقال تعالى: « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلي كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ومن ثم ابتدأت شهرة ذلك البيت المعظم فذاع في القبائل المجاورة ومنه أتي لفظ مكة أو مكا وهي كلمة بابلية سمته بها العماليق ومعناها (البيت)

« ورجع ابراهيم الى قومه وبقي اسماعيل في خدمة البيت حتى مات فتولي خدمته من بعده بنوه الى أن داخلهم الضعف فتغلب العماليق عليهم وصار أمر البيت اليهم . ومازالت السلطة في يدهم حتى وفدت جرهم علي مكة من طريق اليمن بعد قطع سد مأرب في نحو منتصف القرن السادس قبل الميلاد عليهم مضاض ابن الحرث فزاحموهم وغلبوهم علي أمرهم وصارت لهم الكلمة والسلطان في مكة بل وفي الحجاز بأكله . فلما كبر سلطانهم وعظمت شوكتهم عثوا في الارض فساداً فوقع فيهم وباء نال منهم فضعف أمرهم وتغلب عليهم بنو اسماعيل واستردوا أمر البيت منهم وطردوهم من مكة فساروا الي أرض جهينة (شمالي ينبع) وفي ذلك يقول شيخهم عمرو بن الحارث

وكنا ولاة البيت من عهد نابت
نطوف بذاك البيت والامر ظاهر
كأن لم يكن بين الحجون الي الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلي نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

« وما كادت تنحصر السلطة في بني

اسماعيل حتى أتت خزاعة وتغلبت عليهم ووليت أمر البيت من سدانة (خدمة البيت) وسقاية (سقيا الحجاج) زمناً طويلا بما كان لها من العصبة رغما عما كان في بني اسماعيل من الرقي الادبي والسمو النفساني لانه كان كثيراً ما ينبغ فيهم رجال يبرهنون بحسن معرفتهم وكمال فضلهم على ذكاء أصلهم وكريم محتدهم مثل كعب بن لؤى الذى اشتهر ببلاغته وفصاحته وهو أول من جمع الناس في يوم العروبة (يوم الجمعة) وكان يخطبهم فيه بما يرشدهم الي طريق الفضائل ويبعدهم عن ارتكاب الرذائل وقد اشتهر أمره بين العرب وعظم قدره حتى كانوا يؤرخون بعام موته الى عام الفيل وهو زمن لا يقل عن أربعمائة سنة

« وما زال أمر البيت في يد خزاعة حتى رجع قصي بن كلاب من الشام وكان ذهب اليها مع أمه صغيراً وهو من أحفاد كعب والبطن الرابع والعشرون من اسماعيل فجمع قبائل قريش بما كان فيه من حسن السياسة والذكاء وقوة العارضة بعد أن كانت تفرقت وأخذت الشحناء تدب فيما بينهم وسعي بأصالة رأيه حتى اشترى من خزاعة حجابة البيت (الاستئثار بمفاتيح الكعبة) ثم أجلاهم عما وجد له من العصبية الى بطن مر (وادى فاطمة) ومن ثم كبر شأنه ونبه أمره وعظم سلطانه واجتمعت له السقاية والحجابة والرفادة واللواء (راية الحرب) ولم تجتمع في رجل قبله . وقصي أول من أطعم الحاج وسقاه لانه ضيف الله وجاره وبذلك سارت الركبان بسيرته وتحدث الناس بنباهته ، وكان له رأى سديد وفكر رشيد . وهو الذى بنى دار الندوة قرب البيت وجعل بابها اليه ليجتمع فيها مع قومه للبحث في شؤونهم والاقرار على مايتم من أمرهم فأصبح به ملك قريش عظيما وشأنهم جسيما حتى كان لهم بعد ذلك خراج على القبائل والمشاثر يؤدونه اليهم ويتقربون به منهم . وكان لقصي ولدان عبد الدار وعبد مناف وقد شرف الاخير على صغره وزاد فضله على أخيه الاكبر فأوصي أبوه لعبد الدار بما كان في يده من السقاية والحجابة والرفادة واللواء والندوة حتى يتكافأ مع عبد مناف في شرفه الذى وصل اليه بعقله وفضله

« ولما مات قصي استولى عبد الدار

علي ما أوصي له أبوه وانتقل ذلك الى بنيه من بعده حتى ظهر بنو عبد مناف عليهم ونازعوهم ما في أيديهم ، وكادت تدور رحى حرب بينهم . وانتهى الامر بتحكيم بعض القبائل فقسموا بينهم شرف هذه الامتيازات فكان لبنى عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبنى عبد الدار الحجابة واللواء اللذان مازالا ينتقلان فيهم الي فتح مكة . وكانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة فأخذها منه رسول الله صلي الله عليه وسلم . ولما دخل البيت أراد أن يحجزها عنه فنزل قوله تعالي : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الي أهلها » فردها رسول الله صلي الله عليه وسلم اليه قائلا : « هاكم خذوها خالدة تالدة » وبعد موت طلحة سلمها رسول الله الى أخيه شيبة فبقيت في بنيه الي الآن

« ووصلت قريش في الجاهلية الى مجد كبير وشرف عظيم انتهي شرفها الي عشرة أبطن منها كانوا يقتسمون امتيازاتهم القومية من دينية وسياسية واجتماعية وتشريعية . وكانت هذه الامتيازات يتوارثها الابناء من الآباء وانتهي أمرها قبل الاسلام الي من سنذكرهم وكان العباس بن عبد المطلب (من هاشم) يسقي الحجيج واستمر ذلك في الاسلام وكان أبو سفيان بن حرب (من بنى أمية) عنده العقاب وهي راية حربهم لايخرجها الا اذا حمي وطيسها فيسلمها الي من يجمعون عليه لرأى لهما . وكان الحرث بن عامر (من بنى نوفل) الرفادة وهي ما كانوا يخرجونه من أموالهم لاعانة المنقطع من الحاج . وكان لعثمان ابن طلحة (من بنى عبد الدار) السدانة والحجابة واللواء والندوة . وكان ليزيد ابن زمعة بن الاسود من بنى أسد المشورة في الامور الهامة . وكان لابي بكر الصديق (من تيم) الديات والمغارم ويقال لها الاشناق وكانوا يمضون علي حكمه فيها . وكان خالد بن الوليد (من بنى مخزوم) على خيل قريش وكانت له القبة وهي ما كانوا يجمعون فيه سلاحهم وذخيرة حربهم . وكان لعمر ابن الخطاب (من بنى عدى) السفارة فيما كان يقع بينهم وبين غيرهم من العرب فيمضي عنهم مايراه من مصلحتهم . وكان لصفوان بن أمية (من جمح)

الايسار وهي الازلام (وهي أقداح ثلاثة كانت للعرب بالكعبة مكتوب على الاول أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي والثالث ليس عليه شيء . وكانت العرب اذا أرادت أن تمضي في أي أمر من أمورهم ذهبوا الي الكعبة واستقسموا بالازلام فيقترع لهم صاحبها فيمضون على ماقسم لهم منها وكان الحرث بن قيس (من بني سهم) الحكومة والاموال التى يقدمونها لاصنامهم

«وأما بنو هاشم فقد علا أمرهم وعظم شأنهم خصوصا في مدة عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم الذى كبر سلطانه بعد وقعة الفيل وذاعت شهرته وهابته القبائل وقصدته العرب من جميع جهات الجزيرة : ولما ظهرت نبوة سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وتجلى الاسلام بمظهره المنيع وتقدم بتقدمه السريع كل لبنى عبده مناف فضلهم، وتم بهذا الشرف صعودهم

(حكم الاشراف بمكة) من أكبر الحوادث التاريخية هجرته صلى الله عليه وسلم الي المدينة وفتحه لها بعد ثمان سنين من الهجرة حتى صارت مكة تابعة له وخلفائه من بعده

«وكانت حكومة الاسلام في مدته عليه الصلاة والسلام ديموقراطية «شورية» على حسب الشريعة الغراء وكذلك في عهد خلفائه الراشدين حتى انقضت الخلافة الى مظاهر الملك فشابها شيء من الاستبداد

وكانت حكومة الحرمين تتبع في جميع أدوار حياتها مركز الخلافة الاسلامية وأول من تولى امارة مكة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه ولاه عليها رسول الله بعد الفتح عند خروجه لوقعة حنين في الثلث الاول من سنة ٨ للهجرة وانتقلت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين الي الامويين في سنة ٤٠ وفي أيامها استولى عبد الله بن الزبير على مكة بضع سنين حتى استردها منه الحجاج بن يوسف الثقفي الي الامويين سنة ٧٣ وفي سنة ١٣٢ انقلبت الخلافة الي العباسيين ومازالت في أيديهم الي سنة ٦٥٦ وتولى أمر مكة في هذه المدة نحو مائة أمير من أشراف غير أشراف وفي هذه السنة انتقل حكمها الي الفاطميين وفيها دخلها جوهر القائد

ثم دخلها مولاه المعز لدين الله العبيدى ومن ثم كانت البلاد الاسلامية من بغداد الي حلب الى البصرة يخطب فيها للخليفة العباسى ومن حلب الي الحرمين وسائر بلاد العرب يخطب فيها للعبيديين والسبب في ذلك أن جعفر بن محمد بن الحسن الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله ابن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه تغلب على مكة في السنة المذكورة وخاف من العباسيين فدعا للمعز لدين الله العبيدى صاحب مصر فكتب له المعز بولاية مكة وبه ابتدأت حكومة الاشراف عليها

« واستمرت في بنيه من بعده الي سنة ٤٥٥ حيث وليها حفيد أخيه هاشم وهو محمد بن جعفر بن عبد الله بن هاشم وتولى أمرها بنوه الي سنة ٥٩٧ ويقال لهم الهواشم وكان حكمهم جوراً وظلما حتى أن آخرهم الشريف مكثر بن عيسى ضرب ضريبة على حجاج بيت الله الحرام مقدارها سبعة دنانير كان يتقاضاها في عيذاب أو في جدة على كل شخص يفد الى مكة عن طريق مصر فاستغاث الناس بصلاح الدين الايوبي فاتفق مع مكثر على الغائها ورتب له بدلها في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا ومن هذا الوقت ابتدأ الخطباء في مكة يدعون لصلاح الدين عقب دعائهم للخليفة العباسى ولامير مكة

« واستولى على مكة بعد مكثر الشريف قتادة سنة ٥٩٧ وهو الحلقة السابعة من أحفاد الشريف عبدالله أخي الشريف جعفر بن محمد بن الحسن الثائر وكان قتادة من أهل النخوة والشجاعة والهمة العالية واتسع ملكه من اليمن الى المدينة الا أن اهل اليمن تغلبوا على مكة في مدة ولده حسن لسوء سلوكه ومازالت في أيديهم الي سنة ٦٣٠ وبعدها تغلب الشريف راجح بن قتادة عليها وصارت الامارة بعده كالكرة يتلقفها القوى من بنيه أو بني اخوته . وكانت حكومتها تتبع ملوك مصر تارة وملوك اليمن أخرى لاشتغال ملوك مصر عنها بالحروب الصليبية خصوصا بعد موت الملك الكامل الذى كان يدعى له في خطبة الحرمين هكذا : «صاحب مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها ،

والجزيرة ووليدها ، سلطان القبلتين ورب العلامتين ، رخادم الحرمين الشريفين المحترمين ، الملك الكامل خليل أمير المؤمنين » وأول من استقل من ملوك اليمن لذلك العهد نور الدين بن عمر بن علي بن رسول ، وكان عاملا عليها للملك الكامل صاحب مصر ولقب نفسه الملك المنصور،وما زالت حكومة مكة في هذا الارتباك والاختباط حتي آل أمرها الي الشريف أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة سنة ٦٦٧ فخاطب لبيبرس ملك مصر فأقره عليها وحج من سنته وما زال أبو نمي حتي وقعت له مع العسكر المصري حروب ألجأته الي التنازل عن الامارة سنة ٧٠١ الي ولديه حميضة ورميثة فغلبهما عليها أخوهما أبو الغيث بن أبي نمي وفي مدته حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ واستمر بها حتي غلبه علي الامارة أخوه حميضة سنة ٧١٤ وقتله ودعا اخوته الي وليمة عنده وقدمه اليهم مصلوقا وعلي رأس كل واحد منهم عبد شاهراً سيفه وما زال حتي تغلب عليه رميثة سنة ٧١٨ فهرب ومات في هربه وفي سنة ٧١٩ حضر الي مكة جيش مصري وقبض علي رميثة وأتي به الي ملك مصر الملك الناصر بعد أن ولي مكانه الشريف عطيفة بن أبي نمي . وفي سنة ٧٢٢ أطلق الملك الناصر رميثة وأشركه مع أخيه في ولاية مكة وذهب عطيفة الي مصر ومات بها سنة ٧٤٣ وانفرد رميثة بالامارة حتي جعلها الملك الكامل شعبان ملك مصر لولده الشريف عجلان ابن رميثة سنة ٧٤٦ وعزله عنها السلطان حسن بن محمد الناصر سنة ٧٦٠ الا انه رجع اليها بأمر من الملك المنصور محمد وما زال بها حتي مات سنة ٧٦٦ وتولي بعده الشريف احمد بن عجلان وفي مدته صدر أمر الملك المنصور بلغو المكس الذي كان يؤخذ علي الاشياء التي كانت تدخل الي مكة وعوض أميرها عنه مائة وستين الف درهم والف اردب قمح وأمر فنقش ذلك علي باب الصفا واستمرت الامارة في بنيه حتي صدر أمر سلطان مصر أن يكون الشريف حسن بن عجلان نائبا عنه في ولاية الحجاز وابنه الشريف بركات أميراً علي مكة . وكان بركات عالما فاضلا محدثا وقد استدعاه الملك برسباي الي مصر فوفد اليها معظما مكرما وأخذ عنه كثيراً

من علمائها ثم رجع الي مكة ومات بها سنة ٨٥٩ وتولي مكانه الشريف محمد بن بركات وكان رضي الله عنه علي أحسن ما يكون من العدالة والانصاف وحسن السيرة والرفق بالناس . وقد سافر الى مصر سنة ٨٧٧ مدة السلطان قايتباي فاستقبل بما يليق به من صنوف الاعظام والاجلال ثم رجع اليها معززاً مكرما وفي مدته حج السلطان قايتباي سنة ٧٨٤ وشيد فيها لصق الحرم من الجهة الشرقية مدرسته التي تناوب عليها ذو غالب ولا تزال في أيديهم الي اليوم

« وما زال محمد بن بركات علي امارة مكة وولاية الحجاز حتى مات سنة ٩٠٣ وتولي بعده ابنه الشريف بركات وما زالت الامارة تتنقل من يد الي يد اخوته حتى استقل بها في سنة ٩١٠ وفي سنة ٩١٨ أرسل اليه السلطان الغوري يدعوه الي مصر فامتنع وأرسل بالنيابة عنه ابنه الشريف أبا نمي وعمره ثمان سنين فأكرمه السلطان كل الاكرام ورده الي أبيه معززاً وأشركه معه في أمر مكة والاقطار الحجازية

« ولما استولى السلطان سليم علي مصر سنة ٩٢٣ أقرهما علي مكة وسار لقياه الشريف أبو نمي بمصر فأكرم مثواه وأرسل معه أمراً بقتل حسين أغا الكردي الذي كان علي جدة من قبل الغوري فلما وصل الي جدة قبض علي الاغا وأغرقه وولي غيره مكانه ومن هذا الوقت صارت بلاد الحجاز واليمن تابعة للدولة العثمانية

وكان الشريف أبو نمي من خيرة الاشراف عقلا وحلما وعلما وفضلا وادارة ودراية ، واليه ينتهي نسب أشراف بني حسن (الذين يحكمون الآن) وبنو زيد وبني بركات (الذين كان لهم الحكم قبل محمد بن عون) وبني نمية (وهم متفرقون في بلاد العرب) وفي سنة ٩٩٢ مات أبو نمي وتولي بعده الشريف حسن وكان عالما فاضلا كاملا أديباً سار في ادارة بلاده علي سنة الاشراف الحسنيين الذين منهم محمد بن عون جد العائلة الحاكمة الآن

وهو الذي بنى دار السعادة بمكة سنة ٩٦٧ فكانت محل امارته وامارة خلفائه زمنا طويلا وما جاء في وصفها وتاريخ بنائها قول بعضهم

ان بيتا بناه خير مليك
أسس الملك كنه وأشاده
فاق في وضعه وحسن بناه
كل قصر لاهل العلى والسيادة
جاء تاريخ وصفه في نصيف
أنا بيت الملوك دار السعادة

« وما زال الشريف حسن قائماً بأمر ولاية الحجاز حتى مات سنة ١٠١٠ وأخذت الشرافة تنتقل في بنيه وبني اخوته حتى تولاها الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي سنة ١٠٤٣ وكان ذا همة عالية وشجاعة تامة وادارة حسنة وما زال قائماً بولايتها خير قيام حتى مات سنة ١٠٧٧ وتولى بعده ولده الشريف سعد ولكنه خرج من مكة مقهوراً وخرج بعيداً عنها احدى وعشرين سنة تولي أمرها فيها الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن أبي نمي ومات سنة ١٠٩٤ وأعقبه عليها ولده الشريف سعيد بن بركات فنابه عليها الشريف سعيد بن سعد بن زيد ثم عزل عنها وأعقبه الشريف عبد الله بن هاشم ثم احمد بن غالب الذى مات سنة ١١١٣ فرجع الي الامارة الشريف سعد بن زيد وأخذ يتناوب الولاية هو وولده الشريف سعيد جملة مرات ومات الشريف سعد بعيداً عن مكة بالعابدية سنة ١١١٦ وبقيت الولاية في يد ابنه الشريف سعيد حتى مات سنة ١١٢٩ وكان جليل القدر عظيم الفضل بعيد الآمال شجاعا مهيبا وأخذت الامارة بعده يتداولها بنوه وبنو اخوته حتى غلبهم عليها الشريف يحيي بن بركات ثم ابنه الشريف بركات بن يحيي فيما بين سنتي ١١٣٤ و١١٣٦ ثم رجعت الي بني سعيد وما زالت فيهم حتى تولاها حفيده الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد في سنة ١١٨٦ وهو مشهور بعلو الهمة وجلائل الصفات والشجاعة الفائقة . حارب عرب الشروق وقبائل حرب وانتصر عليهم جملة مرات وانقادت اليه جميع بلاد الحجاز وامتد سلطانه علي جهات كثيرة من بلاد العرب وما زال في الامارة حتى مات سنة ١٢٠٢ وتولي بعده الشريف عبدالمعين بن مساعد الى أن تنازل عنها بعد أيام قليلة الي أخيه الشريف غالب وفي مدته استفحل أمر الوهابية ووقعت بينه وبينهم حروب كثيرة

كادت الغلبة تكون فيها لهم لولا أن الدولة العثمانية كلفت محمد علي باشا والي مصر بكبح جماحهم فأرسل اليهم جيوشاً مصرية علي رأسها ولده طوسون ثم ولده ابراهيم الذى فرق جموعهم واستولي علي بلادهم بعد أن أخذ رئيسهم عبد الله بن سعود أسيراً وأرسله الى والده بمصر وفي سنة ١٢٢٨ جاء محمد علي الى بلاد الحجاز فاستقبله الشريف غالب من جدة وسار في خدمته الي مكة وكان كل منهما علي خوف من صاحبه وانتهى الامر بأن قبض محمد علي علي الشريف وبنيه وأرسلهم الي مصر عن طريق القصير فوصل القاهرة في ١٧ محرم سنة ١٢٢٩ وقوبل فيها بالاحترام اللائق وبقي فيها الي ١٩ شعبان حيث سافر مع أولاده حسب الارادة السلطانية الى سلانيك وأقام بها الي أن توفاه الله سنة ١٢٣١ وفيها عادت أولاده لي مكة بمقتضى أمر سلطاني

« وكانت مدة امارة الشريف غالب علي مكة ٢٧ سنة قضاها كلها في حروب الوهابية وكان رحمه الله عالى الهمة كبير الشهامة ، كثير الدهاء . ولما نفي الي مصر ولي محمد علي مكانه الشريف يحيي بن سرور في أواخر ذى القعدة سنة ١٢٢٨ ومن هذا الحين صارت بلاد الحجاز تابعة لمصر

وكان علي أعمال العرب الشريف شنبر من جهة محمد علي فتمت بينهما الضغائن فقتل يحيي شنبراً أمام باب الصفا وهرب الى بدر. وتولي علي مكة الشريف عبد المطلب بن غالب بأمر من أحمد باشا يكن ولكن محمد علي باشا أصدر أمره بتعيين الشريف محمد بن عون وكان اذ ذاك نزيلا عليه بمصر وكان سبق له أن تولي امارة تربة وعسير من قبله فسار الشريف عبد المطلب الي الطائف وجمع جموعا من العرب وحارب بها احمد باشا ولكنه انهزم وطلب الامان من الشريف محمد بن عون فأمنه هو والشريف يحيي وأرسلهما الي مصر بناء علي أمر محمد علي ومعهما عبدالله بن فهد وآخرون ولما وصلوا اليها أكرمهم محمد علي كل الاكرام وبعد سنة أعادهم الي مكة الا الشريف يحيي فانه استبقاه ومات بمصر سنة ١٢٥٤ وبعد ذلك وقع نفور بين أحمد باشا يكن والشريف محمد فاستحضرهما محمد علي ثم

أعاد أحمد باشا الي مكة وحجز الشريف محمد بن عون بمصر وبقي فيها حتى خرجت ولاية الحجاز من قبضة محمد علي سنة ١٢٥٦ زمن السلطان عبد المجيد وصدرت الاوامر السلطانية بتولية ابن عون امارة مكة ، وكان رحمه الله عاقلا ذا دهاء وهيبة وذكاء ميمون الطالع عالما يحب العلم والعلماء ومكث زمنا طويلا وهو يدير أمر الحجاز بحسن درايته وادارته وفي سنة ١٢٦٣ سار الي نجد لاخماد فتنة فيصل ابن تركي أمير الرياض وتم أمرهما بالصلح بعد أن قرر علي فيصل خراجا للدولة عشرة آلاف ريال كل سنة واستمر في ولاية مكة الى أن توفي في ١٣ شعبان سنة ١٢٧٤ وتعين بعده ولده الشريف عبد الله باشا كامل وهو أول شريف منح رتبة الوزارة ولقب باشا وكان تربي في الآستانة وتعلم فيها العلوم الشرعية والتفسير والحديث وفنون الادب فوصل جدة بعد أن انجلي عنها مراكب الانجليز سنة ١٢٧٥ وهناك قابله المندوبون البريطانيون وطلبوا منه أن يساعدهم في وصولهم الى مكة فاعتذر عن احتمال هذه المسئولية ثم قال لهم وماذا تريدون من

بلد لازرع فيه ولا نبات ولا ماء وربما نالكم منه مرض يذهب بحياتكم لعدم اعتيادكم علي مثل هوائه في حين انكم في غنى عنه فاقتنعوا بجوابه وعادوا الي بلادهم وسار هو الي مكة وفي سنة ١٢٧٧ ذهب الى المدينة لاستقبال سعيد باشا والي مصر ورجع معه الي القاهرة ثم عاد الي مكة بعد أن صادف من الاجلال وكمال الاعظام مايليق بمقامه واستمر في الامارة الي أن توفي في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ وتعين أخوه الشريف حسين باشا مكانه فقدم اليها من الآستانة وكان علي جانب عظيم من التقوى والصلاح والزهد والورع ووداعة الاخلاق واستمر حكمه لي سنة ١٢٩٠ حيث قتل أثناء دخوله جدة وكان ذهب اليها في موكب حافل فتقدم اليه رجل أفغاني كأنه يريد تقبيل يده وطعنه في خاصرته فتوفي بعد يومين مأسوفا عليه من عموم أهل الحجاز ونقل الي مكة رضي الله عنه وأهلها يلقبونه بالشهيد وتولي بعده الشريف عبد المطلب للمرة الثالثة ولكنه عزل عنها سنة ١٢٩٩ لكثرة الشقاق الذى كان بينه وبين الاشراف وتعين

عون الرفيق محمد بن عون فأخذ في تمكين قدمه في مركز الشرافة وعم نفوذه علي العرب والمأمورين من الاتراك حتى كانت الولاة كأنهم من المأمورين عنده الا في زمن ولاية عثمان نورى باشا الاولي فانه ضرب علي يديه ولكنه نقل من ولاية الحجاز بسعي عون الرفيق ومؤازرته في الآستانة ومن وقتها خلاله الجو فكان يعطي ويحرم ويسعد ويشقي ويغنم وينعم وقد كان ينزع الي مذهب الوهابية اوما يقرب منه فهدم كثيراً من قباب المزارات وخصوصا في المعلاة ومن ذلك قبة سيدنا عبد الله بن الزبير بل وصل به الحال الي أن أمر بهدم قبتي السيدة آمنة والسيدة خديجة الا أنه ماعتم أن استرجع أمره وكذلك امر فأزيلت تلك الرحي التى كانت في مولد السيدة فاطمة (دار خديجة) رضي الله عنهما وكانوا يزعمون أنها هي التى كانت تطحن عليها في حياتها وأمر أيضا بتوسيع باب غار حراء في جبل نور وهو الذى خيم علي بابه العنكبوت بعد ما أوى اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم مع رفيقه أبي بكر عند هجرتهما من مكة الي

المدينة وكان بابه لايسع الا نفراً واحداً يدخل منه زاحفا علي بطنه وكان الناس يزعمون ان لايدخله الا السعيد وأما الشقي فلا فأراد بتوسيع هذا الباب ازالة هذا الوهم الفاسد الا انه لم يكن له علي كل حال ان يغير شكل أثر طبيعي مثل هذا من أجل الآثار ومن الاشياء التى كان الانسان يقدر فيها تلك المعجزة التى خدمت الطبيعة فيها أشرف مخلوق حتى حيل بينه وبين أعدائه . وقد كان يميل رحمه الله الي الرفه بكل أنواعه فكان عنده علي الدوام المطربون بالآلات والقرابجية (الطبالون) والضاربون بالنوبة وجملة ما يقال في معاملته الناس انه كان نهابا وهابا واستقدم اوتوموبيلا من اوربا كان يركبه في طريق الطائف ولكنه مات بموته وأنشأ بستانا جميلا شمال جرول (بمكة) وهو المكان الذى يخيم عنده المحمل المصرى وجلب اليه أشجاراً كثيرة من مصر والهند والشام وغيرها وساق اليه الماء من عين زبيدة ويقال انه كان في مدته جنة من الجنات لم يسبق له نظير في مكة. اما الآن وقد انصرفت عنه

المياه فقد جفت أشجاره وذبلت أذهاره وأصبح كقطعة من غابة في الصحراء تنعق فيها الغربان وتزعق فيها العقبان ، صبحان مغير الاحوال بيده الملك وهو على كل شيء قدير

«ومات الشريف عون بالطائف يوم الاثنين ١٦ جادى الاولي سنة ١٣٢٣ واختلف الناس في أسباب موته؟؟ وكانت الشرافة بعده لاخيه الشريف عبد الاله باشا الذى كان يقيم في الآستانة، ولكن صدرت الادارة السلطانية بسعي راتب باشا والي الحجاز بتوجيه الامارة الي الشريف علي باشا بن عبد الله بن محمد بن عون الذى كان قائمقاما الشريف في مكة ، وما زال علي غاية الوئام والاتحاد مع راتب باشا حتى حصلت حركة الآستانة وقام الدستور مقام الاستبداد وعزل راتب باشا لجوره وظلمه وخرج مدحوراً الى الآستانة ومنها منفيا الى رودس بعد أن صودر في جميع أمواله .

أما الشريف علي باشا فانه ظل بالطائف متظاهراً بمشايعة الحكومة الدستورية الجديدة وفي يو الخميس ١٨ شوال سنة ١٣٢٧ حدثت فتنة بين بعض أهالي مكة والعساكر العثمانية قتل فيها من الطرفين نحو عشرين رجلا، وقيل أنها كانت بايعاز الشريف علي باشا . وفي اليوم الثاني شاع في مكة عزل الشريف علي وتعيين الشريف عبد الاله باشا الذى كان مقيما بالآستانة ،ثم جاء الخبر بوفاته وتولية الشريف حسين باشا بن علي بن محمد بن عون وكان مقيما في الآستانة منذ سبع وعشرين سنة . فلما حضر الى مكة قام الشريف علي منها بعائلته قاصداً الآستانة ولما وصل الى السويس نزل الي مصر ولا زال بها الى الآن

أما الشريف حسين فانه قام بالامر حق قيام بهمة لاتعرف الملل، وضرب علي أيدى قبائل العرب الذين كانوا يتحفزون الخروج علي الدولة . فكان حفظه الله يرسل بعسكره مع نجله هذا الي هذا في حين ما يرسل بنجل آخر مع فرقة أخرى الي غيرها وهكذا حتى هدأت البلاد وضرب الامن بجرانه في جميع أطراف الحجاز .ومما يذكر له بالثناء الجميل أنه امر بجعل أجرة الجمل من مكة لى المدينة الي ينبع أربعة وعشرون ريالا مجيديا بعد أن كان اكثر من سبعين ريالا في

مدة سلفه . »

الي هنا انتهي ما نقلناه من كتاب رحلة محمد بك البتانوني ونزيد عليه انه لما نشبت الحرب العامة ودخلت الدولة العثمانية فيها انتهز الشريف حسين هذه الفرصة وأعلن استقلال الحجاز ولقب بملك الحجاز واعترف له بذلك جميع دول الحلفاء

(الحرم المكي) نقلنا المعلومات السابقة عن مكة وحكم الاشراف فيها من رحلة الفاضل محمد لبيب بك البتنوني وننقل منه أيضاً ما نذكره عن الحرم المكي فهو أوثق مصادر العلم فى هذا الباب لانه شاهده بنفسه ووصفه وصفا دقيقا قال :

« كان الحرم المكي في مدة رسول الله صلي الله عليه وسلم علي حدود المطاف الآن وهى حدوده القديمة من عهد ابراهيم عليه السلام. فلما كثر سواد المسلمين زاد فيه عمر وعثمان شيئاً مما اشترياه من الدور التى كانت حوله وزاد فيه عبد الله بن الزبير عند مابنى الكعبة وأقام ما كان تهدم منه.وكذلك زاد فيه الوليد بن عبد الملك وعمره عمارة تذكر فتشكر وهو أول من نقل اليه أساطين الرخام . واهتمام الوليد بالعمارات لا ينكر يعرفه من شاهد قبة الصخرة بالقدس الشريف ورأى ما بقي فيها من آثار الموزاييك الذهبية وغيرها من أعمال القيشاني التى تدهش العقل ويحار فيها الفكر ويوجد في المسجد الاموى بدمشق الى الآن شيء من أثر عمارته لم تصل اليه يد الحريق وبه أعمال موزاييك ذهبية بديعة جداً علي حائطي الصحن الجنوبي والغربي

« ولما حج الخليفة محمد المهدى سنة (١٦٠) ورأى ان البيت ليس في وسط المسجد فاشترى كثيراً من البيوت خصوصاً في الجهة الشرقية القبلية وزادها في المسجد وأدخل اليه كثيراً من الازورارات التى كانت فيه وكانت في ملكية الغير ثم أتي من بعده ابنه الهادى فأكمل ما نقص في مدة والده

« وكانت دار الندوة عامرة بالحرم تجاه الكعبة من الجهة الشمالية الغربية وكان ينزل بها الخلفاء والامراء في حجهم في صدر الاسلام ولكنها أهمل أمرها في منتصف القرن الثالث الهجرى فأخذ يتهدم بناؤها فكتب في ذلك الي الخليفة المعتضد العباسي فأمر بها فهدمت في سنة احدى وثمانين ومائتين وجعلت مسجداً

وفيها قبلة الي الكعبة ثم جعلوا له قبة عالية ثم غير شكلها فيما بعد الي شكل آخر واستمر يصلي فيها الامام الحنفي الى أن اتي الامير كلدى امير مكة في سنة ٩٠٧ فهدمها وبنى المقام مربعا ذا طبقتين الاولي للامام والمصلين والثانية للمؤذنين والمبلغين وهو علي هذا الشكل الى الآن

« وفي سنة ٨٠٢ احترق الرواق الشرقي فأمر الملك الناصر فرج بن برقوق ملك مصر بتعمير ما خرب منه ووضع بدل الاعمدة الرخام التى احترقت اعمدة من الحجر الشميسي ومن ثم كانت تقوم بعمارة الحرم ملوك مصر وحسبك العمارة التي قام بها السلطان قايتباى في سنة ٨٨٦

« وفي سنة ٩٧٩ مال الرواق الشرقي من الحرم ميلا محسوساً فأمر السلطان سليم الثاني بأن يرسل المعماريون والمهندسون والصناع من جميع الاصقاع لعمارته فأزالوا سقفه جميعه وأساطينه كلها وهدموا محيطه وبنوه علي التربيع الحالى وأقاموا اعمدة الرخام بين أساطين حجرية متناسبة الوضع وبنوا عليها قباباً بدل السقوف التي كانت تعاجلها يد الرطوبة المتخلفة من الامطار مع ما كان يكثر فيها من الحيوانات التي اشتهرت بعداوتها للاخشاب كالارضة والسوس وغيرهما من الحشرات المضرة وفي اثناء هذه العمارة مات السلطان وكان الذى انتهي منها الجانب الشرقي والشمالي فقط أعنى من باب العمرة . ولما تولى السلطان مراد خان أمر بتتميم العمارة علي الوجه الذى كان قد أمر به والده فتمت علي أحسن حال بالشكل الذى نراه الآن وليس لمن بعده من السلاطين بهذا الحرم الا عمارات ترميمية أو تكميلية .

« وفي هذه العمارة نزل العمال بأرضية الشارع الموصل الي المسفلة بحيث صار ينصرف ما عساه يدخل الي الحرم من مياه السيول التي كثيراً ما كانت سبباً في نقض أركانه وهدم بنيانه . وكانت الزيادات التي تتخلف من الدور التي دخلت في تربيع الحرم الشريف في كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها اروقة يسكن فيها فقراء طلبة العلم في المسجد وكان لها أوقاف جمة ولكن كثيراً ما تغيرت اوقافها واستبدلت بغيرها أو خرجت من يد واقف الي يد غيره أقوى منه ومن ذلك مدرسة قايتباى التي

لاتزال للآن علي يسار الداخل من باب السلام فانها بعد ان كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها شيئاً فشيئا فنقلوها من علم الى دار ضيافة كان ينزل اليها أمراء الحاج المصرى ثم صار يسكنها بعض أشراف ذوى غالب وهي في أيديهم الى الآن ولا يزال المحملان المصرى والشامي يوضعان في أيام وجودهما بمكة لصق حائطها الذى من داخل الحرم وبجوارهما من الخدم مايقوم بحراستهما وعلي يمين باب السلام مدرسة يقال لها المدرسة السليمانية بها كتبخانة تقدم الكلام عليها في مكة

« والحرم من داخله علي شكل مربع (منتظم تقريبا) وفي وسطه يميل الي الزاوية الجنوبية الكعبة المكرمة وطول ضلع الحرم المقابل الحطيم وهو الذى فيه باب الزيادة مائة وأربعة وستون متراً وطول الذى يقابله وهوالذى فيه باب الصفا مائة وستة وستون مترا وضلعه الذى فيه باب السلام مائة متر وثمانية والذى يقابله وهو الذى فيه باب ابراهيم مائة وتسعة أمتار فيكون مسطحه من الداخل سبعة عشر الف وتسعمائة واثنين من الامتار المربعة وهوما يزيد عن أربعة أفدنة وربع . أما من الخارج فمتوسط طوله مائة واثنان وتسعون متراً وعرضه مائة واثنان وثلاثون مترا (وهذا حسب تحقيق المرحوم محمد صادق باشا أمير الحاج المصرى) ويحيط بالحرم من داخله أربعة أروقة فيها ثلاث مائة واحد عشر عمودا يتخللها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة من الحجر الشميسي الاحمر تقوم عليها قباب علي محيط المسجد وعلي بعض هذه العمد كتابة محفورة فيها تدل علي ماكان لبعض الملوك من العمارة بالمسجد أو من الاعمال التى فيها نفع المسلمين كابطال المكوس ونحو ذلك ومن هذه الاعمدة عمود بقرب باب الحزورة لايزال منقوشا عليه عهد كتبه الاشرف شعبان

« وأبواب الحرم ثمانية في الجهة الشمالية : وهي باب القريبة ، وباب المدرسة وباب المحكمة ، وباب الزيادة وبجواره الى الغرب باب القطبي ، وباب الباسطية ، وباب الزمامية . ثم باب عمرو ابن العاص . ويليه من الجانب الغربي أولها باب العمرة ، وباب ابراهيم ، ثم

باب الحزور . ويليه من الجهة الجنوبية سبعة أبواب : أولها باب أم هاني وباب العجلة ، (ويسمونه باب التكية) ، وباب الرحمة (أو المجاهدية) ، وباب أجياد (أو السنبلة) وباب الصفا ، وباب بني مخزوم ثم باب بزان ، ويلي ذلك من الجهة الشرقية أربعة أبواب : وهي باب بني هاشم (أو باب علي) وباب العباس (أو باب الجنائز) وباب النبي ، وباب السلام وهو الذي يدخل منه الي الحرم عند طواف القدوم ومجموع هذه الابواب اثنا وعشرون بابا ، ولكن منها ماله مدخل واحد ومنها ماله مدخلان أو ثلاثة أو خمسة فيكون مجموعها تسعة وثلاثون مدخلا

وفي رحبة ابراهيم تجد آلافا من فقراء حجاج الدكارنة الهنود والمغاربة وفيهم كثير من المقعدين الذين لا يقدرون على الحركة فيمضون هناك أيامهم عائشين من حسنة أرباب الخير ، وربما كان منهم بالمسجد ماتلجئهم الضرورة اليه مما لا يصح التوسع في شرحه !! وهذا أمر لا يليق بكرامة حرم الله ! فهل لحكومة الحجاز أن تفكر في أمر هؤلاء البؤساء وتقيم لهم دار ضيافة يأوون اليها ولو في مدة الموسم ! وعسى أن ديوان الاوقاف بمصر أو الآستانة يتدارك ما أهملته حكومة الحجاز فيكون له الثواب الجزيل

« وفي المسجد ست منارات : الاولي منارة باب العمرة وهي من أعمال الخليفة المنصور العباسي في عمارته المسجد سنة مائة وثلاثين ، ومنارة باب السلام . ومنارة باب علي ، ومنارة الحزورة وهي من أعمال المهدي العباسي في عمارته المسجد سنة مائة وثماني وستين ، ومنارة باب الزيادة وهي من أعمال المعتضد العباسي سنة مائتين وأربع وثمانين ، ومنارة السلطان قايتباي . وقد حصلت في جميعها ترميمات وزيادات في مدة العمارة التي قام بها السلطان سليم الثاني في المسجد ، وكلها باقية للآن يؤذن عليها في الاوقات الخمس . وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة زمزم ، وفيها مزولة مثبتة في حائطها الجنوبي ، من عمل رجل من مراكش أهداها الى الحرم ، وهي غاية في الضبط والاحكام وعليها ميقاتهم في النهار . فاذا دخل الوقت بدأ الرئيس بالاذان فيتبعه المؤذنون الذين على

المنارات بأصوات يحركها الهواء على طبلة الاذن فتحدث لها اهتزازات في القلب يمتلىء منها خشية ورهبة وخشوعا وخضوعا

« وعلى حدود المطاف تلقاء كل ضلع من أضلاع البيت ، سقيفة قامت على أعمدة من الرخام : فالشمالية منها مصلي الامام الحنفي ، والغربية للامام المالكي ، والجنوبية للامام الحنبلي ، أما الامام الشافعي فيصلي في مقام ابراهيم أو في المطاف مما يلي الكعبة مباشرة جاعلا بابها على يساره ، والحنفي يبتدىء بالصلاة في جميع الاوقات ثم يتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي ، الا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعي ويتأخر بها عنهم الحنفي وبما يلاحظ في الحرم ان أهل كل جهة من العالم الاسلامي يجلسون عادة في الجهة التي يستقبلون فيها الكعبة في بلادهم . فالاعجام تجدهم عند باب السلام ، والشوام والاتراك بينه وبين باب الزيادة والمصريون وراء المقام المالكي ، والجاويون والجاوة والهنود وراء المقام الحنبلي . ومن أغرب ما شاهدت ان بعض المصريين يستعمل هناك البوصلة التي عملت للصلاة بمصر ولوحظ فيها الاتجاه لجهة مخصوصة ، ولا يمكن أن تؤدي وظيفتها الا في البلاد التي على اتجاه مصر من الكعبة ، أما اذا وضعت مثلا في طريق المدينة أو اليمن أو الطائف فانها لا تؤدي وظيفتها بالمرة ، فليفهم ذلك من يجهله

« والحرم صحن كبير غير مسقوف تقطعه مماش محجورة ، وما بينها أرض زلط دون الفولة يسمونها الحصباء ، وأول من حصب أرضية الحرم عمر رضى الله عنه ، والكعبة في وسط صحن المسجد بميل الي الجنوب وبابها من الشرق مقام ابراهيم . وفي جنوبه الشرقي قبة زمزم التي بناها أبو جعفر المنصور في سنة مائة وخمسة وأربعين وفرش أرضها بالرخام ، وعمقها المأمون ، أما الشبكة التي على فوهتها فقد أمر بعملها السلطان احمد العثماني وشرقي زمزم الى الشمال باب شيبة وهي باكية كبيرة قامت وسط الحرم في حدود المطاف ، على عمودين من البناء المكسو بالرخام في المكان الذى كان به باب المسجد في مدته صلى الله عليه وسلم . وفي شمال المقام المنبر ، وهو من الرخام غاية في حسن الصناعة أهداه الي الحرم السلطان

سليمان القانوني ومكتوب على بابه بالخط الذهبي الجليل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وأول من وضع المنبر بالمسجد الشريف معاوية بن أبي سفيان حين قدومه الى مكة حاجا وكان الخلفاء قبله يخطبون على أرضية المسجد تحت جدار الكعبة أو في الحجر ثم أهدى اليه سنة مائة وسبعين منبر من خشب جميل من صناعة مصر لمناسبة حج الرشيد الذى خطب الناس عليه في حجه في السنة المذكورة وفي خلافة الواثق أمر فعمل له ثلاثة منابر واحد وضع فى الحرم والثاني في عرفة والثالث في منى وخطب في حجه عليها جميعها . وقد كان الخطباء اذا أرادوا الخطبة فى الحر وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الاسود والركن اليماني فاذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر اولا ثم دعا وصعد المنبر . وبعد الخطبة كان ينقل المنبر الي مكانه بجوار زمزم . فلما اهدى السلطان سليمان اليه منبره الرخامي بقي بمكانه واستمرت فيه الخطبة الى اليوم . وفي حوائط المسجد الحرام من الداخل ابواب بعضها منافذ لبعض المدارس على الحرم و بعضها مخازن في يد خدمة المسجد أو الزمامة وهؤلاء يستعملونها أحياناً لاستحمام كبراء الحجاج فيها بماء زمزم أو وضوئهم منها

« وبالجملة فشكل الحرم المكي على بساطته في بنائه فخم جداً وضعه صحي وصحنه الكبير يؤدى بلا شك للمدينة وظيفته الميادين الكبرى كما سبق لنا بيانه في الكلام على مكة

« وشيخ الحرم هو الوالي عادة والحرم الشريف نائب وقائمقام النائب ومدير يقوم بشؤونه وعدد خدمة الحرم الشريف ٧٠٠ نفس منهم ١٢٢ خطباء وأئمة للمذاهب الاربعة و١٠٧ مدرسون و٤٥ مؤذنون و ١٠ منشدون و ١٢ فراشون و٨ وقادون و ٢٠ كناسون و ٣٠ بوابون و ١١ جبادون (ملاؤون) من بئر زمزم و ١٠٨ غسالون لقناديل الحرم وهناك وظائف أخرى أخصها وظائف الاغوات وعددهم ٥١ وهم يقومون بخدمات مختلفة في الحرم . وأول من رتب الاغوات في الحرم المكي للخدمة فيه هو الخليفة ابو جعفر المنصور ، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة المكرمة

فهم سدنتها من بنى شيبة . والخدمة في الحرم وراثية غالبا ماعدا شيخه ومديره فانهما يعينان من طرف السلطنة، ووظيفة الاول تكاد تكون سياسية اكثر منها أدارية والخدمة فى الحرمين الشريفين محترمة جداً وتتشرف بالنسبة اليها الخلفاء والسلاطين من زمن بعيد الي الآن . و يوجد ضمن رتب الدولة العثمانية رتبة مخصوصة اسمها «خادم الحرمين » انتهي ما نقلناه من رحلة حضرة الفاضل محمد لبيب بك البتانوني (انظر كعبة)

﴿مكي القيسي المصري﴾ —هوأبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد ابن مختار القيسي المصري

كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية. حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التأليف في علم القرآن محسنا لذلك مجوداً للقراآت السبع عالما بمعانيها ولد بالقيروان في شعبان سنة (٣٥٥) وقيل(٣٥٤)قال أبو عمر المقرى الداني انه نشأ بالقيروان وترعرع وسافر الي مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاختلف بها الي المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب

ثم رجع الي القيروان وكان اكماله لاستظهار القرآن بعد فراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك في سنة(٣٣٤) ثم عاد الي مصر ثانية بعد استكماله القراآت بالقيروان وحج في سنة (٣٧٧) ثم ابتدأ القراآت على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرى .نزل مصر في سنة(٣٧٨) فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع الى القيروان وقد بقي عليه بعض القراآت ثم عاد الي مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقي له ثم عاد الي القيروان في سنة (٣٨٣) وأقام بها يقرأ الي سنة (٣٨٧) ثم خرج الي مكة وأقام بها الى آخر سنة (٣٩٠) وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة سنة (٣٩١) فوصل الي مصر ثم رحل منها الي القيروان في سنة(٣٩٢) ثم ارتحل الي الاندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فجلس للاقراء بجامع قرطبة وانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن وعظم اسمه في البلدة وجل فيها قدره ونزل عند دخيلة قرطبة في مسجد النخيلة الذى بالرواقين عند باب

المطارين فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الي جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدي الي المسجد الخارج بقرطبة وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها الى أن قلده الحسن بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس ابن عبد الله وكان ضعيفا عنها علي أدبه وفهمه وأقام في الخطابة الي أن مات رحمه الله تعالي . كان خيراً فاضلا متواضعا متدينا مشهوراً باجابة الدعاء وله في ذلك أخبار فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطرفي المقرى قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له علي الشيخ أبي محمد تسلط وكان يدنو منه اذا خطب ويغمزه ويحصي عليه سقطاته ، وكان الشيخ كثيراً ما يتلعثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد النظر الي الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا علي دعائي ، ثم رفع يديه وقال : اللهم اكفنيه ، اللهم اكفنيه . فأمنا . قال فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم

للمكي المقرى تصانيف كثيرة نافعة فمنها الهداية الي بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسير وأنواع علومه وهو سبعون جزءاً . ومنتخب الحجة لابي علي الفارسي ثلاثون جزءاً . وكتاب التبصرة في القرا آت في خمسة أجزاء وهو من أشهر تآليفه . والموجز في القرا آت جزآن وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء . وكتاب الرعاية لتوجيد القرآن أربعة أجزاء . وكتاب اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء . وكتاب الكشف عن وجود القرا آت وعللها عشرون جزءاً . والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء . والايجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه جزء . والزاهي في اللمع الدالة علي مستعملات الاعراب أربعة أجزاء والتنبيه علي أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن . والانتصاف فيما رده علي أبي بكر الادفوى وزعم أنه غلط فيه . والامالة ثلاثة أجزاء . ورسالة الي أصحاب الانطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء . والابانة عن معاني القراءة جزء . وكتاب الوقف علي كلا وبلي القرآن جزآن .

وكتاب الاختلاف في عدد الاعشار جزء وكتاب الادغام الكبير في المخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء وكتاب الاختلاف في الذبيح من هو جزء . وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء . وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم علي بني آدم جزء . وكتاب الياءات المشددة في القرآن والكلام جزء . وكتاب اختلاف العلماء في النفس والروح جزء . وكتاب ايجاب الجزاء علي قاتل الصيد في الحرم خطأ علي مذهب الامام مالك والحجة في ذلك جزء وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء . وكتاب بيان العمل في الحج أول الاحرام الي زيارة قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم جزء . وكتاب فرض الحج علي من استطاع اليه سبيلا جزء وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء وكتاب تسمية الاحزاب وكتاب منتخب كتاب الاخوان لابن وكيع جزآن . وكتاب الحروف المدغمة جزءان . وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء . وكتاب مشكل المعاني والتفسير خمسة عشر جزءاً وكتاب هجاء المصاحف جزآن . وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء . وكتاب المنتقى في الاخبار أربعة أجزاء . وله في القراءات واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفي في يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الاحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلي عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالي . وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها شين معجمة . وقد تقدم الكلام علي القيسي والقيروان وقرطبة فأغني عن الاعادة وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرى المصرى المذكور في هذه الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال وكان علي دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه واعرابه متفننا في سائر علوم الادب . أنشدت قصيدة منها قوله :

عليك باقلال الزيارة انها
اذا كثرت كانت الي الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما
ويطلب بالايدي اذا هو أمسكا

وقال غير الثعالبي وله أبو الطيب

المذكور في رجب سنة تسع وثلاثمائة وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى سنة تسع وثلاثمائة رحمه الله تعالى (وفيات الاعيان)

﴿ أبو الحزم مكي الضرير المقرئ ﴾ هو أبو الحزم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني المولد الموصلي الدار المقرئ النحوي الضرير الملقب صائن الدين

قال القاضي بن خلكان رحمه الله : كان والده يصنع الانطاع بماكسين ومات فقيراً لم يخلف شيئاً وترك ولده أبا الحزم المذكور وأمه وبنتا فلم تقدر أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والادب ثم رحل الي بغداد واجتمع بأئمة الادب وقرأ على أبي محمد بن الخشاب وابن الصفار وابن الانباري وأبي محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد الي الموصل وتصدر بها للافادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره في البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير . وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل فقال هو جامع فنون الادب وحجة كلام العرب الجم على دينه وعقله ، المتفق على علمه وفضله، رحل الي بغداد ولقي بها مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الادب ثم قال : وأنشدني من شعره وكان قد اشتغل عليه بالموصل أخي ابن المستوفي المذكور :

سئمت من الحياة فلم أردها
تسالمني وتشجيني بريق
عدوي لا يقصر في أذاتي
ويفعل مثل ذلك بي صديقي
وقد أضحت لي الحدباء دارا
وأهل مودتي بلوى العقيق

والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضاً

اذا احتاج النوال الى شفيع
فلا تقبله تضح قرير عين
اذا عيف النوال لفرد من
فأولى أن يعاف لمنتين

وله أيضاً :

على الباب عبد يسأل الاذن طالبا
له أدبا لا ان نبرك تحجب
فان كان اذن فهو كالطير داخل
عليك والا فهو كالشر يذهب

وهذا مأخوذ من قول بعضهم :

على الباب عبد من عبيدك واقف
بنعماك مغمور بشكرك معترف
أيدخل كالاقبال لا زلت مقبلا
مدى الدهر أم مثل الحوادث ينصرف

ثم قال المستوفي وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبداً يتعصب لابي العلاء المعري ويطرب اذا قرىء عليه شعره للجامع بينهما من العمي والادب فسلك مسلكه في النظم . انتهى كلام ابن المستوفي »

ثم قال القاضي ابن خلكان : « قلت وحكي له بعض من أخذ عنه انه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيك تصغير مكي فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه الى وطنه فعاد اليه فتسامع به من بقي ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم وبات الليلة فلما كان السحر خرج الي الحمام فسمع امرأة في غرفتها تقول لاخرى : ماتدرين من جاء ؟ فقالت لا . قالت مكيك بن فلانة . فقال والله لا أقمت في بلد أدعي فيها مكيك وسافر من غير ريث بعد أن كان قد نوى الاقامة بها مدة . وعاد الي الموصل ثم خرج الي الشام في أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهى اليه وقضى منه وطره ورجع الي الموصل من حلب . وكان دخوله الي الموصل في شهر رمضان. وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة (٦٠٣) بالموصل وخلف له ولداً صغيراً ، ودفن بصحراء باب الميدان في مقبرة المعافى بن عمران جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي رحمهم الله تعالى ويقال انه مات مسموماً من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة لسبب اقتضى ذلك والله أعلم »

﴿ ابن مكي القرشي الدمشقي ﴾ هو محمد بن محمد مكي بن محمد بن الحسن بن عبد الله القرشي الدمشقي العدل الاديب بهاء الدين بن الدجاجية . كان يجيد النظم روى عنه الدمياطي من شعره:

ما راح عندكم النسيم ولا غدا
الا ليأخذ عنه عبدكم يدا
أحباب قلبي ذلك القلق الذي
قد كان يأخذني عليكم ماهدا
كدرتم بعد الصفا وغدرتم
بعد الوفا وبخلتم بعد الجدى

وجعلتم الريان منزل حبكم
ولكم محب مات فيه من الصدا

وقال أيضاً :

من أين لقدك ذا الهيف
قد حار الواصف ما يصف
الرمح الاسمر يحسده
والغصن الاخضر والالف
فتبارك من أنشاك لقد
في الخلق تفاضلت النطف
ياأحسن بل ياأظرف من
زينت بذؤابته الكتف
وقاك الله تعالى العيـ
ن وعن اعطافك تنصرف
كل الاقمار بيلدتنا
بضياء جبينك قد خسفوا
فاحكم فلأنت أميرهم
فيهم فببابك قد وقفوا
راقت أخلاقك للغربا
ء فكيف بمن بك قد ألفوا
قسما بهواك وما أحلي
قسم العشاق اذا حلفوا
وبمن خاضوا غمرات منى
وحصي الجمرات بها حذفوا

لا حلت عن الميثاق ولو
أودى حشاشتي التلف
يلحاني قوم ما فهموا
ما شاني فيك وما عرفوا

وقال أيضاً :

الي سلم الجرعاء أهدى سلامه
فماذا علي من قد لحاه ولامه
تجلد حتى لم يدع مدظم الجوى
لرائيه الا جلده وعظامه

وقال أيضاً :

غرته غرته لما سرى
ظن بأن الصبح قد أسفرا
أقبل يسعي خفراً خائفاً
علي ذمام الوعد أن يخفرا
يحق ياقوم لمن قده الـ
خطار أن لا ينهب الاخطرا
ضممته اذ نام سماره
كما يضم البطل الاسمرا
بتنا وما في ليلنا من كرى
كأنما النوم غدا منكرا

وقال أيضاً دو بيت :

وما عذر فتى مامد الهويدا
والدوح قد اكتسى ثيابا جدائد

مالت طربا أغصانه راقصة
لما صدح الطير عليها وشدا

توفي سنة (٦٥٧)

﴿ ملأه ﴾ يملأه مَلأً شحنه وأفعمه فهو (مملوء) و (مَلِيء يملأ امتلاء) . و (ملؤ يملؤ مَلاءة) صار مَلِيئاً و (المَلِيء) الغنى المقتدر . و(مالأه عليه) ساعده . و (هو مَلِيء بكذا) أى مضطلع به . و(تمالأ القوم عليه) اجتمعوا عليه . و(المُلاءة) الربطة ذات لفقين جمعها مُلاء . و (المِلء) اسم ما يؤخذه الاناء اذا امتلأ . و (المَلأ) الاشراف جمعه أملاء . و (المَلأ الاعلي) سكان حظائر القدس من الملائكة وأرواح الصالحين . و(المَلآن) الممتلىء . و(المِلأة) هيئة الامتلاء

﴿ الملآنة ﴾ نبات يشبه العدس ويتميز عنه بقرونه البيضية المنتفخة التى تحتوى علي بذرة أو بذرتين مستديرتين وهو يألف الارض الرملية الجيرية . يجلب هذا النبات في أوائل الصيف رطباً مشحونا بثماره فتؤكل بزوره خضراء ومتى جفت هذه البزور كانت الحبوب المسماة بالحمص

﴿ ملح ﴾ يملُح مَلحا . ومَلُح يملُح مُلوحة صار مِلحا . ومَلُح يملُح مَلاحة) حسن منظره فهو مليح
(وفلان يتملح) اى يتكلف الملاحة و (المُلحة) الكلمة المليحة . و(الملاّح) النوتي و (المَلاّحة) منبت الملح

﴿ الملح ﴾ الملح الذى نتبل به أطعمتنا جسم مركب من عنصرين يسمى أحدهما الكلور والآخر الصوديوم حتى ان الكيماويين يسمونه كلورور الصوديوم وهو كثير الوجود علي سطح الارض فيوجد في بعض الصخور القديمة ويعرف بالملح الجبلي وقد يكون علي هيئة كتل عظيمة في أغوار تحت الارض
ويوجد في اسبانيا جبل من الملح علي حالة النقاء التام حتى انه ليشبه الكتل العظيمة من الزجاج فيقطعه العمال منه كما يقطعون الاحجار من المحاجر
ومياه البحر تحتوى علي مقدار منه يختلف باختلاف الجهات فبعضها يحتوى كل لتر من مائه علي ٢١ غراما منه كالمحيطين الاطلانتيقي والهادى وبعضها يحتوى كل لتر من مائه علي ١٦ غراما منه كالبحر الاسود . وتقل هذه النسبة في بعض

البحار فلا يحتوى اللتر الواحد من ماء البحر الاحمر الاعلي نحو ٦ غرامات

أما البحر الابيض المتوسط فيحتوى اللتر منه على اكثر من ٣١ غراما فهو يعتبر اكثر البحار ملحاً

(كيفية استخراجه)

الملح لا يستخرج علي صورة واحدة في البلاد المختلفة ففي بلاد النمسا مثلا يحفرون الارض الي أغوار عميقة حتى يصلوا الي معادنه فيها حيث يكون علي هيئة طبقة سميكة جداً فيحفرون فيها ما يشبه الغرف ويملأونها بالماء فيذوب فيه جزء عظيم من الملح فيستخرجون ذلك الماء الي سطح الارض ويضعونه فى مراجل علي النار فيتطاير الماء ويبقى الملح علي هيئة حبوب بلورية

ويستخرجونه فى فرنسا بطريقة أسهل من هذه وهي انهم يعمدون الى الارض التى تحتوى علي الملح في باطنها فيحفرون فيها آبارا حتى تصل الي الطبقات الملحية ثم يملأون تلك الآبار بالماء فيذوب الملح في ذلك الماء فيستخرج ويغلي في مراجل (قزانات) حتى يتبخر الماء ويبقي الملح

ولكن في البلاد الباردة التى لا يسمح الجو فيها بتبخر الماء علي الدرجة المعتادة وليس لاهلها من الوسائل ما يمكنهم من اغلاء الماء الملح لتبخير الماء بالحرارة يعمدون الي تثليج الماء الملح ويساعدهم علي ذلك كثرة الثلج عندهم وشدة البرد في بلادهم فيتثلج الماء النقي ويترك الملح في قاع الاحواض فيجنونه ويستعملونه

أما في بلادنا فيستخرج الملح بأيسر الطرق وأسهل الوسائل وذلك انه توجد بجوار البحر الملح في الاسكندرية ورشيد ودمياط احواض متسعة قليلة العمق تسمى بالملاحات فتملأ تلك الاحواض بمياه البحر في الصيف وتترك قليلا حتى يرسب ما يكون فيها من الاقذار ثم تنقل منها الي أحواض مجاورة لها وتترك فيها فبعد مروره مدة كافية يتطاير الماء من تلك الاحواض بتأثير حرارة الجو العادية ويبقى الملح راسبا في قاعها فيؤخذ ويكوم أكواما بجانبها ليتصفي مما يكون عالقا فيه من الماء فيؤخذ ويرسل الي الجهات ليستعمله الناس

{أنواع الملح}

للملح انواع عديدة بسبب ما يكون عالقا مع عنصره به من الاملاح الاخرى أو المعادن فالملح الجبلي مثلا يكون أصفر اللون بسبب وجود أكاسيد معدنية فيه ولا يصح استعماله علي تلك الصورة لانه يكون ضاراً فيجب تصفيته عدة مرات

وهناك أملاح أخرى يشوب طعمها شوائب من المرارة ويكون السبب فيها وجود املاح أخرى مع ملح الطعام وقد شوهد أن اجود الاملاح وانقاها هو ملح دمياط ورشيد

(خواصه وفوائده)

الملح معتبر من التوابل التى تعطى الاغذية طعما مشيراً للشهية فانها بدونه تكون تفهة لا يستطاع تعاطيها حتى مياه الناس لذلك بمصلح الطعام

ومن فوائده الصحية أنه يدر اللعاب فاذا وضعت قطعة منه في فمك تأثرت منها الغدد اللعابية فسال اللعاب وملأ الفم ولذلك فائدة عظيمة في تسهيل الهضم

ذلك أن الاغذية التى نتناولها فيها نشا كثير يدخل في تركيب الخبز والبقول والبطاطس والفواكه وهذا النشا لا يهضم الا في الفم بواسطة اللعاب لان في اللعاب خميرة خاصة تؤثر عليه فتحيله الي سكر قابل للانهضام . اما لو نزل النشاء بحالته الي المعدة فلا ينهضم أصلا وينزل مع الفضلات كما هو فيحرم الجسم من فوائده

وبما أن الملح يثير الغدد اللعابية ويسيل مقدارا عظيما من اللعاب فيكون له فائدة عظيمة في تسهيل هضم الاغذية النشائية فضلا عن أن هذا اللعاب ضرورى أيضا لعجن بقية أصناف الاغذية في الفم

ولكننا مع اعترافنا بهذه الفائدة ننصح بعدم الاسراف في تعاطيه فانه ثقيل علي المعدة مفسد لتركيب الدم حتى ذهب بعض كبار العلماء الي وجوب عدم تعاطيه أصلا محتجين بان الاملاح الموجودة في الخضر والاغذية الاخرى تكفي لما يحتاجه الجسد من الاملاح الضرورية لتركيبه

ولكنا اذا لم نستطع أن نسير على هذا المذهب فلا أقل من الاعتدال في تعاطيه

﴿ملَخ﴾ الشيء يملَخه جذبه و(امتلخ سيفه) انتضاه مسرعا .

و(امتلخ الضرس) اقتلعه

﴿الملوخية﴾ من الخضر المستعملة في بلادنا بكثرة تزرع ببذر بذورها في الحياض بعد حرثها جيداً وتسميدها تسميداً وافراً وهي تزرع في أي وقت بين فبراير واكتوبر

هذا النبات كثير المحصول في الاراضي الصفراء ويحتاج لعناية في الزرع والتسميد الكثير على الاخص والماء الغزير ويتوقف عدد مرات جنيها وجودة نوعها على هذه الاحوال

تجنى الملوخية لاول مرة بعد زرعها بخمسة وثلاثين أو اربعين يوما وقد تجنى سبع مرات بين المرة والاخرى نحو خمسة وعشرين يوما ومع هذا فقد تنحط جودة المحصول بعد الجنية الثالثة لقلة أوراقها وخشونتها وصغر حجمها وتنضج بذورها بعد شهرين

كثيراً ماتنمو الملوخية في مزروعات الاقطان كحشائش معطلة لنمو الزرع

وجاء في المادة الطبية للعلامة الرشيدي ما يأتي :

«واستنبت عندنا (الضمير مذكر لانه يعود على قوله الملوخية نبات) ببلاد المشرق وبلاد المغاربة لاجل الاكل فيؤكل مطبوخا عادة بالصلوقات الدسمة والسلطات ولكن كثرة لعابيتها تصيرها عسرة الهضم

«وذكر بعض المتأخرين ان خواصها الطبية كخواص الخطمي وان مطبوخها يكون بالاكثر صدريا وان درهمين من بزورها تقذف أي تسهل الاخلاط اسهالا قويا . ويظهر أن هذا البعض أخذ هذا من كتب القدماء .

فقد قال اطباء العرب قديما ان خواصها الدوائية كخواص الخبازى وان قيل انها تسخن قليلا وتنحدر سريعا لرطوبتها ولزوجتها فهي متوسطة الانهضام وانها تعطش الطفها وتهيج الحرارة وانه لاينبغي المبادرة باستعمال الماء عليها وان بزرها يسهل الاخلاط الغليظة واللزجة ويفتح السدد »انتهى

ثم قال العلامة الرشيدي:

«ولم يعط اليونان لهذا النبات اسم قرقوروس الذى معناه مسهل الا لكونه يرخي ويقلل انضمام الالياف العضلية المعوية فيتسبب عن ذلك الانحدار والانهو لايحتوى على جوهر

مسهل وانما يحصل منه الاسهال بفعله الميخانيكي . واوراقه الجافة قوية التأثير في فتح الخراجات ضماداً بالماء . ولننبهك على انه ذكر في المفردات الطبية العربية ان البستاني من الخبازى هو الملوخية فجعلوها صنفا من الخبازى مع ان الامر ليس كذلك بل ليست من فصيلتها الزيزفونية التي هي وان قربت الفصيلة الخبازية الا انها تختلف عنها باختلافات كثيرة مذكورة في علم النبات . ونظير ذلك ماقالوه أيضاً ان الخطمي نوع من الخبازى والحال ان كلا منهما الآن جنس مخصوص وان كانت فصيلتهما واحدة وعذرهم في ذلك عدم تقدم علم النبات في الازمنة السالفة فهم مقلدون لمن سبقهم من اطباء اليونان »

وجاء في كتاب الدكتور كلوت بك وهو الطبيب الفرنسي الذى استحضره محمد علي باشا والي مصر لانشاء المدرسة الطبية. وقد الف كتابه هذا بعد درس أحوال مصر ونباتاتها قال كما ورد في ترجمة كتابه المسماة بكنوز الصحة :

« من الاغذية الغروية الخبازى المعروفة بالخبيزة والبامية والملوخية لان كلا منها يحتوى على كثير من المادة الغروية وهي جيدة التغذية طبيعة الا انها لاتناسب بعض الاشخاص لانهم يحصل لهم تعب من أكلها وأحياناً يحصل لهم قيء . ومن كانت طبعته كذلك ينبغي أن لايتناول منها شيئاً الا بعد خلطها بجواهر أخرى أقل غروية منها . وهذه الغروية توجد في الاسفاناخ والرجلة والخس والسلق ولكنها أقل مقداراً مما في الخبازى والبامية والملوخية»

نقول في هذه المناسبة ان العامة يخطئون في زعمهم ان الملوخية قليلة التغذية اذا أرادوا انها كذلك في ذاتها ، ويصيبون اذا قصدوا انها كذلك على الاسلوب الذى يعملونها به . ذلك انهم يجنونها حتى تكاد تكون عجينا ثم يشبعونها بالماء فتصير أشبه بمرق الخضر (او شوربة الخضر) ثم يتعاطونها لا بالملاعق بل بغمس اللقمة فيها ، وماذا عسى ان يعلق باللقمة منها غير قطع لا تجدى في التغذية ؟ ولكنهم ان نالوا مادتها واكثروا من أكل مادتها كانت من احسن الخضر تغذية

﴿ ملد ﴾ امرأة ملود وأملود اى

ناعمة . و (الشاب الأملد) اى الناعم

◄ ملس ► الشيء يملس ملسا وملاسة ضد خشن . و (ملسه) جعله أملس و (تملس وأملس) افلت

◄ ملص ► الشيء يملص ملصا سقط متزلجا . و (تملص) تفلت وتخلص و (املص) انفلت

◄ ملصية ► بلد غربي الفرات كثير الفواكه شديد البرد وهي في مستوى من الارض تحيط بها جبال

◄ الملطاط ► قال ياقوت الحموى في معجم البلدان هو الطريق على ساحل البحر وكان يقال لظاهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه الملطاط

◄ ملطية ► قال ياقوت الحموى في معجم البلدان هي مدينة من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة وهي من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام

وقال ابن حوقل عند الكلام على العواصم وهي الثغور التى كانت تفصل بين المسلمين والروم وكانت تشحن بالمقاتلة تارة من هؤلاء وطوراً من أولئك على حسب دخولها في حوزتهم وكانت مدينة ملطية من أكبر الثغور واكثرها سلاحا ورجالا دون جبل اللكام الي مايلي الجزيرة ويحف بها جبال كثيرة فيها الجوز والكروم واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لامالك لها وهي من أقوى بلا الروم في هذا الوقت يسكنها الارمن وفتحت في سنة (٣١٩)

وقال صاحب المرآة وأما مدينة ملطية فهي بقرب الفرات ومصب نهر قره صو أهلها نحو ١١٠٠٠ نفس منهم ٨٠٠٠ مسلمون والباقي أرمن وكانت قديما مشهورة ولكنها انحطت من عظمتها كثيراً والظاهر أن موقعها الآن غير موقعها القديم والي الجنوب منها سيساط على الفرات والي الغرب من هذه مروش

◄ ملك ► يملكه ملكا وملكا وملكا استولي عليه . و (ملك العجين) عجنه وأنعم عجنه و (ملكه الشي) جعله له ملكا ومثله (أملكه) و (أملك فلانا المرأة) زوجه اياها . و (تملك) ملك . و (الملاك) الاقتدار . و (ملاك الامر) قوامه الذى يملك به و (الملك) اسم لما يملك . و (ماله ملك) أى شيء يملكه . و (اعطاه من ملكه وملكه وملكه) أى مما يقدر عليه . و (الملك

والملك) صاحب الملك ومثلها المليك و (أقر بالملكة والملوكة) اى بالملك. و (الملكة) صفة للنفس راسخة فيها . و (الملكوت) العز والسلطان والملك العظيم. و (المملكة) عز الملك وسلطانه . و (المملوك) العبد

◄ عبد الملك بن مروان ► أحد خلفاء بني أمية هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموى

بويع له بعد أبيه في خلافة الزبير وصار ملكه على مصر والشام وملك ابن الزبير على باقي البلاد مدة سبع سنين ثم غلب عبد الملك على العراق وبقية البلاد وقتل ابن الزبير واستوثق الامر له

كان عبد الملك عابداً ناسكا بالمدينة شهد يوم الدار (اليوم الذى قتل فيه عثمان) مع أبيه وهو ابن عشر سنين

قال ابن سعد واستعمل معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وسمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة وابن عمر ومعاوية . وهو أول من سمي عبد الملك في الاسلام

قال أبو الزناد فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن أبي ذؤيب

وعن ابن عمر قال ولد الناس أبناء وولد مروان آباه

وقال يحيي بن سعد أول من صلى في المسجد مابين الظهر والعصر عبد الملك ابن مروان

وقال ابن عائشة أفضى الامر الي عبد الملك والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك . نقول لعل هذا مكذوب عليه أو لعله قال ذلك يريد به ان مهام الخلافة ستقطعه عن تلاوته وتحرمه منه . ولكنا على أى حال نأخذ مثل هذه الاقوال بتحفظ فان أكاذيب المؤرخين في تلك الازمان كانت من الشيوع بحيث لايمكن أن نصدر حكما صحيحا على رجل الا بعد تمحيص جميع الاقوال فيه

كان عبد الملك ربعة أبيض ليس بالبادن ولا النحيف مقرون الحاجبين كبير العينين شرف الانف كثير الشعر مفتوح الفم مشبك الاسنان بالذهب وكان يلقب برشح الحجر لبخله ويوم تولي عثمان بن عفان الخلافة وكانت

مدة ملكه احدى وعشرين سنة ولما مات صلي عليه ابنه الوليد . وفي أيامه حولت الدواوين الي العربية وكانت لغتها الرومية والفارسية . ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية ايضا سنة(٧٦)وكانت علي الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية وعلي الدراهم كتابة بالفارسية

يقال انه كتب الي الحجاج مرة بلغنى عنك اسراف في القتل وتبذير في المال وهاتان خلتان لا أحتمل عليهما أحداً وقد حكمت عليك في العمد بالقود وفي الخطأ بالدية وفي الاموال ان تردها الى مواضعها وكتب في آخرها

وان ترمنى غفلة قرشية
فيار بماقد غص بالماءشاربه
وان ترمنى غضبة اموية
فهذا وهذا كل ذا أناصاحبه
سأملي لذى الذنب العظيم كأنني
اخو غفلةعنهوقدجبءفار به
فان كف لم اعجل عليهوانابي
وثبت عليهوثبة لاأراقبه

ولما قتل عمرو بن سعيد بن العاص خطب الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أما بعدفلست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن ، ولا الخليفة المأبون الا وان من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال ، الاواني لأداهن هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، تكلفونا أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون من أعمالهم فلم تزدادوا الا اجترائا ولن تزدادوا الا عقوبة ، وهذا حكم السيف بيننا وبينكم هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بالسيف هكذا . ألا وانا نحتمل معكم كل شيء الا وثوبا علي منبر أو نصب راية . الا وان الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندى.والله لايفعل أحد فعله الاجعلتها في عنقه ، ثم لاتخرج نفسه الا صعدا

وزاد بعض الرواة انه قال بعد ذلك « والله لا يأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه » ثم نزل فركب ناقته وأخذ بزمامها وقال :

فصحت ولاشلت وضرت عدوها
يمين أراقت مهجة ابن سعيد

وعبد الملك هذا أول من نهي عن الكلام بحضرة الخلفاءوأن يعترضوا عليهم

فيما يفعلون

تقول عبد الملك بن مروان يعتبر أكبر خلفاء بني امية وقد أدرك الامر من أوله وحدثت في أيامه احداث عظيمة تعد حاسمة في تاريخ الخلافة وقد صارت مقدمات لما جاء بعدها من التقاليد الاجتماعية فلا يصح ان نوجز في ترجمته ولا ان نستخلصها من اقوال المؤرخين بل الأمثل ان نترك الكلام فيها لمؤرخ قريب من ذلك الزمن ، بعيد عن عهد التنطع في القرون المتأخرة ، وهو العلامة ابي محمد عبد الله مسلم بن قتيبة المتوفي في سنة (٢٧٠) فقد أفاض في هذه الحوادث الكبيرة في كتابه الامامة والسياسة قال :

« وان عبدالملك بن مروان بايع لنفسه بالشام ووعد الناس خيراً ودعاهم الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق . وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم ، ولا يختلف في دينه ولا ينازع في ورعه ، فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش احد ولا من اهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الأشدق فوعده عبدالملك ان يستخلفه بعده فبايعه علي ذلك وشرط عليه أن لا يقطع شيئا دونه ولا ينفذأمراً الابحضره فأعطاه ذلك ثم أن عبد الملك بعث حبيش بن دجلة لي المدينة في سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس علي المنبر الشريف فدعا بخبز ولحم فأكل علي المنبر ثم أتي بماء فتوضأ علي المنبر . قال أبو معشر فحدثنى رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد أوصل الى جابر بن عبد الله الانصارى فدعاه ، فقال تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله علي أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك علي الضلالة ؟ فقال له جابر بن عبد الله انك اطوق علي ذلك مني ولكنى أبايعك علي ما بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية علي السمع والطاعة . قال ثم ارسل الي عبد الله بن عمر فقال له تبايع لعبد الله عبدالملك امير المؤمنين علي السمع والطاعة ؟ فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام في أثره رجلان احدهما

علي اثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعاً الى الربذة وذلك في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها وامبزهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الي عباس بن سهل الساعدى بالمدينة ان سر الي حبيش بن دجلة واصحابه في ناس فسار حتى لقيهم بالربذة في شهر رمضان وبعث الحارث ابن عبد الله بن ابي ربيعة من البصرة مدداً الي ابن الزبير حنيف ابن السجف في تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الي الربذة فبات اهل البصرة يقرأون القرآن ويصلون ليلتهم حتى اصبحوا وبات الآخرون في المعازف والخمور فلما اصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المعتد فأهرقوا الماء وعمدوا الي القتال فقتل حبيش ومن معه من اهل الشام وتحصن من أهل الشام خمسمائة رجل علي عمود الربذة وهو الجبل الذى بها قال وكان يوسف بن الحجاج مع ابن دجلة قال واحاط بهم عباس بن سهل فقالوا انزلوا علي حكمي فضرب اعناقهم

(غلبة ابن الزبير علي العراقين وبيعتهم) قال وذكروا ان ابن عباس ابن سهيل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع الى المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة علي الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن الزبير استعمل الحارث بن عبد الله بن ربيعة علي البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يحملونها كأنها أصفار . فقال لهم هلم بسبعة مثاقيل . فأتوه بسبعة مثاقيل. فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم . قال وأتوه بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح ، ثم قيل له ان اهل البصرة لا يصلحهم الا القتل فقال : لأن تفسد البصرة احب الي من ان يفسد الحرث والنسل. قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله بن الزبير الي البصرة عاملا فاستحقره اهل البصرة فبعث مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال : أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد الا لقبتموه وانا القب لكم نفسي انا القصاب . ثم سار الي المختار فقتله

(بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها) قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك

قالوا كان ابن زياد أول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان أبو زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ علي ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الي عامتهم وكان بعضهم له علي ما يحب : قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واشتد سلطان ابن الزبير وغلظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بنى أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله بن زياد الى المسجد فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه وقال : أيها الناس ان الذى كنا نقاتل علي طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتموني عليكم جبيت فيئكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وانصفت مظلومكم وأخذت علي يد ظالمكم حتى يجتمع الناس علي خليفة

فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكرى وقال الحمد لله الذى أراحنا من بنى أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولا كرامة فأمر به عبيد الله فلبب ثم انطلق به الي السجن فقامت بكر بن وائل فحالت بينه و بين ذلك ثم خرج الثانية عبيد الله ابن زياد الي المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه . وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس في المسجد فقالوا نؤمر رجلا حتى يجتمع الناس علي خليفة فاجتمع رأيهم علي أن يؤمروا عمرو ابن سعد بن أبي وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذى من كندة فبينما هم علي ذلك اذا أقبل النساء يبكين و يندبن الحسين وأقبلت همدان حتى ملأوا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف وأجمع رأى أهل البصرة والكوفة علي عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الي عبد الله بن الزبير يبايعونه بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال في الامصار فبلغ أهل البصرة ما صنع أهل الكوفة فاجتمعوا وأخرجوا الرايات فلم يبق أحد الا خرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله . ثم قام ابن أبي ذؤيب فقال : يا هؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يثار علي ابن سمية ، سارعوا أيها الناس الي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة وأقيموا

فوّد هذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من قد علمتم عبدالله بن الزبير حوارى رسول الله صلي الله عليه وسلم وابن عمته وابن أسماء بنت أبي بكر الصديق أما والله لو ان أبا بكر علم أنه بقي علي الارض من هو خير منه وأولي بهذه البيعة مامد يده ولا نازعته اليها نفسه وأما والله لقد علمتم ما أحد علي وجه الارض خير ولا أحق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المتبرى من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر . ثم خرجت الخوارج من سكون عبيد الله بن زياد واجتمعوا علي حدة والقبائل كل قبيلة في المسجد معتزلة علي حدة وعبيد الله بن زياد في القصر وقد أخذوا بأبوابه وقد تمنع أن يدخل القصر أحد وقد أخذت العرب بأفواه السكك والدروب وكان عبيدالله أول من جفا العرب وأخذ منهم الحاربة اثنى عشر الفا ليعتزبهم فوالله مازادوه الا ذلا فلما رأى ذلك عبيد الله بن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل وأن يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فأرسل الى الحارث ابن قيس الجهمي من الازد فدخل عليه الحارث قال يا حارث قد اكرمتم زيادا وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فانشدكم الله في . قال الحارث أخاف أن لا تقدر علي الخروج الينا لما نرى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك في الازد . قال فتهيأ عبدالله فلبس لبس امرأة في خمرتها وعقيصتها فأردفه الحارث خلفه فخرج به علي الناس فقالوا ياحارث ماهذا قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلي كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب بها . فقال عبيدالله الحارث أين نحن ؟ قال في بنى سليم فقال سلمنا الله . قال ثم سار قليلا ثم قال أين نحن ؟ قال في بنى ناجية من الازد قال نجونا ان شاء الله . قال فأتي به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال يا أبا قيس قد جئتك بعبيد الله مستجيرا فقال ولم جئتني بالعبد ؟ قال أنشدتك فقد اختارك علي غيرك . فلما رآهم عبيدالله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع . قال مسعود ياغلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره . قال فجاء به الغلام فوضع . قال فأكل . وانما أراد ابن مسعود أن يتحرم بطعامه . ثم قال ادخل فدخل ومنارات الناس يومئذ قاصية . قال فكأن عبيد الله خاف فقال يا غلام اصعد الي السطح بحزمة من قصب فأشعل أعلاه ناراً ففعل ذلك في جوف الليل فاقبلت الازد علي الخيل وعلي أرجلها ثم شحنوا السكك وملأوها فقالوا مالسيدنا ، قال شيء حدث في الدار قال فعرف عبيد الله عزته ورفعته وما هو عليه ، قال هذا والله العز والشرف . فاقام عنده أياما وعنده امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك علي بغضه اياك وجفوته لك . وتحدث الناس انه لجأ الي مسعود ابن عمرو فاجتمعت القبائل في المسجد والخوارج وهم في أربعة آلاف . فقال ابن مسعود ما اطنني الا خارجا الي البصرة معتذرا اليهم من أمر عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزلي ولكني ابلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة . قال فأقبل مسعود يوما علي برذون له وحوله عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير احمر ؟ قال قد سألت عن ذلك قبلك فقال شيخ من الازد كان ضخم الهامة وكانت له ضفيرتان فعصب الهامة بالسير قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان ممنا بواسط فقال : حدثك من لا يعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر قال فأقبل مسعود حتى انتهى الي باب المسجد ومعه أصحابه رجالة بين يديه وخلفه . وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد بأجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبيد الله فأقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه بأسيافهم حتى مات . قتله نفر من بنى حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فأقبلوا علي كل صعب وذلول واقبل عباد بن الحصين لينظر الى عبيد الله فاذا هو بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون ، ابا قيس قد وقيت ماكان افنى اهل مصرك بما صنعت من ذلك فجمتهم بنفسك . ثم القي عليه كساءه ثم اقبلت الازد فكان بينهما وبين مضر ماوقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا علي بيعة ابن الزبير

قال الهيثم قال ابن عياش حدثني هوكل
اليشكرى قال : انا مع عبيد الله بن زياد
في ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال
عبيد الله ياهوكل كيف الطريق قال اجعل
النار على حاجبك فقال بل على حاجبك
قال هوكل : فوالله انا لنسير بالسمارة
اذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغوالي
ذا حافر قال فاذا نحن باعرابي من كلب
معه حمار اقمر ضخم فقلت تبيعه بكم فقال
بأربعمائة درهم لا انقصكم درهما فأشار الينا
عبيد الله ان خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم
قال لست أدرى من هذه ولكن بيني
وبينكم هذا المولي يعني عبيد الله بن زياد
وكان عبيد الله احمر أقمر شبيها بالموالي
قال فأخذه منه : فقال عبيد الله ارحلوا لي
عليه . فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال
الاعرابي وانا أقسم بالله ان لكم شأنا وما
اظن صاحبكم الا والي العراق فاستمعناه
عبيد الله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه
وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه . قال
هوكل ثم ان عبيد الله بينا هو على راحلته
اذا هجعت عينه . فقلت له أراك نائما فقال
ماكنت بنائم . فقلت له ما أعلمني بما
كنت تحدث به نفسك ؟ قال وبأى شيء
كنت أحدث به نفسي ؟ قال قلت ليتني
لم ابن البيضاء ولم استعمل الدهاقين
وليتني لم أتخذ الحاربة . قال ماخطر لي
هذا على بال . أما قولك ليتني لم ابن
البيضاء فما كان على منها ثم بناها البزيد
من ماله . وأما استعمال الدهاقين فقد
استعملهم أبي ومن كان قبله . وأما
الحاربة فوالله ما اتخذتهم الا وقاية لأني
كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت
عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم
فجعلت ذلك بيني وبينهم من لا إل بينه
وبينهم ولكني كنت احدث نفسي اني
ندمت على تركي أربعة آلاف في السجن
من الخوارج فوددت اني كنت اضرمت
البيضاء عليهم حتى آتي على آخرهم ووددت
اني جمعت آلي وموالي ونابذت أهل
المصر على سواه حتى يموت الاعجل
ووددت اني قدمت الشام ولم يبلغ أهلها
بعد

(قتل المختار عمرو بن سعد) قال
وذكروا أن المختار ابن أبي عبيد كتب
الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال
لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابي
الى عبد الله بن الزبير فأت المهدي محمد

ابن علي وهو ابن الحنفية فاقرأ عليه مني
السلام وقل له يقول لك أخوك ابو
اسحاق اني احبك واحب أهل بيتك
قال فأتاه الرسول فقال له ذلك . فقال
له كذبت وكذب ابو اسحاق معك
كيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو
يجالس عمرو بن سعد ابن ابي وقاص على
وسادة وقد قتل الحسين بن علي اخي ؟
قال فلما قدم عليه رسوله اخبره بما قال محمد
ابن الحنفية، فقال المختار لابن عمرة صاحب
حرسه استأجر لي نوائح يبكين الحسين ،
قال عمرو لابنه حفص يابني قل له ماشأن
النوائح يبكين الحسين ؟ قال فأتاه فقال
له ذلك فقال له هل لك أن تبكي عليه ؟
فقال اصلحك الله انههن عن ذلك ، قال
نعم ، ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الي
عمرو بن سعد فأتني برأسه ، قال فأتاه فقال
قم الي ابي حفص فقام اليه وهو ملتحف،
فجلله بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار
وحفص جالس عنده على الكرسي فقال
هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله
عليه ، قال أتحب أن الحقك به ؟ قال وما
خير الحياة بعده قال فضرب رأسه فقتله
قال ثم أرسل عبد الله بن الزبير يزيد بن
زياد على العراق فكان بالكوفة حتى
مات يزيد واحرقت الكعبة ورجم الحصين
هاربا الى الشام . قال ثم أرسل عبد الله
ابن مطيع الى الكوفة ثم بعث المختار بن
ابي عبيد على الكوفة وعزل عبد الله بن
مطيع وسيره الي المدينة وسار عبيد الله بن
زياد بعد ذلك الي المختار . وجهه عبد
الملك بن مروان اميراً على العراق وندب
معه جيشاً عظيما من أهل الشام فأقبل
الى الكوفة يريد المختار فالتقوا بجازر
فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد
ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذو
الكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة
الحرة من رؤسهم

(قتل مصعب بن الزبير المختار بن
ابي عبيد الله) قال وذكروا أن ابا معشر
قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه
ارتضي أهل البصرة عبد الله بن الحارث
ابن نوفل فأمروه على انفسهم ثم اتي عبد
الله بن الزبير ولم عبد الله بن الحارث
عند بيت ابي سفيان وكانت امه تنبزه
وهو صغير ببية فلقب ببه ثم بعث عبد
الله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن
ابي ربيعة عاملا على البصرة ثم بعث

حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير أخاه وضم اليه العراقين جميعاً الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا الي آل الرسول وأراد أن يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله الي أخيه مصعب أن سر الي المختار بمن معك ثم لاتبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما. فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الي أخيه . وقتل مصعب أصحاب المختار . قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجاً في سنة احدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير معه رؤساء أهل العراق وأشرافهم . فقال يا أمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق واشرافهم كل مطاع في قومه وهم الذين سارعوا الي بيعتك وقاموا بأحياء دعوتك ، ونابذوا أهل معصيتك وسعوا في قطع عدوك فأعطهم من هذا المال . فقال له عبد الله بن الزبير : جئتني بعبيد أهل العراق وتأمرني أن اعطيهم مال الله لا أفعل ، وأيم الله لوددت أني أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام . قال فقال رجل منهم علقناك وعلقت أهل الشام . ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده فاجتمعوا وأجمعوا علي خلعه فكتبوا الي عبد الملك ابن مروان أن أقبل الينا

(خلع ابن الزبير) قال وذكروا أن أبا معشر قال لما اجتمع القوم علي خلع ابن الزبير وكتبوا الي عبد الملك ابن مروان أن سر الينا فلما أراد عبد الملك أن يسير اليهم وخرج من دمشق فأغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ماتصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق ، أهل الشام أشد عليك من أهل العراق . فأقام مكانه فحاصر أهل دمشق أشهرا حتى صالح عمرو بن سعيد علي أنه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك الي عمرو وكان بيت المال بيد عمرو ان أخرج الحرس أرزاقهم قال عمرو ان كان لك حرس فإن لنا حرساً فقال عبد الملك أخرج لحرسك أرزاقهم أيضاً

(قتل عبد الملك عمرو بن سعيد)

قال وذكروا أن أبا معشر قال : —

أصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد قال انه الخليفة بعده أرسل عبد الملك الي عمرو بن سعيد نصف الليل ائتني أبا أمية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب اليه فإني أتخوفه عليك واني لأجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها ، فتركته فأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لايقدر علي مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان . فقالوا لعمرو اذا دخلت علي عبد الملك يا أبا أمية ورابك منه شيء فأسمعنا صوتك فقال لهم ان خفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فازمان بيني وبينكم ميعاد ان زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا اني مقتول أو مغلوب فضعوا أسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتى تأخذوا بثاري من عدوي . قال فدخل وجعلوا يصيحون يا أبا أمية أسمعنا صوتك وكان معه غلام اسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس. فقال له عبد الملك أمكر يا أبا أمية عند الموت ؟ خذوه . فأخذوه فقيل له ان أمير المؤمنين قد أقسم ليجعلن في عنقك جامعة منه ثم نثروه الى الارض نثرة فكسرت ثنيته . قال فجعل عبد الملك ينظر اليه، فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر . قال عبد الملك لأخيه عبد العزيز أقتله حتى أرجع اليك . قال فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه ، قال له عمرو نشدك بالرحم ياعبد العزيز أنت تقتلني من بينهم ؟ فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالسا فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن أما ولدته ! قال فإنه قال نشدك بالرحم فتركته . قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه في بساط ثم أدخله تحت السرير. قال فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته، فقال له عبد الملك كيف رأيك في عمرو بن سعيد فأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً فما علمتك الا ناصحاً أميناً موافقا قال له فما ترى في هؤلاء الذين أحدقوا بنا وأحاطوا بقصرنا قال قبيصة : اطرح

رأسه اليهم يا أمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها قال فأمر عبد الملك برأس عمرو أن تطرح اليهم من أعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونثرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادى : ان أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه أن يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم الى أكمل مايكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين في الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لامير المؤمنين .

قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب فجعل يستنفز اهل الشام فيبطئون عليه ، فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ في حرس ابان بن مروان : يا أمير المؤمنين سلطني عليهم ، فأعطاه ذلك فقال لعبد الملك اذهب فقد سلطتك عليهم قال فكان لا يمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا أحرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا . قال فأصابهم من ذلك غلاء في الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار بأهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

(مسير عبد الملك الى العراق)

قال وذكروا ان عبد الملك سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة . فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني أكلمك قال فدنا كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يامصعب قد علمت ما أجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقده من إخائي وصحبتي والله أنا خير لك من عبد الله وأنفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لي ببيعتهم من المصرين والامر أمرك لا تعصى ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحبا لا تجفى ووزيرا لا تعصى

فقال له مصعب : أما ما ذكرت في من ثقتي بك ومودتي واخائي فذلك كما ذكرته ، ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمئن اليك وهو أقرب رحما مني اليك وأولى بما عندك فقتلته غدراً ، ووالله لو قتلته في ضرب ومحاربة لمسك عاره ولما سلمت من أثمه . وأما ما ذكرت من أنك خير لي من أخي فدع عنك أبا بكر وإياك وإياه لا تتعرض له واتركه ما تركك وارج عاجل عافيته ، وارج الله في السلامة من عاقبته . فقال له عبد الملك : لا تخوفني به فوالله اني لأعلم منه مثل ما تعلم أن فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابداً : عجب قد ملأه ، واستغناء برأيه ، وبخل التزمه فلا يسود بها أبداً

(قتل مصعب بن الزبير) قال وذكروا أن عبد الملك لما أيس من مصعب كتب الى أناس من رؤساء أهل العراق يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم أموالا عامة وشروطا وعهودا ومواثيق وعقوداً وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده مثل جميع ماجعل لاصحابه على أن يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب أن عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب لاصحابي كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم في هذه الساعة فاضرب أعناقهم واضرب عنقي معهم . فقال : مصعب ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لى ذلك من أمرهم . قال ابراهيم فأخرى . قال وما هي ؟ قال أحبسهم في السجن حتى يتبين ذلك فأبى ، فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك أبداً . وقد كان قال له قبل ذلك أدع أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها أبداً وهي ماثرطه الله ، فقال مصعب لا والله لا أفعل ، لا أكون قتلتهم بالأمس وأستنصر بهم اليوم قال فما هو الا أن التقوا تحولوا بروسهم ومالوا الى عبد الملك ابن مروان . قال فبقي مصعب في شرذمة قليلة ، قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال أين الناس أيها الامير؟ فقال غدركم يا أهل العراق . قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعي أنه

قتله. فطرح رأسه وقال:

نطيع ملوك الارض ما قسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله علي ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف: فرفع عبد الملك رأسه وقال والله يا عبيد الله لولا منتك لا لحقتك مربها به. قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه أهلها

(ذكر حرب ابن الزبير وقتله)

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك ابن مروان من أهل العراق وأتاه الحجاج ابن يوسف فقال يا أمير المؤمنين اني رأيت في المنام كاني أسلخ عبد الله بن الزبير فقال له عبد الملك أنت له فاخرج اليه. فخرج اليه الحجاج في الف وخمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توالى الناس عنده قدر ايقن أنه يقدر علي قتال عبد الله بن الزبير وكان ذلك في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعة فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج بالناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق علي أبي قبيس ونواحي مكة كلها فرمي أهل مكة بالحجارة. فلما كانت الليلة التى قتل في صبيحتها جمع عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بنى مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ما نزيد علي أن نموت معك وانما هو احدى خصلتين أما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ولك واما أن تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله أن لا يبايعني أحد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله انا لنقاتل معك ما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرني الحفيظة أن أدعك عند مثل هذه حتى أموت معك. فقال رجل آخر اكتب الي عبد الملك فقال له عبد الله وكنت أكتب اليه من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين فو الله لا يقبل هذا منى أبداً أو اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله ابن الزبير فو الله لان تقع الخضراء علي الغبراء أحب الي من ذلك قال عروة أخوه؟ يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال عبد الله من هو أسوتي قال الحسن بن علي ابن أبي طالب خلع نفسه وبايع معاوية

فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتى القاه ثم قال ياعروة قلبي اذاً مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ،امشت الا قليلا وقد اخذت الدنية وماضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لااقبل شيئاً مماتقولون. قال فلما أصبح دخل علي بعض نسائه فقال اصنعي لي طعاما فصنعت له كبداً وسناما قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبناً فاني بلبن فشرب ثم قال صبوا علي غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول:

ولا ألين لغير الحق اسأله
حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل علي امه اسماء بنت ابي بكر الصديق وهي عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال: لها ياأماه ما ترين قد خذلنى الناس وخذلنى أهل بيتى فقالت: يابنى لايلعبن بك صبيان بنى امية عش كريما ومت كريماً: فخرج واسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم وهو يقول. ويل امه فتح لوكان له رجال. قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكنك ضيعتهم. قال فجاء حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما درى أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول. وأمير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا الي الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو ابن حزم ثم بعث برؤسهم الي عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولي سنة ثلاث وسبعين قال أبو معشر ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلي مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون. قال فلما مات بشر بن مروان وكان علي الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر علي العراقين واحتل لقتالهم فانه قد بلغنى عنهم ما أكره، واستعمل عبد الملك علي المدينة يحيي بن حكيم ابن أبي العاص

(ولاية الحجاج علي العراقين) قال وذكروا أن عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الي العراقين ويحتال لقتالهم توجه ومعه الفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحماتهم وأربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم بألفي رجل وتحرى دخول البصرة في يوم الجمعة في حين اوان

الصلاة فلما دنا من البصرة أمرهم أن يتفرقوا علي ابواب المسجد علي كل باب مائة رجل بأسيافهم تحت ارديتهم .وعهد اليهم ان اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الي الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه. فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الي الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضي به الى داخل ازاره فقال لهم اني اذا دخلت فسأكلم القوم في خطبتي وسيحصبونني فاذا رأيتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا اسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال : ايها الناس ان أمير المؤمنين عبد الملك امير" استخلفه الله عز وجل في بلاده وارتضاه اماماً علي عباده وقد ولاني مصركم وقسمة فيئكم وامرني بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم علي ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البريء . والعقاب الي العاصي المسيء ، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده ، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خليفته المكافأة ، وأخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة ، فأما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق وأما سيف النقمة فهو هذا . فحصبه الناس فلما أكثروا عليه خلع عمامته فوضعها علي ركبته فجعلت السيوف تبرى الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون علي الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الي الخروج تلقوهم بالسيوف فأردعوا الناس الي جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعا وسبعين الفا (؟) حتى سالت الدماء الي باب المسجد والى السكك . قال ابو معشر :لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس علي المنبر وكان قد أحيي الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال اني أرى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلمهم فحصبوه وأكثروا فأمر بهم جنداً من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا

به من حوله ومن حول أبواب المسجد قال فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم فبعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الي الحجاج: اني لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فكتب اليه الحجاج : انا الشاهد وانت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

(خروج بن الاشعث علي الحجاج)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج علي الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسي ابن معمر بن عثمان ابن عمرة وفيهم محمد بن سعيد بن أبي وقاص فقال لهم ما ترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من أفضل أعمال البر فخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا أنفسنا عليك فما الرأى قال الرأى ان تكفوا عما تريدون فان الظلم فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره ،قال وانتهي الخبر الي الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وأما أعلم ان سعيداً لا يخرج وان أرادوا ذلك سيكفهم عنه .فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بخبر عبد الرحمن ابن الاشعث من كرمان وتقدم اليه أن لا يكتمه من امره شيئا فتوجه الغضبان الي عبد الرحمن . قال له عبد الرحمن ماوراءك ياغضبان قال : شر طويل تغد الحجاج قبل أن يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهي ارض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينا هو كذلك اذ ورد اعرابي من بكر ابن وائل علي قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك .فقال له الغضبان . السلام كثير وهي كلمة مقولة، قال الاعرابي من أين أقبلت قال :من الارض الذلول. قال وأين تريد قال أمشي في مناكبها وآكل من رزق الله الذي اخرج لعباده

منها ؟ قال الاعرابي فمن عرض اليوم؟ قال النضبان المنقول . قال فمن سبق ؟ قال حزب الله الفائزون . قال الاعرابي ومن حزب الله ؟ قال هم الغالبون . فعجب الاعرابي من منطقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض ؟ قال النضبان انما تقرض الفأرة . قال افتنشد ؟ قال انما تنشد الضالة قال افتسجع ؟ قال انما تسجع الحمامة . قال أفتنطق ؟ قال انما ينطق كتاب الله . قال أفتقول ؟ قال انما يقول الامير ، قال الاعرابي بالله مارأيت مثلك قط . قال النضبان بلي ولكنك نسيت . قال الاعرابي فكيف اقول ؟ قال اخذتك الغول في العاقول وانت قائم تبول . قال الاعرابي اتأذن لي ان ادخل عليك قال النضبان وراءك اوسع لك . قال الاعرابي قد احرقتني الشمس . قال النضبان الآن يفيء عليك الفيء اذا غربت . قال الاعرابي ان الرمضاء قد احرقت قدمي قال النضبان بل عليها يبردان . قال الاعرابي ان الوهج شديد . قال النضبان مالى عليه سلطان . قال الاعرابي اني والله ما اريد طعامك ولاشرابك . قال النضبان لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما . قال

الاعرابي وما عليك لوذقتهما ؟ قال النضبان نأكل ونشبع فان فضل شيء من الاكرياء والغلمان فالكلب أحق به منك . قال الاعرابي سبحان الله . قال النضبان نعم من قبل أن يطلع رأسك وأضراسك الي الدنيا . قال الاعرابي ما عندك الا ما أرى ؟ قال النضبان بل عندى هراوتان أضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك . قال الاعرابي انا لله وانا اليه راجعون . قال النضبان أظلمك أحد ؟ قال الاعرابي ما أرى ؟ ثم قال يا آل حارث ابن كعب . قال النضبان بئس الشيخ ذكرت . قال الاعرابي ولم ذلك ؟ قال النضبان لان ابليس يسمي حارثا . قال الاعرابي اني لأحسبك مجنونا . قال النضبان اللهم اجعلني من خيار الجن . قال الاعرابي اني لأظنك حروريا . قال النضبان اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير . قال الاعرابي اني لاراك منكراً . قال النضبان اني لمعروف فيما أوتي . فولي عنه وهو يقول : انك لبذخ أحمق وما أنطق الله لسانك الا بما أنت لاق وعما قليل تلتف ساقك بالساق . فلما قدم النضبان علي الحجاج قال له أنت شاعر

قال لست بشاعر ولكنى حائر . قال أفراق أنت ؟ قال بل وصاف . قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال النضبان : أرض ماؤها وشل ، وسهلها جبل ، وثمرها دقل ، ولصها بطل ، وان كثر الجيش بها جاعوا ، وان قل بها ضاعوا . قال صدقت . أعلمت من كان الاعرابي ؟ قال لا . قال ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك . اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة : تغدى الحجاج قبل أن يتعشاك . وأنت يانضبان قد أنذرك خصمك علي نطق لسانك فما الذى به دهاك ؟ قال النضبان جعلني الله فداك ياأمير المؤمنين اما انها لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه . فقال الحجاج : أجل ولكن أتراك تنجو منى بها والله لأقطعن يديك ورجليك ولأضربن بلسانك عينيك . قال النضبان : أصلح الله الامير قد آذاني الحديد وأوهن ساقي القيود فما يخاف من عدلك البريء ولا يقطع من رجائك المسيء ، قال الحجاج انك لسمين . قال النضبان القيد والرتعة ومن يك ضيف الامير يسمن . قال إنا حاملوك علي الادهم . قال النضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل علي الادهم

والاشقر . قال الحجاج : انه لحديد . قال النضبان لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً . قال الحجاج اذهبوا به الي السجن . قال النضبان : « فلايستطيعون توصية ولا الي أهلهم يرجعون » فاستمر في السجن الي أن بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا مارأينا مثلها قط . قال الحجاج : أما ان لها عيباً فما هو ؟ قالوا ما نرى بها عيباً ، قال سأبعث الى من يخبرني به فبعث فأقبل النضبان وهو يرسفُ في قيوده فلما مثل بين يديه قال له يانضبان كيف ترى هذه ؟ قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية . قال أخبرني بعيبها . قال بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لايبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن . قال الحجاج صدق ردوه الي السجن . فقال النضبان أصلح الله الامير قد أكلني الحديد وأوهن ساقي القيود وما أطيق المشي . قال احملوه فلما حمل علي الايدى قال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال انزلوه قال « رب أنزلني منزلا مباركا

وانت خير المنزلين » قال الحجاج جروه
قال الغضبان وهو يجر « بسم الله مجراها
ومرساها ان ربي لغفور رحيم » قال
الحجاج اضربوا به الارض فقال : « منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى
على قفاه . ثم قال ويحكم قد غلبني والله
هذا الخبيث اطلقوه الي صفحي عنه قال
الغضبان « فاصفح عنهم وقل سلام » فنجا
من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق
على لسانه

(حرب الحجاج مع ابن الاشعث
وقتله) قال وذكروا ان الحجاج لما قدم
العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميمونة بنت
محمد بن الاشعث بن قيس الكندى رغبة
في شرفها مع ماكانت عليه من جمالها
وفضلها في جميع حالاتها وأراد من ذلك
استمالة جميع أهلها وقومها الي مصافاته
ليكونوا له يداً على من ناوأه . وكان لها
أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
الكندى له أبهة في نفسه وكان جميلا
بهيا منطيقا مع ماكان له من التقدم
والشرف فازدهاه ذلك وملأه كبراً وفخراً
وتطاولا فألزمه بنفسه وألحقه بأفضل
أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه
العطايا الواسعة صلة لصهره وحباً لاتمام
الصنيعة اليه والي جميع أهله فأقام عبد
الرحمن كذلك حيناً مع الحجاج لا يزيده
الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا
وفي نفس الحجاج من عجبه ما فيها
لتشمخه زاهياً بنفسه حتى انه كان ليقول
اذا رآه مقبلا : أما والله يا عبد الرحمن
انك لتقبل علي بوجه فاجر وتدبر عني
بقفا غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك
على ذلك فكث بهذا القول منه دهراً
حتي اذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع
من عبد الرحمن أراد أن يبتلي حقيقة ما
يتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدى
منه مايكتم من غائلته فكتب اليه بعهده
على سجستان . فلما بلغ ذلك أهل بيت
عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديداً
فأتوا الحجاج فقالوا له أصلح الله الامير
أنا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد
أدبته بكل أدب فأبي أن ينتهي عن عجبه
بنفسه ونحن نتخوف أن يفتق فتقا أوأن
يحدث حدثا يصيبنا فيه منك مايسوءنا
فقال الحجاج القول كما قلتم والرأى
كالذى رأيتم ولقد استعملته على بصيرة

فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله
عن بصائر الحق يهده ان شاء الله .
فلما توجه عبد الرحمن الي عمله توجه وهو
مصر خلعان طاعة الحجاج وسار بذلك
مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان
ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما اجمع
عبد الرحمن علي اظهار خلعان الحجاج
كتب الي ايوب بن القرّية التميمي وهو
مع الحجاج في عسكره خاص المنزلة منه
وكان مفوها كاتبا يسأله أن يصدر اليه
رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج
فكتب له ابن القرّية رسالة فيها . « بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد
ابن الاشعث الي الحجاج بن يوسف
سلام علي أهل طاعة الله وأوليائه الذين
يحكمون بعدله ، ويوفون بعهده ،
ويجاهدون في سبيله ، ويتورعون لذكره
ولا يسفكون دماً حراماً ولا يعطلون الرب
احكاما ، ولا يدرسون له أعلاما ، ولا
يتنكبون النهج ولا يبرمون السوء ، ولا
يسارعون في الغي ، ولا يدعون الفجرة ولا
يتراضون الجورة، بل يتمكثون عند الاشتباه
ويتراجعون عند الاساءة، أما بعد فاني احمد
الله حمداً بالغاً في رضاه منتهياً الي الحق في
الامور الحقيقة لله علينا ، وبعد فان الله
أنهضني لمصاولتك وبعثني لمناضلتك حين
تحيرت أمورك، وتهتكت ستورك، فأصبحت
عريان حيران مهينا لاتوافق وفقا ولا ترافق
رفقا ، ولا تلازم صدقا ، أؤمل من الله
الذى أهدى ذلك أن يصيرك في حبالك
وأن يجيء بك في القرن ، ويسحبك
الذقن ، وينصف منك من لم تنصفه من
نفسك ويكون هلاكك بيدى من اتهمته
وعاديته . فلعمرى لقد طال ماتطاولت
وتمكنت وأخطيت وخلت أن لن تبور ،
وأنت في فلك الملك تدور ، وأظن
مصداق ماأقول ستخبره عن قريب فسر
لأمرك ولاق عصابة خلعك من حبالها
خلعتها نعالها وتدرعت حلالها تدرعها
مطالها لايحذرون منك جهداً ولا يرهبون
منك وعيدا يتأملون خزائنك وينتجرون
امارتك عطاشا الى دمك يستطعمون الله
لحمك . وايم الله ليناقفك منهم الابطال
الذين يتهم فيما يحاولونك به علي طاعة الله
شروا أنفسهم تقربا الي الله فاعص عن
ذلك بالابن أم الحجاج فستحمل عليك
ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله
والسلام علي أهل طاعة الله » . فلما قدم

الكتاب علي الحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف ردائه وألقي الطرف الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال :

نقاتلكم ولم نشتم عدواً
وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتعقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ماتأتون وما تبغون . العجب العجيب وما هو أعجب من المسير الأبتر اني وجهته ومن معه من المنافقين صبعمائة وزن صبعة صواه فانطلقوا في نحور العدو ثم أقبلوا علي راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عير أبتر . ومن كيده ماهو أعجب العجب علي حين اننا قد أمنا الخوارج واطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم يا أهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم علي الله وانتهاككم حرمته واغترارکم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوماً ذليلا فلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من أمير جيش الا وهو في جنده بمنزلة العروس التي يزف بها الى خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة في صحبة ولا ذماماً في طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذى يتخوف منكم يا أهل العراق أما هذا الذى يتقي والله لقد أكرمنا الله بهوانكم واهانكم بكرامتنا في مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخاذها وما الله بظلام للعبيد ، ثم خذلانكم لهذه الملوجاه المقصصة انحرافاً أو لهذه الملوجاه واخلاطها من أهل العراق ، لقد هممت أن اترك بكل سكة منها جيفاً منتفخين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب يا أهل الشام احدوا اقلوبكم واحدوا سيوفكم ثم قال :

قد جد أشياعكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد

هيهات ترك الخداع من أجرى من المائة ، ومن لم يذد عن حوضه يهدم ، وأرى الحزام قد بلغ الطبيين ، والتقت حلقتا البطان ، ليس سلامان كهمدان ، أنا ابن العرقة وابن الشيخ الأغر ، كذبتم ورب الكعبة ما الرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعيوبكم واياكم أن أكون أنا وأنتم كما قال القائل :

انك ان كانتني مالم أطق
ساءك ماسرك مني من خلق
والخبير بالعلم ليس كالراجم بالظنون ،

فالتندم قبل التقدم ، وأخو المرء نصيحته ثم قال :

لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلما

ثم قال : احمدوا ربكم ثم صلوا علي نبيكم صلي الله عليه وسلم . ثم نزل وقال : اكتب يانافع وكان نافع مولاه كاتبا يكتب بين يديه : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن ابن الاشعث سلام علي أهل النزوع من التزييغ وأسباب الرداء لا الى معادن الس والتقحم في الغي ، فاني احمد الله الذى خلاك في حيرتك اذبهتك في السير، ووهلك الضرورة ، حتى أقحمك أموراً أخرجك بها عن طاعته وجانبت ولايته، وعسكرت بها في الكفر، وذهلت بها عن الشكر ، فلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء ، أقبلت مستنا بحريم الحرة لستوقد الفتنة لتصلي بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ، الا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكبن لنحرك ، ولتقلبن لظهرك ، ولتخبطن فريصتك ، ولتدحضن حجتك ، ولتقمن مقامك ، ولتشغلن سهامك ، كأني بك تصير الي غير مقبول منك الا السيف ترجا هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة أبطالها والسلام علي من أناب الى الله وسمع وأجاب » ثم قال : من هاهنا من فتية بني الاشعث ابن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتي به قال انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذى قد فتن فأردعه ما انتهك عدو الله الي مافي ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتي بأنك قد حويت علما وأصبت فقها اخاف ان يكون عليك لا لك لعهدت الك به عهداً تعمل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله علي البريد. فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت دهشته جزعا منه وهيبة له وصمم بذلك من كان يبايعه وهو كالذى هوى ، وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلي بابن جبير في

الليل فيسمر معه و يسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رآى هو من خلع الحجاج وأبي سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهر اكريتا فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه في رغبته وخلعا طاعة الحجاج ثم ان عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج اليه الحجاج بمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدبر من ادبار الاهواز يسمي بنيسابور فناصبه القتال ستة اشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا كان في جوف ليلة من الليالي خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبي مسلم مولاه وحاجبه علي ما وراء بابه واما يحيي فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هو نسي او غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر ما بدا له ان يذكر . واما زياد فكان ذا رأى ومشورة وادب وفقه ونصيحة. واما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فصل الخطاب موفق الرأى. فاستشارهم لما حل به و بعبد الرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي فكان هذا فقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة في أن يبيته فكره ذلك مواليه وأشار عنبسة أن يبيته فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأى شعوب فمخطيء منها ومنها مصيب . فغدا الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل و يترجل أهل مودتي ونصيحتي من ولدى وغيرهم . ففعل وأصبح صائما و بيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول : اللهم ان كان الحق لهم فلا تعتنا علي الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم. فحمل عليهم والنيران توقد فأصاب منهم وأصيب منه . انهزم ابن الاشعث في سواد الليل وأصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وأفلت عامر أبن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث فلما اتي الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك ياسعيد أما تستحي من ودك الشيطان في طغيانك الا استحييت من المراقب لى ولك والحافظ علي وعليك فقال . أصلح الله الامير وأمتع به هي بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال

الامير وكما نسبه له وأضافه اليه الا أني أنيب رجلا قد ازهي وطغي ولبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث في صدره وأملي علي لسانه فخنته وأتعبته بالذى فعلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك . فقال له الحجاج فأنا قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة أخرى ثم كتب كتابا و وجهه مع سعيد بن جبير الى عبد الرحمن . فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم علي عبد الرحمن فأخبره فنفر عبد الرحمن وخرج موائلا الي اهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطئونه ويستعجلونه حتى قدم عليهم و بلغ الحجاج فسبقه الي البصرة فدخل الحجاج المسجد مكبا قوسه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحرض الناس علي قتال بن الاشعث وحضهم علي طاعة عبد الملك وتكلم رجل من اهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بنى تميم وكان رجلا منطيقاً وله هوى في الخوارج وكان الحجاج به خابراً فلما رآه عرف أنه يريد الكلام فقال له ادن ياسلمة فدنا . فقال له قل فقال : قد رضينا بالله ربا وبمحمد نبياً وبالاسلام ديناً وبالقرآن اماما وبامير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف والياً والله لو كنا زمعاً و بقي زمع مارضينا أن نكون تبعاً لهذا الحائك . أمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمره أقرب قرابة وأوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الأمير أكرمه الله من أن ننازع له في معصية أو نبطيء عنه في طاعة . فأجابه الحجاج فقال ياسلمة هذا قول حسن لاأدخله صدرى ولاأردنه في نحرك حتى نبتلي حقيقته ان شاء الله . وكان قوله هذا علي المنبر وقد عسكر بأجناده في الزاوية والزاوية في طريق من ناحية البصرة في طرف بنى تميم . ثم أنه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مرة وقتل له ابن الاشعث خلقا لا تحصي كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتنى يعنى أسماء بنت أبي بكر الصديق لئن صدقت أسماء لأقتل اليوم . وكان لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الي أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق أن تأتيه فأبت أن تأتيه . فقال والله لئن لم تأتنى لأبعثن اليها من يجر بقرن رأسها

ويسحبها حتى تصل الي". فقيل لها ذلك فقالت والله لا أسير اليه حتى يبعث الي من يجر بقرون رأسي . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت ما فعل الله تعالي بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المحق لعباده والمشتت لكلمة امة نبيه ؟ فقالت : رأيته اختار قتالك فاختار الله ماعنده اذ كان اكرامه خيراً من اكرامك . ولكن يا حجاج بلغني انك تتنقص بنطاقي هذين أو تدرى مانطاقي ؟ أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق الآخر فأرتقت به خطام بعيره ، فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقين في الجنة . فانتقص علي بعد هذا اودع . ولكن لأخالك يا حجاج أبشر فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلائق ويقذف الكعبة بأحجارها ألا لعنة الله عليه . فأفحم الحجاج ولم يجد جوابا. قال وسار ابن الاشعث بعد ما هزم الحجاج الي الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل

الحجاج فيه خلق كثير وكتب الي عبد الملك بن مروان ان امددني بالرجال فأمده بمحمد بن مروان في أناس من بني أمية كثير وجعل الحجاج اميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا اياما بدير الجماجم حتى كثر القتل في الفريقين جميعا . ثم ان ابن الاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر علي مسير ثلاثة ايام من البصرة علي نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الاشعث يسأله ان يتنحي عنهم لما كرهوا ولايته حتي يستعمل عليهم امير المؤمنين غيره من هو احب اليهم منه . فلما انتهي اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة . قال من انت ؟ قال رجل من خزاعة . قال من اهل البصرة انت ام من اهل الكوفة ؟ قال لا بل من اهل سجستان قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا ؟ قال لا ، قال أفمن وزراء ابن الاشعث انت علينا في هذه الفتنة يا اخا خزاعة ؟ قال والله ماهويتها ولقد جلبني اليك مكرها . قال فكيف تسليمك علي صاحبك اذا انصرفت اليه؟ قال بالامرة. قال فهل ترى في ذلك انك صادق ؟ قال

الله أعلم بأى الامرين هو في نفسك علي الصواب أم علي الخطأ ؟ قال الله أعلم أى الامرين في نفسي . قال أما انك يا أخا خزاعة قال رددت الامر اليه وهو تعالى أعلم انطلق الي صاحبك بكتابك كما جئت به وأعلمه بالذى كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكوه الى الله من يوم الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وذلك يوم الاحد . فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أى مثل ماأقفله) كف فلم يسأله امام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فأخبره الخبر . قال ماوراء ظهرك الا هذا ؟ قال له في دون ما جئتك به مايكفيك فقد رأيت أمراً صعباً ليس وراءه الا المناجزة . ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا العطية ففرق العطية في ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابرد الكلبي علي ميمنته وسعد بن عمر والجرشي علي القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكي علي ميسرته فأعطي الناس علي هذا . أقام في عسكره متربصا ومنتظرا

ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الاشعث انه لايتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من عسكره حتى دنا من معسكر الحجاج فنزل قريباً منه علي مقدار حضر الفرس رجاء أن يتحرش له أحد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أراده والذى توقع فتقدم الي أمراء أجناده وقواده والي أهل عسكره عامة ألا يكلم أحد منهم أحداً من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منه الي يوم الاربعاء . فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة مشقرة محجلة فركبها خلافا لرأيهم واستشماراً بطيرتهم وتوكلا علي الله ونادى مناديه في عسكره أن انهضوا الي قتال ابن الاشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وأخر خلفه مقاتليه حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث علي منال السهم وقف

فصف اصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وترامى الناس حتى اذا كان القتال ينشب خرج رجل من اصحاب ابن الاشعث وهو ينادى ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك ياعنبسة لو كنت تاركها يوما من دهرك لتركتها يومك هذا. ولما دنا من الرجل قال له عنبسة فمن انت ياشيخي ؟ فقال رجل من تميم ثم من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ، ثم انصرف الى مجلسه فجلس وقد تبين الناس حسن طعنه ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان علي مركزه لم يرم والجرشي علي مركزه لم يرم وكانت ميلتهم علي الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكي فلما رأى الحجاج قد انكسرت ناحيته وزال عنها بعث اليها ابن عمه الحكم بن ايوب في خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده الي

مقامه ففعل وبعث الي سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشي يستأذنه القتال فنعه الحجاج وقال له لا الا أن ترى أمراً مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكي وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مترجلا معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه علي ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالي كثيراً وكبروه تكبيراً عالياً ثم انتهوا الي ربوة فأوما اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران في يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهي من قول عبيد بن الابرص أو من قول اليشكري :

كيف ترجون سقاطي بعد ما
جلل الرأس بياض وصلع
ساء ماظنوا وقد اوريتهم
عند غايات المدى كيف اقع

رب من انضجت غيظا قلبه
قد تمنى لى موتا لم يطع
ويراني كالشجي في حلقه
عسراً مخرجه ماينتزع
مزبد يهدر مالم يرني
فاذا اسمعته صوتي انقمع
ويحييني اذا لاقيته
واذا يخلو له لحمي رتع
ورث البغضاء عن والده
حافظا منه الذى كان استمع
ولسان صيرفي صارم
كذباب السيف ماامس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو أهله الذى كان من صنعه فبينا هو كذلك اذا اتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من اصحابه في نفر يسير متوجهاً الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوى فقطع معه ليلا وارسله في طلب ابن الاشعث الي مواضع شتى وعهد اليهم ان لا يدركوا احداً الا اتوا به او براسه او يموت فوقف طويلا في مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث واصحابه

ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فدخل واذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما اتي بأسير امر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الي الليل فلما اصبح وتراجع اليه اكثر خيله امر مناديه ينادى بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وجميع اصحابه الى مدينة واسط فكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الاشعث ظهراً لبطن ليلا ونهاراً حتى لحق بخراسان ورجا في لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التي في طلبه حتى غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى استذات بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه واحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه في القصر فلما رأى ابن الاشعث انه لامحيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمي بنفسه من بعض علالي القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل في غمار الناس فيخفي امره ويكتم خبره فسقط وانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشيا عليه فشعر به اصحاب

الحجاج فأخذوه وقد أفاق بعض الافاقة ولا يقدر علي النهوض فأتوا به الي بن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال أيقن انه لايقدر علي أن يبلغ الحجاج حتى يموت فأمر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الي الحجاج فلماقدم عليه أحدث لله شكرا وحمداً فيا كان من تمام الصنع وما هيأ له من التأييد والظفر وأقام كذلك لايمر عليه يوم الا وهو يؤتي فيه بأسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم في اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر بقتلهم حردا علي الخوارج ورجاء أن يستأصلهم فلا يخرج عليه خارج بعدها فلما رأى كثرة من يؤتي به من الاسرى تحرى فجعل اذا أتي بأسير يقول له : أمؤمن انت ام كافر ؟ ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء علي نفسه بالكفر والنفاق عفا عنه ، ومن قال أنا مؤمن ضرب عنقه ، وامر عامر بن سعيد الشعبي فيمن امر وكان مع ابن الاشعث في جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها الذى كان عليه من حاله الاسعيد بن جبير ، وافلت سعيد بن جبير فلحق بمكة واتي بالشعبي الي الحجاج في سورة غضبه وهو يقتل الاسرى الاول فالاول الا من باء علي نفسه بالكفر والنفاق . فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له زيد ابن أبي مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال : ياشعبي لهفى بالعلم الذى بين دفتيك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت علي الامير تبؤ له بالكفر والنفاق عسي أن تنجو . فلما دخل علي الحجاج صادفه واضعاً رأسه لم يشعر ؟ فلما رفع رأسه رآه قال له وأنت أيضاً ياشعبي فيمن اعان علينا وألب؟ قال أصلح الله الامير اني أمرت بأشياء أقولها لك أرضيك بها وأسخط الرب ولست افعل ولكنى أقول اصلح الله الامير واصدقك القول فان كان شيء يقع بين يديك فهو في الصدق ان شاء الله . احزن بنا المنزل وأجدب واكتحلنا السهر واستحلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا في حرب لم يكن فيه بررة اتقياء ، ولا فجرة أقوياء . فقال له الحجاج كذلك ؟ قال نعم أصلح الله الاميروأمتع به . قال فنظر الحجاج الى أهل الشام فقال صدق والله يا أهل

الشام ماكانوا بررة أتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة اقوياء فيقووا علينا . ثم قال انطلق ياشعبي فقدعفونا عنك فأنت أحق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد حضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا سمعا ماقيل للشعبي بالباب أن يقوله فلما أدخلا قال الحجاج البكرى أمنافق انت ؟ قال نعم اصلح الله الامير لكن أخو بني تميم لايبوء علي نفسه بالنفاق . قال التميمي : أنا علي دمي اخدع اصلح الله الامير منافق مشرك ، فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلها ، قال الشعبي فوالله ماأتي الملك الأمر الا نحو من شهر بن حتى رفعت اليه فريضة اشكلت عليه وهي : أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها ، قال فدل علي ، فأرسل الي فقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة أم واخت وجد ؟ فقلت . اصلح الله الامير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : من قال ، قلت قال فيها علي بن ابي طالب وامير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ، قال هات ماقال فيها علي . فأخبرته . قال فماقال فيها ابن مسعود ؟ فأخبرته . قال فماقال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متقناً ؟ فأخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان ؟ فأخبرته . قال فما قال زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم فأعطي الام ثلاثة أسهم واعطي الجد أربعة اسهم واعطي الاخت سهمين . قال فلما سمع ماكان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل القاضي يقضيها علي ماقال أمير المؤمنين عثمان

قال الشعبي ودخلت عليه الترك وقد شدوا أوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من أعناقهم وأخذوا الطوامير بأيمانهم ودخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فأنبأه عنهم وعنه بصلاح . فقال ماكان وراءك من غيث ؟ قال نعم أصلح الله الأمير اصابتنى سحابة في موضع كذا فواد سائل وواد نازع ، فأرض مدبرة وارض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة أماكنها فما أتيتك الا في مثل مجرى الضب . فقال الحاجب ائذن الناس فدخل عليه رجل

أتاه من قبل نجد ، فقال له ماكان وراءك من غيث؟ فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد وأكل ماأشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة ، فقال بئس الخبر انت قال اخبرتك بالذى كان ، فقال الحاجب ائذن الناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث ؟ قال نعم وسمعت الرواد يدعون الي ريادها وسمعت رائداً يقول هلموا أطعمكم محلة تطفو فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتتافس فيها المعز ، فقال له ويحك انما تحدث أهل الشام فافهمهم فقال أصلح الله الامير أما تطفو النيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والتمر فلا توقد نار واما أن يشتكي النساء فانه من جذبها علي ابريق ابنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها أنين من عضديها ، وأما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات وألوان الثمر مايشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراشها من الكظة شرة تنزل به الدرة

ثم قال الحاجب ائذن الناس فدخل عليه رجل من الموالي كان أشجع الناس في زمانه يقال له عمرو بن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير أصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم أزل أطلب أثرها حتى دخلت علي الامير فقال الحجاج أما والله لئن كنت في المطر أقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم خطرة

ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة ايام ثم انهزم فوقع بأرض فارس ثم صار الي السند فات هناك وتحصن ناس من اصحاب ابن الاشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو ابن موسى التميمي ومحمد ابن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله ومحمد واسحاق وعون ابن عبد الله بن الحارث في ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فأشعر به الحجاج فتغفل عنه ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحصرهم بفارس قال ابو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد ابن المهلب ان اخبروني بآية بيني وبينكم حتى اخرجكم . قال فكتب اليه عبد الله بن الحارث كنت يوماً كذا وكذا في دارنا قال فأخرجته

وبنيه فسكناه عمان وأسر من بقي وأسروا اثنى عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسي التميمي ومحمد بن سعد بن أبي وقاص فبعث بهم الي الحجاج فحبسهم عنده وكتب الي عبد الملك يخبره بأمرهم وجعل يذكر في كتابه ان سعيداً قد أنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم ويقول في كتابه لم أبعثك مشفعاً وانما بعثتك منفذاً مناجزاً لأهل الخلاف والمعصية . فأبرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسي ياعاتق قريش وكان شابا جميلا مالك أنت والخروج انما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب . فقال عمرو أيها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فأن شئت فارسل يدى وقد برئت منى الذمة . فقال له الحجاج كلا حتى أقدمك الي النار . فضربت رقبته ثم جيء بمحمد بن سعد ، فقال له ياظل الشيطان وكان رجلا طويلا ألست بصاحب كل موطن ، انت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم ، فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه ارسل يدى وقد برئت منى الذمة قال لا حتى أقدمك الي النار . ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا ثم قتل الباقين

(ذكر قتل سعيد بن جبير) قال وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان والياً علي أهل مكة فبينما هو يخطب علي المنبر اذ أقبل خالد بن عبد الله القسرى من الشام والياً عليها فدخل المسجد فلما قضي مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقي في الدرجة الثالثة تحت مسلمة أخرج طوماراً مختوماً ففضه ثم قرأه علي الناس فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهل مكة ، أما بعد فاني وليت عليكم خالد ابن عبد الله القسرى فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلن امرؤ علي نفسه سبيلا فانما هو القتل لاغير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد وقال : والذى نحلف به ونحج اليه لاأجده في دار أحد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام . ثم نزل ودعا مسلمة برواحله

ولحق بالشام . فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من أودية مكة مختفيا بمكان كذا فأرسل خالد في طلبه فأتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال انما أمرت بأخذك وأتيت لأذهب بك اليه واعوذ بالله من ذلك فالحق بأي بلد شئت وانا معك قال له سعيد بن جبير . ألك ها هنا أهل وولد ؟ قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذي كان ينالنا . قال الرسول فإني أكلهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا . فأتي به الى خالد فشده وثاقا و بعث به الي الحجاج فقال له رجل من أهل الشام . ان الحجاج قد انذر به واشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك و بين الله اكان ازكي من كل عمل يتقرب به الي الله . فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت ان عبدالملك لا يرضي مني الا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته في مرضاته

فلما قدم سعيد علي الحجاج قال له ما اسمك ؟ قال سعيد . قال ابن من ؟ قال ابن جبير ؟ قال بل انت شقي ابن كسير . قال سعيد امي أعلم باسمي واسم ابي . قال الحجاج شقيت وشقيت امك . قال سعيد الغيب يعلمه غيرك . قال الحجاج لاوردنك حياض الموت . قال سعيد أصابت اذاً امي اسمي . فقال الحجاج لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى . قال سعيد ولو أني أعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك الها . قال الحجاج فما قولك في محمد ، قال سعيد نبي الرحمة ورسول رب العالمين الي الناس كافة بالموعظة الحسنة . قال الحجاج فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد لست عليهم بوكيل كل امرىء بما كسب رهين . قال الحجاج اشتمهم أم أمدحهم . قال سعيد لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسي . قال الحجاج أيهم أعجب اليك ؟ قال : حالاتهم يفضل بعضهم علي بعض . قال الحجاج صف لي قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ؟ قال الحجاج فأي رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا أهون علي الله من أن يطلعني علي الغيب . قال الحجاج أبيت أن تصدقني . قال سعيد بل لم ارد ان اكذبك . قال

الحجاج فدع عنك هذا كله أخبرني مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئا يضحكني وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء ؟ قال الحجاج فأنا أضحك . فقال سعيد كذلك خلقنا الله أطوارا . قال الحجاج هل رأيت شيئا من اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناى قال فلما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكي سعيد . قال الحجاج ما يبكيك ؟ قال : يا حجاج ذكرتني أمراً عظيما والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزينا لما رأيت . قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو ، فقال سعيد : بل هذا والله الحزن ، أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك الي الحساب . وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق . فقال الحجاج أنا قاتلك . قال سعيد قد فرغ من تسبب موتي . قال الحجاج أنا أحب الي الله منك . قال سعيد لا يقدم أحد علي ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم . قال الحجاج كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا وأنا مع امام الجماعة وأنت مع امام الفرقة والفتنة ؟ قال سعيد ما أنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له . قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لامير المؤمنين ؟ قال سعيد لم أر . فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه . قال سعيد : هذا حسن ان قمت بشرطه . قال الحجاج وما شرطه قال : أن تشترى بما تجمع الأمن من الفزع الاكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ويضع كل ذى حمل حمله ولا ينفعه الا ما طاب منه ، قال الحجاج فترى جمعنا طيباً ؟ قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه . قال الحجاج أتحب أن لك منه شيئاً ؟ قال لا أحب ما لا يحب الله . قال الحجاج ويلك . قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فأدخل النار . قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه . قال اني أشهدك يا حجاج أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله استحفظكهن يا حجاج حتى ألقاك

فلما أدبر ضحك . قال الحجاج ما

بضحك ياسعيد؟ قال عجبت من جرأتك علي الله وحلم الله عليك . قال الحجاج انما أقتل من شق عصا الجماعة ومال الي الفرقة التي نهي الله عنها، أضربوا عنقه قال سعيد حتى أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلما وما أنا من المشركين ،قال الحجاج :أصرفوه عن القبلة الي قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بينهم فانه من حزبهم ،فصرف عن القبلة فقال سعيد :فأينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسرائر .فقال الحجاج لم توكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد : اللهم لاتترك له ظلمي وأطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد . فضربت عنقه . ثم قال الحجاج هاتوا من بقي من الخوارج فقرب منهم جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما أخاف الادعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين فأما أمثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير . ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود أو يعبأ بها وهذا يمكن القبول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق »

انتهي ما نقلناه من كتاب ابن قتيبة من تاريخ عبد الملك بن مروان وانما عمدنا الى نقله بحروفه ليرى القارىء صورة الحوادث على ما كانت عليه في ذلك العصر فيتبين تركيب حكوماته وأساليب أهله .وانما عمدنا الى النقل عن ابن قتيبة لانه أقرب الي تلك الحوادث ممن خلفه من المؤرخين فيكون تصويره لها أقرب الى الحقيقة

﴿عبد الملك بن صالح﴾ هو ابن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن أمير

ولي المدينة والصوائف لهرون الرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للامين .أخذ الحديث عن أبيه ومالك بن أنس وكان أفصح الناس وأخطبهم ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته

قيل ليحيى بن خالد البرمكي وقد ولي الرشيد عبد الملك المدينة كيف ولاه

المدينة من بين عماله ؟ قال أحب أن يباهي به قريشا ويعلمهم ان في بني العباس مثله

ودخل علي الرشيد يوما وقد توفي له ولد وجاءه ولد : فقال يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك وجعل هذه بهذه جزاء الشاكر وثواب الصابر

قيل له ان أخاك عبد الله يزعم انك حقود فقال:

اذا ما أمرؤ لم يحقد الوتر لم يجد
لديه لدى النعماء حمداً ولا شكراً

ووجه الى الرشيد فاكهة في أطباق الخيزران وكتب اليه أسعد الله أمير المؤمنين واسعد به أني دخلت الي بستان لي افادنيه كرمك ، وعمرته لي نعمتك قد أينعت أشجاره ، وآنت ثماره فوجهت الي أمير المؤمنين منه شيأ علي الثقة والامكان ، في أطباق القضبان ، ليصل الي من بركة دعائه ، مثل ما وصل الي من كثرة عطائه

فقال رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع بأطباق القضبان . فقال الرشيد يا أبلهانه كنى عن الخيزران اذ كان اسم لامنا

ولما ودعه الرشيد وقد وجهه الى الشام فقال له الرشيد ألك حاجة ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين بيني وبينك بيت يزيد بن الدثنة حيث يقول :

فكوني علي الواشين لدى شغوبة
كما أنا للواشي ألد شغوب

ثم أن الرشيد جعل ابنه القاسم في حجر عبد الملك بن صالح فقال عبدالملك يحض الرشيد علي أن يوليه العهد بعد أخويه الامين والمأمون :

يا أيها الملك الذي
لو كان نجما كان سعداً
القاسم اعقد بيعة
وأرقد له في الملك زندا
الله فرد واحد
فاجعل ولاة العهد فرداً

فجعله الرشيد ثالثهما . ثم وشي به بعد ذلك وتتابعت الاخبار عنه بفساد نيته الرشيد ، فدخل عليه في بعض الايام وقد امتلأ قلب الرشيد غيظا فقال له أ كفراً بالنعمة وغدراً بالامام ؟ فقال عبد الملك قد بؤت اذن باعباء الندم ، واستحلال النقم ، وما ذاك يا أمير المؤمنين الا بغي حاسد نافس فيك وفي

تقديم الولاية ومودة القرابة . يا أمير المؤمنين انك خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في أمته ،وأمينه علي عترته ، لك عليها فرض الطاعة واداء النصيحة ولها عليك العدل في حكمها ،والتثبت في حادثها

فقال الرشيد هذاثمامة كاتبك يخبر بفساد نيتك وسيرتك ، ثم أمر باحضار وقال له الرشيد تكلم غير خائف ولا هائب .فقال أقول انه عازم علي الغدر بك ياأمير المؤمنين والخلاف عليك فقال عبد الملك وكيف لايكذب علي من خلفي من يبهتني في وجهي؟

فقال الرشيد هذا ولدك عبد الرحمن يقول بقول كاتبك ويخبر عن سوء ضميرك ، وفساد نيتك ، وانت لو أردت أن تحتج بحجة لم تجد أعدل من هذين ؟ فقال يا أمير المؤمنين عبد الرحمن بين مامور أو عاق .فان كان ماموراً فمعذور ، وان كان عاقا فهو عدو خبر الله بعدوانه وحذر منها فقال جل ثناؤه في حكم كتابه: (ان من أولادكم وأزواجكم عدوالكم فاحذروهم)

فنهض الرشيد فقال أما امرك فقد وضح ولكن لا أعجل حتى أعلم ما الذى برضي الله فيك فانه الحكم بيني و بينك

فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبامير المؤمنين حاكما فاني أعلم أنه يؤثر كتاب الله علي هواه،وأمر الله علي رضاه

ثم أنه دخل عليه في مجلس آخر وسلم فلم يرد عليه الرشيد فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى أقبل عليه بوجهه وقال ما هذا الامر الا كما قلت يا أبا عبدالرحمن وانك لحسود وأمير المؤمنين يعلم أنك علي سريرة صالحة غير مدخولة ولاخبيسة ثم عاد عبد الملك لشربة ماء .فقال له الرشيد ما شرابك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال سحيق الطبرزذ بماء الرمان

فقال الرشيد بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظماء ،و يلذان المذاق

فقال عبد الملك صدقك لها يا أمير المؤمنين ألذ من فعلهما . ثم أن الرشيد تفكر له بعد ذلك فحبسه عند الفضل بن الربيع ولم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد فأطلقه الامين وعقد له بالشام وجعل للأمير عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو

حي لا يعطي للمأمون طاعة فمات ودفن بدار الامارة بالرقة

فلما قتل الامين وخرج المأمون يريد الروم أرسل الي ابن عبد الملك حول أباك من داري فنبشت عظامه وحولت

ومن شعر عبد الملك بن صالح ما كتبه الي الرشيد وقد تغير عليه :

أخلاى لي شجو وليس لكم شجو
وكل امرىء من شجو صاحبه خلو
من أى نواحي الارض أبغي رضاكم
وأنتم أناس ما لمرضاتكم نحو
فلا حسن نأتي به تقبلونه
ولا ان أسأنا كان عندكم عفو

فلما وقف عليها الرشيد قال والله ان كان قالها فقد أحسن ، وان كان رواها فقد أحسن،و كتب اليه من السجن رحمه الله :

قل لامير المؤمنين الذى
يشكره الصادر والوارد
ياواحد الاملاك في فضله
مالك مثل في الورى واحد
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي
حقا كما قد زعم الحاسد
فلايضق عفوك عني فقد
فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو في السجن :

لئن ساءني سجنى لقد أحبق
واني فيهم لا أمر ولا أحلي
لقد سرني عزى بتركي لقائهم
وماشئتكي من حجابي ومن ذلي

ولما أخرجه الامين من السجن دفع اليه كاتبه وابنه فقتل ابنه وهشم وجه كاتبه بعمود

توفي سنة (١٧٦)

﴿مالك بن دينار﴾ هو أبو يحيي مالك ابن دينار البصرى وهو من موالي بني سامة لؤى القرشي

كان عالما زاهداً كبير الورع لا يأكل الا من كسب يده، فكان يكتب المصاحف بالاجرة روى انه قال : قرأت في التوراة ان من يعمل بيده طوبي لحياه ومماته . وكان يوماً في مجلس وقد قص فيه قاص فبكي القوم ثم ماكان بأوشك من أن أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها فقال لمالك كل فقال انما يأكل الرؤوس من بكي وأنا لم أبك فلم يأكل منها

لمالك المذكور مناقب عديدة وآثار

مشهورة فمن ذلك ماحكاه أبو القاسم خلف ابن بشكوال الاندلسي في كتابه الذي سماه كتاب المستغيثين بالله تعالي فانه قال بينما مالك بن دينار يوما جالس اذ جاءه رجل فقال يا أبا يحيي ادع الله لامرأة حبلي منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد . فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال ما يرى هؤلاء القوم الا اننا أنبياء . ثم قرأ ثم دعا فقال اللهم هذه المرأة ان كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلاما فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم . وجاء رسول الى الرجل وقال أدرك امرأتك فذهب الرجل فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلي رقبته غلام جعد قطط ابن أربع سنين وقد استوت أسنانه وأقطع سراره

كان مالك بن دينار من كبار السادات توفي سنة (١٣١) بالبصرة

❮ مالك بن أنس ❯ هو الامام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث بن غيمان وقيل عثمان بن جنبل وقيل خثيل بن عمرو ابن ذي أصبح واسمه الحارث الاصبحي المدني

هو امام دار الهجرة وأحد الائمة الاعلام أخذ القراءة عرضاً من نافع بن أبي نعيم وسمع الزهرى ونافعاً مولي ابن عمر رضي الله عنهما وسمع عنه الاوزاعي ويحيي بن سعيد وأخذ العلم عن ربيعة الرأى وأفتى معه عند السلطان

قال مالك قل رجل كنت أتعلم منه مامات حتى يجيئني ويستفتيني

وقال ابن وهب سمعت منادياينادى بالمدينة ألا لا يفتى الناس الا مالك بن أنس وابن أبي ذؤيب

وكان مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس علي صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا أحدث به الا متمكنا علي طهارة وكان يكره أن يحدث علي الطريق أو قائما أو مستعجلا ويقول أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . وكان لايركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول لا أركب في

مدينة فيها جثة رسول الله صلي الله عليه وسلم مدفونة

وقال الشافعي قال لي محمد بن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا رضي الله عنهما ؟ قال قلت علي الانصاف ؟ قال نعم . قلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم ؟ قال قلت ناشدتك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم . قال الشافعي فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا علي هذه الاشياء فعلي أى شيء نقيس ؟

وقال الواقدى كان مالك يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضي ويقضي الحقوق ويجالس في المسجد ويجتمع اليه أصحابه ثم ترك الجلوس في المسجد فكان يصلي وينصرف الي مجلسه . وترك حضور الجنائز فكان يأتي أهلها فيعزيهم . ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد تلك الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي أحداً يعزيه ولا يقضي له حقا واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه وكان ربما قيل له في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره

وسعي به الي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وهو عم أبو جعفر المنصور وقالوا له انه لايرى أيمان بيعتكم هذه بشيء . فغضب ابوجعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب معه أمراً عظيما فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً حلي به

وذكر ابن الجوزى في شذور العقود في سنة (١٤٧) وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطا لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان والله أعلم

ولد مالك سنة (٩٥) الهجرة وحمل به ثلاث سنين وتوفي في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله عنه فعاش أربعا وثمانين سنة وقال الواقدى مات وله تسعون سنة

وقال ابن الفرات في تاريخه المرتب علي السنين توفي مالك بن أنس الاصبحي لعشر مضين من شهر ربيع الاول سنة

تسع وتسعين ومائة وقيل انه توفي سنة ثمان وسبعين ومائة وقيل ان مولده سنة تسعين الهجرة

وقال السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة الاصبحي انه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين والله اعلم

(وحكي) الحافظ أبو عبد الله الحميدى في كتاب جذوة المقتبس قال حدث القعنبي قال دخلت علي مالك ابن أنس في مرضه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما الذى يبكيك ؟ فقال لى يا ابن قعنب ومالي لا أبكي، ومن أحق بالبكاء منى، والله لوددت اني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت اليه وليتنى لم أفت بالرأى . أو كما قال

وكانت وفاته بالمدينة علي ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع وكان شديد البياض الي الشقرة طويلا عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج بقوله:

سقي جدثا ضم البقيع لمالك
من المزن مرعاد السحائب مبراق
أمام موطاه الذى طبقت به
أقاليم في الدنيا فساح وآفاق
أقام به شرع النبي محمد
له حذر من أن يضام واشفاق
له سند عال صحيح وهيبة
فللكل منه حين يرويه اطراق
وأصحاب صدق كلهم علم فسل
بهم انهم ان أنت ساءلت حذاق
ولو لم يكن الا ابن ادريس وحده
كفاه ألا ان السعادة أرزاق

والاصبحى بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة و بعدها حاء مهملة هذه النسبة الي ذى أصبح واسمه الحرث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة وهو من يعرب بن قحطان وهى قبيلة كبيرة باليمن واليها تنسب السياط الاصبحية

وقال هشام بن الكلبي في جمهرة النسب ذو أصبح هو الحرث بن مالك ابن زيد بن غوث بن سعد بن عوف ابن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم

ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن هميسع بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه يقطن بن عابر ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام

﴿مالك بن طوق﴾ هو التغلبي صاحب الرحبة أحد الاشراف والفرسان الاجواد في عهد بنى العباس

تولي مرة دمشق للمتوكل وكان ينادى علي باب داره بالخضراء وكانت دار الامارة بعد المغرب : الافطار يرحمكم الله. قال والابواب تكون اذذاك مفتحة يدخلها الناس

وهو الذى بنى الرحبة التى علي الفرات واليه تنسب . وسبب ذلك أن هرون الرشيد ركب في حراقة مع ندمائه في الفرات ومعهم مالك بن طوق فلما قرب من الدواليب قال يا أمير المؤمنين لو خرجت الي الشط لنجوز هذه الدواليب . قال أحسبك تخاف هذه . قال الله يكفي أمير المؤمنين كل محذور . قال الرشيد قد تطيرت بقولك ثم صعد الي الشط فلما بلغت الحراقة الي الدواليب دارت دورة ثم انقلبت بما فيها فتعجب الرشيد من ذلك وسجد شكراً لله تعالي وتصدق بأموال كثيرة وقال لمالك وجبت لك علينا حاجة فسل ما تحب . قال يعطينى أمير المؤمنين هنا أرضا ابنيها فتنسب الي . قال قد فعلنا وساعدنا بالاموال والرجال فلما عمرها واستوثق أموره فيها وتحول الناس اليها أنفذ اليه الخليفة يطلب منه مالا فتعلل ودافع ومانع وتحصن وجمع الجيوش وطالت الوقائع بينه وبين عسكر الرشيد الي أن ظفر به قائد جيش الرشيد وحمله مكبلا فمكث فى السجن عشرة أيام ثم أمر باحضاره في جمع من الرؤساء وأرباب الدولة فقبل الارض ولم ينطق . فتعجب الرشيد من صمته وغاظه ذلك وأمر بضرب عنقه وبسط النطع وجرد السيف وقدم مالك . فقال الوزير يا مالك تكلم فان أمير المؤمنين يسمع كلامك . فرفع رأسه وقال يا أمير المؤمنين أخرست من الكلام دهشة وقد ادهشت عن السلام والتحية . فاما اذ أذن أمير المؤمنين فاني اقول السلام علي أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته الحمد لله الذى خلق الانسان

من صلاة من طين يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث الامة وأخمد بك شهاب الباطل وأوضح بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة الفصيحة وتصدع الافئدة وأيم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة ولم يبق الا عفوك أو انتقامك. ثم أنشأ يقول بعد ماالتفت يمينا وشمالا:

أرى الموت بين النطع والسيف كامنا
يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلي
وأى امرىء مما قضي الله يفلت
يعز علي الاوس بن تغلب موقف
يهز علي السيف فيه وأسكت
وأى امرىء يدلى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه يصلت
ومابي من خوف أموت وانني
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خوفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعي اليوم
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا آمنين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لايبعد الله داره
وآخرجذلان يسرو يشمت

قال فبكي هرون الرشيد وقال لقد سكت علي همة، وتكلمت عن علم وحكمة، وقد عفوت لك عن الصبوة، ووهبتك الصبية، فارجع الى ولدك ولا تعاود فقال سمعا وطاعة. وانصرف توفي سنة(٢٥٩)ه

﴿مالك بن نويرة﴾ بن حمزة بن شداد أبو المغوار اليربوعي أخو متمم

كان يلقب بالجفول لكثرة شعره أسلم في مدة النبي صلي الله عليه وسلم قبل ثم ارتد مع من ارتد بعد وفاته فقتل في حروب أهل الردة التى قام بها أبو بكر الصديق أمير المؤمنين

قال أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني: كان أبو بكر رضي الله عنه لما جهز خالد بن الوليد لقتال أهل الردة قد أوصاهم أنهم اذا سمعوا الاذان في الحي واقامة الصلاة نزلوا عليهم فان أجابوا الي أداء الزكاة والا الغارة. فجاءت السرية حتى مالك وكان في السرية أبو قتادة الانصارى وكان ممن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا فقبض عليهم وكانت

ليلة باردة فأمر خالد مناديا ينادى أدفئوا اسراكم، وكان لغة كنانة اذا قالوا ادفئوا الرجل يعنون اقتلوه، فقتل ضرار بن الازور مالكا. وسمع خالد الداعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا أراد الله أمراً أصابه. فقال أبو قتادة هذا عملك. فزبره خالد. فغضب ومضي حتى اتي ابا بكر، فغضب عليه ابو بكر حتى كلمه فيه عمر فلم يرض الا ان يرجع الي خالد ويقيم معه فرجع اليه ولم يزل معه حتى قدم خالد المدينة. وكان خالد قد تزوج بزوجة مالك. فقال عمر ان في سيف خالد رهقاً وحق عليه أن يقيده. وأكثر عليه في ذلك وكان ابو بكر لايقيد عماله. فقال ياعمر ان خالداً تأول فأخطأ فارفع لسانك عنه. ثم كتب الي خالد أن يقدم عليه فقدم وأخبره بخبره فقبل عذره فعنفه بالتزويج. وقيل ان خالداً كان يهوى امرأة مالك في الجاهلية، وكان خالد يعتذر في قتله فيقول انه قال لى وهو يراجعني ما إخال صاحبكم الا قد كان يقول كذا وكذا. فقال خالد أو ما تعده صاحبك ثم قدمه فضرب عنقه. ومما يؤيد خالداً ان مالكا صار مرتدا ان متمما أخاه لما أنشد عمر مراثيه في مالك قال عمر والله لوددت اني احسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل مارثيت أخاك. فقال متمم لو ان أخي مات علي مامات عليه أخوك مارثيته. فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني احد عن أخي بأحسن مما عزاني به متمم. وقال الرياشي صلي متمم بن نويرة مع أبي بكر رضي الله عنه الصبح ثم أنشده:

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق العضاه قتلت يا ابن الازور

الابيات، ثم بكي حتى سالت عينه العوراء ثم انحرط علي سية قوسه متكئاً عليه، وقيل لمتمم مابلغ من وجدك علي أخيك؟ فقال أصبت باحدى عينى فما قطرت منها قطرة عشرين سنة فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ

ويقال في المثل: (فتى ولا كمالك ومرعي ولا كالسعدان) يعنون به مالكا هذا.

وقيل لمتمم صف لنا مالكا، فقال: كان يركب الجمل الثقال في الليلة القرة يرغي لاهله بين المزادتين، عليه الشملة الفلوت يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا

ومن شعر متمم في أخيه مالك:

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق العضاة قتلت يا ابن الازور
أدعوته بالله ثم غدرته
بل لو دعاك بذمة لم يغدر
لا يلبس الفحشاء تحت ثيابه
صعب مقادته عفيف المئزر
فلنعم حشو الدرع كنت وحاسرا
ولنعم مأوى الطارق المتنور

وقال يرثيه من ابيات :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا
اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فان تكن الايام فرقن بيننا
فقد بان محمودا اخي يوم ودعا
أقول وقد طار السنا في ربابه
وجون يسح الماء حتى تريما
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك
ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا
تحيته منى وان كان نائيا
وأمسى ترابا فوقه الارض بلقعا

وقال أيضاً رحمه تعالى :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف العيون السوافك
فقلت لهم ان الشجا يبعث الشجا
دعوني فهذا كله قبر مالك

وقال عمر رضي الله عنه لمتمم أكان مالك يحبك مثل محبتك اياه ؟ فقال أين انا من مالك ، والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حى من العرب فشدوني وثاقا وألقوني بفنائهم فبلغه خبرى فأقبل على على راحلته حتى انتهى الى القوم وهم جلوس في ناديهم فلما نظر الي أعرض عني وقصد الى القوم فعرفت ما أراد فوقف عليهم فسلم وحادثهم وضاحكهم فوالله ما زال حتى ملأهم سرورا واحضروا غداءهم فسألوه النزول يتغدى معهم ففعل ثم نظر اليهم وقال لقبيح بنا أن نأكل ورجل ماتي بين أيدينا لا يأكل معنا وأمسك عن الطعام فقام القوم وصبوا الماء على قدى حتى لان وحلوني ثم جاؤا بي وأجلسوني معهم على الغداء . فلما اكلنا قال لهم ما ترون تحرم هذا بنا وأكل معنا وانه لقبيح بكم أن تردوه الى القيد . فخلوا سبيلي وأطلقوني بغير فداء

ابن مالك النحوى

هو محمد بن عبدالله بن مالك الامام العلامة الاوحد جمال الدين الطائي الجياني الشافعي النحوى نزيل دمشق

ولد سنة (٦٠٠) وسمع بدمشق وتصدر بحلب لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين . وكان اماما في القراءات وعللها وصنف فيها قصيدة في قدر الشاطبية . وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها . وكان اماما في العادلية فكان اذا صلى فيها يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان مؤلف وفيات الاعيان الى بيته تعظيما له . وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا ساحل له . وأما اطلاعه على أشعار العرب التى يستشهد بها فكان فيه غاية وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث ، فان لم يكن فيه شيء عدل الى أشعار العرب. هذا ماكان عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال النقل. وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا وصنف كتابا لتسهيل الفوائد مدحه سعد الدين بن عربي بأبيات وهي :

ان الامام جمال الدين جمله
رب العلى ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم
يزل مفيداً لذى لب تأمله

ومن تصانيفه سبك المنظوم ، وفك المختوم ، وكتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها ، والخلاصة ومختصر الشافية ، واكمال الاعلام بمثلث الكلام ، وفعل وأفعل ، والمقدمة الاسدية صنفها باسم ولده الاسد ، وعدة اللافظ وعمدة الحافظ ، والنظم الاوجز فيما لا يهمز ، والاعتضاد في الظاء والضاد ، واعراب مشكل البخارى . توفي سنة (٦٧٢)

رثاه شرف الدين بقوله :

ياشتات الاسماء والافعال
بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط
منه في الانفصال والاتصال

مصدراً كان للعلوم بإذن الـ
له من غير شبهة أو محال
عدم النعت والتعطف والتو
كيد مستبدلا من الابدال
ألم إعتراه أسكن منه
حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكتة لهمز قضاه
أورثت طول مدة الانفصال
رفعوه في نعشه فانتصبنا
نصب تمييز كيف سير الجبال
صرفوه يا اعظم ما فعلوه
وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه في الترب من غير مثل
سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفـ
ن وقوفا ضرورة الامتثال
ومددنا الا كف نطلب قصراً
مسكنا انزيل من ذي الجلال
آخر الآي من مباحثنا منه
حظه جاء أول الانفال
يا لسان الاعراب يا جامع الاعـ
راب يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان في النظم والنثـ
ر وفي نقل مسندات العوالي
كم علوم بثثتها في أناس
علموا ما بثثت عند الزوال

﴿ملك النحاة﴾ هو أبو نزار الحسن ابن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار ابن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة

قال العماد الكاتب في الخريدة : كان من الفضلاء المبرزين ، وحكي ماجرى بينهما من المكاتبات بدمشق ، وبرع في النحو حتى صار أنحى أهل طبقته وكان فهما فصيحاً ذكيا الا انه كان عنده عجب بنفسه وتيه لقب نفسه ملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك

خرج من بغداد وسكن واسط مدة وأخذ عنه جماعة من أهلها أدبا كثيراً واتفقوا على فضله ومعرفته

وذكر أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل فقال ورد اربل وتوجه الى بغداد وسمع بها الحديث وقرأ مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني والخلاف على أسعد الميهني وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان صاحب الوجيز والوسيط

في أصول الفقه . وقرأ النحو على الفصيحي وكان الفصيحي قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب الجمل الصغرى . ثم سافر الى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشام واستوطن دمشق وتوفي بها سنة (٥٦٨) وقد ناهز الثمانين ودفن بمقابر باب الصغير . أما مولده فكان في سنة (٤٨٩) بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الدقيق وله مصنفات كثيرة في الفقه والاصول والنحو وله ديوان شعر ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة ومن شعره :

سلوت بحمد الله عنها فأصبحت
دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها
على انني لا شامت ان أصابها
بلاء ولا راض بواش يعيبها

وله أشياء حسنة وكان مجموع فضائل

﴿ملّ﴾ فلان يملّ أصابه الملال و (ملّ الشيء يمله) سئمه . و (أملّ الكتاب وأملاه عليه) أي قاله له فكتب و (الملال) السآمة والضجر . و (المِلّة) الشريعة والدين والطريقة . و (الملال) ذو الملل . و (تململ الرجل) تقلب على فراشه مرضا أو غما . و (ململه) جعله يتململ

﴿الملليمتر﴾ هو جزء من الف من المتر وجزء من مئة من الديسمتر وجزء من عشرة من السنتمتر

﴿ملي﴾ يقال (أملى له في الغي) أطال له ، و (تملّى فلان عمره) استمتع منه . و (تملاه) عاش معه متمتعاً به . و (الملا) الصحراء والمتسع من الارض جمعه أملاء ، و (الملوان) الليل والنهار و (الملاوة) البرهة من الدهر

قوله تعالى عن لسان بعض خلقه «واهجرني مليا» أى دهراً طويلا

و (الإملاء) الامهال والتأخير في المدة . و (الأمالي) جمع أملية وهو مايمليه المعلم على تلاميذه من العلوم

﴿المليم﴾ جزء من عشرة من القرش المصرى

﴿الملليون﴾ كلمة أعجمية معناها الف الف

﴿ابن مماتي﴾ هو القاضي الاسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي مليح مماتي المصرى الكاتب الشاعر

كان ناظراً للدواوين في الديار المصرية معروفا بالفضائل . له مصنفات جمة وقد نظم سيرة السلطان صلاح الدين ونظم كتاب كليلة ودمنة وله ديوان شعر جيد منه :

تعانيني وتنهي عن أمور
سبيل الناس ان ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني
وحقك ما علي أضر منها

وله قصيدة طويلة :

لنيرانه في الليل أي تحرق
على الضيف اذ أبطأ وأي تلهب
وماضر من يعشو الي ضوء ناره
اذا هو لم ينزل بآل المهلب

وله في كتمان السر :

واكتم السر حتى عن اعادته
الى المسر به من غير نسيان
وذاك ان لساني ليس يعلمه
سمعي بسر الذي قد كان ناجاني

قال العماد الاصفهاني في كتاب الخريدة لقيته بالقاهرة يتولي ديوان جيش الملك الناصر وكان هو وجماعته نصارى فأسلموا في ابتداء الملك الصلاحي

ثم حدث ان الاسعد المذكور خاف على نفسه من الوزير صفي الدين بن شكر فهرب من مصر مستخفيا وقصد مدينة حلب لائذاً بجانب السلطان الملك الظاهر وأقام بها حتى توفي سنة (٦٠٦) وعمره اثنان وستون سنة .

قيل سمي القاضي الاسعد المذكور مماتي لانه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدق والاطعام وخصوصا لصغار المسلمين فكانوا اذا رأوه ناداه كل واحد منهم مماتي فاشتهر به

رثاه أبو طاهر بن مكنسة المغربي الشاعر بقوله :

طويت سماء المكرما
ت وكورت شمس المديح
من ذا أؤمل أو أرجى
بعد موت أبي المليح

وكان لابي طاهر المذكور مدائح جليلة في ابن مماتي المذكور

﴿دولة المماليك﴾ انظر كلمة (مصر)

﴿داء الملوك﴾ انظر (نقرس)

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين نحو (مَن يجدّ يجدْ) وتكون اسم استفهام نحو (من فعل هذا ؟) . واسم موصول نحو (جاء كل من في البيت)

﴿من﴾ حرف جر ومن معانيه ابتداء الغاية نحو (جاء من البيت) . ومن معانيه التبعيض نحو (منهم من كلمنا)

﴿منحه﴾ الشي يمنحه اياه أعطاه اياه . و(استمنحه) طلب عطيته واسترفده و(المِنحة) العطية . و(المَنيح) عند العرب سهم بلا نصيب في المقامرة

﴿ابن منده﴾ هو أبو عبد الله محمد كان من كبار الحفاظ توفي سنة (٣١٠)

﴿ابن مندة﴾ هو أبو زكريا يحيي ابن عبد الوهاب بن الامام ابي عبد الله ابن اسحق بن محمد بن يحيي بن مندة ابن الوليد بن مندة بن بطة بن استندار ابن جهار بخت بن فيرزان

كان من الحفظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرز بن حفيد المتقدم فهو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد . وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا مكثراً صدوقا كثير التصانيف بعيداً عن التكلف . خرج التاريخ لنفسه ولجماعة من الشيوخ والاصبهانيين وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبي وأبا طاهر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهاني وأباه أبا عمرو وعمه أبا الحسن عبد الله وأبا القاسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد ابن احمد ابن النعمان القضاعي وأبا عبد الله محمد بن علي بن الحسين الجورداني وأبا طاهر احمد بن محمود الثقفي

ورحل الي نيسابور وسمع أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندى وبالبصرة أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله بن الحسن السعداني وجماعة كثيرة سواهم

صنف تاريخ أصبهان وغيره من المجموع ودخل بغداد حاجا وحدث بها وأملي بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن صالح الجيلي وأبو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوى في خلق كثير اشهرهم وثبته

وروى عنه أبو البركات عبد الوهاب ابن المبارك الانماطي الحافظ وأبو الحسن علي بن ابي تراب الرنكوى الخياط البغدادى وأبو طاهر يحيي بن عبد الغفار ابن الصباح بن هبة الله بن العلاء الحافظ

وجماعة كثيرة

ذكره الحافظ ابن السمعاني قد كتاب الذيل وقال كتب لي الاجازة بجميع مسموعاته

ثم قال سألت عنه ابا بكر محمد بن أبي نصر بن محمد الكفتواني الحافظ فقال بيت ابن منده بدىء بيحيي وختم بيحيي يريد في معرفة الحديث والعلم والفضل

وذكره الحافظ عبدالغافر بن اسماعيل ابن عبد الغافر الفارسي في مساق تاريخه بنيسابور فقال ابو زكريا يحيي بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا ، سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم وصنف على الصحيحين .وكان يروى باسناده المتصل الي بعض العلماء انه قال (كثرة الضحك امارة الحمق ،والعجلة من ضعف العقل، وضعف العقل من قلة الرأى ، وقلة الرأى من سوء الادب ،وسوء الادب تورث المهانة، والمجون طرف من الجنون والحسد طرف لادواء له والنمائم تورث الضغائن

وكان يروى بالاسناد المتصل الى الاصمعي أنه قال دخلت في البادية الى مسجد فقام الامام يصلي فقرأ (انا أرسلنا نوحا الي قومه) وارتج عليه فجعل يكررها ويقول (انا أرسلنا نوحا الي قومه) فقال اعرابي من ورائه وهو قائم يصلي : ياهذا ان لم يذهب نوح فأرسل غيره

وكان يحيي المذكور كثيراً ما ينشد :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
والمشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

ولد بأصبهان في شوال سنة (٤٣٤) وتوفي بها يوم عيد النحر سنة (٥١٢) ولم ينبغ في بيت ابن منده بعد مثله

وقال ابن نقطة في كتابه اكمال الاكمال توفي في ١٦ ذى الحجة من سنة (٥١١) وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب سنة (٣٨٦) وتوفي سنة (٤٧٥)

﴿ منذ ومذ ﴾ حرفا جر بمعنى من ان كان الزمان ماضيا ، وبمعنى في ، ان كان الزمان حاضراً ، وبمعنى من والي ، ان كان معدوداً نحو (ما رأيته منذ يوم الجمعة او مذ يومنا او مذ ثلاثة أيام)

﴿ المنصورة ﴾ مدينة مصرية هي قاعدة مديرية الدقهلية وهي مدينة جميلة

جيدة الهواء واقعة على الشاطيء الايمن لفرع دمياط تعتبر من مدن مصر التجارية في القطن والحبوب وبها معاصر الزيوت كثيرة ومعامل لحلج القطن وتصنع فيها أيضا أقمشة قطنية وكتانية . وقد يبلغ الآن عدد سكانها نحو (٦٠٠٠٠) نسمة

بناها الملك الكامل ناصر الدين الايوبي في سنة (٦١٦) هجرية عند مادخل الفرنج دمياط . وحصلت بقربها سنة (٦٤٨) هجرية أى (١٢٥٠) ميلادية وقعة دموية بين الصليبيين تحت قيادة الملك لويز التاسع ملك فرنسا الملقب سان لويز أى القديس لويز وبين المصريين تحت قيادة الملك طوران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب .فدارت الدائرة على المهاجمين وأسر الملك لويز ووضع هو وأركان حربه بدار بها يقال لها دار ابن لقمان لم تزل آثارها باقية الي الآن . ثم حدث صلح وافتدى ملك الفرنسيين نفسه بمال عظيم .

(انظر دقهلية)

﴿ المنصورة ﴾ قال ياقوت الحموى في معجم البلدان في مواضع متعددة من كتابه :

منها المنصورة بأرض السند وهي قصبتها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سوار به ساج ولهم خليج من نهر مهران أصل اسمها همناباذ . قيل لها المنصورة لان عمير بن حفص المهلبي بناها في أيام المنصور من بني العباس وخليجها يحيط بها فهي منه في شبه الجزيرة . وهي شديدة الحر بينها والديبل ست مراحل ، وبينها والملتان اثنتى عشرة مرحلة من المنصورة الي أول حد البرسة

ومنها المنصورة كانت بالبطيحة

ومنها المنصورة وهي مدينة خوارزم كانت في شرق جيحون

ومنها المنصورة كانت بقرب القيروان من نواحي افريقية

ومنها المنصورة بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل (هي التي بمصر)

ومنها المنصورة باليمن بين الجند وبقيل الحراء أنشأها طغتكين الايوبي

وقال ابن حوقل عند الكلام على السند :

« والمنصورة وهي مدينة مقدارها

في الطول والعرض نحو ميل في مثله يحيط بها خليج من نهر مهروان وأهلها مسلمون وملكها من قريش وهي مدينة حارة بها نخيل وليس بها من الفواكه غير الليمون الا انه شديدة الحموضة وفاكهة تشبه الخوخ تسمى الانبج وأسعارهم رخيصة وفيها خصب » انتهى

المعروف باسم المنصورة الآن قريتان في الجزائر احدهما في ولاية وهران تبعد عن مدينة تلمسان بنحو ٣ كيلو مترات وهي مبنية على أطلال المدينة التي كانت تسمى بهذا الاسم ولم يبق فيها الا اثر السور ومنارة متهدمة

والمنصورة الثانية بولاية قسطنطينية وهي صغيرة لا يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة

﴿ مَنَعَه ﴾ الامرَ يمنَعه حرمه اياه . و (منُع الحصن يمنُع مَناعة) اشتد و (مانعه) نازعه ومنعه منه . و (تمنع عنه وامتنع) كف عنه . و (المَنَعة) العز و (المَمنوع) الشديد المنع . و (المنيع) العزيز القوى

﴿ منّ ﴾ عليه يمُن منّا أنعم عليه و (منّ على فلان بما صنع مِنة) عدد له مافعله . و (امتنّ عليه) قرّعه بمنه . و (المَن) كل مايمن الله به

﴿ المَنّ ﴾ هو عصارة متجمدة سكرية ذات طبيعة خاصة تسيل من شجر لسان العصفور وقيل ان لفظ مَنّ عبراني معناه المغذى الالهي . وكان المن يسمي أيضا ندى السماء وعسل الهواء والعسل السمائى لانه يشاهد نقطا على أوراق بعض الاشجار فكانوا يظنون في الماضي انه ناتج من ندى يتجمد على هذه النباتات وكان العرب يقولون بذلك أيضا وهو خطأ عظيم

ويظهر انه لافرق بين المن والشيرخشك الذى كان معروفا عند العرب وهو لفظ فارسى معناه حلاوة يابسة . وكان العرب يدعون انه طل يقع على الاشجار وخصوصا شجر الخلاف في أواخر الربيع

وظن بعضهم انه مادة حيوانية ناشئة من بعض الحشرات حيث شوهد سقوط تلك الحشرات على أوراق النباتات ولا سيما في الصيوف الحارة بحيث تحصل منها عليها طبقة طلائية عذبة الطعم عسلية ، ولكن هذه الطبقة تختلف

عن المن الذى يكون اولا سائلا ثم يتجمد الي حبوب متميزة بعضها عن بعض

المن الطبيعى كما تقرر الآن هو عصارة خاصة لاشجار من جنس الدردار وهي محوية في قنوات تخرج منها بانتفاخها بذاتها او من شقوق تعمل في قشورها أو بفوهات تحدث فيها بفعل بعض الحشرات فهو ليس بندى سماوى ولا بمادة حيوانية وانما هو عصارة نباتية للنبات المذكور

وقد ثبت ذلك بالتجربة فان العالم (بليا) غطى ذلك الشجر بأغطية حتى لا يصل اليه الندى فرأى أن المن يكون عليه كما يكون في العادة

شوهد أن الدردار لا يفرز المن الا مدة تختلف بين ٣٠ و٤٠ سنة ولا يبتدىء خروجه الا اذا بلغ عمر النبات ١٠ سنين ويزيد مقداره كلما تقدم النبات في السن وقد ذكر العالم بروس أن هذا الافراز النباتي يكثر في اسبانيا الي درجة يمكن معها أن يكون من الصنوف التجارية ولكنه مهمل فيها

المن أصناف وهي المن الدمعي والمن العام والمن الدسم . فالاول يخرج على هيئة حبوب مستديرة صلبة خفيفة لونها أبيض وطعمها سكرى ويكاد لا يكون مغثيا

والمن العام كثير الوجود ويكون على شكل قطع مكونة من حبوب متضامة بواسطة عصارة لينة مسمرة تلوث الاصابع ويكون لونه مصفراً وطعمه أقل سكرية منها حمضيا اذا كان جديداً

والمن الدسم يكون على شكل كتل رخوة دبقة تعلق باليد لونها أسمر وطعمها اكثر كراهية تختلط بها أجزاء غريبة

يجنى المن باحاطة الشجر بطبقة من أوراقه وتعمل شقوق في القشرة فتسيل منها عصارة تتجمد بجزء عظيم منها يسيل من ساق الشجر والباقي من فروعه ويحصل هذا الجنى مرة في كل يومين من وسط يونيه الي آخر يوليه ويسيل من وسط النهار الي المساء وخصوصا اذا كان الجو صحوا على شكل سائل صافي يجمد شيئا فشيئا ولا يجمع الا في الصباح اذا تجمد من رطوبة الليل . فاذا كان الزمن غير صحو كضباب أو مطر فقد المن . والذى يبقى على الشجر يجنى مع الانتباه ويقوم منه ما يسمي بالمن الدمعي : والذى ينزل على الارض ينفصل الى جزئين

أنظفها هو المن العام والجزء الاكثر لينا واختلاطا بالاجسام الغريبة هو المن الدسم وذكروا ان المن الدمي يجنى في يوليه واغسطس والمن المشترك في سبتمبر واكتوبر والمن الدسم في الخريف . وقد يجنى المن العام من أسطحة الاوراق بذاته ويسمى بمن السوق وكل ما يسيل بواسطة الشق يسمى بالمن القهري . ويجمعون المن الدمي بعضه على بعض فيكون قطعا مستطيلة منشورية بيضاء خفيفة ويسمى حينئذ بمن أصابع . وكثيراً ما توجد في باطنها تجاويف يوجد فيها أحيانا نوع من الشراب وذلك يدل على ان المن جديد

واذا أريد أن يجنى نقيا وعلى هيئة قطع أجمل فيوضع انابيب من سوق القمح مثلا في الشقوق فيسيل في جوفها . وهذا النوع اكثر سكرية بل يؤكل كما تؤكل الحلوى وهو لنقائه تصنع منه المرقات والمربيات والمعجنيات والاقراص ويكون أقل اسهالا بل لا يسهل اصلا وانما يكون صدريا ملطفا مسهلا للنفث في النزلات والتهاب الطرق التنفسية وسدد الرئة

وانهم صناع ايطاليا بعمل المن بالصناعة وانهم الصيدلانيون بأنهم يضيفون اليه مساحيق مسهلة كمسحوق السنا المكي والجلابا والسقمونيا ليزيدوا في خواصه المسهلة مع ان ذلك خطر لانه يكون شديد الاسهال

(تركيبه الكيماوى) قال العالم تينار أنه مركب من قاعدة خاصة تسمى مانيت تختلف مقاديرها فيه باختلاف أنواعه ، ومن سكر قابل التبلور ومن مادة غير قابلة للتبلور منتنه الطعم يظهر أن فيها خاصة الاسهال

ووجد غيره أن فيه جسما سكريا قابلا للتبلور فاذا خرج من قنوات الشجر كان على هيئة عصارة سكرية يتكون منها المن بدخلها في التخمر الخلي

ووجد غيره في المن مادة خلاصية نسب اليها خاصة ارخائه وقال انها هي سبب خاصته الملينة وانكر أنه يحتوى على سكر حقيقي

وقد صنع العالم لوكنسويس جدولا أبان فيه المقادير الموجودة من المواد المختلفة في أنواع المن الثلاثة وهو:

	من دمي	من علم	من دسم
ماء	١١ر٦	١٣ر٠	١١ر١
مادة غير قابلة للذوبان	٠ر٤	٠ر٩	٣ر٢
سكر	٩ر١	١٠ر٣	١٥ر٠
مانيت	٤٢ر٦	٣٧ر٦	٣ر٠
جوهر لعابي وراتينج وحمض آلي ومادة أزوتية	٤٠ر٠	٤٠ر٨	٤٢ر١
رماد	١ر٣	١ر٩	١ر٩

هذا المن يذوب كله في الكحول الحار ولكنه يرسب منه بالتبريد كتلة متبلورة شديدة البياض خفيفة اسفنجية . و يتكون منه مع الحمض النترى الحوامض التى تتكون من الحمض والصمغ وذلك لا يحصل في العسل الذى ذكر بعضهم ان بينه و بين المن مشابهة عظيمة

(استعمال المن في الطب) كان المن معروفا في فن العلاج منذ عهد طويل ولكن يظهر ان جالينوس لم يكن يعرفه . ذكره ديسقوريدس باسم اليوميلي وقال انه مسهل يسهل الصفراء والاخلاط الفجة . وأول من استعمله الايطاليون كغذاء في أماكن كثيرة من ايطاليا ولا غرابة في ذلك فانه اذا كان جديدا لايكون مسهلا و يكون كالسكر ولكنه مع طول مكثه تحدث فيه تفاعلات كماوية يكتسب منها خاصة التليين وكلما كان أقدم كانت نتائجه أوضح و يسهل يقينا اذا صار زنخا وكانت رائحته منتنة

أقل أنواع المن اسهالا المن الدسمي بل ربما لايسهل أصلا وانما يستعمل صدريا ملطفا مسهلا للنفث في النزلات والتهاب الطرق التنفسية وتلبك الرئة ونحو ذلك

والمن العام ملين ملطف واذا دخل في الجرعات المسهلة كان تعديله للمسهلات أكثر من زيادته في فعلها والمن الدسم هو الاكثر تليينا ولا يدخل غالبا الا في المسهلات السود كالسنا وفي الحقن . والمن كثيراً ما ينهضم وان

أعطي باسم دواء فلا يسهل الا اذا زال منه وصف التغذية

ينقسم فعل المن على الجسم الحي الي قسمين . فعل موضعي وفعل عام ، فالاول يحصل في الطرق الهضمية بعد ازدراد الجواهر بيسير فكثيراً ما يشعر متناوله بثقل في الجسم المعدي وأحيانا بقولنجات خفيفة ورياح ثم تحصل بعد بضع ساعات استفراغات ثفلية تنشأ كثرتها من الحالة التى تكون عليها القناة الغذائية وقت استعمال الداء فيظهر انه مر من المعدة الي الامعاء بصفاته الطبيعية وبحاجته فلم يتغير الي كيموس في المعدة فيكون في الامعاء كجسم متعب لها فتشتد حركاتها الانقباضية وتندفع بذلك المواد الثفلية الموجودة في باطنها ومع ذلك فلا يحصل منه حرارة بعانية ولا عطاش ولا ثوران في الدم ولا في النبض ولا غير ذلك مما يسببه المسهل الحقيقي ولا ينتج ظاهرات تفيد تغير حالة المراكز العصبية كما تفعل ذلك المسهلات القوية

أما الفعل الثاني أى النتائج العامة فهو تأثير مرخ يمتد على المجموع كله فترتخى المنسوجات الحية وتضعف حركاتها ولذا كان مناسبا في الدور الاول من الحميات ليلطف العطاش والاحتراق الحي ويعين على سيلان البول ويسكن اضطراب الدم وغير ذلك ويناسب أيضاً في الآفات الالتهابية البطنية كالقولنجات الالتهابية والالتهابات المعوية والدوسنطاريات وجميع الاحوال التي يظن فيها وجود تهيج أو التهاب مبهم الصفات . وكثيراً ما يستعمل مع النجاح لتخليص القناة الهضمية من المواد المخاطية المتراكة فيها . وكذا للاستهواء والنزلات والسعال التشنجي وآفات القناة البولية المصاحبة لحرارة في المثانة والكليتين ويعطى كثيراً في الآفات الاندفاعية كالجدرى للتجمم حيث يلازمه التهيج المعوى غالبا اذ لا يسمح حينئذ باستعمال المسهلات القوية وكذا يعطي بكثرة في الآفات العصبية المصاحبة للتهيج في القنوات الغذائية . والغالب أن يكون هو المسهل للاطفال والارقاء المزاج . وينبغي الاحتراس من استعماله في التلبكات المعدية والآفات التي يحتاج فيها التقايء لانه قد ينقذف بالقيء فلا يؤثر الا اذا كانت المواد المراد

استفراغها خارجة عن المعدة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يستعمل هذا الجوهر ذائبا في الماء أو اللبن أو في مصله أو في مغلي مناسب من ٤٨ غراماً الي ٦٤ في ١٢٥ غراما من سائل من السوائل المذكورة اذا اريد منه الاسهال ويظهر أن الحرارة تظهر رائحته المقيئة فاذا حل على البارد في أى حامل كان قل الاحساس بتلك الرائحة ولا بأس باذابته على النار لكن بدون اغلاء لانهم قالوا انه يفقد خاصته المسهلة اذا أغلي . وهذا رأى مخالف لتجارب بعض العلماء اذ شاهدوا حفظه في الماء المغلي مدة ايام بدون ان تفقد منه تلك الخاصية مع أن المن ليس فيه شيء طيار واذا ترك محلوله المائي ونفسه في حرارة ١٥ درجة فانه يعطي مقداراً من الحمض الخلي فاذا زيد في السائل شيء من خميرة الفقاع وعرض الهواء الحارنيل من ذلك سائل كحولي

والماء الملين الوبائي يصنع بأخذ ٨ غرامات من المن و٦ من السنا المكي وجزء واحد من الطرطرات الحمضي البوتاسا و ١٨٠ من الماء ويستعمل من أوقيتين الي أربعة او في الجرعة المستحلبية للمن وتصنع بأخذ أوقيتين من المن الدمعي و ٤ من كل من اللوز الحلو وماء زهر البرتقال وأوقية من شراب زهر الخوخ و ٤ من منقوع عرق السوس ويستعمل ذلك في ثلاث مرات ومعجون المن يصنع بأخذ ١٦ غراما من كل من المن والسكر والماء المقطر الشمار وجزء من ايرسا فلورنس و ٨ من دهن اللوز الحلو ويستعمل ذلك بالملاعق الصغيرة كل يوم ٣ ملاعق أو ٤

وشراب المن يصنع بأخذ ٤٨ غراما من المن وجزء من كل من الشمار والزنجبيل و١٧٦ من السكر و ١٩٢ من الماء والمقدار لاجل الاستعمال من نصف أوقية الي أوقية

وأقراص المن تصنع بمزج ٢٠ غراما منه مع ١٤٠ غراما من مسحوق السكر وتعمل أقراصا بواسطة جسم لعابي من صمغ الكثيرا بماء زهر البرتقان وتنفع تلك الاقراص في الالتهابات الشعبية المصاحبة لصعوبة النفث (المادة الطبية)

➤ المانيت ➤ هو قاعدة خاصة توجد في المن الدمعي حيث يكون الجزء الاكبر المكون له ويكفي لاستخراجه

أن يسخن المن علي حمام مارية مع الكحول الذى في درجة ٣٣ من مقياس كرتيير ثم يرشح المحلول المغلي ويترك ونفسه فيتبلور المانيت بالتبريد ولكن يبقي في خلاله معظم مياه الام الكحولية فيسيل منها مقدار يسير اذا اميل الاناء الذى فعل فيه التبلور ثم تؤخذ الكتلة وتعصر لينفصل منها الكحول ثم تجفف في محل دفيء وتحول بعد جفافها الي مسحوق . فاذا أريد الحصول علي المانيت مبلورا وذلك غير نافع للاستعمال الطبي لزم أن يحل من جديد في الكحول ثم يبلور غير انه يمسك معه بذلك مقدارا من الكحول لانه كالاسفنج لايمكنه ازالته منه الا بالعصر . ويمكن أيضاً أن يتحصل من مياه الام علي مقدار من المانيت أقل جودة فلاجل تنقيته يعصر ثم يبلور من جديد . وكثيرا مايضطر لتبييض البلورات الاخيرة بالفحم . وهذا الجوهر أبيض خفيف مسامي قابل التبلور الي ابر نصف شفافة عادمة الرائحة وطعمه رطب سكرى ولا يتغير من الهواء ويعطي بالاحراق رائحة السكر المحرق ويذوب بسهولة في الماء بجميع درجات الحرارة . وتلك خاصة أسس عليها استخراجه وعدم تأثير العنصر المخمر عليه أى أنه لايكابد تخمرا كحوليا وبذلك يتميز عن أصناف السكر القريبة منه أما علي حسب تجريبات (بالاس) فهو كالسكر قابل لأن يتخمر تخمراً كحوليا وانما يكون هذا في درجة ٢٠ فوق الصفر وبذلك يقرب له . وهذا المانيت مركب من ٦ من الكربون و٤ من الاوكسيجين و٥ من الايدروجين . ووجد فيه (سوسور) قليلا من الازوت ومنه ماعد ذلك جزآن من الماء يفقدان منه اذا اتحد بأوكسيد الرصاص . وكما يوجد هذا الجوهر بمقادير مختلفة في أنواع مختلفة من المتجر يظهر أنه يتكون من ذاته في السوائل المعرضة التخمر الخلي وذلك يحمل علي ظن أن المن نفسه يمكن أن يكون نتيجة عصارة بعض أنواع الدردار ولذلك وجده (وكاين وفوركروا) في عصارات البصل والقاوون المتخمر . ووجده (براكونوت) في عصارة السلجم والوجيير) في عصارة الجزر التى حصلت فيها تلك الحالة . ووجده (جلبير) في العسل المتخمر وكذا في عصارة القصب المتخمر وعلي مقتضي

تحليل (مسكرليك) لا يوجد في زمن طورصيناء الذى هو كسكرلابي ينتج من نوع شجر نمركي جاليكا

ويوجد في القرفة البيضاء جوهر شبيه بالمانيت ولكنه أقل سكرية منه ويعطي بالحرق أبخرة بلسمية وذكروا أيضاً قواعد أخر من هذا النوع في أوراق الكرفس البستاني وجذره وأوراق وقشور شجر الزيتون وكذا في المادة البيضاء التي ترسب علي أوراق النبات الاوروبي المسمى بالافرنجية فوزين من نوع من الحشرات يسمي (افيس ايفونيمى) وذلك يؤدى الي ظن وجوده في أنواع من أخر من الحشرات المختلفة العسلية التى ترسب منها علي الاوراق

وقد ذكرنا أن هذا المانيت ليس الذى تنسب له خاصة الاسهال التى في المن ورائحته وطعمه الكريهان وخاصة جذبه الرطوبة وانما ذلك منسوب لجوهر مخاطي منث غير قابل التبلور ولما كان المن أقل قاطية وكراهية في الطعم كلما كان أنقي أعنى محتويا علي مقدار من المانيت اكثر ويفقد كثيراً من فعله اذا أغلي زمنا ما محلوله المائي . وأعطي الدكتور (رسال) هذا المانيت بمقدار ٦ دراهم لطفلين وبمقدار أوقية ونصف للبالغين فلم يحصل منه اسهال محسوس مع أن العالم (لجرنج) جعل هذا المانيت هو القاعدة الفعالة للمن ، ولكنه لم يذكر تجاربه في ذلك ، ولم يثبت ذلك بتجارب غيره

وقال العالم (سوبير) ان المانيت هو الجزء المسهل من المن ويستعمل بمقدار ١٦ الى ٣٢ غراما في مقدار من الماء من ٦٤ الي ١٢٥ غراما

ويوجد في قاموس المفردات البسيطة والمركبة انه يسهل بلطف

وقال (سوبير) أيضا أنه دواء مقبول مناسب للنساء والاطفال فيسقي محلوله الحار لانه يتبلور بالتبريد ويعمل منه مرهم مكون من ٤ دراهم منه وأوقية من القيروطي أى المرهم البسيط ويستعمل ذلك مروخا علي البطن فيحصل منه بدون قولنج اسهال خفيف ومهما كان فالاطباء متوافقون علي أن المن يقصد منه التأثير الصدرى وان هذا التأثير يكون أوضح كلما كان هذا الجوهر أنقي وان الظاهر ان هذا الفعل ينسب للمانيت

لاغير. فبالنظر لذلك اذا استعمل المانيت لزم تجزئته اما اقراصا مجوعا مع وزنه سكراً واما محلولا في الجرع الصدرية وأما قائما مقام المن فى مربي طرنشين اذا لم يرد من هذا الدواء الفعل المسهل الذى يطلب من المن ولاتوجد فيه الرائحة ولا الطعم الكريهان اللذان في المن. ويظهر أنه الي الآن قليل الاستعمال في الطب وانما يقال ان النشاشين يغشون به كبريتات الكنين لرخص ثمنه (المادة الطبية)

﴿المُنَّة﴾ القوة جمعها مُنَن. و (المَنُون) الدهر و(رَيب المنون) حوادث الدهر و(المنون) أيضا الموت. و(الممنون) المقطوع من مَنَّه أي قطعه

﴿المنوفية﴾ هي اقليم مصري واقعة بين فرعي النيل في جنوب اقليم الغربية الي القناطر الخيرية مساحة أراضيها الزراعية تبلغ (٣٦٧٨٠٣) فدانا ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة. قاعدتها شبين الكوم يزيد عدد أهلها عن ٣٠ الف نسمة وهي مدينة علي بحر شبين ومن الاسواق المهمة لتجارة القطن والحبوب. تبعد عن القاهرة ١١٤ كيلو متراً وتنقسم الى خمسة مراكز وهي :

(١) تلا ويتبعه ٦٦ ناحية و ١٠٨ عزب وغيرها وقاعدته تلا

(٢) شبين الكوم ويتبعه ٦٧ ناحية و ٥٠ عزبة ومقره شبين الكوم

(٣) منوف ويتبعه ٦٧ ناحية و ٥٧ عزبة وغيرها ومقره منوف

(٤) أشمون ويتبعه ٦٦ ناحية و ١١٧ عزبة وغيرها ومقره أشمون

(٥) قويسنا ويتبعه ٦٦ ناحية و ١١١ عزبة وغيرها ومقره قويسنا

﴿مَنَاه﴾ به يمنوه منواً وابتلاه وخبره فهو ممنو به أي مبلى به

و (مَناة) موضع بالحجاز وصنم لبني هزيل وخزاعة بين مكة والمدينة.

﴿المَني﴾ هو المادة التي تفرز من الخصيتين ويكون بها التلقيح والحمل. وهو نجس عند أبي حنيفة ومالك والاصح من مذهبي الشافعي واحمد أنه طاهر وسنتكلم عنه علميا فيما يلي

(أمنى الدماء) أراقها. و (تمنّى الرجل) أراد. و(تمنّى الكتاب) قرأه و(المَنَى) الموت وقضاء الله. و (المَنَى) القصد. و(مِنى) موضع

بمكة سيأتي بعد في هذه المادة. و(المُنْية) بضم الميم وكسرها البغية وما يتمنى جمعها مُنى. و (المَنِيَّة) الموت جمعها منايا. و (الأُمْنِيَّة) البغية وما يتمنى. والكذب. وما يقرأ

﴿المَني﴾ هو كما قدمنا المادة التي تفرز من الخصيتين ويكون بها التلقيح والحمل وقد كتب حضرة الدكتور الفضال حسين افندى الهراوى بحثا تحت هذا العنوان وأهداه لدائرة معارف القرن العشرين ننشره لحضرته شاكرين له خدمته أكثر الله من أمثاله المجتهدين

﴿مقدمة﴾

لم تتجه الانظار الى ان أسباب العقم قد يكون من الرجل الا في الازمان الاخيرة ولا يخفي نتيجة تأثير هذا على نمو عدد سكان البلدان. والاحصاءات القليلة التي عملت من هذا تدل على ان نسبة الزواج العقيم الذى منشأه من الرجل يقدر بنحو عشرة الي خمسة وعشرين في المئة وربما كانت النسبة الحقيقية أكبر من ذلك

وأول من استلفت الانظار الي أهمية هذه المسألة هو الدكتور (ماتيوس انكان) في محاضرته بجولستون سنة ١٨٨٣ ثم في سنة ١٨٨٦ كتب ما يأتي :

ان الخبرة والبحث تزيد الاعتقاد الراسخ في نفسي ان الرجل نصيبا عظيما وان الطريقة المثلي أن لا نطيل على المرأة علاجا مؤلما خطراً لمداواة العقم ما لم نتأكد من سلامة الرجل من وجود السائل المنوى والجماع ، ولكن الي الآن نرى ان البعض ينبذ هذه الطريقة المثلي وكثيراً ما يحدث ان الذنب ينسب الي المرأة فتعالج طويلا على غير جدوى فيضطر الطبيب الي الافتكار في الرجل مالم تكن حالة الرجل ظاهرة لاتحتمل الشك في مسئوليته

(السائل المنوى)

لأهمية السائل المنوى في مسألتي النسل والعقم نكتب عنه كلمة اجمالية :

المني الطبيعي السليم من الامراض اذا خرج من المجرى البولي كان سائلا مركبا من افراز الخصيتين والقناة الناقلة للمني والحويصلات المنوية والبروستاتة وغدد كوبر وافراز مخاطي من غشاء المجرى البولي وهو سائل لزج ويكون اما قلويا أو متعادلا لاقلوى ولا حامض. وشكله

كشكل مطبوخ النشا ورائحته خاصة به تغنى عن وصفها وعلي رأى (لاندو) ان المنى الطبيعي يحتوى علي ٧٢ في المئة من ماء وزلال المصل وزلالات قلوية ونيوكائين وليستين وكولسترين وشحم فسفورى وقلويات وسلفات وكربونات وكلور يدرات

واذا برد المنى بعد خروجه يتحول الى شكل هلامى. واذا لم يحرك في أنبوبة اختبار ينفصل الى طبقتين متساويتين فى المقدار ، السفلي منهما كثيفة سميكة وتحتوى علي خليات ، والمرتفعة رقيقة ليست بالكثيفة ولا الشفافة ومحتوياتها قليل من الخليات

ومن الصعب تقدير مقدار ما يخرجه الرجل في المرة الواحدة ويدلنا علي ذلك الاختلاف العظيم وهو اختلاف الحالات الفردية واختلاف المقادير المتفرزة باختلاف الاحوال وتعدد الوقاع والانهماك التناسلي والمدة بين الوقاعين وهلم جرا

وأقرب الآراء صحة ان المقدار يختلف ما بين درهم ودرهمين فاذا تعدد الوقاع وكثر الانهماك قلت هذه المقادير كثيرا الي نقط يسيرة أو انعدم الافراز مطلقا

وأهم عناصر المنى الحيوانات المنوية والواحد منها عبارة عن خلية صغيرة تتحرك بواسطة أهداب دقيقة وطول الواحد منها جزء من ٢٠ من المليمتر

والحيوان منها له رأس ورقبة وجسم وذنب ومؤخرة فالرأس ذو شكل بيضي وله غطاء ، وعلي رأسه جزء محدد يشبه الرمح أو السكين ويستعمله الحيوان في قطع جزء من البويضة في حالة التلقيح والرأس هي نواة الخلية وبقية الخلية نفسها

وكما يرى القارىء في شكله بالبحث الميكروسكوبي ان الحيوانات المنوية كثيرة جداً وكلها تجرى وتتحرك بواسطة ذيلها اذ تسير بسرعة نصف مليمتر في الثانية وهي أسرع ماتكون عند خروج المنى مباشرة فيموج الرأس مدفوعا بحركة الذيل الثعبانية ورأى الاستاذ (الترمان) ان المنى الصحيح اذا امتحن بعدسة العين الميكروسكوبية نمرة ٣ والنظارة نمرة ٧ يرى الناظر منه حيوان علي أقل تقدير ولكن في العادة أكثر من ذلك بكثير

وخلاف الحيوانات فان المنى يحتوى علي خليات منوية أخرى مختلفة الاشكال والانواع من مجرى البول ونوعين من البلورات الاول عديم اللون ذو أربعة جوانب ترى في أكثر الاحيان في المنى الطبيعي والحيوانات لاتزال حية ، والنوع الثاني متوازى الاضلاع يعرف ببلورات (بوتشر وشربنر) ويرى بعد مضي زمن كثير علي خروج المنى في مدة بين ثلاثة أيام أو أربعة الى يومين واذا كان المنى عديم الحيوانات المنوية أو قليلها تكونت هذه البلورات في مدة أقرب ومن رأى (شربنر) انها أجسام فسفاتية مع مركبات عضوية تعتبر كقاعدة والمعروف أن هذه الحيوانات لاتتكون قبل البلوغ ويستمر خروجها بعده بمدة كبيرة . وقد وجدها الدكتور (كرلنج) عدة مرات في خصيات رجال أربوا علي السبعين وفى رجل بعد السابعة والثمانين والاستاذ (كاسبر) والدكتور (ابل) وجداها بعد السادسة والتسعين والذى يغلب علي الظن أن هذه الحيوانات مع وجودها في منى هؤلاء الشيوخ فهي قليلة الجدوى غير قادرة علي التلقيح وهذا ماعارض به (باجوت ديوبلاى) وقال ان الاخير غلط في قوله أن الرجال قادرون علي التلقيح في أى سنة من سنى حياتهم ولو أنه يوافق علي وجود الحيوانات بكثرة ولكنها تختلف تماما عن الموجودة منها في الشبان اذ ان طول الواحد منها يوازى نصف طول السليم وهي أرفع وقليلة الحركة جداً اذ جل سيرها ان تهتز وهى مكانها ولا تسبح سبحا مستمراً مثل السليم منها في الشبان والذى يجعل (باجوت) يصمم علي رأيه انه وجد أمثال هذه الحيوانات الضعاف في صغار الشبان المتزوجين زوجات خاليات من الامراض ولم يعقبوا

ومن نتيجة الانهماك الكثير والتكرار قد ينقطع وقتا وجود الحيوانات وقد امتحن (لنجوا) مادة أحد الطلبة وكان جامع ثلاث أو أربع مرات يوميا مدة عشرة أيام متوالية فلم يجد أثراً للحيوانات المنوية ثم ظهرت ثانيه بعد ثلاثة أسابيع حيث انقطع الطالب عن كل عمل تناسلي

يوجد بعض التغير من الوجهة الفسيولوجية ومن وجهتى العدد والحجم في الحيوانات ومباحث الاستاذ كاسبر في كتابه

الطب الشرعي علي رجل قوى البنية في الستين من عمره تظهر ذلك بجلاء ووضوح

ففي أحدى المرات بعد ثلاثة أيام مضت علي جماعه وجد عدداً كبيراً من الحيوانات الصغيرة وفي اليوم الرابع وجدها قليلة جداً وبعد يومين لم يجد شيئاً وكان السائل المنوى أشبه بالماء وبعد فترة خمسة أيام وجدها ثانية بكمية كبيرة وبعد مضي ستة أيام وجدها بكمية أقل ولكنها اكبر من نظيراتها المتقدمة

يرى بعض العلماء الحيوانات المنوية لاتتحرك الا اذا وصلت الي الحويصلات المنوية . ويرى (فون برنجر) أن حركتها ناتجة عن الافراز البروستاتي . ويرى بعض الثقات خلاف ذلك

وتختلف المدة التى تعيشها الحيوانات خارج الجسم اختلافا عظيما باختلاف الاحوال

روى الاستاذ (الترمان) ان المنى المحفوظ من الضوء والبرد تعيش حيواناته مدة ٤٨ ساعة والدكتور (كوبر) وجدها بعد ٨٤ ساعة في منى حفظ في زجاجة عادية غير محكمة في برد شهر ابريل

ويستمر تحرك الحيوانات تحت نظارة الميكروسكوب عدة ساعات وتستمر حركة الاهتزاز مدة ٧٣ ساعة ويجب بحث السائل في اقرب فرصة بعد خروجه مع الاحتراس التام في تقدير الحيوانات فالبرد له تأثير شديد علي الحيوانات فانها تسكن اذا وصلت علي زجاجة ميكروسكوب باردة وتتحرك ثانية اذ سخنت تلك الزجاجة وفي بعض الاحيان يكون السائل لزجا غليظا فلا يمكن الحيوانات الحركة فيه بسرعة وتمنع حركة الحيوانات اذا أضفنا اليها حمضا او قلويا شديداً اوماء غزيراً . وبعض الاغشية التى يلبسها الرجال تحرزاً من الحمل يكون في مطاطها مواد مؤثرة علي حياة الحيوانات كما شاهدنا ذلك غير مرة ومن النادر ان نجد الحيوانات المنوية في البول . واني قد وجدتها مرة في بول شخص فيه قليل من المخاط وربما كان السبب في حمايتها او ربما كانت الكثافة النوعية لهذا البول موافقة لها وبالتأكيد لايمكن اكتشاف الحيوانات في البول بالعين المجردة ولكن اذا وجدت كمية من السائل المنوى فمن السهل أى ترى علي شكل هلامي يرسب

في الزجاج بعد زمن يسير

ومن المباحث الجميلة التى قررها الاستاذ (الترمان) ان الحيوانات المنوية التى تموت بعد خروجها من العضو التناسلي يرى انها منبسطة والتى تموت قبل خروجها تظهر ملتفة علي نفسها وهذه نقطة هامة يجب أن تذكرها عند اختبار كل سائل منوى فانها طريقة لايشك أحد في صدقها وصحتها

ويرى أيضاً الاستاذ ان هذا الالتواء يكون في الحيوانات التى تموت من تأثير شيء ضار لها كالبول الحمضي وافرازات المهبل وقد يتأتي من تأثير الماء الغزير

وكما هو قانون الطبيعة ان لكل شيء شواذ فكذلك في الحيوانات فمنها ذوات الرأسين وذوات الذيلين أو ضخام الرأس أو طوال الذنب أو قصارها

واذا جف المنى علي زجاجة ميكروسكوبية انضمت الحيوانات بعضها الى بعض علي شكل غير منتظم فيتعسر معرفتها بغير التدقيق التام

واذا ماتت الحيوانات علي مثل هذه الزجاجة حفظت شكلها بعد موتها عدة أعوام فلدى الدكتور كوبر زجاجة ميكروسكوبية محفوظة منذ سنة ١٨٩١ حافظة شكلها الي الآن ولم يضف اليها أى شيء كيماوى ومع ذلك فحيواناتها واضحة تمام الوضوح

والجزء الباقي من السائل المنوى مركب من افرازات مختلفة وهو قليل الاهمية وأشهرها المذى المعروف وهو افراز غدد كوبر

«الفصل الثاني»

التغيرات في الكمية والمحتويات

يطرأ علي السائل المنوى عدة تغيرات اما ناشئة عن وظائف الاعضاء أو تأثير منوى

كثرة الكمية — أسلفنا الكلام عليها وقال الاستاذ الترمان انه وجدها تربو علي ٣٥ غراما في أحد المرضى العصبي المزاج وليس في أعضائه التناسلية مرض مطلقا والمظنون ان أمثال هذا قليل ولكن الذى يستلفت الانظار ان الكمية الزائدة في الجزء السائل لا في الحيوانات المنوية ومنشأ ذلك الغدد التى أسلفنا الكلام عليها

قلة الكمية — وربما كانت الكمية

قليلة جداً وأسبابها يتعذر تحديدها تحديداً تاما . وقلة الكمية أمر طبيعي في سن الشيخوخة وفي أحوال الضعف العام ومن الجائز أن تكون القلة ناشئة عن عدم افراز احدى الغدد أو بعضها وعلي ذلك يجب بحث كل غدة علي حدة

(انعدام المني) هذا أهم تغيير يطرأ علي السائل المنوى وهو اما ناشيء من عدم الافراز مطلقا أو خروج الافراز علي غير الطريق الطبيعي. وانعدام المني اما ناشيء عن تكوين الشخص نفسه أو طارىء جديد حدث له بعد ولادته وهو أيضاً اما دائم أو مؤقت

فما كان منه ناشئا عن نقص في التكوين يكون منشأه زوغانا عن الحالة الطبيعية لاعضاء التناسل . وانعدام المني بدون وجود نقص طبيعي ضرب من النادر وقد وقعت حالتان تحت أنظار الاستاذ (الترمان) والحالة الآتية هي للدكتور كوبرڤال : استشارني شاب في العشرين من عمره لم يحدث له انزال مني مطلقا سواء في الحلم أو اليقظة ولم يأت امرأة قط ولكنه كان كثير الانهماك في جلد عميرة ولم يظفر مرة في حياته بالانزال وكان شديد الميل التناسلي وأحلامه في هذا القبيل كانت كثيرة مصحوبة بانتصاب شديد و كان يشعر في بعض الاحيان بحماسة الانزال ولكنه اذا استيقظ لايجد شيئاً ولم يصبه أى مرض ولا التهاب الغدة التكفية وبالفحص لم نجد فيه الا غاية الصحة وكل شيء علي غاية ما يرام وكان من السهل ادخال عدة قساطر الى مثانته و بوله طبيعي من كل الوجوه

أما انعدام المني النسبي فهو الناشيء أحياناً متفرقة فبعض الاوقات يحدث الانزال وأخرى لايكون . ولهذا النوع عدة أشكال فتارة يكون هذا الانعدام في حالة الجماع أو اليقظة ولا يوجد السائل علي أى شكل كان مع انه يكون في حالة النوم بغزارة تامة ومحتوياته تكون طبيعية وقال :

استشارني شاب في الثامنة والعشرين من عمره شديد الميل التناسلي وذو صحة تامة الا في تتميم وظيفة الجماع بالانزال مهما طال به الزمن ولم يفز بالانزال في حالة الصحو سواء بالاجتماع بالنساء أو بجلد عميرة مادام في حالة الصحو ولكنه

مع ذلك كثير الاحلام التناسلية المصحوبة بالانزال واذا استيقظ قبل تمام الانزال انقطع الباقي منه وليس لديه أى ضعف في الانتصاب واذا طال به الزمن في الجماع ضعف الانتشار وهبطت الحرارة الاولي وانكمش القضيب من غير انزال وأعطاني هذا الشاب نموذجا من السائل الذى ينزل منه في الاحتلام فوجدته طبيعياً من كل الوجوه. و بفحصه لم أجد في أعضائه التناسلية أقل تشويه غير قليل من الاتساع في مجرى البول الخلقي وهذا لايفسر بالطبع هذه الظواهر كلها وكان المريض عصبي المزاج أمه مصابة بالهستريا

وفي حالة أخرى لشاب له من العمر احدى وعشرين سنة كانت حالته أغرب لانه يحدث له الانزال في حالة جلد عميرة ولكنه يتعذر في حالة الجماع الطبيعي وتفسير هذا من الصعوبة بمكان

والانعدام الكسبي ليس من الانواع النادرة وهو اما دائم أو مؤقت وأسبابه اما ميكانيكية أو تابعة لتأثير في النفس

فالتهاب البروستاتة والتهاب القناة الناقلة السائل المنوى أو التحام يحدث بعد التهاب شديد فيسد قناة الحويصلات كل بسبب انعدام المني

وربما كان أكبر سبب لانعدام المني هو السيلان اذ هو المسبب لأكثر هذه الالتهابات . ومن نتيجة الالتهابات المتقدمة أن تنسد المسالك بالمرة فيجتمع مطلقا أو يحصل تضايق في مجرى البول فيتحول السائل الي المثانة . ودرن المثانة والقناة البولية وما يصيبها من الجروح والقطوع كل ذلك يؤثر علي مجرى المني

وعملية استخراج حصيات المثانة من العجان بين السبيلين كانت في الماضي مصدراً كبيراً العقم عند الرجال . أما الآن فقد استبدلت بما هو أصلح منها ، ولكن بعض الثقات يضاد هنا الرأى باحصاءات جمة كانت فيها الزوجة مصدر العقم

أما عملية استئصال البروستاتة فقد لاحظ (فنويك) ان تأثيرها علي وظيفة التناسل لايمكن للطبيب أن يؤكد بقاءه ولكن في العادة أن تكون هذه العملية في سن الشيخوخة حيث لا مطمع المريض ببقاء خصوبته ، والنتيجة تتعلق بما يطرأ علي قنوات الافراز من جراء ضخامة

البروستاتة ومقدار ما يتعرض به الجراح لها أثناء العملية

وهذا النوع من الانعدام دائم ولكن من الجائز أن يكون مؤقتاً بعد علاج . أما النوع المؤقت فناشيء من اضطراب في المجموع العصبي منشأه الخوف أو الهيبة أو التهيج الشديد وفي هذا النوع ربما يتأثر الانتصاب أيضا

وهنا نذكر سبباً هاماً وهو مايسمونه العزلة وهو عدم تتميم الجماع والاكتفاء بالانزال خارج المهبل تحرزاً من الحمل . ووقع تحت مشاهدتي عدة أفراد من هذا القبيل . وقد يذهب التطرف في بعض الرجال الي حد بعيد وهو أن يضع أحدهم خاتما من المطاط حول القضيب ومن تأثير الضغط الشديد يدخل المنى الي المثانة بدلا من خروجه المعتاد وقد أصبحت ذلك عادة فيهم حتى بعد نزع هذا الخاتم المطاطي كما روى ذلك الدكتور (همند) في ثلاث حالات . والتقرح العميق الموضعي في رأس القضيب من أسباب الانعدام كما هو حال القرحة الزهرية وقد يكون هذا أيضاً في بعض الامراض العصبية وحصيات البروستاتة أيضاً من أسباب الانعدام المشهورة

(الانعدام الكاذب)

يكون هذا اذا جرى المنى في القناة البولية وامتنع عن الخروج منها من تأثير عدة مؤثرات منها تضيق القناة من أثر التحام السيلان أو فتحة غير طبيعية في القناة اما علي ظهر القضيب أو تحته أو ناسور بولي في العجان أو المستقيم . وهذه الاسباب تغير مجرى المنى عند سيره الطبيعي فلا يدخل الرحم ولا يحصل اللقاح من جراء ذلك

وعلي ذكر تضيق القناة البولية نقول : انه ليس من الضروري أن تكون هذه الاماكن ضيقة جداً لانه في حالة ارتخاء القضيب تكون المضايق أكثر اتساعا عن حالة الانتصاب وفضلا عن ذلك فالتضايق الناتج عن أثر التحام جرح تمنع نزول المنى علي الحالة الطبيعية . وانا انذكر علي سبيل المثال ان أحد مرضانا شاب في الثالثة والعشرين من عمره أصيب بعدوى السيلان وتركه مأزمن معه ذلك ونتج عدة خراريج في العجان وقد شاهد ان المنى يقل نزوله بالتدريج واستشارني عند انقطاع الانزال عند الجماع

منذ شهرين وفي بعض الاحيان كان ينساب منه الافراز علي غير الحالة الطبيعية وكان مجرى البول ضيقا وملتهبا وبه عدة مضايق وكل هذا شفي بالعلاج . وعدم الختان من دواعي الانعدام اذا كانت القلفة ضيقة

وأخيراً نقول ان الانتصاب الشديد من دواعي الانعدام وعلاج ذلك قليل من البروميور

الفصل الثالث

« التغيرات الداخلية في »
(السائل المنوى)

قلنا ان شكل السائل المنوى يشبه مطبوخ النشا ويترك أثراً علي الملابس ذا لون سنجابي فيتصلب بعد جفافه ويطرأ بعض الاعراض علي هذا السائل فيتغير كالآتي

أما أن يكون ذا لزوجة اكثر من المعتاد وذلك بافراز سوائل اكثر غلظا من العادة تفرزها الحويصلات المنوية أو قلة افراز البروستاتة وقد يكون ذلك في الاصحاء عند الامتناع التناسلي عدة أيام وقد يكون السائل كالماء سيولة واكثر ما يكون ذلك في حالة انعدام الحيوانات المنوية

ومن التغيرات أيضا وجود دم أو صديد في السائل فاذا اختلط السائل بالدم تغير لونه تغيراً مناسباً لكمية الدم أو التأثيرات الكيماوية المؤثرة فيه والمنبع الذي خرج منه . واكثر الاسباب احداثا لنزول الدم هو التهاب مجرى البول الخلفي خصوصاً في الحالات التي تصيب الحويصلات المنوية واذا افرط الانسان في الاعمال التناسلية حدث احتقان في البروستاتة ومجرى البول الخلفي وتسبب من ذلك نزول الدم وعليه فكثيراً ما يكون هذا النوع شكوى المتزوجين حديثاً أو أصحاب جلد عميرة ومن الاسباب الاخرى التهاب البروستاتة الناشيء عن ضخامتها عند الشيوخ وسل البروستاتة والحويصلات المنوية

و يتغير لون السائل ولون البقع التي يتلون بها السائل علي حسب مصدره وقد أرى الاستاذ (الترمان) أن الدم الناتج من التهاب خلفي في القناة البولية يكون غير مستوى الاختلاط بالسائل المنوى ويرى علي شكل عدة نقط متفرقة بعضها عن بعض ولون السائل نفسه يكون كلون صدأ

الحديد أما الناتج من الحويصلات فانه يكون مختلطا بالسائل وممتزجا به امتزاجا متساويا واذا كان في السائل صديد فان لونه يتحول الى أصفر علي حسب كية الصديد الموجودة به واذا لطخت به ثياب وجدت البقع صفراء فاقمة وتضرب الي الخضرة

واكثر الاسباب شيوعا في وجود صديد بالمنى هو السيلان واذا وجد مع ذلك دم فان بقع المنى علي القماش تكون غير مستوية الوضع بمعنى أنه يكون هناك كثير من البقع الممنوية في بقعة واحدة من المنى وان كان من الحويصلات فشأنه تقدم . واذا اختلط الصديد بالدم في المنى تغير لونه باختلاف الكية والمحتويات ولا يجوز الخطأ في هذا اللون وفي المنى المصبوغ بالصفراء من تأثير مرض اليرقان والميكروسكوب خير حكم في هذا الدليل فاذا احتوى السائل المنوى علي صديد اودم وكان البول خاليا منهما حكمنا ان منشأ الصديد هي اعضاء التناسل لا الجهاز البولي

ومما التفت الاستاذ (الترمان) الانظار اليه هو صبغة المنى بلون نيلي بعد الاكثار من الاعمال التناسلية خصوصا في أصحاب المزاج العصبى واللون الاحمر فيه لا يفرق عن لون الدم الا بالميكروسكوب وغير اللون الاحمر فقد صادف اللون الاخضر أما الازرق فلم يصادفه

قال الدكتور (كوبر) ونحن لم يقع تحت مشاهداتنا شيء من ذلك

﴿ الفصل الرابع ﴾

« التغيرات الميكروسكوبية »

ناشئة عن الامراض الطارئة علي الحيوانات من موت أو قلة او انعدام كلي

ومما لا شك فيه ان لكل غدة من الغدد التناسلية افرازاً ولكل افراز تأثيراً علي حياة الحيوانات وعليه فاذا فقد أو مرض أحد هذه الافرازات ماتت الحيوانات

فاذا وجدنا ان الحيوانات خرجت ميتة من الجسم كان ذلك ولا شك ناتجا عن مرض في البروستاتة أو الحويصلات المنوية أو القناة بينها و بين الخصية نفسها أو مجرى البول

وانعدام الحيوانات بالمرة ناشيء عن

انسداد القناة المنوية نفسها ويرى (مرتلون) أن هذا الانسداد قد لا يكون كلياً بل أن أى التهاب يصيب القنوات يورث الانعدام وقد أجرى عدة تجارب علي كلاب وحقن فيها مواد محدثة للالتهاب فنشأ عنها انعدام الحيوانات أما (نيسر) فيرى أن السيلان هو الطامة الكبرى التي تولد ذلك

والحيوانات قد تكون قليلة أو ضعيفة أو منعدمة في حالات التهاب القناة البولية الخلفية اذا وجدت مع البروستاتة أو الحويصلات المنوية أيضاً

واذا حدث التهاب في القناة من جهة الخصية فليس من الواجب أن يكون هناك أى تناسب بين شدة الالتهاب وانعدام الحيوانات وليس من الضرورى أيضاً أن يحدث العقم اذا لم تلتهب القناتان

وعلي ذلك قد يحدث انسداد في مجرى المنى بدون أعراض اكلينيكية ثم اننا نشك اذا كان الرجل حقيقا أن يكون السبب في ذلك التهاب سيلاني في مؤخرة المجرى البولي مالم يظهر ما يخالف ذلك وفي بعض الاحيان قد ينحبس انزال المنى ويكون هناك أول عهد المريض باستشارة الاطباء ولكن في حالة انعدام الحيوانات فقط فان المريض يقذف النقطة ولا يعرف أى تغير فيها وقوته الحيوية في نضرتها لم تتأثر ولا يشك في نفسه انها هي سبب العقم ولا ذنب المرأة فيه ومن الظلم أن نتهمها في كل الحالات دون بحث الزوج أيضا ولا يجوز أن نقول ان بعض الزواج العاقر منشأة عدم اتفاق الزوجين حيويا

واذا كان هناك ورم في أى جزء من أجزاء الجهاز التناسلي وجب فحص المنى ميكروسكوبيا ولكن بالنظر المجرد نجد له هناك فرقا عظيما فان السائل يكون كالماء والراسب الذى يحدث بعد عدة ساعات هو قليل جداً وربما لا يمكن رؤيته بخلاف الطبيعي فان الراسب يكون نصف السائل وفي بعض الاحيان يحتوى المنى علي كرات صغيرة من المخاط وفي بعض الاحيان يكون المنى العقيم له تفاعل مع حمض الازوتيك يضرب لونه الي الصفرة بخلاف الاصفر الفاقع مع الطبيعي

وتحت الميكروسكوب نجد ان هذا الراسب عبارة عن بعض خلايا تحولت

الي التحول الشحمي و بعض كرات دم بيضاء و بلورات بونشر

وتوجد هناك أسباب أخرى غير السيلان داعية لانحباس الحيوانات وهذه هي أى حاجز يمنع نزولها فالزهرى مثلا لا يؤثر في الخصيتين والقناة فينشأ منه ذلك

وفي بعض الاحيان لا يمكن ايجاد أى عرض مرضي في الخصيتين ومن المعلوم أيضا أنه ليس من الضرورى حدوث ذلك ولكن هذا المرض لا يمنع العلوق ولكنه يقتل الجنين

وأما الامراض الاخرى التى ينشأ عنها ذلك فهي التهاب الغدد النكفية وحمي الملاريا والنزلة الوافدة (الانفلوينزا) والجدرى والتيفويد وطرق تأثيرها هو حدوث التهاب في الخصيتين يحدث بعده ضمورها والكيسة في هذه الحالات اصابة خصية واحدة

والاصابات التى تحدث فى الخصية مثل الضرب أو العمليات الجراحية أو غيرها ربما مست الخصية أو القناة بسوء كقطعها أو قطع الاوعية الموصلة اليها وضغط القيلة المائية المزمنة والقيلة

الدموية والاورام التى في الكيس تحدث ضمورا في الخصيتين واندماما في الحيوانات

وامراض أوردة الخصيتين (قاريكوسيل) قد تؤثر في الخصيتين ولكن من المشاهد ان واحدة منهما فقط تكون مريضة بهذا الداء والاخرى سليمة ولذلك يجب البحث في هذه المسألة قبل الشروع في العمليات الجراحية اللازمة لهذا المرض

واذا نظرنا نظرة عامة لجميع الاسباب التى أوضحناها نجد ان حوادث الالتهاب السيلاني وأمثاله هي أكثر شيوعاً واكثر عرضة في التأثير علي القناتين المنويتين ولو أن كثيراً من الحالات تؤثر علي واحدة فقط كان فوهتى القناتين قريبتين احداهما من الاخرى حتى أن الكثير من الاحيان لا يمكن الحكم علي سلامة واحدة في حالة مرض الاخرى ومن الغرائب ان تكون العدوى الواصلة الي الخصيتين بواسطة الدم كحالات التهاب الغدد النكفية مثلا كثيراً ما تصيب واحدة فقط وفي مثل ذلك لا يحدث عقم

وعلي كل ما تقدم ففحص السائل المنوى هو خير واسطة لمعرفة الحقيقية واليك البيان :

استشارني رجل عمره ٣٥ سنة وليس به ما يشكو منه من الوظيفة التناسلية ولكنه لم يعقب بعد مضي ١٤ سنة علي زواجه وليس لديه ما يستحق الذكر غير أنه حدث له جرح في الصفن من الجهة اليمنى فأطلت منه الخصية اما الجهة اليسرى فما زالت في أحسن حالات الصحة ومنذ أحدى عشرة سنة أصيب بالتهاب الغدة النكفية وحلل منيه هذه الاونة فوجد طبيعياً وبه حيوانات وبعد مضي هذه المدة وقعت الشبهة علي الزوجة واني هو لمرض حالته علي فوجدت به فتقا في الجهة الشمالية وخصية هذه الجهة صغيرة جداً أما الجهة الاخرى فكانت الخصية اكبر من أختها ولكنها أقل من الطبيعي وما عدا ذلك فقد كان طبيعياً و بعد مضي أسبوع مضى عليه بغير جماع امتحنت منيه فوجدته خالياً من الحيوانات وليس به غير كرات دم بيضاء ومن هذه الحالة نجد أنه قد تكون الخصية السليمة صغيرة قليلا

لكنها عقيمة وقد قرر هذا الجراح (شرشبان) في التقرير الثالث عشر من كتاب مستشفي جون هوبكن قد أصيبت خصية بضربة ضمرت بعدها الى حجم نواة البلح ولكنها مع ذلك كانت طبيعية في محتوياتها

والتعرض لاشعة رنتجن صيت عقيما في بعض المرضي والاطباء المتوطين بالعمل

ومن الاشياء المنكرة الحدوث أن السمن وضخامة البدن تحدث ضعفاً في القوى التناسلية في كلاء النوعين وقد تتحول الخصية استحالة شحمية ومن احصائيات كيس أن الزواج العقيم يكون بنسبة واحدة في العشرة اذا كانت الزوجة سمينة جداً وبنسبة واحد الي خمسة اذا كان الزوجان سمينين

أما الادمان علي الخمر فهو من مسببات العقم ومن المعلوم أن السكيرين اكثر ما يكونون سمانا

وقد كتب مايلوس دنكان عن عقم المرأة في محاضراته قصة فتاة مدمنة ظلت عدة أعوام بلا حمل ولم يكن في جسمها ما يدعو الي هذه العاهة وعولجت

بالامتناع عن الخمر مدة علم الحملت ومن المشاهد ان الادمان من مسببات التهاب المبيضين في الانثى

نقول اننا نشرنا هذا الرأى عن النساء برغم ان بحثنا في الرجل لاحتمال علاقة بين الاثنين وهذا مايعززه رأى فوريل من تقليل الخمر النسل وضرب الامثال بعدة مناطق من الروسيا أكثرها ادمانا اهلي الخمر أقلها سكانا

أما العقاقير الداعية للعقم فهي: الافيون والزرنيخ والرصاص واليودور والبرومور اذا أخذت بمقادير كبيرة

(الفصل الخامس)

(العلاج)

تعالج الاسباب باختلاف أنواعها اما كثرة المني وقلته فلا أهمية له مادامت الحيوانات حية فاذا ماتت يبحث عن كل الاعضاء التناسلية ومعرفة انها أصل الداء

انحباس الحيوانات يكون:

(١) اما أن تكون موجودة في الجسم ولكنها لا تخرج ويعالج أى سبب داع الي الفعل الانعكاسي . وكثيراً ما رأينا ان مجرى البول الخلفي يكون أكثر حساسية فتنكمش جميع العضلات عند ادخال المجس وشفيت بالكهرباء (التيار المتقطع) وادخال المجسات واستعمال المهبطات

الانعدام العكسي:

مثل التحام جروح داخل المجرى البولي فتسد مدخل المني فيكون الامل ضعيفا في الشفاء وتتغير النتيجة بتغير العلاج وسير المرض في مثل أحوال السل الموضعي أو ضخامة البروستاتة

أما الاحوال النفسية من خوف أوجزع أو رهبة فيزول بزوال السبب ما دام المجرى خالياً من أمراض أخرى كالسيلان الآخر

أما الانعدام الكاذب فيعالج بتوسيع الضيق العارض ومداواة الالتهابات وحالات انفتاح مجرى البول في غير الوضع الطبيعي تزال بالعملية الجراحية واذا وجدت الحيوانات ميتة فتعالج الامراض المسببة وهذه تكون في الخصية والبروستاتة والحويصلات ولا ننسي كثرة لزوجة افراز الذين مضى عليهم زمن كبير بدون جماع وتكون الحيوانات أقل قوة

ووجود دم أو صديد شرحنا علاجه

وحالات الافراط تعالج بالاقلال

موت الحيوانات وضعفها وقلة الحيوانات وانعدامها

دائما تكون موجودة في المني الدموى والصديدى وكذلك أسبابها وعلاجها واذا لم يكتشف لها سبب يلتفت الى الصحة العامة

وفي حالة قلتها وضعفها يجب البحث اذا كان السبب فسيولوجي أو مرضي مؤقت أو دائم

نعم انه يختلف عدد الحيوانات باختلاف الاشخاص ولذلك يجب ملاحظة تاريخ المريض اذ ربما كان سبب الانعدام ناشىء عن الافراط فقط كالشبان المتزوجين حديثا أو جماعة المفرطين الذين لا ينفكون ليلة عن هذا العمل

ويرى بعض الباحثين ان أطفال شهر العسل أقل قوة من الاطفال الذين بعده لان الرجل في هذا الشهر يكون منهوك القوى وحيواناته أقل قوة من غيرها

أما التشويهات الخلقية فلا يكون من ورائها العقم

أما السيلان فيعالج بالعلاج الخاص به لئلا يسد فوهات الحويصلات المنوية

ومرهم الزئبق نافع في التهاب البربخ أما في التهابات البربخ والخصية المزمن فاستعمال الاربطة المطاطية علي طريقة (بير) مفيد جدا بوضع المطاط علي عنق الكيس ١٢ ساعة ولا يجوز اليأس في حالات التهاب البربخ السيلاني فان العلامة (جوادرد) عالج عقما منشأه التهاب سيلاني بعد مضي سنتين ولا يعزب علي الاذهان ان ازالة الاورام شيء ووجود الحيوانات المنوية شيء آخر فهبوط الاورام ليس معناه وجود الحيوانات

وأما الضغط الناشيء عن قيلة مائية أو دموية أو فتق فيستدعي عمل عملية والاحتفاظ واجب من أشعة رونتجن ولكن الآلات الحديثة والحواجز قد تمنع حدوث ذلك ومع ذلك فالانعدام وقتي وقد تعود وحدها بعد ثلاثة شهور

والسمن وضخامة الجسم تعالج بعلاجها الخاص بها وكذلك ادمان الخمر تعالج بالامتناع

(الدكتور حسين المراوى)

﴿ مِنَى ﴾ هو موضع بقرب مكة يقصده الحجاج للنحر ورمي الجمار . فان المؤدين لفريضة الحج بعد أن يقفوا بعرفات يقصدون منى ويكون مع كل منهم تسعة وأربعون حصاة من الوديان القريبة من عرفة فاذا نزلوا منى باتوا ليلتهم فيها حتى اذا أصبحوا كان يوم العيد الاكبر ويكون المحمل المصري نازلا شمال المصطبة التي فيها مخيم الشريف الي جوار مسجد الخيف وهو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع محيط به سور متسع والى حائطه الغربي رواق على طوله ، قام سقفه على أعمدة من البناء ، وباب هذا المسجد الي الشمال وفي وسط صحنه تجاه الباب قبة كبيرة أقيمت على مكان يصلي الناس فيه وهو المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجوار هذه القبة مأذنة صغيرة بناها السلطان قايتباى سنة (٨٨٤) وفي منى بجانب هذا المسجد داراً كان ينزل اليها أمير الحج المصري فاندثرت ولكن المسجد باق على حاله

عند وصول الحجاج الي منى يقصدون من فورهم جمرة العقبة فيرمونها ويتحرون ويحلقون أو يقصرون ثم يلبسون ملابسهم وعندها يحل لهم كل شيء ماعدا النساء والطيب

وتذبح القرابين شرقي منى وتلقى في حفر هناك لهذا الغرض وكلما امتلأت حفرة بتلك الجثث ردمت وحفر غيرها وهكذا ويكون لها بعد الحج رائحة كريهة جداً

تقيم الحجاج بمنى الى عصر اليوم الثالث عشر من ذى الحجة ثم ينزلون الى مكة لاداء الركن الباقي من أركان الحج وهو طواف الافاضة والسعي لمن لم يكونوا سعوا بعد طواف القدوم . ومن الناس من ينزل الي مكة أول يوم بعد رمي جمرة العقبة لاستكماله جميع مناسك الحج ثم يرجعون من يومهم الي منى فيقيمون فيها مع اخوانهم ثاني وثالث أيام التشريق ويرجمون في كل يوم منها الجمرات الثلاث وفي عصر اليوم الثالث ينزلون الي مكة

يوجد في منى غير مسجد الخيف غار قريب في الجبل الجنوبي يسمى بغار المراسلات كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت عليه فيه سورة

المراسلات ويقصده الناس للزيارة والتبرك به . وفي الجبل الشمالي منها منارة يقولون ان ابراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر ويبلغ طولها أربعة أمتار وعرضها مترين ونصف متر وعلي يمين الداخل فيها كهف نقر في جوف الجبل وفي خارجها مصلي يقولون عنه انه مذبح اسماعيل ويجوارها صخرة كبيرة في جوف الجبل فيها شق كبير يزعمون ان تلك السكين التى اراد ان يذبح بها ابراهيم ولده افلتت من يده مرحمة بالذبيح فناصت في هذا الصخر فشقته . وبقرب هذه المنارة يقيم حجاج الهنود ولهم فيها اعتقاد عظيم . قال محمد بك لبيب البتانوني الذى ننقل عنه هذه التفصيلات : «نترى الهنود هناك وقد فرشوا علي الحصباء وخارج خيامهم وداخلها شطرات نيئة من لحم الاضحية وبعد جفافها في الشمس يحتفظون عليها ويأخذونها معهم الي بلادهم هدية مباركة مقدمة لمن كان عزيزاً عليهم . وأظن ان هذه عادة قديمة للعرب كانوا يقومون بها في أيام منى ومنها سميت بأيام التشريق اى التقديد وهى الثلاثة الايام التي تعقب يوم النحر . وقد ربك في باب القربان مثل ذلك في عوائد الرومان ولعلهم أخذوها من اليونان وهؤلاء أخذوها ضمن العوائد الكثيرة التي أخذوها من الهنود أنفسهم فيكون اصلها منهم ومرجعها اليهم »

وبمناسبة ذكر الرجم في منى ننقل هنا عن الفاضل محمد بك لبيب البتانوني ما ذكره في رحلته الحجازية عن اصل الرجم عند الامم قال حضرته :

﴿ الرجم ﴾

« الرجم في اصطلاح الحجيج رمي غرض مخصوص في منى بسبع حصيات في حجم الفولة ، وهذا الغرض يسمى جمرة والجمرات ثلاث : جمرة العقبة ، والجمرة الوسطي ، والجمرة الصغرى (ويسميها العامة ابليس الكبير والوسطاني والصغير) ولكل جمرة مكان مخصوص (موصوف في وسط الطريق الي عرفة) ، ورميها واجب باتفاق المذاهب : فيرى الحجاج في أول أيامه بمنى (يوم الاضحية جمرة العقبة وحدها ، ثم يرمى ثلاثتها في كل يوم من اليومين التاليين ، فيكون جملة مايرميه سبع حصيات في سبع (٤٩ حصاة) ومكان الجمرات تراه على الدوام غاصا

بالرامين فلا تصل اليه الا بمشقة عظيمة وكثيراً ماتشاهد بين هؤلاء الرماة أناساً يَجْمُرون بتَشَنّف شديد، ومنهم من يغلو في ذلك فيرمي هذا الغرض برصاصة طبنجته كأنما يرمي عدواً ألد، والكل يتخيل أنه يرمي ذلك الشيطان الرجيم الذى لاتخفي عداوته لبنى الانسان، فكأنماهم بهذا الرمي يشهرون عليه حربا عواناً لما سبق من اغوائه لهم، ويقطعون كل صلة بينهم وبينه

والعرب كانوا يرجمون هذه الجمرات الثلاث في حجهم قبل الاسلام، لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالي أوحى الى ابراهيم وهو في تلك الجهة بذبح ولده اسماعيل، فأخذه وسار ليصدع بأمر ربه فوسوس له الشيطان بأن لا يفعل، فأخذ حصيات ورماه بها، وكان ذلك في المكان الذى به الجمرة الاولي، فتركه وصار الى هاجر وأخذ يقبح لها عمل ابراهيم، فأخذت حجارة ورمته بها، وكان ذلك في مكان الجمرة الثانية، فذهب الي اسماعيل يشنع له عمل أبيه، فأخذ قبضة من الحصي ورماه بها، وكان ذلك في مكان الجمرة الثالثة. لذلك كانت ترجم العرب هذه الامكنة مشخصين ذلك الشيطان، وتابعهم عليه الاسلام ولا غرابة في ذلك لان الناموس الطبيعى يقضي بأن يكون كل معنى من المعاني مصدره المادة، وعليه فهذا الرمي المادى يوصل بلا شك لمعنى دقيق جليل في ذاته: هو تربية ملكة جديدة في شخص الرامى وهي مخالفة شيطان النفس والابتعاد عن مسالك الشرور

والرجم أمر قديم في الامم: قال الله تعالى في سورة الشعراء في اجابة قوم نوح علي نصائحه لهم «لئن لم تنته يانوح لتكونَنّ من المرجومين» وقال تعالي في سورة هود في جواب أهل مدين علي نصيحة نبيهم شعيب لهم «قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز»

وكان الرجم في بنى اسرائيل، وقد ورد في الآية ٢٤ و ٢٥ من الاصحاح السابع اسفر يشوع ما نصه: «وأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع اسرائيل معه، وصعدوا بهم الى وادى عخور، فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم، فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة»

والنصارى يرجمون مكان شجرة التين التى لعنها المسيح حينما اراد أن يأكل منها ولم يجد فيها ثمراً، أنظر آية ١٩ من الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى، وكان هذه الشجرة علي طريق الذاهب من بيت المقدس الي نهر الاردن في الوادى الذى ينزل علي يسار جبل الزيتون

والعرب كانوا يرجمون في الجاهلية من سخطوا عليه حيا وميتا، فكانوا يرجمون الزانى المحصن حيا لشناعة عمله، تابعتهم عليه الشريعة الغراء، كما كانوا يرجمون قبور من ينقمون عليهم وهم يرجمون من القرن الاول قبل الهجرة الى الآن قبر أبي رغال في المغمس بين مكة والطائف لانه كان يقود جيش أبرهة الي مكة، فمات في هذا المكان قبل وصوله اليها، قال جرير يهجو الفرزدق:

اذا مات الفرزدق فارجموه
كما ترمون قبر أبي رغال

والمسلمون يرمون قبر ابي لهب خارج مكة لانه عدو نبيهم صلي الله عليه وسلم ويرمون قبر ابي جهينة في طريق العمرة لانه كان من حكام مكة الظالمين ويرمون قبر يزيد بن معاوية لسوء سيرته وشناعة فعلته مع آل البيت رضوان الله عليهم، ويرجمون قبر مسلم بن عقبة في ثنية المشلل بين مكة والمدينة، لانه فتك باهل المدينة ولم يراع حرمة رسول الله في صحابته وجيرته. وقد ذكر المسعودى في مروج الذهب عند ذكر اليمن وملوكها انه يوجد في طريق العراق الي مكة نحو النظامية وموضع يعرف بقبر العبادى ترجمه المارة»

﴿منبوق﴾ هو شجيرة متسلقة غليظة الجذر اصلها من افريقا وكانت تستعمل غذاء لدى الزنوج. فان جذرها لحى درني لونه سنجابي او احمر او اخضر من الظاهر وباطنه ابيض يمكن ان يبلغ وزنه ٣٠ رطلا وهو مملوء بعصارة بيضاء لبنية شديدة الحرافة. اما ساقها فقائمة تعلو من ٦ الي ٨ اقدام اسطوانية عقدية

جزؤها العلوى مزين باوراق متعاقبة طويلة الذنيب مشققة تشققا عميقا الى ٣ فصوص او ٥ او ٧ بيضية سهمية متموجة الحافات لونها أخضر قاتم في وجهها العلوى ومبيضة مغبرة في الوجه السفلي وأزهارها عنقودية في آباط الاوراق العليا ويتركب العنقود من أزهار مذكرة وأزهار مؤنثة

هذه الاشجار تنبت بالاقاليم الحارة من امريكا واستنبتت هناك في أقاليم أخرى

أما جذرها فتتركب مادته من النشاء مع عصارة بيضاء حريفة تشبه العصارة الموجودة في أغلب النباتات الفربيونية ومع ذلك فيسهل أخلاؤه من قاعدته الحريفة السامة اما بفعل الحرارة واما بالفعل المتكرر فيصير ذلك الجذر غذاء سليما كثير الاستعمال. فلاجل ذلك يكفي أن يبشر وهو رطب ويحول الي عجينة غليظة تغسل بالماء جملة مرارات مع الانتباه لتجديد الماء في كل مرة فاذا غسلت جيداً تجفف على هيئة أقراص غير منتظمة تسمي حينئذ خبز كساف

فاذا أريد اكلها عمل منها فطائر مفرطحة تخبز في النار وتلك الفطائر جيدة التغذية مقبولة الطعم وهي الغذاء الرئيسي لقسم كبير من القبائل الساكنة بأمريكا الجنوبية ،وماء غسل عجينة المنيوق برسب في قعر اوانيها مسحوق ابيض وهو دقيق غذائي نقي جداً وهو الذى يجفف ويباع باسم تبيوكا وبالحقيقة خبز كساف مصنوع من هذا الدقيق بل يمكن تحويله قبل خبزه الي دقيق بأن يجفف في تنور مع التحريك فيحصل ذلك الدقيق المسمى ايضا عندهم كوك بضم الكاف الاولى. ودقيق المنيوق هذب لزج أى لعابي تفه محبب مغذ أبيض مصفر وأوقيتان منه تكفي لاكلة كاملة لانه ينتفخ كثيراً اذا طبخ ورطل واحد منه يغذى رجلا مدة ٢٤ ساعة مهما كانت شهيته وقد يسمي ذلك الدقيق موساش وهي لفظة من اللغة الاندلسية معناها طفل كأنه يقال عنه طفل المنيوق ويسمي في كيان سيبيا بكسر السين والباء الاولي ويستعمل لتنشية الخرق ونحوها ويصنع منه باورو باشوربات المرضي

وقد يشتبه بدقيق ارفروت ولكن هذا أخف منه فان العلبة التى تسع ١٦ اوقية من الاروفروت لاتسع من الموساش الا

١٤ ولكن المخصوص باسم تابيوكا دقيق المنيوق يجفف على صفائح حارة وذلك يعطيه منظراً متحبباً

وأما عصارة الجذر فهي حريفة قوية السمية تقتل الطيور وذوات الأربع بل والانسان بمقدار يسير وذلك بأن تسبب قيأ وتشنجات وعرقا بارداً ثم ينتفخ الجلد ثم يحصل الموت والحيوانات التى تموت بذلك لا يوجد في امعائها ولا في معدتها أثر التهاب وانما تأثيرها كتأثير الحمض ادروسيانيك مع أنه لا يوجد في تركيبها أثر منه على حسب ماذكر موبيران الذى شبه رائحتها برائحة اللوز المر والقاعدة القتالة لتلك العصارة شديدة التطاير والتصاعد لان تلك العصارة اذا عرضت للهواء ٣٦ ساعة كانت غير سامة كما اكد ذلك باجون بتجريبات اكيدة وكذلك اذا عرضت الغليان وتمر تلك القاعدة بالتقطير فمن الثابت أن تلك العصارة يتحصل منها سائل قوى الشدة بحيث ان نصف ملعقة قهوة منها تقتل كلبا في أقل من ٥ دقائق واتفق ان عبداً سم آخر فحكم عليه بالموت وامر بازدراد ٣٥ نقطة منها فمات في أقل من ٦ دقائق في مابين الحالتين لم يوجد أثر لهذا السم في المعدة ولا في الامعاء وريكور الذى نال هذه القاعدة الفعالة لهذا النبات شاهد ان وضع نقط منها على لسان كلب كاف لموته في أقل من ١٠ دقائق ولا يشاهد الا امتلاء القلب بالدم وزعم بعضهم ان استعمال السكر بمقدار كبير وماء البحر والمغرة أى التراب الاحمر المعروف وحمض الخول والنبات المسمى صنبزوس كاجان هي مضادات التسمم بابن المنيوق . واثبت ريكور منفعتها في ذلك وعصارة تندير وبالقلبية الشكل اذا أعطيت حالا اضعفت نتائج هذا الجوهر . وثبت ان القلويات المخلوطة به بمقدار خمس وزنه تمنع فعله القتال ويقال ان الوحشيين يستعملون هذه المادة لتسميم سنان رماحهم. ويقال أيضاً أن الماء الذى طبخ فيه المنيوق الاعتيادى مسم ويستعمل في بعض اماكن من البريزيل لصيد الطيور بأن يوضع في اماكن خالية من الرطوبة فتأتي تلك الحيوانات وتشرب منه فلا ترتبك وتنحل قواها ويمكن مسكها باليد ويدخل المنيوق في عمل مشروب متخمر يسمي هناك أويكو بضم الهمزة وكسر

الواو بدلا عن النبيذ والفقاع في الاقاليم الأخر. وهناك صنف عذب من المنيوق يسمي قنبوق وتنشأ عذوبته من طول مدة استنباته فعصارته ليست سامة ويؤكل بدون أن يبشر مطبوخا بالماء . ومن أنواع يطروفا ما يسمي باللسان النباتي يطروفا ايلستيكا أى المرن وقد يسمي سيفونيا ايلستيكا وهو المنتج الصمغ المرن وهناك أنواع أخر من هذا الجنس تنتج ذلك كما قال دوقندول. ومن أنواعه يطروفا قلندلوز أى القندى وقد يسمي قروطون وبلوزوم أى الحلي . ذكر بركال ان العصارة الجديدة لهذه الشجيرة توضع في بلاد العرب على الدماميل مع أنها تأكل الحديد وتوضع عساليجه أى براعيمه على الاورام لاجل تليينها وتسكين آلامها ومن أنواعه يطروفاغلوكوس أى الاخضر يستعمل في بلاد الهند دهنه المستخرج من بزوره مروخا في علاج الوجع الروماتزمي المزمن والشلل ومن أنواعه يطروفا جوسيبفوليا أى القطنى يستعمل بأمريكا الجنوبية مطبوخ أوراقه علاجا للقوانج والتلبكات الصفراوية ونحو ذلك كمسهل وذلك هو السبب في تسميته حشيشة وجع البطن وينبت على جذعه درنات تكون مسهلة أيضاً ومعطشة ويظهر ان بزوره حلوة لان الطيور تأكله حسبما ذكر برون وذكر لبات الذى أقام مدة بجزائر انتيلة ان ثماره تؤكل دائما وذلك موجود في ميدسنيير أيضاً ولذلك يشتبهان ببعضهما. ومن أنواعه يطروفا ملتفيدا أى المتضاعف الشق وهذا النوع عظم الاعتبار بأوراقه الاصبعية الخيطية وأزهاره الحمر وينبت في البرزيل والمندوغير ذلك واستعمل في اسبانيا ثماره كمسهل وذلك هو السبب في تسميته جوز الاسهال وميدسنيير اسبانيا والميدسنيير الصغير ويستخرج منه دهن مسهل قوى ولم يجد سوبيران فرقا في التركيب الكيماوى بين هذه البزور وبزور الميدسنيير الاعتيادى وعلى رأى دوقندول يمكن أكل لوز هذا الثمر اذا طرح جنينه كما في الميدسنيير ومن أنواعه يطروفا او بيفوا أى المسف وهذا النبات ينبت بالبرزيل وجذره أبيض لحمي يجهز منه خلاصة راتينجية تستعمل في هذه البلاد بمقدار من نصف درهم الي درهم كمسهل وخصوصا في الاستسقاء كما ذكر ذلك مرتيوس

(المادة الطبية)

﴿ المُهجة ﴾ الدم وقيل دم القلب و (مُهجة كل شيء) خالصه جمعه مُهَج ومُهَجات

﴿ مَهَد ﴾ لنفسه يَمْهَد مَهْدا كسب . و (مَهَد الفراش) بسطه . و (مهَّد له الفراش) أيضاً بسطه . و (تمهّد له الامر) تسهل له . و (المِهاد) الفراش جمعه أَمْهِدة ومُهُد . و (المَهْد) الارض. ومرقد الصبى جمعه مُهود

﴿ المهدى والمهدية ﴾ أنظر مادة هدى

﴿ مَهَر ﴾ المرأة يَمْهَرها جعل لها مَهْراً . والمَهْر الصداق. و (مَهَر الرجل في الشيء) مهارة حذق فهو ماهر ، و (أمهر المرأة) سمي لها مهراً و (المُهْر) ولد الفرس جمعه مِهار . و (الابل المَهْرية) منسوبة الي مَهْرة وهو حي من قضاعة من عرب اليمن

﴿ مهر المرأة ﴾ هو صداقها أى المال الذى يقدمه الرجل لمن يريد التزوج بها. وله أحكام في الشريعة الاسلامية وقد رأينا ان أحسن من كتب فيها العلامة الفيلسوف ابن رشد في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فانه قد ألم بالمسألة من جميع أطرافها وأتى على جميع الاختلافات فيها فترى أن ننقل هذا الفصل عنه لما فيه من العلم والفائدة ، قال رحمه الله :

والنظر في الصداق في ستة مواضع الاول في حكمه وأركانه . الموضع الثاني في تقرر جميعه للزوجة ، الموضع الثالث في تشطيره . الموضع الرابع في التفويض وحكمه. الموضع الخامس في الاصدقة الفاسدة وحكمها . الموضع السادس في اختلاف الزوجين في الصداق

﴿ الموضع الاول ﴾

وهذا الموضع فيه أربع مسائل ، الاولى في حكمه ، الثانية في قدره ، الثالثة في جنسه ووصفه ، الرابعة في تأجيله

﴿ المسئلة الاولى ﴾

أما حكمه فانهم اتفقوا على انه شرط من شروط الصحة وانه لا يجوز التواطؤ على تركه لقوله تعالى «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » وقوله تعالى «فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن »

﴿ المسئلة الثانية ﴾

وأما قدره فانهم اتفقوا على انه ليس لاكثره حد واختلفوا في أقله فقال

الشافعي واحمد واسحق وأبو ثور وفقهاء المدينة من التابعين ليس لأقله حد وكل ماجاز أن يكون ثمنا وقيمة لشيء جاز أن يكون صداقا . وبه قال ابن وهب من أصحاب مالك وقالت طائفة بوجوب تحديد أقله وهؤلاء اختلفوا فالمشهور في ذلك مذهبان : أحدهما مذهب مالك وأصحابه ، والثاني مذهب أبي حنيفة وأصحابه. فأما مالك فقال أقله ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم كيلا من فضة أو ما ساوى الدراهم الثلاثة أعني دراهم الكيل فقط في المشهور ، وقيل أو مايساوى أحدهما. وقال أبو حنيفة عشرة دراهم أقله ، وقيل خمسة دراهم، وقيل أربعون درهما وسبب اختلافهم في التقدير سببان أحدهما تردده بين أن يكون عوضاً من الاعواض يعتبر فيه التراضي بالقليل كان أو بالكثير كالحال في البيوعات وبين أن يكون عبادة فيكون موقتا وذلك انه من جهة انه يملك به على المرأة منافعها على الدوام يشبه العوض ، ومن جهة انه لايجوز التراضي على اسقاطه يشبه العبادة. والسبب الثاني معارضة هذا القياس المقتضى التحديد لمفهوم الاثر الذى لايقتضي التحديد. أما القياس الذى يقتضي التحديد فهو كما قلنا انه عبادة والعبادات مؤقتة . وأما الاثر الذى يقتضي مفهومه عدم التحديد فحديث سهل بن سعد الساعدى المتفق على صحته وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يارسول الله اني قد وهبت نفسي لك، فقامت قياما طويلا. فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من شيء تصدقها اياه . فقال ماعندى الا ازارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعطيتها اياه جلست لا ازار لك فالتمس شيئا . فقال لا اجد شيئا . فقال عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن ؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور سماها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انكحتكها بما معك من القرآن . قالوا فقوله عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد دليل على انه لاقدر لاقله لانه لو كان له قدر لبينه اذ لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة وهذا استدلال بين كما ترى مع ان القياس

الذى اعتمده القائلون بالتحديد ليس تسلم مقدماته . وذلك انه انبنى على مقدمتين احداهما ان الصداق عبادة والثانية ان العبادة موقتة ، وفي كليهما نزاع الخصم وذلك انه قد يلفى في الشرع من العبادات ما ليست موقتة بل الواجب فيها هو أقل ما ينطبق عليه الاسم وايضا فانه ليس فيه شبه العبادات خالصا وانما صار المرجحون لهذا القياس على مفهوم الاثر لاحتمال ان يكون ذلك الاثر خاصا بذلك الرجل لقوله فيه قد انكحتكها بما معك من القرآن ، وهذا خلاف للاصول وان كان قد جاء في بعض رواياته انه قال قم فعلمها لما ذكر انه معه من القرآن فقام فعلمها فجاء نكاحا باجارة لكن لما التمسوا اصلا يقيسون عليه قدر الصداق لم يجدوا شيئا اقرب شبها به من نصاب القطع على بعدما بينهما . وذلك ان القياس الذى استعملوه في ذلك هو انهم قالوا عضو مستباح بمال فوجب ان يكون مقدراً اصله القطع . وضعف هذا القياس هو من قبل ان الاستباحة فيهما هي مقولة باشتراك الاسم وذلك ان القطع غير الوطء وايضا فان القطع استباحة على جهة العقوبة والاذى ونقص خلقة ، وهذا استباحة على جهة اللذة والمودة ، ومن شأن قياس الشبه على ضعفه ان يكون الذى به تشابه الفرع والاصل شيئا واحداً لا باللفظ بل بالمعنى ، وان يكون الحكم انما وجد للاصل من جهة الشبه ، وهذا كله معدوم في هذا القياس ، ومع هذا فانه من الشبه الذى لم ينبه عليه اللفظ وهذا النوع من القياس مردود عند المحققين لكن لم يستعملوا هذا القياس في اثبات التحديد المقابل لمفهوم الحديث اذ هو في غاية الضعف وانما استعملوه في تعيين قدر التحديد

وأما القياس الذى استعملوه في معارضة مفهوم الحديث فهو اقوى من هذا يشهد لعدم التحديد ماخرجه الترمذى ان امرأة تزوجت على نعلين ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين ، فقالت نعم فجوز نكاحها وقال هو حديث حسن صحيح . ولما اتفق القائلون بالتحديد على قياسه على نصاب السرقة اختلفوا في ذلك بحسب اختلافهم في نصاب السرقة فقال مالك هو ربع دينار أو ثلاثة دراهم لانه

النصاب في السرقة عنده ،وقال ابوحنيفة هو عشرة دراهم لانه النصاب في السرقة عنده . وقال ابن شبرمة هو خمسة دراهم لانه النصاب عنده ايضا في السرقة وقد احتجت الحنفية لكون الصداق محدودا بهذا القدر بحديث يروونه عن جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لا مهر الا بعشرة دراهم . ولو كان هذا ثابتا لكان رافعا لموضع الخلاف لانه كان يجب لموضع هذا الحديث أن يحمل حديث سهل بن سعد علي الخصوص ، ولكن حديث جابر هذا ضعيف عند أهل الحديث فانه يرويه قالوا مبشر بن عبيد عن الحجاج ابن ارطاة عن عطاء عن جابر ومبشر والحجاج ضعيفان وعطاء أيضاً لم يلق جابراً ولذلك لا يمكن أن يقال ان هذا الحديث معارض لحديث سهل بن سعد

« المسألة الثالثة »

أما جنسه فكل ما جاز أن يتملك وأن يكون عوضا واختلفوا من ذلك في مكانين في النكاح بالاجارة وفي جعل عتق امته صداقها : أما النكاح علي الاجارة ففي المذهب فيه ثلاثة أقوال قول بالاجازه وقول بالمنع وقول بالكراهة والمشهور عن مالك الكراهة ولذلك رأى فسخه قبل الدخول وأجازه من أصحابه اصبغ وسحنون وهو قول الشافعي ومنعه ابن القاسم وأبو حنيفة الا في العبد فان أبا حنيفة أجازه وسبب اختلافهم سببان احدهما هل شرع من قبلنا لازم لنا حتى يدل الدليل علي ارتفاعه ام الامر بالعكس؟ فمن قال هو لازم أجازه لقوله تعالي « اني أريد أن انكحك احدى ابنتي هاتين علي أن تأجرني ثماني حجج » الآية ومن قال ليس بلازم قال لا يجوز النكاح بالاجارة . والسبب الثاني هل يجوز ان يقاس النكاح في ذلك علي الاجارة وذلك ان الاجارة هي مستثناة من بيوع الغرر المجهول ولذلك خالف فيها الاصم وابن علية وذلك ان اصل التعامل انما هو علي عين معروفة ثابتة في عين معروفة ثابتة والاجارة هي عين ثابتة في مقابلتها حركات وافعال غير ثابتة ولا مقدرة بنفسها ، ولذلك اختلف الفقهاء متى تجب الاجرة علي المستأجر . وأما كون العتق صداقا فانه منعه فقهاء الامصار ما عدا داود واحمد . وسبب اختلافهم معارضة الاثر الوارد في ذلك للاصول اعني

ماثبت من انه عليه الصلاة والسلام أعتق صفية وجعل عتقها صداقها مع احتمال أن يكون هذا خاصا به عليه الصلاة والسلام لكثرة اختصاصه في هذا الباب ووجه مفارقته للاصول أن العتق ازالة ملك والازالة لا تتضمن استباحة الشيء بوجه آخر لانها اذا أعتقت ملكت نفسها فكيف يلزمها النكاح ؟ ولذلك قال الشافعي انها ان كرهت زواجه غرمت له قيمتها لانه رأى انها قد أتلفت عليه قيمتها اذ كان انما أتلفها بشرط الاستمتاع بها . وهذا كله لايعارض به فعله عليه الصلاة والسلام ولو كان غير جائز لغيره لبينه عليه الصلاة والسلام . والاصل ان أفعاله لازمة لنا الا ماقام الدليل علي خصوصيته. وأما صفة الصداق فانهم اتفقوا علي انعقاد النكاح علي العرض المعين الموصوف أعني المنضبط جنسه وقدره بالوصف واختلفوا في العرض الغير موصوف ولا معين مثل أن يقول أنكحتكها علي عبد او خادم من غير أن يصف ذلك وصفا يضبط قيمته. فقال مالك وابو حنيفة يجوز وقال الشافعي لايجوز واذا وقع النكاح علي هذا الوصف عند مالك كان لها الوسط مما سمي .وقال أبو حنيفة يجبر علي القيمة وسبب اختلافهم هل يجرى النكاح في ذلك مجرى البيع من القصد في المشاحة أو ليس يبلغ ذلك المبلغ بل القصد منه أكثر من ذلك المكارمة فمن قال يجرى في المشاحة قال كما لا يجوز البيع علي شيء غير موصوف ، كذلك لا يجوز النكاح . ومن قال ليس يجرى مجراه اذ المقصود منه انما هو المكارمة ، قال يجوز . وأما التأجيل فان قوما لم يجيزوه أصلا وقوم أجازوه واستحبوا أن يقدم شيئا منه اذا أراد الدخول ، وهو مذهب مالك والذين أجازوا التأجيل منهم من لم يجزه الا لزمن محدود وقدر هذا البعد وهو مذهب مالك . ومنهم من أجازه لموت أوفراق وهو مذهب الاوزاعي وسبب اختلافهم هل يشبه النكاح البيع في التأجيل أو لا يشبهه ؟ فمن قال يشبهه لم يجز التأجيل لموت أو فراق . ومن قال لايشبهه أجاز ذلك . ومن منع التأجيل فلكونه عبادة

﴿ الموضع الثاني في النظر في التقرر ﴾

واتفق العلماء علي أن الصداق يجب كله بالدخول أو الموت . أما وجوبه كله بالدخول فلقوله تعالي : « وان أردتم

استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا » الآية . واما وجوبه بالموت فلا أعلم الآن فيه دليلا مسموعا الا انعقاد الاجماع علي ذلك . واختلفوا هل من شرط وجوبه مع الدخول المسيس ام ليس ذلك من شرطه بل يجب بالدخول والخلوة ؟ وهو الذي يعنون بارخاء الستور. فقال مالك والشافعي وداود لايجب بارخاء الستور الا نصف المهر ما لم يكن المسيس . وقال ابو حنيفة يجب المهر بالخلوة نفسها الا ان يكون محرما اومريضا اوصائما في رمضان او كانت المرأة حائضا . وقال ابن ابي ليلي يجب المهر كله بالدخول ولم يشترط في ذلك شيئا. وسبب اختلافهم في ذلك معارضة حكم الصحابة في ذلك لظاهر الكتاب . وذلك انه نص تبارك وتعالى في المدخول بها المنكوحة انه ليس يجوز أن يؤخذ من صداقها شيء في قوله تعالي «وكيف تأخذونه وقد افضي بعضكم الي بعض» ، ونص في المطلقة قبل المسيس ان لها نصف الصداق فقال تعالي « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم »

وهذا نص كما ترى في حكم كل واحدة من هاتين الحالتين أعني قبل المسيس و بعد المسيس ولا وسط بينهما فوجب بهذا ايجابا ظاهراً ان الصداق لا يجب الا بالمسيس والمسيس ههنا الظاهر من امره انه الجماع وقد يحتمل ان يحمل علي اصله في اللغة وهو المس ولعل هذا هو الذى تأولت الصحابة، ولذلك قال مالك في العنين المؤجل انه قدوجب لها الصداق عليه اذا وقع الطلاق لطول مقامه معها فجعل له دون الجماع تأثيراً في ايجاب الصداق . واما الاحكام الواردة في ذلك عن الصحابة فهو ان من اغلق بابا او ارخي ستراً فقد وجب عليه الصداق لم يختلف عليهم في ذلك فيما حكوا واختلفوا من هذا الباب في فرع وهو اذا اختلفا في المسيس ، اعني القائلين باشتراط المسيس وذلك مثل ان تدعي هي المسيس و ينكره هو ، فالمشهور عن مالك ان القول قولها . وقيل ان كان دخول بناء صدقت وان كان دخول زيارة لم تصدق. وقيل ان كانت بكراً نظر اليها النساء . فيتحصل فيها في المذاهب ثلاثة اقوال . وقال الشافعي واهل الظاهر

القول قوله . وذلك لانه مدعي عليه ومالك ليس يعتبر في وجوب اليمين المدعي عليه من جهة ماهو مدعي عليه بل من جهة ماهو أقوى شبهة في الاكثر ولذلك يجعل القول في مواضع كثيرة قول المدعي اذا كان أقوى شبهة . وهذا الخلاف يرجع الى هل ايجاب اليمين علي المدعي عليه معلل أو غير معلل ؟ وكذلك القول في وجوب البينة علي المدعي وسيأتي هذا في مكانه

(الموضع الثالث في التشطير)

واتفقوا اتفاقا مجملا انه اذا طلق قبل الدخول وقد فرض صداقا انه يرجع عليها بنصف الصداق لقوله تعالى « فنصف مافرضتم » الآية والنظر في التشطير في أصول ثلاثة في محله من الانكحة وفي موجبه من أنواع الطلاق . أعني الواقع قبل الدخول وفي حكم مايعرض له من التغيرات قبل الطلاق . أما محله من النكاح عند مالك فهو النكاح الصحيح أعني أن يكون يقع الطلاق الذى قبل الدخول في النكاح الصحيح وأما النكاح الفاسد فان لم تكن الفرقة فيه فسخا وطلاق قبل الفسخ ففي ذلك قولان . وأما

موجب التشطير فهو الطلاق الذى يكون باختيار من الزوج لا باختيار منها مثل الطلاق الذى يكون من قبل قيامها بعيب يوجد فيه واختلفوا من هذا الباب في الذى يكون سببه قيامها عليه بالصداق أو النفقة مع عسره ولا فرق بينه و بين القيام بالعيب . واما الفسوخ التي ليست طلاقا فلا خلاف انها ليست توجب التشطير اذا كان فيها الفسخ من قبل العقد أو من قبل الصداق وبالجملة من قبل عدم موجبات الصحة وليس لها في ذلك اختيار اصلا . واما الفسوخ الطارئة علي العقد الصحيح مثل الردة والرضاع فان لم يكن لاحدهما فيه اختيار أو كان لها دونه لم يوجب التشطير وان كان له فيه اختيار مثل الردة وجب التشطير والذى يقتضيه مذهب أهل الظاهر أن كل طلاق قبل البناء فواجب أن يكون فيه التنصيف سواء كان من سببها أو سببه . وان ماكان فسخا ولم يكن طلاقا فلا تنصيف فيه . وسبب الخلاف علي هذه السنة معقولة المعنى أم ليست بمعقولة فمن قال انها معقولة المعنى وانه انما وجب لها نصف الصداق عوض ماكان لها

لمكان الجبر على رد سلعتها وأخذ الثمن كالحال في المشترى فلما فارق النكاح في هذا المعنى البيع جعل لها هـذا عوضاً من ذلك الحق . فاذا كان الطلاق من سببها لم يكن لها شيء لانها أسقطت ما كان لها من جـبره على دفع الثمن وقبض السلعة ومن قال انها سنة غير معقولة واتبع ظاهر اللفظ قال يلزم التشطير في كل طلاق كان من سببه أو سببها . فأما حكم مايعرض الصداق من التغييرات قبل الطلاق فان ذلك لايخـلو ان يكون من قبلها او ومن الله . فما كان من قبل الله فلا يخلو من اربعة أوجه : اما ان يكون تلفاً للـكل واما أن يكون نقصاً واما أن يكون زيادة واما ان يكون زيادة ونقصانا معاً . وما كان من قبلها فلا يخلو ان يكون تصرفها فيه بتفويت مثل البيع والعتق والهبة، او يكون تصرفها فيه في منافعها الخاصة فيما تتجهز به الي زوجها . فعند مالك انهما في التلف وفي الزيادة وفي النقصان شريكان وعند الشافعي أنه يرجع في النقصان والتلف عليها بالنصف ولا يرجع بنصف الزيادة وسبب اختلافهم هل تملك المرأة الصداق قبل الدخول او الموت ملكا مستقراً أولا تملكه فمن قال انها لاتملكه ملكا مستقراً هما فيه شريكان مالم تتعد فتدخله في منافعها . ومن قال تملكه ملكا مستقراً والتشطير حق واجب تعين عليها عند الطلاق و بعد استقرار الملك أوجب الرجوع عليها بجميع ماذهب عندها . ولم يختلفوا أنها اذا صرفته في منافعها ضامنة للنصف واختلفوا اذا اشترت به مايصلحها للجهاز مما جرت به العادة هل يرجع عليها بنصف مااشترته أم بنصف الصداق الذى هو الثمن فقال مالك يرجع عليها بنصف مااشترته وقال أبو حنيفة والشافعي يرجع عليها بنصف الثمن الذى هو الصداق . واختلفوا من هـذا الباب في فرع مشهور متعلق بالسماع وهو هـل للاب أن يعفو عن نصف الصـداق في ابنته البكر أعنى اذا طلقت قبل الدخول والسيد في أمتـه ؟ فقال مالك ذلك له . وقال أبو حنيفة والشافعي ليس ذلك له . وسبب اختلافهم هو الاحـتمال الذى في قوله تعالي (الا ان يعفو أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وذلك في لفظة يعفو فانها تقال في كلام العرب مرة بمعنى يسقط ومرة بمعنى يهب . وفي قوله الذى

بيده عقدة النكاح على من يعـود هذا الضمير هل على الولي أو على الزوج فمن قال الزوج جعـل يعفو بمعنى يهب ومن قال على الولي جعـل يعفو بمعنى يسقط . وشذ قوم فقـالوا لكل ولي أن يعفو عن نصف الصداق الواجب للمرأة ويشبه ان يكون هذان الاحتمالان اللذان في الآية على السواء . لكن من جعله الزوج فلم يوجب حـكما زائداً في الآية أى شرعا زائداً لان جواز ذلك معلوم من ضرورة الشرع . ومن جعله الولي اما الاب واما غيره فقد زاد شرعا . فلذلك يجب عليه أن يأتي بدليـل يبين به أن الآية أظهر في الولي منها في الزوج وذلك شيء يعسر والجمهور على ان المرأة الصغيرة والمحجورة ليس لهـا أن تهب من صداقها النصف الواجب لهـا . وشذ قوم فقالوا يجوز أن تهب مصـيراً لعموم قوله تعالى « الا أن يعفون » واختلفوا من هـذا الباب في المرأة اذا وهبت صداقها لزوجها ثم طلقت قبل الدخول ، فقـال مالك ليس يرجع عليها بشيء ، وقال الشافعي يرجع عليها بنصف الصـداق ، وسبب الخلاف هل النصف الواجب للزوج بالطلاق هو في عين الصداق أو في ذمة المرأة . فمن قال في عين الصداق قال لايرجع عليها بشيء لأنه قد قبض الصداق كله . ومن قال هو في ذمة المرأة قال يرجع وان وهبته له كما لو وهبت له غير ذلك من مالها ، وفرق أبو حنيفة في هذه المسئلة بين القبض ولا قبض . فقال ان قبضت فله النصف وان لم تقبض حتى وهبت فليس له شيء كأنه رأى أن الحق في العين مالم تقبض فاذا قبضت صار في الذمة

(الموضع الرابع في التفويض)

واجمعوا على أن نكاح التفويض جائز وهو أن يعقد النكاح دون صـداق لقوله تعالى « لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » واختلفوا من ذلك في موضعين احدهما اذا طلبت الزوجة فرض الصداق واختلفا في القدر . الموضع الثاني اذا مات الزوج ولم يفرض هل لها صداق أم لا ؟

(فأما المسئلة الاولي)

وهي اذا قامت المرأة تطالب ان يفرض لها مهراً ، فقالت طائفة يفرض لها مهر مثلها وليس الزوج في ذلك خيار فان طلق بعـد الحكم فمن هؤلاء من قال لها

نصف الصداق ، ومنهم من قال ليس لها شيء لان أصل الفرض لم يكن في عقد النكاح وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقال مالك واصحابه الزوج بين خيارات ثلاثة اما أن يطلق ولا يفرض ، واما أن يفرض ماتطالبه المرأة به ، واما أن يفرض صداق المثل و يلزمها ، وسبب اختلافهم اعني بين من يوجب مهر المثل من غير خيار للزوج اذا طلق بعد طلبها الفرض ومن لا يوجب اختلافهم في مفهوم قوله تعالي « لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » هل هذا محمول علي العموم في سقوط الصداق سواء كان سبب الطلاق اختلافهم في فرض الصداق أولم يكن الطلاق سببه الخلاف في ذلك وايضاً فهل يفهم من رفع الجناح عن ذلك سقوط المهر في كل حال أو لا يفهم ذلك فيه احتمال وان كان الأظهر سقوطه في كل حال لقوله تعالي « ومتعوهن علي الموسع قدره وعلي المقتر قدره » ولا خلاف أعلمه في انه اذا طلق ابتداء انه ليس عليه شيء وقد كان يجب علي من أوجب لها المتعة مع شطر الصداق اذا طلق قبل الدخول في نكاح غير التفويض وأوجب لها مهر المثل في نكاح التفويض أن يوجب لها مع المتعة فيه شطر مهر المثل لان الآية لم تتعرض بمفهومها لاسقاط الصداق في نكاح التفويض وانما تعرضت لاباحة الطلاق قبل الفرض فان كان يوجب نكاح التفويض مهر المثل اذا طلب فواجب أن ينشطر اذا وقع الطلاق كما ينشطر في المسمي ولهذا قال مالك انه ليس يلزم فيه مهر المثل مع خيار الزوج

(واما المسئلة الثانية)

وهي اذا مات الزوج قبل تسمية الصداق وقبل الدخول بها فان مالكا وأصحابه والاوزاعى قالوا ليس لها صداق ولها المتعة والميراث . وقال أبو حنيفة لها صداق المثل والميراث ، وبه قال أحمد وداود ، وعن الشافعى القولان جميعا الا ان المنصوص عند أصحابه هو مثل قول مالك وسبب اختلافهم معارضة القياس للاثر ، أما الاثر فهو ماروى عن ابن مسعود انه سئل عن هذه المسئلة فقال أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ، أرى لها صداق امرأة من نسائها لاوكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث . فقام معقل بن يسار الأشجعي فقال أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله صلي الله عليه وسلم في بروع بنت واشق . خرجه ابو داود والنسائى والترمذى وصححه . واما القياس المعارض لهذا فهو ان الصداق عوض فلما لم يقبض المعوض لم يجب العوض قياسا علي البيع وقال المزني عن الشافعي في هذه المسئلة ان ثبت حديث بروع فلا حجة في قول احد مع السنة والذى قاله هو الصواب والله اعلم

(الموضع الخامس)

(فى الأصدقة الفاسدة)

والصداق يفسد اما لعينه واما لصفة فيه من جهل او غرر . فالذى يفسد لعينه فمثل الخمر والخنزير وما لا يجوز ان يتملك . والذى يفسد من قبل الغرر والجهل فالاصل فيه تشبيهه بالبيوع وفي ذلك خمس مسائل مشهورة

(المسئلة الاولى)

اذا كان الصداق خمراً او خنزيراً او ثمرة لم يبد صلاحها او بعيراً شارداً . فقال ابو حنيفة العقد صحيح اذا وقع وفيه مهر المثل . وعن مالك في ذلك روايتان احداهما فساد العقد وفسخه قبل الدخول وبعده ، وهو قول ابو عبيدة . والثانية انه ان دخل ثبت ولها صداق المثل وسبب اختلافهم هل حكم النكاح في ذلك حكم البيع ام ليس كذلك؟ فمن قال حكمه حكم البيع قال يفسد النكاح بفساد الصداق كما يفسد البيع بفساد الثمن ومن قال ليس من شرط صحة عقد النكاح صحة الصداق بدليل ان ذكر الصداق ليس شرطا فى صحة العقد قال يمضي النكاح ويصحح بصداق المثل والفرق بين الدخول وعدمه ضعيف والذى تقتضيه اصول مالك ان يفرق بين الصداق المحرم العين وبين المحرم لصفة فيه قياسا علي البيع ولست اذكر الآن فيه نصا

(المسئلة الثانية)

واختلفوا اذا اقترن بالمهر بيع مثل ان تدفع اليه عبداً و يدفع الف درهم عن الصداق وعن ثمن العبد ولا يسمي الثمن من الصداق . فمنعه مالك وابن القاسم و به قال ابو ثور وأجازه أشهب. وهو قول ابي حنيفة . وفرق عبد الله فقال ان كان الباقي بعد البيع ربع دينار فصاعدا بأمر

لايشك فيه جاز . واختلف فيه قول الشافعي فرة قال ذاك جائز ومرة قال فيه مهر المثل . وسبب اختلافهم هل النكاح في ذلك شبيه بالبيع ام ليس بشبيه فمن شبهه في ذلك بالبيع منعه ومن جوز في النكاح من الجهل مالايجوز في البيع قال يجوز

(المسئلة الثالثة)

واختلف العلماء فيمن نكح امرأة واشترط عليه فى صداقها حباء يحابي به الاب ، على ثلاثة أقوال : فقال ابوحنيفة واصحابه الشرط لازم والصداق صحيح وقال الشافعي المهر فاسد ولها صداق المثل . وقال مالك اذا كان الشرط عند النكاح فهو لابنته ، وان كان بعد النكاح فهو له . وسبب اختلافهم تشبيه النكاح في ذلك بالبيع فمن شبهه بالوكيل يبيع السلعة ويشترط لنفسه حباء قال لايجوز النكاح كما لايجوز البيع . ومن جعل النكاح في ذلك مخالفاً للبيع قال يجوز واما تفريق مالك فلأنه اتهمه اذا كان الشرط في عقد النكاح ان يكون ذلك الذى اشترطه لنفسه نقصاناً من صداق مثلها ولم يتهمه اذا كان بعد انعقاد

النكاح والاتفاق على الصداق . وقول مالك هو قول عمر بن عبد العزيز والثورى وابي عبيد . وخرج النسائى وابو داود وعبد الرزاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة نكحت على حباء قبل عصمة النكاح فهو لها ، وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن اعطيه واحق ماأكرم الرجل عليه ابنته واخته ، وحديث عمرو بن شعيب مختلف فيه من قبل انه صحفه ولكنه نص في قول مالك وقال ابو عمر بن عبد البر اذا رواه الثقاة وجب العمل به

(المسئلة الرابعة)

واختلفوا في الصداق يستحق او يوجد به عيب فقال الجمهور النكاح ثابت واختلفوا هل ترجع بالقيمة او بالمثل او بمهر المثل . واختلف فى ذلك قول الشافعي : فقال مرة بالقيمة وقال مرة بمهر المثل. وكذلك اختلف المذهب في ذلك فقيل ترجع بالقيمة وقيل ترجع بالمثل قال ابو الحسن اللخمي ولو قيل ترجع بالأقل من القيمة او صداق المثل لكان ذلك وجها . وشذ سحنون فقال النكاح

فاسد ومبنى الخلاف هل يشبه النكاح في ذلك البيع أولا يشبهه فمن شبهه قال ينفسخ ومن لايشبهه قال لاينفسخ

(المسئلة الخامسة)

واختلفوا في الرجل ينكح المرأة على أن الصداق ألف ان لم يكن له زوجة وان كانت له زوجة فالصداق ألفان . فقال الجمهور بجوازه واختلفوا في الواجب في ذلك . فقال قوم الشرط جائز ولها من الصداق بحسب مااشترط . وقالت طائفة لها مهر المثل وهو قول الشافعي وبه قال أبو ثور الا انه قال ان طلقها قبل الدخول لم يكن لها الا المتعة . وقال أبو حنيفة ان كانت له امرأة فلها ألف درهم وان لم تكن له امرأة فلها مثلها مالم يكن اكثر من الألفين أو أقل من الالف . ويتخرج في هذا قول ان النكاح مفسوخ لمكان الغرر . ولست أذكر الآن نصاً فيها في المذهب . فهذه مشهور مسائلهم في هذا الباب وفروعه كثيرة . واختلفوا فيما يعتبر به مهر المثل اذا قضى به في هذه المواضع وما أشبهها فقال مالك يعتبر فى جمالها ونصابها ومالها . وقال الشافعي يعتبر بنساء عصبتها فقط . وقال أبو حنيفة

يعتبر في ذلك نساء قرابتها من العصبة وغيرهم ومبنى الخلاف هل المماثلة في المنصب فقط أو في المنصب والمال والجمال لقوله عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لدينها وجمالها وحسبها الحديث

﴿ الموضع السادس ﴾

(في اختلاف الزوجين في الصداق)

واختلافهم لايخلو أن يكون في القبض أو فى القدر أو في الجنس أو في الوقت أعنى وقت الوجوب . فأما اذا اختلفا في القدر فقالت المرأة مثلا بمائتين وقال الزوج بمائة فان الفقهاء اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيرا فقال مالك انه ان كان الاختلاف قبل الدخول وأتي الزوج بما يشبه والمرأة بما يشبه أنهما يتحالفان ويتفاسخان وان حلف أحدهما ونكل الآخر كان القول قول الحالف وان نكلا جميعاً كان بمنزلة مااذا حلفا جميعاً ومن أتي بما يشبه منهما كان القول قوله وان كان الاختلاف بعد الدخول فالقول قول الزوج وقالت طائفة القول قول الزوج مع يمينه . وبه قال أبو ثور وابن أبي ليلى وابن شبرمة وجماعة . وقالت طائفة القول قول الزوجة الي مهر مثلها وقول

الزوجة فيا زاد علي مهر مثلها . وقالت طائفة اذا اختلفا تحالفا . ورجع الي مهر المثل ولم تر الفسخ كمالك وهو مذهب الشافعي والثوري وجماعة . وقد قيل انها ترد الى صداق المثل دون يمين ما لم يكن صداق المثل أكثر مما ادعت وأقل مما ادعي هو . واختلافهم مبنى علي اختلافهم في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام البينة علي من ادعي واليمين علي من أنكر . هل ذلك معلل أو غير معلل ؟ فمن قال معلل قال يحلف أبداً أقواهما شبهة فان استويا تحالفا وتفاسخا ، ومن قال غير معلل قال يحلف الزوج لانها تقر له بالنكاح وجنس الصداق وتدعي عليه قدراً زائداً فهو مدعي عليه ، وقيل أيضا يتحالفان أبداً لان كل واحد منهما مدعى عليه وذلك عند من لم يراع الاشياء . والخلاف في ذلك في المذهب . ومن قال القول قولها الي مهر المثل والقول قوله فيا زاد علي مهر المثل رأى أنهما لا يستويان أبداً في الدعوى بل يكون أحدهما ولا بد أقوى شبهة . وذلك انه لا يخلو دعواها من أن يكون فيا يعادل صداق مثلها فما دونه فيكون القول قولها أو يكون فيا فوق ذلك فيكون القول قوله . وسبب اختلاف مالك والشافعي في التفاسخ بعد التحالف والرجوع الى صداق المثل هو . هل يشبه النكاح بالبيع في ذلك أم ليس يشبه ؟ فمن قال يشبه به قال بالتفاسخ . ومن لايشبهه لان الصداق ليس من صحة العقد قال بصداق المثل بعد التحالف وكذلك من زعم من أصحاب مالك أنه لايجوز لها بعد التحالف أن يتراضيا علي شيء ولا أن يرجع أحدهما الي قول الآخر ويرضى به فهو في غاية الضعف . ومن ذهب الي هذا فانما يشبه باللعان وهو تشبيه ضعيف مع أن وجود هذا الحكم اللعان مختلف فيه : وأما اذا اختلفا في القبض فقالت الزوجة لم أقبض وقال الزوج قد قبضت . فقال الجمهور القول قول المرأة الشافعي والثوري وأحمد وابو ثور . وقال مالك القول قولها قبل الدخول والقول قوله بعد الدخول وقال بعض أصحابه انما قال ذلك مالك لان العرف بالمدينة كان عندهم أن لايدخل الزوج حتى يدفع الصداق . فان كان بلد ليس فيه هذا العرف كان القول قولها أبداً والقول بأن القول قولها أبداً أحسن لانها

مدعي عليها . ولكن مالك راعي قوة الشبهة حتى اذا دخل بها الزوج واختلف اصحاب مالك اذا طال الدخول هل يكون القول قوله بيمين او بغير يمين احسن ، واما اذا اختلفا في جنس الصداق فقال هو مثلا تزوجتك علي هذا العبد وقالت هي تزوجتك علي هذا الثوب . فالمشهور في المذهب أنهما يتحالفان ويتفاسخان ان كان الاختلاف قبل البناء وان كان بعد البناء ثبت وكان لها صداق المثل مالم يكن اكثر مما ادعت او أقل مما اعترف به . وقال ابن القصار يتحالفان قبل الدخول والقول قول الزوج بعد الدخول . وقال اصبغ القول قول الزوج ان كان يشبه سواء كان أشبه قولها او لم يشبه فان لم يشبه قول الزوج فان كان قولها مشبه كان القول قولها وان لم يكن قولها مشبها تحالفا وكان لها صداق المثل ، وهو الشافعي في هذه المسئلة مثل قوله عند اختلافهم في القدر أعنى يتحالفان ويتراجعان الي مهر المثل وسبب قول الفقهاء بالتفاسخ في البيع ستعرف أصله في كتاب البيوع ان شاء الله . واما اختلافهم في الوقت فانه يتصور في الكالىء والذى يجيء من أصل قول مالك في المشهور عنه ان القول في الاصل قول الغارم قياسا علي البيع وفيه خلاف ويتصور أيضا متى يجب هل قبل الدخول أو بعده فمن شبه النكاح بالبيع قال لايجب الا بعد الدخول قياسا علي البيع اذ لايجب الثمن علي المشترى الا بعد قبض السلعة . ومن رأى ان الصداق عبادة يشترط في الحلية قال يجب قبل الدخول ولذلك استحب مالك أن يقدم الزوج قبل الدخول شيء من الصداق

﴿الركن الثالث﴾

(في معرفة محل العقد)

وكل امرأة فانها تحلل في الشرع بوجهين اما بنكاح او بملك يمين . والموانع الشرعية بالجملة تنقسم أولا الي قسمين موانع مؤبدة وموانع غير مؤبدة والموانع المؤبدة تنقسم الي متفق عليها ومختلف فيها ، فالمتفق عليها ثلاث نسب وصهر ورضاع والمختلف فيها الزنا واللعان . والغير مؤبدة تنقسم الى تسعة احدهما مانع العدد ، والثاني مانع الجمع والثالث مانع الرق ، والرابع مانع الكفر ، والخامس مانع الاحرام ، والسادس مانع

المرض ، والسابع مانع المدة على اختلاف في عدم تأبيده، والثامن مانع التطليق ثلاثا للمطلق ، والتاسع مانع الزوجية فالموانع الشرعية بالجملة أربعة عشر مانعا »

﴿ المَهرجان ﴾ معناها بالفارسية محبة الروح وهي عيد عندهم

﴿ مهكه ﴾ يمهكه مَهكا سحقه فبالغ في سحقه

﴿ مهل ﴾ في عمله يمهل مَهلا عمل برفق وسكينة . و (مهّله وأمهله) أنظره وأخره . و (تمهّل في عمله) اتأد . و (المَهْل) التؤدة . و (المُهْل) اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة ونحوها . و (المُهْل) القطر والسم والقيح ودردى الزيت . و (المَهَل) التؤدة ومثلها المهلة

﴿ مهما ﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين ، أولها فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه نحو (مهما تخف الحقد يظهر)

﴿ مهنه ﴾ يمهَنه مهنا خدمة . و (مهَن يمهُن مَهْنا) عمل في صنعته . و (مَهُن يَمْهُن مهانة) كان مهينا. و (ماهنه) مارسه. و (امتهنه فامتهن هو) أي استعمله للمهنة فاستعمل لذلك

و (امتهنه) ابتذله واحتقره .

و (الماهن) المملوك والخادم جمعه مُهّانة ومَهَنة و (المَهْنة والمِهْنة) الحذق في العمل . و (المَهين) الحقير

﴿ المَهمة ﴾ المفازة جمعها مَهامه

﴿ المَهاة ﴾ البقرة الوحشية وهي أشبه بالمعز الاهلية تشبه بها المرأة في حسنها وجمالها وحسن عينيها

﴿ مهيار ﴾ هو أبو الحسين مهيار ابن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسيا فأسلم على يد الشريف الرضي وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر . وكان شاعراً جزل القول مقدما على أهل وقته

من شعره قوله :

وقد قاله يرثي أبا الحسين أحمد بن عبد الله وكان من معادن الفتوة الغريبة ومظان الكرم العجيبه ، واتفق بينه و بينه مودة قبل موته بسنين قلائل وقد توفي أواسط شوال سنة (٤١٣)

نعم هذه يا دهر أم المصائب
فلا تُوعدني بعدها بالنوائب
هتكت بها ستر التجامل بيننا
ولم تلتفت فينا لبقيا المراقب

وما زلت ترمي صفحتي بين قاصد
ومنحرف حتى رميت بصائب
فرأيك في فودى فقد ذل مسحلي
وشأنك في غمزى فقدلان جانبي
صددت طريق الفضل من كل وجهة
وملت على العلياء من كل جانب
فلا تسنن الا عجمة تائه
ولا أمل الا مطية خائب
أبعد ابن عبدالله أحظى براجم
من العيش أو آسي على إثر ذاهب
وأرسل طرفي رائدا في خميلة
من الناس أبغي نجعة لمطالبي
واقدح زندا وار يامن هوى أخ
واكشف عن ود خبيئة صاحب
وأدفع في صدر الليالي بمثله
فترجم عني داميات المناكب
ابي ذاك قلب عنه غير مغالط
برجم وحلم بعده غير عازب
وان خروق المجد ليست لراقع
سواه وصدع الجود ليس لشاعب
طوى الموت منه بردة في دروجها
بقية أيام الكرام الاطايب
محبرة سدى وألحم وشيها
صناع بحوك المكرمات الرغائب

كساالله عطف الدهر حيناجمالها
فلما طغي قبضت لمايد سالب
لئن درست فيها الحظوظ فانها
لبيقي طويلا عرفها في المساحب
وجوهرة في الناس كانت يتيمة
وهل من أخ البدر بين الكواكب
أألآن لما اشتد متني بوده
ورُدت ملاه من نداه حقائبي
لجمت بهغض الهوى حاذر الجدى
جديد قميص الود سهل المجاذب
صددت فم الناعي بكفي تطيرا
ولويت وجهي عنه لي مغاضب
وقلت تبين ماتقول لعلها
تكون كتلك الطائرات الكواذب
فكم غاب من أخباره ثم أقشعت
سحابته عن صالح الحال ثائب
فلما بدا لي الشر في كر قوله
ربطت نوازي أضلعي بالرواجب
وملت الي ظل من الصبر قالص
قصير وظن بالتجمل كاذب
ونفس شعاع قد أخل وقارها
بعادته في النازلات الصعائب
أسائل عنه المجد وهو معطل
سؤال الأجب عن سنام وغارب

واستروح الاخبار وهي تسوءني
علائق منهاني ذيول الجنائب
فيفصح لي من كان عنه مجمجا
و يصدقني من كان فيه موار بي
فقيد بعيسان استوت في انتقاده
مشارق آفاق العلى بالمغارب
تنافث من جمر الغضا نادباته
كأن فؤادي في حلوق النوادب
بكت ادمعا بيضا ودمت جباهها
فتحسبها تبكي دما بالحواجب
هوت هضبة المجد التليد وعطلت
رسوم الندى وانقض نجم الكواكب
وردت ركاب الخمسين بظمئها
تكد الدلاء في ركايا نواضب
فلم يذرع السفار بعدك نفنفا
هريفا على أيدي المطي اللواغب
برغمي أن هب النيام وانني
دعوتك وجه الصبح غير مجاوبي
واه لا ترى مستعرضا حاج رفقة
ولا سائلا من اين مقدم راكب
سرى الموت من أوطانه في ما أني
ونقب من اخلاقه عن حبائبي
عجبت لهذي الارض كيف تلمنا
وتصدعنا والارض ام العجائب

نطارد عن أرواحنا برماحنا
ونطرب في ايامنا المحارب
وتسحرنا الدنيا بشيمة طاعم
هي السقم المردي بنهلة شارب
أحدث نفسي خاليا بخلودها
فأين ابي الادنى وابن اقاربي
وما كنت الا واحدا من عشيرة
ولا باقيا في الناس الا ابن ذاهب
فهل انا اجبى من مقاول حمير
وامنع ظهرا من مشيد مأرب
وهل أخذت عهد السموءل لي يد
من الموت أو عندي حنية حاجب
ولا علم لي من أي شق مصرعي
وفي ايما ارض يخط لجانبي
اذا كان سهم الموت لا بد واقعا
فياليتني المرمي من قبل صاحبي
و ياليت مقبوراً بكوفان شاهد
جواي وان كانت شهادة غائب
وليت طريف الود بيني و بينه
واذ طاب يوم لم يكن من مكاسبي
سلام على الارواح بعدك انها
وان عشت ليست اربتمن مآربي
اذا دنس الحزن السلو غسلته
فعاد جديداً بالدموع السواكب

وان احدثت عندي به الدهر لمة
ذكرتك فيها فاعتدت من مصائبي
سقتك بعتاد الدعاء مرشة
اقاريق لم تخدج بلمعة خالب
يلوث خطاف البرق في جنباتها
بهام الهضاب السود حمر العصائب
اذا عممت جلحاء ارض بوبلها
غدت روضة و فراء ذات ذوائب
وان كان بحراً في ضريحك ثانياً
بجمانه عن قاطرات السحائب

وقال يرثي الشريف الرضي ذا الحسبين ابا الحسن محمد بن الحسين الموسوي وتوفي في السادس من المحرم سنة ٤٠٦ وكان رثاه بقصيدة ميمية فشقت على جماعة ممن كان يحسده في حياته كيف يرثي بمثلها بعد وفاته وتكلموا في ذلك فقال يلوح بذكرهم :

أقريش لا لفم اراك ولا يد
فتواكلي غاض الندى وخلا الندى
خلاك ذو الحسبين اقاضا مق
تجذب علي حبل المذلة تنقد
فاذا تشادقت الخصوم فلجلجي
وان تصادمت الكماة فبردي

يا ناشد الحسنات طوف قاليا
عنها وعاد كانه لم ينشد
اهبط الى مصر فسل حمراءها
من صاح بالبطحاء يانار أخمدي
بكر النعي فقال اردى خيرها
ان كان يصدق فالرضي هو الردي
عادت اراكة هاشم من بعده
خوراً لفأس الحاطب المتوقد
فجعت بمعجز آية مشهودة
ولرب آيات لها لم تشهد
كانت اذا هي في الامامة نوزعت
ثم ادعت بك حقها لم تجحد
رضي الموافق والمخالف رغبة
بك واقتدى الناوي برأي المرشد
ما أحرزت قصباتها وتراهنت
الا ظهرت بفضلة من مؤدد
تبعتك عاقدة عليك أمورها
وهرى تميمك بعد لما تعقد
ورآك طفلا شيبها وكهولها
فتزحزحوا لك عن مكان السيد
أنفقت عمرك ضائنا في حفظها
وعققت عيشك في صلاح المفسد
كالنار للساري الهداية والقرى
من ضوئها ودخانها للموقد

من راكب يسمم المموم فؤاده
وتناط منه بقارح متعوّد
يطوى المياه علي الظما وكأنه
عنها يضل وانه للمهتدى
صلب الحصاة يثور غير مودع
عن أهله ويسير غير مزود
قرّب قربت من التلاع فانها
ام المنامك مثلها لم يقصد
دأبا به حتى ترح بيثرب
فتنيخه نقصاً بباب المسجد
واحث التراب علي شحو بك حاسراً
وانزل فنز محمداً بمحمد
وقل انطوى حتى كأنك لم تلد
منه الهدى وكأنه لم يولد
بكت السماء له وودت انها
فقدت غزالتها ولما يفقد
وبكاك يومك اذجرت أخباره
برحا وصبى بالعبوس الانكد
صبغت وقائك فيه ابيض فجره
بالعيون من الصباح الاسود
والئن غمزت من الزمان بلين
عن عجم مثلك اوعضضت بأدرد
فالسيف يأخذ حكمه من مغفر
وطلي ويأخذ منه من المبرد

لو كان يعقل لم تنلك له يد
لكن اصابك منه بجنون اليد
يامشكلا أم الفضائل مورثا
يتما بنات القاطنات الشرد
خلفتهن بما رضينك ناظما
مابين كل مرجز ومقصد
اشكوانفراد الواحد السارى بلا
انس وان أحرزت سبق الاوحد
واذا حفظتك باكيا ووبنا
عابوا عليك تفجعي وتلذذي
كانوا الصديق رددتهم لي حسدا
صلي الاله علي مكثر حسدى
ينثر فيك الشامتون وانه
يوم هم رهن عليه الى غد
لاغيرنك جنائب تحت البلي
وكساك طيب البيت طيب الملحد
وقربت لاتبعد وان علالة
النفس زوراً قولى لاتبعد

﴿ مَهْيَم ﴾ كلمة استفهام بلغة أهل اليمن أى ماحالك أى ماوراءك وهو اسم فعل معناه اخبرني

﴿ ماه ﴾ الفقط يَمُوه مَوها صاح

﴿ المُوبَذان ﴾ كاهن الفرس وحاكم المجوس

﴿ موت ﴾ مات يموت ويَمات موتا ضد حيي و(موّته) جعله يموت ومثله (أماته) . و(تَماوت) ادعى الموت و (استمات الرجل) طلب الموت . وذهب في طلب الشيء كل مذهب. و (الموات) مالا روح فيه والارض الخالية. و(المُوتان) موت يقع في الماشية . و(المَوَتان) الموت وخلاف الحيوان. يقال(فلان يبيع المَوَتان) أى الامتعة التى لا روح فيها . و (المَيْتة) الحيوان الذى يموت حتف أنفه. و(المِيتة) الحال والهيئة. يقال (مات مِيتة الصالحين) و(المَيْت) الميّت . و (الممات) الموت

﴿ الموت ﴾ هو نهاية كل حي في هذا الوجود مظاهره خمود الشعور وتلاشي الادراك ودخول الجسد الحيواني في حالة تحلل واستحالته الي الاصول التى تكون منها . لايخلو حي مهما سفل في درجة الحيوانية من الشعور بثقل الموت وشناعته فتراه يهرب منه جهده ، ويدافعه بكل ما أوتيه من الوسائل ولكنه يضطر الخضوع له في النهاية لازعوا.له تحتاط به من كل مكان فتعجزه عن المقاومة فيستسلم له مكرها ويموت كما شاء له القدر

لم يطرح مسألة الموت والحياة علي بساط البحث من أنواع الحيوان غير الانسان لاتساع دائرة فكره وعجز تلك الكائنات عن متابعة النظر والتأمل في الامور المعقولة. فعنى بهذه المسألة من زمان بعيد أى الزمان الذى أقام فيه الدين ، ولكنه حل هذه المسئلة علي ضروب شتي علي حسب مدركاته في كل جيل وذهب في ذلك كل مذهب حتى جاءت الاديان الكبرى البرهمية والبوذية واليهودية والمسيحية والاسلامية فجعلت هذه المسئلة من امهات مسائلها واسست عليها كثيرا من طقوسها وليس هنا موضع لتفصيل مرامي كل منها وانما نقول انها كلها أجمعت (في شكلها الحاضر) علي ان الموت ليس بشيء غير انتقال الروح من غلافها الطيني الي عالم وراء هذا العالم كانت فيه قبل دخولها في الجسد ، وانها هنالك تثاب أو تعاقب علي حسب أعمالها فى هذا العالم الذى دفعت اليه لتبتلي فيه

قلنا كل هذه الاديان (فى شكلها الحاضر) بهذا القيد لان البوذية في شكلها الاول علي بعض الاقوال كانت لاتقول بالحياة بعد الموت بل كانت تعد الموت هو الخلاص للانسان

من شقاء هذا العالم لا لما يكون وراءه من الحياة الابدية في عالم أرقي من هذا العالم بل لانه باب الفناء الابدى الذى لا شعور بعده

والديانة اليهودية في مهدها الاول لم تمن بخلود الروح ولم تذكره بحرف ، وما نشأ فيها ذلك الا بعد دخولها في دور جديد في الاجيال التالية

وكانت الفلسفة العقلية تشايع هذه الاديان وتوافقها على اعتبار الموت حالة انتقالية من عالم الي عالم ، فكان فيثاغورس وافلاطون وارسطو من أقطاب هذه الفلسفة . ولكن نشأ بجانبهم مفكرون آخرون كانوا يذهبون غير هذا المذهب ويعتبرون الموت نهاية الحياة منكرين كل وجود وراء هذا الوجود المحسوس فكان الصراع شديداً بين هذين المذهبين حتى جاءت الفلسفة الحسية في أوروبا منذ القرن السادس عشر فنصرت ملحدة الفلسفة اليونانية وأخذت في مناقضة الديانات ومكافحتها وكاد يتم لها الغلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر لولا ان الخالق الذى خلق الموت والحياة وقدر لكل منهما دائرة من الوجود لم يُرد أن يضل الناس ضلالا نهائيا ففتح للمستبصرين بابا الي عالم الروح ظهرت بظهور التنويم المغناطيسي والمباحث الروحية التجريبية المسماة بالاسبرتزم فكانت سداً منيعاً دون غلبة المذهب المادى فوقف حيث وصل اليه ، ثم اضطر النكوص على عقبه أمام المشاهدات المحسوسة التى كانت تتالي تتالي الغيث الدافق بواسطة علماء من أولي العزم أمثال الاساتذة الاعلين وليم كروكس الكيماوى وروسل ولاس الفزيولوجي واولفرلودج الطبيعى وباركس الجيولوجي وفارلى الكهربائي وغيرهم من الانجليز ، والدكتوران اوليفييه وجيبيه والاستاذان شارل ريشيه وكاميل فلامريون وغيرهم من الفرنسيين ، والعلماء الكبار زولنر وفيشنر وويبر والتريسي وغيرهم من الالمان ، والجهابذة مابس وهار وهزلوب وادمون والبوت وسواهم من الامريكان وغيرهم ممن لا يحصون كثرة فأثبتوا ان الموت ليس هو الا حالة انتقال من حياة أرضية ضيقة مشوبة بالاكدار ، الى حياة علوية راقية حافلة بأنواع الجمال ، وكتبوا في ذلك كتبا ومباحث نقلنا بعضها هنا في كلمة

روح وسننشر غيرها في كلمة نوم مغناطيسي ونشرنا مقدارا كبيرا منها في مجلة الحياة وسنوالي نشر هذه المباحث كلما سنحت الفرصة لانها اكبر معول يستخدمه حماة الحياة لهدم تعاليم الالحاد واخراس الملحدين الذين قنعوا من الجهاد العلمي بان يكونوا رسل الفناء ، ونذر التلاشي والثبور ، وما دروا أن مذهبهم هذا لو صح لكان أحسن ما يفعله الغيور المحب لخيره وخير ذويه أن يأتي بنفسه من خالق تخلصا من هذه الحياة المشوبة بالاكدار ، او يقذف نفسه بين احضان البهيمية منغمسا في حمأة الشهوات والملاذ البدنية حتى ينتهي وجوده على ما لا ينفق ومصلحته ومصلحة العائشين معه في صعيد واحد . ولكن الله جلت قدرته لم يترك لهؤلاء النذر المشؤومين مجالا يجولون فيه بعد ظهور هذا النور العلوى فقبعوا حيث هم يتحينون الفرص لنفث سمومهم في الاذهان ، وهيهات «جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد»

(الخوف من الموت) يتخذ القائلون بخلود الروح اعتماداً على الادلة العقلية الخوف من الموت وحب الخلود من الادلة على بقاء الروح بعد الموت قائلين ان الخالق جلت قدرته لم يكن ليوجد هذا الحب للخلود عبثاً ، فلو لم يكن الخلود مقدرا للروح لما شعرت به ، ولو شعرت به لما مالت اليه ، فميلها اليه هذا الميل الشديد وذعرها من الفناء الذعر العظيم من الادلة القاطعة على أنه مقدر لها لا محالة والا فان هذا الشعور منها يكون جزافا والجزاف لا يصح أن يوجد في صنع الله ولا في صنع النواميس الحكيمة التي تقود هذا الوجود

هذه بعض حجج الفلاسفة العقليين ولكن الفلاسفة الماديين كانوا يردون عليهم بأن الخلود هوى من اهواء النفس لا يرتكز على حقيقة وان الذعر من الموت لا يكون الا في الادوار التي لا يحسن الموت فيها من عمر الانسان ولكنه متي بلغ العمر غايته وجد الانسان في نفسه نزوعا الي الراحة الابدية فضعف حبه للحياة وتمنى الموت كما يتمنى المتعب النوم وفقد الاحساس الي حين . ولكن

أعتراف كبار المفكرين وأقطاب العلماء الذين بلغوا الشيخوخة ينقض هذا الزعم فقد أجمعوا علي أنهم يخافون الموت ويحبون الخلود ولا يرغبون في تلك الحالة التي يذهب فيها الشعور ويتلاشي معها الادراك

من هذه الاعترافات ما كتبه الفيلسوف الفرنسي الكبير شارل رنوفييه قبل موته بأيام وقد بلغ من العمر ٨٨ سنة قال :

«اني لا اجهل حالي اليوم وأعلم اني ميت بعد اسبوع أو اسبوعين وفي نفسي أشياء احب أن أقولها تمس موضوع فلسفتنا. ولا يحق لانسان وهو في مثل سني ان يفكر في شيء لان الايام بل الساعات التي بقيت له أصبحت معدودة فيجب علينا الاذعان لما هو واقع.

«اني اموت ولكن ليس بدون أسف، وآسف خصوصا لاني لا أعرف ما ستؤول اليه اصولي. سأزول قبل أن أقول كلمتي الاخيرة، وكل انسان يموت قبل أن يكمل عمله وهذا منتهي درجات الشقاء في هذه الحياة

«عند ما يكون الانسان شيخا كبيراً وقد اعتاد الحياة يصعب عليه كثيراً أن يموت، وأرى ان الشبان اكثر خضوعا للموت من الشيوخ. فانه عند ما يجوز الانسان الثمانين يصبح جبانا و يكره ان يموت ومتى تحقق دنو أجله تحزن نفسه وتتململ. وقد درست هذه المسألة من كل وجوهها وراجعت في ذهني مراراً علي بدنوا أجلي ومع ذلك لم اتمكن من أن اقنع نفسي بأني ميت بعد قليل. ليس الذي يهلع في من الموت هو الفيلسوف لان الفيلسوف يصح ان يهاب الموت، بل الرجل القديم هو الذي يهابه. فهذا الرجل لاشجاعة فيه ليذعن، مع انه يجب أن يذعن لما لا مناص له منه» انتهى

قال الاستاذ متشنيكوف خليفة العلامة استور البكتريولوجي المشهور والبحاث في الهرم وأسبابه: «نعرف امرأة عمرها مئة سنة وسنتان وكانت تخاف كثيراً من الموت حتى اضطر أقاربها أن يكتموا عنها موت أي كان من معارفها واما مدام روبينو فلم تكن تتأثر من ذكر الموت القريب وهي بين ١٠٤ و١٠٥ سنين من عمرها وكانت تظهر غالبا ميلا اليه لانها كانت تحس أنها لا نفع منها في هذا العالم»

نقول لعل عدم اكتراث مدام روبينو بالموت كان ناشئاً من عقيدتها بالخلود ولم يذكر الاستاذ متشنيكوف اذا كانت متدينة أم ملحدة

الخلاصة ان الخوف من الموت عام لان الموت اذا فهم بمعنى الفناء قبيح منكر وكل قبيح منكر مكروه ببداهة العقل. واذا وجد من الشيوخ من يملون الحياة ويتمنون الموت فما ذلك الا لشدة مايقاسونه في هذا العالم من آلات الهرم. كما قال أبو الطيب المتنبي

واذا الشيخ قال أف فما مل
حياة وانما الضعف ملا

آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى

وقد جاءت المباحث النفسية اليوم مثبتة بالتجارب وجود الروح وخلودها وقيام الارواح بأجسادها اللطيفة في عالم وراء هذا العالم بعد أن تتجرد من هذا الغلاف الطبني الثقيل

وقد وقفنا علي رسالة كتبها العلامة الفيلسوف ابن مسكويه في علاج الخوف من الموت نذكرها هنا بنصها لفائدتها، قال رحمه الله تعالي :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

«الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته علي محمد وآله الطاهرين

«لما كان أعظم مايلحق الانسان من الخوف هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب أن أقول: ان الخوف من الموت ليس يعرض الالمن لا يدرى ما الموت علي الحقيقة؛ أولا يعلم الي أين تصير نفسه أو لأنه يظن اذا انحل و بطل تركيبه فقد انحل ذاته و بطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى بعده كان هو موجوداً أو ليس هو موجوداً كما يظنه من جهل بقاء النفس وكيفية معادها، أو لانه يظن ان للموت ألما عظيما غير ألم الامراض التي ربما تقدمته وأدت اليه وكانت سبب حلوله، او لأنه يعتقد أن عقوبة تحل به بعد الموت، أو لأنه متحير لا يدرى الي أى شيء يقدم بعد الموت، او لأنه يأسف علي ما يخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها

«أما من جهل الموت ولم يدر ما هو فأنا أبين له ان الموت ليس بشيء أكثر

من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الاعضاء التي مجموعها يسمي بدنا كما يترك الصانع مثلا استعمال آلاته. فان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير فاسدة وهذا البيان يحتاج الي علوم تتقدمه وذلك مبين مشروح في موضعه. فاذا فارق الجوهر البدن بقي البقاء الذي يخصه ونقي من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة، ولا سبيل الي فنائه وعدمه. فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا تبطل ذاته، وانما تبطل الاعراض والخواص والنسب والاضافات التي بينه وبين الاجسام باضدادها. فأما الجوهر فلا ضد له وكل شيء يفسد فانما يفسد من ضده. وأنت ان تأملت الجوهر الجسماني الذي هو أخس من ذلك الجوهر الكريم واستقرأت حاله وجدته غير فان ولا يتلاشي من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شيء شيء منه وأعراضه. فأما الجوهر نفسه فهو باق ولا سبيل الى عدمه وبطلانه. أما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالة ولا تغيراً في ذاته وانما يقبل كمالاته وتمام صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي؟

«أما من يخاف الموت لانه لا يعلم الي اين تصير نفسه، أو لانه يظن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية السعادة فليس يخاف الموت علي الحقيقة وانما يجهل ما ينبغي ان يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف. وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء علي طلب العلم والتعب فيه وتركوا لاجله لذات الجسم وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر ورأوا أن الراحة الحقيقية التي يستراح بها من الجهل هي الراحة بالحقيقة وأن التعب الحقيقي هو لقب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة أبدية. فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا به وهجموا علي حقيقته ووصلوا الي الروح والراحة، هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة الخسيسة والمطالب التي تؤدي اليها. اذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء، كثيرة الهموم اذا وجدت، عظيمة

الغموم اذا فقدت، فاقتصروا فيها علي المقدار الضروري في الحياة وتركوا من فضول العيش التي فيها ما ذكرت من العيوب وما لم اذكره ولانها مع ذلك بلا نهاية. وذلك ان الانسان اذا بلغ منها غاية تداعت الي غاية أخرى من غير وقوف علي حد ولا انتهاء الي أمد. وهذا هو الموت لا مخافة منه والحرص عليه هو الحرص علي الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل. ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان موت ارادي وموت طبيعي وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبيعية وعنوا بالموت الارادي اماتة الشهوات وترك التعرض لها، وعنوا بالحياة الارادية ما يسعي لها الانسان في الحياة الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات، وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدي في الغبطة الابدية بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهل، ولذلك وصى افلاطون الحكيم طالب الحكمة بأن قال له:

مُت بالارادة تحي بالطبيعة

«علي أن من خاف الموت الطبيعي من الانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجوه وذلك أن هذا الموت هو حد الانسان لانه حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الي افقه الاعلي. ومن علم أن كل شيء مركب من حده وحده مركب من جنسه وفصله، وان جنس الانسان هو الحي وفصوله هو الناطق والمائت، علم انه مستحيل الى جنسه وفصوله لان كل مركب لا محالة يستحيل الي الشيء الذي منه تركب فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته، ومن أسوأ حالا ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه؟ وذلك ان الناقص اذا خاف أن يتم فقد حل من نفسه علي غاية الجهل. فاذن يجب علي العاقل أن يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه الذي يأمن به الوقوع في الاسر لا من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً ويثق بأن الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاص نقاء وصفو لا خلاص مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته وقرب من بارئه وفاز بجوار رب العالمين وخالطه بين الارواح الطيبة من أشكاله وأشباهه ونجا من اضداده وأغياره. من ها هنا

تعلم أن من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والالم من ذاتها وجوهرها سالكة الي ابعد جهاتها من مستقرها طالبة قرارها ولا قرار لها

« أما من يظن ان للموت ألما عظيما غير ألم الامراض التى ربما تقدمته وادت اليه فقد ظن ظنا كاذبا لان الالم انما يكون للحي والحي هو القابل اثر النفس وأما الجسم الذى ليس فيه اثر النفس فأنه لا يألم ولا يحس فاذن الموت الذى هو مفارقة النفس البدن لا يألم له لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحصول اثرها فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه النفس فلا حس له ولا ألم فقد تبين أن الموت حال البدن غير محسوس ولا مؤلم فانه كان يحس ويألم به

« وأما من خاف الموت لاجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق منه بعد الموت فهو لا محالة يعترف بذنوب وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبته على ذنب وجب عليه ان يحترز ذلك الذنب ويجتنبه والافعال الرديئة التي تسمي ذنوبا انما تصدر عن هيئات رديئة والافعال الرديئة هي الرذائل التي أحصيناها وذكرنا أضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الوجوه وهذه الجملة هو جاهل ما ينبغي أن يخاف منه وخائف مما لا أثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك طريقا مستقيما الي غرض أفضي اليه لا محاله وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستيقن في دينه المستكمل بحكمته

« وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وانما يحزن على ما يخلفه من أهل وولد ومال ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي أن يبين له أن الحزن لاجل ألم ومكروه على ما لا يجدى عليه الحزن طائلا وان الانسان من جملة الامور الكائنة وكل كائن فاسد لا محالة فمن أحب ان لا يفسد فقد أحب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد أحب

فساد ذاته وكأنه يجب أن يفسد وأن لا يفسد ويجب أن يكون وألا يكون وهذا محال

« وأيضا لو جاز أن يبقي الانسان لبقي من كان قبلنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وأنت تتبين ذلك مما أقول : ترى لو أن رجلا واحداً ممن كان منذ أربعمائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن يحصي أولاده الموجودين كأمير المؤمنين علي رضي الله تعالي عنه . ثم ولد له أولاد ولأولاده اولاد وبقي كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا ؟ فانك تجد اكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك ان بقيتهم الآن مع ما أصابهم من الموت والقتل اكثر من مائة الف رجل . واحسب كل من في ذلك العصر كذلك فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة. ثم امسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم ان الارض لا تسعهم قياما متراصين فكيف قعوداً أو متفرقين ولا يبقي موضع لعمارة تفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد وذلك في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان ؟

« فهذه حال من يتمنى الحياة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن من الجهل . فاذن الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذى لا معدل عنه وهو غاية الجود الذى ليس وراءه غاية . فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه فالموت اذن ليس برديء وانما الرديء هو الخوف منه فالخائف منه هو الجاهل به وبذاته وحقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن . وهو ليس فساداً للنفس وانما هو فساد التركيب

« فأما جوهر النفس الذى هو ذات الانسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم فيلزم فيه ما لزم في الاجسام بل لا يلزم شيء من أعراض الاجسام أى لا يتزاحم في المكان لانه لا يحتاج الي مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائه عن الزمان وانما استفاد هذا الجوهر بالحواس والاجسام كمالا . فاذا كمل بهما ثم تخلص منهما صار الي عالمه الشريف القريب الى بارئه ومنشئه عز

وجل . والرجل الذى يتصدق من أخيه الميت ويقتضي عنه الدين يمسه بذلك الميت وذلك ان النفس ان كانت واحدة كما زعم جماعة فالمتصدق نفسه وتلك الاخرى وسائرها شيء واحد وان كانت غير واحدة فلا ينفصل المتصدق ذلك الفصل الا بمشاكلة تلك النفس وعلي هذا أيضاً شبه بشيء واحد والسلام

« تمت الرسالة والحمد لله وحده وصلي الله علي من لا نبي بعده وآله وصحبه وسلم

﴿ الصلاة علي الميت ﴾ هي فرض كفاية وعن أصبغ من أصحاب مالك أنها سنة والصلاة علي الميت في المسجد جائزة اتفاقا وهي غير مكروهة فيه عند الشافعي واحمد ، وقال أبو حنيفة ومالك بكراهتها

ومن شرط الصلاة علي الميت الطهارة وقال محمد بن جرير الطبرى تجوز بغير طهارة

وأجمع الائمة علي ان الاستغفار والدعاء والصدقة والحج والعتق تنفع الميت وقراءة القرآن عند القبر مستحبة وكرهها أبو حنيفة . والمشهور من مذهب الشافعي ان لا يصل الى الميت من ثواب القراءة

ونرى ان ننقل هنا كل ما كتبه الفيلسوف الكبير ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد في احكام الميت فقد جمع كل ما يجب ان يعلم في هذا الباب بعبارات غاية في البيان قال رحمه الله :

﴿ كتاب احكام الميت ﴾

والكلام في هذا الكتاب وهي حقوق الاموات علي الاحياء ينقسم الي ست جمل . الجملة الاولى فيما يستحب ان يفعل به عند الاحتضار و بعده . والثانية في غسله . والثالثة في تكفينه . والرابعة في حمله واتباعه . والخامسة في الصلاة عليه . والسادسة في دفنه

﴿ الباب الاول ﴾

ويستحب ان يلقن الميت عند الموت شهادة ان لا إله الا الله لقوله عليه الصلاة والسلام لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله ، وقوله من كان آخر قوله لا اله الا الله دخل الجنة . واختلفوا في استحباب توجيهه الي القبلة فرأى ذلك قوم ولم يره آخرون . روى عن مالك انه قال في التوجيه ماهو من الامر القديم

وروى عن سعيد بن المسيب انه أنكر ذلك . ولم يرو ذلك عن أحد من الصحابة ولا من التابعين أعنى الامر بالتوجيه . فاذا قضى الميت غمض عينه ويستحب تعجيل دفنه لورود الآثار بذلك الا الغريق فانه يستحب في المذهب تأخير دفنه مخافة أن يكون الماء قد غمره فلم تتبين حياته . قال القاضى واذا قيل هذا في الغريق فهو أولى في كثير من المرضى مثل الذين يصيبهم انطباق العروق وغير ذلك مما هو معروف عند الاطباء حتى لقد قال الاطباء ان المسكوتين لا ينبغي أن يدفنوا الا بعد ثلاث

﴿ الباب الثاني في غسل الميت ﴾

ويتعلق بهذا الباب فصول أربعة منها في حكم الغسل ومنها فيمن يجب غسله من الموتي ومن يجوز أن يغسل وما حكم الغاسل ومنها في صفة الغسل

(الفصل الاول)

فأما حكم الغسل فانه قيل فيه انه فرض علي الكفاية وقيل سنة علي الكفاية والقولان كلاهما في المذهب والسبب في ذلك انه نقل بالعمل لا بالقول والعمل ليس له صيغة تفهم الوجوب او لا تفهمه وقد احتج عبد الوهاب لوجوبه بقوله عليه الصلاة والسلام في ابنته اغسلنها ثلاثا أو خمساً وبقوله في المحرم اغسلوه فمن رأى ان هذا القول خرج مخرج تعليم لصفة الغسل لا مخرج الامر به لم يقل بوجوبه ومن رأى انه يتضمن الامر والصفة قال بوجوبه

﴿ الفصل الثاني ﴾

وأما الاموات الذين يجب غسلهم فانهم اتفقوا من ذلك علي غسل الميت المسلم الذى لم يقتل في معترك حرب الكفار واختلفوا في غسل الشهيد وفي الصلاة عليه وفي غسل المشرك . فأما الشهيد أعنى الذى قتله في المعترك المشركون فان الجمهور علي ترك غسله لما روى ان رسول الله صلي الله عليه وسلم أمر بقتلي أُحُد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم . وكان الحسن وسعيد بن المسيب يقولان بغسل كل مسلم فان كل ميت يجنب ولعلهم كانوا يرون ان ما فعل بقتلي أحد كان لموضع الضرورة أعنى المشقة في غسلهم وقال بقولهم من فقهاء الامصار عبيد الله ابن الحسن العنبرى . وسئل أبو عمر فيما حكي ابن المنذر عن غسل الشهيد فقال قد غسل

عمر وكفن وحنط وصلي عليه وكان شهيداً يرحمه الله . واختلف الذين اتفقوا هل أن الشهيد في حرب المشركين لا يغسل في الشهداء من قتل اللصوص أو غير أهل الشرك فقال الاوزاعي واحمد وجماعة حكمهم حكم من قتله أهل وقال مالك والشافعي يغسل . وسبب اختلافهم هو هل الموجب لرفع حكم الغسل هي الشهادة مطلقا أو الشهادة علي ايدى الكفار فمن رأى ان سبب ذلك هي الشهادة مطلقا قال لا يغسل كل من نص عليه النبي عليه الصلاة والسلام انه شهيد ممن قتل. ومن رأى ان سبب ذلك هي الشهادة من الكفار قصر ذلك عليهم

وأما غسل المسلم الكافر فكان مالك يقول لا يغسل المسلم والده الكافر ولا يقبره الا ان يخاف ضياعه فيواريه. وقال الشافعي لا بأس ان يغسل المسلم قرابته من المشركين ودفنهم . وبه قال ابو ثور وأبو حنيفة واصحابه. قال ابو بكر بن المنذر ليس في غسل الميت المشرك سنة تتبع . وقد روى ان النبي عليه الصلاة والسلام امر بغسل عمه لما مات . وسبب الخلاف هل الغسل من باب العبادة أو من باب النظافة فان كانت عبادة لم يجز غسل الكافر وأن كانت نظافة جاز غسله

﴿ الفصل الثالث ﴾

واما من يجوز أن يغسل الميت فانهم اتفقوا علي ان الرجال يغسلون الرجال والنساء يغسلن النساء واختلفوا في المرأة تموت مع الرجال أو الرجل يموت مع النساء ما لم يكونا زوجين علي ثلاثة اقوال فقال قوم يغسل كل واحد منهما صاحبه من فوق الثياب وقال قوم ييمم كل منهما صاحبه وبه قال الشافعي وابو حنيفة وجمهور العلماء . وقال قوم لا يغسل واحد منهما صاحبه ولا ييممه وبه قال الليث بن سعد بل يدفن من غير غسل. وسبب اختلافهم هو الترجيح بين تغلب النهي علي الامر أو الأمر علي النهي وذلك ان الغسل مأمور به ، ونظر الرجل الى بدن المرأة والمرأة الي بدن الرجل منهي عنه فمن غلب النهي تغليبا مطلقا اعنى لم يقس الميت علي الحي في كون طهارة التراب له بدلا من طهارة الماء عند تعذرها قال لا يغسل الواحد منهما صاحبه ولا ييممه ومن غلب الامر علي النهي قال يغسل كل واحد منهما صاحبه أعنى غلب

الامر علي النهي تغليباً مطلقاً ومن ذهب الى التيمم فلأنه رأى أنه لا يلحق الامر والنهي في ذلك تعارض وذلك ان النظر الي مواضع التيمم يجوز لكلا الصنفين ولذلك رأى مالك ان ييمم الرجل المرأة في يديها ووجهها فقط لكون ذلك منها ليسا بعورة وان تيمم المرأة الرجل الي المرفقين لانه ليس من الرجل عورة الا من السرة الي الركبة علي مذهبه فكان الضرورة التى نقلت الميت من الغسل الي التيمم عند من قال به هى تعارض الامر والنهي فكانه شبه هذه الضرورة بالضرورة التى يجوز معها للحي التيمم وهو تشبيه فيه بعد ولكن عليه الجمهور . فأما مالك فاختلف قوله في هذه المسئلة فمرة قال ييمم كل واحد منهما صاحبه قولا مطلقا ومرة فرق في ذلك بين ذوى المحارم وغيرهم ومرة فرق في ذوى المحارم بين الرجال والنساء فيتحصل عنه ان له في ذوى المحارم ثلاثة أقوال اشهرها انه يغسل كل واحد منهما صاحبه علي الثياب والثاني انه لا يغسل أحدهما صاحبه لكن ييممه مثل قول الجمهور في غير ذوى المحارم والثالث الفرق بين الرجال والنساء اعنى تغسل المرأة الرجل ولا يغسل الرجل المرأة فسبب المنع ان كل واحد منهما لا يحل له أن ينظر الي موضع الغسل من صاحبه كالأجانب سواء وسبب الاباحة أنه موضع ضرورة وهم أعذر في ذلك من الاجنبي وسبب الفرق ان نظر الرجال الي النساء أغلظ من نظر النساء الى الرجال بدليل ان النساء حجبن عن نظر الرجال اليهن ولم يحجب الرجال عن النساء وأجمعوا من هذا الباب علي جواز غسل المرأة زوجها واختلفوا في جواز غسله اياها فالجمهور علي جواز ذلك وقال أبو حنيفة لا يجوز غسل الرجل زوجته وسبب اختلافهم هو تشبيه الموت بالطلاق فمن شبهه بالطلاق قال لا يحل أن ينظر اليها بعد الموت ، ومن لم يشبهه بالطلاق وهم الجمهور قال ان ما يحل له من النظر اليها قبل الموت يحل له بعد الموت ، وانما دعا أبا حنيفة أن يشبه الموت بالطلاق لانه رأى انه اذا ماتت احدى الاختين حل له نكاح الأخرى كالحال فيها اذا طلقت . وهذا فيه بعد فأن علة منع الجمع مرتفعة بين الحي والميت ولذلك حلت الا أن يقال ان علة منع الجمع غير معقولة

وان منع الجمع بين الاختين عبادة محضة غير معقولة المعنى فيقوى حينئذ مذهب ابي حنيفة وكذلك اجمعوا علي ان المطلقة المبتوتة لا تغسل زوجها واختلفوا في الرجعية فروى عن مالك انها تغسله وبه قال أبو حنيفة وأصحابه

وقال ابن القاسم لاتغسله وان كان الطلاق رجعيا وهو قياس قول مالك لانه ليس يجوز عنده ان يراها وبه قال الشافعي وسبب أختلافهم هو هل يحل الزوج أن ينظر الي الرجعية اولا ينظر اليها وأما حكم الغاسل فانهم اختلفوا فيما يجب عليه فقال قوم من غسل ميتاً وجب عليه الغسل وقال قوم لا غسل عليه وسبب اختلافهم معارضة حديث ابي هريرة لحديث اسماء وذلك أن ابا هريرة روى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال من غسل ميتاً فليغتسل ومن حمله فليتوضأ خرجه ابوداود وأما حديث اسماء فانها لما غسلت ابا بكر رضي الله عنه خرجت فسألت من حضرها من المهاجرين والانصار وقالت اني صائمة وأن هذا يوم شديد البرد فهل علي من غسل؟ قالوا لا. وحديث اسماء في هذا صحيح وأما حديث ابي هريرة فهو عنـد أكثر اهل العلم فيما حكي ابو عمر و غير صحيح لـكن حديث اسماء ليس فيه في الحقيقة معارضـة له فان من انكر الشيء يحتمل أن يكون ذلك لانه لم تبلغه السنة في ذلك الشيء وسؤال أسماء والله أعلم يدل علي الخلاف في ذلك في الصدر الاول ولهذا كله قال الشافعي رضي الله عنه علي عادته في الاحتيـاط والالتفات الي الاثر لا غسل علي من غسل الميت ان يثبت حديث ابي هريرة

﴿ الفصل الرابع في صفة الغسل ﴾

وفي هذا الفصل مسائل احداها هل ينزع عن الميت قميصه اذا غسـل ام يغسل في قميصه ؟ اختلفوا في ذلك فقال مالك اذا غسل الميت تنزع ثيابه وتسـتر عورته وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يغسل في قميصه. وسبب اختلافهم تردد غسله عليه الصلاة والسلام في قميصه بين أن يكون خاصا به وبين أن يكون سنة فمن رأى انه خاص به وانه لايحرم من النظر الي الميت الا ما يحرم منه وهوحي قال يغسل عريان الا عورته فقط التي يحرم النظر اليها في حال الحياة ومن رأى أن ذلك سنة يستند الي باب الاجماع أوالى

الامر الالهي لانه روى في الحديث انهم سمعوا صوتا يقول لهم لاتنزعوا القميص وقد القي عليهم النوم قال الافضل ان يغسل الميت في قميصه

(المسئلة الثانية)

قال ابو حنيفة لايوضأ الميـت وقال الشافعي يوضأ ، وقال مالك ان وضي فحسن. وسبب الخلاف في ذلك ، معارضة القياس للاثر وذلك أن القياس يقتضي الاوضوء على الميت لان الوضوء طهارة مفروضة لموضع العبادة واذا سقطت العبادة عن الميت سـقط شرطها الذى هو الوضوء ولولا أن الغسل ورد في الآثار لما وجب غسـله . وظاهر حديث ام عطية الثابت ان الوضوء شرط في غسـل الميت لان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فيه في غسل ابنته ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها وهذه الزيادة ثابتة خرجها البخارى ومسلم ولذلك ليس يجب أن تعارض بالروايات التي فيها الغسل مطلقا لان المقيد يقضي علي المطلق اذ فيه زيادة علي ماجراه كثير من الناس ويشبه ايضا ان يكون من اسباب الخلاف في ذلك معارضة المطلق للمقيد وذلك انه وردت آثار كثيرة فيها الامر بالغسـل مطلقا من غير ذكروضوء فيها فهؤلاء رجحوا الاطلاق عل التقييد لمعارضة القياس له في هذا الموضع والشافعي جرى على الاصل من حمل المطلق علي المقيد

(المسئلة الثانية)

اختلفوا في التوقيت في الغسل فمنهم من اوجبه ومنهم من استحسنه واستحبه والذين اوجبوا التوقيت منهم من اوجب الوتر اى وتر كان و به قال ابن سيرين ومنهم من اوجب الثلاثة فقط وهو ابو حنيفة ومنهم من حد أقل الوتر في ذلك لاينقص عن الثلاثة ولم يحد الاكثر وهو الشافعي .ومنهم من حد الاكثر في ذلك فقال لايتجاوز به السبعة وهو احمد ابن حنبل . وممن قال باستحباب الوتر ولم يحد فيه حداً مالك بن أنس وأصحابه وسبب الخلاف بين من شرط التوقيت ومن لم يشترطه بل استحبه معارضة القياس للاثر وذلك ان ظاهر حديث ام عطية يقتضي التوقيت لان فيه أغسلنها ثلاثا او خمسا او اكثر من ذلك ان رأيتن وفي بعض رواياته او سبعا واما قياس الميت على الحي في الطهارة فيقتضي ان لاتوقيت فيها كما ليس في طهارة الحي توقيت فمن رجح

الاثر على النظر قال بالتوقيت ومن رأى الجمع بين الاثر والنظر حمل التوقيت على الاستحباب واما الذين اختلفوا فى التوقيت فسبب اختلافهم اختلاف الفاظ الروايات فى ذلك عن ام عطية . اما الشافعي فانه رأى ان لاينقص عن ثلاثة لانه أقل وتر نطق به في حديث ام عطية ورأى أن ما فوق ذلك مباح لقوله عليه الصلاة والسلام او اكثر من ذلك ان رأيتن . واما احمد فأخذ بأكثر وتر نطق به فى بعض روايات الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام او سبعا . واما ابو حنيفة فصار في قصره الوتر على الثلاث لما روى عن محمد بن سيرين كان يأخذ الغسل عن أم عطية ثلاثا يغسل بالسدر مرتين والثالثة بالماء والكافور وايضا فان الوتر الشرعي عنده انما ينطبق على الثلاث فقط . وكان مالك يستحب ان يغسل في الاولى بالماء القراح وفي الثانية بالسدر والماء وفى الثالثة بالماء والكافور واختلفوا اذا خرج من بطنه حدث هل يعاد غسله أم لا فقيل لا يعاد وبه قال مالك وقيل يعاد والذين رأوا انه يعاد اختلفوا في العدد الذى تجب به الاعادة ان تكرر خروج الحدث فقيل يعاد الغسل عليه واحدة وبه قال الشافعي وقيل يعاد ثلاثا وقيل يعاد سبعا واجمعوا على انه لا يزاد على السبع شيء واختلفوا في تقليم اظفار الميت والاخذ من شعره فقال قوم تقلم أظفاره ويؤخذ منه وقال قوم لا تقلم أظفاره ولا يؤخذ من شعره وليس فيه اثر

واما سبب الخلاف في ذلك الخلاف الواقع في ذلك الصدر الاول ويشبه أن يكون سبب الخلاف في ذلك قياس الميت على الحى فمن قاسه اوجب تقليم الاظفار وحلق العانة لانها من سنة الحي باتفاق وكذلك اختلفوا في عصر بطنه قبل ان يغسل فمنهم من رأى ذلك ومنهم من لم يره فمن رآه رأى ان فيه ضربا من الاستنقاء من الحدث عند ابتداء الطهارة وهو مطلوب من الميت كما هو من الحى ومن لم ير ذلك رأى انه من باب تكليف مالم يشرع وان الحي في ذلك بخلاف الميت

﴿ الباب الثالث في الاكفان ﴾

والاصل في هذا الباب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . وخرج ابوداود عن ليلى بنت قائف الثقفية قالت كنت فيمن غسل ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول من اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقو ثم الدرع ثم الخمار ثم الملحفة ثم ادرجت بعد في الثوب الآخر قالت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس عند الباب معه اكفانها يناولناها ثوبا ثوبا ، فمن العلماء من أخذ بظاهر هذين الاثرين فقال يكفن الرجل في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة أثواب . وبه قال الشافعي وأحمد وجماعة وقال أبو حنيفة أقل ما تكفن فيه المرأة ثلاثة أثواب والسنة خمسة أثواب وأقل ما يكفن فيه الرجل ثوبان والسنة فيه ثلاثة أثواب . ورأى مالك انه لا حد في ذلك وانه يجزيه ثوب واحد فيهما الا انه يستحب الوتر . وسبب اختلافهم في التوقيت اختلافهم في مفهوم هذين الاثرين فمن فهم منهما الاباحة لم يقل بتوقيت الا أنه استحب الوتر لاتفاقهما في الوتر ولم يفرق في ذلك بين المرأة والرجل وكأنه فهم منها الاباحة الا في التوقيت فانه فهم منه شرعيا لمناسبته للشرع ومن فهم من العدد انه شرع لا اباحة قال بالتوقيت إما على جهة الوجوب واما على جهة الاستحباب وكله واسع ان شاء الله ليس فيه شرع محدود ولعله تكلف شرع فيما ليس فيه شرع وقد كفن مصعب بن عمير يوم أحد بنمرة فكانوا اذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه واذا غطوا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر واتفقوا على أن الميت يغطي رأسه ويطيب الا المحرم اذا مات في احرامه فانهم اختلفوا فيه . فقال مالك وأبو حنيفة المحرم بمنزلة غير المحرم . وقال الشافعي لا يغطي رأس المحرم اذا مات ولا يمس طيبا . وسبب اختلافهم معارضة العموم للخصوص فأما الخصوص فهو حديث ابن عباس قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته فمات وهو محرم فقال كفنوه في ثوبين واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا رأسه ولا تقربوه طيباً فانه يبعث يوم القيامة يلبي . وأما العموم فهو ما ورد من الامر بالغسل مطلقا فمن خص من الاموات المحرم بهذا الحديث كتخصيص الشهداء بقتلى أحد جعل الحكم منه عليه الصلاة والسلام على الواحد حكما على الجميع وقال لا يغطي رأس المحرم ولا يمس طيباً

ومن ذهب مذهب الجمع لا مذهب الاستثناء والتخصيص قال حديث الاعرابي خاص به لا يعدى الي غيره

﴿ الباب الرابع ﴾

(في صفة المشي مع الجنازة)

واختلفوا في سنة المشي مع الجنازة فذهب اهل المدينة الي ان من سنتها المشي امامها . وقال الكوفيون ابو حنيفة واصحابه وسائرهم ان المشي خلفها افضل وسبب اختلافهم اختلاف الآثار التي روى كل واحد من الفريقين عن سلفه وعمل به . فروى مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام مرسلا المشي امام الجنازة وعن ابي بكر وعمر وبه قال الشافعي . واخذ اهل الكوفة بما رووا عن علي بن ابي طالب من طريق عبد الرحمن بن ابزى قال كنت امشي مع علي في جنازة وهو آخذ بيدي وهو يمشي خلفها وابو بكر وعمر يمشيان اما بها فقلت له في ذلك فقال ان فضل الماشي خلفها على الماشي امامها كفضل صلاة المكتوبة على صلاة النافلة وانهما ليعلمان ذلك ولكنهما سهلان يسهلان على الناس . وروى عنه رضي الله عنه انه قال قدمها بين يديك واجعلها نصب عينيك فانما هي موعظة وتذكرة وعبرة ، وبما روى ايضاً عن ابن مسعود انه كان يقول سألنا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن السير مع الجنازة فقال الجنازة متبوعة وليست بتابعة وليس معها من يقدمها . وحديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الراكب يمشي أمام الجنازة والمشي خلفها وامامها وعن يمينها ويسارها قريباً منها وحديث ابي هريرة ايضاً في هذا المعنى قال امشوا خلف الجنازة ، وهذه الاحاديث صار اليها الكوفيون وهي احاديث يصححونها ويضعفها غيرهم

واكثر العلماء على ان القيام الي الجنازة منسوخ بما روى مالك من حديث علي ابن ابي طالب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقوم في الجنائز ثم جلس . وذهب قوم الي وجوب القيام تمسكوا في ذلك بما روى من امره صلي الله عليه وسلم بالقيام لها كحديث عامر بن ربيعة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا رأيتم الجنائز فقوموا اليها حتى تخلفكم او توضع ، واختلف الذين رأوا ان القيام منسوخ في القيام على القبر في وقت الدفن

فبعضهم رأى انه لم يدخل تحت النهي وبعضهم رأى انه داخل تحت النهي على ظاهر اللفظ ومن أخرجه من ذلك احتج بفعل علي في ذلك وذلك انه روى النسخ وقام على قبر ابن المكفف فقيل له ألا تجلس يا أمير المؤمنين فقال قليل لاخينا قيامنا على قبره

﴿ الباب الخامس ﴾

(في الصلاة على الجنازة)

وهذه الجملة يتعلق بها بعد معرفة وجوبها فصول أحدها في صفة صلاة الجنازة والثاني على من يصلي ومن أولي بالصلاة والثالث في وقت هذه الصلاة والرابع في موضع هذه الصلاة والخامس في شروط هذه الصلاة

﴿ الفصل الاول ﴾

وأما صفة الصلاة فانها يتعلق بها مسائل :

(المسئلة الاولي)

اختلفوا في عدد التكبير في الصدر الاول اختلافاً كثيراً من ثلاث الى سبع أعني الصحابة رضي الله عنهم ولكن فقهاء الامصار على ان التكبير في الجنازة اربع الا ابن ابي ليلي وجابر بن زيد فانهما كانا يقولان انها خمس وسبب الاختلاف اختلاف الآثار في ذلك وذلك انه روى من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات وهو حديث متفق على صحته ولذلك أخذ به جمهور فقهاء الامصار . وجاء في هذا المعنى أيضا من انه عليه الصلاة والسلام صلى على قبر مسكينة فكبر عليها أربعا . وروى مسلم أيضا عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال كان ابن زيد بن أرقم يكبر على الجنائز أربعاً وانه كبر على جنازة خمساً فسألناه فقال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكبرها وروى عن أبيه خيثمة عن أبيه قال كان النبي صلي الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعاً وخمساً وستاً وسبعاً وثمانيا حتى مات النجاشي فصف الناس وراءه وكبر أربعا ثم ثبت صلي الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله وهذا فيه حجة لائمة الجمهور

وأجمع العلماء على رفع اليدين في أول التكبير على الجنازة واختلفوا في سائر التكبير فقال قوم يرفع وقال قوم لا يرفع

وروى الترمذى عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كبر في جنازة فرفع يديه في أول التكبير ووضع يده اليمنى علي اليسرى فمن ذهب الي ظاهر هـذا الاثر وكان مذهبه في الصلاة انه لايرفع الا في أول التكبير قال الرفع في اول التكبير ومن قال يرفع في كل تكبير شبه التكبير الثاني بالاول لانه كلـه يفعل في حال القيـام والاستواء

(المسئلة الثانية)

اختلف الناس في القراءة في صلاة الجنازة فقال مالك وابو حنيفة ليس فيها قراءة انما هو الدعاء . وقال مالك قراءة فاتحة الكتاب فيها ليس بمعمول به في بلدنا بحال . قال وانما يحمد الله ويثنى عليـه بعد التكبيرة الاولي ثم يكبر الثانية فيصلي علي النبى صلي الله عليـه وسلم ثم يكبر الثالثة فيشفع الميت ثم يكبر الرابعة ويسلم وقال الشافعي يقرأ بعد التكبيرة الاولي فاتحة الكتاب ثم يفعـل في سائر التكبيرات مثل ذلك ، وبه قال احمـد وداود . وسبب اختلافهم معارضة العمل للاثر وهل يتناول ايضا اسم الصلاة صلاة الجنائز ام لا . اما العمل فهو الذى حكاه مالك عن بلده . وأما الاثر فـما رواه البخارى عن طلحة بن عبـد الله بن عوف قال صليت خلف ابن عباس علي جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب فقال لتعلموا انها السنة فمن ذهب الى ترجيـح هذا الاثر علي العمل وكان اسم الصلاة يتناول عنده صلاة الجنازة وقد قال صلي الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحـة الكتاب رأى قراءة فاتحة الكتاب فيها . ويمكن أن يحتج لمذهب مالك بظواهر الآثار التي نقـل فيها دعاؤه عليـه الصلاة والسـلام علي الجنائز ولم ينقل فيها انه قرأ وعلي هـذا فتكون تلك الآثار كأنها معارضة لحديث ابن عباس ومخصصة لقوله لاصلاة الا بفاتحة الكتاب . وذكر الطحاوى عن ابن شهاب عن أبي امامـة ابن سهل بن حنيف قال وكان من كبراء الصحـابة وعلمائهم وابناء الذين شهدوا بدراً ان رجلا من اصحاب النبى عليه الصلاة والسلام أخبره ان السنة في الصلاة علي الجنائز ان يكبر الامام ثم يقرأ فاتحة الكتاب سراً في نفسـه ثم يخلص الدعاء في التكبيرات الثلاث . قال ابن شهـاب فذكرت الذى أخبر به أبوامامة من ذلك

لمحمد بن سويد الفهرى فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في الصلاة علي الجنائز بمثل ماحدثك به ابو امامة

(المسئلة الثالثة)

واختلفوا في التسليم من الجنازة هل هو واحدأو اثنان فالجمهور علي انه واحد وقالت طائفة وأبو حنيفة يسلم تسليمتين واختاره المزني من أصحاب الشافعي وهو احد قول الشافعي . وسبب اختلافهم في التسليم من الصلاة وقياس صلاة الجنائز علي الصلاة المفروضة فمن كانت عنده التسليمة واحدة في الصلاة المكتوبة وقاس صلاة الجنازة عليها قال بواحدة ومن كانت عنده تسليمتين في الصلاة المفروضة قال هنا بتسليمتين ان كانت عنده تلك سنة فهذه سنة وان كانت فرضاً فهذه فرض وكذلك اختلف المذهب هل يجهر فيها أو لايجهر بالسلام

﴿المسئلة الرابعة﴾

واختلفوا أين يقوم الامام من الجنازة فقال جملة من العلماء يقوم في وسطها ذكرا كان أو أنثى وقال قوم آخرون يقوم من الانثى وسطهـا ومن الذكر عند رأسه . ومنهم من قال يقوم من الذكر والانثى عند صدرهما وهو قول ابن القاسم وقول أبي حنيفة . وليس عند مالك والشافعي في ذلك حد وقال قوم يقوم منهما أين شاء والسبب في اختلافهم اختلاف الآثار في هـذا الباب وذلك انه خرج البخارى ومسلم من حديث سمرة بن جندب قال صليت خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم علي أم كعب ماتت وهي نفساء فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم للصلاة علي وسطها . وخرج أبو داود من حديث همـام بن غالب قال صليت مع انس بن مالك علي جنازة رجل فقام حيال رأسه ثم جاؤا بجنـازة امرأة فقـالوا ياابا حمزة صل عليها فقام حيال وسط السرير فقال العلاء بن زياد هكذا رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يصـلي علي الجنائز كبر أربعاً وقام علي جنازة امرأة مقامك منها ومن الرجل مقامك منـه . قال نعم فاختلف الناس في المفهوم من هذه الافعال فمنهم من رأى ان قيامه في هذه المواضع المختلفة يدل علي الاباحة وعلي عدم التحديد . ومنهم من رأى ان قيامه

علي احد هذه الاوضاع انه شرع وانه يدل علي التحديد وهؤلاء انقسموا قسمين فنهم من اخذ بحديث سمرة بن جندب للاتفاق علي صحته فقال المرأة في ذلك والرجل سواء لان الاصل ان حكمها واحد الا ان يثبت في ذلك فارق شرعي ومنهم من صحح حديث ابن غالب وقال فيه زيادة علي حديث سمرة بن جندب فيجب المصير اليها وليس بينهما تعارض اصلا واما مذهب ابن القاسم وابي حنيفة فلا أعلم له من جهة السمع في ذلك مستند الا ماروى عن ابن مسعود من ذلك

﴿ المسئلة الخامسة ﴾

واختلفوا في ترتيب جنائز الرجال والنساء اذا اجتمعوا عند الصلاة فقال الاكثر يجعل الرجال مما يلي الامام والنساء مما يلي القبلة . وقال قوم بخلاف هذا أى النساء مما يلي الامام والرجال مما يلي القبلة وفيه قول ثالثا ه يصلي علي كل علي حدة ، الرجال مفردون والنساء مفردات وسبب الخلاف مايغلب علي الظن باعتبار احوال الشرع من انه يجب أن يكون في ذلك شرع محدود مع انه لم يرد في ذلك شرع يجب الوقوف عنده ولذلك رأى كثير من الناس انه ليس في أمثال هذه المواضع شرع أصلا وانه لو كان فيها شرع لبين للناس وانما ذهب الاكثر لما قلناه من تقديم الرجال علي النساء لما رواه مالك في الموطأ من ان عثمان بن عفان وعبدالله ابن عمر وأبا هريرة كانوا يصلون علي الجنائز بالمدينة الرجال والنساء معاً فيجعلون الرجال مما يلي الامام ويجعلون النساء مما يلي القبلة وذكر عبد الرازق عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه صلي كذلك علي جنازة فيها ابن عباس وابو هريرة وابو سعيد الخدرى وابو قتادة والامام يومئذ سعيد بن العاص فسألهم عن ذلك أو أمر من سألهم فقالوا هي السنة وهذا يدخل في المسند عندهم ويشبه أن يكون من قال بتقديم الرجال شبههم امام الامام بحالهم خلف الامام في الصلاة ولقوله عليه الصلاة والسلام أخروهن حيث اخرهن الله . واما من قال بتقديم النساء علي الرجال فيشبه أن يكون اعتقد أن الاول هو المقدم ولم يجعل التقديم بالقرب من الامام واما من فرق فاحتياطاً من أن لا يجوز ممنوعاً لانه لم ترد سنة بجواز الجمع فيحتمل ان يكون علي اصل الاباحة ويحتمل ان يكون

ممنوعا بالشرع واذا وجد الاحتمال وجب التوقف اذا وجد اليه سبيلا

(المسئلة السادسة)

واختلفوا في الذى يفوته بعض التكبير علي الجنازة في مواضع منها هل يدخل بتكبير أم لا ومنها هل يقضى ما فاته أم لا وان قضي فهل يدعو بين التكبير أم لا فروى أشهب عن مالك انه يكبر اول دخوله وهو أحد قولي الشافعي وقال ابو حنيفة ينتظر حتى يكبر الامام وحينئذ يكبر وهي رواية ابن القاسم عن مالك ، والقياس التكبير ، قياساً علي من دخل في المفروضة واتفق مالك وأبو حنيفة والشافعي علي انه يقضي مافاته من التكبير الا أن أبا حنيفة يرى أن يدعو بين التكبير المقتضي ومالك والشافعي يريان أن يقضيه نسقا وانما اتفقوا علي القضاء لعموم قوله عليه الصلاة والسلام ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا فمن رأى ان هذا العموم يتناول التكبير والدعاء قال يقضي التكبير وما فاته من الدعاء ومن أخرج الدعاء من ذلك اذ كان غير مؤقت قال يقضي التكبير فقط اذ كان هو المؤقت فكان تخصيص الدعاء من ذلك العموم هو من باب تخصيص العام بالقياس فأبو حنيفة أخذ بالعموم وهؤلاء بالخصوص

(المسئلة السابعة)

واختلفوا في الصلاة علي القبر لمن فاتته الصلاة علي الجنازة . فقال مالك لا يصلي علي القبر ، وقال ابو حنيفة لا يصلي علي القبر الا الولي فقط اذا فاتته الصلاة علي الجنازة وكان الذى صلي عليها غير وليها . وقال الشافعي واحمد وداود وجماعة يصلي علي القبر من فاتته الصلاة علي الجنازة واتفق القائلون باجازة الصلاة علي القبر ان من شرط ذلك حدوث الدفن وهؤلاء اختلفوا في هذه المدة واكثرها شهر . وسبب اختلافهم معارضة العمل للاثر . أما مخالفة العمل فان ابن القاسم قال قلت لمالك فالحديث الذى جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم انه صلي علي قبر امرأة ، قال قد جاء هذا الحديث وليس عليه العمل والصلاة علي القبر ثابتة باتفاق من أصحاب الحديث . قال أحمد بن حنبل رويت الصلاة علي القبر عن النبي عليه الصلاة والسلام من طرق ستة كلها حسان وزاد بعض المحدثين ثلاثة طرق فذلك تسع . وأما البخارى

ومسلم فرويا ذلك من طريق أبي هريرة وأما مالك فخرج مرسلا عن أبي امامة ابن سهل . وقد روى ابن وهب عن مالك مثل قول الشافعي . واما ابو حنيفة فانه جرى في ذلك على عادته فيما احسب اعنى من رد اخبار الآحاد التى تعم بها البلوى اذا لم تنتشر ولا انتشر العمل بها وذلك ان عدم الانتشار اذا كان خبراً كان الانتشار قرينة توهن الخبر وتخرجه من غلبة الظن بصدقه الي الشك فيه أوالي غلبة الظن بكذبه او نسخه قال القاضي. وقد تكلمنا فيما سلف من كتابنا هذا في وجه الاستدلال بالعمل وفي هذا النوع من الاستدلال الذى يسميه الحنفية عموم البلوى وقلنا انها من جنس واحد

﴿ الفصل الثاني ﴾

(فيمن يصلي عليه ومن أولي بالصلاة)

وأجمع أكثر أهل العلم علي اجازة الصلاة علي كل من قال لا اله الا الله وفي ذلك أثر انه قال عليه الصلاة والسلام صلوا علي من قال لا اله الا الله وسواء كان من اهل الكبائر او من اهل البدع الا ان مالكا كره لاهل الفضل الصلاة علي أهل البدع ولم ير أن يصلي الامام علي من قتله حداً . واختلفوا فيمن قتل نفسه فرأى قوم انه لا يصلي عليه واجاز آخرون الصلاة عليه ومن العلماء من لم يجز الصلاة علي اهل الكبائر ولا علي اهل البغي والبدع ، والسبب في اختلافهم في الصلاة اما في أهل البدع فلاختلافهم في تكفيرهم ببدعهم فمن كفرهم بالتأويل البعيد لم يجز الصلاة عليهم ومن لم يكفرهم اذا كان الكفر عنده انما هو تكذيب الرسول لا تأويل قوله عليه الصلاة والسلام قال الصلاة عليهم جائزة وانما اجمع المسلمون علي ترك الصلاة علي المنافقين مع تلفظهم بالشهادة لقوله تعالي (ولا تصل علي احد منهم مات ابداً ولا تقم علي قبره) الآية واما اختلافهم في اهل الكبائر فليس يمكن ان يكون له سبب الا من جهة اختلافهم في القول بالتكفير بالذنوب لكن ليس هذا مذهب اهل السنة فلذلك ليس ينبغي ان يمنع الفقهاء الصلاة علي اهل الكبائر واما كراهية مالك الصلاة علي اهل البدع فذلك لمكان الزجر والعقوبة لهم وانما لم ير مالك صلاة الامام على من قتله حداً لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل

علي ماعز ولم ينه عن الصلاة عليه خرجه ابو داود. واما اختلفوا في الصلاة علي من قتل نفسه لحديث جابر بن سمرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم أبي ان يصلي علي رجل قتل نفسه ، فمن صحح هذا الاثر قال لا يصلي علي قاتل نفسه ومن لم يصححه رأى ان حكمه حكم المسلمين وان كان من أهل النار كما ورد به الاثر لكن ليس هو من المخلدين لكونه من أهل الايمان وقد قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من الايمان. واختلفوا أيضا في الصلاة علي الشهداء المقتولين في المعركة فقال مالك والشافعي لا يصلي علي الشهيد المقتول في المعركة ولا يغسل وقال أبو حنيفة يصلي عليه ولا يغسل . وسبب اختلافهم اختلاف الآثار الواردة في ذلك . وذلك أنه خرج ابو داود من طريق جابر انه صلي الله عليه وسلم أمر بشهداء أحد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا. وروى من طريق ابن عباس مسنداً انه عليه الصلاة والسلام صلي علي قتلي أحد وعلي حمزة ولم يغسل ولم ييمم. وروى أيضا وذلك مرسلا من حديث ابي مالك الغفارى وكذلك روى أيضا أن اعرابيا جاءه سهم فوقع في حلقه فمات فصلي النبي صلي الله عليه وسلم عليه وقال ان هذا عبدك خرج مجاهداً في سبيلك فقتل شهيداً وانا شهيد عليه . وكلا الفريقين يرجح الاحاديث التى أخذ بها وكانت الشافعية تعتل بحديث ابن عباس هذا وتقول برواية ابن ابي الزناد وكان قد اختل آخر عمره وقد كان شعبة يطعن فيه . وأما المراسيل فليست عندهم بحجة . واختلفوا متى يصلي علي الطفل ، فقال مالك لا يصلي علي الطفل حتى يستهل صارخا وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يصلي عليه اذا نفخ فيه الروح وذلك اذا كان له في بطن امه أربعة أشهر فأكثر وبه قال ابن ابي ليلي وسبب اختلافهم في ذلك معارضة المطلق للمقيد وذلك انه روى الترمذى عن جابر ابن عبد الله عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال الطفل لا يصلي عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل صارخا . وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث المغيرة بن شعبة انه قال الطفل يصلي عليه فمن ذهب مذهب حديث جابر قال ذلك عام وهذا مفسر فالواجب أن يحمل ذلك

العموم على هذا التفسير فيكون معنى حديث المغيرة أن الطفل يصلي عليه اذا استهل صارخا ومن ذهب مذهب حديث المغيرة قال معلوم أن المعتبر في الصلاة هو حكم الاسلام والحياة والطفل اذا تحرك فهو حي وحكمه حكم المسلمين وكل مسلم حي اذا مات صلي عليه فرجحوا هذا العموم علي ذلك الخصوص لموضع موافقة القياس له ومن الناس من شذ وقال لا يصلي علي الاطفال أصلا.وروى ابو داود ان النبي عليه الصلاة والسلام لم يصل على ابنه ابراهيم وهو ابن ثمانية أشهر وروى فيه أنه صلي عليه وهو ابن سبعين ليلة واختلفوا في الصلاة علي الاطفال المسبيين فذهب مالك في رواية البصريين عنه ان الطفل من أولاد الحربيين لا يصلي عليه حتى يعقل الاسلام سواء سبي مع أبويه او لم يسب معهما وان حكمه حكم ابويه الا أن يسلم الاب فهو تابع له دون الام ووافقه الشافعي على هذه الا أنه ان اسلم احد ابويه فهو عنده تابع لمن أسلم منهما لا للاب وحده على ماذهب اليه مالك وقال ابو حنيفة يصلي علي الاطفال المسبيين وحكمهم حكم من سباهم وقال الاوزاعي اذا ملكهم المسلمون صلي عليهم يعني اذا بيعوا في السبي قال وبهذا جرى العمل في الثغر وبه الفتيا فيه واجمعوا على أنه اذا كانوا مع آبائهم ولم يملكهم مسلم ولا اسلم احد ابويهم ان حكمهم حكم آبائهم .والسبب في اختلافهم في أطفال المشركين هل هم من أهل الجنة أو من أهل النار وذلك انه جاء في بعض الآثار أنهم من آبائهم أى أن حكمهم حكم آبائهم ودليل قوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد علي الفطرة ان حكمهم حكم المؤمنين

وأما من اولى بالتقديم الصلاة علي الجنازة فقيل الولي وقيل الوالي فمن قال الوالي شبهة بصلاة الجمعة من حيث هي صلاة جماعة ومن قال الولي شبهها بسائر الحقوق التى الولي بها احق مثل مواراته ودفنه وأكثر أهل العلم علي ان الوالي بها أحق قال ابو بكر بن المنذر وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاصي وهو والي المدينة ليصلي على الحسن بن علي وقال لولا أنها سنة ما تقدمت قال ابو بكر وبه أقول .واكثر العلماء على انه لا يصلي الاعلي الحاضر وقال بعضهم يصلي على

الغائب لحديث النجاشي والجمهور علي ان ذلك خاص بالنجاشي وحده واختلفوا هل يصلي علي بعض الجسد والجمهور على انه يصلي علي أكثره لتناول اسم الميت له ومن قال انه يصلي علي أقله قال لان حرمة البعض كحرمة الكل لاسيما ان كان ذلك البعض محل الحياة وكان ممن يجيز الصلاة علي الغائب

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في وقت الصلاة علي الجنازة)

واختلفوا في الوقت الذى تجوز فيه الصلاة علي الجنازة فقال قوم لا يصلي عليها في الاوقات الثلاثة التى ورد النهي عن الصلاة فيها وهي وقت الغروب والطلوع وزوال الشمس علي ظاهر حديث عقبة بن عامر ثلاث ساعات كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيها وأن نقبر موتانا الحديث . وقال قوم لا يصلي في الغروب والطلوع فقط ويصلي بعد العصر ما لم تصفر الشمس وبعد الصبح مالم يكن الاسفار وقال قوم لا يصلي علي الجنازة في الاوقات الخمسة التى ورد النهي عن الصلاة فيها وبه قال عطاء والنخعي وغيرهم وهو قياس قول أبي حنيفة.وقال الشافعي يصلي على الجنازة في كل وقت لأن النهي عنده انما هو خارج على النوافل لا علي السنن على ماتقدم

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في مواضع الصلاة)

واختلفوا في الصلاة علي الجنازة في المسجد فأجازها أكثر العلماء وكرهها بعضهم منهم أبو حنيفة وبعض أصحاب مالك . وقد روى كراهية ذلك عن مالك وتحقيقه اذا كانت الجنازة خارج المسجد والناس في المسجد . وسبب الخلاف في ذلك حديث عائشة وحديث أبي هريرة أن حديث عائشة فما رواه مالك من انها أمرت أن يمر عليها بسعد بن أبي وقاص في المسجد حين مات لتدعو له فأنكر الناس عليها ذلك فقالت عائشة ما أسرع مانسي الناس ماصلي رسول الله صلي الله عليه وسلم على سهل بن بيضاء الا في المسجد . وأما حديث أبي هريرة فهو ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من صلي علي جنازة في المسجد فلا شيء له. وحديث عائشه ثابت وحديث أبي هريرة غير ثابت أو غير متفق علي ثبوته لكن انكار

الصحابة علي عائشة يدل علي اشتهار العمل بخلاف ذلك عندهم ويشهد لذلك بروزه صلي الله عليه وسلم للمصلي لصلاته علي النجاشي وقد زعم بعضهم أن سبب المنع في ذلك هو ان ميت بني آدم ميتة وفيه ضعف لان حكم الميتة شرعي ولا يثبت لابن آدم حكم الميتة الا بدليل وكره بعضهم الصلاة علي الجنائز في المقابر للنهي الوارد عن الصلاة فيها وأجازها الاكثر لعموم قوله عليه الصلاة والسلام جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً

﴿ الباب الخامس ﴾

(في شروط الصلاة علي الجنازة)

واتفق الاكثر علي أن من شروطها القبلة واختلفوا في جواز التيمم لها اذا خيف فواتها فقال قوم يتيمم ويصلى لها اذا خاف الفوات وبه قال ابو حنيفة وسفيان والاوزاعي وجماعة وقال مالك والشافعي وأحمد لا يصلى عليها بتيمم وسبب اختلافهم قياسها في ذلك علي الصلاة المفروضة فمن شبهها بها أجاز التيمم أعني من شبه ذهاب الوقت بفوات الصلاة علي الجنازة ومن لم يشبهها بها لم يجز التيمم لانها عنده من فروض الكفاية أو من سنن الكفاية علي اختلافهم في ذلك وشذ قوم فقالوا يجوز أن يصلي علي الجنازة بغير طهارة وهو قول الشعبي وهؤلاء ظنوا ان اسم الصلاة لا يتناول صلاة الجنازة وانما يتناولها اسم الدعاء اذا كان ليس فيها ركوع ولا سجود

﴿ الباب السادس ﴾

(في الدفن)

وأجمعوا علي وجوب الدفن والاصل فيه قوله تعالى (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) وكره مالك والشافعي تجصيص القبور وأجاز ذلك أبو حنيفة وكذلك كره قوم القعود عليها وقوم أجازوا ذلك وتأولوا النهي عن ذلك انه القعود عليها لحاجة الانسان والآثار الواردة في النهي عن ذلك منها حديث جابر بن عبد الله قال نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن تجصيص القبور والكتابة عليها والجلوس عليها والبناء عليها ومنها حديث عمرو بن حزم قال رآني رسول الله صلي الله عليه وسلم علي قبر فقال انزل عن القبر لا تؤذى صاحب القبر ولا يؤذيك. واحتج من أجاز القعود علي القبر بما روى عن

زيد بن ثابت انه قال انما نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الجلوس علي القبور لحدث غائط او بول . قالوا ويؤيد ذلك ماروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من جلس علي قبر يبول اليه او يتغوط فكانما جلس علي جمرة نار . والي هذا ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي اه

﴿ المورفين ﴾ هو جوهر ازوتي قلوى يستخلص من محلول الخلاصة المائية للافيون . او يقال هو قاعدة تستخرج من بعض النباتات الخشخاشية تكون حاصلة علي خواص الافيون القوية الفعل فتوجد في لافيون وفي خلاصة الخشخاش متحدة بحمض الميكونيك . اكتشف سنة (١٦٨٨) ولكنه لم يشرح شرحا وافيا الا في سنة (١٨٠٤) في رسالة قدمها العالم (سيجن) لجمع العلماء الفرنسي . ثم أحسن درسه العالم (سرتونير) وهو أول من اكد قلويته الخاصة

وقد بحث عنه في خلاصة الخشخاش الاوربي فلم يوجد . ووجده العالم (وكابن) وسواه في حقاق الخشخاش الاسود والابيض حتى استخرجوا من الاوقية منها عشرة قمحات منه

وعلم من تحليل الكيماوي الانجليزى (انيل) ان الافيون الشرقي يحتوى علي المورفين علي نحو ١ علي ١٤ من وزنه ويحتوى الافيون البلدى أى الاوروبي علي ١٠ علي ٢١ ويكون فيه متحداً بحمض الميكونيك

(صفاته الطبيعية) اذا كان المورفين نقيا كان ابراً منشورية شفافة ذوات سطحات أربعة مقطوعة بانحراف أو غير ذلك ولا رائحة له ولا طعم بسبب عدم قابليته للذوبان . ولكنه اذا اذيب كان محلوله شديد المرارة وهو لا يتغير من الهواء ولكنه يتشرب منه الحمض الكربوني

(صفاته الكيماوية) هو علي رأى بلتيير دوماس مركب من ٧٢٫٠٢ من الكربون و٥٫٥٣ من الازوت و٧٫٠١ من الادروجين و١٤٫١٤ من الاوكسيجين وكل ١٠٠ منه تحتوى علي ٦ وثلث من الماء وهو لا يكاد يذوب في الماء البارد ولا في الاثير وأما الماء المغلي فيذيب من وزنه ١ من ٩٢ ويتبلور منه بالتبريد وهو

يذوب في ٤٠ غراما من الكؤول البارد الخالي من الماء وفي ٣٠ غراما من الكؤول المغلي الخالي أيضا من الماء ويذوب في الزيوت الشحمية والطيارة ومحلوله الكؤولي يخضر شراب البنفسج ويحمر الكركم ويذوب المورفين أيضا في القلويات الكاوية وأوضح صفاته هو انه يذوب في الحمض النترى ويحمره بحمرة كحمرة الدم لكن ليس هذا وصفا خاصا به لان مثله في ذلك البروسين والاستركنين لكن علي حسب تجريبات سيرولاس يكون الحمض يوديك هو الجوهر الكشاف له لانه يتحلل تركيبه به وبأملاحه فيأخذ أكسيجينه ويجعل اليود خالصا يتضح وجوده بواسطة جليدية النشا وبتصاعد رائحة يودية شديدة مع تلون الحمض بالحمرة المسمرة والصبغة الكؤولية للعفص ترسب المرفين من جميع محلولاته ولو في الماء وان كان ذوبانه فيه يسيراً . واذا خالط المرفين بملح حديدى كثير الاوكسيجينية ككبريتات الحديد فان المخلوط يكتسب لونا جميلا أزرق يزول اذا أضيف له مقدار مفرط من حمض، ويظهر اذا حصل التشبع و ينتج من هذا التفاعل كما قال بالتيير كبريتات المرفين ومرفيت الحديد ويتحد هذا الجوهر بالحوامض فتتكون منه أملاح وتحت أملاح وأغلبها قابل التبلور وكلها صبية ويتحلل تركيبها بالقلويات المعدنية و بموجب ذلك لا تجتمع معها

(تحضير المورفين) يلزم قبل تحضيره أن يختار أفيونها ولا بأس أن يؤخذ أفيون أزمير أو القسطنطينية وأحسن من ذلك الافيون النقي الخالي من الغش اذا وجد ومن اللازم تجربته تجربة كيماوية ليتحقق المقدار الذى فيه من المورفين فاذا حصل من محلول الافيون راسب أبيض كثير بروح النوشادر رجي جودة الناتج وهناك طرق كثيرة لتحضيره وطريقة الدستور هي المختارة وهي في الحقيقة طريقة سرطرنير فيؤخذ من الافيون الخام ١٠٠٠ غرام ومن روح النوشادر السائل مقدار كاف فينزع من الافيون بالماء البارد جميع أجزائه القابلة للذوبان فيه ويعمل مثل هذا العلاج أربع مرات مع كونه يستعمل في كل مرة عشرة غرامات من الماء بجزء من الافيون فلذلك كاف اذا انتبه لنقع الافيون مدة ساعات وهرسه باليدين ثم ترشح السوائل وتبخر للترجيع لربع حجمها

فحينئذ يضاف لها من روح النوشادر مقدار يصير به السائل قلوياً محسوساً ثم يغلي مدة دقائق مع كونه محفوظا دائما فيه مقدار مفرط يسيراً من روح النوشادر فبالتبريد يرسب المورفين الذى لم يزل ملونا وغير نقي علي هيئة بلورات محببة تغسل بالماء البارد ويحول هذا المورفين الملون الي مسحوق وينقع في الكؤول الذى في ٢٤ درجة من مقياس كرتيير أى ٦٠ من مقياس جيلوساك وبعد ١٢ ساعة من النقع يصفي هذا السائل الكؤولي ثم يذاب في الكؤول المغلي الذى في ٢٣ درجة من مقياس كرتيير أى ٨٥ من مقياس جيلوساك فالمورفين الباقي يكون قد زال سابقا جزء عظيم من لونه بالكؤول البارد فيضاف للمحلول قليل من الفحم الحيواني ويرشح فالمرفين يتبلور بالتبريد الي ابر عديمة اللون وبيان ذلك انه اذا عولج الافيون بالماء البارد اذاب ذلك الماء املاح المرفين والقودئين وجزأ من النركوتين وأما القواعد الأخر فلا تقبل الاذابة ولا توجد فيه مع أن بعضا منها ينجذب معه بمساعدة القواعد القابلة للاذابة فاذا عولج السائل بروح النوشادر فان ذلك الروح يرسب المورفين مع النركوتين ويتكون منه مع الحمض ميكونيك وكبريتيك أملاح قابلة للاذابة ويترك في مياه الام القودئين في حالة ملح مزدوج قاعدته روح النوشادر والقودئين ثم الطبيئين والترسئين والميكونين كالمواد الخلاصية والملونة والصمغية ثم أن المورفين اذا رسب يجذب معه الملونة والنركوتين الذى يصحبه بمقدار يختلف عظمه في كل علاج ويكون علي شكل راسب محبب لان الراسب يحصل علي الحار فيوضع مقدار مفرط من النوشادر وليؤكد رسوب جميع المورفين ثم يغلي لأجل طرد هذا المقدار المفرط من روح النوشادر الذى يذيب جزأ يسيراً من المورفين يبقي في مياه الام اذا لم يطرد المقدار المفرط من القلوى وغاية العلاج الاول الكؤولي فصل المورفين عن المادة الملونة ويستعمل الكؤول الذى في ٢٤ درجة من الكثافة لاجل أن لا يذوب الا ادني مقدار من المورفين حسب الامكان وغاية العلاج بالكؤول القوى هو فصل المورفين عن المواد الغير القابلة للاذابة في هذا الحامل وقد يصحبه في سير العملية والمورفين المنال بذلك

يحتوى دائما علي النركوتين وأحسن الوسائط لاخلائه منه هو أن يعالج بالاثير الذى يذيب النركوتين وقليلا جداً من المورفين والاحسن أن يكون ملح مرفيني ويرسب بمقدار مفرط من البوطاس الكاوى فهذا يرسب أولا القاعدتين ولكن المقدار المفرط يذيب المورفين ويترك النركوتين غير مذاب فاذا فصل هذا بالترشيح ثم اشبع السائل بحمض يذيب البوطاس والمورفين ثم صب عليه روح النوشادر فان المورفين يرسب حينئذ خالياً من النركوتين فاذا اجتنى الراسب بعد غسله ثم جفف نيل بذلك المورفين نقياً . وقد تنوعت طرق تحضير المورفين تنوعا عظيما فروبكيت أبدل روح النوشادر بالمغنيسيا وارصى بعضهم بتقسيم النوشادر اللازم لترسيب المورفين الى مقدارين فنتيجة الاول فصل المادة التدفية التى لا تحتوى أحتواء محسوسا علي المورفين وبعضهم عرض مذاب الافيون الى تخمير كؤولي وبعضهم عالج الافيون بالماء المحمض بالحمض ادروكلوريك ونقى السوائل بالفحم الحيواني ويمكن انالة المورفين بدون استعمال الكؤول وبعضهم صير المورفين كبريتاتيا وازال لون الملح القابل للذوبان بالفحم الحيواني وبعضهم أخذ الصبغة الكؤولية المصنوعة من خلاصة الافيون مقداراً من روح النوشادر ثم تركها ساكنة فبعد زمن ماتوجد جدران الاناء وعمقه مغطاة ببلورات غليظة من المورفين

(التأثير والاستعمال) المورفين يؤثر علي البنية الحيوانية تأثيراً مخدراً واضحا جدا اذ هو القاعدة القوية الفعالة للافيون وفيها منافعه بدون حصول اخطار منها كما قال ماجندى وما يقال في تلك القاعدة يقال مثله في املاحها التى تتكون منها ومن الحوامض ولقلة ذوبانها في الماء لم تستعمل الا في تلك الاحوال الاتحادية فلا يستعمل وحده غالباً وانما المستعمل املاحها

وعلي رأى بالي هذا المورفين هو منشأ خواصها وليس أقل خاصية منها فيمكن انه يعطى مثلها في نفس الاحوال وبنفس المقادير اعنى في الاحوال التى يعطي فيها الافيون وفي الاختصار يظهر أن المورفين واملاحه ممتعة بخواص واحدة وبدرجة واحدة تقريباً فنقتصر هنا علي ذكر الاستحضار والصفات لتلك الاملاح

(أملاح المورفين) هذه الاملاح يحصل فيها التفاعلات التى تحصل في المورفين بالحمض نتريك والحمض يوديك وأملاح الحديد الكثيرة الاوكسيجينية ومعظمها قابل التبلور وطعمها مر ويرسب فيها راسب بالكربونات القلوية ويذوب هذا الراسب بالمقدار المفرط من القلويات الكاوية ويرسب فيها راسب بالعفص والراسب يذوب ثانيا بالحوامض ويرسب فيها من يودور البوطاسيوم اليودورى راسب اسمر والراسب يتحول الى صفائح جميلة ارجوانية والمستعمل من تلك الاملاح في الطب هو ادور كلورات وكبريتات وخلات وسترات أى ليمونات المورفين

(الاول خلات المورفين) هو ملح متعادل ينتج من تأثير الحمض الخلي علي المورفين

(صفاته الطبيعية) هو أبيض عديم الرائحة وطعمه شديد المرار وقابل جداً لتشرب الرطوبة وعسر التبلور ومع ذلك يمكن انالته كتلا مبلورة مكونة من أبر بهيئة أشعة متباعدة عن بعضها

(صفاته الكيماوية) هو شديد الذوبان في الماء واذا سخن بقوة تحلل تركيبه وانتشرت منه رائحة مخصوصة كريهة جداً واذا عولج بالحمض الكبريتي الممدود حصل منه بخار الحمض الخلي وبالجملة هو يحتوى علي الخواص الاخر للمورفين

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الخلي مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا تاما ويذاف في مقدار كثير من الماء الحار ثم يصب عليه المقدار المراد اذابته فيه من الحمض الخلي ثم يبخر الكل علي حراره هادئة الي الجفاف ثم تسحق الكتلة الباقية برمنج من زجاج أى بهاون زجاجية مسخنة قليلا ويحفظ المسحوق في تنبة جيدة الجفاف وجيدة السد

(الاستعمال) أول من جرب استعمال هذا الملح ماجندى وذكر أنه أحسن من كبريتات المورفين الذى هو أحسن من مرياته أى كلادروكلورأنه مع أن هذا مشكوك فيه الآن وبالجملة خواصه كخواص المورفين ولكنه يؤثر بقوة أسرع منه بسبب قابليته للذوبان وهوالآن كثير الاستعمال في الاحوال

التى تستعمل فيها الافيون ومركباته

(الثاني كبريتات المورفين)هو ملح ناتج من فعل الحمض الكبريتيق الضعيف علي المورفين

(صفاته الطبيعية)هو يتبلور الي ابر منضمة ببعضها علي هيئةشوش حريرية ولا يتغير من الماء وهو عديم الرائحة وطعمه شديد المرار

(صفاته الكيماوية)هو مركب من ١٠٠ غرام من المورفين و٤٦و١٢ من الحمض الكبريتيق وذلك ماء التبلور وهو قابل للذوبان في مقدار وزنه مرتين من الماء المقطر المغلي ويسهل تحليل تركيبه بفعل النار و يكتسب بذلك لونا احمر بنفسجيا و يصح أن يتحد بمقدار جديد من الحمض ليتكون من ذلك بيكبريتات وكل ١٠٠ من الكبريتات تحتوى علي ٢٠ غراما من القاعدة و يمثل ذلك تقريبا من ماء التبلور فلا يكون المورفين فيه الا بمقدار ٢علي ٥تقريبا

(الاجسام التى لاتتوافق معه)أغلب الاكاسيد المعدنية

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الكبريتيق مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا ناعما ثم يداف في مقدار يسير من الماء الحار ثم يضاف له من الحمض الكبريتيق الممدود مثله ٣ مرات او٤من الماء المقدار اللازم لاذابة المورفين و يبخر السائل علي حرارة لطيفة حتى يكتسب قوام الشراب الصافي ثم يوضع في محل رطب مدة٢٤ ساعةأو ٣٦ فكبريتات المورفين يتبلور الى الابر الحريرية البيض المنتمة والغالب انها تنضم الى نجوم او الي كتل حلمية فتترك لتنقط وتجفف بين ورقتين من أوراق الكرونة في درجة حرارة من ٢٤ الى ٣٦

(الاستعمال)يستعمل فيه الكبريتات وفضله بالتبير علي الخلات لسهولة تبلوره وانالته نقيا ولذلك كثر الآن استعماله في بلاد الانكليز والامريكان وفضله علي بقية املاح المورفين جيرار الذى هو من جملة المجربين لمستحضرات تلك القاعدة

(الثالث ليمونات المورفين)

الانجليز يون والامريكيون يستعملون هذا الملح كثيراً ويسمونه بالقطرات السود ويركبونه من حمض نباتى غير نقي(حمض ليموني أوخلي) وأفيون وقاعدة عطرية

وعسل أوسكر ويُظن أن فيه الخواص الوحيدة المسكنة للافيون وسائل ليمونات المورفين الطبيب برتير مكون من ٤ أوقيات من الافيون الخام و٢ من الحمض الليموني المبلور محلولة في لتر من الماء المغلي ثم يرشح بعد ٢٤ ساعة من نقعه ويقال ان فيه نفس منافع الافيون أعنى الودنوم بسرعة تأثيره أى في ١٠ دقائق ومع ذلك عده بعض الاطباء أقل فاعلية من الافيون في الدوسنطاريا وذلك المستحضر يحتوى علي النركوتين ومقدار مفرط من الحمض وليس في الحقيقة ملحا حقيقيا وأراد ماجندى ابداله بليمونات نقية مركبة من ١٦ قمحة من المورفين و ٨ قمحات من الحمض الليموني المتبلور وأوقية من الماء المقطر الذى يتلون قليلا بيسير من النودة ويكون ذلك أكثر تسكينا بمقدار من ٦ نقط الي٢٤ نقطة تسمي ذلك بالنقط الوردية

(الرابع ادرو كلورات المورفين)

هو ملح أكثر ذوبانا في الماء من كبريتات المورفين و يذوب أيضاً في الكؤول ويتبلور الى ابر مشعمة شديدة المرار وكما يذوب جيداً في الماء يذوب في الكؤول ولكن استعماله في الطب قليل وان كان شبيها بالكبريتات كما هو قريب المثل ومع ذلك خواصه كخواص الخلاصة الكثيرة الاستعمال الآن ومقاديره مثله

(وأما ميكرونات المورفين) فظن سوطرنير الذى يعتبر النركوتين تحت ميكرونات المورفين أن هذا الملح قابل التبلور وقليل الذوبان في الماء ولكن أثبت بالتجريبات روبكيت الذى هو أول من حقق وجود قاعدتين مبلورتين متميزتين عن بعضهما في الافيون وهما النركوتين والمورفين خلاف ذلك أى ان هذا الملح كثير الذوبان في الماء وغير قابل التبلور وهو يتلون بمحلول بيروكسيد الحديد بالحمرة الشديدة واليه ينسب عموما خواص الافيون وبالجملة انه الي الآن غير مستعمل في الطب

(النتائج الصحية للمورفين وأملاحه)

قد كان المورفين معروفا قديما بأنه عديم الفعل ولذا كان في حالة ملحية كان مهيجاً ولكن كان في ذلك الزمن غير نقي أى مخلوطا بكثير من النركوتين وأما الآن فقد علم انه هو القاعدة المسكنة والمخدرة

التى في الافيون ومع ذلك لا تنسب له وحده الخواص الفعالة التى في تلك الخلاصة كما كان يظن سابقا وعورض ذلك بمناقضات كثيرة ويكفي لنقض ذلك مايشاهد من أن المرفين الذى هو كما سبق ١ على ١٤ تقريبا من الافيون يكون أقوى فاعلية بمرتين أو ٣ من الخلاصة المائية للافيون حتى ان أورفيلا ساوى بين فعل الاملاح الذائبة المرفين وفعل هذه الخلاصة . وأما بالمجمل نسبة فعل المرفين للافيون الخام كنسبة أربعة لواحد . ومهما كان ينبغي أن تنسب خواص هذا الافيون لملح المرفين الذى هو قاعدة دبرزن المادة المخدرة التى يحتوى عليها الافيون وتتصاعد منه اذا قطر مع الماء ربموجب ذلك يكون فعل الافيون ناتجا من اجتماع فعل هذين معا وأول من جرب بفرنسا أملاح المرفين ماجندى فوجد فيها جميع منافع الافيون بدون أخطار أصلا وشاهد منابدوه أنها اذا أعطيت بمقدار يسيرلم تنتج طلاء عجيبا على اللسان ,لا قطعا للمواد المندفعة ولا حرة ولا صداعا ولا امساكا مستعصيا وكثيرا ماتتحملها المرضي جيدا

مع ان الافيون يؤذيهم بل اعتبر بعضهم خلات المورفين أحسن من الافيون للعلولين اذا كان قطعه قليل الاهتمام أى لا يخاف منه لان العادة أن يبدل العرق بالاسهال . وأما سندراس فاستنتج من مشاهداته ان المرفين لا يرجح على الافيون وفيه دائما الاخطار التى فيه ولا نقول شيئا في الخاصة التى نسبها بلنان لخلات المرفين من كونه معدلا لليود وأسس ذلك على مشاهدة امرأة مصابة بغدة استيروصية ثديية واحتقان فى الرحم ووجدت ضررا من استعمال اليود وحده باستعمال مرهم مكون من أوقية من الشحم الحلو و ٦ قمحات من أول يودور الزئبق و ٨ قمحات من خلات المرفين وربما أيد ذلك أمر واقعى الطبيب جردنير وهو ان آفة تشنجية شديدة الثقل فى المعدة والامعاء نشأت من استعمال غير قانوني اليود وشفيت من تأثير خلات المرفين وهناك مشاهدات تفيد أن هذا الجوهر مضاد للتسمم بجوز القيء بحيث ان قمحتين من هذا الملح وضعتا على محل نفاطة فأزالتا عوارض تيتنوسية نتجت من ذلك الجوز ولكن لا نعول

على النتائج العامة التى شاهدها بالي من المرفين وأملاحه حيث أعطاها بدون تمييز بينهما لأكثر من ألف مريض وذكر أن هذه النتائج غير منازع فيها ومجردة من العوارض التى قد تنشأ من المقادير الزائدة عن العادة ومن التنوعات التى قد تتولد من الاستعدادات وطبيعة الامراض وتلك النتائج هي التأثرات الدوائية الحقيقية للمرفين فعلى رأى هذا الطبيب لاينتج المرفين أصلا جفافا في الفم ولا طلاء على اللسان ولا حرافة في الحلق ولا عطشا ولا تكدرا فى الهضم ولوهيج المعدة كما يحصل كثيرا ويعلن بهذا التهيج جشاء وغثيان وأوجاع في القسم المعدى ثم قيء من مواد خضراء كراثية دائما وذلك يحوج لنقص مقدار الدواء أو قطع استعماله بالكلية.وفعله المقيء أوضح من فعل الافيون فقد يكفي لذلك قمحة في الابتداء وقمحتان يعطيان بعض أيام وهو يسبب الامساك أولا وكثيرا مايعرض بعد ذلك فيضان اسهالي وقتى وكثيرا ماتشاهد قولنجات كثيرة المدة وقد يعرض لكن على سبيل الندرة عسر بول بل احتباسه لكن بدون تغير فيه

ولا يحصل ذلك للنساء اصلا وذلك يحمل على ظن أن سبب ذلك في البروستتا لا في عنق المثانة وأما الاعضاء الصدرية فلا تتأثر من المرفين بل كونه مسكنا لجموع الشرياني أولى من كونه منبها له وقد يبطىء النبض ولا ينحرض منه بواسير وليس مدرا للطمث ولا ينبه نزيفا ولا عرقا ولا يزيد في الحرارة الموضعية أو العامة ولا يحدث تكدرا في التنفس ولا يسكن السعال تسكينا كافيا وربما نفع الربو العصبي ولا يشاهد من تأثيره تلون ولا حرارة في الوجه وان كانت الأعين أكثر لمعانا ولاعراض اختناق وانما يعرض بعد بضعة أيام أكلان عام أو جزئى في الجلد يصحبه اندفاع ازرار صغيرة مخروطية قليلة البروز تارة حمراء وتارة عديمة اللون وتلك الظاهرة أى الأكلان مستدامة وتشاهد أحيانا مع الافيون ولا تشاهد أصلا مع النركوتين ونتائج المرفين وأملاحه على المخ هي العظيمة الاعتبار فمقدار من ثمن الى ربع من القمحة قد يحرض النوم ولا سيما في الفصول الممطرة ويندر أن يكون هذا النوم هادئا ولكن أغلب الاطباء لم يوافقوا بالي على ذلك

فاذا زيد المقدار نبه المخ وساعد على السكتة وعلى الانزفة المخية فليس المرفين في الحقيقة مسبتا لان النعاس الذى يسببه كثيرا ماتصحبه ظاهرات تنبه كسكر ودوار وأحلام مفزعة ورؤية شرر وظلمة في العينين ودوى في الاذنين وانزعاج فجائي مع حس لغط في الرأس وتعرض تلك النتائج سريعا وتنقطع بنفسها فاذا زيد في المقدار أكثر مما سبق ظهرت أيضا ظاهرات غريبة وهي نعاس يقظي أو سبات وعدم انتظام في المشي واهتزازات واضطرابات كاضطرابات الكهربائية واختلاط في الحواس ونحو ذلك ومع هذا لايحصل هذيان حقيقي ولا تغير في القوى العقلية وسوى ذلك خدر وضعف عضلي بدون عامة في الحساسية وارتعاش وكثيراً مايظلم الابصار وتنقبض الحدقة بحسب مقدار الدواء وتلك صفة مخصوصة بهذا السم النباتي ولا تفقد الا نادرا ويحصل عكس ذلك في الحيوانات على حسب تجريبات أورفيلا وماجندى ودبوى فاذا أعطي الدواء حقنة لتنج بحسب الظاهر اتساع الحدقة وهذه الظاهرات المذكورة التي هي أثر الفعل الفسيولوجي للمرفين المستعمل في حالة المرض اما أن تكون موضعية أى حصلت بالمباشرة كالغثيان والقيء ونحو ذلك واما أن تكون ناشئة من السنبائيا أى الاشتراك أو الامتصاص كاحتباس البول والاكلان والاعراض المخية وحقق أورفيلا من تجريباته أن المرفين النقي اذا أدخل وهو صلب في معدة الانسان أثر بقوة كتأثير خلات المرفين ورأى أنه يتحول الى ملح يذوب باتحاده مع الحوامض الموجوده في تجويف المعدة وعلم من الظاهرات أنه مشابه تقريبا للافيون في أفعاله فيسبب تغيرات في المخ وفي النخاعين ونتائج الخلات والكبريتات لاتختلف في كل ذلك عن نتائج الافيون ويشتد تأثيرها على المخ اذا كان فيه تهيج أو التهاب أو كان مجلسا لتيبس جزئي أو انصباب دموى أو نحو ذلك كما تختلف أيضا تلك النتائج اذا كان في عضو مهم من الجسم آفة مرضية كما شوهد في امرأة مصابة بآفة في الرحم انه كان يحصل لها من استعمال قمحتين الي ٤٠ قمحة في اليوم من هذه الخلات اشتداد في الاعراض الرحمية مع قلق كربه ثم نعاس مع أحلام رديئة وظن أنها

سقطت من السماء للارض وتصير في حالة سكر مع دوار وقيء ولا تستشعر بالآلام التي كانت مع دائها القديم لانها مستورة بتكدر المخ ولا ننس أن فعل الافيون على الجزء الحي يكون بقوتين متضادتين احداهما منبهة والاخرى مسبتة وهنا كذلك فمن تأثير المنبهة تحصل نتائج التنبيه كامتلاء النبض وتلون الوجه والحركات التشنجية والقيء والعرق والاندفاع الجلدى ومن تأثير القوة المسبتة يحصل النوم والهبوط والخدر وعدم الاستشعار بالألم وبالجملة فالمرفين يحصل منه على حسب المقدار المستعمل جميع النتائج التي يمكن أن تحصل من عصارة الخشخاش أعني نتائج مسكنة فقط نتائج مسكنة مخلوطة بنتائج منبهة بحسب الظاهر ونتائج منبهة فقط بدون حصول شيء من النتائج الاخر وسيأتي لنا ان التركوبين يؤثر في المراكز العصبية تأثيراً مخصوصا به فلا يكون الحاصل في تلك الاعضاء مجرد تنبه فقط فالمرفين ليس محتويا على القوة المسكنة الافيونية فقط فلا نجد فيه دائما صناعة الشفاء فاعلا توقف به حركة منخرمة أو تقطع به جذبا مؤلما أو نحو ذلك وانما المرفين كالافيون يغير الحالة الاعتيادية للمراكز العصبية وذلك التغيير بسبب ارتخاء نافعاً في المنسوجات المريضة فيبطيء الحركات وجذبات الحبيلات العصبية المولدة للألم ولكن قد يحصل مع ذلك ثقل في الرأس ودوران وأحلام وخدر واهتزازات تشنجية وقيء ونحو ذلك وتلك عوارض لا تنفك عن تقص الالم وانما هي مستنتجات مرتبطة ببعضها لا يمكن انعزالها عن الفعل العضوى الواحد فاذا وضع مثلا خلات المرفين على جزء متعر عن البشرة نرى ان تأثيره ينقسم الى زمنين ففي الزمن الاول يحصل من التأثير الموضعي الوخز والألم الشديد وحس الاحتراق الذى يعرض الصباح والبكا من أرقاء المزاج وفي الزمن الثاني يتأثر الجهاز العصبي من امتصاص الجوهر و يبتديء تقريباً بعد الوضع بربع ساعة أو نصف ساعة فتنتج جميع الظاهرات التي يعرضها هذا الملح اذا استعمل من الباطن ولكن نتائج الوضع من الظاهر ليست دائمة الحصول فقد لا يمتص الجوهر أصلا أو لايمتص باستواه ولو فعل جميع ما يساعد

على الامتصــاص ولم تمرض من ذلك ظاهرة قط يظن منها دخـول الجوهر في دورة الدم بل قد يشاهد تخالف في المريض الواحد ففي يوم تظهر ظاهرات تدل على امتصاصه وفي اليوم التالي لا يظهر شيء وفي الثالث تظهـر بعض ظاهرات

فيتضح من ذلك أن هـذا الخلات قـد ينفـذ في دورة الدم فيـؤثر في المراكز العصبية وقد لا يمتص الا بعضه وكثيراً مالا يمتص أصلا بل يبقى على الجلد المتعرى وربما نتج من ذلك أن الوضع من الظاهر على الادمة المتعرية غير أكيد مع انه هو الكثير الاستعمال الآن وقد اشتهرت أمثلة للتسمم بذلك فمن ذلك امرأة عصبية استعملته مع النجاح ثم قطعت استعماله ثم عادت اليه لا على التدريج بعد القطع فأخذت نصف قمحة فحصل لها في الليل كله اضطراب لا سكون فظنت عدم كفاية المقدار فاستعملت في الصباح ثلاثة أرباع قمحة في مرة واحدة فبعد نصف ساعة حصلت العوارض المخية والعصبية مع تعب وعرق بارد وغثيان وقلس وانتقاع في الوجه وسقوط في حالة غشيية ومكثت كذلك في هبوط زائد مدة ٣ أيام ولم تستعمل لذلك الامتقوعا مضاداً للتشنج محضا بعد ابتداء الاعراض بست ساعات وشوهد حصول مثل تلك الاعراض مع وضع نصف قمحة فقط من الخلات في جرح كي . وأما ماجندى فلم يشاهد أن هذا الملح أنتج شيئا من هذه العوارض بل شك في الفعل الخطر للمرفين حيث قال أن ذلك لا يحصل الا بشرطين عظم المقدار جداً وعدم وجود القيء مع أن هذا ربما كان عسراً فهو يعتبر هذا الملح أقل فاعلية مما يظن عموما . ولكن تجوبيات التي تفيد غير ذلك كاملت وأنه قد يحصل منه تأثير محزن وتقوى ذلك بمشاهدات حتى أن شفليير الاقرباذيني تجاسر وعرض نفسه لتأثير هذا الخلات ليشاهد نتائجه فاستعمله ٤ أيام متتابعة مبتدئاً بربع قمحة حتى وصل الى قمحة وحصلت له الاعراض المتبعـة مثل الصداع والعطاش الحرق والقولنـج والجذب في المعـدة واتساع الحـدقة وقوة النبض وتعب التنفس مـع أوجاع في الصدر والبطن وطول السلسلة ونوم شاق متقطع مفزع وتكسر في الاطراف وازورار محمرة بهيئة طفحات وفقد القوى العقلية

وتكسر في البول ولما وصل الى قمحة اشتدت تلك الاعراض وصار النوم عميقا وبالجملة اذا استعملت أملاح المرفين بمقادير كبيرة أنتجت في الانسان العوارض التى يحدثها الافيون وستأتي فتسبب أولا نقصا في الفعل العضوى ثم يقف مقدار كبير من الدم في المراكز العصبية فتتكدر القوى العقلية ويحصل هذيان وانخزام في التأثير العصبي بعرض انقباضات في العضلات فجائية وتشنجات وتيبسات في الاطراف وتوباتيتنوسية وكذلك انخزام في انقباضات القلب والحجاب والعضلات التنفسية وذلك بعرض التقيؤ ونحوه ثم من تراكم الدم في المخ يحصل فيه ما يسمى بالاحتقان الدموى فيعرض انتقاع الوجه وانتفاخه وبطء النبض وعدم انتظامه وفقد الحس والحركة ثم حالة سكتية ثم الموت . وأكد بعضهم أن هذه الاملاح لا يحصل منها في الحيوانات الا النوعان الاولان من النتائج ولا يتكون فيها الاحتقان الدموى المخي الذى يحدثه الافيون في الانسان ولعل ذلك لهيئة تشريحية في المخ تفيد اختلافا في نتائج الافيون اذا قوبل فيهما الانسان بالحيوانات . وفي كتاب السموم لاورفيلا أن تأثير المرفين ومركباته أقل شدة على الحيوانات من تأثيرها على الانسان وأنزل جداً من فعل الافيون فالكلاب القوية تتحمل منها مقادير كبيرة بدون أن تموت وأما الكلاب الصغار سناً وقداً فتقتلها في بعض ساعات ٤٠ أو ٦٠ قمحة مع أن ١٢ قمحة من الخلاصة المائية للافيون تسبب للكلاب تسمما قويا وربما الموت والتأثر بهـا يكون واحدا تقريبا سواء أدخلت في الطرق الهضمية أو في الاوردة أو في المنسوج الخلوى أو وضعت على الاعصاب أو النخاع الشوكي أو المخ واذا حلت في الكؤول كان فعلها أشـد على الانسان ولعدم اعتياد الكلاب الكؤول يحصل لها من هذا السائل وحده نتائج مهلكة واذا فتحت الجثة لا يوجد في التسمم الحاد تغير في القناة الهضمية ولا في أعضاء أخر أما في التسمم البطيء الحاصل من ازدياد كميات خلات المرفين كل يوم فانه يوجد التهاب في القناة الهضمية المعدية خصوصاً في ستة قراريط من ابتدائها وفي المستقيم وتوجـد جميع الاعضاء لينة ضامرة وعلاج هـذا النوع

من الة مم مثل علاج التسمم بالافيون وهو أن يدفع الجوهر بالمقيئات ثم تستعمل المشروبات المحمضة والمنقوع القوى لبن القهوة ثم المحولات والحقن المسهلة وربما الفصد اذا كان هناك احتقان مخي وهو آخر علاج يفعل واعتبر البير الايبا كاكوانا ومطبوخ القهوة قوبي الفعل جداً وأما جعل بعضهم الحمض الخلي علاجاً ذاتياً لهذا التسمم فان المشاهدات تؤيد أن ذلك في الابتداء يزيد في العوارض

(الاستعمال العلاجي) يستعمل المرفين وأملاحه في الاحوال التي يستعمل فيها الافيون حتى في الاحوال التي لا يتحمل فيها هذا الجوهر واختصاصها بأمراض مخصوصة أقل من اختصاصها بالامراض كالآلام فهي في الحقيقة اكثر استعمالاتها الحساسية العصبية والسهر والآفات المؤلمة من جميع الانواع فهي في ذلك انفع منه وتنال منها نتائج جيدة وأمثلة ذلك عند الاطباء كثيرة وربما تجربيات بالى وما جندى وجيرار وغيرهم وأ كثر استعمال المرفين واحسن منه املاحه وضعاً على الادمة فى اوجه الروماتزمي المزمن والاوجاع العصبية المختلفة الانواع كالآلام القطنية والنسائية حيث نال بالى من استعمالها في ذلك نتائج جليلة عجيبة وبلغ بعضهم بالكمية الى ٦ قمحات من الباطن في وجع عصبى قيانى متقطع قوى الشده فزال بذلك حالا. واستعمل جيرار وضع الخلات والكبريتات من الظاهر على الجلد ووجد فعلهما قويا بمقدار نصف قمحة الى قمحتين بل ٣ قمحات تزدرد من الباطن لتدخل في الطرق الاولى وشفي كثيراً بهذه الادوية من الباطن أوجاع عصبية وجهية وأوجاع معدية مزمنة ونجح استعمال الخلات في آلام استيروس الرحم وفي الاوجاع التى تملن فى النساء بمجيء الحيض وشوهد أن مقداراً منه من قمحتين الى ٦ قامت في النفع مقام ٣٠ بل ٤٠ قمحة من الافيون في مصابة بسرطان رحمي مصحوب بأوجاع شديدة وأن صداعا مصحوبا بسهر شق بمقدار من ثمن قمحة الى قمحة. وعلى رأى ربكور ١٠ اذا أعطى منه ربع قمحة كل ساعة في ملعقتين من ماء سكرى في ابتداء الشقيقة فانه يقطع نوبها وحقق ذلك جملة من الاطباء واتفق أن مريضا كان

يحصل له عسر ازدراد مصحوب بتشنجات وفراق وفقد معرفة متى اراد أن يأكل ومكث على هذه الحالة خمسة عشر يوما فانقاد ذلك لوضعين من نصف قمحة من كبريتات المرفين تحت الحنجرة على الادمة المتعرية وقد ذكرنا ان قمحتين وضعتا على نفاطة فأبرأتا تيتنوسا نتج من استعمال جوز القيء وشوهد كثيراً شفاء تيتنوسات ناشئة من اسباب اخر كالفزع والاعمال الجراحية وشفي هذيان مهول قوى الشدة باستعمال ٨ قمحات قسمت اربع كيسات وبالجملة ثبت بالتجربيات نفع الخلات في آفات عصبية مختلفة وفي التهابات مزمنة في الجهاز التنفسي والهضمي وثبت فعله المسكن في الآفات المزمنة في القلب وفي الاستعداد السرطاني ووجدوه أحسن من المستحضرات الافيونية الاخر في الآفات النزلية الصدر. وشفيت ايضا اوجاع بالوراوية بوضع نصف قمحة منه الي قمحتين على الادمة العارية من بشرتها. ونفع ايضا في انورسما الاورطي الصدرية المصحوبة بآلام وسهر فسكنت تلك الاعراض باستعماله ومدحه بعضهم في الازمنة الرحمية وربما المصحوبة بأوجاع في الرحم أى بعد استعمال الفصد في الاول

(المركبات الاقرباذينية للمرفين واملاحه) ينبغي ان يكون مقدار المرفين واملاحه في الابتداء من ثمن او ربع قمحة ونادراً نصف قمحة ويكرر حسب الحاجة مرتين او اكثر في اليوم والاعتياد لا يزيل من التأثير الا شيئا يسيرا كما شاهد ذلك ماجندى وبالى ولذا لا يزاد المقدار الا بعد كثير من الايام حتى يبلغ قمحة او قمحتين في اليوم مع الانتباه لنتائجه. وحبوب المرفين تتكون في العادة من سنتغرام واحداً و ٢ من المرفين او خلاته او ادروكلوراته او كبريتاته ويقسم هذا المقدار في كمية كافية من مادة لعابية ومسحوق عديم الفعل ومن حيث ان المرفين اقل ذوبانا من املاحه يكون تأثيره اقل شدة منها وكبريتات المرفين تسهل اذابته نقيا فهو المختار في العادة ومع ذلك فقد يكون من النافع تغيير تلك الاملاح بعضها ببعض اذا اعتادها المريض

وشراب المرفين يصنع بأخذ ٥٠٠ غرام من شراب السكر و ٢٠ سنتغرام من خلات المرفين فيصنع ذلك بقتضي

الصناعة شربا يمكن أن يقوم مع المنفعة مقام شراب الخشخاش والمقدار منه ملعقة قهوة في كل ٣ ساعات فاذا أبدل خلات المرفين بكبيريتاته نيل شراب كبريتات المرفين الذى يستعمل كما ذكر . والجرعة المضادة الوجع المعدى (سندراس) تصنع بأخذ ٤٠ غراما من الماء و٥ غرامات من السكر و١٠ سنتغرام من كلورادرات المرفين ويستعمل من ذلك ملعقة قهوة متى استشعر بالوجع ويجدد استعمال تلك الملعقة كثيراً أو قليلا على حسب شدة الوجع وتقلله عند الاحتياج الى أن تفرغ الجرعة مع ان الغالب سكون الوجع وخلاص المريض من الداء بعد استعمال بعض ملاعق ويبن كل ملعقة واختها ١٠ دقائق . ومرهم المرفين يصنع بأخذ ديسيغرام واحدمن كلورادرات المرفين و٦ غرامات من الشحم الحلو البلسمي بزجاج ويدلك به الجزء المتألم وهذه الواسطة مستعملة في معظم الاوجاع العصبية عند سندراس واستظهر انها اما مساعد قوى المرفين او قائمة مقامه في الوضع على البشرة المتعرية ولذا حصل من استعمال هذا المرهم نجاح عظيم بوضعه على اجزاء الوجه المتألمة بالاوجاع العصبية التي مجلسها في الزوج الخامس وكذا على مسير العصب النسوى في اوجاعه العصبية وعلى القسم القلبي في الاوجاع العصبية التي تحصل في القلب وعلى مسير الاعصاب التي بين الاضلاع اذا كانت تلك الاعصاب مجلساً للداء وعلى القسم القدمى أو الاربي أو المعدى اذا لزم الوضع على تلك الاقسام

(الخلاصة الطبية)

﴿ المورو ﴾ هو نوع من السمك يستخرج من كبده الزيت المعروف بزيت السمك وهذا الزيت لشيوعه نرى ان ننقل هنا عنه ماذكرته المادة الطبية فقد جمعت خواصه فأوعت مما يهم معرفته والاطالة في هذا الموضوع خير من الايجاز :

قد يقال له أيضاً دهن كبد مورو بضم الميم والراء وهو دهن يستخرج من كبد حيوان بحرى يقال له بالافرنجية مورو وباللسان الطبيعى غادوس مورو وقد يقال مرلوسيوس بكسر الميم وكما يستخرج من كبد مورو يستخرج أيضا من كبد انواع أخرى من جنس غادوس مثل كبد السمك المسمي بالافرنجية ريه

بفتح الراء وباللسان الطبيعى رايابستناكا وجنس غادوس يحتوى على انواع كثيرة يقل الاهتمام بها في الطب وانما المهم منها فيه هذا الحيوان المسمي مورو والنوع المسمي مرلان اى البورى المهم في المأكل وتعيش تلك الحيوانات في أوقيانوس متجمعة مع بعضها فتكون في البحر بهيئة قطائع وهي جزء مهم من صيد السمك لحمها ابيض مورق وسليمة غالبا والديدة في المأكل والنوع الذى نحن بصدد دهنه سمك يطول جملة اقدام ويسكن بالاكثر البحر الشمالي وصيا صخور الارض الجديدة التى هى جزيرة بأمريكا الشمالية حيث يصاد بكثرة ويكون للارلنديين غذاء اعتياديا كما يكون لغيرهم من الاغذية العظيمة النفع واذا كان طريا سمي ايضاً بالافرنجية قابليو ويسمي بذلك عند الولنديين وهو جيد للاكل واذا جفف وملح كان في الغالب قشريا عسر الهضم غالبا ولكنه نافع واذا قلل ملحه ولطف بالزبد الطرى ونحوه كان قاعدة لمآكل فاخرة يستلذ بها . وجلده دسم الذيذ الطعم وكبده جيدة المأكل وكانوا سابقا يستعملون مسحوق اسنانه والحجارة التى في رأسه بمقدار من ١٠ قمحات الى ٣٠ كدواء ماص نافع للصرع والاسهال وسلامورته كدواء محلل ومجفف اذا وضعت من الظاهر وكلين لطيف اذا اعطيت حقنة ولكن النافع منه الآن بالنظر العلاجي دهن كبده وهو المهم لنا وكما يسمي دهن كبد السمك وهو غير الدهن الاعتيادى للسمك الذى يغش به غيره من الادهان

(تحضير هذا الدهن وصفاته)

تستخرج اكباد تلك الاسماك بعد صيدها وتلقي في دنان معرضة الشمس فتسيل منها دهن صاف قليل الرائحة يستل عنه في المتجر ولكن خاصته الدوائية قليلة بل معدومة ثم يحصل في تلك الاكباد بعض تعفن وينفصل منها مقدار جديد من دهن أصفر شفاف طعمه سمكي واذا ازدرد حدث منه احساس غض في عمق الحلق فهذا نوع ثان معروف أيضاً في المتجر وهو في الطب اقوى فاعلية من الاول ويتم استخراج الدهن بالقاء هذه الاكباد المتعفنة في طنجير من مخلوط المادن وينفصل منها بالغلي ودهن ذلك اصفر فيه بعض شفافية ورائحته

سمكية كريهة شياطية وطعمه حريف قوى وهذا هو الذى يلزم استعماله في الطب دون غيره من الصنفين الآخرين ولكن بعد اجتنائه منعزلا عن الحبوب التى تتكون من المواد الازوتية يلقى على خرقة أو منخل من الصوف فاذا سال معظمه يضغط على مافي منخل الصوف بلوق ثم يترك بعد ٢٤ ساعة والدهن السائل بذلك حيث لم يبق فيه ماء يترك ونفسه بعض ايام لترسب منه مادة بيضاء متجمدة فاذا انقطع الراسب يرشح ويحفظ للاستعمال واكباد السمك المسمي ريه يخرج منها اكثر من ربع زنهاز يتأمر شحا واذا فعل الطبخ من أول الامر في الاكباد كان المجهز منها اصفر ذهبيا ورائحته كرائحة دهن القيطاس أى البالين أو السردين العارى وبالجملة فالزيت الموجود بالمتجر ثخين اسمر وثقله الخاص ٩٢٨ ر٠ واذا سخن الي ١٥٠ درجة لم يتحلل تركيبه واذا نزلت حرارته الى ١٠ تحت الصفر لم يرسب منه راسب كما قال مردير

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ١٣٠ ر٠ من راتينج رخو اسمر يذوب في الاتير و ١٥٦ ر٠ من راتينج صلب اسود و ٩٣١ ر٠ من الملام و ٠ ر٩٥ من الحمض اوئتيك أى الدهنى و ٠٠ر٨ من الحمض مرجريك أى اللؤلؤى و ٠ ر١٨ من جليسرين و ٠ ر٢٥ من مادة ملونة ويحتوى ماعدا ذلك على يود لكن بمقدار يسير فقد استخرج من لتر من دهن مورو ١٥ سنتغراما من يودور البوطاسيوم ومن دهن ريه ١٨ سنتغراما. انتهي من بوشرده وقال تروسوتوهم الطبيب (كاب) سابقا وجود اليود في هذا الدهن فترجي مبغير الاقرباذينى بمدينة اورم أن يحقق ذلك فحصلت التجربة بالكيفية الآتية وذلك انه اخذ رطلا من دهن اكباد هذه الحيوانات الذى هو اصفر مسمر محمر وصوبنه بمحلول الصودا الكاوى المفرط المقدار ثم كربن الصابون السائل وغسل الفضلة غسلا قلويا ثم اضيف المحلول الحمض الكبريتى لكن لم يصل به الي الشبع التام ثم بلور كبريتات الصودا وبخرت مياه الام الي الجفاف ووضعت الفضلة في قنينة صغيرة مع يسير من الماء واضيف لها الحمض الكبريتى المركز مع يسير من بيرو كسيد المنغنيز فحينئذ اخذت ورقة

منشاة وثبتت في السدادة فتلونت بزرقة جميلة وعولج جزء آخر من الفضلة بالنشا والحمض النترى فحصل منه أيضا يودور النشا الازرق ونتج من عمل آخر ان الدهن القاتم اللون يحتوى على يود ازيد بقليل من الدهن الزاهي اللون . وتبحث عن قريب في الدهن المسمى دهن برجان بكسر الباء المأخوذ من انواع مختلفة من جنس غادوس فعلم ان دهن مورو هو الاحسن والاكثر فتنتج مما ذكر ان لهذا الدهن ٣ اصناف الدهن الابيض الذى ينفصل بنفسه من الاكباد المتراكمة في الدنان والدهن الاحمر الذى ينفصل فيما بعد والدهن الاسود الذى يسبح على سطح الماء الذى غليت فيه الاكباد التى تجهز منها قبل ذلك الدهن الابيض والدهن الاحمر . انتهي وقال ميره في الذيل ذكر هوس ان الاجود هو الاسود وان الابيض عديم الفعل وان الاحمر فيه بعض خواص ولكن لا تبلغ خواص الاسود انتهي . وفي تروسو ان الاصناف الثلاثة حللت تحليلا كيماويا ونتج من تلك التحاليل ان دهن الاكباد بقطع النظر عن اجسامه الدسمة ومواده الصفراء التى يتكون منها اعظم جزء منه ومن اليود الذى انكشف فيه من زمن طويل يحتوى على كلور وبروم وفصفور ومن وجود هذه الاجسام الثلاثة التى لها خواص قوية يتضح لنا التأثير الخاص لهذه الادهان في بعض الامراض وكان ذلك التأثير منسوبا قديما لليود ولكن لا ينبغي ان ينسب له وحده وانما الفعل الجليل المخصوص بهذه الادهان في لين السلسلة ينسب للفصفور كما هو قريب العقل وثبت من التحاليل الجديدة للقواعد الفعالة وهى اليود والفصفور وغير ذلك تكون في الدهن الاسود بمقدار اكبر مما في النوعين الآخرين وان هذا الاسود يحتوى خلاف هذا على مقدار يسير من الحديد وبالجملة أستحق دهن مورو ان يعد الآن من الجواهر الدوائية التى تذكر في المادة الطبية

(التأثير الصحي) علم من ٧٦ مشاهدة استخرج رستير نتائجها انه شوهد غثيان في ٣ اجوال وقيء في ٣ ايضا وحصل في حالة واحدة فقد شهية وحس احتراق وشوهد نقص الشهية في المصابين بلين السلسلة وشوهد في ١٧ زيادة استفراغ

معوى وفي مزيادة افراز بولى مع رسوب فيه وشوهد ايضا فيضان طمثى وفي ١٢ تعربق وأحيانا ظهرت رائحة الدهن في العروق وفي ٧ حرارة في الجسم يسبقها احيانا اكلان محرق في الجلد واحيانا اخر اندفاع نكت صغيرة حمر مع اكلان وبالجملة فالتأثير الصحي قليل

(التأثير العلاجي) تأثير هذا الدواء في داء السلسلة واضح بحيث يستحق ان يأخذ له محلا جليلا في صناعة العلاج فقد اتفق ان طفلا عمره سنتان لانت سلسلته فاستعمل في الصباح وفي المساء نصف ملعقة من الدهن وتم شفاؤه حينما استكمل ٥٠٠ غراما وطفل آخر كذلك شفي بعد استكمال ٣٠٠ غرام وتكررت امثلة من ذلك في الصغار وكان مقدار ما يستعملون من نصف ملعقة الى ملعقة من هذا الدهن وليس ظهور فاعلية الدواء من تغيير التدبير الغذائي او دخول الفصل الجيد او ابتداء دور النمو والغالب ظهور الجودة بعد اسبوع او اسبوعين من استعماله فالاسنان تنظف وتتصلب بعد اسودادها وتحركها وتبتدىء الاطفال في استمساك الساقين بل يمشون اذ

كانوا في سن المشي وتحسن حالة هضمهم وتصير ابدانهم اكثر ارتخاء وصبا في القسم الكبدى ويزول منهم الجوع الكلي او فقد الشهية الذى كان مع حموضة المعدة ويعود الشكل الطبيعي الاضلاع التى كانت ملتوية . واشتهرت مشاهدات كثيرة في بلاد النمسا من هذا القبيل حتى في البالغين . وأعاد تروصو تلك التجريبات فأكد انه يؤثر تأثيرا سريعا دائما في الاطفال المصابين بذلك ونال نجاحا بسرعة كانت غير مؤملة . قال وشاهدنا احيانا بعد اربعة ايام او خمسة من العلاج قطع الاوجاع الحادة التى تكون مع الاطفال في جميع اطرافهم وكثيراً ما اكتسبت العظام التى كانت سهلة الانثناء من اللين صلابة عظيمة بعد خمسة عشر يوما واتفق ان امرأة مصابة بلين العظام في اعلي درجة ولا يمكنها ان تحرك طرفا من اطرافها ان هيكلها رجع لصلابته ومتانته بعد شهرين من العلاج وصارت متمتعة بصحة جيدة قال وقبل ان نعتاد على ممارسة امراض الاطفال وتشخيصها كان يشتبه علينا كما كان يشتبه على غيرنا داء السلسلة بالخنازير مع ان داء الخنازير

كثيراً ما يتضح بآفات درنية وأما لين السلسلة فلا تظهر فيه درنات أو أقله ان مصاحبته لذلك نادرة على أن هذه التولدات العارضية توجد في معظم الاطفال الذين يموتون بمرض مزمن . وكان يشتبه علينا أيضا مرضان متميزتان عن بعضهما أحدهما الاستحالة الدرنية في العقد الماساريقية والاستسقاء السمباتوى أى الاشتراكي لداء السلسلة فمن المهم أن يعرف ان أغلب الاطفال المصابين بالراشيتس يعظم فيهم الكبد ويحصل في بريتونهم انصباب مصل يكون في الغالب كثيراً وذلك الانصباب يمتص مواده بأسهل وجه مع شفاء داء السلسلة ويظن الاطباء الغير المجربين انهم أبرأوا بدهن مورو هذا الداء المهول الذى يندر شفاؤه أى الاستسقاء البريتوني. ويقول أيضاً ان الراشيتس داء يبتدىء غالبا في خلال السنة الثانية من الحياة وأما الاستحالة الدرنيه الماساريقية فهي آفة نادرة فى الاطفال الرضع بحيث نكاد لا نشاهد بالمارستانات مدة سنين فلا يفتح فيها الا جثة طفل أو طفلين ماتا بداء الماساريقا اى استحالتها الدرنية ونحن ما أردنا

بذلك المنازعة في منفعة هذا الدهن في علاج الخنازير المحقق فانا نعلم انه شفي به عقد محتقنة جداً درنية اى باستعمال مقادير كبيرة منه اى من ٢ الي ٣٠ غراما في اليوم ولما نجح على يد كثير شفاء الخنازير المعقدية بهذا الدواء تجاسروا على تجربته في داء اثقل جداً من الاستعداد الخنازيرى وهو السل الرئوى فكان بريير من اشد الناس حماية لذلك التداوى وعرض لديوان الدماء مؤلفا نسب فيه له أحوالا كثيرة من الشفاء . قال تروصو وقد أعدنا كثيرا تجريباته فوجدناه في معظم الاحوال عديم النفع ككثيره من المداواة التجريبية والمعقولة التى تستعمل كل يوم في هذا السل . وأما نفعه في الروماتزم المزمن فلم يتوافقوا عليه مع أن مشاهدات سنك تفيد نفعه في ذلك نفعا جليلا لكن تلك المشاهدات التى ذكر أن موضوعها داء روماتزمى ربما كان موضوعها أمراضا في النخاع والعمود الفقرى لا أوجاعا روماتزمية حقيقية . على ان أحوالا من البربليجيا المؤلمة (أى شلل ما هو أسفل الحجاب الحاجز) شفيت مكثت مدة سنين وأحوالا من عرق النسا للفرد

أو المزدوج الناشىء كما هو قريب العقل
من مرض في طرف النخاع الفقرى
انقادت سريعا لتأثير هذا الدهن بعد ان
كان غيره من الادوية عديم النفع وذكرت
مشاهدات تثبت فاعليته في الامراض
المزمنة او الخنازير في المجموع العظمي لكن
في كثير من الاحوال قد تزيد الاوجاع
الروماتزمية من الكيات الاولى وبالجملة
حصلت منازعات بين الاطباء في هذا
الدهن فأنكر كثير من أطباء البلجيق
والنمسا خواصه الدوائية وقالوا ان مثله في
الخواص الدهن المسمى في المتجر بدهن
السمك المستخرج من الاسماك القشرية
الكبيرة واستحسن هذا الرأى بريطونو
وأمر لمرضاه بدهن القيطس او دهن السمك
بدون فرق بينهما . ويقال انه نال من ذلك
نجاحا واستعاض دبواس عن دهن
مورو بدهن الخشخاش المأكول
واستعمل دهن القرنفل في ١٤
من الراشيتس وفي ١٠ من أمراض
خنازيرية مختلفة ولكن نتائجه لم
تكن انفع من نتائج دهن مورو وأمر
بوقان في احوال من الآفات
الخنازيرية كالتيبسات العقدية والقروح
الخنازيرية وانتفاخ العظام مع تسوس
أو بدونه باستعمال شحم الخنزير وأعطاه
المرضي على الخواء بمقدار ٨ غرامات
وبعد الازدراد حالا يأكل المريض
في أى شوربة كانت الجزء الشحمي
الذى سال من الشحم بفعل الحرارة
وبعد ساعة يستعمل طاس قهوة مع شقق
من الخبز مدهونة بالزبد فاذا كان الداء
خفيفا كفى ٤ اسابيع او ٦ لاتمام الشفاء
واذا كانت الاعراض ثقيلة أدمن
استعمال ذلك ٣ أشهر ». الى أن قال بعد
ذكر امكان مساعدة فعل الزيت بأكل
اللحم وهو رأى قد ظهر بطلانه . وجرب
بوبر في كثير من الامراض أدهانا مختلفة
الانواع كزيت الزيتون وزيت الخشخاش
وزيت الكتان وزيت السمك وتلك
الزيوت لم تستعمل الا من الظاهر دلكا
على جميع سطح الجسم بواسطة اسفنجة
رقيقة تسخن تسخينا لطيفا وتفعل
الدلكات عادة في المساء ثم يلف المريض
في رداء من الصوف ويترك كذلك مدة
ساعتين وأول ظاهرة تشاهد حينئذ عرق
كثير ينتشر على سطح الجسم وكثيرا
مايصحب ذلك في الاطفال اندفاع شبيه

في المنظر بالحمرة . والنتيجة الثانية العظيمة
الاعتبار هي سكون المجموع العصبي الذى
لايلبث قليلا حتى يظهر بنوم هادىء
عميق. والنتيجة الثالثة هى ازدياد جميع
الافرازات وسهولة النفث أى التنخم
وكثرة البول وفاعلية جيدة في وظائف
الكبد .وآخر النتائج عموما يشاهد سريعا
في الاطفال وهو ان البراز الذى كان
أخضر حمضي الرائحة يصير أصفر في
منظره الاعتيادى .فلن يصح ان تؤمل
نتيجة جيدة في الدلكات الزيتية في
جميع الآفات والاوجاع العصبية
والتشنجات والروماتزمات ونحو ذلك
حيث يتكون من الظاهرات المذكورة
دلالات رئيسية على الحالة المرضية وماعدا
ذلك يصح أن يعتبر الدهن دواء ذاتيا
حقيقيا للامراض التى طبيعتها خنازيرية
وتلك الدعوى مبنية على تجريبات عديدة
فعلها الطبيب المذكور في أشكال مختلفة
من الآفات الدرنية ويظهر منها أن
الدلكات الدهنية تؤثر في الاحوال التى
من هذا النوع بأن تصير الهضم الاثنى
عشرى أقوى فاعلية وتزيد في مقدار
الكيلوس وتجعل البنية في أحوال مخالفة
للاحوال التى تعين على ظهور الخنازير
وينبغي ان يعلم ان استعمال هذا الدهن سواء
من الباطن او الظاهر لايخلو من أخطار
فاذا دخل في المعدة خيف من القرف
وعدم الهضم واستعماله دلكا يلوث الطرق
والملابس ومع ذلك قد يكون تحمل
القذارة بالاستعمال من الظاهر أسهل مما
ينتج من الازدراد ولما كانت تجريبات
بربر كانها بالدلكات ويمكن في الاحوال
التى كانت منشأ المرض فيها ارتفاع اجزائها
الى الباطن او غيبوبة مرض خنازيرى
أن الدلكات تعيد الآفة الجلد بعد أن
يجرب غيرها من الوسائط بدون منفعة
ونال بربر نتيجة واضحة في حالتين من
الاندفاع القوباوى في البالغين الذين كانوا
عرضوا لمعالجات أخر وكذا في حالتين من
السل الدرنى المؤكد مع حمى دقية في
احداهما فساعدته المقادير على شفائهما
بذلك في زمن يسير ومع ذلك اعترف بانه
يلزم في هذا الداء المهول اعادة التجريبات
وكان في الاحوال التى من هذا القبيل
لم يقتصر على استعمال الزيت من طريق
الدلك بل أمر ايضا باستعماله حالا مع

استنشاق الابخرة الزيتية المعلقة بأجزاء الهواء المحيط بالحمام. قال تروسو وهذا غير معلوم لنا اذ لا يخفي ثبات هذه الاجسام أى الزيوت وامتد النجاح مع هذا الطبيب للاستسقاء الحاد في الاطفال الخنزيرين فاستعمل اولا العلاج الاعتيادى المقول لهذا الداء منضما مع الزيت ثم استعمل هذا الجوهر الاخير وحده من ابتداء العلاج الى انقطاع العوارض انقطاعا تاما . انتهي . فتلخص مما ذكرنا ان هذا الدهن قوى التنبيه يستعمل علاجا لين السلسلة والاورام البيض وتسوس العظام الحاصل من آفة خنازيرية وجميع الآفات الخنازيرية والدرن والروماتزم المفصلي وبقية الاوجاع الروماتزمية والنقرسية والامساك المستعصي وسلس البول ولكن شهرته الكبيرة في لين السلسلة والعظام فيتقوى به ٥ يقهر اللين . ومدحوه ايضا لازالة نكت القرنية واستعملوه حقنا علاجا للديدان الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال) هذا الدهن يمزج عادة بشراب او بمري للاطفال الذين عمرهم سنة او سنتان والمقدار من غرام الي ١٠ ولا يجاوز تردي هذا المقدار ولكن يزاد للمتقدمين في السن وقد تكرهه الاطفال في اليومين او الثلاثة الاول ثم يستطعمونه بل يتطلبونه وهناك من يرفض تعاطيه . واما الغثيان والقيء والاسهال التي قد تسببها المقادير الاول فتزول بنفسها . ولكن هناك عارض متعب وهو الاندفاع الاجزتيماوى او الحوصلي الذى يحصل منه للاطفال أكلان شديد ويدوم ذلك مدة استعمال الدواء والمقدار منه للاستعمال من الباطن خالصا من نصف ملعقة قهوة الي ملعقة فم او ٣ تكرر مرتين في اليوم ويستعمل بعد كل مرة قليل من منقوع القهوة او كاس من منقوع عطرى ثم تعتاد المرضى علي طعمه بعد كراهتهم له . ويستعمل ايضا من الظاهر خالصا دلكات تكرر مرتين او ٣ في اليوم على محل الآفة ويوضع منه نقط بين الاجفان في امراض الاعين . انتهي بوشرده . وقال ميره يعطي من الباطن في اليوم بمقدار من ٣ ملاعق الى ٤ من ملاعق الفم للبالغين ومثل ذلك العدد من ملاعق القهوة للاطفال ويمزج لهم بشراب او لنوق أبيض بحيث تأخذه الاطفال مع اللذة . اما البالغين فمن حيث

انه قد يسبب قلسا كريها ينبغي مضمضة الفم بعد ازدراده ومضغ بعض خبز أو تعاطي بعض اجسام عطرية أو روحية بمقدار يسير . وقال انه كثيراً ما يجمع للاطفال مع تحت كربونات البوطاس وقليل من دهن طيار . انتهي ثم انهم ادخلوه في مركبات وجعلوه أساسا لها وخصوصا في الاستعمال من الداخل لاجل اخفاء طعمه فصابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ٦٠٠ غرام من دهن مورو و ٨٠ غراما من الصود الكاوى و ٢٠ غراما من الماء يذاب الصود في الماء ثم يمزج حسب الصناعة المحلول مع الدهن ويصح أن يستعمل ذلك الصابون بكيفية استعمال الصوقات ويخدم للتغيير على الجروح لانه غير قلوى وكل ٨ غرامات منه تحتوى على ٥ غرامات ونصف من الزيت . وصوبة يودور البوطاسيوم مع صابون دهن مورو تصنع بأخذ ٤ غرامات من يودور البوطاسيوم و ٤ غرامات من الماء العام و ٣٠ غراما من صابون دهن مورو تمزج حسب الصناعة بحيث ينال من ذلك مخلوط متجانس الطبيعة جيداً . وبلسم دهن مورو يصنع بأخذ ٦٠ غراما من كل من صابون دهن مورو ومن الكؤول الذى في ٩٠ من المقياس المئيني لجيلوساك يذاب الصابون في الكؤول على درجة حمام مارية ثم يصب المحلول في قناني بلسم أو بودلدوك تسد بعد ذلك مع الانتباه فاثنان وثلاثون غراما من هذا البلسم تحتوى على ١١ غراما من دهن كبد مورو وحبوب صابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ١٠ غرامات من صابون كبدمور ويحبب الصابون في مسحوق صمغ الكثيراء ثم يقسم حسب الصناعة ٢٠ حبة تساوية تستر أوتحتها بتغطيتها بطبقتين متواليتين من عسل وصمغ فلاجل ذلك يذاب على الحرارة ٦٠ جزءاً في الوزن من عسل أبيض صاب في ٦ اجزاء من الماء ويستخدم المحلول المنال لاجل تندية سطح الحبوب ثم تترك هذه الحبوب لتسقط على مسحوق صمغ الكثيرا فاذا انغلت بالمناسب في هذا المسحوق تترك ونفسها حتى تجف ثم تعالج مرة ثانية بالكيفية التى ذكرناها بالماء المعسل ومسحوق الصمغ وهاتان الطبقتان تكفيان لمنع الرائحة والطعم الخاصين بالصابون بحيث لاتدركهما

حاسة الشم ولا حاسة الذوق في المريض وكل حبة من تلك الحبوب يوجد فيها ٤٠ سنتغراما من الصابون وتحتوى على ٢٧٥ مليغرام من الدهن وجرعة دهن مورو تصنع بأخذ ٩٠ غراما من الدهن و ١٥ غراما من الصمغ العربي و ٦٠ من كل من الماء ومن شراب الافيون تمزج حسب الصناعة. واستعمل رابير هذه الجرعة ٤ ايام بثلاث كميات علاجا للالتهابات الرئوية المزمنة والمعدية المزمنة وشراب دهن مورو يصنع بأخذ ١٢ جزء من السكر وجزء من كل من الموز المر ومسحوق الصمغ و٢ من الدهن و ٦ من الماء النقي يجروش الموز مع الصمغ ويقصر السكر ثم يضاف له شيئا فشيئا الدهن مخلوطا قبل ذلك بالماء وبصول ذلك زمنا طويلا ثم يضاف له شيئا فشيئا باقي الماء اللازم دخوله فى الشراب ثم يصفي السائل المستحلب ثم يذاب السكر على حرارة لاتجاوز ٤٠ مئينية لاجل التحرس من تجمد الجزء الزلالي الذى في الموز. ومرهم دهن مورو يصنع بأخذ ٢ جزء من خلاصة الحباب ومثلها من دهن مورو وجزء من المرهم اليموني و ٤٨ من نخاع العجول تمزج حسب الصناعة. واستعمله قارون في بعض الارماد المزمنة. ومرهم آخر يصنع بأخذ ١٥ جزء من الدهن و٨ من تحت خلات الرصاص الذائب و ٢: من مح البيض يمزج ذلك ويستعمل في التنفيير على الجروح الخنازيرية التابعية وفي التهاب وتقرح العقد الينفاوية

﴿ الموز ﴾ جاء في كتاب الزراعة المصرية التى أصدرته الحكومة

يطلق اسم الموز والطلح في كثير من البلاد على نوع واحد من الفاكهة بلا تمييز الا اذا دققنا في القول فان الطلح يطلق على النبات الكبير ذى الثمر الاطول والاصلب والاقل عطراً عادة ولبه نشوى اما الموز فانه متى نضج يكون اكثر سكرا وأقل نشاء وأطيب رائحة

ويزرع في مصر كل من الموز والطلح فأما الموز فنه نوعان احدهما الموز الحقيقي والموز الصيني

وهناك انواع اخرى منه مثل النوع المسمي انست والنوع المسمي روساميا الا أن هذين النوعين يزرعان بقصد الزينة لحسن أوراقها والموز من بين

النباتات الحشيشية الغزيرة الكثيرة الانتشار في الاقاليم الحارة والتي تليها التى تستدعي عادة النفاتا خصوصيا لانه من الامثال العجيبة التى تدل على تخار المزروعات في الاقاليم الحارة ومع ذلك فهذا الشجر الشبيه بالنخل ليس خاصا بالاقاليم الحارة بل هو ايضاً في كثير من الممالك الاقل حرارة في كل من نصف الكرة فانه يزرع في أنحاء منطقة عظيمة ممتدة بين درجات العرض ٣٢ او ٣٨ شمالا و ٣٥ جنوبا ولو ان زراعته ليست متواصلة

وليس لهذه الفاكهة في افريقا اهمية تضاهي أهميتها في آسيا وامريكا الا في غينيا وجزائر كناريا وجزائر ماديرا وجزائر مدغشقر حيث يزرع كثير من الموز الوطني

ولا يوجد الموز على الشواطىء الشرقية الا قليلا في الحبشة والنوبة ومصر ويوجد أيضا في الجزء الشمالي من افريقا حيث ادخل زراعته العرب الا انهم لم يعتنوا اعتناء عظيما أبداً بهذه الزراعة. اما في أوربا فان زراعته خاصة بالجنوب وعلى الاخص في جنوب اسبانيا وصقلية

وقد ذكر مسيودى كاندولى ان موطن هذا النبات هو جنوب آسيا ولكن زراعته الآن تكاد تكون عامة في المناطق الحارة التي تليها لأنه من أسهل الفواكه زرعا واكثرها فائدة اذا نجحت زراعته الا ان الريح الشمالية الشديدة قد تهلك محصول العام في ليلة واحدة اذا لم تحصن الاشجار من تأثير الرياح خصوصاً اذا كانت مزروعة بقرب شاطىء البحر

وقد ذكر كل من الموز والطلح عند اليونان والرومان الا انه من المدهش ان المصريين واليهود لم يعرفوهما فان هناك جملة اسماء باللغة الهندية القديمة لفواكه يطلق العرب عليها اسم موز الذى هو اسم جنس مفرده موزة

(اوصافه النباتية) الموز مع انه في الواقع نجم الا انه في الظاهر يشبه الاشجار واعظم وجه الشبه بينه وبين النجم هو ان ساقه الشبيهة بسيقان الشجر يتكون اسفلها من جملة اوراق يلتف بعضها بعضا وهي لينة اسفنجية خالية من التركيب الخشبي، ارتفاعها من متر ونصف الي تسعة امتار بحسب الانواع المختلفة

وتنشأ السيقان الجديدة من البراعيم على جذر النبات أو في القسم الداخل في الارض وهذه السيقان المعروفة في العادة بالفسائل هي التي ينشأ منها التوليد أي تكون نباتات جديدة وقد تكون الاوراق عديمة العنق نادرة جداً الا انها في الغالب يكون لها ساق سفلي قوي سميك وعصب بارز

وتنبثق الازهار من سنابل كبيرة طرفية من مركز تاج الاوراق وهي مرتبة على السنابل على شكل عنقود شبه حلقية والازهار موضوعة بحيث تنتهي ببراعيم ورقية بيضاوية تحمل على محاورها الازهار التي لم تفتح

وطول الثمرة يختلف بين ٥ سنتيمترات و ٣٠ سنتيمتراً كما تختلف أيضاً في المذاق وفي مقدار المادة السكرية وغير ذلك ولونها من الخارج أصفر غالباً خالية من الحبوب عادة

ويزرع الموز والطلح وفي مصر كثيراً منذ قرون عديدة خصوصاً في شمال الدلتا حوالي الاسكندرية ودمياط ورشيد انما يزرع على مقربة من شاطيء البحر أكثر من الجهات البعيدة عنه الا انه لم تبذل همة لتحسين نوعه

وكلا النوعين نبات عالي الساق ولا تنجح زراعتهما قرب شاطيء البحر الا اذا أحيطا بسياج أو حائط عالي ليقيهما من الريح الشمالي الشديد المتوالي وقد ترك زرعهما في الازمنة الاخيرة

ومنذ سنين قليلة أدخلت زراعة الموز القصير المسمي بالموز الصيني أو الموز الكافنديشي أو الموز المسمي صنيديس الذي يبلغ ارتفاعه الي مترين ونصف ويعطي محصولا وافراً فينجح نجاحا عظيما خصوصاً قرب الاسكندرية عند القباري والرمل وغيرها والاراضي التي على الترعة المحمودية . ويجود زرعه كثيراً في شمال الدلتا ويعطي فاكهة جيدة جداً ولها خاصية المكث طويلا ونظراً لقصر قامته فهو أقل تعرضاً للتلف بالريح الا انه لسوء الحظ قد أصبح أخيراً فريسة الدودة المسماة (نماتود) أو الدودة الخيطية التي تسري في الجذر فتهلك مسائح واسعة من الموز

وأهم أنواع الموز الذي يزرع في مصر الانواع الآتية :

١ — البلدي أو الموز الحقيقي

٢ — أصبع الست

٣ — المندي أو الصيني

٤ — الامريكي

ويسمي أيضاً موز آدم أو تين آدم

والبلدي مرتفع وكثيراً ما يصل الي ارتفاع عظيم فقد يكون نحو ٤ أمتار ونصف ويزرع على الخصوص بعيداً عن البحر وهو أكثر الانواع انتشاراً في حدائق القاهرة وثمره قصير نوعا غليظ خال من حب وطوله من ١٠ الي ١٥ سنتيمتراً وهو من الخارج أخضر مصفر واللب يشتمل على مقدار عظيم من المواد السكرية طيب الرائحة جداً لذيذ الطعم يطلب كثيراً ويثمر من أوائل الخريف لغاية الربيع

أما أصبع الست فهو ذو فاكهة صغيرة رفيعة خالية من الحبوب منحنية نوعا طولها نحو سبعة أو ثمانية سنتيمترات ولونها من الخارج أصفر ذهبي جميل وهو أقل من سابقه من كل وجه والطلب عليه قليل ويكون في تمام ايناعه في الخريف

والنوع المندي هو نوع عظيم جداً ويستحق زيادة العناية ونظراً لموافقة مصر له فسيصبح قريبا هو الموز المصري الوحيد ولو في شمال الدلتا فقط ويصل ارتفاع شجره الي مترين أو الى مترين ونصف وساقه غليظة قصيرة ويعطي محصولا وافراً وتعيش فاكهته زمناً طويلا بلا تلف وهو أحسن الانواع للتصدير وهو أصفر طوله من اثنى عشر الى خمسة عشر سنتيمتراً غليظ الجلد منحن قليلا ولبه خال من الحبوب جيد الطعم زكي الرائحة وهو أروج الانواع في التجارة ويطلب كثيراً وهو موجود في جميع أوقات السنة ولكنه يكون أحسن ما يكون في أواخر الصيف وفي فصل الربيع من حيث الاغراض العامة فانه أحسن الانواع المزروعة

والنوع الامريكي شجره عال كبير الفاكهة جداً وكثيراً ما يصل طولها الي ٣٥ سنتيمتراً الا ان العادة أن يكون بنصف ذلك الحجم والثمر مستدير الزاوية وذو لون أصفر جميل ولبه صلب الا انه خال من السكر بالكلية ضعيف الطعم والرائحة مشتمل على بعض حبوب جنينية الا انه وافر المحصول كبير العراجين

ونباته جميل المنظر جداً حتى انه كثيراً ما يزرع في الحدائق لهذا الغرض

وثمره رخيص الثمن قليل الطلب لانه لا يصلح للأكل الا مطبوخا

وزراعة الموز في مصر رابحة جداً الا انها في الوقت الحاضر قاصرة علي الجنائن تقريباً ولا يزرع منه في مصر ما يكفي لاسواقها بل ترد مقادير عظيمة من جزائر ماديرة وكناريا

(الارض) — ينمو الموز في جميع أنواع الاراضي تقريبا ما عدا الارض المكونة من الرمل وحده وأوفق أرض له هي الدفئة المستوفية الصرف ويحسن ان تكون رطبة عميقة مسامية صفراء خصبة مشتملة علي كثير من الدبال فاذا كانت الارض كما ذكر وكان الجو جيداً فان محصول الموز يكون عظيما

(التوليد) — ان ساق الموز الذى تحت الارض ينبت جملة فروع جانبية أو فسائل اذا تركت ونفسها فانها تنتج جملة سيقان وهى التى يتكاثر بها النبات فتفصل هذه عن الجذع الاصلي بسكين أو مقطع أو فأس حاد وذلك بأن يزال التراب أولا باحتراس لكشف محل اتصال الصنو بالجذع

وأوفق طول الفسائل التى تزرع متر أو متر ونصف تقريبا علي حسب الانواع الا أن عادة المزارعين هنا ان يستعملوا جذوعا أكبر والغالب أن تكون الفسائل ضعيفة سهلة الكسر جداً وان الكبيرة منها لا تنبت بسهولة ويجب أن تكون سميكة قوية وهذه أفضل مما لو كانت رفيعة طويلة ويلزم أن تنتخب من أصل سليم قوى جيد الفاكهة مبكر المحصول

(النقل) — تحضر الارض جيداً ثم تحفر حفر فيها صفوف متباعدة بقدر ٣ أمتار أو ٤ وتكون صفوفها متباعدة مثل ذلك والابعاد تتعلق بالانواع المتزرعة وتحفر الحفر علي طول قناة تستعمل للرى بحيث يكون عمقها ٤٠ سنتيمتراً وتتمم أسافلها جيداً ويوضع فيها سماد بلدى معطن جيداً

ويفضل أن تكون الفسائل ضاربة في الارض بقدر ٣٠ سنتيمتراً علي ان تكون قريبة من سطح الارض ثم يدك التراب حولها بالاقدام لمنع تخلل كثير من الهواء الذى يجفف الجذور حينما تخرج الساق

أما من حيث زمن الزرع فكل

وقت في السنة يوافقه الا ان الأحسن أن يكون من ١٥ فبراير الي آخر مارس

(الخدمة بعد الزرع) — متى زرعت هذه الفسائل فانها تنمو نمواً حسنا وتعطي محصولا في أواخر العام الثاني وربما تعطي في العام الاول الا أنه عادة يكون قليلا غير جيد

وقبل أن يتكون الساق للزهر تظهر الفسائل فوق الارض وهذا أمر يحتاج للعناية التامة فيجب أن تقطع الفسائل الا واحداً في أول امر النبات وبهذه الطريقة تتجه قوة الانبات كلها الى اثمار الساق الاول وتظهر عراجين قوية جميلة وبعد ذلك متى بلغ الساق الموجود في الارض أشده يمكن ابقاء ثلاثة أو أربعة جذوع علي حسب قوة ذلك الساق الا أنه لا يجوز بحال من الاحوال ابقاء عدد اكبر من ذلك متى أريد الحصول علي عراجين ذات محصول جيد

وتحتاج الارض الي تنكيك خصوصا حول سيقان النبات مع تسميدها سنويا بسماد بلدى معفن جيداً حينما تكون الفاكهة علي الشجر وذلك لاجل حفظ قوة النبات ودوام انتاجه ومتى ظهرت علامات الضعف علي أحد الجذوع كما يحصل غالبا بعد بضع سنوات فيلزم ان يقطع ويزرع مكانه فسائل جديدة

قد قلنا ان هذا النبات يعطي محصولا جيداً في الارض الرطبة وعليه فلا بد من تكرار الرى فيجب سقي الشجر بعد زرعه مباشرة ثم بعد أزمنة قصيرة الي أن تثبت جذور النبات جيداً وبعد ذلك يقل الاحتياج للماء ويستحسن اطالة المدة بين السقية والاخرى عند ما يثمر النبات خصوصا عند قرب استواء الثمر لان الرطوبة الكثيرة في هذا الوقت مضرة فاذا رشحت الارض بالرطوبة فيجب الصرف حتما لاجل الحصول علي ثمر جيد كبير الحجم سليم

(المحصول) — يتعلق الزمن الذى يمضي بين زرع الفسائل والاثمار بالاحوال الجوية والموضع والنوع المتزرع وغير ذلك فبالنظر لحالة مصر الجوية والانواع التى تزرع فيها تثمر النباتات عادة في السنة الثانية وبما أن بعض الاشجار تتأخر في النمو وبعضها يتقدم فالموز يوجد في جميع فصول السنة

وعراجين الجذوع الثانية عادة أدق

من هراجين الجذوع الاولي وقلما لا ترسخ زراعة هذ الشجر جيداً قبل السنة الثالثة أو الرابعة فيجب أن لا يثمر الجذع الواحد أكثر من مرة واحده ومتى أعطي الجذع فاكهته يجب قطعه ويجب ان تجنى الثمرة بقطعها مع جزء من الفرع الحامل لها حتى يمكن تعليقها نحو ثمانية أيام أو عشرة قبل استوائها وذلك عند اصفرارها قليلا لانها اذا تركت حتى تستوى علي الشجرة فانها تفقد كثيراً من حسن طعمها وتتعفن غالبا واذا قطعت قرب استوائها تعلق باعتناء في مكان مظلم واذا قطعت قبل ذلك يجب حفظها في وسط طبقات من التبن وأحيانا بوضع فوقها ثقل الي أن تستوى وتصير ناعمة وتكتسب الطعم السكرى والرائحة الطيبة ويتم نضج الفاكهة في مدة بين ٧٥ و٨٥ يوما

ويجب أن يعتنى كثيرا بنقل الفاكهة باحتراس ولطف منذ جنيها الى حين بيعها والا قلت قيمتها كثيراً

ومن الصعب تقدير محصول الفدان لان ذلك يتعلق باحوال كثيرة وثقل العرجون الواحد يختلف كثيراً علي حسب النوع المزروع والسماد المستعمل والموسم وغير ذلك فيكون بين ٢٥ و٧٥ رطلا والمتوسط من ٣٥ الي ٤٠ رطلا ويختلف الثمن علي حسب الموسم والنوع والموضع وغير ذلك

(استعمالاته) الموز من بين المحاصيل الخضرية في العالم وربما كان أعجبها من حيث بهاء المنظر والنفع فهو ذو قوة انبات عظيمة ومفيد للانسان من وجوه شتى وهو أحد الاغذية الاساسية في الاقطار الحارة وقد يقوم مقام الغلال في المناطق الاكثر اعتدالا وتستعمل جميع أجزاء النبات تقريبا وأهمها الفاكهة وجميع أجزاء النبات تكثر فيها الخيوط التى لم تستعمل للآن بانتظام

والفاكهة مغذية جداً وسهلة الهضم للغاية وتؤكل خضراء غالبا وقد تجفف وتحفظ في غالب في بعض الجهات وخصوصا فى أمريكا الجنوبية او يفصل منها الدقيق ويصنع منه البسكويت

والدقيق معتبر ذا قيمة عظيمة لانه لذيذ وسهل الهضم ويوافق الاطفال والمرضي

وتصلح الاوراق والسيقان لصناعة الورق والاوراق الجافة تستعمل كثيراً

في حزم البضائع الصغيرة الحجم خصوصا الفواكه واذا شرح الساق فانه يستخرج منه خيوط خشنة . انتهى .

(خواص الموز الغذائية واستعمالاته الطبية) نهاية ماقول في هذه الثمار انها غذاء سليم مقبول ولكنها مولدة للرياح قليلا والسدد ، مضعفة الهضم ويصلحها العسل أو السكر ومتى انهضمت حصل منها غذاء كثير وهي تسمن لانه لا يبقى منها فضلة لجذب الاعضاء لها بالطبع ثم هو لا يؤكل في العادة الا ناضجا ويصح أن يطبخ قبل نضجه كالقثاء باللحم والسمك ولحم الترسة . ويصح ايضاً شيه ويستعمل حينئذ متبلا بالسكر وعصارة النارنج . وتعمل منه خبائص ومقلوات ويجفف في التنانير أو في الشمس لاجل حفظه والسودان يعملون منه عجينة مع السكر والعطريات ويتغذون منها في الاسفار وتصنع منه مربيات وغير ذلك وذكر أطباء العرب انه ينفع من السعال وأوجاع الصدر وخشونة القصبة فاذا طبخ في السيرج أو دهن الموز وحسي أصلح الصدر

وأما موز العقلاء المسمي بالافرنجية بما معناه تين الموز وتين الهنود فاعتبره ديفوس صنفا من الاول ونسبته العقلاء مبنية علي ماقيل أن الاشخاص العدول أصحاب السيرة الجيدة من فلاسفة الهنود المتقشفين يقضون حياتهم في مشاهدته ويتغذون من ثمره وهو ينبت في الاماكن التى ينبت فيها النوع السابق وهو شبيه به في قوامه وقامته وانما يتميز عنه باوراقه التى زاويتها أحد وخصوصا بثماره التى هي أصغر أى اقصر ولكنها اكثر عدداً وأقوى سكرية وألذ وأقبل وشحمها اكثر لينا وذوبانا في الفم وهو شبيه بالتين وهذا هو سبب تسمية الافرنج له بتين الموز لانه سهل الذوبان في الفم ويصح أن يستخرج منه سكر قابل التبلور ويعمل منه سائل كؤولي يحفظ قليلا ويعطي بالتقطير كؤولا . واذا تخمر حصل منه حمض كما يحصل ذلك في جميع الثمار السكرية وتلك المنافع توجد أيضاً في النوع السابق . قال ميره وتين الموز له أصناف عديدة وقد اعتبروه عظيم النفع للصدور وفي آفات الطرق البولية وعلاجا للحميات الحادة وغير ذلك انتهي . وبالجملة منافعه الطبية وغير الطبية كالسابق فالسائل الذى يؤخذ من أى

واحد منها بمضض بسهولة فلذا يلزم أن لا يحضر منه الا بقدار يسير اذا أريد فاذا هرس الموز النضيج من أى نوع كان ونخل من منخل ليستخرج منه الجزء الليفي تكونت من ذلك عجينة يصح أن يحضر منها خبز جيد التغذية ومعظمها مكوّن من النشا ويمكن حفظها جافة زمنا طويلا فاذا أذيبت في الماء أو في مرقة تكون من ذلك غذاء جيد (انظر المادة الطبية)

﴿ موسي ﴾ هو الرسول المشهور صاحب الدين الموسوى وقد رأينا في الكلام عليه أن نأتي أولا على تاريخه ونشأته ووظيفته من المصادر العربية ثم نتبعه بما قيل عنه في المصادر العلمية العصرية مع بيان قيمة الوظيفة التى أداها العالم على الاسلوب النقدى التاريخي فنقول: جاء عنه في المصادر العربية:

أرسل الله تعالى موسى بن عمران ابن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام رسولا بشريعة بنى اسرائيل وكان من امره انه لما ولدته امه كان قد امر فرعون مصر واسمه الوليد بقتل الاطفال فخافت عليه أمه وألقي الله تعالى في قلبها أن تلقيه في النيل فجعلته في تابوت وألقته فالتقطته آسية امرأة فرعون وربته فكبر فبينما هو يمشي في بعض الايام اذ وجد اسرائيلياً وقبطياً يختصمان فوكز القبطي فقتله ثم اشتهر ذلك وخاف موسى من فرعون فهرب وقصد نحو مدين واتصل بشعيب فزوجه ابنته واسمها صفورة وأقام يرعي غنم شعيب عشر سنين ثم سار موسي باهله في زمن الشتاء وأخطأ الطريق وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق في ليلة شاتية فأخرج زنده ليقدح فلم تظهر له نار واعيا مما يقدح فرفعت له نار فقال لأهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون. فلما دنا منها رأى نوراً ممتداً من السماء الي شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير وخاف ورجع فنودى منها ولما سمع الصوت استأنس، عاد فلما أتاها نودى من جانب الطور الايمن من الشجرة أن ياموسي اني أنا الله رب العالمين. ولما رأى تلك الهيبة علم انه ربه فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته ثم شد الله تعالي قلبه ولما عاد عقله نودى أن اخلع

نعليك انك بالواد المقدس وجعل الله عصاه ويده آيتين ثم أقبل موسى الي أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا واجتمع به هرون وسأله من أنت فقال أنا موسي فاعتنقا وتعارفا ثم قال موسى يا هرون ان الله أرسلنا الي فرعون فانطلق معي اليه فقال هرون سمعا وطاعة، فانطلقا اليه واراه موسي عصاه ثعبانا فاغراً فاه حتى خاف منه فرعون فأحدث في ثيابه. ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الابصار. فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها الي جيبه وأخرجها فاذا هى على لونها الاول ثم أحضر لها فرعون السحرة وعملوا الحيات وألقي موسي عصاه فتلقفت ذلك وآمن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم ثم أراهم الآيات من القمل والضفادع وصيرورة الماء دما فلم يؤمن فرعون ولا أصحابه وآخر الحال ان فرعون أطلق لبنى اسرائيل أن يسيروا مع موسى فسار موسي ببنى اسرائيل ثم ندم فرعون وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم فضرب موسي بعصاه البحر فانشق ودخل فيه هو وبنو اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم. ومن جملة المعجزات التى أعطاها الله عز وجل موسي قضيته مع قارون

قالوا: كان قارون بن عم موسى وكان الله تعالي قد رزق قارون المذكور مالا عظيما يضرب به المثل على طول الدهر قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا وبنى داراً عظيمة صفحها بالذهب وجعل أبوابها ذهباً وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر فتكبر قارون بسبب كثرة ماله على موسي واتفق مع بنى اسرائيل على قذفه والخروج عن طاعته وأحضر امرأة بغيا من البغايا وجعل لها جعلا وأمرها بقذف موسي بنفسها واتفق معها على ذلك. ثم أتى موسي فقال ان قومك يا موسى قد اجتمعوا فخرج اليهم موسي عليه السلام وقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زني رجمناه. فقال له قارون وان كنت أنت قال موسي نعم وان كنت أنا. قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة. قال موسي فادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسي أقسمت عليك بالذى أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك مايقول هؤلاء؟ قالت لا كذبوا ولكن

جعلوا لي جعلا علي أن أقذفك . فأوحي
الله تعالى الى موسي مر الارض بما شئت
تطعك .فقال يا أرض خذيهم فجعل قارون
يقول ياموسي ارحمني وموسي يقول ياأرض
خذيهم فابتلعتهم الارض ثم خسف بهم
وبدار قارون .ولما اهلك الله تعالي فرعون
وجنوده قصد موسي المسير ببني اسرائيل
الي مدينة الجبارين وهي أريحا فقالت
بنو اسرائيل ياموسي أن فيها قوما جبارين
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها. ياموسي
اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون .فغضب موسي ودعا عليهم فقال
رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين .فقال الله تعالي
فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في
الارض .فبقوا في التيه وأنزل الله عليهم المن
والسلوى

ثم أوحي الله تعالي الى موسي اني
متوف هرون فأت به الى جبل كذا وكذا
فانطلقا نحوه فاذا هما بسرير فنام عليه
وأخذ هرون الموت ورفع الى السماء ورجع
موسي الى بني اسرائيل فقالوا له أنت قتلت
هرون لحبنا اياه .قال موسي ويحكم أفترونني
اقتل اخي؟ فلما أكثروا عليه سأل الله فأنزل
السرير وعليه هرون وقال لهم اني مت
ولم يقتلني موسى .ثم توفي موسي واختلف
في صورة وفاته قيل كان هو ويوشع يتمشيان
فظهرت عمامة سوداء فخافها يوشع واعتنق
موسى فانسل موسي من قماشه وبقي يوشع
معتنق الثياب وعدم موسى وأتي يوشع
بالقماش الي بني اسرائيل فقالوا أنت قتلت
موسي ووكلوا به فسأل يوشع الله تعالي
أن يبين براءته فرأى كل رجل كان موكلا
عليه في منامه أن يوشع لم يقتل موسي
فانا رفعناه الينا فتركوه .وقيل بل تنبأ يوشع
وأوحي الله تعالي اليه وبقي موسى يسأله
فلم يخبره فندم على ذلك علي موسي وسأل الله
الموت فمات .وقيل غير ذلك وكانت وفاة
موسي في التيه في سابع اذار لمضي الف
وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان
في أيام منوجهر الملك وكان موت موسي
بعد هرون أخيه باحد عشر شهراً وكان
هرون اكبر من موسي بثلاث سنين
وكان مولد موسي لمضي أربعمائة وخمس
وعشرين سنة من مولد ابراهيم وكان بين
وفاة ابراهيم ومولد موسي مئتان وخمسون
سنة ومولد موسي لمضي الف وخمسمائة وست
سنين من الطوفان وكان عمره لما خرج

ببني اسرائيل من مصر ثمانين سنة وأقام
في التيه أربعين سنة فيكون عمر موسي
مائة وعشرين سنة وأما بنو اسرائيل
فكانوا قبل أن يخرجهم موسي من تحت حكم
فراعنة مصر رعية لهم وكانوا على بقايا
من دينهم الذي شرعه يعقوب ويوسف
عليهما السلام .وكان أول قدومهم الى
مصر لمضي تسع وثلاثين سنة من عمر
يوسف فأقاموا في مصر بقية عمر يوسف
وهو أحدى وسبعون سنة لان عمر يوسف
كان مائة وعشر سنين فاذا نقصنا منهما
تسعا وثلاثين سنة بقي احدى وسبعون
سنة وأقاموا أيضا مدة ما كان بين وفاة
يوسف ومولد موسي وهو أربع وستون
سنة وأقاموا ايضا ثمانين سنة من عمر موسي
حتى خرج بهم فيكون جملة مقام بني اسرائيل
بمصر حتى أخرجهم موسي مائتين
وخمس عشرة سنة

(موسي في نظر الفلسفة التاريخية)

ذكرنا فيما تقدم ما تقوله الكتب الاسلامية
واكثره يوافق ماورد عنه في القرآن الكريم
وما ذكرته عنه الكتب الاسرائيلية
ولكن لنقدة التاريخ مجالا لايجوز اغفاله
في مثل هذا البحث فان المسئلة من امهات
المسائل التاريخية لتعلقها بحياة رجل عظيم
كان مؤسسا لدين عظيم وموجداً لشعب
كبير له أثر يذكر في الحركة الانسانية
العامة

يقول نقدة التاريخ أن موسي عليه
السلام ولد في سنة (١٥٧١) قبل الميلاد
وتوفي على جبل نبو من بلاد العرب سنة
(١٤٥١) فيكون قد عمر مئة وعشرين
سنة

قالت دائرة معارف (لاروس).

واتفق قدماء المسيحيين وقدماء
الوثنيين على مدح مؤسس الديانة الموسوية
ولو أنهم لم يعلموا من أعماله شيئاً كبيراً .
فانه من الثابت انه وان كان قد أسس
مدنية وديانات لا تلائم الكتاب الحقيقي
لشريعته .ولقد نسبت اليه التوراة أو
الخمسة الكتب الاولى من الكتاب المقدس
ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لانزاع
فيها من الحواشي والتنقيحات ومن
علامات أخرى تدل على أنها ألفت بعد الزمان
الذي مات فيه موسي بعهد طويل . فقد
ذكرت فيه أسماء مدن لم توجد الا بعد
موسى .ويجد القارىء أن موسي قد ذكر
وفاة نفسه فيه .ويلاحظ تالي التوراة

ان مؤلفه الذى لم يذكر اسمه ينوه عن موسي كما ينوه عن رجل مات منذ قرون كثيرة . وقد لوحظ أيضا ان التوراة لم تُذكر فى المزامير ولا فى الكتب المعزوة الي سليمان ولا فى كتب جريمي واسحق ولا فى القوانين الكنيسية الاخرى . وزيادة علي ما تقدم فان الخمسة الاسفار التى تؤلف التوراة وهي سفر الخليقة وسفر الخروج وسفر الاعداد والليفيتيك وسفر التثنية اسماؤها يونانية وتاريخها هو تاريخ الترجمة السبعينية

« وقد جمع فولتير في قاموسه الفلسفي اعتراضات القرن الثامن عشر علي وجود موسي . وكان قد أنكر وجوده قبل ذلك (هوبه) المشهور مطران افرانش وأتي فولتير أيضا علي الشكوك التى تحوم حول صحة الكتب المنسوبة اليه

« فقد تساءل فولتير قائلا بأى لغة أمكن موسي أن يكتب ما كتبه في تلك الصحراء الموحشة؟ لايمكن أن يكون قد كتب بغير اللغة المصرية . لان الكتاب المعزو اليه ينص علي ان موسى وشعبه كله قد ولدوا بمصر . ويرجح انه لم يكن يتكلم بغير تلك اللغة . وقد كان المصريون ذلك العهد لم يعرفوا ورق البردى فكانت كتابتهم بالهيروغليفية علي الرخام والخشب وقد قيل ان الالواح الموسوية كتبت علي الاحجار . واذا صح ذلك وجب أن يكون قد نقش الكاتبون التوراة أسفاره الخمسة علي الاحجار المصقولة وهو أمر يقتضي زمانا طويلا ومجهوداً غريبا فهل يعقل أن يوجد رجال من المهارة بحيث ينقشون خمسة أسفار التوراة علي الرخام والخشب في فلاة لم يكن فيها مع الشعب الاسرائيلي حذاؤن ولا خياطون وتكلف فيها خالق الكون أن يحفظ ثيابهم وأحذيتهم من البلاء من طريق الاعجاز المستمر ؟

ثم قالت دائرة معارف لاروس بعد ايراد هذه الشبهات:

«ان هذه الشبهات وغيرها استخرجت من نصوص الكتاب المقدس فان المعلومات القوية المصرية عن الشرق والتاريخ القديم للامم التى سكنت الشواطئ السورية للبحر الابيض المتوسط قد ولدت شبهات ليست باقل قيمة من الشبهات المتقدمة والواقع انه عرف الآن بما يكاد يصل لحد الاجماع في العالم العلمي

بأن التوراة قد حررها اصدارس بعد رجوعه من أسر بابل بمساعدة مستندات قد ضاعت الآن وأساطير عربية كان لها تأثير مستمر في طباع الشرق

« والاساليب التى تخيلت لبيان حال موسي هى أشد جرأة ومجازفة من شبهات النقد والعلم . فقد حاول (هوبه) المتقدم ذكره أن يخلط بين موسي وباخوس (البطل اليوناني) وقد اخترع الأب (جيرين دروشيه) نظرية أشد غرابة ايضا . وقد هجر كلا هذين الفرضين الآن . والآن اذا كان وجه موسي العظيم لايزال محاطا بظلام حالك فان العمل الذى ينسب اليه والشرع المعزو له معجبين متحمسين . فقد قال جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي « القانون الموسوى الباقي للآن يدل علي عظم الرجل الذى املاه . واذا كانت الفلسفة المتكبرة وروح التعصب الاعمى لاتعتبر موسي الا كاذبا سعيد الطالع فان السياسة الحقة تعجب بالنظامات التى سنها بتلك الروح العظيمة القوية وهى لاتزال موجودة في تلك النظامات الخالدة »

(نظرة علي ما سبق) لانزاع في أن موسى كان رجلا من رجال التاريخ العظماء لقيامه بأمرين خطيرين لاينسبان للمتصدرين لهما عفواً أو بمجهود ما ، وهما تخليص أمته من سلطة الفراعنة الجبارين وتحليتها بدين وشريعة . وهذان الامران عينهما يسوغان لنا أن نعترف له بالنبوة التى ادعاها لنفسه وقد كان في استطاعته أن يدعي الاعتزاء الي الله تعالى في تلك العصور المظلمة التى كان الناس فيها يميلون الي تأليه عظمائهم ونسبة صفات الربوبية لهم . فاكتفاؤه موسى بادعاء النبوة وتأسيسه لدين توحيدى خالص من شوائب الوثنية ولا سيما في ذلك العصر المشحون بالاساطير والاوهام وتحاميه في ذلك وعدم حيده عن مذهبه ذلك طول حياته واجماع المصادر التاريخية علي أنه كان هينا لينا وادعا لم تنزه ابهة السلطان ، ولم تستخفه جلالة الملك كما استخفت أكثر القادة الذين سبقوه فحملتهم علي ادعاء الربوبية كالاسكندر وغيره كل هذا يدل علي أنه كان صادقا في دعواه ، مخلصا فيما دعي اليه من اقامة حكم الله . وقد جاء القرآن الكريم مقراً علي هذه العقيدة فكان الدليل علي نبوته معززاً

بالدليل العقلي ايضا فتظاهر العقل والنقل في الشهادة، ليس بمعدها في تقوية مركزه موسى

ثم أن موسى تلمذ الكهنة المصريين القدماء وأخذ عنهم العلوم اللاهوتية والفلسفة العقلية ، واصول الشريعة المصرية ، فلم يمكن لما دعي الي تخليص قومه يجهل معنى النظام الاجتماعي ، ومرمي الروح القومي لشعبه ، وأركان التشريع الحافظ لقوام الجماعات ، ولكن كل هذا لا يصح أن يضعف من أدلة نبوته بل هو يقر بها من العقل فان افتتاق حجب الكثافات البشرية ، واطلال الروح علي عوالم الغيب من عارف بمعنى الحجب والكثافات أقرب حصولا وأسهل منالا منها لجاهل بمعناها وليس نجاح موسي في دعوته يرجع لمعرفته بالنظامات والشرائع واسرار اللاهوت المصرى بل يرجع الى سمو روحه وكفاءتها للتأثير علي الغير وقيادته الي مايهواه أحب ذلك أم كره ، وهذا السمو لا يتفق لروح كاذبة خادعة مرائية تكذب علي الله والناس تجعل الدين آلة للاذلال والاستعباد

ولو كان مجرد تعلم الشرائع، والوقوف علي اسرار المعارف يوصل الانسان لبلوغ امثال هذه الدرجات العليا بين الامم لساد كل عالم ملي قومه وقادهم الي حيث يريد ، والواقع أن السيادة والقيادة حفظتا لافراد معدودين هم الذين ادعوا انهم انبياء ودلت الحوادث علي صدق دعاويهم بطهارة ضميرهم، واستقامة امورهم وتجردهم عن حب الدنيا ومضيهم علي وتيرة واحدة من الورع من يوم وجودهم الي يوم وفاتهم . ولو اتفق فادعي النبوة من ليس من أهلها وساد قومه بزاعمه حينا من الاحيان افتضح امره بعد ذلك واسقطه قومه شر اسقاط ولفظه الوجود كما تلفظ الحثالة الضارة ، وباد كاتبيد الفرحات امام الحق الصراح

فالذي يجعل النبي نبيا ليس مايكون قد حصله من العلم بالشرائع ، أو بالاصول الدينية ، ولكن الذي يجعله جديراً بهذا اللقب روحه العالية ، وقواه الادبية التي لاتكون لغير الصادقين أولي العزم من افراد يرسلهم الله الي هذا النوع كلما أراد أن يحدث في الناس حوادث ذات شأن عظيم

ويمكن أن يقال أن مهمة موسى التي قام بها لا تكفي في الدلالة علي نبوته فقد

كان بنو اسرائيل في أسر الفراعنة يتنسمون نسمة الخلاص ويرجون أن يرسل الله من يقودهم بيد من حديد الي ماينجيهم من هذا الشر العظيم ، وكانوا شعبا لهم عصبية ووحدة قومية ، ومرام اجتماعية فنبوغ رجل فيهم كان منتظراً ، فلما آنس موسي من نفسه القدرة علي قيادتهم انتحل لنفسه هذه الوظيفة فتبعه قومه مقودين بدوافع قهرية ذاتية فلم يجاهدهم كما جاهد محمد صلى الله عليه وسلم قومه، ولم يجد منهم من النفور والاضطهاد ماوجده خاتم الانبياء بل هب معه قومه مجيبين دعوته فسار بهم الي حيث أراد، ثم أوهمهم انه نبي، ان الله يكلمه وجهاً لوجه الي آخر مافي هذا الباب

نقول ليست هذه الشبهة وان كان ظاهرها قوياً مما يثبت علي النقد الفلسفي أيضاً فان موسى وان كان قد وجد قومه متضامنين متضامنين يرجون أن ينبغ فيهم من ينقذهم من محن الفراعنة الا ان هذا الرجاء فيهم كان من قبيل الاماني بدليل مكثهم قروناً طويلة في مصر يرزحون تحت كلاكل الظلم والاضطهاد فلماذا لم يتفق لهم ذلك الخلاص الا علي يد موسى ، ولماذا يدعى لهم انه نبي لم يدع لهم انه قائد ، وكيف يتفق له النجاح مع اشها ، الكذب، والتحافه بالرياء والخديعة، وكيف يظل حافظا لهذا الثوب العاري طول حياته ولم يفتضح أمره ؟

ثم لاننس ان وجود الامة علي حالة نظام اجتماعي قد يكون سبباً كبيراً في رفضها دعوة الدعاة الى قيادتها لما يكون في مجموعها من أصحاب المطامع الى مثل هذه الخطط السامية فيفسدون علي صاحب الدعوة قلوب الامة . فقيادة مثل هذا الشعب وحفظ مركزه بين ظهرانيه عشرات من السنين مسموع الصوت نافذ الكلمة ليس من الهنات الاجتماعية

أما تأسيس موسى عليه السلام لدين توحيدى في وسط تلك الوثنية الشائعة في العالم كله وذهابه في ذلك مذهب الانبياء الذين سبقوه فأدل دليل علي انه واحد منهم فانه ليس من السهل القيام علي التوحيد والدعوة اليه في مثل تلك الازمان البعيدة . فلو لم يكن متلقياً لذلك التوحيد من طريق الوحي لما استطاع أن يصر عليه بل لدعا الناس الي نفسه وكان روح العصر يساعده علي ذلك . ولكنه علي

العكس من ذلك أصرعلي دعوة الناس الى الله الواحد مجرداً نفسه من الالوهية والشركة لله ، مقراً بالعبودية البحتة لمولاه. وهذا من ضبط النفس ، وأدب القلب بالمكان الذى لايليق لغير الانبياء

يقولون ان التوراة كتاب أثار عليه النقد العلمي الشكوك والريب من كل قبيل، وفيه من الآراء العلمية، والنظامات الاجتماعية مالا يتفق مع العلم ولا ينطبق علي العدالة المعروفة بين الناس ، فقدجاء فيه عن خلق السموات والارض مالاسبيل للتعويل عليه ونص علي ان موسى كان يحارب المدينة فيستبيحها بعدفتحها فيقتل جميع سكانها حتى حيواناتها فلا يبقي ولا يذر . وورد فيه أيضا ان الله بكتبه علي ابقائه علي بعض أهل مدينة من المدائن التى فتحها . وكل هذا لا يمكن أن يسنه الله ولا يعقل أن ينسب اليه بحال من الاحوال

نقول : أما وقد أريناك ما يقوله النقد العلمي في التوراة فلا نقبل الاحتجاج به علي موسي عليه السلام وليس في التاريخ العام أثارة تدلنا علي أن موسي كان من القسوة بحيث كان يجتاح المدائن التى يفتتحها ولو كان كذلك لعده الناس واحداً من الطواغى أمثال بختنصر وقبيز ونيرون وجنكيزخان وتيمورلنك فلم يحصون علي هؤلاء أعمالهم ولا يحصون علي موسي عمله فيحشروه معهم ؟

الخلاصة ان الادلة العقلية والتاريخية كلها متظاهرة علي ان موسي كان واحداً من الانبياء الكرام أولى العزم ، الذين أرسلوا لنقل النوع البشرى الي مرحلة جديدة من مراحل المدنية فأقام دولة موحدة ذات مدنية راقية وسط أمم عريقة في الوثنية فساعد بحركته هذه علي وجود الديانة المسيحية بتمهيده السبيل لها كما مهدت المسيحية السبيل للديانة الاسلامية خاتمة الاديان السماوية

(الآيات القرآنية الواردة في موسي عليه السلام) يجدر بنا هنا أن نأتي علي قصة موسي من النص القرآني نفسه لتتم الفائدة من هذا الفصل . وقد ذكر الله موسي كثيراً في كتابه وأجمع ماجاء عنه هو ماذكره في سورة القصص فننقله برمته وهو :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين

نتلو عليك من نبأ موسي وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين. ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون . وأوحينا الي أم موسي أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لاتقتلوه عسي أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسي فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا علي قلبها لتكون من المؤمنين. وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم علي اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الي امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لايعلمون .

ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين . ودخل المدينة علي حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته علي الذى من عدوه فوكزه موسي فقضي عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين . قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسي انك لغوى مبين . فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسي أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس أن تريد الا أن تكون جباراً في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصي المدينة يسعي قال ياموسي ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون . ووجد من دونهم

امرأتين تذودان ، قال ماخطبكما ، قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير.
فسقى لهما ثم تولى الي الظل فقال رب اني
لما أنزلت اليّ من خير فقير. فجاءته احداهما
تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك
ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه
وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين. قالت احداهما ياأبت
استأجره ان خير من استأجرت القوى
الامين قال اني أريد أن أنكحك احدى
ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج
فان أتممت عشراً فمن عندك وما أريد
أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من
الصالحين. قال ذلك بيني وبينك أيما
الاجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على
ما نقول وكيل . فلما قضى موسى الاجل
وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا
قال لاهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي
آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم
تصطلون . فلما أتاها نودي من شاطيء
الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة
أن ياموسى اني أنا الله رب العالمين. وأن
ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان
ولى مدبرا ولم يعقب ، ياموسى أقبل ولا
تخف انك من الآمنين . اسلك يدك في
جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم
اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا
قوما فاسقين . قال رب اني قتلت منهم
نفساً فأخاف أن يقتلون. وأخي هرون هو
أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني
اني أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك
بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
اليكما بآياتنا أنتما ومن تبعكما الغالبون.
فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا
الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء
بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة
الدار انه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون
ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيري
فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي
صرحا لعلي أطلع الي اله موسى واني
لأظنه من الكاذبين. واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا
يرجعون. فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. وجعلناهم
أئمة يدعون الي النار ويوم القيامة لا
ينصرون .

وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
هم من المقبوحين . ولقد آتينا موسى
الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون.
وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر وما كنت من الشاهدين .
ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر
وما كنت ثاوياً في اهل مدين تتلو عليهم
آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من
ربك لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من
قبلك لعلهم يتذكرون .

﴿ موسى ﴾ بن علي اللخمي
البصري من علماء الحديث النبوي توفي
سنة (١٧٣) ه

﴿ موسى ﴾ بن نصير هو أبو عبد
الرحمن . كان من التابعين روى عن تميم
الداري وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا
تقيا وكان احد كبار قواد الدولة الأموية
لم يهزم له جيش قط وهو فاتح بلاد الاندلس
ولما خرج معاوية لقتال علي بن ابي طالب
لم يخرج معه فقال له معاوية مامنعك من
الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني
عليها ؟ فقال لايمكنني ان اشركك بكفر
من هو اولى بشكرى . فقال ومن هو ؟ قال
الله عز وجل . فقال وكيف لا ام لك ؟
قال وكيف لاأعلمك هذا فأغضى وامض
قال فأطرق معاوية مليا ثم قال استغفر الله
ورضي عنه

تولى افريقية والمغرب سنة (٧٧) ه
ولم يسمع في الاسلام بمثل سباياه وغنائمه
حارب البربر سكان بلاد المغرب الاصليين
حتى وصل الي طنجة فولى عليها مولاه
طارق بن زياد . ثم رجع وكتب بعد ذلك
الي طارق بغزو الاندلس . فامتثل وركب
البحر ونزل بالاندلس وصعد الي الجبل
الذي سمي باسمه وهو جبل طارق وكان
معه (١٢) الفا من البربر وقليل من
العرب . فلما علم بهم ودريك ملك الاندلس
داهمهم بجيش جرار يبلغ سبعين الفا فصمد
طارق الى اسطوله فأحرقه وخطب في
اصحابه وقال لهم : ايها الناس اين المفر
والبحر من ورائكم والعدو امامكم فليس
لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم
في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في
مأدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه
واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم

الرجل عزمه قال فاشهد لي علي نفسك بأنك قد عصيتني. ففعل بشر ذلك وأشهد انه قد أبرأه فركب وهو بريد الكوفة فلم يسر الا اميالا حتى وضع يده على لحيته فاذا هي في كفه قد سقطت من وجهه. فلما رأى ذلك انصرف الي البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك. فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير ماقاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قدأراده لامر غضب عليه منه. فكتب خالد بن ابان من الشام الى موسى بن نصير: انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك بأغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما أن تلحق بالفرس فتأمن أو أن تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك. فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان وقد وفد بأ وال مصر فكتب الحجاج من العراق: ياأ ير المؤمنين انه لاقدر لما اقتطعه موسى بن نصيرمن أموال العراق وايس بالعراق فابعث به الي

(دخول موسى بن نصير علي عبد الملك بن مروان) قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله علي عبد الملك. قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها. قال سالم قال لي موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فأدخلني علي عبد الملك فلما رآني عبد الملك قلت موسى قال ماتزال تعرض لحيتك علينا؟ قال قلت لم ياأمير المؤمنين؟ قال لجرأتك علي واقتطاعك الفيء. قال فقلت مافعلت ياأمير المؤمنين وما ألوتك نصحا واجتهادا واصلاحا. قال اقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة. قال قلت لم ياأمير المؤمنين؟ قال فما تركني أتمها حتى قال ثم لتؤدينها مائة مرة. فذهبت لأتكلم فأشار علي عبد العزيز أن قل نعم، فقلت نعم ياأمير المؤمنين. ثم خرجت فأعانني عبد العزيز بخمسين الفا وأديت خمسين الفا في ثلاثة أشهر نجمتها علي

(تولية موسى بن نصير علي افريقية)

قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الي مصر سار موسى معه فكان من أشرف

غير سيوفكم لا اقوات لكم الا ماتستخلصون من أيدى أعدائكم الخ. ثم هجموا علي عدوهم فانهزم اعداؤهم ووقعت في أيدى العرب بلاد كثيرة. ثم لحق به مولاه موسى بن نصير لتتميم الفتح

ولد سنة (١٩) هـ وتوفي سنة (٩٩) هـ

وقد رأينا اتماما للفائدة في هذا ان نأتي علي تفصيل استيلاء موسى بن نصير علي المغرب والاندلس بلسان مؤلف قريب من تلك العصور وهو العلامة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي سنة (٢٧٠) في كتابه (الامامة والسياسة) فان فيه تفصيلا عن سير الامور في ذلك العهد وبيانا عن الاسلوب الاستعماري الذى كان يجرى عليه العرب، وهذا البيان قيمته من الوجهة التاريخية عظيمة يجب امعان النظر فيها. قال أبو محمد عبد الله بن مسلمة بن قتيبة:

تولية موسى بن نصير البصرة

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولي مسلم ان عبد الملك بن مروان لما أراد أن يولي اخاه بشر بن مروان علي العراق كتب الي أخيه عبد العزيز ابن مروان وهو بمصر وبشر معه يقود الجنود وكان

يومئذ حديث السن: اني قدوليت أخاك بشرا البصرة فأشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الي موسى وأعلمه أنه مأخوذ بكل خلل وتقصير. فشخص بشر من مصر الي العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلي عن جميع العمل. فلبث موسى مع بشر مالبث ثم ان رجلا من أهل العراق دخل علي بشر بن مروان فقال له هل لك أن أسقيك شرابا لاتشيب معه أبداً بعد ان اشترط عليك شروطا؟ قال بشر وماهي؟ قال. لاتغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة في أربعين ليلة ولا تدخل حماما. فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما سقاه واحتجب عن قريب الناس وبعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك مالم يحتمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها. فأتاه الرجل فناشده لايخرج ولا يركب وان لايتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الي كلامه ولم يقبل ماأمره به فلما رأى

الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من افريقية يريد الشام الي عبد الملك وقد فتح له بها فتحا وقتل الكاهنة فأجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الي افريقية) واليا فأقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هناك فأخذوا اعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة ؟ قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولي لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له انت بعهدك عليها ان كنت صادقا . قال فأتي به حسان فلما قرأه عبد العزيز وجد هافيه فالتفت الى حسان فقال ما أنت بتاركها ؟ قال والله لا أعزل عاولا نيه أمير المؤمنين . قال فقعد في بيتك فيولي هذا الامر من هو خير منك وأولي به منك لتجربته ومعرفته وسياسته ويغني الله أمير المؤمنين عنك . ثم أخذ عبد العزيز عهده ومزقه ودعا بموسي بن نصير فعقد له علي افريقية يوم الخميس في صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسي بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار علي الجيش الاول أتي عصفور حتى وقع علي صدره فأخذه موسي فدعا بسكين فذبحه موسي ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه علي صدره وعلي نفسه . ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله

(خطبة موسي بن نصير رحمه الله)

قال وذكروا ان موسى لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأيا في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر والرأى فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان علي عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله ما به . وانما الامير أصلحه الله صنو لامير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل ان اجهد نفسه في الاختيار لكم

وانما أنا رجل كأحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله وليحض علي مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها فاني اخطيء كما تخطئون واصيب كما تصيبون . وقد امر الامير اكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها علي ماعز وهان من المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله

(دخول موسي بن نصير افريقية)

قال وذكروا ان موسي لما سار متوجها الي المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل في جمادى الاولي يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فأخذ سفيان ابن مالك الفهرى وابا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الي عبد الملك في الحديد . قال وكان قدوم موسي افريقية وما حولها مخوف بحيث لا يقدر المسلمون أن يبرزوا في العيدين لقرب العدو منهم وأن عامة بيوتها الخصوص وافضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالخطير غير أنه قد سقف ببعض الخشب وقد كان ابن النعمان بنى القبلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها كلها محاربة لاترام وعامة السهل

(خطبة موسي بأفريقية) قال وذكروا أن موسي لما قدم افريقية ونظر الي جبالها والي ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انما كان قبلي علي افريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره أن يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوني . وليس اخو الحرب الامن اكتحل السهر وأحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها في غير خرق بريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه ، جازما في عزمه مستزيدا في علمه ، مستشيراً لاهل الرأى في أحكام رأيه ، متحنكا بتجاربه ، ليس بالمتجابن اقحاما ، ولا بالمتخاذل احجاما ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً ، وان نكب اظهر جلادة وصبرا ، راجيا من الله حسن العاقبة فقد كربها المؤمنون ورجاهم اياه لقول الله تعالي أن العاقبة للمتقين أى الحذرين . وبعد فان كل ماكان قبلي كان بعمد

الى العدو الاقصي ويترك عدواً منه ادني ينتهز منه الفرصة ويدل منه علي العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وأيم الله لاأريم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها علي المسلمين بعضها أوجيعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

(فتح زهوان) قال وذكروا أنه كان بزهوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون علي سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زهوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسي خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله علي موسي فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبي دخل القيروان في ولاية موسي ثم وجه ابنا له يقال له عبد الرحمن بن موسي الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابناً له يقال له مروان فأتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

(قدوم كتاب الفتح علي عبد العزيز بن مروان) قال وذكروا أن موسي بن نصير كتب الي عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذى فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه . فكتب اليه عبد العزيز : انه بلغنى كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت أن ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك علي حقيقة واحذر الوهم . فلما قدم الكتاب علي موسي كتب اليه : بلغنى أن الامير أبقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التى أفاء الله علي وانه ظن أن ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما علي ماظنه الامير والخمس ايها الامير ستون الفا حقا ثابتاً بلاوهم . قال فلما أتي الكتاب الي عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

(انكار عبد الملك تولية موسي ابن نصير) وذكروا أن عبد العزيز لما ولي موسي وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسي بلغ ذلك عبد الملك بن مروان

فكره ذلك وانكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسي لسوء رأيه فيه ثم رأى أن لا يرد ماصنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين ماكان من رأيك في عزل حسان وتوليتك موسي مكانه وعلم الامر الذى له عزلته وقد كنت انتظر منك مثلها في موسي وقد امضي لك امير المؤمنين من رأيك ماأمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام .

(جوابه)

فلما قدم الكتاب علي عبد العزيز كتب الى أخيه عبد الملك : اما بعد فقد بلغنى كتاب امير المؤمنين في عزل حسان وتوليتى موسي بن نصير وقد كان لمثلها مني منتظراً في موسي ويعلمنى انه قد امضي لي من رأيي ماامضيت وولايتي من وليت وقد علمت ان امير المؤمنين يتفاءل بحسان الذى فتح الله علي يديه ولم اعد مع نظرى لامير المؤمنين بأن عزلت حسانا ووليت موسي في يمن طائره وحسن اثره . فأما قول امير المؤمنين قد كنت انتظرها منك في موسى فلعمرى لقد كنت لها فيه مرصداً ولامير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظراً حتى حضر أمر جهدت فيه نفسي لامير المؤمنين ولنفسى الرأى والنصيحة والسلام

(كتاب عبد العزيز بالفتح الي عبد الملك) وذكروا ان عبد العزيز كتب الي عبد الملك : أما بعد فاني كنت وانت يا أمير المؤمنين في موسي وحسان كالمتراهنين ارسلا فرسيهما الي غايتهما فأتيا معاً وقد مدت الغاية لاحدهما ولك عنده مزيد ان شاء الله وقد جاءني ياامير المؤمنين كتاب من موسي وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام

(جوابه)

فكتب اليه عبد الملك : اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذى مثلته في حسان وموسي ويقول الك عند احدهما مزيد وكل قد عرف الله علي يده خيراً ونصراً وقد أجريت وحدك وكل يجر بالخلاء مسرور والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الي موسي ليقبض ذلك منه علي ماذكر موسي وعلي ماكتب به فلما قدم الرسول علي موسى دفع اليه ما ذكر وزاده الفا الوقاء

(فتح هوارة . وزناتة . وكتامة)

قال وذكروا ان موسي أرسل عياش بن أخيل الى هوارة وزناتة في الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسي الى عبد العزيز في وجوه الاسرى فقتله عند البركة التي عند قرية عقبة فسميت بركة كامون فلما اوجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم علي موسي بوجوههم فصالحوهم واخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت علي موسي فصالحته وولي عليها رجلا منهم واخذ منهم رهونهم وكتب أحدهم الى موسي انما نحن عبدانك قتل احدنا صاحبه وانا خبرك منه فلم يشك موسي اذ ذاك انما كان من ممالأة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسي قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فأذن لهم فلما أتاه ما أتاه تحقق ظنه فيهم وانهم انما هربوا فوجه الخيول في طلبهم فأتي بهم فأراد صلبهم فقالوا لا تعجل ايها الامير بقتلنا حتى يتبين امرنا فان آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف ابداً ونحن في يديك وانت علي البيان اقدر منك علي استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديداً واخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسي تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيي رهونهم

(فتح صنهاجة) قال وذكروا أن الجواسيس أتوا موسي فقالوا له أن صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسي بأربعة آلاف من أهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا علي أثقال المسلمين وعيالهم بظبية في الفي فارس وعلي مقدمة موسي عياض بن عقبة وعلي ميمنته المغيرة بن ابي بردة وعلي ميسرته زرعة بن ابي مدرك فسار موسي حتى غشي صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصي ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله علي موسي وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان معه فالتقي المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الله منحه أكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

(فتح سجوما) قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم علي موسي نجدة ابن موسي في طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا بريد سجوما وما حولها واستخلف عبد الله بن موسى علي القيروان ثم خرج وهو في عشرة آلاف من المسلمين وعلي مقدمته عياض بن عقبة وعلي ميمنته زرعة بن أبي مدرك وعلي ميسرته المغيرة ابن أبي بردة القرشي وعلي ساقته نجدة ابن مقسم فأعطي اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد في الخيول وخلف علي الاثقال عمرو بن اوس في الف وسار بمن معه حتى انتهي الي نهر يقال له ملوية فوجده حايلا فكره طول المقام عليه خوفا من نفاد الزاد وأن يبلغ العدو مخرجه ومكانه فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة ابن نافع وكره أن يجوز عليها فلما أجاز وانتهي اليهم وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا وأعدوا الحرب فاقتتلوا قتالا شديداً في جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه أحد فالتفت موسى الي مروان ابنه فقال له اخرج اليه أي بني فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز بن موسي فلما رآه البربري ضحك ثم قال له ارجع فاني أكره أن أعدم منك اباك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتى ألجأه الي جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت في جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه فمال فوقع به البرذون ثم التقي الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله ثم ان الله هزمهم وفتح المسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لزم وبلغ سبيهم مائتي الف رأس فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم ومالا يحصي من النساء السلسيات اللاتي ليس لهن ثمن ولا قيمة . قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسى قال

علىّ بمروان ابنى قال فأتي به قال له أي بنى اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستسراها فهي أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قاتل يومئذ زرعة بن أبي مدرك قتالا شديداً أبلي فيه حتى اندقت ساقه قال فأبى موسى أن لا يحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل القيروان وأن يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز بفتح بعد فتح وملأت سباياه الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول اذا جاءه فتوح موسى . لتهنئك الثلبة أبا الاصبع ثم يقول وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسى الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا أسيافكم في قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم فأرسل اليه موسى أن أمسك فقال : أما والله لو تركني ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

(قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان) قال وذكروا ان موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع على بن رياح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فأجازه ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضاً وزاد في عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا أكره أن أعمل مثل ما فعل لزدتك مثلها ولكن تمدها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه ان قد فرض لجميع ولده في مائة وبلغ به هو الى المائتين وفرض في مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف التى أغرمها لك فخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بأخذ المائة ألف مما قبله قال فاني أشهدكم انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفي الرقاب وكان موسى اذا أفاء الله عليه شيئا اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام ويتجب فيعرض عليه الاسلام فان رضي قبله من بعد أن يمحص عقله ويجرب فطنته فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه

وتولاه وان يجد فيه مهارة رده في الخمس والسهام . قال وكتب موسى الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبي مدرك وما وصله وانه لولا ذلك أوفده الى أمير المؤمنين ففرض له عبد العزيز في مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك في سنة أربع وثمانين

(غزوة موسى في البحر) قال وذكروا ان موسى اقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجرى البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا امر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسلمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الأمير قد مر على مائة وعشرون سنة وان ابي حدثني ان صاحب قرطاجنة لما اراد بناء قناتها اتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له أيها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيء لقوتها وقدرتها فضم يدك أيها الأمير فان الله تعالى سيعينك على ما نويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسيرة اثنى عشر ميلا حتى أقحمه دار الصناعة فصارت مشتى المراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فأقام بذلك بقية سنة اربع وثمانين وقدم عطاء بن ابي نافع الهذلي في مراكب اهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأوصى بسوسة فأخرج اليه موسى الاوساق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا العام فأقم لا تغرر بنفسك فانك في تشرين الآخر فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر . قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأسا وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى أتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فأصابته ريح عاصف فغرق عطاء واصحابه واصيب الناس و وقعوا بسواحل أفريقية فلما بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق في خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقى البحر من سفن عطاء وأصحابه فأصاب تابوتا منحوتا قال فيه كان اصل غناه يزيد بن مسروق . قال ولقد لقيت شيخاً متوكئاً على قعبة فذهبت لاذنه

فنازعني فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجوهر والدنانير . ثم ان موسى أمر بتلك المراكب ومن معها من النواتية فأدخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين امر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا في الفلك ولم يبق احد الا أن يرفع دعا برمح فعقده لعبد الله بن موسي ابن نصير وولاه عليهم وامره ثم أمره أن يرفع من ساعته وانما أراد موسى بما أشار من مسيره ان يركب أهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف ، ثم سار عبد الله بن موسي في مراكبه وكانت تلك أول غزوة غزيت في بحر افريقية قال فأصاب في غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها فأصاب مالايدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون مابين الالف الي الثمانمائة ثم انصرف قافلا سالما . فأتت موسي وفاة عبد العزيز ابن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث الي يابيسة وبفتح عبد الله بن موسي وما أفاء الله علي يده ثم ان موسى بعث زرعة بن ابي مدرك الي قبائل من البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤساءهم الي موسي فأعطاهم الأمان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل علي مراكب اهل أفريقية فشتى في البحر وأصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل في ست وثمانين ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالة اهل مصر علي موسي في سنة تسع وثمانين فعقد له موسي علي بحر افريقية فأصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

(غزوة السوس الاقصي) قال وذكروا ان موسي وجه مروان ابنه الي السوس الاقصي وملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى فسار في خمسة آلاف من اهل الديوان . فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد عجلوا الي قتال العدو وان في يده اليمنى القناة وفي يده اليسرى الترس وانه ليشير بيده الي الناس أن كما أنتم . فلما التقي مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانة

ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال اهل السوس علي ايدى مروان فبلغ السبي اربعين الفا وعقد موسي علي بحر افريقية حتى نزل بميورقة فافتتحها

(قدوم الفتوحات علي الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا أن خادما للوليد ابن عبد الملك بن مروان اخبرهم قال . اني لقريب من الوليد بن عبد الملك و بين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ أتي رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاته فأعلمته قال خذ الكتاب منه فأخذه فقرأه فما اتي علي آخره حتى اتي رسول آخر من قبل موسي بن نصير بفتح السوس من قبل مروان ابن موسي . فأعلمته قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامداً ثم التفت الى قال امسك الباب لايدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبو بين يديه فلما خر الوليد ساجدا شاكرا لله جاء الصبي الي الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا استطيع ان اغيثه لما امرني به من امساك الباب واطال السجود حتى خفي صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

(فتح قلعة ارساف) قال ثم أن صاحب قلعة ارساف اغار علي بعض سواحل أفريقية فنال منهم وبلغ موسي خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك علي موسى قال قتلنى الله ان لم أقتله وانا مقيم هنا . قال فأقام موسي ما اقام ثم انه دعا رجلا من اصحابه فقال له اني موجهك في أمر وليس عليك فيه بأس ولك عندى فيه حسن الثواب خذ هذين الاذنين فسر فيهما بمن معك حتى تأتي موضع كذا وكذا في مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع احدى هذين الاذنين بما فيهما ثم انصرف الى بالاذن الاخرى و بعث معه موسى قبة من الخز والوشي ومن طرائف أرض العرب شيئاً مليحا وكتب كتابا بالرومية جوابا لكتاب كأنه كان كتب به الى موسي بدأه الامان علي أن يدله علي عورة الروم وكتب فيه امان من موسي مطبوع . فسار حتى انتهي الى الموضع الذى وصف له موسي فترك الاذن

بما فيها وانصرف راجعاً في الاذن الاخرى حتى قدم على موسى . وان الروم لما عثروا على اذن موسى استنكروها فرفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فأخذ مافيها فلما رأى مافيها من الكتب والهدية عاب ذلك فبعث بها كما هي الى الملك الاعظم فلما افضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده فبعث الى ارصاف رجلا وملكه عليها وأمر أن يضرب عنق صاحبها الذى اغار على ساحل افريقية فضل فقتله الله بحيلة موسى

(فتح الاندلس) قال وذكروا أن موسى وجه طارقا مولاه الى طنجة وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى اني قد اصبت ست سفن فكتب اليه موسى اتممها سبعاً ثم سربها الى شاطىء البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم احد وعشرين من شهر اذار بالسرياني فاشحن على بركة الله ونصره في ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم احد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما امرتك ان شاء الله فاذا اجريت فسر حتى يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور فاكسر ذلك التمثال وانظر في من معك الى رجل طويل اشقر بعينيه قبل وبيده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى ينشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى: اني منته الى ما امر الامير ووصف غير اني لم أجد صفة الرجل الذى امرتنى به الا في نفسي فسار طارق في الف رجل وسبعمائة وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له البشكيس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق : انه قد وقع بأرضنا قوم لاندرى أمن السماء نزلوا أم من الارض نبعوا. فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعاً الى طارق في سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت

والزبرجد ومعه الحبال ولايشك في أسرهم فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام في أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة وبسط لهم في آمالهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لايغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة ايها الناس مافعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا انهيه حتى اخالطه او اقتل دونه فأن قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير واياكم اياكم أن ترضوا بالدنية ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد أحل لكم من ثواب الشهادة فأنكم أن تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين وما انا ذا حامل حتى أغشاه فاحملوا بحملتي . فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز معه رجالا من أهل افريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له في الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى . وان المسلمين قد أصابوا مما كان مع لوذريق ما لا يدرى ماهو ولا ما قيمته . قال وكتب طارق الى مولاه موسى : ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ، فلما أتاه الكتاب نادى في الناس وعسكره وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس اول النهار فاستخلف عبدالله ابن موسى على افريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير فسار مروان بن معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول أبيه موسى وخرج موسى بن نصير والناس معه حتى أتى المجاز فأجاز بمن زحف معه في جوهه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت اليه من كل مكان فسار حتى

افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فقتل الناس يومئذ قتلا لم يسمع بمثله ولم يسلم من القتول يومئذ الا أبو عبد الرحمن الجبلي . ثم ان موسى سار لايرفع له شيء الا هده يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهي طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيه أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولي الاندلس كان كلما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولى ووجد في ذلك البيت أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الاغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شيء يدرى ماقيمته ، فأما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد

(اتهام الوليد موسى بالظلم) قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد أن يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو توطئة لفتح البلاد فأمر الوليد القاضي أن يدعو على موسى اذا قضى صلاته ، وان موسى لما دخل طليطلة بعث على بن رباح بفتحها وأوفد معه وفدا فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فأتى القاضي يدعو على موسى فقال : أيها الناس الله الله في موسى والدعاء عليه والله مانزع يدا من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفي طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين واني لأحدثكم عهدا به وما قدمت الآن الا من عنده وان عندي خبره وما أعطاه الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين ماتقر به أعينكم ويسر به خليفتكم

(دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى أرسل اليه فأدخل عليه ثم قال ماوراءك ؟ فقال كل ماتحب ياأمير المؤمنين تركت موسى بن نصير في الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد أحد ، وقد أوفدني الى أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه

فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجدا فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضا ساجدا ثم رفع رأسه فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجدا حتى ظننت انه لايرفع رأسه

(ذكر ما وجد موسى في البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب) قال وذكروا ان هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل الغزو انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا انها كانت لسليمان ابن داود عليه السلام فقال : كان بيتا عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبي الذي افتتحت الاندلس على يديه وفي ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم مافيه فاجتمعت اليه النصرانية والاساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ماتريد بفتح هذا البيت ؟ فقال والله لا أموت بغمه ولاعلمت مافيه . فقالوا أصلحك الله انه لاخير في مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على مالم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فأبى الا فتحه فقالوا له انظر ماظننت ان فيه من المال والجوهر وماخطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم . فأبى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه : اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها. فكان دخول المسلمين من العرب اليه في ذلك العام

(ذكر ماأفاء الله عليهم) قال وذكروا عن الليث بن سعيد ان موسى لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد فطيوها في جدار كنيسة من كنائسها فثلثت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام . قال وذكروا ان رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت . فلما أثقلتهما أنزلاها ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يجرون

يمينا وشمالا مايلتفون اليها استغناء عنهـا بما هو أنفس منها وأرفع . قال وأقبـل رجل الى موسي فقال ابعث معى أدلـكم على كنز . فبعث معه موسى رجالا فقـال الذى دلهم انزعوا هاهنـا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت مالم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لايصدقنا موسى أرسلوا اليه . فأرسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد . قال وكان البربر يان ربما وجـداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطهـا و يأخذا منها ماأمكنهما اشتغالا بغيرذلك عما هو أنفس منها. قال الليث و بلغنى ان رجلا غل في غزوة عطاء بن نافع فحمل ماغل حتى جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن أبي ليلي النجيبى عن حميد عن أبيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسي فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسي حين افتتح الاندلس الي أمير المؤمنين : انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . وأخبرني عن عبد الحميد بن حميد عن أبيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطـارد فخرجت بخمسمائة رأس فأما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لايحاط به . قال وحدثني ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسي اياها . فقلنا له فكيف علمت هذا ؟ قال اني والله من سبيه ولأخبرنكم بعجيب. والله مااشتراني الذى اشتراني الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسي بن نصير. فقلنا له ما أقدمك؟ فقال أبي كان من وجوه الاندلس فلـما سمع بموسي بن نصير عمد الي عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغيرذلك فدفنه في موضع قد عرفته فتقدمت أنا الخروج الي ذلك الموضع لاستخراجه. قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له أفتدريه ؟ قال نعم، فلم ندر بعد مافعل

(غزوة موسي بن نصير البشكيس والافرنج) قال وذكروا ان موسي خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعاً حـتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقيـة فطلبوا الصلح فصـالحهم

وغزا البشكيس فدخـل في بلادهم حتى اتي قوما كالبهائم ثم مال الى الفرنجة حتى انتهي الى سرقسطة فافتتحها وافتتح مادونها من البـلاد الي الاندلس قال فأصاب فيها مالايدرى ماهو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة و بين سرقسطة وقرطبة شهر أو اربعون ليـلة قال وذكروا أن عبد الله ابن المغيرة بن ابي بردة قال كنت ممن غزا مع موسي اندلس حتى بلغنـا سرقسطة وكانت من أقصي مابلغنـا مع موسي الا يسيراً من ورائها فأتينا مدينـة على بحر ولها اربعة ابواب قال فبينما نحن محاصروها اذ اقبل عياش بن اخيل صاحب شرطة موسي قال أيها الامير انا قد فرقنا الجيش ارباعا على نواحي المدينة وقد بقي الباب الاقصي وعليه رتبة . قال له موسي بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه قال ثم أن موسي التفت الي وقال لي كم معك من الزاد قلت مابقي معي غير تليس قال فأنت لم يبق معك غير تليس وانت من امراء الجيش فكيف غيرك ؟ اللهم أخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فأصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فخلاها موسي منه ووجه ابنـه مروان في طلبهـم فأدركهم فأسرع القتل فيهم وأصابو ممـا كان معهم ومما في المدينة شيئاً عظيما . قال وذكروا أن جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسي فحاصرنا حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة لم نقدر عليـه فلما طال ذلك عليـه نادى فينا أن أصبحوا على تعبئة ، وظننا انه قد بلغه مادة من العدو قد دنت منا وانه يريد التحول عنهـم فأصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال . ايها الناس اني متقدم أمام الصفوف فاذا رأيتمـوني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا . فقال الناس سبحان الله أترى فقـد عقلـه أم عزب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه ؟ قال فتقدم بين يدى الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبـة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستمد دنا ثم ان موسي كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها وما راعنى الا خيل المسلمين تموج فيها وفتحها الله علينا فأصبنا منها من السبي والجوهر مالا يحصي . قال وحدثني ،

مولاة لعبد الله بن بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر حصنها الذى كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فأقام لنا محاصراً حيناً ومعه أهله وولده وكان لا يغزو الا بهم لما يرجو في ذلك من الصولب. قالت ثم أن أهل الحصن خرجوا الى موسى فقاتلوه قتالا شديداً ففتح الله عليه. قالت فلما رأى ذلك أهل الحصن الآخر نزلوا علي حكمه ففتحهما موسى في يوم واحد فلما كان في اليوم الثاني الي حصناً ثالثاً فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديداً ايضا حتى حال المسلمون حوله. قال فأمر موسى بسرادقه فكشطه عن نسائه وبناته حتى برزن قال فلقد كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصى وحمي المسلمون واحتدم القتال ثم أن الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له. وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى في غزواته كلها فلم ترد له راية قط ولا هزم له جمع قط حتى مات. وقال ابن صخر لما قدم موسى الاندلس قال له اسقف من اساقفتها انا لنجدك في كتب الحدثان عن دانيال يصفنك صياداً تصيد بشبكتين رجل لك في البر ورجل في البحر تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد. قال فسر بذلك موسى وأعجبه. وقال عبد الحميد بن حميد عن ابيه أن موسى لما أوغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك علي الناس وقالوا ابن تذهب بنا حسبنا مافي ايدينا. وكان موسى قال حين دخل افريقية وذكر عقبة بن نافع لقد كان غرر بنفسه حين أوغل في بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد؟ فسمعه حبيش الشيباني قال فلما بلغ موسى ذلك المبلغ قام حبيش فأخذ بعنانه ثم قال: ايها الامير اني سمعتك وأنت تذكر عقبة ابن نافع تقول لقد غرر بنفسه ومن معه اما كان معه رجل رشيد وانا رشيدك اليوم ابن تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر وأعظم ما آتاك الله عز وجل واعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك؟ اني سمعت من الناس مالم تسمع وقد ملأوا ايديهم واحبوا الدعة. قال فضحك موسى ثم قال ارشدك الله وكثر في المسلمين مثلك. ثم انصرف قافلا الي الاندلس. فقال موسى يومئذ اما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها

الله علي يدى ان شاء الله

(خروج موسى بن نصير من الاندلس) قال وذكروا ان عبد الرحمن ابن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير بالاندلس، قال أقام موسى بقية سنته تلك وأشهراً من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافداً الي الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها موسى عشرين شهراً واستخلف عبد العزيز بن موسى فجاز موسى البحر على الاندلس فنزا بالناس حتى بلغوا اربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء الوصائف ومالا يحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه وجوه الناس. قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال: كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهى تتلون صفرة وبياضا مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت: فما عظمها؟ قال: كنا بموضع والناس معسكرون اذ أفلت بغل لرجل من موالي موسى يقال له صالح أبو ربشة علي رمكة فكردها في العسكر فقام الناس اليه بأعمدة الاخبية وجال في العسكر جولة فتطلع موسى قال ما هذا؟ وتطلع الجوارى فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلي فثار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقله حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها علي هذا البغل القوى

(قدوم موسى افريقية) قال وذكروا أن يزيد بن مسلم مولي موسى أخبرهم انه لما جاز موسى الحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومئة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشى الاندلسي حتى أتي افريقية فلما قدمها بقي بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله علي افريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الاعلي بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبي بردة وزرعة بن أبي مدرك وسليمان بن نجدة ووجوه من وجوه الناس وأخرج معه من

وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة و بنو قصدر و بنو ملوك البربر وملك السوس ومزدانة وملك قلعة ارصاف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مئة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضاً بأصناف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها وما لايحصى فأقبل يجر الدنيا وراءه جرا لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

(قدوم موسى الى مصر) قال وذكروا أن يزيد بن سعيد بن مسلم أخبرهم قال لما أتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك أن ادفع الى موسى من بيت مال مصر ما أراد فأقبل موسى حتى اذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرة استخلف ابن رفاعة على الجند حتى توفي فلما سمع بموسى خرج مبادراً حتى لحقه حين استوى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من أنت يا ابن أخي ? فانتسب له فقال مرحبا وأهلا ، فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة في المال الذى كان استخرجه من سفيان بن مالك الفهرى وذلك بعدم هلك سفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فأقام موسى ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر في كل يوم فلم يبق شريف الا وقد أوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيراً وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتى فلسطين فتلقوه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغني أنهم نحروا له خمسين جزوراً وأقام عندهم يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان وآل روح ابن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

(قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى) قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشائخ أهل مصر أخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو في آخر شكايته التي توفي منها وقد كان لسليمان بن عبد الملك بعث الى موسى من لقيه في الطريق قبل قدومه

على الوليد يامره بالتثبط في مسيره وان لايعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما أتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال : خبيت والله ماغدرت ولاوفيت والله لاتربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكن اسير بمسيرى فان اوافه حيا لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله . فرجع الرسول الى سليمان فأعلمه فقال لئن ظفر بموسى ليصلبنه أو ليأتين على نفسه . فلما قدم موسى على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة في مسيره خوفا أن تعجل به منيته قبل قدوم موسى وانه أراد أن يراه وان يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسى شيء يثبطه حين أتاه كتاب الوليد فاقبل حتى دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشي ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وامر بالمائدة فكسرت وعمد الى الخزر ما فيها والتيجان والجزع فجعله في بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد أن مات رحمه الله .

(خلافة سليمان بن عبد الملك وما صنع بموسى بن نصير) قال وذكروا أن عبد الرحمن أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه بعث الى موسى فأتي به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ . أعلي اجترأت وأمرى خالفت والله لأقلن عددك ولأفرقن جمعك ولأبددن مالك ولاضعن منك ماكان يرفعه غيرى ممن كنت تمنيه اماني الغرور وتخدعه من آل ابي سفيان وآل مروان . فقال له موسى . والله يا امير المؤمنين ماتمثل على بذنب سوى انى وفيت الخلفاء قبلك وحافظت على ولى النعمة عندى فيه . فأما ماذكر امير المؤمنين من أنه يقل عددى و يفرق جمعي و يبدد مالي و يخفض حالي فذلك بيد الله والى الله وهو الذى يتولى النعمة على الاحسان الي و به استعين و يعيذ الله عز وجل امير المؤمنين ويعصمه أن يجرى على يديه شيئا من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته . فأمر به سليمان فوقف في يوم صائف شديد الحر على طريقه قال وكانت بموسى نسمة فلما أصابه حر الشمس وأتعبه الوقوف هاجت عليه. قال وجعلت

قرب الدرق تحتوره فما زال كذلك حتى
سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الى أن
نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشياً
عليه قال عمر بن عبد العزيز : ما مر بي
يوم كان أعظم عندي ولا كنت فيه
أكرب من ذلك اليوم لما رأيت من
الشيخ موسى وما كان عليه من بعد اثره
في سبيل الله وما فتح الله علي يديه . قال
فالتفت الي سليمان فقال يا ابا حفص
ما اظن الا قد خرجت من يمينى قال عمر
فاغتنمت ذلك منه فقلت يا امير المؤمنين
شيخ كبير بادن وبه نسمة قد اهلكته
وقد اتت علي ما فيه من السلامة لك من
يمينك وهو موسى البعيد الاثر في سبيل الله
العظيم الغناء عن المسلمين. قال عمر والذى
منعنى من الكلام فيه ما كنت اعلم من
يمينه وحقده عليه ، فخشيت ان ابتدأته
أن يلج عليه وهو لحوح . قال فلما قال لي
ما قال حمدت الله علي ذلك وعلمت أن
الله قد أحسن اليه وأن سليمان قد ندم فيه
فقال سليمان من يضمه ؟ فقال يزيد بن
المهلب أنا اضمه يا امير المؤمنين . قال
وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة
خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا
تضيق عليه . قال فانصرف به يزيد وقد
قدم اليه دابة ابنه مخير فركبها موسى فأقام
أياما قال ثم أنه تقارب ما بين موسى وسليمان
في الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف
الف دينار

(عدد موالي موسى بن نصير) قال
وذكروا عن بعض البصريين أن رجلا
منهم اخبرهم أن يزيد قال لموسى ذات
ليلة وقد سهر صبراً طويلا يا ابا عبد الرحمن
كم تعد مواليك وأهل بيتك فقال كثير
قال يكونون الفا قال له موسى نعم والفا
والفا حتى ينقطع النفس لقد خلفت من
الموالي ما لا أظن أن احداً خلف مثلهم قال
له يزيد انك لعلي مثل ما وصفت وتعطي
بيدك الا اقمت بدار عزك وموضع سلطانك
وبعثت بما قدمت به فان اعطيت الرضا
اعطيت الطاعة والا كنت علي التخيير
من امرك ؟ فقال موسى والله لو أردت ذلك
ما تناولوا طرفا من اطرافي الي أن تقوم
الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر
الخروج من الطاعة والجماعة. ثم خرج يزيد
من عنده فنظر اليه موسى وقال لمن عنده
والله أن في رأس أبي خالد لنعرة وليأتين
عليها

(ذكر ما رآه موسى بالمغرب من
العجائب) قال وذكروا عن محمد بن
سليمان من مشائخ أهل مصر قال لما بعث
موسى رحمه الله بالخمس الذى أفاء الله عليه
وكان مائة الف رأس فنزلوا بالاسكندرية
ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة
الرقيق الي اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط
فتسوقوا فيه فسمي سوق البربر الي اليوم
قال محمد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك
ان موسى اتخذ لنفسه داراً ومسكناً حتى
كان من أمر سليمان ما قد ذكر وهو الذى
أخرجه وأهله من المغرب . قال وحدثنا
بعض أهل أفريقية ان موسى ركب يوما
حتى خرج من القيروان فوقف قريبا من
افريقية علي رأس أميال فأخذ بيده ترابا
فشمه ثم أمر بحفر بئر وابتنى داراً واتخذ
فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل فليس
يعلم بالمغرب بئر أعذب منها ، وحدثنا
الكريم أبو بكر عبد الوهاب بن عبد الغفار
شيخ من مشائخ تونس قال ان
موسى انتهى الى صنم يشير بأصبعه خلفه
ثم تقدم الى صنم أمام الصنم الاول فاذا هو
يشير بأصبعه الي السماء ثم تقدم فاذا بصنم
علي نهر ماء جار يشير بأصبعه تحت
قدميه فلما انتهي موسى الى الصنم الثالث
قال موسى احفروا فاذا بحدث مختوم
الرأس قد أخرج فأمر به موسى فكسر
فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش
أتدرون ما هذا قالوا لا والله أيها الامير
ما ندرى. قال ذلك شيطان من الشياطين
التى سجنها نبي الله سليمان بن داود . قال
وحدثنا بعض مشائخ أهل المغرب ان
موسى أرسل ناسا في مراكب فأمرهم أن
يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير بأصبعه
أمامه في جزيرة في البحر ثم يسيروا حتى
يأتوا صنما آخر في جزيرة يشير بأصبعه
أمامه ثم يسيروا الليالي والايام ويجهدوا
في السير حتى يأتوا صنما آخر في جزيرة في
البحر فيها أناس لا يعرف كلامهم قال فاذا
بلغتم ذلك فارجعوا . وذلك في أقصى
المغرب ليس وراءه أحد من الناس
الا البحر المحيط وهو أقصى المغرب في
البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشائخ
من أهل المغرب ان موسى بلغ نهراً من
أقصى المغرب فاذا عليه في الشق الايمن
أصنام ذكور وفي الايسر أصنام اناث
وان موسى لما انتهي الي ذلك الموضع
خاف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع

بالناس ثم مضى في وجهه ذلك حتى انتهى الي أرض تميد بأهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغني ان موسى لما جاوز الاندلس أتي موضعاً فاذا فيه قباب من نحاس فأمر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان فنفخ ومضي فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التي سجنها سليمان بن داود فأمر موسى بالقباب فتركت علي حالها وسار بالناس . قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان موسى كان يسير في بعض غزواته وهو بأقصي المغرب اذ غشي الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى في ذلك اذ هجم علي مدينة عليها حصن من نحاس فلما أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر علي دخولها فأمر بنبل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوى علي سورها تردى فيها . ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله ألف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك . ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله ألف وخمسمائة دينار؟ فصعد رجل ثالث فأصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس موسى فقالوا هذا أمر عظيم أصيب اخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم علي رسلكم يأتيكم الامر علي ماتحبون ان شاء الله ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت علي حصن المدينة ثم أمر أن يرمي الحصن فلما علم من في الحصن ماعمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا . فقال لهم موسى أين أصحابي وما فعلوا ؟ قالوا هم عندنا علي حالهم . فقال أخرجوهم الينا قالوا نعم فأخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم فقالوا مادرينا ما كنا فيه وما أصابتنا شوكة حتى أخرجنا اليك . فقال موسى الحمد لله كثيراً . ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به . ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

(تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه) قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله أخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الي أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين ألف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتسب في العطاء وتقلب في

الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضى عنه علي يد عمر بن عبد العزيز فقال سليمان له أشر علي يا موسى فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد . فقال له موسى : أي يا أمير المؤمنين ان توجه بمن معه فلا يمر بحصن الاصير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية فانه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فأمره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه واعلم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان في مسلمة بعض الاباية ثم رجع الي قول موسى فيما صنع بأرض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمنى علي نفسي وأهلي ومالي وولدى وأنا آتيك بالملك ؟ فأمنه ومضي البطريق الي الملك الاعظم فأعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقط في يديه فقال البطريق له عند ذلك مالي عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه ؟ فقال الملك اجعل تاجي علي رأسك وأقعدك مكاني فقال البطريق أنا أكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال أخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك . فبعث البطريق الي جميع الحصون فأمرهم بالنقلة الي الجبال وحمل ماقدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الي مسلمة فقال له : لو كنت امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلي الا يبرح حتى يظفر بملك الروم

(سؤال سليمان موسى عن المغرب)

قال وذكروا ان محمد بن سليمان أخبرهم أن سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت علي الاندلس ؟ قال له عبد العزيز ابن موسى . قال ومن خلفت علي أفريقية ؟ وطنجة والسوس ؟ قال عبد الله ابني فقال له سليمان لقد أنجبت يا موسى . فقال موسى ومن أنجب مني يا أمير المؤمنين ان ابني مروان اني يملك الاندلس وابني عبد الله اني يملك ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان اني يملك السوس الاقصي فهم متفرقون في الأمصار وغيرهم بذيرون

فيأنون من الدبي بما لايحصي فن أعجب منى يا أمير المؤمنين ؟ قال فنضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأعجب منك؟ فقال موسى شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لأنه به وبشه وعلي يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغني ان موسي لما نزل الحبيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجل من بني أمية فقال له ياموسي أنت ملك المغرب وأعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان ؟ فقال له موسي : ياابن اخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ما تعلم ألا ترى يا ابن أخي ان الصبي يأخذ العظم فيعقده بحبل ثم ينصبه ويجيء ويضع فيه حبة بر أو ذرة فينصب الهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الي الوقوع فيه . فاحذر ياابن أخي أن تراك الشام أو تراها . فخرج موسي الي الوليد بدمشق فات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقي منه موسي ماذكرنا واخرج القرشي الي الشام فضربت عنقه

(ذكر قدوم موسي علي الوليد)

قال وذكروا ان موسي لما قدم علي الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك علي المنبر وكان موسي قال لبعض من وفد معه بان يلبس كل رجل من الاسرى تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئه الملوك وأمر بأبناء ملوك البربر فهيئوا وأمر بأبناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بأبناء ملوك الاصبان فهيئوا بمثل ذلك وأمر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وابناء ملوك الافرنجة وأقبل موسي بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد علي المنبر يحمد الله وهو موعون قد أثرت فيه العلة وانهكه المرض وانما كان متحملا لأجل قدوم موسي ومن معه فلما رآهم بهت القوم وقال الناس موسي موسي ثم أقبل حتي سلم علي الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم ان الوليد أخذ في حمد الله تعالى والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره فتكلم بكلام

لم يسمع منه وأطال حتي فات وقت الجمعة ثم صلي بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسي فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات وأجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعا في الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم أدخل عليه موسي ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاصبان وملوك الافرنجة ثم ادخل عليه رؤوس اهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فأحسن جوائزهم وفرض لهم في الشرف ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوما ثم ان الوليد هلك

(ذكر اختلاف الناقلين في صنع سليمان بموسي) قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان احنق الناس علي الحجاج وموسي بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره . قال فأرسل سليمان الي عمر بن عبد العزيز فأتاه فقال اني صالب غداً موسي بن نصير فبعث عمر الي موسي فأتاه فقال له : ياابن نصير اني أحبك لاربع : الواحدة بعد أثرك في سبيل الله وجهادك لعدو الله ، والثانية حبك لآل محمد صلي الله عليه وسلم ، والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيي فيه ، وكان عياض من عباد الله الصالحين ، والرابعة ان لأبي عندك يداً وصنيعة وأنا أحب أن تتم يده وصنيعته حيث كانت وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فأحدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك . فقال له موسي قد فعلت وأسندت ذلك اليك. فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلته منك ولكن اسند الي من أحببت . فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك في الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك في حارة الصيف دعا سليمان موسى فأدخل عليه متعبا وكان بادنا جسيما به نسمة لا تزال تمرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتوعده فقال له موسي : أما والله يا أمير المؤمنين ماهذا بلائي ولا قدر جزائي ، اني البعيد الاثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائي مع آبائك ونصيحتي لهم . قال فيقول له سليمان كذبت قتلني الله ان لم أقتلك. فلما أكثر علي موسي قال له اما والله لمن في بطن الارض أحب الي ممن علي ظهرها فقال سليمان ومن أولئك ؟ واستطير. فقال له

موسى مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك . قال فكاد سليمان يتكسر ثم يقول قتلني الله ان لم أقتلك . فيقول له موسى ما أنت بفاعل يا أمير المؤمنين. فيقول ولم لا لاام لك ؟ فيقول له موسى اني لأرجو أن لا يكرم موسى بهوان أمير المؤمنين وموسى حينئذ قائم في الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره . ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما ارى يمينى الا قد برت يا عمر . قال عمر فاغتنمتها منه ولم آمل أن يحنث بإحياء رجل من المسلمين . فقلت أجل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وسقم فما أراه الا ميتا. قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال؟ فقال يزيد بن المهلب أنا يا أمير المؤمنين قال فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى . فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فأكرمه وبره وقال له : أطع أمرى وأجب أمير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وعلى كلما قضيته عليه . فقال له موسى أما اذا كنت أنت صاحب هذا الشأن فأنا غير مخبرك فيما ضمنت لأمير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بي وأمره بالبسط على لكان أحب الى أن أتقي الله عز وجل وأقرب الى من أن يأخذ منى دينارا واحدا ولكن اديا يا بنى عن أنفسكما وعن أبيكما . فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فأعلمه بذلك وبرضاء موسى بمقاضاته فأدخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت لو لم أقاضك ماكنت فاعلا ؟ فقال سليمان أضع العذاب عليك وعلى ابنيك حتى أبلغ ما أريد أو آتي على أنفسكم . فقال موسى الآن طابت نفسك يا أمير المؤمنين فأعطنى أربع خصال ولك ما دعوتنى اليه من هذا المال . فقال وما هن ؟ قال لا تعزل عبد الله بن موسى عن افريقية وجميع عمله سنتين وان كل ماجباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهو لي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين . وأن تدفع الي طارقا مولاى وأكون أعلى به عينا وعاله . فقال له سليمان أما ماسألتنى من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك . وأما ماسألت من دفع طارق اليك فتكون أعلى عينا به وعاله فليس

هذا جزاء أهل النصيحة لأمير المؤمنين فلست بفاعل ولا أخل بينك وبين عقوبته ولا اخذ ماله . فقاضاه موسى على مال فأجله في ذلك وخلى سبيله

(نسخة القضية) هذا ماقاضي عليه عبد الله سليمان امير المؤمنين موسى بن نصير قاضاه على أربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين دينارا ذهبا طيبة يؤديها الي امير المؤمنين وقد قبض منها امير المؤمنين مائة الف وبقي على موسى سائر ذلك اجله امير المؤمنين الي صير رسول امير المؤمنين الي ابن موسى الذى بالاندلس يمكث شهرا بالاندلس وليس له أن يمكث وراء ذلك يوما واحدا حتى يقبل راجعا بالمال الا ما كان من افريقية وما دونها وليس لموسى أن يتكثر بشيء على ماكان عليه من العمل منذ استخلص الله امير المؤمنين من ذمة أو فيء أو امانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان ادعى موسى الذى سمي امير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى مالقد سمي امير المؤمنين من الاجل فقد برىء موسى وبنوه واهله ومواليه : ليس عليهم تبعة ولا طلبة في المال ولا في العمل يقرون حيث شاءوا وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسى الي قدوم رسول امير المؤمنين افريقية فهو من الذى على موسى من المال يحسب له من الذى عليه ومالم يقبض قبل وصول رسول امير المؤمنين فليس منه في شيء وقد خلى امير المؤمنين بين موسى وبين اهله ومواليه ليس له يظلم احد منهم غير أن امير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئا من الذى قد أباه عليه أول يوم . شهد ايوب ابن امير المؤمنين وداود ابن امير المؤمنين وعمر ابن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامة وخالد ابن الريان وعمر بن عبد الله ويحيي بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان في جمادى سنة تسع وتسعين . فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية موسى وابنيه والكف عنه فأعانه يزيد ابن المهلب بمائة الف دينار فاهدى اليه موسى حقا فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الي بن المهلب فقومن فقوبلن بثلاثمائة الف دينار فقال ابن المهلب لموسى تدرى لم قلت لامير المؤمنين انا اضمه ؟ قال لا

قال خفت أن يجيبه قبلي من لا يرى فيك مالنا عليك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فأحببت ان أجزيك بها عنه وبالله لو لم تفعل وابيت عن المقاضاة ما شاكتك عندي شوكة حتى لا يبقي لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيرا

(ذكر يد موسى الى المهلب) قال وذكروا أن مخبراً اخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبهم قال كانت اليد التى أسداها موسى الي المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولي العراق بشراً اخاه جعل معه موسى ابن نصير وزيراً ومدبرا لامره وقد كانت الازارقة اشتدت ماهنالك فأمر عبد الملك بشر بن مروان أن يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئا فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشراً لم يأته فولي بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولي بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر اخيه يفند رأيه فيما صنع ويوبخه لما خالف رأيه . فصمم بشر علي رأيه فلما استفاظ أمر الازارقة انتشار بشر بن مروان اسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير في امر المهلب فأما عكرمة واسماء فوافقا هواه فيه ، واما موسى فقال له أن امير المؤمنين لايحملك علي العصبية وليس مثل المهلب في فضله وشرفه وقدره في قومه ومعرفته أقصيت أو جفوت فان كان مابلغك امر يقال انه اتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه أو ذنبه . فلم يزل موسى يردد امر المهلب علي بشر ويعطفه عليه بعد ان كان هم بقتله ان ظفر به حتى اوصل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ماكان يلي فبعث اليه موسى بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها علي حربك ثم لم يزل موسى قائما بأمره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا واخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب في الايام التى كان يخاف فيها بشر بن مروان علي نفسه خرج الي مال له فكان فيه وحده فأتي رجل الي بشر وعنده موسى فقال له ان كان لك ايها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه . فبعث بشر خيلا

قال فنهض من مجلسه موسى فوجه اليه غلاما له ثم قال له انت حر لوجه الله ان انت سبقت هذه الخيل حتى تنتهى الى موضع كذا وكذا فتأتي المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهي الى المهلب فأعلمه فاستوى علي فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد أحداً هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

(ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس) وذكروا أن محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسى بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضى عنه وابنه عبد الله بن موسى علي افريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز علي الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذى فعل سليمان بأبيه موسى تكلم بكلام خفيف حمله عليه حمية لما صنع بأبيه علي حسن بلائه فنمت الي سليمان فخاف سليمان أن يخلع فكتب الي حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمي وسعد بن عثمان ابن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر ابن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الي كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذى بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الظلم وانه قد كتب الى عبدالله بن موسى يأمره بأشخاصهم الي عبد العزيز وأعلمه انما دعاه الي ذلك الذى أحب من مكانفتكم لانه بأزاء العدو وأعطاهم العهود ان من قتله منهم فهو أمير مكانه وكتب الي عبد الله بن موسى اني نظرت فاذا عبد العزيز بأزاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل أمير المؤمنين فأخبر ان ممك رجالا منهم فلان وفلان فأشخصهم الي عبد العزيز بن موسى . وكتب سليمان الي عبد العزيز . أما بعد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك الي الرجال أهل النكاية والغناية فذكر له ان بأفريقية رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الي عبد الله بن موسى يأمره بأشخاصهم اليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم أهل خاصتك . وكتب اليهم سليمان اني قد بعثت لكم بكتاب الي أهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والعذر في قتله فاذا ولاكم أطرافه فأقروا عهدى علي من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه . فلما قدم الكتاب علي عبد الله بن موسى بأفريقية أشخص القوم

فخرجوا حتى قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان في الطائفهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز وأكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا أي نواحي وثغوري شئتم فضربوا الرأى فقالوا انكم ان فعلتم ماأنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من أطرافه لم تأمل أن يجبل معه عظيم الناس فان في يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رأيكم في الفتك به قالوا فان ههنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الي ماأردنا وهو أيوب بن حبيب بن أخت موسى قال فلقوه ودعوه الي انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم أتوا عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي وكان سيد أهل الاندلس صلاحا وفضلا فأعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان . فقال لهم قد علمتم يدموسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كتب عليه فيه والرجل لم ينزع يداً من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وأنتم ترون وأمير المؤمنين لايرى فأطيعوني ودعوا هذا الامر فأبوا ومضوا على رأيهم فأجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بأم القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن أبي عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله بن وعلة التميمي وأصبح الناس فأعظموا ذلك فأخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبلوا أهل الاندلس وولوا عليهم عبد الله ابن عبد الرحمن الغافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز ابن موسى رحمهما الله . انتهى

﴿ الموسوية أو المفضلية ﴾ فرقة من الشيعة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه بالاسم حيث قال الصادق سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الا وهو سمي صاحب التوراة ولما رأت الشيعة ان أولاد الصادق على تفرق فمن ميت في حال حياة أبيه ولم يعقب ومن مختلف في موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ميت غير معقب وكان موسى هو الذى تولي الامر وقام به بعد موت أبيه ورجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمرو وزرارة بن أعين وعمارة السباطي ورووت الموسوية عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه عد الايام فعدها من الاحد حتى بلغ السبت

قال له كم عددت ؟ فقال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لايلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا ، وأشار الي موسى . وقال فيه أيضاً أنه شبيه بعيسى . ثم أن موسى لما خرج واظهر الامامة حمله هارون الرشيد من المدينة لحبسه عند عيسى بن جعفر ثم أشخصه الي بغداد لحبسه عند السندى ابن شاهك وقال ان يحيي بن خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس ثم أخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد . واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف في موته وقال لاندرى أمات أم لم يمت . ويقال لهم الممطورة وسماهم بذلك علي ابن اسماعيل فقال ماأنتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة . ويقال لهم الوقفية . أسامي الائمة الاثنا عشر عند الامامية المرتضي والمجتبى والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضي والتقي والنقي والزكي والحجة والقائم والمنتظر

﴿ الموشكانية ﴾ من اليهود أصحاب موشكا على مذهب يوذعان غير أنه كان يوجب الخروج علي مخالفيه ونصب القتال معهم فخرج في تسعة عشر رجلا فقتل بناحية قم وذكر عن جماعة من الموشكانية أنهم أثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام الى العرب وسائر الناس سوى اليهود لانهم أهل ملة وكتاب . وزعمت فرقة من (المقاربة) ان الله تعالي خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا فكل مافي التوراة وسائر الكتب من وصف الله عز وجل فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز أن يوصف البارى تعالي بوصف . قالوا فان الذى كلم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك الملك والشجرة المذكورة في التوراة هو ذلك الملك ويتعالي الرب تعالي عن أن يكلم بشراً تكليما وحمل جميع ماورد في التوراة من طلب الرؤية وشافهت الله وجاء الله وطلع الله في السحاب وكتب التوراة بيده واستوى على العرش قراراً وله صورة آدم وشعر قطط ووفرة سوداء وانه بكي على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وانه ضحك الجبار حتى بدت نواجذه الي غير ذلك على ذلك الملك قال ويجوز في العادة أن يبعث ملكا واحداً من جملة خواصه ويلقي عليه اسمه

ويقول هذا هو رسولي ومكانه فيكم مكاني وقوله وأمره قولي وأمري ، وظهوره عليكم ظهوري ، كذلك يكون حال ذلك الملك. وقيل أن اريوس قال في المسيح أنه هو الله وأنه صفوة العالم أخذ قوله من هؤلاء وهم كانوا قبل أريوس بأربعمائة سنة وهم أصحاب زهد وتقشف وقيل صاحب هذا المقالة هو بنيامين النهاوندي قرر لهم هذا المذهب وأعلمهم أن الآيات المتشابهة في التوراة كلها مؤولة وأنه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر ولا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وانما المراد بهذه الكلمات الواردة في التوراة ذلك الملك المعظم وهذا كما يحمل في القرآن المجيء والاتيان على اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال في حق مريم عليها السلام ونفخنا فيها من روحنا وفي مواضع أخر فنفخنا فيه من روحنا وانما النافخ جبريل حين تمثل لها بشراً سوياً ليهب لها غلاماً زكياً

﴿الموصل﴾ قال ياقوت بفتح الميم وكسر الصاد المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظير كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة فهي باب العراق ومفتاح خراسان منها يقصد اذربيجان قال وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لان الواصل الى الجهتين قل ما لا يمر بها وسميت الموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لانها وصلت بين بلد سنجار والحديثة وقيل بل الملك الذى أحدثها كان يسمي الموصل وهي مدينة قديمة الاس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى وفي وسط مدينة الموصل قبر جرجيس النبي وفي داخل سورها جامعان أحدهما وسط السوق جديد بناه نور الدين محمود والآخر عتيق قبل بناه مروان بن محمد اخر ملوك بنى أمية وهو الذى عظمها وألحقها بالأمصار وجعل لها ديواناً مفرداً ونصب جسرها وبنى سورها وزادت بعد ذلك عمارتها وتضاعف حاصلها وبينها وبغداد أربعة وسبعون فرسخا

وقال ابن حوقل وأما مدينة الموصل فعلى غربي دجلة صحيحة التربة والهواء وشربهم من ماء دجلة وفيها نهر يقطعها وبين مائه ووجه الارض نحو الستين ذراعا ولم يكن فيها شجر و بساتين الا الشيء

القليل فلما كان في وقتنا هذا (القرن الرابع) غرست فيها الاشجار وكثرت الكروم والفواكه والنخيل والخضر وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها وجبى أموالها ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة اليها وارتفاع جبايات زادت على ما كان في سالف الزمان بالظلم والعدوان وذلك لان ابن حمدان اغتصبهم ضياعهم الخراجية واشترى منها القليل بسهم من أعشار ثمنها واستملك رباعها وداخلها وخارجها. الى أن قال وهي مدينة أبنيتها بالجبس والحجارة كبيرة غناء أهلها عرب ولهم بها خطط وأكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة وكان بها من كل جنس من الاسواق الى الاربع مما يكون في السوق مائة دكان وبها من الفنادق والحمامات والحال مارغب اليه سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبهم اليها رخص أسعارها فسكنوها وهي فرضة لاذربيجان وأرمينية ولها بوادو أحياء كثيرة تصيف في مصائفها وتشتو في مشاتيها الى أن قال وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة فغرقهم جور بنى حمدان بعد انتزاع أملاكهم ثم مهد لوصف ما كان عليه البلد من العتاد والعدد وكثرة ارتفاعه (ايراده) بقوله « والعبرة في الدلالة على قوة البلد وقوة أهله بارتفاعه وجباياته اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء » وأخذ يسرد أنواع الايراد بابا بابا مما نجده مفصلا في كتابه من صحيفة ١٤٠. نقول ولا تزال مدينة الموصل قاعدة لولاية تنسب اليها ويكاد لا يزيد عدد سكانها اليوم عن خمسين الف نسمة وتجارتها ضعيفة في البسط و بعض الاقمشة

﴿الموصلي﴾ هو أبو محمد اسحق ابن ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الارجاني الاصل المعروف بابن النديم الموصلي وقد سبق ذكر أبيه والكلام في نسبته ونسبه فأغنى عن الاعادة

وكان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء الذان تفرد بهما وكان من العلماء باللغة والاشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس وروى عنه مصعب ابن عبد الله الزبيرى والزبير بن بكار وغيرهما وكان له يد طولي في الحديث والفقه وعلم الكلام . قال محمد بن عطية العطوى الشاعر كنت في مجلس القاضي يحيي بن أكثم فوافي اسحق بن ابراهيم الموصلي

وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج ، وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر ، ثم اقبل على القاضي يحيى فقال له اعز الله القاضي أفي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن ؟ قال لا . قال فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيام اهلها وانسب الى فن واحد قد اقتصر الناس عليه ؟ يعني الغناء . قال العطوى فالتفت الي القاضي يحيى وقال لي الجواب في هذا عليك . وكان العطوى من أهل الجدل فقال القاضي يحيى اعز الله القاضي الجواب علي ثم أقبل على اسحق فقال يا ابا محمد أنت كالفراء والاخفش في النحو ؟ فقال لا فقال فأنت في اللغة ومعرفة الشعر كالاصمعي وأبي عبيدة ؟ قال لا . قال فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي ؟ قال لا قال فأنت في الفقه كالقاضي وأشار الى القاضي يحيى ؟ قال لا قال فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس ، قال لا قال فمن ههنا نسبت الى ما نسبت اليه لانه لا نظير لك فيه وانت في غيره دون رؤساء اهله . فضحك وقام وانصرف فقال القاضي يحيى للعطوى لقد وفيت الحجة حقها وفيها ظلم قليل لاسحق وانه ممن يقل في الزمان نظيره . وذكر صاحبنا عماد الدين أبو المجد اسماعيل بن باطيش الموصلي في كتابه الذى سماه التمييز والفصل ان اسحق بن ابراهيم الموصلي كان مليح المحاورة والنادرة ظريفا فاضلا كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وهشيم بن بشير وأبي معاوية الضرير وأخذ الأدب عن الاصمعي وأبي عبيدة وبرع في علم الغناء فغلب عليه ونسب اليه . وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه . وكان المأمون يقول لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس واشتهر بالغناء لوليته القضاء فانه أولى وأعف وأصدق واكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه مع أنه أصغرها عنده ولم يكن له فيه نظير . وله نظم جيد وديوان شعر فمن شعره ما كتبه الى هرون الرشيد :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى
فليس الى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
بخيلا له في العالمين خليل

واني رأيت البخل يزرى بأهله
فاكرمت نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته
اذا نال شيأ أن يكون ينيل
عطائى عطاء المكثرين تكرما
ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى
ورأى أمير المؤمنين جميل

وكان كثير الكتب حتى قال أبو العباس ثعلب رأيت لاسحق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها سماعه وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابي ونقلت من حكاياته انه قال كان لنا جار يعرف بأبي حفص ويتنبز باللوطي فمرض جار له فعاده فقال له كيف تجدك اما تعرفني فقال له المريض بصوت ضعيف بلي أنت أبو حفص اللوطي فقال له تجاوزت حد المعرفة لارفع الله جنبك . وكان المعتصم يقول ماغناني اسحق بن ابراهيم قط الاخيل لي أنه قد زيد في ملكي . وأخباره كثيرة وكان قد عمي في أواخر عمره قبل موته بسنين . ومولده في سنة خمسين ومائة وهي السنة التي ولد فيها الامام الشافعي رضي الله عنه كما تقدم بترجمته في مادة شفع . وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة القرب وقيل في شوال سنة ست وثلاثين والاول أشهر . وقيل توفي يوم الخميس بعد الظهر لخمس خلون من ذى الحجة سنة ست وثلاثين رحمه الله تعالى ورثاه بعض أصحابه بقوله :

أصبح اللهو تحت عفر التراب
ثاويا في محلة الاحباب
اذ مضى الموصلي وانقرض الا
نس وبجت مشاهد الاطراب
بكت الملهيات حزنا عليه
وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آلة المجالس حتى
رحم العود عبرة المضراب

وقيل ان هذه المرثية في أبيه ابراهيم والصحيح الاول

﴿ الموصلي ﴾ هو محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي الحكيم الفاضل الاديب شمس الدين صاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الداخلة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى

هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره وضع كتاب طيف الخيال فأبدع طريقه وأغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة . من شعره :

قلت لمولاي الـ المحسن المتحسن
من قال الك مانن فان عبدك مائنى

(وقال ايضا رحمه الله تعالى)

ولرب ليل بالخليج قطعته
اذ بت منه ساهراً بالشاطي
أمسي الضناء منادمي وحشاشتي
محشوة بغرائب الاخلاط
واشقوني بتنا معاً في مضجع
متردين على الثرى ببساط
عصفت علي رياحه فوجدتها
أقوى هبوبا من رياح شباط
قد كنت انعس لانتشاق فسائه
غشيا فيوقظني بصوت ضراط
مازلت أنشق منه ريحا منتنا
حتى امتحال الي الخراء مخاطي

(وقال ايضا رحمه الله تعالي في فراشه)

قد كل الله يرذوني لمنقصة
وشانه بعد ما أعياه بالعرج
أسير مثل أسير وهو يعرج بي
كأنه ماشيا ينحط من درج
فان رماني على ما فيه من حرج
فا عليه اذا مامت من حرج

وقال في الشيخ ابن تملية وقد ترك الغناء واللهو وتصوف في المشتهى من روضة مصر :

لمت بعدك الخدود الدفوف
وتحامت تلك الصروف الكفوف
وتساوى عند الرقاق وقدما
ت لدينا ثقيلها والخفيف
وعات ضجة المواصل حزنا
والندامى على السرور عكوف
وجرت أدمع الرواويق حتى
عاد منها النزيف وهو نزيف
وبدا الشمع وهو من سيلان الد
م انسان عينه مطروف
بالمام الملاح دعوة ذكر
في قضايا المجون ليس يحيف
كيف ذقت الخشوع هل هو حلو
ياحريفي بالله او حريف
تبت لله توبة الشيخ ان الز
هد لايحتوى عليه الضعيف
لاتكن راسب القر فاير
سب في القر الا الكثيف

واذا قت الصلاة فقم لـ
لمية ناشقا فأنت نظيف
واذا ماخلوت في خلوة الـ
جد قل المريد عندى ضيوف
واذا ما أخرجت كيسك بالـ
لوم قل الحضور هذا صفوف
حبذا زهدك التليد فما أ
ت به في الشيوخ الاطريف
قسما بالقلية البين اني
قرم الشوق للقا ملهوف
أترجي منك الرجوع قريبا
طمعا فيك والمحب عطوف

(وقال أيضا رحمه الله تعالي)

أصبحت أفقر من يروح ويغتدى
ما في يدى من فاقة الايدى
في منزل لم يحو غيرى قاعداً
فاذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لام المهتدى
ملقى على طراحة في حشوها
قمل كمثل السمسم المتبدد
والفار يركض كالخيول تسابقت
من كل جرداء الاديم واجرد
هذا وكم من ناشر طاوى الحشا
يبدو كمثل الفاتك المتردد
هذا ولى ثوب تراه مرقعا
من كل لون مثل ريش الهدهد

(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)

قد عقلنا والعقل أى وثاق
وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلي
فاضلا عند قسمة الأرزاق

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ماعاينت عيناى في عطلتي
أدبر من حظي ولا بختي
قد بعت عبدى وحمارى وقد
أصبحت لا فوقي ولا تحتي

(وقال أيضا رحمه الله تعالي)

ياسائلي عن حرفتي في الورى
وصنعتي فيهم وافلاسي
ما حال من درهم انفاقه
يأخذه من أعين الناس

(وقال أيضا رحمه الله تعالي)

رأيت سراج الدين الصفي صالحا
ولكنه في حلمه قاصد الذهن
واسترها بالكف خوف انطفائه
وآفته في طفئه كثرة الدهن

وقالوا وقد صلبوا ابن الكازروني وفي
عنقه جرة خمر في الايام الظاهرية شعراً:
لقد كان حد الخمر من قبل صلبه
خفيف الاذى اذ كان في شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي
ألا تب فان الحد قد جاوز الحدا
(وقال أيضا رحمه الله تعالى)
لقد منع الامام الخمر فينا
وصير حدها حد اليماني
فما جسرت لوك الجن خوفا
لاجل الخمر تدخل في القناني
(وقال أيضا رحمه الله تعالي)
كم قيل لي اذ دعيت شمسا
لا بد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء
سما الي السطح من ضلوعي
(وقال أيضا رحمه الله تعالى)
فسر لي عابر مناما
أحسن لي في قوله وأجمل
وقال لا بد من طلوع
فكان ذاك الطلوع دمل
(وقال أيضا رحمه الله تعالي)
يارشا لحظه الصحيح العليل
كل صب بسيفه مقتول

لك ردف غادرته رهن خصر
وهو رهن كما علمت ثقيل
(وقال أيضا سامحه الله تعالي)
يالائمي في العذار مهلا
فأنت بالعذل لي مويج
الحسن قد زادني غراما
اذ رقم الورد بالبنفسج
وكل ديباج خد ظبي
ان لم يكن معلما قد حرج
(وقال أيضا سامحه الله تعالي)
وقد أبطلت المسكرات في أيام حسام
الدين لاجين :
احذر نديمي أن تذوق المسكرا
أو أن تحاول قط أمراً منكراً
لا تشرب الصهباء صرفا قرقفا
وتزور من تهواه الا في الكرى
انا ناصح لك ان قبلت نصيحتي
أشرب اذا مارمت سكرا سكرا
والرأى عندى ترك عقلك سالما
من أن تراه بالمدام تغيرا
ذى دولة المنصور لاجين الذى
قهر الملوك وكان سلطان الورى
اياك تأكل أخضراً في عصره
ياذا الفقير يصير جسمك احمرا

والمزر يامسعود دعه جانبا
واشرب من اللبن الحليب مبكرا
وبنى حرام احفظوا ايديكم
فالوقت صيف والمراقب قد درى
توبوا وصلوا داعيين لملكه
فيه تنالون النعيم الأكبرا
(وقال سامحه الله وقد دعي الي
عرس):
دعوني للعرس ياسيدى
فكدت أن احضر من أمس
وها أنا الليلة في داركم
فالكلب ما يهرب من عرس
وقال في البرهان الفاحشة وقد صفع
وهو ارمد
صفع البرهان وما رجا
فبكي من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمدا صعبا
فازداد بذاك الصفع عمي
ورمي النوروز اخادعه
حتى باتت تشكو ورما
ادماه القوم بآجرة
كانت حوراً لا بل ادما
نزلوا صحرا في ساحله
فرأى الاصباح بهم ظلما

من كل فتى بالنطع بدا
مثل القصار اذا احتزما
فسقاه بها صرفا صبحاً
وسقاه بها صبحين بما

(وقال أيضاً سامحه الله تعالي)

في وصف حسنكم تكل الالسن
وجمالكم فهو الجمال الاحسن
ياسادة غابوا فذات تصبرى
وبكيتهم حتى بكاني المسكن
لي فيكم ظبي ذكرت لحسنه
مبين الجنان أجم احور اعين
قاسى الفؤاد علي لكن عطفه
مثلي علي غمز الصبابة لين
بادولكن في الضمير محجب
سهل ولكن بالرماح محصن
حلفوا بأن الورد زهرة خده
صدق الوشاة وعارضاه سوسن
متلون الميثاق لكن وجهه
بسوى الحياء الطلق لا يتلون
في خط عارضه ونقطة خاله
شكل بصادرفي الهوى ويبرهن
(قال أيضاً سامحه الله في شرح حاله
وشكوى زوجته)

قل لقاضي الفسوق والادبار
عضد البله عمدة الفجار
والذى قد غدا سفينة جهل
وله من قرونه كالصوارى
بك اشكو من زوجة صيرتني
غائبا بين سائر الحضار
غيبتني عني بما اطعمتني
فأنا الدهر منكر في انتظار
غبت حتى لو انهم صفعوني
قلت كفوا بالله عن صفع جارى
فنهارى من البلادة ليل
في التساوى والليل مثل النهار
دار رأسي من باب دارى فبالله
اخبروني ياسادتي ابن دارى
ملكتني عبارة وعيارا
حين زادت بالدردبيس عيارى
أين مخ الجمال من طبع مخي
في التساوى وأين مخ الحمار
غفر الله لى بما رحت البـ
ـحر من البرد اصطلي بالنار
وتجردت للسباحة في الآ
ل لتلقى به الزلال الجارى
ولكم قد عصبت رجلي بروثا
أوطأني حلما على مسمار

ولكم رمت قلع ضرس ضروب
بعد ماضر غاية الاضرار
فاذا بي قلعت بعد عنائي
واجتهادى القوى من أوزارى
ورحى حزنها لطحن فارا
ت ضلالا ادور حول المدار
واناديى وقد سئمت من الركـ
ـض الي ابن منتهى مضمارى
أنا أختار لو قعدت من الجمـ
ـد ولكن امشي بغير اختيار
أنا انسى أني نسيت فلا يخـ
ـشي صبيرى اذاعة الاسرار
أنا سطل الشر أعجمي بما أو
دعت من عجة ومن أبزار
ولكم قد رأيت في الماء شيخا
وهو جاث في الجب كالعيار
شيخ سوء كالثلج ذقنا ولكن
وجهه في سواده كالقار
أشبه الناس بي وقد يشبه النا
س اخاه في حومة الجزار
فاعترانى رعب وناديت ماكنـ
ـت اخال اللصوص في الازيار
أين نومي وأين درهي الحقيق
ام عمرو بصارمي البتار

بديع حسن صبحان خالقه
مسك ذكي الشذا لناشقه
أبيض ثغر يبدى لعاشقه
نمل عذار بحمير الشعرا
وفرق شعر يستوقف النظرا
بابابي شادن فتنت به
بهواه قلبي على تقلبه
مذ زاد في التيه من تجنبه
أحرمني النوم عند مانفرا
حتى لطيف الخيال حين سرا
جوى أذاب الحشى تحرقني
ونيل دمعي جرى فنفرقني
لكنه بالدموع خلقني
فرحت امشي في الدمع منحدرا
ذاك لاني غدوت منكسرا
(وأما موشح الموصلي فانه قوله)
بي رشأ عنده مارنا وسرى
باللحظ العاشقين اذ أسرا
بما بأجفانه من الوطف
وما بأعطافه من الهيف
وما بأردافه من الترف
ذا الاسمر الدن ردني صبرا
وفي فؤادى من قده سمرا

اذ امت كنت في الغزاة شهيدا
او اعش كنت شاطر الشطار
ثم أتخذت ذلك الزبر ضربا
بحسامي حتى هوى لانكسار
وجرى الماء فاختشيت والا
كدت اقفو الآثار في التيار
انا كالبان في قوامي وان اهـ
ـردتني كنت في التهارش ضارى
أنا مثل الظروف قرنا وان أسـ
ـقطت فإني أحد في الاقذار
أنا لو رمت الصلاح طبيبا
ماتعديت دكة البيطار
بعد ماكنت من ذكائي أدرى
ان بابي من صنعة النجار
أحرز البيض قبل مايكسروه
ان فيه البياض فوق الصفار
وبعيني نظرت كوز نحاس
كان عندى أقوى من الفخار
وكثير مني على شيب رأسي
حفظ هذى الاشياء مثل الكبار
(وقال موشحا يعارض به احمد
الموصلي رحمه الله)
غصن من البان مثمر قمرا
يكاد من لينه اذا خطرا

السحر من لحظه ومقلته
والرشد من فرقه وغرته
والغي من صدغه وطرته
بدر لصبح الجبين قد سفرا
بليل شعر فانظر له سترا
ان قلت بدر فالبدر ينخسف
أو قلت شمس فالشمس تنكسف
أو قلت غصن فالغصن ينقصف
وسنان جفن سبا عن النظرا
وكل طرف اليه قد نظرا
يزهو بثغر كالدر والشهب
والطلع والاقحوان والحبب
رصع شبه العجين في الذهب
حوى الثريا من ثغره أثر
له الذي اد مي به ثترا
حاجبه مشرف علي شغفي
عارضه شاهد علي اسفي
ناظره عامل علي تلفي
به غرامي قد شاع واشتهرا
وصيفه في الحشا اذا شهرا
عذاره النمل في الفؤاد سعي
والنحل من ثغره الاقاح رعي
ويوصف أيدى النسا قطعا
بالنور من وجهه سبى الشعرا

وردني بالجفا وما شعرا

➤ ﴿الموصلي﴾ ➤ هو علي بن عدلان ابن حماد بن علي الامام العلامة عفيف الدين أبو الحسن الربعي الموصلي المترجم ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وتوفي سنة ست وستين وستمائة وكان علامة تصدر بجامع الصالح وكان من أذكياء بني آدم انفرد بحل المترجم والالغاز وله في ذلك تصانيف منها كتاب عقلة المجتاز في حل الالغاز وصنف في حل المترجم للملك الاشرف وكتب لعلم الدين السخاوي وهو بدمشق بالبادين قول الحسين بن عبد السلام في المعمي :

ربما عالج القوافي رجال
في القوافي فتلتوى وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين
وعصتهم نون ونون ونون

فحلها ابن الحاجب فقال قوله عين وعين وعين يعني نحو غد ويد ودد لانها عينات مطاوعات في القوافي مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة لان وزن غد فع ووزن يد فع ووزن دد فع وقوله عصتهم نون ونون ونون الحوت يسمي نونا والدواة لانها تسمي نونا والنون الذى هو الحرف

وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي اذ لا يتم واحد منها الا مع الآخر . ونظم ابن الحاجب :

أى غد مع يد ودد حروف
وطاوعت في الروى وهي عيون
ودواة والحوت والنون نونا
ت عصتهم وأمرها مستبين

وقال عفيف الدين أنشدني اسماعيل المسمول الذى ينسب الي صلاح الدين الاربلي رحمه الله تعالي :

وما بيت له في كل عضو
عيون ليس تنكرها العقول
اذا بسطوه تلقاه قصيراً
وان قبضوه تبصره طويل

فقلت هذه شبكة صياد طيور فأخذ يباهت فقلت قد تركته ولا يلزمنى أكثر من هذا فأخذ في المباهتة فقلت هذا في جركاه فاعترف انه هو . وكتب اليه ناصر الدين بن النقيب ملغزاً في سيف:

ياعفيف الدين يامن
رق في الفهم وجلا
والذى سموه في النا
س عليا وهو أهلي
يا أخا الفضل الذى في
ه لنا القدح المعلي
أى شيء طعمه م
ر وان كان محلي
وهو شيخ لا يصلي
ولكم بالضرب صلي
ماله عقل وكم منـ
ـه استفاد الناس عقلا
جفنه من غير سهد
مايذوق النوم أصلا
وهو لا يحسن قولا
وهو قد يحسن فعلا
وهو ان تمكنه قيـ
ـس فصحفه والا
وهو مطبوع نحيف
عند مايلقاك بسلا
ولكم بدد جمعا
ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ
ل وكم قطع وصلا
فأبن عنه بأجلي
منه في اللفظ وأحلي
وابق في ايوان عز
وبناه ليس يبلي

فكتب حنيف الدين الجواب :

ناصر الدين الذى فا
ق جميع الناس فضلا
والذى وافق في الاسـ
م الذى وافق فعلا
والذى اشعاره اشـ
هى من الحلو واحلى
هو حلو في فم النا
س وفي العينين يحلى
أن تسانى عن رفيق
لك تجلي حين يجلى
هو أنثى في زمان
ويرى في ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ
كل الا الفحم اكلا
والذى بؤ ذيه والنا
ر له الف فيصلى
وهو يسمي العين لاشك
متى ماكان كحلا
محرم في كل وقت
مارآه الناس حلا
عجمي وفصيح
جمع الوصفين كلا

وهو كالمرآة يبدى
مثل رأى الشكل شكلا
ولموع برقه الخا
لب لايمطر وبلا
وعليه أبد الدهـ
ـر ذباب مانولى
هو مثل الناس في النشـ
أة مذ قد كان طفلا
ويرى شرخا وشيخا
بعد ماقد كان كهلا
سبق التصحيف ذا الشي
شنف الآذان حلي
قلت لماجاءني اهـ
لا بذا اللغز وسهلا
لغز كالشمس قد
دقت معانيه وجلا

﴿ الماء ﴾ قد بقي الماء زمناً طويلا وهو معدود من الاجسام البسيطة مع أن العلامة كافنديش شاهد تكونه عند احتراق الايدروجين واستمر تركيبه مجهولا الى أن أبان لافوازييه انه مركب من اوكسيجين وايدروجين وعين نسبة مقدارهما

وتوصل لمعرفة تركيب الماء بطريق

التحليل أى بفصل عناصره بعضها عن بعض و بطريق التأليف أى بتكوينه من عناصره التى دل التحليل عليها

يمكن تحليل الماء بعدة طرق منها تحليله بطريقة لافوازييه وهي أن ينفذ بخار الماء على الحديد المسخن لدرجة الاحمرار في جهاز فيأخذ الحديد اوكسيجين الماء ويترك ايدروجينه يتصاعد فيجتمع في مخبار مملوء بالزئبق منكس على حوض مملوء بالزئبق أيضاً فاذا قيس حجم الايدروجين وما ازداده الحديد من الوزن تعرف مقادير الاكسيجين والايدروجين المركبين للماء. ومنها تحليله بالتيار الكهربائي ويستعمل لهذه الطريقة جهاز يسمى فولطامتر

وهو جهاز مركب من آنية من زجاج مملوءة بماء يذاب فيه قليل من ملح الطعام ليصير الماء اكثر توصيلا للكهربائية ومن مخبارين مملوءين أيضاً بالماء المملح وهذان المخباران منكسان على سلكين من البلاتين مارين في الآنية ومتصلين بقطبي عمود كهربائي فيتحلل الماء بمرور التيار ويتصاعد على السلكين اللذين من البلاتين فقاقيع غازية ترتفع الى قمتي المخبارين وتطرد

مافيهما من الماء ويكون الايدروجين في المخبار المنكس على السلك المتصل بالقطب السالب والاوكسيجين في المخبار الآخر. وبهذه الطريقة يشاهد ان حجم الايدروجين ضعف حجم الاوكسيجين ، اى ان الماء مكون من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبما أن كثافة هذين الغازين معلومة فيستدل منها على الوزن النسبي لهما

فكثافة الاوكسيجين ١٠٥٦ و ١ وكثافة الايدروجين ٠٦٩٢٦ر٠ اى ان الحجم الواحد من الجسم الاول يزن قدر مايزن حجم مساوله من الثاني ١٦ مرة فالماء اذاً مكون من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبالوزن من ٢ من الايدروجين و١٦ من الاوكسيجين وبعبارة أخرى ان ١٨ جزءاً من الماء التي تحتوى على غرامين من الايدروجين و١٦ غراما من الاوكسيجين

وتركيب الماء بطريق التأليف يؤيد هذه النتيجة التى دل عليها تحليل الماء ويستعمل لتأليف الماء جهاز يسمي اودبومتر وهو عبارة عن انبوبة من

زجاج سميكة الجدران مسدودة أحد الطرفين مدرجة يمر فيها سلكان من البلاتين تملأ بالزئبق وتنكس علي الحوض الزئبقي و يدخل فيها وهي في هذا الوضع حجمان من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين ثم يوصل سلكا البلاتين بقطبي عمود كهربائي فيتحد حجما الايدروجين بحجم الاوكسيجين من غير أن يبقي شيء بدون اتحاد

واذا ادخل في هذا الاديومتر حجوم متساوية من الايدروجين والاوكسيجين ١٠٠ سنتي متر مكعب مثلا من كل منهما فبعد الاتحاد يشاهد أنه زال نصف الاوكسيجين فقط أي ان تكون الماء حصل من اتحاد ١٠٠ سنتي متر من الايدروجين بخمسين سنتي مترا مكعبا من الاوكسيجين و بعبارة أخرى ان الماء تكون من اتحاد حجمين من الايدروجين بحجم من الاوكسيجين ومن تعيين حجوم الايدروجين والاوكسيجين المركبين للماء استخرج غيلوساك وهومبولد وزن هذين الجسمين في الماء

وقد عين هذا الوزن دوماس مباشرة بطريقة خاصة له مؤسسة علي ما الاوكسيد النحاس من الخواص فهذا الاوكسيد جسم مركب من اوكسيجين ونحاس لونه اسود اذا سخن علي درجة حرارة الاحمرار ونفذ عليه تيار من الايدروجين الجاف النقي فأن هذا الاخير يتحد مع مافيه من الاوكسيجين فيتكون الماء ويتركب الجهاز الذى استعمله دوماس من آنية يتصاعد منها الايدروجين بتأثير حمض الكبريتيك علي الخارصين ومن عدة أنابيب معدة لتنقية وتجفيف الايدروجين فالانبوبة الاولي من هذه الانابيب تحتوى علي أزوتات الرصاص لتخليص الايدروجين مما يكون فيه من الايدروجين المكبرت والثانية تحتوى علي كبريتات الفضة لتخليصه من الايدروجين المفسفر والثالثة والرابعة تحتويان علي البوتاسا لتخليصه من الايدروجين المكربن والايدروجين السليسي والخامسة والسادسة تحتويتان علي حجر الخفاف المندى بحمض الكبريتيك موضوعتان في مخلوط مبرد وهاتان الانبوبتان معدتان لتجفيف الايدروجين والانبوبة السابعة محتوية علي حجر الخفاف المندى بحمض

الكبريتيك ليتحقق أن الايدروجين جف جفافا تاما قبل نفوذه علي أوكسيد النحاس وذلك بعدم ازدياد وزنها . و يتركب أيضا من دورق وضع فيه اوكسيد النحاس ووزن بما فيه بعد استفراغ الهواء منه ومن دورق آخر متصل بعدة أنابيب محتوية علي مواد ذات شراهية عظيمة للماء وهذا الدورق والانابيب توزن خالية من الهواء وتبرد بعد الوزن فاذا سخن الدورق المحتوى علي أوكسيد النحاس ونفذ الايدروجين فيه فان أوكسيد النحاس ينحلل ويتحد اوكسيجينه بالايدروجين فيتكون الماء ويتكاثف في الدورق الثاني ومالا يتكاثف منه تمتصه المواد الشرهة للماء والفرق بين وزن الدورق المحتوى علي أوكسيد النحاس قبل التحليل وبعده هو وزن ما دخل في الاتحاد من الاوكسيجين والفرق بين وزن الدورق الثاني وما يتبعه من الانابيب قبل الاتحاد وبعده هو مقدار ماتكون من الماء والفرق بين وزن الاوكسيجين الداخل في الاتحاد والماء الناتج من هذا الاتحاد هو مقدار الايدروجين الذى كون باتحاده مع الاوكسيجين هذا الماء

وقد أثبتت هذه التجربة للعالم دوماس أن الماء مكون بالوزن من

ايدروجين	١١و١١
اوكسيجين	٩٩ر٨٨
	٠٠و١٠٠

أى أن نسبة مقدار الايدروجين للاوكسيجين في الماء هي كنسبة ١:٨ أو ١٦:٢

(تنقية الماء) المياه التي تشاهد في الكون لاتكون نقية بل تكون مذيبه أو معلقة لمواد غريبة كالمواد العضوية والاملاح والغازات فمياه المطر المأخوذة مباشرة تكون موسخة بآثار من النوشادر والاملاح النفازية وحمض الكربونيك ، ومياه المطر أقل وسخا من المياه الجارية علي سطح الارض وأوساخ هذه تختلف باختلاف الارض التي تمر فيها و ينقي الماء بتقطيره والجهاز المستعمل لعمل هذا التقطير يسمى (انبيقا) وهو يتركب من جزء معد لتسخين الماء واحالته الي بخار يسمى (قرعة) وهي عبارة عن قدر من نحاس ذى غطاء يوضع علي فرن ومن جزء معد لتكاثف بخار الماء يسمى (الملتوى) وهو عبارة عن أنبوبة من رصاص ملتوية

على نفسها ليا حلزونيا موضوعة فى آنية من النحاس يخرج طرف هـذا الملتوى من الجزء السفلي منها الى الخارج ومنه يجرى الماء المقطر فى آنية ومن أنبوبة ممدة لتوصيل ماتكون من البخار في القرعة الي الملتوى أحد طرفيها مثبت على ثقب في فتحـة القرعة والطرف الآخر مثبت على الملتوى

ولاجل أن يكون تبريد الملتوى مستمراً يوجه اليه سلسول مستمر من الماء البارد ولهذا الغرض يوجد في الآنية النحاسية أنبوبة مجوفة موضوعة فيها وضعا عموديا طرفهـا العلوى متصل بينبوع مائي وطرفها السفلي ينتهى قرب قاع الآنية النحاسية فبسبب هذا الوضع يطرد الماء البارد الواصل لقاع الآنية مافوقه من الماء الساخن فيخرج من فتحة جانبية توجـد في الجزء العلوى من الآنية النحاسية

ويرمي ما تقطر من الماء في ابتـداء العمل لانه يكون محتويا على حمض الكربونيك ولا يقطر الا ثلثا ما وضع من الماء في القرعة ولا يكون الماء نقيا الا اذا كانت فيه الاوصاف الآتية

١ — اذا سخن جزء منه على صفيحة من البلاتين فانه يتطاير بتمامه بدون أن يترك باقيا

٢ — انه لا يرسب بمحلول كلورور الباريوم لان المياه التى ترسب بهذا المحلول تكون محتوية على كبريتات

٣ — انه لا يرسب بمحلول نترات الفضة لان الذى يرسب بمحلول هذا الجوهر يكون محتويا على كلورور

٤ — انه لا يرسب بمحلول اوكسالات النوشادر لان الذى يرسب بهذا الجسم يكون محتويا على أملاح جيرية

٥ — انه لا يرسب منه بالغلي مع محلول كلورور الذهب راسب أسود يكتسب بالدلك اللون الخاص بالذهب الفلزى فان رسب كان محتويا على مواد عضوية

٦ — انه لا يتعكر بماء الجير فان تعكر به كان محتويا على حمض الكربونيك

٧ — انه لا يرسب منه راسب أصفر مسمر بمحلول ثاني يودور الزئبق في السلياني المضاف اليه بعض نقط من محلول البوتاسا والا كان محتويا على النوشادر

٨ — انه لا يؤثر في ورق عباد الشمس سواء أكان أحمر أو أزرق

(أوصافه) : الماء لا لون له اذا

نظر لقليل منه ويظهر له لون ازرق جميل اذا نظر لمقدار عظيم منه واللون الاحمر أو الاخضر اللذان يشاهدان في مياه الانهر يأتيان من المواد المعلقة فيها . ولا طعم ولا رائحة للماء ومنتهى كثافته تكون في درجة ٤ فوق الصفر وينقبض بتبريده ويستمر انقباضه الى أن تصير درجة حرارته ٤ فوق الصفر فاذا انخفضت الحرارة عن ذلك أخذ في التمدد فيكبر حجمه فيخف ولذلك يطفو الجليد على سطح مياه الانهر زمن الشتاء فيقي ماتحته من الماء من البرد فلا تنخفض درجة حرارته عن ٤ فيستمر جريان المـاء تحت الجليـد وتستمر حيـاة مافيـه من الحيوانات لتحملها هذه الدرجة

ويتجمد المـاء على درجة الصفر فيستحيل جليداً واذا كان الماء خاليا من الهواء وكان في حالة سكون تام أمكن انخفاض درجة حرارته الي درجة الصفر بدون تجمده والماء الذى وصلت حرارته الي هذه الدرجة يتجمد بمجرد اهتزازه وحينئذ ترتفع حرارته الي درجة الصفر

ويصهر الجليد أى يصير سائلا على الصفر وتبقي هذه الدرجة ثابتة الى أن يستحيل جميع الجليد الي سائل وقد جعل الطبيعيون درجة صهر الجليد احدى النقط الثابتة في تدريج الترمومترات وهى تقابل درجة الصفر في الترمومتر المئيني وترمومتر ريومور ويمتص الجليـد لاستحالته من الصلابة الي السيولة كمية من الحرارة وكذلك في استحالة الماء الي بخار يمتص كمية من الحرارة والحرارة الممتصة في استحالة الماء من الصلابة الي السيولة ومن السيولة الى البخارية تسمي بالحرارة الكامنة وتقاس بكمية الحرارة التى يمتصها كيلو غرام واحد من الماء لترتفع حرارته درجة واحدة (من درجة الصفر الى درجة واحد مثلا) وهذه الكمية المأخوذة وحدة تسمي (السعر) والحرارة الكامنة لصهر الجليـد تساوى ٧٩ سعرا أى أنه لاحالة كيلوغرام من الجليد الذى حرارته في درجة الصفر الي ماء حرارته في درجة الصفر أيضا يلزم كمية من الحرارة يمتصها الجليد فتصير فيه كامنة ومقدار هذه الكمية هو مقدار مايلزم من الحرارة لاحالة كيلو غرام من الماء من درجة حرارة الصفر الى درجة ٧٩ وبعبارة اخرى أن الحرارة التى يمتصها الجليد تكفي لرفع حرارة ٧٩ كيلوغراما من الماء درجة واحدة

واستحالة الماء الي جليد هو تبلور حقيقي فان الجليد مكون من اجتماع بلورات منشورية ذات ستة سطوح والثلج الذى هو عبارة عن ماء متجمد بالبرودة الكائنة في الطبقات العليا من الجو يكون في هيئة ندف شبيهة بالقطن مكونة من اجتماع نجوم ذات ستة أشعة جميلة

وتتأخر درجة تجمد الماء بوجود املاح فيه ومتى تجمد تخلص مما فيه من الاملاح فانه يتركها في (المياه الامية أى التى حصل فيها التجميد ولم تتجمد)

وفي الصنائع يجمد الماء بالبرودة الناشئة عن تمدد الهواء فجأة فان الغازات والهواء اذا ضغطت انتشرت منها كمية من الحرارة فاذا تركت مضغوطة بردت فتصير درجة حرارتها هي درجة حرارة الوسط الذى هي فيه وذلك بسبب ما يحصل بينها و بين هذا الوسط من التشمم فاذا زال الضغط الواقع عليها دفعة واحدة فانها تمتص ماتركته من الحرارة وقت ضغطها وبامتصاصها هذه الحرارة من الاجسام المجاورة لها تبرد تلك الاجسام فاذا كان الماء في اناء محاط بكتلة عظيمة من الهواء المضغوطة ضغطا قويا ثم ازيل هذا الضغط فان الهواء يتمدد و يأخذ ما يلزم من الحرارة لتمدده من أقرب الاجسام اليه وهو الماء المحيط به فيبرد هذا الماء برودة كافية لان يتجمد

ويغلي الماء النقي علي درجة ١٠٠ اذا كان الضغط الجوى يساوى ٧٦٠ مليمترا والحرارة الكامنة في استحالة الماء الي بخار تساوى ٥٧٦ صمراً أى انه يلزم لاحالة كيلو غرام من الماء من درجة ١٠٠ الي بخار درجته ١٠٠ كمية من الحرارة كافية لرفع حرارة ٥٧٦ كيلو اغراما من الماء درجة واحدة وفي مدة غليان الماء تكون درجة حرارته واحدة فالحرارة المعرض لها الماء حال اغلائه تصير كامنة فيه بها يستحيل من سائل الي بخار ولكون درجة غليان الماء ثابتة جعلت هي النقطة الثانية الترمومتر وهي نقطة ١٠٠ فوق الصفر في الترمومتر المئيني

ووجود أملاح في الماء يرفع درجة غليانه فالماء المشبع بكلورور الكالسيوم لايغلي الا علي درجة ١٧٩

وازدياد الضغط الواقع علي سطح الماء يرفع درجة غليانه فالماء المضغوط

بضغط جويّن أى بضغط يساوى ضغط الهواء مرتين لايغلي الا علي درجة ١٢٠ وبانخفاض الضغط تنخفض درجة غليان الماء فالماء الموضوع في الفراغ يغلي علي درجة ٢٠

ويتصاعد من الماء بخار علي جميع درجات الحرارة ويسمي (تبخرا) ومن الجليد يتصاعد بخار أيضا

ويذيب الماء عدداً عظيما من الاجسام ولا يذيب المواد الدسمة ولا غالب الاجسام المحتوية علي كثير من الكربون

ويتحلل الماء بالتيار الكهربائي وبالحرارة ببعض الاجسام أيضا كالكلور والبروم والبوتاسيوم والصوديوم

والمياه المذيبة لكثير من الاندريد كربونيك تذيب مقداراً عظيما من كربونات الجير بمرورها في أرض جيرية وكلما تصاعد شيء من حمض الكربونيك المذاب فيها رسب ما يكون ذائباً به في الماء من كربونات الجير وهذه المياه بمرورها من شقوق المغارات تسيل نقطة بعد نقطة وهذه النقط تبقى معلقة في سقف المغارة برهة ثم تسقط وفي أثناء هذا التعلق يتصاعد بعض الاندريد كربونيك فيرسب في سقف المغارة ما كان مذيبا له من كربونات الجير وما يسقط من الماء في قاع المغارات يتبخر فيترك مافيه من الاملاح ومنها كربونات الجير فتنتهي هذه الرواسب بعد مضي أعوام بأن تكون عمودين احدهما متدل من سقف المغارة والآخر قائم من أرضها ويسميان بالاستلكتيت والاستلجميت

وتنقسم المياه الي مياه (صالحة للشرب) وهي مياه الامطار والانهر والينابيع ومياه لاتصلح للشرب وهي مياه البحار والمياه المعدنية

(المياه الصالحة للشرب) المياه التى تصلح للشرب تحتوى علي العناصر الداخلة في البنية ولا تحتوى الاغذية علي مقدار كاف منها أما الاجسام التى لادخل لها في البنية فوجودها في مياه الشرب مضر بالصحة ومن الاملاح التى يلزم وجودها في المياه الصالحة للشرب ثاني كربونات الكالسيوم وثاني كربونات المغنيسيوم ومقدار قليل من الفلورور والكلورور وآثار من السليس ولاجل أن تكون المياه صالحة للشرب يلزم أن يكون فيها الصفات الآتية

١ـ أن تكون صافية باردة لا رائحة لها

٢ـ أن يكون طعمها خفيفا ليس بملح ولا حلو ولا تفه

٣ـ أن تكون مذيبة لمقدار من الهواء

٤ـ أن تذيب الصابون بدون أن يكون حبوبا وان تنضج البقول فيلزم ان تكون حرارة المياه مابين ٨ و١٥ والمياه المكرة والتى لها رائحة كريهة تكون محتوية في الغالب على مواد عضوية متعلقة بها او متعفنة ومثل هذه لا تصلح للشرب و ينبغي أن لا يتعدى مقدار المادة العضوية في اللتر الواحد من الماء مليغراما واحدا

والمياه المحتوية على مادة عضوية في حالة تحليل أو على مادة متعفنة تكون مضرة بالصحة

والمياه المجردة عن الهواء تكون متعبة عسرة الهضم ومقدار مايكون من الهواء في المياه الصالحة للشرب هو بين ٣٠ و ٨٠ سنتى متر مكعب لكل لتر من الماء

وليس مقدار الاجسام المكونة للهواء المذاب في الماء عين مقدار المكونة للهواء الجوى فيكون الاوكسيجين أكثر ذوبانا في الماء من الازوت فمقداره في هواء الماء أكبر منه في الهواء الجوى فالمائة الحجم من الهواء المذاب في الماء تحتوى على ٣٤٫٩ من الاوكسيجين والمائة الحجم من الهواء الجوى لا تحتوى الا على ٢١٠ ومن هذا تعرف كيف تجد الاسماك التى لا تتنفس الا بالهواء المذاب في الماء المقدار الكافي من الاوكسيجين لحياتها

وينبغي أن تكون المياه محتوية على مقدار من الاملاح لا يتعدى ٥٠ سنتى غراما في اللتر الواحد فاذا زادت كمية الاملاح من ذلك صارت لا تصلح للشرب ولا للاستعمال المنزلى فان كان مقدار الاملاح الجيرية فيها عظيما صارت لا تذيب الصابون من غير أن تكون حبوبا لان الاملاح الجيرية تكون مع الحوامض الدسمة الداخلة في تركيب الصابون مركبات لا تذوب ولا تنضج البقول كالعدس والفول والبسلة لانها تصير غلافها صلبا لا يلين بالطبخ لان ما في الماء من الجير يكون في غلافها مركبا عديم الذوبان ولا تصلح هذه المياه المحتوية على كثير من الاملاح الجيرية للاستعمال في الآلات البخارية بسبب الرواسب التى تتكون

من الاملاح الجيرية في قدورها فتكون سببا للاخطار

(المياه المعدنية) بعض المياه يحتوى على أجسام ملحية بسببها يكون فيها خواص طبية تصيرها نفيسة في معالجة بعض الامراض فهذه المياه هي المسماة (المياه المعدنية) واحيانا ينتفع بهذه المياه لاستخراج أملاح منها نافعة في الصنائع وقد تكون درجة حرارة هذه المياه مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من اقوار عميقة في الارض أو لكونها بالقرب من براكين. فهذه المياه تسمى (بالمياه المعدنية الحارة) وذلك كمياه فيشي التى درجة حرارتها ٤٥

وتسمى المياه المعدنية باسماء مختلفة بحسب الاجسام الموجودة فيها فمن المياه المعدنية مايكون معظم مافيها من حمض الكربونيك ذائباً وتكون أيضا محتوية على كربونات قلوية وقليل من كلورور الصوديوم واحيانا على كربونات حديد ويحصل منها فوران بتعريضها للهواء فهذه المياه تسمي (المياه الغازية والمياه الحمضية) ومثالها ماء سدلتس ومنها مايكون معظم مافيها من الكربونات الحمضية القواعد القلوية والترابية وخصوصا كربونات الصوديوم فهذه تسمي (المياه القلوية) ومثالها ماء فيشي . ومنها مايكون معظم مافيها من الكلورورات خصوصا كلورور الصوديوم مع قليل أو كثير من كلورور البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم فهذه المياه تسمى (المياه الكلورورية) ومثالها ماء بلربك . ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتورات القلوية أو من حمض الكبريت ايدريك والاولي تكون في العادة حارة والثانية باردة فهذه تسمي (المياه الكبريتورية) ومثالها مياه حلوان ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتات اما من كبريتات الصوديوم كمياه كرلسباد أو من كبريتات المغنيسيوم كمياه بولندا وسدلتس وهذه المياه تسمي (المياه الكبريتاتية) ومنها مايكون محتويا على الحديد على حالة كربونات الحديد أو على حالة كربنات الحديد وهذه تسمي (المياه الحديدية) ومثالها مياه ارتز ومنها مايكون محتويا على برومورات قلوية و يودورات قلوية وهذه المياه تسمى (المياه البرومورية واليودورية ومياه كروزناخ ومياه البحر تحتوى على ملح الطعام

ومقداره يختلف بين ٣٣ و ٣٨ قراما في اللتر منها وتحتوى كذلك على كبريتات وبرومورات ويودورات قلويةواملاح جيرية ومغنيسية (انظر الدروس الابتدائية في الكيمياء العمومية)

﴿ الاستعمالات الطبية للماء ﴾ الماء يستعمل كثيراً واسطة من وسائط العلاج في أمراض كثيرة بل ان في أوروبا وأمريكا اليوم مذهب لايعول في علاج الامراض الا على الماء فيجدر بنا أن نأتي على بيان شاف لهذه الطرق وكيفية تطبيقها وعلى تاريخ ظهور هذا المذهب الى غير ذلك مما يهم الالمام به وليس لدينا مما قرأناه عن هذا الموضوع اكمل وأدق مما كتبه الطبيب المصرى الكبير احمد افندى الرشيدى في مادته الطبية فنورد ماقاله في ذلك فهو أوفي بالغرض ، وألم بأطراف الموضوع الذى نحن بصدده. قال رحمه الله:

(ادروتيرابيا أى العلاج بالماء) قال تروسو والطب التجربي أسس هذه الطريقة العلاجية على فعل صدر من فلاح من سليزيا ببلاد الاوتريش يسمي ابريسنيت واشتهر اسمه الآن بأوروبا واذا عرفت التعسرات الباطنة والظاهرة الطب أعنى كثرة عدد الامراض المعضلة الغير القابلة الشفاء المهلكة والغير المهلكة وندرة المرضي العقلاء وندرة الاطباء القادرين على توجيه علاج مرض مزمن توجيها أدبيا وسياسياً وطبياً اتضحت لك بذلك شهرة ابريسنيت والازدحام الذى انتسبه هذا الشخص في جرافنبرغ وهذا حال كل من الامور العلاجية الجديدة . فلادروتيرابيا احتشم فيها مايلزم لهيجان الناس ومن المعلوم أن الماء والبرد فاعلان طبيعيان لايظن منهما سوء لان الماء ينقى الدم والبارد يقوى الاعصاب وغير ذلك والاعراق الكثيرة والاندفاعات الجلدية ونحوها يحصل منها البحران واستفراغ الاخلاط الفاسدة وغير ذلك وهذا هو الذى اوقع الناس في الغش وأكد عند ابريسنيت وعند مرضاه أنه لاشيء أسهل من الطب وأن الاطباء موسوسون بل هم أشخاص مضرون للناس وانه هو أفضل منهم بابرائه داآت وأمراضا عجزوا عنها ابراء حقيقيا . ومن الشفاء الحقيقي لتلك الامراض ظهر لك سبب هذا الهيجان العلاجي بالماء الذى ينسب له أعظم غلط للمذهب العلاجي المسمي أوميوباتيا أى

احداث مرض مماثل للداء القديم في الشخص واكتسب هذا المذهب صيتا وشهرة فاذن لابد من ذكر فصل في ذلك نافع في صناعة العلاج ولا يتأتي لنا الاستعفاء عن توسيع المقام قليلا في هذا الاستعمال الجديد للماء البارد ولا شيء أحسن من ذكره هنا . انتهى

وقبل أن ننقل ماذكره تروسو نقدم ما ذكره ميره في مبحث الماء في ذيل كتابه حيث قال استعمال الماء النقي على طريقة ادروصدوباتيك موضوع جديد الدراسة لا باعتبار كونه واسطة علاجية فقط بل أيضاً باعتبار حالته الطبيعية اذ جميع الاخطار التى زعموا وجودها من البرد الوقتى ومن استعمال الماء البارد من الباطن وتخوفت منها الاطباء وفزعت منها الاعتيادات تزول بالكلية أمام التجربة التى جعرت لذلك كيفية كوضع فوطة أو ملاءة مبتلة بالماء البارد على الوجه لاجل ازالة غشاوته كما شوهد أن الماء البارد المشروب بكثرة يسبب عرقا كثيرا ثم شوهد أن الآلام تزول باستعمال الماء البارد بأى شكل كان بخلاف التعقلات التى قيلت الي الآن ولكن بدون خطر في ذلك الاستعمال بل مع المنفعة انتهي

وقال في مبحث ادروتيرابيا هي كيفية علاج الامراض المزمنة بالاستعمال الباطن والظاهر للماء البارد بمساعدة العرق الناتج من ذلك الماء ولذا كان التعبير بادروصدوباتيا أنسب لفهم المعنى أكثر مما يفهم من ادروتيرابيا الموضوع لذلك واستعمال الماء البارد في علاج بعض الامراض الجراحية معروف عند القدماء واستعملوا الماء في الطب نحو آخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر وآخر الامر أن فلاحا من بلاد الاوتريش بالنمسا يسمي ابريسنيت اخترع طريقة جديدة لعلاج الامراض المزمنة بالماء البارد ،قال بوشرده وأسسها على قاعدة وهى أن جميع الامراض حاصلة من أخلاط معيبة محسوكة في باطن الجسم وأنه يكفي حصول تبخير مناسب لتندفع به تلك الاخلاط الى الخارج وترجع الصحة للشخص وجدد هذا الفلاح علاجه في ضيعة فيما حول مدينة ويانة تسمى جريفنبرغ على جبل سليسيا الاوتريشى قال ميره وكان هذا المحل أولا قليل المورد ثم صار في بضع سنين مورداً كبيراً يرد عليه كثير من المرضي حتى من بيوت

وتستدعي التقدير من الطبيب فبعض المرضي لايمكثون في الحمام البارد الا دقيقة واحدة ومنهم من يبقي فيه الي ظهور القشعريرة الثانيـة والاشخاص الذين هم في غاية الرقة والاطاقة ترفع لهم درجة الحرارة قليلا وغيرهم بالعكس أى تخفض بالصناعة ماأمكن ثم بعـد الحمام الخارج يستعمل الحمام الداخـل أى الباطن أى يبتدىء المريض في الرياضة التى في مدتها يشرب ماء كثيراً حتى يحس بثقل متعب للمعدة ويشاهـد من اعتيادات المرضي أن منهم من يشرب في العادة قليلا من المـاء ومنهم من يشرب بسرعة من ٢٠ الي ٣٠ كوبا في اليوم ثم تتبع الرياضـة بالغذاء فيتغذى المريض بدون أن يشرب مشروبات منبهة وتكون قاعدة الآكل أجساما صلبة مغـذية ومن السار حقيقة مشاهدة ان المرضي حتى من كان معهم سابقا عسر هضم وفقـد شهيـة ينهشون الاغذية التى تقدم لهم بشهية عظيمة فهذه هي الكيفية التى تؤخذ من بوشرده . وأما مايفهم من ميره فهو أنه بعـد أن يعـرى المريض من ملابسه يلف في حرام الصوف حتى يكون له كالقماط ماعدا الوجه والرأس

التى يحاط بفوطة ثم يوضع على السرير ويغطي بأغطية أخـرى ويكون ذلك في حجرة يوجـد في حرارتها بعض ارتفاع فحينئذ لابد وان تظهر الحرارة شيئاً فشيئاً ويتلون الوجه وغير ذلك ومتى ظهر العرق يفتح الشباك ويسـقي المريض في كل ربع ساعة ماء بارداً أى ربع كوب أولا ثم يزاد المقـدار تدريجا حـتى يشرب كوبا كبيراً في كل مرة بحيث ينفذ العرق حالا من السـرير ويمكن اجتنابه منـه بالالتار قال ويصح أن يعمل منه المريض مجلسان في اليوم بدل مجلس كبير في ٤ أو ٥ ساعات اذا كان المـريض ضعيفاً ثم يحـل القماط ويغمس المريض في حوض من ماء بارد حالة كونه عارقا ناهجاً ويمكث فيـه من ٨ دقائق الي ١٠ مع اعطائه فيـه زيادة حركة ماأمكن ثم يخـرج من الحـوض ويمسح جسمه ويدلك ثم يلبس ملابسـه سريعاً ويريض في هواء واسع مطلـق فيحصل رد فعل نحو الجلد وحرارة لطيفة واحساس براحة ظاهرة وغير ذلك وبعد ذلك بساعة يدخل في قاعة الاكل ويجلس على المائدة ويأكل قال والمرضي الضعاف هم الذين ينغمسون في الماء البارد

الملاك ويعالجهم بتلك الطريقة مع النفع كما قال وأول علاج فعله ابريسنيت بالماء البارد كان في مرضي بخان والده في جريفنبرغ ثم اشتهر أمره في اقليمه سنة ١٨٣٥ وأسس مواضع مثل ذلك في جملة محال من هذه البلاد وحصل فيها الشفاء لامراض عولجت بغير ذلك من الادوية بدون نفع . قال بوشرده وهذا الشخص يمتع بحاسية جميلة يعرف بها كيف يختار من المرضي من تؤثر طريقته فيه ويبرأ من مرضـه . وقال أيضاً انهم أضعفوا وقللوا مصائب هذه الكيفيـة وبالغوا في الاهتمام بالاحوال الجيدة حتي صار العلاج بالماء علاجا قويا غير انه لا يستعمل في جميع الاحوال ويستدعي استعماله تأملات كثيرة . وقال ميره رغب كثـير من الفرنساويين في تحقيق تلك الكيفية العلاجية مثـل جيبر ردوفرجي ولاطور وغيرهم ولم يمكنهم منع الاعتراف بأن هذه الكيفية متبوعة بالنجاح في كثير من الاحوال . نعم غيرهم من الاطباء مثل ورش وفلبوس وبليار وغيرهم عابوا هذا الاستعمال التجريبي حتي في الامراض المزمنة المخصوص بها غالبا هذا الاستعمال

(كيفيـة العـلاج بالماء البارد على طريقة ابريسنيت) كيفية العمل ببلاد النمسـا أن يعرى المريض من ملابسـه الاعتيادية ويلف في رداء أو حرام من الصوف الغليظ النسج ولا يكشف منـه الا الوجه والرأس الذى يحاط بفوطة قال بوشرده ويعمل ذلك في الساعة الرابعـة أو الخامسة في النهار أى بعد نصف الليل بأربع ساعات أو خمس ويغطى بأغطية أخرى من منسوجات زغبيـة أو فراء ثم من المرضي من ينغمر بالعرق في نصف ساعة ومنهم من لا يبتدىء العرق فيه الا بعد ٣ ساعات أو ٤ فاذا كان الجـلد مستعصياً على العرق استعمل له على التعاقب دلـكات جافة وغسـلات باردة وملاءات سرير مبتلة باردة حتى ان العضو الكامر الشماع اى الجلد ينتهي دائمـا بالانقياد ويحصـل منـه استفراغ عظيم العرق ومتى حكم الطبيب الموضوع قرب مريضه بأن هذا التنفيس كاف رضـعه حالا بسرعة ماأمكن في حمام بارد يحضر من قبل قرب سريره فأول انطباع يحصل للمرضي هو أن يستشعروا غالبا براحـة عظيمة تامة ومدة ذلك الحمـام تختلف

وأما المسترخون القليلو القوة فلا يعرضون لذلك وانما يبدل الغمس لهم بوضع خرق مبتلة على أجسامهم وقد ذكرت تنوعات مختلفة وزيادة في الشرح كتبها الطبيب طريفيت في التفتيشات الطبية في شهر مرس سنة ١٨٤٤ فراجعها، وانما نقول فقط أن هذه الطريقة تستدعي لأجل انالة النجاح منها هواء نقياً في محل مرتفع وتياراً هوائياً في الحجرة التي يفعل فيها هذا العلاج وممارسة كثيرة من جانب المريض ونحو ذلك وكما يستعمل الماء البارد في هذه الطريقة مشروبا وحماما يستعمل أيضاً نصف حمام وحماما قدمياً وصبوبات وزروقات وحقناً ونحو ذلك ويدفع في الخياشيم من ذلك الماء ويتغرغر منه وغير ذلك وتغذية المرضى تكون على حسب شهية المريض فيأكل مايشتهيه انتهي . ويستفاد نحو ذلك من كلام بوشرده حيث قال ان هذا العمل المستعمل زمن العلاج الي اليوم الاخير يكون الضعفاء الطفاء ومن يسهل انقياد رجمهم الي المارسات الرياضية ، وأما الاقوياء المصابون بأوجاع مزمنة مستعصية فيبتدؤن بالتعرض لتأثير المياه البارد المستعمل تارة بهيئة مطر أو غباراً وتارة صبوبات ومنهم من يأخذ انصاف حمامات أى حمامات مقعدية أو حمامات قدمية قال وينبغي لأجل أن يسمح للمرضي بالاستدامة على استعمال هذه الوسائط العلاجية والرغبة في السكون والراحة أن يكون عشاؤهم بمدالزوال بيسير ويمنع عنهم الماء البارد في مدة الهضم الا اذا كانوا مصابين بالسمن المفرط ثم يعودون لاستعمال الوسايط العلاجية في الصباح مالم تكن بنيتهم شديدة الضعف ومن الاشخاص من يجدد لهم التنفيس والحمام التابع له كل يوم وبعد عشائهم الذى تتطلبه شهيتهم يفتشون على سكون يحتاجون اليه في الحقيقة قال وهناك شرطان مهمان لحصول النتيجة من هذا العلاج المائي الذى دلالته الحكة تفيد نتائج حميدة أولها أن تكون الطرق الهضمية في حالة جيدة أو أن تصير كذلك باستعمال الماء ، وثانيهما أن يكون الماء المستعمل للحمامات والشرب هوائياً جداً وجيد الصفة مقبولا وسليما بقدر الامكان من أنواع الكبريتات التى تسهل وتخرم الهضم ولكن أيضا تلك المياه شديدة

البرودة . ويسهل أن يعلم أن هذه الكيفية العلاجية لايمكن ممارستها في جميع الاماكن اذ لاتوجد كثيراً في كل الجهات مياه جيدة الصفات ومياه باريس وان لم تكن مناسبة لهذا العلاج الا أنه تيسر لهم استعمالها مع النجاح في مارستان صنت لويس سواء لمعالجة بسر يازس مستعص أو جذام عام قديم.انتهي

ويوجد بفرنسا كما قال ميره جملة محال من هذا النوع حتى قرب باريس تعالج فيها المرضي بهذا العلاج المائي بطريقة الفلاح النمساوى وجرب الطبيب ورطين هذا العلاج بالماء في مارستان صنت لويس تجاه أعين الطبيبين جنير ودوفرجي علاجا لامراض الجلد الغير القابلة الشفاء غالبا وللاكتيوز الاسمر أى الداء السمكي الذى تتغطي فيه البشرة بفلوس ثخينة وحصل من ذلك شفاء ظاهرى وفي الحكة المستعصية وفي بسر يازس وغير ذلك (انظر الجرنال السنوى لبوشرده في سنة ١٨٤٣) انتهي وقال تروسو نحن وان لم نجعل للادروتيرابيا استعمالا ثابتا قانونيا قد استعملنا هذا العلاج بالماء أحيانا ولكن لابد أن نذكر رأينا باختصار مشبع واظن انه لاجل ذكر قواعد هذه الكيفية في العلاج يلزم أن نستعير من الكتاب الشهير الذى يظهر لنا أنه الاليق بالموضوع وهو المؤلف الجديد للطبيب سيديل بفتح السين والدال المهملة وعنوانه مبحث كلينكي في الادروتيرابيا ويكفينا بعض صفحات من مقدمته وذكرت في هذا الكتاب الكيفيات الرئيسة لهذا العلاج الجديد المائي ومؤلفه قبل أن يذكر عمليات أبريسنيت نفسه ذكر أن جملة من الاطباء لهم تفتيشات مهمة في استعمال الماء البارد في آخر القرن الاخير مثل جكسون وقورى وبوم . قال تروسو نقلا عن سيديل ان جملة من الاطباء يعني هان وجكسون ووريح بعد استعمالهم مع نجاح عظيم صبوبات باردة في الحميات الثقيلة التى طبيعتها تيفوسية أشهروا أن هذا العلاج ممتع بفاعلية جليلة في علاج هذه الآفات وقورى وسع دائرته توسيعا جديداً فهو أول من وضع قواعد علمية للادروتيرابيا وهو بواسطة مقياس الحرارة الذى في يده أثبت أن التراكم المرضي للحرور الذى يقوم منه العنصر الرئيس لكل ثوران

حمي بخرج بأسرع مايكون اذا وضع الماء البارد على سطح الجسم ثم انه بقواعده العلمية وتجريباته اشهر هذا الابراز للحرارة بواسطة الماء البارد وجعله دواء جليلا في علاج الآفات الحمية بل مقدما فعله على الاستفراغات الدموية . وعلى رأى هذا الطبيب هناك واسطة وحيدة وهي الطرطير المقيء يمكن أن يستعمل مع النفع عوضاً عن هذين الفاعلين القويين المسكنين فالماء البارد والاستفراغات الدموية والطرطير المقيء يقوم منها عنده القواعد الثلاث الصناعة في علاج جميع الآفات الالتهابية مع أن قورى بعيد جداً عن أن يعتبر الحمي الحقيقية مجرد تراكم الحرارة في البنية لكن كانت هذه الظاهرة هي التي يتكون منها المرض المتسلطن في هذه الآفات وان اخراجها بلطف دائما الخطر بل قد يزيل سريعا كل عرض مرضي بدون فقد لقوى المريض ظن هذا الطبيب انه أسس اعتبار هذا الاخراج أحسن واسطة للعلاج ومع ذلك أطلب من الاطباء أن يتأملوا تأملا مخصوصا في هذا الرأى فان قورى وان اعتبر ذلك عملا عظيم الاهتمام لم

يقصر الجسم على تأثيره بل ظن أيضاً أن الصدمة الفجائية الشديدة لوقتية المنطبعة في البنية كلها من الماء البارد تقطع التقاص المرضي الذى في المجموع العصبي وفي غلافه الخصوصي وينتج من تلك الحالة المزعجة سرعة رجوع هذا النشاء لوظائفه الاعتيادية ويبطل بهذا الجموع أعراق تحصل من ذاتها كأنها بحرانية وكان نتيجتها منع التراكم المرضي للحرارة الآتي فيما بعد أن يدوم حصوله في البنية . وقال وجكسون الذى نازع نزاعا معقولا قورى ووريج فى أولية استعمال الماء البارد في علاج الآفات الحمية جعل النتيجة الاخيرة للماء البارد هي نتيجة تنوع المجموع العام بخلاف رأى قورى فانه اختار كما قلنا شيئين أحدهما ابراز الحرارة وتلك نتيجة لم يلتفت اليها غيره من الاطباء وانما أثبتها بقياس الحرارة الذى في يده وثانيهما التنوع المنطبع في جميع المجموع العصبي فينتج منه أيضاً نتيجة مخصوصة جاذبة منها قطع التراكم الآتي بعد الحرارة و بموجب ذلك قطع الحمي ويظهر لي أن الادروتيرابيا الجديدة أهملت هذه النتيجة الاخيرة من استعمال الماء البارد ولم تعتبر

في علاج الآفات الالتهابية لابراز الحرارة وظهور الاعراق والنتيجة التحويلية لذلك وهناك أمر ثالث صحيح أساسي مهم جداً ذكره قورى وهو استعمال الماء البارد من الظاهر ومن الباطن ويكون أولا خطراً كلما كانت حرارة الجسم ارفع وتلك قاعدة معارضة للرأى العامي المعروف عموماً وهو أن وضع البارد من الباطن ومن الظاهر يكون أخطر كلما كانت الحرارة أرفع وقد عرف جيانيني حقيقة هذه القاعدة في العلاج بالماء وعاب على قورى في قصره تأثير الماء البارد على البنية حيث لم يوص باستعماله الا في الاحوال التي تكون الحرارة فيها زائدة وأما جيانيني فوجده جيد الاستعمال في الادوار الاخيرة للتيفوس اذا صارت الحرارة الحيوانية ناقصة لا زائدة . ومن الغريب أن قورى عرض هذه المشاهدة للطبيب دوران الذى عاب هو عليه في كونه لم يعتبر الا اخراج الحرارة أى لم يعتبر للماء البارد الا النتيجة العدمية أى المسكنة ناسياً ان هذه الواسطة يمكن أن يحدث منها انفعال قوى جداً يقاوم مع الشدة النتيجة المسكنة للبارد وهذا القانون الذى ذكره

قورى باعتبار كون السلامة أعظم في استعمال البارد كلما كان الجسم أشد حرارة يتأكد كل يوم باستعمالات مختلفة للادروتيرابيا الجديدة والمذهب الجديد الذى يبعد عن أن يجمع جميع الآراء الطبية المقبولة لم يحصل منه الا تأكيد الرأى الذى ذكره قورى . وهناك قانون رابع للادروتيرابيا الجديدة ذكره أيضا الطبيب المذكور وهو أن الاستعمال الموضعي الظاهر للماء البارد المفعول بكيفية مايمد أن ينتج نتيجة مسكنة وانما يوقظ الفعل الحيوي في هذه الاعضاء وينتج في الحال البعيدة نتيجة محرقة وبذلك يوضح التحويل الذى ينال من الادروتيرابيا في بعض الاحوال بواسطة الحمامات الموضعية والحمامات القدمية بالماء البارد وذلك التحويل اعتبره كثيرون معارضاً بالكلية للقوانين الصحية المعروفة وهذه القواعد التي ذكرها قورى ليست فرضية وانما هي مؤسسة على أمور واقعية مقنعة وتقوم منها القواعد العلمية للادروتيرابيا وهي التي تستعمل في علاج الآفات الحارة ويمكن اختصارها الى ماسيذكر قولا اخراج الحرارة المتراكمة

لما بالاكثر منافع عظيمة من استعمال الماء من الباطن هي الاستيريا أى اختناق الرحم والايبوخندريا والآفات المختلفة المزمنة في الطرق الهضمية واما الآفات الحادة التى امر قورى فيها باستعمال الماء البارد من الظاهر فهي الحميات الاندفاعية كالجدرى والحصبة والقرمزية فالحرارة الشديدة الغير الطبيعية في الجلد منضمة لحالة الجفاف يقوم منها على رأيه الدلالات التى تستدعي الاستعمال بدون امهال ولا يلتجأ اليها اصلا في احوال الالتهابات الحادة المحشوبة ومع ذلك ذكروا احوالا اتفادت فيها الصبوبات الباردة الامراض الواضحة التى لالتهاب الرئتين كالاوجاع الصدرية ونفث الدم العارض في سير الحميات التيفوصية ونحو ذلك من الامراض وقد تلطف قورى جدا في التوضيح وظاهر له أن مذهب هنتير احسن لتوضيح منافع الماء البارد فعلى هذا الرأى لايمكن أن يوجد معا تأثيران مرضيان في بنية واحدة أو في محل واحد من الجسم ولذلك اعتبر قورى التأثر المخصوص الناتج في مجموع البنية من الفعل الفجائي الحاصل من الماء البارد على سطح الجسم غير موافق للحالة المرضية الموجودة من قبل فلذلك تنسب النتائج الجيدة للفعل المزعج الحاصل من الدواء مثل ماتنسب لاخراج الحرارة. ونقول مع ذلك أن المستثنيات العديدة من القانون الذى وضعه هنتير تسقط كثيرا منها هذه القاعدة العامة والكيفية التى فعلتها الطبيعة لاجل التخلص من الحرارة الزائدة استدعت أيضا انتباه قورى لجميع الناس ومنهم فرنكلين يظنون أن تبخير العرق من سطح الجسم تقوم منه الواسطة الرئيسية التى تستخدم لاجل تحصيل تلك الغاية ، ومع ذلك يظنون أن فعل الاعضاء المفرزة للعرق له دخل في هذه النتيجة ويعرفون أيضا أن هذا الفعل العام الذى حصل في جميع سطح الجسم وبه استخرج من الدم السائل المائي يلزم أن يكون مصحوبا كغيره من الافرازات بتنبه مفرط موضعي أو عام وذلك نتيجة مخالفة بالكلية للنتيجة التى فرضوها ولذلك لايجتهد في كشف السر غالبا وانما يعرض الشكوك والظنون ويذكر شيء من هذا المبحث المهم من علم الصحة عند مايذكر الكيفية المرققة

تراكا مرضياً وتلك هي النتيجة التى تنال على رأى قورى أما بواسطة الاستعمال مباشره للماء البارد واما بواسطة التبخير الذى يحصل من سطح الجسم باستعمال غسل الاعضاء بالماء البارد وثانيا عظم قدر الماء البارد بسبب فعله المخصوص الذى ينتجه في المجموع العصبي فينتج من ذلك قطع الحركة الالتهابية وثالثا أن السلامة والمنافع تكون أعظم في استعمال الماء البارد كلما كانت حرارة الجسم أرفع ورابعا ازدياد حيوية الاعضاء حيث نيل ذلك بالاستعمالات الموضعية للماء البارد فينتج من ذلك نتائج محوله تستحق زيادة الانتباه وفضل قورى الماء المالح على الماء البسيط لاستعمال الصبوبات والانغماسات وكان هذا الرأى مؤسساً على النجاح الغير المنتظر الذى ناله رويج بهذه الوسايط وروى ذلك ظن أن الانفعال حينئذ يلزم أن يكون أسهل وآكد وهذا كان عظيم الاهتمام الا أنه لاينبغي ان التسكين لم يكن هو الغاية الوحيدة التى تقصد من أفعاله المنيفة وأما طبيب ليفربول فلم تكن الغاية الوحيدة لاشغاله وتفتيشاته الانتصاب لتأكيد النتائج المذكورة وجعلها كقواعد أصلية وانما هي اثبات منافع الماء البارد في آفات كثيرة عصبية وتشنجية فجملة من الامور الواقعية العظيمة الاهتمام هنا تؤكد الفاعلية الزائدة للماء البارد في هذه الامراض المستعصية . وهناك عدد كثير من آفات تشنجية يدخل فيها التيتنوس هولجت وشفيت بالماء البارد وان ظن قورى أنه يلزم عوما في هذه الآفة الاخيرة أن يضم الصبوبات والانغماسات استعمال النبيذ والافيون مع أنه ذكر احوالا انجحت فيها الانصبابات الباردة وحدها عند ما أكد أن الوسايط القوية المعروفة عديمة القوة ووضع قورى في علاج هذه الامراض بالماء البارد كقانون أساسي أن يستعمل دائما الانصبابات أو الانغماسات مدة أدوار النوب التشنجية واستنبط هذا الطبيب أعظم المنافع من استعمال الماء البارد من الباطن في كثير من الامراض المزمنة وظن ككثير من مشاهير الاطباء أن أعظم جزء من فاعلية المياه المعدنيات أما من خاصة التحليل التى في نفس الماء وأما من الفعل المقوى الذى وصل الى المعدة من الماء المزدرد ومن هناك انتقل لجميع البنية والامراض التى حصل

للادروتيرابيا وذكر قورى بالارقام العددية النتائج الترمومترية لخروج الحرارة الحاصل بالماء البارد فكان يجد دائما أن الجودة تكون أوضح كلما كان هذا الاخراج أبين في الترمومتر وانما يوضع في الابطين وتحت اللسان هذا المقياس الذى ينتهي بانتفاخ مفرطح يسمح بسهولة الاستعمال ودرجة الحرارة الزائدة الارتفاع التى وجدها كانت في القرمزية فانها كانت من ٣٤ الى ٣٥ من مقياس ريومور واما الحرارة الاعتيادية فهى من ٢١ الي ٣٠ من مقياس ريومور فلذا يلزم من الآن وصاعداً أن يعمل بالترمومتر الاعمال والاشغال والادروتيرابيا ولاجل ذلك تجهزت الان مستحضرات ثمينة من الاعمال والتفتيشات الجيدة من كثير من الاطباء مثل بكريل وبريشيت واندرال وغيرهم ولا سيما اشغال ردجير وابراز الحرارة بواسطة الماء البارد له حد وايضاح هذه المسئلة يؤخذ من بعض تجريبات قورى فانها تدل علي انه يمكن في حالة الصحة أن يحصل الانفعال حتى مع استدامة استعمال الواسطة المبردة فالحرارة الخارجة التى كانت ٣ درجات من مقياس ريومور بعد ٣ دقائق مكثت في الماء البارد الذى درجة حرارته ٤ درجات من مقياس ريومور لم تكن بعد ٦ دقائق الا درجة واحدة ونصف درجة ومن تلك اللحظة صعد الترمومتر تدريجا بحيث انه بعد اقامة مدة من ٢٠ دقيقة الى نصف ساعة في الماء البارد لم يكن نقص الحرارة المدلول عليها بالترمومتر الموضوع تحت اللسان الا درجة واحدة فهل هذه التجريبات جيدة الانتاج أقول لااظن ذلك لان الرأس يبقي خارجا عن الماء والدم يندفع اليه بالضرورة فالحرارة الناشئة فيه تكون اعظم كلما صار الاحتقان اكثر ولنذكر الآن القواعد المستخرجة من تجريبات قورى الموافقة للامور الواقعية الغريبة التى للادروتيرابيا الجديدة ولكنها مخالفة لآراء هذا الطبيب المتعلقة بوضع الماء البارد علي سطح الجسم عند مايكون هذا الجسم مغموراً بالعرق فاستعمال هذا العامل العلاجي سواء من الباطن أو من الظاهر يكون أقوى تأثيراً كلما كانت الحرارة اعلي من الحالة الاعتيادية ويمنع استعماله اذا استدام التنفيس الجلدى زمنا قليلا

ظن ان الغمس البارد المفعول مدة العرق او بعد العرق حالا يمكن ان يكون خطرا لان التنفيس المستطيل المدة حيث احدث في الشخص برداً كثيراً وابرازاً جديداً للحرارة بهذه الواسطة يمكن ان يسبب اخطاراً ثقيلة . وقد وضح قورى العوارض التي شوهدت في احوال من هذا النوع علي فرض ان حرارة الجسم في هذه الاحوال ناقصة من قبل العرق الغزير فالتبريد الجديد المضعف للبنية جداً المعارض للانفعال اللازم يمكن ان ينتج مرضا او الموت وظهر له ان الخطر يكون اعظم كلما كان الشخص الذى حصل له التنفيس زمنا طويلا أضعف والتجريبات اليومية في جريفنبرغ تدل علي ان هذا الرأى خطأ قال وسنتكلم عند مبحث العرق المحرض بالادروتيرابيا علي هذه المسئلة المهمة كلاما واسعا بقدر اللازم. قال المؤلف الذى نقل عنه تروسو هذا المبحث ان جميع ما رقمه قلم الطبيب قورى يستفاد منه معظم معارفه الدلية وتوقيره اكثر من غيره من الاطباء الذين كتبوا في هذا المبحث ورغبوا في استعمال الماء في علاج الامراض لان كتاباتهم لاتخلو من نقص

واما الطبيب بوم البعيد جداً عن غيره في استعمال هذا الدواء فانه استعمل لمرضاه حمامات مدتها ٦ ساعات و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٨ و ٢٤ ساعة وحرارة تلك الحمامات الطويلة تكون احيانا من ٨ درجات الي ١٠ فقط من مقياس ريومور وتحفظ تلك الدرجة الحرارية باضافة الماء البارد او الجليد كلما رفعت حرارة الجسم حرارة الحمام وينبغى ان يستعمل هذا الحمام في درجة اعلي من ٢٦ أو أنقص من ١٠ درجات من مقياس ريومور ومدح هذا الطبيب نفسه باستخراجه منافع من استعمال الماء البارد من الخارج بهيئة انغماسات وصبوبات وغسلات وحمامات ومن الباطن بهيئة ماء الحجاج الذى يصنع بغلي دجاجة صغيرة بقدر قبضة اليد مدة ربع ساعة في ٦ أرطال أى ١٢ رطلا فهذا الطبيب الجسور وان استخرج نتائج نافعة من الماء في الامراض الالتهابية وسيما امراض المخ الا ان نجاحه بالاكثر في الآفات العصبية كالايبوخندريا والاستيريا بجميع اشكالها والرعشة والامراض الاخر التشنجية وتجاسر بوم

أحيانا على استعمال الماء البارد حقنا وحمامات حتى مدة دوام السيلان الطرثى وبذلك كان موافقا لابريسنيت. وأما بيانه التعليمي فلا أذكره الا لتوضيح المدة الغير المحدودة للحمامات التى غمس فيها مرضاه حتى نال الاسترخاء الطبيعى للاعضاء المتيبسة بالرشح المائي وذلك انه ما عدا الاسهال الذى يعرض غالبا للاشخاص المرضين بالعلاج الادروتيرابي عند الطبيب يوم لم أجد في الظاهرات المشاهدة فيهم ما يمكن أن يقرب الظاهرات التى تظهر في البنية المعالجة بالعلاج المائي الجديد ويظهر ان من الخطأ المحقق في الحس سباحة المرضى على سطح الماء والبرودات الذهلية حيث أكد يوم أنه كثيراً ما صمما في أطراف الاشخاص الذين طالت مدة مكثهم في الحمام زمناً طويلا فاذن الاستعمال العلمي لفورى والتجربة الجنوئية ليوم حيث اختصر اجميع ما فعله متقدموها في هذا الموضوع لم يوجد في شيء منها مشابهة تامة المذهب الجديد الذى سلكه اربسنيت وانما الفاعلية والاستدامة لهذا الشخص هما اللذان لهما في العلم مدحة حيث أمكن بهما اثالة أمور واقعية تعطى للادروتيرابيا أساسا جليلا

وهذه الشروح القصيرة التى ذكرناها لاستعمال فورى ويوم يستفاد منها حقيقة فاعلية الدواء الذى وضعته المصادفة بين يدى اربسنيت ويتعجب من النجاح الخاص الذى حصل على يد هذا الشخص حيث سعى بتجربته شيئا فشيئا فلم يجد واسطة للاستعمال الا الماء فاستعمله بجسارة في كثير من الاحوال التى لم يخطر ببال أحد من أهل الصناعة استعماله فيها . قال وعلى حسب الاستخبار الذى استفدته بمدينة جريفنبرغ من أشخاص من عائلة اربسنيت ظهر لي ان هذا الشخص حصر انتباهاته في حارة صغيرة رديئة في طرف جريفنبرغ وقطع من أرض كانت له ميراثا ورثه من آبائه وعرف انه يحصل له نفع من دلالات مبهمة أعطاها له راع من الرعاة المائمة في الخواص الشفائية للماء ومن المحقق ان الراعي زاد له كلمات مضحكة ولكن اربسنيت فعل كما فعل برمي ولازمه زمنا طويلا وذلك ان برمي المذكور الشهير حكي ان طحانا أبرأ في اسطرسبرغ جملة مجاريح بما يظهره الناس كأنه ماء كرامة أى خارق العادة فجرب

برمي الماء البسيط ونال منه مثل هذا النجاح فكذلك حمار جريفنبرغ ظن حالا أن الماء هو الذى حصل منه شفاء الداء لا أن الشفاء حاصل من الانبساط الشخصي فاستعمل هذا الدواء في جميع العوارض التى تحصل له نفسه ولعائلته وأحبابه ولبهائم جيرانه فاشتهر بذلك اشتهاراً عظيما في علاج أنواع المرض والي والحرق ثم في الكسور حتى انه نفسه أبرأ من معه كسر في اضلاعه واقتصر في ذلك الزمن الذى وصل الي سنة ١٨٢٦ على أن يضع من الظاهر الماء البارد بواسطة رفائد أو يهيئه غسلات بالاسفنج الغليظ ولما كان عنده وثوق بخواص الماء أمعن في ذلك انتباهاته الطبية واستصحب معه شخصاً من أقاربه مسمي باسمه وأخذت هذا الشرح منه وقبل اشتهاره بشفاء الامراض بالماء واستعمال الاسفنج على الظهر جال في الجبال الفاصلة بين جريفنبرغ وسليسيا البروسية وهناك أخذ في اعطاء مشورات واستعمال دوائه في تلك البلاد والضيعات وصار المرضي يأتون زمراً زمراً للمحال التى أعدت لذلك ولما سمع الوالي بذلك ذهب الى الارياف لينظر ذلك فنبهت الابريسنيتيون من قبل فحملوا أثقالهم الخفيفة حتى جاوزوا حدود مملكتهم ووصلوا جريفنبرغ والي بعض قرى قريبة لها وأشهر واهناك دواءهم المذكور وجهزوه من جديد لانواع المرض والاوجاع وآلام الاسنان وأوجاع الرأس التى تصيب الفلاحين كأرجاع بها تهم أيضاً وسيما الخيل العرج فكانت النتيجة للماء البارد عظة جداً تنتج نتائج جيدة في اليدين والرجلين المختنقات لذوات الاربع وكثير من المرضي الذين عجز الاطباء عن معالجتهم وثقوا بهذا الفلاح أكثر من وثوقهم بالاطباء فقصدوه فابتدأ لهم باستعمال دوائه من الباطن مع نجاح لم يزل دائماً آخذاً في التقدم وكما رضي هؤلاء المرضي بجميع ما يستدعيه منهم تغالوا أيضاً في طلبهم وعرضوا أنفسهم عليه مع الرغبات أن يجرب لهم طريقة كذا وكذا فلذلك استعملوا مع التتابع الحمام الكبير البارد والتطبيل والتنفيسات القهرية الجلدية وهذه الواسطة الاخيرة كانت مستعملة في الازمنة السالفة بالمدينة كدواء عام ذى فاعلية عظيمة وذلك الظن في اندفاع الاخلاط الفاسدة

بواسطة الاحراق القهرية ارتسم في أذهان العامة وخصوصا أهالي جريفنبرغ وما حواليها وعرف الروسيون والبلونيون لة فلاحي هذه الاقسام حتي تيسر لهم أن يتناهوا منهم مايحتاجونه بدون أن يعرفوا لغة النمساويين فلم ابريسنيت يعلن بطريقته والمرضي منقادون للرأى الطلعي العامي بحيث يبادرون بعد استعمال العرق القهرى باستعمال الماء البارد حيث ظهر لهم منه نفع عظيم فبعد تحريض العرق الغزير فيهم ينغمسون انفسهم في حمام كبير بارد أو يصب عليهم الماء البارد عند الخروج حالا من تحت أغطية الصوف وذلك امتثالا للاعتيادات العامية . ولا يستغرب من جمع هذه الطرق كلها اذا تذكرنا ان سليسيا التي هي اقليم كبير من البروسيا تسلطن فيها مدة طويلة لصور مبهم الخواص العلاجية التى للماء البارد ونجي تحتها المسمي بريسلو بهذا الدواء من رعب الوباء المخرب الذى حصل فيها سنة ١٧٣٧ ونقول من جهة اخرى كان العرق القهرى ثم التغسلات بعده بالماء البارد من اعتيادات العامة هناك قبل مجيء هذا الدواء لهم وأما السبب الذى أرشده لابدال حمام البخار بالاحاطة بأغطية الصوف هو أن الفلاحين كانوا معتادين فعل التنفيس بذلك من زمن قديم وأما التنفيس بالصوف المبتل فهو بالكلية من اختراعه أى نتيجة تعقله الجيد المشاهدة وهذه الوسايط المختلفة كانت منه تدريجية حتى صارت كلها جملة تستعمل في المحل اللائق بها ثم اخذ من هذا الاستعمال طريقة عامة فجعل الدلكات بالجوخ المبتل واليدين المبتلتين بالماء البارد وبدل الدلكات الأولية بالاسفنج ثم اخترع لف المريض كله الا أجزاء منه فقط بلاءة من جوخ مبتلة بالماء البارد وزيادة علي ذلك أنه شاهد ان بعض الاشخاص تنقطع أوجاع أسنانهم من الماء المنتعش قليلا بالحرارة وهولم أحسن بكثير من الماء البارد مع أن أشخاصا أخر بعكس ذلك فاخترع امتداد هذه التجربة لاوجاع مختلفة من الماء علي سطح الجسم فكانت نتائج ذلك مساعدة جداً . ومن الواضح أن انضمام جميع هذه الطرق انما كانت من نتائج لزمن وغالبا بالمصادفة التى أخذت منها فطانة ابريسنيت منفعة جلية وكذلك

الطبيب ورئيل أوصاه بأن يسقي المرضي كثيراً من الماء البارد حيث عرف نجاح ذلك وهو أول من الف كتابا في هذه الطريقة ونتج من مدحه الزائد لها نتيجة قطعة مساعدة لعلاج ابريسنيت فعلي رأى هذا الطبيب أن الشرب الكثير من الماء البارد وذلك الجسم به يقوم منهما جميع الطب المطلوب وهذا الكتاب نبه الالمانيين علي هذه الطريقة الجديدة ومن حينئذ ظهر لابريسنيت تاريخ جديد ويظهر أن نتيجة هذا العلاج لم تزل آخذة في زيادة النفع حتى جاوز عدد المرضي في السنة ١٢٠٠ وفي كل سنة يزيد عدد المرضى الذين يأتون لجريفنبرغ التفتيش علي صحتهم وبنيت علي الحارة العتيقة طبقة من المساكن وبنيت الاماكن الخربة التى كانت حولها وتبدلت بأبنية جميلة وعمل في معظم بلاد الاوربا اماكن مخصوصة لهذا العلاج المائي علي شكل مكان جريفنبرغ واحتقرت الادوية والمركبات واعتبرت كأنها سموم قتالة واقر الاطباء بشرف مخترع هذه الطريقة وان الخير والصلاح الذى حصل علي يده لم يعادله فيه غيره وأطباء المدن والقرى المجاورة لجريفنبرغ كانوا أولا ينكرون فاعلية الماء في كثير من الاحوال ولكن غلطهم انما ينسب للآراء التى بقيت قوانينها خامدة عن المنافع التى يمكن أخذها من هذا الدواء يعنى انهم لما رأوا نفع استعمال الاسفنج هؤلاء المرضي قطعوه بأيديهم من الاحجار ليستعملوه في ذلك وعولج في جريفنبرغ جملة أشخاص عظام من أهل المملكة فبعضهم من آفات مزمنة في المعدة وبعضهم من احتقانات نقرسية في المفاصل وبعضهم من آفات عصبية ثم أن ابريسنيت لم يكتب شيئاً وقل لم يكن عندى زمن لذلك مع أن طريقته اشتهرت واستعملت ببلاد النمسا وانكلترة وغيرهما وكذا استعملها الاغراب عن الطب استعملها أيضا كثير من الاطباء أرباب الصناعة والي الآن لم يحكم بمناسبة دراستها في مدرسة من المدارس ولم تدخل في كلينيك من الكلينيكات المنتظمة ومبالغات المتعصبين لها يتضح منها هذا التشكك الذى هو طبيعي يقينا ولكن الامل أن هذه المبالغات الخارجة من العقل توصل أهل العلم لبحث بتأكيد وبدون غرض نفساني علي كيفية هذا

الملاج الذى كانت قواعده موجودة في العلم قبل ذلك وآر ؤه المؤسسة على علاج الضد بالضد ربما استندت على قواعد بقراط وكثير من مشاهير الاطباء

(طرق مؤسسة على ماتستدعيه هذه الطريقة من الدلالات) قالوا انا نختار لاجل تسهيل دراسة الادروتيرابيا الطرق الخمسة الآتية المؤسسة على الدلالة التى تنبها هذه الطريقة الجديدة . فالاولي الطريقة الصحية أى الجارية على قانون الصحة أى الحافظة للصحة والثانية الطريقة المضادة للالتهاب والثالثة الطريقة المضادة للتشنج والرابعة الطريقة المغيرة والخامسة الطريقة الاضافية أو المساعدة والطرق الثلاثة الاول تشتمل على أشياء كثيرة معروفة سابقا ولكن أهملها الاطباء والرابعة تقوم منها بالاكثر طريقة ابريسنيت والخامسة تحتوى على الاستعمالات الادروتيرابية في الدا آت التى يعرف عدم امكان شفائها غيران الاستعمال قد يكون نافعاً بقصد عرض أو جملة اعراض

فأما الطريقة الاولي الصحية فنقول فيها أن التنوعات الموجودة هنا في القواعد الاعتيادية لقوانين الصحة تقوم من كثرة استعمال الماء البارد مشروبا ووضعه على سطح الجسم بالكيفيات الادروتيرابية الجديدة التى يسهل استعمالها عند كل طبيب ولكن من اللازم أن يضاف لهذه الوسايط الصحية الخالصة وسايط صحية أقوى فاعلية كالاحراق القهرية والصبوبات الباردة والحامات الكبيرة الباردة ويستعمل ذلك أيضاً في فترات نوب النقرس وللاشخاص الذين يظن أن معهم جرثومة الداء الزهرى أو تكون بنيتهم مائلة للخنازير أو السل أو نحو ذلك

وأما الطريقة الثانية المضادة للالتهاب فهي التى ذكر فورى قواعدها العلمية فهي هنا واسطة التسكين الذى ينتج من استخراج الحرارة وما ينتج في المجموع العصبي من الوضع الفجائى للماء البارد الذى تستعين به الادروتيرابيا على قطع كل آفة حية والتهابية وتلك نتيجة تضاف على التحويل الحاصل بالعرق القهرى وبالتمريخات القوية المفعولة على سطح الجسم بالماء المنعش كثيرا أو قليلا أى الفاتر قليلا وتلك الطريقة تستعمل بكيفيات ادروتيرابية مختلفة في الاحتقانات

والازنة والحميات الاصلية خفيفة كانت أو ثقيلة وفي الحميات الاندفاعية والآفات الروماتيزمية الحادة وجميع الالتهابات الحادة الظاهرة والباطنة ويقال انه شفيت بهذه الطريقة التهابات مخية وسكتات والتهابات رئوية ونحو ذلك فالماء البارد مطلقا أو المنعش أحيانا هو الفاعل الوحيد العلاجي والاستعمال يحصل بواسطة الالتفاف أى التنطية بملاءات مبتلة تجدد بكثرة أو بقلة وأحيانا بواسطة الصب أو الغمس والماء البارد يؤمر به مع ذلك بكثرة من الباطن فاذا شوهد بعد التسكين القوى والاستعمال المستدام نقص الحركة الحمية العامة ووجد في الجلد علامات التندية يجتهد في اعانة هذا التنفيس بأعمال مخصوصة ومن المعلوم ان هذا التنفيس القهرى لا يستعمل في الالتهابات الحادة الا اذا نقص أعظم جزء من الالتهاب الشديد بنتيجة التسكين الحاصل من الوسايط التى استعملت سابقا

وأما الطريقة الثالثة المضادة للتشنج فتستعمل في كثير من الامراض العصبية التى تكون من أدنى تضايق الي الايبوخندريا وكذا في العوارض الاستيرية الاشد

مايكون وقد رأينا ان فورى استنبط أكثر من غيره من الاطباء منافع من هذه الواسطة، وشاهدنا أن الطبيب يوم لم يمدح نفسه مدحا كافياً بانالة نتائج جيدة الا من الماء البارد المستعمل في هذه الآفات المستعصية وذلك مع المنع التام لجميع الوسايط الاخر الاقرباذينية وربما كان مدح فاعلية الماء عند الادروتيرابيين في علاج بعض الآفات العصبية كالمانيا والصرع أقل من مدحها عند قدماء الاطباء لأن الغالب ان الادروتيرابيا الحديثة تقتصر على أن تستعمل في الامراض العصبية الخالصة علاجا مغيراً لا يناسب عندهم فاذا ظهر ان العلاج بالماء منهم لانافع في علاج الهذيان الجنوني والصرع فذلك لأنه استعمل في هذه الامراض طرق كثيرة التنبيه ففي هذه الطريقة تستعمل وسايط مسكنة ومقوية في آن واحد كغطاء واحد أو غطاءين بأردية مبتلة والماء البارد من الباطن بكثرة والدلكات بخرق مبتلة وعلى حسب الاحوال الصبوبات والانغماسات والغسلات والدلكات بالماء البارد والمفعولة باليد المبتلة والنطولات القصيرة المدة

والرياضة المنتظمة في الهواء الواسع ومنفعة هذه الطريقة واضحة في كثير من الآفات العصبية التي في المحور المخي الفقرى ولا سيما النخاع الشوكي وفي الاعتقالات وآفات الحرق والآفات التشنجية والرعشة وغير ذلك ويظهر أيضا أنها تنفع نفعا جليلا في بعض أحوال عصبية غريبة في بعض الاعضاء كالرحم والاثداء والخصيتين (يقول جامعه احمد الرشيدى كان لى صاحب يعتريه زمنا فزمنا صداع شديد مزعج لم ينفع فيه شيء من الادوية الا صب الماء البارد على الرأس فيسكنه حالا)

والرابعة وهي الطريقة المغيرة أو المحللة هي التي اخترعها على الخصوص ابريسنيت ففي درجات الشدة كثيراً ماتستعمل كيفيات تنوع البنية تنوعا عميقا كالتنفيسات المتحرضة اما من أغطية الصوف الجافة واما من الملاءات المبتلة وعقبها حالا تغمس المرضى في حمام كبير بارد أو تستعمل دلكات في حمامات جزئية ومثل ذلك أيضا التعاولات الباردة والصبوبات المختلفة القوة وحمامات القعدة المختلفة برودة واستطالة والتمريخات القوية باليد المبتلة على سطح الجسم والوضعيات المنبهة المختلفة السمة وجميع الوسايط التي تضم لاستعمال الماء البارد من الباطن بكثرة تنوع الحيوية تنوعا عميقا وغايتها انتاج انفعالات تسمى بالبحرانات وجميع الآفات المزمنة تعالج بهذه الاعمال التى تساعد بتدبير غذائي مخصوص كثير التغذية وبممارسة جميع المجموع العضلي بحسب الطاقة في هواء واسع مع المنع التام عن جميع الوسايط الاقرباذينية ففي جريفنبرغ يعالج كل آن مع النفع الزائد احيانا بالطريقة المغيرة المذكورة بعض الآفات المزمنة فى المخ وكثير من آفات الصدر وجميع آفات البطن والنقرس والوجع الروماتزمي المزمن والآفات الباسورية والاعراض الزهرية الاولية أو الثانوية أو الثلثية والامراض المزمنة الجلدية والقروح المزمنة في الاطراف السفلى والنواصير البولية وتضايق مجرى البول والاورام العظمية والامراض الاخر المزمنة في العظام والآفات الخنازيرية والاورام البيض ونحو ذلك فبواسطة الانفعال القوى والتنوع العميق الذى يطبعه هذا العلاج في جميع الوظائف

العضوية يمكن أن يوضح التحلل وزوال كثير من الاحتقانات المزمنة بالعلاج المائي فاخراج جميع مايظن غريباً ومؤذياً للجسم هو الذى ينتج الشفاء وبالاصل انه اذا لم يوصل لاحالة هذا الاخراج التام بالتنبه والثوران العاملين المنطبعين في البنية فالاولى أن يقف سير المرض العضوى بل يمكن أن يحصل منه حركة رجوع نحو الشفاء والانفعالات المختلفة الناتجة مدة استعمال الطريقة المحللة تسمي بالبحرانات وتعتبر كأنها أفعال شديدة من الطبيعة ليحصل عنها اندفاع السبب المرضى فعلي حسب هذه لآراء الخلطية أى المتعلقة بالاخلاط يوضح المعالجون بالماء التحليل والزوال لجميع أنواع الاحتقانات سواء في الاحشاء البطنية المختلفة أوفي المفاصل المختلفة ويوضحون أيضاً بهذه الكيفية شفاء الامراض التى توضع تحت تعلق مجموع الوريد الباب والاوردة الدوالية في المستقيم وبالجملة دال على رأيهم بواسطة استعمال هذه الطريقة جميع النتائج التى يشاهد عروضها بعد استعمال المياه الحديدية الشهيرة جداً ومدة العلاج تطول في الغالب وأعاض هذه التجربة الصعبة تجاسر المرضى وصبرهم غالبا

وأما الطريقة الخامسة الاضافية أى المساعدة فهي التي تستعمل في الامراض التى لايرجي شفاؤها شفاء تاما ولكن اذا استعمل فيها العلاج بالماء استعمالا مناسبا جاز أن يحصل منه نفع مهم ففى أمراض القلب وبعض الآفات الرئوية المزمنة وانواع الشلل يمكن أن يجد الطبيب مساعدة ثمينة من استعمال هذه الطريقة العلاجية . قال قد رأيت في جريفنبرغ مريضا مصابا بآفة عضوية ثقيلة فى القلب مصحوبة بنزلة رئوية مزمنة وربو أحوج المريض للازمة السرير مدة ١٥ يوما بسبب الازدياد الوقتي للعوارض النزلية والرئوية فترك حجرته في آخر هذا الزمن حيث كان الفضل للادروتيرابيا التي صيرت المريض في غاية الراحة وترك سريره بعد أن لازمه هناك نحو عشرة أيام بسبب ازدياد النزلة أو الربو وكان منتقع اللون ضعيفا هزيلا نحيفا لايمكنه الزحف الا بعسر ثم لما حصل له النجاح من هذا العلاج بالغ في مدحه كثيرا . والوسايط المستعملة في جريفنبرغ وان كانت بسيطة يمكن اعتبارها

مفزعة بباريس فاستعمالها يستدعي من
المريض وثوقا كبيرا ولذا كان هذا
المريض الذي ذكرته شخصا عمره ٦٠
سنة وكان في كل صباح يجلس بجانب
سريره على كرسي ليس له مسند ويدلك
جسمه كله برداء مبتل بالماء البارد مدة
دقيقتين أو ٣ ثم ينشفه جيدا ويوضع له
رفائد منبهة على سوقه المختقنة وهو موضوع
على سريره وأحيانا يوضع في حمام جزئي
حرارته ١٢ درجة من مقياس ر يومور
ويمكث فيه بعض دقائق ويدلك وهو فيه
جميع جسمه بقوة

وأما المصابون بالسل الذي لايزول
شفاؤهم ويكونون فريسة للحمى بطيئة أعلتهم
وهم مكدرون بأعراق ليلية هزلتهم فالعلاج
الادروتيرابي يكون واسطة مساعدة لهم
من اعظم مايكون بشرط التشجع من
المريض والأحسن في هذه الاحوال أن
يلف المريض مرات في رداء مبتل فان
ذلك يسكن هذه الحمى ويوصل الجلد
قوة شديدة لاينتجها غيره من أنواع
التداوي سوى الصب البارد وكذلك
الفالج وبرابليجيا أي شلل النصف الاسفل
يجدان في هذا العلاج واسطة مساعدة
من أنفع مايكون حتى ولو منع ثقل المرض
الوثوق بالشفاء التام ولذلك شاهدنا في
جريفنبرغ أشخاصا مصابين ببرابليجيا
يمتنعهم ابريسنيت غير قابلين الشفاء
فاستعملوا مع النفع الجليل بمباشرته
دلكات بملاءات من جوخ مبتلة في جميع
سطح جسمهم مدة بعض دقائق وكان
يلبسهم بنطلونات باردة مفتولة على جميع
أجزائهم ماعدا العمود الفقري مدة دقيقه
أو دقيقتين فلذا نمدح هذه الواسطة حيث
ان الصحة العامة التي كانت فاسدة ترجعت
بها مزهرة وحركات الاطراف السفلى وان
كانت غير تامة الا أن المريض لم يزل
عنده رجاء الشفاء والانزعاج الزائد الذي
يشاهد غالبا في المرضى المصابين بشبه
هذه الآفات كان في هذا الشخص نفسه
يسكن سكونا عظيم الاعتبار بالتفافه في
ملاءة مبتلة والادروتيرابيون يشيرون
العلاج بالماء واسطة مساعدة في علاج
الرعاف الذي لا يوجد في ذاته ثقل ولا
يحتاج لعلاج عام وخطر مجيء الداء دفعة
لا يقاوم بمنفعة من المنافع الاخرى وهذه
الطريقة على رأيهم تساعد في علاج
الحميات الاندفاعية وصيا الجدري الاطفال

القوة الطبيعية وتمتاز بالماء أوجه المختلفة
مع قصر مدتها لكن من الواضح أن
الحمي الاندفاعية اذا كانت خفيفة ترك
الحال لفعل الطبيعة اذا النجيء الي
الادروتيرابيا فذلك لأنه يوجد اذ ذاك
امراض تستدعي الاستعانة بها في تلك
الاحوال كما أثبت فوري انما حصل النفع
باخراج الحرارة وبالنتيجة المضادة للتشنج
التي للدواء فتوله من ذلك كله السكون
وزالت الاحتقانات الباطنة فالعلاج
بالماء في هذه الاحوال لم يكن مساعدا
وانما كان مسكنا ومضادا للالتهاب
والادروتيرابيا اذا استعملت بتعقل في
الناقهات كواسطة اضافية جاز أن يحصل
منها نفع عظيم وكذلك الغسلات العامة
القصيرة المدة بالماء البارد أو الذي درجة
حرارته مناسبة والدلكات المفتولة بجوخ
مبتل تعين مع الرياضة على تقوية المريض
وتعيد له صحته سريعا والحركات الحية
الواضحة والانزعاجات العصبية التي
تتعب الناقهين تعالج مع نجاح بالالتفاف
في الجوخ المبتل وتلك واسطة يحصل
منها نفع جليل في تقوية المريض في
الوقت الذي يكون من المهم توفير قواه
وهذا التقسيم للادروتيرابيا أي الي
الطرق المذكورة يستدعي غاية الاهتمام
وأقل نفعها اعتبار هذا الفرع من العلوم
الطبية وتأكيد صحه وضبطه اذ في الحقيقة
لايوجد من الفواعل العلاجية ماهو واسع
الاستعمال الا المسهلات مع أن استعمالها
ليس متسعا كاتساع العلاج المائي
والتقارب بين المسهلات والايدروتيرابيا
يكون أضبط وأصح عند من ينسب لها
القدرة على استفراغ الاخلاط الفاسدة
في البنية وطردها عنها فالفضل في الحقيقة
في شفاء الامراض لخاصتها المنقية
وهذا الرأي له اعتبار وان لم يكن هو
الرأي المشهور الآن وتقول هل تكون
المسهلات هنا قاعدة العلاج فاذن يلزم
من طرف ابريسنيت اثبات شيء وهو
أن جميع الامراض ينتج منها وجود
خلط يكون من المهم استفراغه وتلك
الكيفية في توضيح نتيجة الادوية بكونه
ينسب لها خواص منقية كما هو المشهور
عند العامة معروفة أيضا عند أرباب
المعارف وتساعد مساعدة قوية على شهرة
طرق العلاج المؤسس على هذا الرأي
فابريسنيت فعل هذه التنقية بلف

المريض من الخارج وبالمسهلات التى تفعل فعلها على الجلد الباطن وكل حزب منهم يذكر شفاآت عديدة اكيدة عنده عظيمة الاعتبار ثم فى التأمل فى المبدأ الذى ذهب منه ابريسنيت وفى بعض القضايا المبهمة فى الخواص الشفائية للماء مصحوبا ذلك بدلك الجزء المريض بالماء البارد ووضع رفائد مبتلة عليه ومقابلة هذا المبدأ الدنيء بالاستعمال الكثير الزائد النفع غالبا حينما عرف هذا الشخص أنه دواء أوقعته المصادفة بين يديه لا يعتم التعجب من استدامته وشدة فاعليته فتوضح هذه النتيجة بالفاعلية الحقيقية للماء فى كثير من الاحوال وبجسارة ابريسنيت وبالتجريبات التى تقوت بمبالغات المرضى فى مدحهم له ومدح نجاح فعله واذا لم تتجاسر الاطباء على فعل هذه الكيفية نرى أن المرضى تمارسها بأنفسهم فتكون نتيجة ذلك زيادة الشهرة لتجربته سواء كانت تلك النتائج التابعة جيدة أو مغمة . ولم يكتف ابريسنيت بالنتائج المنالة بل كان يشتغل أيضاً بتصورات جديدة فيترك الطريق الذى سلكه أولا حتى شاهد طريقا آخر يوصله بسرعة للمقصد المطلوب له ولذا ترك من نفسه عمل التنفيس أى التبخير بعد أن كان يستعمله مرتين فى اليوم فالتفاف المرضى بالاردية المبتلة كان عوضا عن الاعراق التى كانت تستعمل منذ سنتين والآن مال بأكثر للانغماسات المتعاقبة فأولا فى حمام جزئى من ماء فاتر يدلك فيه جسم المريض بعض دقائق ثم يخرج منه لينغمس فى حمام كبير بارد ثم يرجع المريض من هذا الحمام الى الحمام الجزئى والى الدلكات ومن ذلك الى الحمام الكبير وهكذا حتى يحصل المريض أحيانا حالة غشى تحوج لوضعه على سريره والآن هذه الحمامات المتعاقبة مع الالتفاف فى الجوخ المبتل لها تقدم على التنفيسات القهرية . انتهى مما نقله تروسو من كتاب سيديل باختصار ثم قال تروسو وهذا الشرح اللطيف الذى ذكرته برمته عنه كاف يقينا لمن أراد أن يستفيد تصوراً صحيحا للادروتيرابيا فالعلاج بالماء وان ظهر بمقتضى هذه النبذة اليسيرة انه شيء سهل الا أن الطبيب قد يعسر عليه أتمام الشروط اللازمة للنجاح فعليه أن يعرف تفصيلا شرح كل من هذه الطرق وما يتعلق

بدلالاتها المخصوصة وأن يدرس ما سطر فى المؤلفات الصحية التى كتبت فى هذا المبحث ككتاب لوفر بيبرو اسطوطيطان فاذا أريد بالعلاج بالماء التداوى المقوى تكون حمامات البحر هى الانفع فى ذلك (وقد ذكرنا لها فى كتابنا هذا مبحثا مخصوصاً) فاذا اريد ان يضاف للفعل المقوى نتيجه مغيرة أو منقية فلادروتيرابيا يوجد فيها الينابيع التى لا توجد فى حمامات البحر فان من القريب للعقل أن نفوذ مقدار كبير من الماء مدة طويلة فى الجهاز الدورى وفى جميع الاعضاء المفرزة يكون شيئاً موافقاً للبنية وينوع الاحوال المرضية تنوعا عميقا كالنقرس والوجع الروماتزمى والقوابى المستعصية على العلاج ونحو ذلك وتلك آفات علاجها بحمام البحر ضعيف القوة وهنا حصل تقدم آخر أدخله فى العلم فلاح جريفنبرغ من التداوى بالماء البارد حيث استعمله أوضاع غريبة الشكل معمولة مع التعقل والضبط فاكتسبت رتبة مميزة عن غيرها فى صناعة العلاج وأما كواسطة مسكنة أو مقوية أو محللة فيلزم الانتباه فى استعمالها فلا يستعملها الاطبيب نبيه . انتهى

﴿موقان﴾ قال ياقوت موقان بضم أوله ولاية فيها قرى ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعى فاكثر أهلها منهم وهى من أذربيجان يمشى القاصد من اردبيل الى تبريز فى الجبال

﴿ميافارقين﴾ قال ياقوت ميافارقين بتشديد الياء وكسر الراء والقاف أشهر مدينة بديار بكر قيل ما بنى منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان وما بنى منها بالآجر فهو بناء ابرويز والذى يعتمد عليه أنها من بناء الروم لأنها فى بلادهم الى أن قال وأحكم بانيها تحصينها حتى يقال انها لم تؤخذ عنوة قط حتى ٦٢٠ هو آمد بالقرب منها وهى أحصن منها وأحسن وقد أخذت بالسيف مرارا وأمر الملك قسطنطين وزراءه الثلاثة فبنى كل واحد منهم برجا فيها وجعل لها ثمانية أبواب وقيل أنه كان مدة عمارتها حتى كملت ثمان عشرة سنة الى أن قال : وما زالت ميافارقين بأيدى الروم الى أيام قباذ بن فيروز ملك الفرس فانه غزا ديار بكر وربيعة وافتتحها وسبا أهلها ونقلهم الى بلاده وبنى لهم مدينة بين فارس والاهواز فأسكنهم فيها وجعل اسمها أبر قباذ ثم ملك بعده ابنه أنوشروان

ابن قباذ ثم ابرويز بن هرمز وكان ابرويز مشتغلا بلذاته غافلا عن مملكته فخرج هرقل فافتتح هذه البلاد واعادها الي مملكة الروم وملكها بأسرها ثمان سنين آخرها سنة ثماني عشرة للهجرة وبعد ان فتحت الشام وجاء طاعون عمواس ومات ابو عبيدة بن الجراح انفذ عمر رضي الله عنه عياض بن غنم بجيش كثيف الى ارض الجزيرة فجعل يفتحها موضعا موضعا وقيل ان خالد بن الوليد والاشتر النخعي سارا الى ميافارقين في جيش كثيف فنازلاها فيقال انها فتحت عنوة وقيل صلحا علي خمسين الف دينار علي كل محتلم اربعة دنانير وقيل دينار بن وقفيزمن حنطة ومد زيت ومد خل ومد عسل وان يضاف كل من اجتاز بها من المسلمين ثلاثة ايام وجعل المسلمين بها محلا وقرر اخذ العشر من اموالهم وكان ذلك بعد اخذ آمد. قال وكان المسلمون لما نزلوا عليها نزلوا بمرج هناك علي عين ماء فنصبوا وماحوهم هناك بالمرج فسمى ذلك الموضع عين البيضة الى الآن

﴿ ميان ﴾ قال ياقوت ميان في المشترك ميانج من اعمال أذربيجان وهي علي مسيرة يومين من مراغة واهل اذربيجان يسمونها ميانة وهي مدينة كبيرة وقال في اللباب ميانة بلد باذربيجان خرج منه اجماعة من اهل العلم منهم القاضي ابو الحسن الميانجي المشهور في اخبار موشان عند همذان

وقد عد ابن حوقل مدينتي موقان والميانج ضمن بلاد اذربيجان حيث قال واما الميانج وخوى ومرند وتبريز وموقان فهي مدن صغار متقاربة في الكبر لطاف وجميع ذلك معموم بالشجر معمور بالخيرات والثمر غير مخصوص منه مكان دون مكان بالانهار والبساتين وعمارة الارضين بل كل مملوء بالبركات

﴿ ميانروذان ﴾ قال ياقوت الحموي بفتح الميم كلمة فارسية معناها وسط الانهار وهي جزيرة تحت البصرة فيها عبادان تحيط بها دجلة من جانبيها وتصب في البحر الاعظم في موضعين احدهما يركب فيه الراكب القاصد الي البحرين وبر العرب والآخر يركب فيه القاصد الي كيش وبر فارس فهذه الجزيرة مثلثة الشكل من جانبيها دجلة والجانب الثالث البحر الاعظم وفيها نخل وعمارة وقرى

من جملتها المحرزى التي هي مرفأ سفن البحر وميان روذان أيضا ناحية في اقصي ماوراء النهر قرب اوزكندا

﴿ ماح ﴾ فلانا يميحه نفعه و (امتاح الماء) غرفه . و (استماحه) سأله العطاء

﴿ ماد ﴾ يميد ميداً تحرك و(تميد) تمايل مهتزاً و (المائدة) الطعام والخوان عليه الطعام جمعه مائدات

﴿ الميداني ﴾ هو ابو الفضل احمد ابن محمد بن احمد الميداني النيسابوري كان أديبا عارفا باللغة له فيها التصانيف المفيدة منها كتاب الامثال

توفي بنيسابور سنة (٥١٨)

﴿ مار ﴾ فلانا عياله يميرهم ميرا أتاهم بميرة . و (المير والمير) الطعام . و (امتار) مثل مار

﴿ مازه ﴾ يميزه ميزاً عزله وفرزه من غيره و (ميزه تمييزاً وأمازه) بمعنى مازه و (تميز الشي وامتاز) انفصل من غيره

﴿ التمييز ﴾ هو اسم يذكر لبيان عين المراد من اسم سابق يصلح لان يراد به اشياء كثيرة نحو (اشتريت رطلا مسكا) فان ما يذكر بعد رطلا يصح أن يكون خبزاً وحريراً الخ فلما قلت مسكا ميزته فصار مسكا تمييزاً . والمميز اما ملفوظ أو ملحوظ فالاول كأسماء الوزن والكيل والمساحة والعدد كما رأيت والملحوظ مايفهم من الجملة نحو (طاب محمد نفسا ، وأنا اكثر منك علما) فانك متى قلت أنا أكثر منك احتمل أن تقول مالا أو ماشية ، فلما قلت علما صار تمييزاً

﴿ ميس ﴾ ماس الرجل يميس ميسا تبختر و (تميس الرجل) تبختر و(الميسان) المتبختر

﴿ ميسان ﴾ قال ياقوت هي كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزير النبي مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور

﴿ ميط ﴾ ماطه يميطه أبعده و(أماطه) أبعده ونحاه و (المياط) الادبار و (المياط) أيضا الاقبال

﴿ ميع ﴾ ماع يميع سال وجرى . و (ماع السمن) ذاب فهو مائع . و (أماعه)

أصاله . و (تميُّع الشيء) تسيُّل. و (المائع) خلاف الجامد و (ميْعة الشباب) أوله

﴿الميعة السائلة﴾ هي عصارة بلسمية سائلة تسمى بالافرنجية اصطركس لكيد اى الميعة السائلة ويوم قوبلم اى بلسم قوبلم وقوبلم لكيد اى القوبلم السائل ولكيدمبر اى العنبر السائل و يسمى النبات باللسان النباتي لكيد امبر اصطراسفلوا ولكيدأمبر اوريننال وهما نوعان من الجنس تخرج منهما هذه العصارة لجنسها لكيد أمبر كان موضوعا في فصيلة امتناسية والآن وضع في الفصيلة الشمعية وصفاته النباتية انه كثير الذكور وحيد الحال اى ان ازهاره المذكرة والمؤنثة على شجرة واحدة منفصلتين عن بعضهما فالازهار المذكرة يتكون منها عناقيد صغيرة متفرعة وتتركب من عدد كثير من ذكور خالية بالكلية من الكاس والتويج بل ومن الفلوس التى تكون في محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعي الورق يسقط فيما بعد والأزهار المؤنثة يتكون منها سنابل هرمية كرية مصحوبة أيضا بمحيط فلوسى مركب من ٤ وريقات وهذه الازهار ملززة جداً وملتصقة ببعضها وكأسها متسع وحيد القطعة مقطوع وغير متساوى الحافة وهي محتوية على مبيضين وحيدى المسكن وملتصقين بقاعدتيهما مع الكاس وينتهي كل منهما بطرف حاد منحنى القمة وينفتح من جانبه الباطن ويحتوى على جملة بذور ملتصقة بجدرانه ومجنحة واسم هذا الجنس مركب من كلمتين احداهما لكيد اى سائل وثانيتهما امبر اى عنبر فمعناهما عنبر سائل وهو مأخوذ من المستنتج البلسمي الخارج من انواعه الداخلة فيه

(الصفات النباتية) الازهار يتكون منها عناقيد صغيرة متفرعة فالمذكرة فيها ذكور كثيرة وخالية من الكاس والتويج بل ومن الفلوس التى تكون في محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعي الورق يسقط فيما بعد والمؤنثة يتكون منها سنابل كرية مصحوبة ايضا بمحيط فلوسي مركب من اربع وريقات وبقية الصفات كصفات الجنس المتقدمة والنوع الاول المسمى لكيد امبر اصطراسفلو شجر كبير ينبت بأمريكا الشمالية كمبلك ورجيني ورنف اونيون ويسمى

هناك شجر قوبلم واستنبت أيضا استنباتا جيداً في الاراضى المنتلة من اقليم باريس وهو بمنظره وتوريقه يشبه النبات المسمى اربل وبالاكثر الجميز المسمى بالافرنجية سيقومور ولكن اوراقه متعاقبة غالبا ذنيبية ذوات ٥ فصوص سهمية عميقة ومسننة تسنينا غير متساو وتستخرج الميعة منه بنفسها او بشقوق تعمل فيه والنوع الثاني المسمى لكيد امبر اورينتال أى المشرقي ينبت بالمشرق بالنسبة لاوروبا نحو البحر الاحمر وبلاد العرب وبلاد الاثيوبيين ويسيل منه بلسم سائل شبيه بيلسم النوع السابق ويعطى أحدهما بدلا من الآخر ويمكن ان يكون هو المسمى روزمالا أو روزمالوس الذى اكد بعضهم انه مستنتج بلسمي عليه هيئة عجين سائل يجنى من نبات سماه بعضهم بذلك وينبت بجزيرة قبرس قرب قادبس وفي طرف البحر الاحمر على ٣ أيام من السويس وينقل من هناك الي جدة ونسبه آخرون لغير ذلك مثل لكيد امبر ايطسيا والطنجيا اكسلزا من الفصيلة المخروطية قال ميروهو بعيد لان النباتات المخروطية انما تعطى تربنتينات لا بلاسم وذلك هو ما رأيناه في جنس الطنجيا لان الطنجيا اكسلز المسمى عند رمفيوس ضماراً أليا شجر من الفصيلة المخروطية ينبت في ملوك ويتصاعد من جذعه بالطبيعة أو بشقوق تعمل فيه راتينج يكون أولا رخواً لزجا ثم يتيبس على الشجر في أيام فيكون كتلا غليظة في بعض الاحيان وحينئذ يكون في بياض البلور ولكن اذا عتق اصفر كالكهرباء وقد يقطر نقطة نقطة على الارض ويتجمد عليها ويتوسخ فاذا كان هذا الراتينج سائلا كانت رائحته كرائحة الصنوبر والمصطكي واذا كان جافا لم يكن له رائحة أصلا واذا وضع على الفحم المتقد حصل منه ما يحصل من راتينجات الصنوبر وليس لهذا الراتينج استعمال طبي ولكن ذكر رمفيوس انه يمكن استعماله في تلحيم الجروح وفي جراح القدمين ونحو ذلك وانما يخدم في ملوك لطلاء السفن ولذا كان موضوعا لمتجر كبير ويسمى بلسان الملسيزيين ضمارابوتي أى الراتينج الابيض فعلم من ذلك انه لا يصح نسبة الميعة لجنس الطنجيا الذى هو من الفصيلة المخروطية ثم قال وقد اوصل لنا

بعض العلماء انموذجا من عصارة بلسمية ثخينة لزجة قوية الرائحة جداً ورائينجيتها أقوى من ذكاوتهـا وهي في مصر مسماة باسم عصارة العنبر السائل (شك لـكيد أمبر) ويمكن كونها ناتجـة من روزمالا قل وحيث أنها عتيقة جداً تحولت تقريبا الى دهن شحمي وذلك تنبيريحصل كثيراً في الرائينجيات كاشـاهد حصول ذلك في رائينج الصنوبر

(الصفات الطبيعية الميعـة السائلة) هي ثخينة في قوام العسل فاذا كانت جديدة نقية كانت قليلة التلون ولذلك هي تسمى بالعنبر السائل الابيض وقد تكون سنجابيـة مسمرة معتمة ورائحتها ذكية هي رائحـة الحمـض الجاوى قابلة للانتشار وطعمها مر حار عطرى غير حريف أو فيه بعض حرافة وهذا المستنتج صار الآن نادر الوجود بل لا يوجـد أصلا في المتجر و يستخرج منه بالتصفية أو بالعصر الجزء الاكثر سيلانا المسمي بدهن العنبر السائل فاذا تيبس هذا البلسم وذلك يحصل فيه مع طلوع الزمن صمي براتينـج قد يلم وهو غـير الرائينج المسمي راتينج قو بال اما في أمريكا الشمالية فلا يخرج منه بلسم وأنما تفلى أغصانه وتجمع فى المادة التى تسبح عـلي الماء فتكون هو القو بلم الاسود عند بعض الصيادلة وتعطي احيانا باسم عصارة اصطركس أو فسنال أى العلى أى المسمي اصطوركس و يسهـل حصول هذا الغلط اذا كان المستنتجان متحدين في التركيب والخواص ولكن الاصطيركس الصـادق هو الذى بامريكا وأما الاصطوركس فبأوربا وهناك مستحضر من هذا الاخير يظهر كونه صناعيا ويأتي من البلاد الشرقية مسمي بالاصطوركس السائل وهو ناتج من اذابة الاصطوركس في الدهن اوفي النبيذ مخلوطا بالتربنتينا واعتبره بعضهم ناتجا من اغلاء أغصان وفروع الاصطيركس العلى حيث يفعل ذلك بالبلاد الشرقية و يقوم مقام العصارة النقية التي لا تعرف الآن لهذه الاصطركس العلى وانما الموجود عصارة صلبة هي المسماة بالميعة اليابسة

(الصفات الكيماوية) هي مركبة من دهن طيار ورائينج واصطراسين وحمض سينا ميك بالدهن الطيار المسمي اصطيرول لم يكن متكونا الا من كربون وايدروجين وهو سائل يعطي مع الحمض النترى

مستنتجات غريبة من جملة ناتج أزوتي طيـار حريف كالدهن الطيـار الخردل والراتينج مركب من راتينجين أحدهما صلب والآخر رخو وربما كان هذا الرخو شبيها بالسينامئين وأما الاصطراسين فاكتشفه بونسطر ودرسه الا كثر سيمون وهو يكون علي شكل ابر جميلة مستطيلة بيض تميع في ٥٠ درجة وهي مركبة من ٢٤ من الكربون و ٤١ من الادروجين و ٢ من الاوكسيجين وهو لايذوب في الماء ويذوب في ٣ غرامات من الكؤول المغلي و ٢٢ من الكؤول البارد ويذوب في ٣ غرامات من الاثير واذا ضم الحمض النترى حصل مثل مايحصل من الحمض سيناميك الذى يشبهه كثيرا ويعطي من مستنتجاته الحمض سيانهدريك وادرور البنزويل وهو مع القلويات الكاوية يتغير الي رتينج وحمض سيناميك وزيت ثقيل سماه سيمون اصطراقون يغلي في ٢٢٠ ورائحته كرائحة الورد مقبولة أو الوز أو القرفة و يحتوى هذا الزيت علي ٩ من الاوكسيجين في المائة و ينال الاصطراسين بأن يقطر البلسم مع كربونات الصودا ليستخرج الدهن الطيار ثم يغسل الراتينج بالماء ويذاب في الكؤول فاذا قطر ذلك الي ثلثيه رسب الاصطراسين النير النقي بالتبريد فيغسل بالكؤول ثم يذاب في الاثير ثم يبخر الاثير ويذاب ثانيا حاراً في الكؤول ليحصل من ذلك بالتبلور الاصطراسين

(الاستعمال) الميعة السائلة الصادقة المسماة أيضا بلسم قو بلم فيها خواص البلاسم عموما فهي منبهة للمجموع المخاطي فتعطي في النزلات المزمنـة في الصـدر والامعاء والطرق البولية ونحو ذلك فيكون ذلك الجوهر مقويا للمعدة ومنبها للعرق والبول وكثيراً مايستعمـل من الظاهر وضعيات في مستحضرات مرهمية فيوضع علي الجروح الغنغرينية النتنـة الرديئـة الطبيعة ونحـو ذلك وكان العطريون يستعملونه سابقا وسموا دهنـه العطرى . كذا ذكر ميرو وقال بوشرده استعمل هيرتيير الاصطيركس السائل في ليقوريا النساء والبلينوراجيا أى السـائل الزهرى بدل بلسم القوبار فجهز منـه بلوعا سنذكرها أى فجعل منافع هذا الجوهر كنافع بلسم القوبار . وذكر أطباء العرب أن هـذه الميعة حارة طيبة الرائحة تدخل في الطيب

وفيها قبض وتجفيف وقيل انها تسخن وتنضج وتلين وتشفي السعال والزكام وفيها جميع ماقلناه عنهم في الميعة اليابسة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يلزم قبل استعمالها من الباطن تنقيتها بتصفيتها من خرقة مثلا وبلوع الاصطركس تصنع بأخذ المقدار المراد من الاصطركس السائل النقي والمقدار الكافي من مسحوق عرق السوس ويحبب ذلك حبوبا كل حبة من ٣٠ الي ٤٠ سنتي غرام يستعمل منها ٦ في اليوم ٣ في الصباح و ٣ في المساء وقد يصل المقدار في اليوم الى ١٢ وأوصى لوباج بتجهيز هذه الحبوب بأخذ ثمن من المغنيسيا المكلسة تجمع مع البلسم المذكور علي حمام مارية مدة نصف ساعة وشراب الاصطركس يصنع بأخذ غرامين من الاصطركس النقي و ٥١ من الكؤول الذى في ٤٠ درجة من الكثافة و ٦٠ جزءاً من السكر و ٣ من مسحوق الصمغ العربي فيذاب الاصطركس في الكؤول ثم يصب المحلول مغليا ويرشح علي السكر ثم يجفف في محل دفيء ثم يسحق السكر ويذاب في ٣٠٠ غرام من الماء علي حمام مارية ثم يضاف له الصمغ العربي المذاب في ٥٠ غراما من الماء ويصفي. وهذا الشراب منظره كنظر المستحلب ويحتوى كل ٢٠ غراما منه علي ٣٠ سنتي غرام من اصطركس كذا قال لوباج وجهز هرتيبر شراب الاصطركس بهضمه في الماء . قال سوبيران وأنا أختار التركيب الذى ذكره لوباج لأن شراب الاصطركس ليس شرابا مقبولا للالتذاذ لانه يحتوى علي مقدار كبير من الراتينج وبالضرورة يكون أقوى فاعلية وأما طلاء الاصطركس ففي بوشرده يصنع بأن يذاب علي نار لطيفة ١٠ غرامات من القلفونيا و ٨ من راتينج اللامي و ٨ من الشمع الاصفر ثم يضاف علي ذلك مع الاحتراس ٨ من الاصطركس السائل ثم ١٢ غراما من زيت الجوز ثم يصفي ويحرك الي أن يبرد ويتمرهم ويستعمل هذا المرهم بجذفا وكثيراً مايجمع أيضا مع مرهم جالينوس ولودنوم شيدنام وتركيب هذا الطلاء فى سوبيران يختلف عن ذلك فانه قال في تركيبه يؤخذ من القلفونيا ٤ غرامات ومن كل من راتينج اللامي والشمع الاصفر والاصطركس السائل غرامان

ومن زيت الجوز ٣ غرامات ثم تمزج القلفونيا وراتينج اللامي والشمع مع بعضها في قدر فتذاب علي نار هادئة ثم يضاف لها الاصطركس السائل ولكن مع غاية الاحتراس خوفا من نتائج شدة الغلي حيث ينتج تبخير ماء الاصطركس اذا كان المخلوط الراتينجي شديد الحرارة فاذا ذاب الاصطركس يضاف له زيت الجوز ثم يصفي من خرقه ويحرك الطلاء حتى يقرب البرودة فيحصل علي سطح الطلاء الاصطركى شبه قشرة ناشئة من تخن زيت الجوز في الطبقات السطحية بسبب الخاصة المجففة في هذا الزيت وتفصل هذه الطبقة اذا أريد استعمال الطلاء وأما الميعة المنقاة المتجمدة فتضم بأخذ ١٢٠ غراما من الميعة المنقاة و ١٠ غرامات من الكلس المائي بزجاج ويسخنان مدة ساعة علي حمام مارية ويعمل ٢٤٠ بلمة ويصح أن يستعمل منها كل يوم من ٥ الى ٢٠ بلمة في البلينوراجيا (أنظر المادة الطبية)

﴿ الميعة اليابسة ﴾ لفظة ميعة اسم عربي مشتق من الميعان لانه اذا أطلق فانما يراد به السائلة وتسمى هذه العصارة أيضا اصطيرك بضم الطاء وكسرها وهو اسمها بالافرنجية ويسمي النبات الخارجة منه بالعربية لبنى بضم اللام وسكون الياء باللسان النباتي اصطرك اوفسنالس والاسم العامي عند الاوربيين اصطوركس أواصطيركس قلاميت وباللسان الاقرباذيني اصطيرك قلامينا ويقال له أيضا البيوفيبر والبيوصيبر واصطيركس فجنسه اصطيركس أو اصطوركس عشرى الذكور أحادى الاناث من الفصيلة الميعية أو الآبنوسية

(الصفات النباتية للنوع المذكور) هو نبات ينبت في بروونسة وايطاليا واسبانيا وبلاد الروم واليونان وآسيا الصغرى ومعظم بلاد الشرق بالنسبة لاوربا كما يوجد أيضا في جنوب فرنسا ويألف المحال اليابسة قال ريشار ويعلو من ١٥ قدما الي ٢٥ ويتنوع بفروع أوراقها متعاقبة بيضاوية كاملة ذنيبية رخوة زغبية الوجهين وصبا من الاسفل حيث تكون بيضاء قطنية . وقال ميرمان الاوراق قطنية مبيضة من الاسفل وخضر من الاعلي وتشبه أوراق السفرجل والازهار بيض عنقودية .وقال ريشار الازهار بيض

تنضم ٣ أو ٤ مع بعضها في طرف الاغصان وهي في العظم والشكل كأزهار البرتقال وكأسها قصير يقرب لان يكون دنى الشكل والتويج ذو ٥ أو ٦ فصوص ضيقة والذكور يختلف عددها من ١٠ الي ١٦ وأعصابها وحيدة الاخوة من قاعدتها والثمر كرى في غاظ ثمر الكرز وغلافه الخارج جاف قطنى ذو مسكن واحد يحتوى علي بزور من ٢ الي ٤ يختلف شكلها جداً فيستخرج من جذعه بالشقوق في البلاد الحارة من آسيا الصغرى وجزائر اليونان عصارة تتجمد فتسمي بالميعة ولا يستخرج منه شيء بفرنسا انتهي. قال ميره ذكر دوماميل أنه رأى سيلان هذه العصارة من شجرة موضوعة في منتربو بفرنسا وذكر برنار جوسيو انها تتفرز مما سماه لينوس لكيد أمبر أور ينتال أى المشرقي وهو رأى غير مختار أصلا ولا يشتبه هذا النبات بشجر الميعة السائلة الذى سماه لينوس لكيد أمبر اصطيراسفلو وصنذكره ومع ذلك نقول كما قال جيبور ندرة هذا البلسم تقل موافقتها مع كثرة الشجر المنتجة له حيث يكثر طبيعة بإيطاليا الي برونسة وهذا ربما أوقعنا في الشك في أصل هذا البلسم وسبا ان جوسيو نسبه لغير النبات المذكور وقال ميره في الذيل ينبغي تمييز النبات المسمى بالافرنجية الببوصيير عن المنتج العصارة السائلة اى أن المسمي لكيد أمبر اصطراسفلو فالبلسم المسمي اصطبركس أو فستال أى الطبي هو المسمي اسطوركس والآن قد تشكك جوسيو في الاسطوركس الآتى من هذا الشجر ولم يوضح هذا التشكك ثم أن الاسطبركس الشبكي والحديدى والذهبى التى تنبت في اقليم بابا وفي البريزيل تعطى راتينجا بلسميا يقرب كثيراً لما يخرج من الاصطبركس الطبي في الرائحة والخواص ويتسلط علي قشورها حشرات معروفة الانواع فتخزها فيسيل البلسم منها نقطة نقطة تجمعه الاهالى مع الاحتراس وتستعمله في الكنائس ويوضع في الصوقات المقوية وغيرذلك. كذا نقل ميره عن مرتيوس ولاطبائنا كلام فيه أيضا ومنهم من يميل ايضا الي انهما من شجرة واحدة فقد نقلواعن ديسقوريدس أن الميعة السائلة هي دسم المر الطوسي المستخرج بالعصر والميعة اليابسة هي الاصطرك ويقال لها

بالسريانية سطركا وهو صمغ شجرة كالسفرجل وهو ضرب من الميعة أشقر الي البياض دسم طيب الرائحة شبيه بالراتينج أى صمغ الصنوبر الي آخر ماقالوا. وقال اسحق بن عمران الميعة شجرة جليلة لها خشب يشبه خشب التفاح ولها ثمرة بيضاء أكبر من الجوز ويؤكل الظاهر منها وفيه مرارة التى في داخل النوى دسمة يعتصر منها دهن وقشرها هو الميعة اليابسة ومنه تستخرج الميعة السائلة وصمغ هذه الشجرة هو اللبنى وهو ميعة الرهبان وهو صمغ أبيض شديد البياض وهو العبهر وهو لبنى الرهبان. وقال أبو جريج الراهب الميعة صمغة تسيل من شجرة تكون ببلاد الروم فمنها مايخرج منها بنفسه ومنها مايؤخذ بالطبخ وقد يعتصر من لحاء تلك الشجرة فما عصر يسمي ميعة سائلة والثخين هو الميعة اليابسة. وقال صاحب المنهاج الميعة السائلة هي اللبنى والرطبة منها ماتتحلل بنفسها صمغا ومنها مايستخرج الطبخ الحاء وتلك الشجرة والمتحلب بنفسه أصفر والمستخرج بالطبخ أسود والثفل الثخين هو اليابسة وقال في مبحث لبنى: اللبنى هو الميعة السائلة ويقال لعسله السائل عسل اللبنى فقد علمت أن معظمهم يميل الي أن اليابسة والسائلة يستخرجان من شجرة واحدة وهو خلاف ماعلم الآن عند محققي النباتيين

(الصفات الطبيعية للميعة اليابسة)

ميزها جيبور الي ٣ أنواع الأول الاصطوركس الابيض وهو حبوب بيض معتمة كبيرة الحجم رخوة منضمة مع بعضها الى كتلة وحيدة بسبب التصاقها بنفسها ولرخاوتها تتشكل بشكل انائها وتشبه حينئذ الابيض القناوشق الكتلي ورائحة هذا النوع قوية ذكية وطعمه عذب عطرى وينتهى بصيرورته مرا والثاني الاصطوركس اللوزى وهو كتل جافة قابلة الكسر مكونة كالسابق من حبوب ملتصقة ببعضها وتتشكل مع الزمن بشكل الاواني الحاوية لها ومكسرها يوجد في عمقه الأسمر حبوب لوزية الشكل بيض مصفرة وذلك يعطيها شبهاً بالقناوشق الجيل العتيق والاجزاء السمر التى مع الزمن تسيل وتملأ الخلو الذى بين الاجزاء السفلي الكتلة وجدار الاناء يتكون منها طبقة زجاجية شفافة حمراء

زاهية ورائحته أشد ذكاء وتشبه رائحة الفانيلا وطعمه أحلي من النوع السابق فهو في ذلك أعلي من البلاسم الاخر والثالث

الاصطوركس الاحمر المسمر وهو كتل مختلطة بنشارة من الخشب وفيها بعض لزوجة وتلين تحت الاسنان ولونها أحمر مسمر وطعمها عذب ورائحتها مقبولة جداً وهي أقل قوة من الاول وتنبدر فيها حبوب

محرة وأما ميره فجمل الانواع ٣ أيضا باعتبار الاشكال التى توجد بالمتجر أولها الحبوبي وهو معروف من مدة طويلة وثانيها الشبكي لكونه يحفظ شبكات وهو الافقي وقلما كان نادراً وهو القلاميت ويكون قطعا يختلف

حجمها ولونها الاشقر مسود وهي لامعة جافة سهلة الكسر نصف شفافة في الجافة وسهلة التفتت خفيفة شديدة العطرية من رائحة الجاوى أو الفانيلا وتلين تحت الاسنان وطعمها مرراتينجى ويحترق مع شعلة خفيفة وثالثها هو القرمي وهو أكثر سواداً ووساخة ومعتم في جميع أجزائه وأقل عطرية وقال في أنواع جيبور ان أحدها أبيض وهذا لانعرفه وربما كان هو الحبوبي وثانيها اللوزى وهو

القلاميت وحجمه كالرز وثالثها الاحمر المسمر وهو المعروف بالمتجر بالاحمر ونقل ميره أن مرتيوص جعل اصطيركس البريزيل ٣ أنواع أحدها اصطيركس أوريوم أى الذهبى وثانيها فيروجينوم أى الحديدى وثالثها ريطقولا نوم أى الشبكي وذكر أن الانواع الثلاثة تجهز بالشق في القشر مثل مايجهز من اصطوركس أو فسنالس أى العابى ولتعلم أن الموجود الآن بالمتجر بكثرة هو الاصطوركس الاحمر الذى هو عصارة الشجر المعروفة ونشارة خشبها حيث يجهز ذلك في البلاد المشرقية ويباع بثمن مرتفع وأما المصنوع في بعض البلاد من النشارة والجاوى العام ويباع بثمن واه فردى‌ء

(الخواص الكيماوية) هذه الميعة مستنتج نباتي من طبيعة البلاسم أى تحتوى على حمض جاوى ولم يقم لها تحليل صحيح لكن من المعلوم كونها مركبة من الحمض الجاوى ومن راتينج وصمغ ودهن طيار وقاعدة زيتية ثابتة واذا وضعت في الماء صيرته لبنيا ووصلت له رائحتها وهي تذوب في الكؤول وغير ذلك

(الاستعمال) هذا الدواء منبه ولاسيما

للاغشية المخاطية ومقو فيشبه الراتينج في فعله وكان سابقا يستعمل في الربو الرطب وبحة الصوت والسعال المستعصي والاحتقانات الرئوية بل والسل وأوصوا به في الامراض العصبية المختلفة وفي غير ذلك ومدحها مورطون بالاكثر في شفاء قروح الرئتين ولكن المشاهدات لم تؤكد ذلك غير أن عدم قابلية الداء للشفاء تكفي عذراً لعدم تأثيره فيه لأن شفاء مثل هذا الداء بمحض تأثير الله وكانوا يستعملونها تبخيراً في الاوجاع الروماتيزمية في أى محل كان من الجسم وفي الصداع وفي الرعاف وبعض أحوال من عسر التنفس ونحوه كما تستعمل كذلك من الباطن أيضا فكانوا يعرضون الاطراف التى هي بمجلس تلك الآفات لبخار هذا الجوهر المقذوف على الفحم المتقد ولكن الآن ترك استعماله. وتدخل الميعة في الترياق و ثروذيطوس وديسقرديون وغير ذلك ويعطر بها كثير من المركبات كالشكولاتا ونحوها بدل الفانيلا التى هي غالية الثمن وبالجملة هي من المعطريات والطيوب التى كانت كثيرة الاستعمال وسيما في الثياب. والمشرقيون يكثرون

التبخير بها وكانوا يحنطون بها موتاهم وفي كتب أطباء العرب عن جالينوس انها مسخنة ملينة منضجة فلذا تشفي السعال والزكام والنوازل والبحوحة وتدر الطمث شربا وحمولا وتدخينا وقد تحرق فيؤخذ منها دخان كدخان الكندر ومن ديسقوريدس نحو ذلك وأنها اذا شربت أو احتملت وافقت انضمام الرحم والصلابة العارضة فيها وأدرّت الطمث واذا ابتلع منها شيء يسير مع صمغ البطم لينت البطن تليينا خفيفا وتخلط ببعض المراهم المحللة وبالادهان للأعياء وتعجن بها ضمادات النقرس والمفاصل فيقوى عملها وان طبخت بالزيت ومرخ بها دفعت الاعياء والنافض والرعشة والخدر والكزاز مجرب وتنفع أمراض الاذن قطوراً والرياح الغليظة والاستسقاء والطحال والكلي والمثانة وأوجاع الظهر والوركين والجذام وان استحكم مطلقا ولو بخوراً ورائحة بخورها تقطع رائحة العفونة كيف كانت وتنفع من الوباء

(المقدار وكيفية الاستعمال) مقدارها عند المتأخرين من ٥٠ سنتي غرام الي غرامين بلوعا أو حبوبا ويصنع شرابها

بجزء منها و١٦ من الشراب والاستعمال
من ٦٠ غراما الي ١٠٠ في جرعة امامن
الظاهر فيؤخذمنها جزآن ثلاثة أجزاء من
الزيت فيكون طلاء جيداً (المادة الطبية)

﴿أبو الفضل الميكالي﴾ هو عبد
الرحمن بن احمد بن علي بن اسماعيل بن
عبد الله بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد
ابن جبريل بن القاسم بن بكر بن صور بن
صور بن صور بن صور أربعتهن الملوك ابن
فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور أبو الفضل
الميكالي

مات يوم عيد الاضحي سنة ست
وثلاثين وأربعمائة كان أوحد خراسان
في ذلك العصر أدبا وفضلا ونسبا وحسن
خلق مليح الوجه والشمائل كثير القراءة
دائم العبادة زكي النفس سمع بخراسان
من الحاكم أبي أحمد الحافظ وأبي عمرو
ابن حمدان وعقد له مجلس الاملاء وأبوه
مشهور جليل القدر

وله من التصانيف كتاب المنتحل
وكتاب مخزون البلاغة وديوان رسائله
وديوان شعره وكتاب ملح الخواطر ومنح
الجواهر ومن شعره :

اذا ماجاد بالاموال ثنى
ولم تدركه في الجود الندامة
وان هاجت خواطره بجمع
لريب حوادث قال الندامة

وقال أيضا :

مبدع في شمائل المجد خبا
ما اهتدينا لاخذه واقتباسه
فهو فيض بالمال وقت نداه
وجواد بالعفو في وقت باسه

وقال :

الارب اعداء لئام قريتهم
متون سيوف أرصدور عوالي
اذا كلبهم يوما عوى لي رميته م
بكلب اذا عاوى الرجال عوى لي

وقال أيضا رحمه الله تعالي:

عجبت لوغد قد جذبت بضبعه
فأصبح يلقاني بتيه و بيسما
يريد مساماتي ومن دونها السما
وكيف يباريني سمواً وبي سما

وقال :

لقد راعني بدر الدجي بصدوده
ووكل أجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي
ويا كبدي صبراً علي ما كواك به

وله :

صلي محباً أعياه وصف هواه
فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما راقه سواك تصدت
مقلتاه بدمعة ترجمانه

وله :

ياذا الذي أرسل من طرفه
عليَّ سيفا قدني لوفرا
شفاء نفسي منك تخميشة
تغرس في خدك نيلوفرا

وقال :

أما حان أن تشفي المستهام
بزورة وصل وتأوى له
يجمجم عن سؤله هيبة
ويعلم علمك تأويله

وله :

سقيا لدهر جرى والوصل يجمعنا
ونحن نحكي هناك شكل تنوين
فصرت اذا علقت نفسي حبائلكم
بسهم هجرك نرمي ثم تنوبني

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

ان كنت تأنس بالحبيب وقربه
فاصبر علي حكم الرقيب وداره
ان الرقيب اذا صبرت لحكمه
بوئت في مثوى الحبيب وداره

وقال :

شكوت اليه ما ألاقي فقال لي
رويداً ففي حكم الهوى أنت مولي
فلو كان حقا ما ادعيت من الهوى
لقل بما تلقي اذاً أن تموت لي

وقال :

ومعشوق يتيه بوجه عاج
شبيه الصدغ منه بلا مزاج
اذا استقيته راحاً سقاني
رضابا كالرحيق بلا مزاج

وقال :

ظبي بحار البرق في بريقه
غنيت عن ابريقه بريقه
فلم أزل أرشف من رحيقه
حتى شفيت القلب من حريقه

وقال :

ان لي في الهوى لسانا كتوما
وجنانا يخفي حريق جواه
غير أني أخاف دمعي عليه
ستراه يفشي الذي ستراه

وقال :

تمرق قلبي في هواه فمنده
فريق وعندي شعبة وفريق
اذا طمئت نفسي أقول له اسقني
وان لم يكن راحا لديك فريق

وقال :

أحدت جفونك للفؤا
د من الغرام بلابلا
فالشوق منه بلا مدى
والوجه فيه بلابلا

ومن شعره رحمه الله تعالي :

روض يروض هموم قلبي حسنه
فيه لكاس الهو أى مساغ
ان تنثنى قضبان ريحان به
حيث يمثل سلاسل الاصداغ

ومنه :

تصوغ لنا كف الربيع بدائما
كعقد عقيق بين سمط لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت
خدود عذارى نقطت بغوالي

وقال في اقتران الزهرة والهلال :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا
تحت هلال لونه يحكي اللهب
ككرة من فضة مجلوة
أوفي عليها صولجان من ذهب

وقال في طلوع الفجر :

أهلا بفجر قد نضا ثوب الدجي
كالسيف جرد من سواد قراب
أو غادة شقت أزاراً أزرقا
مابين ثغرتها الى الاقراب

وقال :

يامهدياً لي بنفسجاً أرجا
يرتاح قلبي له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه
بأن ضيق الامور ينفسح

وقال في ذمه :

يامهدياً لي بنفسجاً سمجا
وددت لو أن أرضه سبخ
بشرني عاجلا مصحفه
بأن عقد الحبيب ينفسخ

وقال :

ومدامة زفت الي سلسال
تختال بين ملابس كالآل
قدنا لها حق اذا ما افتضها
بالمزج أمهرها عقود لآل

التزم الميكالي الجناس في كل ماتقدم وهذا النوع من البديع يضطر صاحبه التكلف كما رأيت

وقال أيضا :

لنا صديق يجيد لقا
راحتنا في أذى قفاه
ماذاق من كسبه ولكن
أذى قفاه أذاق فاه

⟪ ميكائيل ⟫ اسم ملاك كريم (انظر ملك)

⟪ الميكروبات ⟫ هذه الكلمة تطلق علي أجسام حية غاية في الدقة ولا ترى الا بالآلات المكبرة للمرئيات ، وهي مكونة من خلايا مستديرة أو مستطيلة أو معقدة وغير ذلك . هذه الكائنات بين حيوانية ونباتية توجد في كل مكان وتنمو اذا وافقتها شروط الحياة نموا مدهشا حتى لقد يصل نسل الواحدة منها في أربع وعشرين ساعة الي نحو خمسة تريليونات وهو عدد يكاد لا يعقل ولكنه هو الواقع كما دلت عليه أبحاث المجربين . ولولا أن العوامل الطبيعية من الضوء والبرودة والحرارة مبيدة لهذه الكائنات لملأت بتكاثرها الارض في عشية أو ضحاها . وهي تسمي باسماء مختلفة مثل خمير وبكتريا وباسيل وميكروكولوس وبروزوييت ولم يتفق علي تسميتها باسم من هذه الاسماء لعدم استيعاب واحد منها الصفات المميزة لهذه الحيوانات الدقيقة ولكن يظهر أن كلمة ميكروب تغلبت علي مناظراتها وانتشرت بين رجال العلم وهذه الكلمة اقترحها الدكتور صديو في مجمع العلماء الفرنسي في سنة (١٨٧٨)

هذه الكائنات رغما عن دقتها لها أثر كبير في عالم الاحياء فهي منتشرة في الهواء والماء وعلي سطح الارض وفي باطنها وفي باطن الحيوانات دائرة في دمها . وهي أسباب التخمر وتحلل الاجساد الحية فلولاها لما تخمرت مادة ولا تعفنت جثة ولا تحللت مادة عضوية . ولا يخفي أن التخمر والتعفن والتحلل من ضروريات عالم الكون والفساد ولولاها لوقفت حركة تبادل المادة وهلك العالم الحي كله وباد . فهذه الميكروبات اذن ضرورية للحياة وان كان منها ماهو العامل الاول في توليد الامراض المعدية ونشرها علي سطح الارض وقد ثبت الآن أن العدوى ليست بشيء غير انتقال هذه الحيوانات من جسم المصاب بواسطة مبرزاته من بصاق وعرق وبول وغائط الي جسم آخر فتصيبه بذات المرض الذى أصيب به الاول . فكان اكتشاف هذا السر

سبباً عظيما لتوقي الامراض المعدية بسبب التحوطات الصحية . وقدكان هذا السر محجوبا عن القدماء حتى عن الذين كانوا عائشين في مقدمة النصف الثاني من القرن التاسع عشر فكان اذا حل بأمة طاعون أو كوليرا أو نوع من الحميات الخبيثة انتشر بسرعة بين أفرادها فاجتاح الملايين منها وربما انتشر فيما يجاورها وبعد عنها من البلدان محمولا علي بضائعها فأحدث فيها عين الاثر الذي يحدثه في البلاد التي ظهر فيها

فلما جاء العلامة باستور في النصف الأول القرن التاسع عشر ودرس خصائص هذه الحيوانات وحذا حذوه كوخ في ألمانيا وتندل في انجلترة وغيرهم أدركوا سر حياة هذه الكائنات واطوار نموها وعوامل ابادتها وميزوا بين أنواعها واستطاعوا بهذه المباحث ايجاد المطهرات التي تبيدها فأفادوا النوع البشري فوائد عظيمة بل كانوا سبباً لنجاة حياة عدد لا يحصي من الناس

وأهم ماعرفوا أن الرطوبة والحرارة المعتدلة تساعد علي نموها وزيادة تكاثرها وتفاقم شرها ، وعلموا أن بعضها يحتاج في معيشته الي الهواء ، والبعض الآخر لايعيش الا بمعزل عنه . وان الضوء والشمس من مبيداتها العظيمة . وتحققوا أيضاً أن وجود بعض الميكروبات يعيق نمو البعض الآخر أو يبيده فأسسوا علي هذه المعلومات الثمينة فنونا من التحوطات الصحية ، وأصولا من الوسائل العلاجية كان لها أعظم تأثير في حفظ الصحة العامة

أحسن أثر في اكتشاف هذه الحيوانات ظهر في الأعمال الجراحية فان الجروح كانت لاتبرأ الا بصعوبة بسبب تكاثر الميكروبات فيها وعدم معاملتها بما يزيلها فكانت الجراحة تعجز عن أداء وظيفتها بسبب تعفن الجروح وتسممها . ولكن لما اكتشف هذا الحيوان أمكن الجراح أن يعمل عمله بكل طمأنينة فيفتح في الجسم الانساني فتحات تختلف اتساعا وعمقا علي حسب مايهديه اليه العلم وهو آمن شر هذه الآفات بتسليطه عليها المطهرات من محلول السليماني وماء الاوكسيجين وغيرهما فتبيد تلك الميكروبات وتندمل الجراح بعيدة من الأخطار والمعاطب

وكان اكتشاف هذه الميكروبات ومعرفة أطوارها سببا في اختراع عدة أنواع من المصل تحقن في الدم فتساعد البنية علي قتل ما انتشر في الدم من الميكروبات . وقد أسس مصل الدفتيريا ومصل الجدري ومصل الحمي التيفودية علي هذه النظرية وقد اكتشف حديثاً مصل (٦٠٦) لابادة الميكروبات الزهرية وما يدرينا ماذا تولده القرائح من أنواع المصل لمثل التدرن والسرطان وغيرهما من آفات النوع البشري (انظر تاريخ اكتشاف الميكروبات في الفصل التالي)

الميكروبيولوجيا هو علم الميكروبات يبحث من حياة الميكروبات وأطوارها وعوامل وجودها وابادتها وخصوصا فيما يتعلق بصحة النوع الانساني وصحة الحيوانات والنباتات . وهذا الاسم مرادف لكلمة بكتريولوجيا (انظر هذه الكلمة في حرف الباء) ولكنه أعم منها لانه يشمل من أنواع هذه الكائنات مالا تشمله البكتريولوجيا

اكتشفت الميكروبات عقب صنع الميكروسكوب أي النظارة المعظمة للمرئيات فان العالم (لوونهيك) اكتشف بميكروسكوبه الناقص الذي صنعه من سنة (١٦٧١) الي(١٦٩٥) كشف عدداً عظيما من هذه الاحياء الدقيقة ونبه ان هذه الميكروبات أكثر ما توجد في الاسهال. وبعد هذا التاريخ بقرن أي في سنة (١٧٧٣) تكمل الميكروسكوب وصار جديراً باسمه فاكتشف مولر أنواعا كثيرة من هذه الحيوانات ونشر فيها كتابا . ولما أصدر العلامة أهرنبرغ سنة (١٨٣٢) كتابه علي الميكروبات حدث انقلاب عظيم في هذا العلم ارتفع به الي درجته الحالية فانه وصف هذه الكائنات وصفا دقيقا وأتي علي أكثر حالاتها وأطوارها . وعقبه كوهن سنة (١٨٥٣) ونوجلي سنة (١٨٦٠) فاتيا بمعلومات ثمينة علي هذه الكائنات زادا بها علم الميكروبيولوجيا زيادة تذكر

الي هذا الحين لم يتقدم أحد لدرس هذه الكائنات من وجهة التاريخ الطبيعي ولم يتعرض لوجهة الطبية أحد . فلما جاء العلامة (باستور) سنة (١٨٦٢) والاستاذ كوخ سنة ١٨٧٦ بحثا في هذه الحيوانات من وجهة احداث التخمر ووجهة انتشارها في الهواء الجوي وقررا بذلك ان هذه

الحيوانات علاقة عظيمة بالا راض الانسانية

في هذا الحين كان في فرنسا العالم (بوشيه) زعيما القائلين بتولد الاحياء تولداً ذاتياً فناقضه باستور قائلا لا يتولد الحي الا من حي مثله وان مايشاهد من تولدها بذاتها خطأ سببه الغفلة عن هذه الميكروبات المنتشرة في الهواء فاحتدم الجدال بين هذين العالمين عدة سنين وقف العالم كله بأزائهما وقفة المتفرج ثم انتهى الامر بفوز باستور على خصمه وكان ذلك في مصلحة العالم من كل وجه

وقد سلك باستور لاثبات قضيته طريق التجارب العملية فأخذ مقداراً من مرق اللحم وهو السائل الذي تتسارع اليه الميكروبات وتتعفن بسرعة فملأ به قنينة وسدها سداً محكما بحيث لا يصيبها الهواء وترك مقداراً آخر معرضاً للهواء و بعد أيام فتح القنينة وبحث فيها من المرق فلم يجد به أثراً لتلك الكائنات و بحث المرق المعرض للهواء فوجده مشحونا بها فثبت له ان الهواء هو سبب ذلك التعفن بما فيه من تلك الاحياء ، وان الحي لا يتولد الا من حي مثله

ثم أخذ عدة قناني من المرق مقفلة باحكام وانتقل بها الى أمكنة متباعدة فتح في كل منها قنينة ثم عاد بها وفحصها فوجد في كل قنينة نوعا من الميكروبات من جنس النوع المنتشر في الجو الذي فتحت فيه فثبت له بدليل لا يقبل النقض ان الحي لا يتولد بذاته وان هذه الميكروبات التي كان يظنها بوشيه متولدة بذاتها في الجسم أو في المواد المتعفنة بواسطة التعفن انما تولدت من الميكروبات المنتشرة في الهواء بدليل ان المرق وهو أسرع السوائل تعفنا وشمولا للميكروبات لو عزل عن الهواء لم تتولد فيه تلك الاحياء

وفي هذا الوقت نفسه بين (داڤين) سنة (١٨٦٤) ان المرض الفحمي يتولد من بكتريا تتولد في جسم الانسان والحيوان فدخل هذا العلم بهذه الاكتشافات في دور جديد وأخذ العلماء يبحثون فيه من الوجهة العلاجية فجاءت ابحاث (ابيرث) على ميكروبات الحمى التيفودية سنة (١٨٧٠ — ١٨٨٠) و (كوخ) على ميكروبات التدرن والكوليرا سنة (١٨٧٨ — ١٨٨٣) و (ليسير) على ميكروبات البلينوراجيا سنة (١٨٧٩)

و (فريدلاند) سنة (١٨٨٣) و (تلامون) و (فرانكل) سنة (١٨٨٦) على العوامل المولدة للبنومونيا و (لوفر) على الميكروبات المولدة للدفتيريا سنة (١٨٨٤) ونيكولاييف على ميكروبات التيتانوس سنة (١٨٨٤) جاءت كل هذه الابحاث دالة على الاندفاع العظيم الذي ظهر به العلماء لادراك فعل الميكروبات في البنية الانسانية ووسائل التوقي منها

لما ظهرت هذه المباحث وبدت نظرية تأثير الميكروبات في احداث الامراض انبرى لدحضها كثيرون من جلة العلماء الطبيين فاحتدم القتال بين الفريقين عشرين سنة ثم انتهى بفوز القائلين بنظرية الميكروبات فوزاً حاسما نهائيا وثبت بكل دليل محسوس ان الميكروبات سبب أكبر العاهات الانسانية

ونحن هنا لا يجوز لنا أن ننتقل من هذا البحث حتى نبين الدور الاخير الذي وصلت اليه نظرية تأثير الميكروبات في البنية الانسانية فنقول :

لما اكتشف العالم (داڤين) ميكروب المرض الفحمي في دم الحيوانات كان العلماء يظنون ان الضرر الذي يحيق بالبنية من تأثير هذه الميكروبات ينحصر في امتصاصها المصل الدم فيقع المصاب في ضعف يعرضه لكل أنواع العاهات . ولكن اذا صدقت هذه النظرية من وجه فلا تصدق من وجوه أخرى خصوصا وان الميكروبات قد تميت ولا تكون في الدم ، وقد تميت ولا تنتشر انتشاراً كبيرا ، وقد تتسلط في بعض أجزاء الجسم بعيدة عن مراكز الحياة فتقتل المصاب في سويعات ككروبات الكوليرا وغيرها وهذا أمر لا يعلل بأنها تنتشر في الدم فتمتص المصل الذي فيه . ولكنه يعلل بأنها تفرز سائلا ساماً تمتصه الاوعية فيتسرب الى الدم فيقتل المصاب أو يصيبه بأنواع الآفات . فالانسان قد منح وقايات كثيرة تقيه شر هذه الميكروبات ولكنه لم ينجح الوقايات من هذه السوائل فتراها تتسرب الى دمه بسهولة فتعمل فيه الافاعيل المزعجة

ثم ان الباحثين وقفوا على نحو ٢٥ نوعا من أنواع الميكروبات المرضية فزعموا ان كلا منها يحدث مرضاً خاصا وأكبوا على درس المظهرات التي تبديه ولكنهم رأوا بعد ذلك ان الميكروب الواحد قد

يكون مولداً لاعراض متعددة على حسب الامكنة التي اختارها لاقامته من الجسم الانساني فانتهي بهم الامر الي اعتبار نوعين اثنين من الميكروبات وهما ميكروب الزهري وميكروب البلينوراجيا ولا يخفي ان هذا يعود بأحسن الفوائد على البحث في المطهرات من هذه الحيوانات . وهو البحث الذي سيؤدى الى اكتشاف أنواع المصل الذى تحقن لكل مرض من الامراض وأول من طبق نظرية المصل على الامراض هو باستور فانه اكتشف مصلا لعضة الكلب الكلب ثم تلاه غيره في مصل الدفتيريا والحمى التيفودية والزهرى وغيرها

﴿ الميكروسكوب ﴾ هو المنظار المعظم الدقائق فيرى به مالا يرى بالبصر من الاجسام البالغة حد الصغر وهذه الآلة مركبة من عدستين زجاجيتين كعدستي النظارة العادية فالعدسة الاولى ترسم المرئي مكبراً والعدسة الثانية ترسم ذلك الرسم المكبر مكبراً فيكبر عن أصله مئات من المرات فتراه العين في دقائقه الصغرى

﴿ مال ﴾ الي المكان يميل ميلا. عدل اليه و (مال الي فلان) أحبه . و (تميل الشيء) يتميل تميلا . كان مائلا خلقة فهو أميل و (تميل الشيء) جعله مائلا و (تميل في مشيه) تبختر ومثله تمايل و (استماله) استعطفه و (الميل) المرود

﴿ الميل ﴾ البرى يساوى ٢٠٥٤٫٢٧٣ ذراعا بلديا والميل البحرى يساوى ٣١٩٢٫٧٧٦ ذراعا بلديا . وأما الميل الانجليزى فيساوى «١٧٦٠» ياردة

﴿ ميليا ﴾ هو اسم نبات فارسي ويقال له بمصر زنزلخت وبالشام الجرود واسمه بالافرنجية أزادرداك وهو مأخوذ من الاسم العربي أو الفارسي ومعناه بالفارسية عتيق الشجر ويسمي بطبرستان طاقك أو يقال طاوك ويسمي باللسان النباتي ميليا ازادراخ فجنسه ميليا أخذ منه اسم فصيلته ميلياسية ونحن نقول ازادرختية وهذا الجنس عشرى الذكور أحادى الاناث وأخذ اسمه من مشابهة أوراقه المجنحة لأوراق الدردار أى شجر لسان العصفور المسمي بالافرنجية فرين وباليونانية ميليا وهو يحتوى على أشجار ريشية الورق أو ثنائية التريش

والصفات النباتية للنوع المذكور هنا هي أنه شجر جميل كبير يعلو من ٢٠ الى ٣٠ قدما وينبت بالهند وفارس الذى هو مأواه وبمصر وغير ذلك حتى اعتاد بلاد المشرق وأمريكا والاقاليم الجنوبية من أوربا وأوراقه كبيرة متعاقبة ثنائية التريش فكل وريقة يتكون منها ورقة ريشية منتهية بفرد وتتركب من ٥ أزواج وغالبا من سبع وريقات متقابلة سهمية حادة جداً مسننة الحافات كالمنشار وكلها خالية من الزغب والازهار بنفسجية وتنتشر منها رائحة ذكية تشبه رائحة الزنبق (الليلاس) ويتكون منها عنقود محمول على حامل او نوع باقة قائمة من آباط الاوراق العليا وهذه الباقات أكثر من الاوراق والكاس صغير جداً ذو ٥ قطع منفرجة الزاوية وزغبية قليلا والاهداب الخمسة أطول من الكاس ومنفرشة بل قد تنخفض مدة النوم وتلتوى على نفسها وتقرب من الشكل البيضاوى وهي مستطيلة منفرجة الزاوية وأنبوبة الذكور منتصبة أقصر بقليل من أهداب التويج ومنتفخة من قاعدتها ولونها بنفسجي داكن جداً و يوجد في قمتها ٢٠ سنا و ١٠ حشفات ثنائية المسكن مثبتة في قاعدة هذه الاسنان من الباطن والمبيض كرى يعلوه مهبل ثخين يرتفع كارتفاع أنبوبة الذكور وينتهي بفرج صغير جداً ذى ٥ فصوص قائمة متقاربة لبعضها والثمر لحمي بيضاوى في غلظ الكرز يحتوى على نواة مستطيلة لها ٥ أضلاع و ٥ مخازن .وثمار هذا النبات تفهة الطعم مقيئة وجذوره مر الطعم مقيئ أيضاً وأوراقه فيها بعض قبض وحرافة وهي ملسة مائلة للسواد وعظيمة المرار ويوجد هذا الشجر في بعض بساتين أوربا مع أنه شديد الحساسية للبرد وأزهاره تتفتح في جزء من الفصل الجميل وقد علمت أنه انما يألف بالاكثر من البلاد الحارة بلادنا و بلاد الهند والجاوة ثم استنبت ببساتين النواه في بعض جنوب أوربا بسبب جمال عناقيد أزهارها المتلونة بالبياض والبنفسجية ورائحتها المقبولة ولذلك تسمي بزنبق الصين وكان القدماء يقولون انها سامة لان الاوربيين نقلوا عن ابن سينا أن خشبها وأوراقها تقتل الحيوانات ويخرج من خشبها صمغ شبيه بالصمغ العربي ويعمل من نوى ثمرها سبح في كثير من البلاد ولذا يسمي

الشجر هناك شجر التسبيح وشجر السبحة قال ميره ويظهر أن هذه الثمار سامة ولكن لا يحصل التسمم الا باستعمال مقدار كبير فقد اتفق أن بنتاً صغيرة عمرها ٣ سنين أكلت من ذلك الثمر اثنتين أو ٣ فحصل لها تشنجات قوية بعد ٤ ساعات مع كزاز في الاسنان وعرق بارد واستفراغات عديدة من الاعلي ومن الأسفل فأعطى لها بعض نقط من الاثير وزيت الزيتون فسكنت هذه الاعراض حتى ذهبت بعد ذلك بالكلية وكذا ذكر أيضاً أطباؤنا كالرازى أن ثمرته رديئة المعدة مكربة وربما قتلت وقال أحمد بن خالد الاكثار من ثمرته يعرض منه غشي وقيء وعسر تنفس وغشاوة في البصر ودوار في الرأس وكرب وصغر في النبض وعلاجه كعلاج من استعمل الفربيون والبلادر والدفلي أى فيعالج آكلها بالقيء وشرب اللبن وأكل التفاح والرمان انتهي . وقال ميره ان الطيور تأكل لب هذه الثمار بدون خطر عليها بل بعضها يفتش عليها بشراهة ولا سيما السمان والدجاج والحمام البرى وشوهد من البقر ما أكل أربعة أرطال منه بل خمسة ولم يحتج لاسعاف الصناعة منها الا بقرة واحدة فقط وأعطي من ذلك الثمر للكلاب مقدار كبير فلم يحصل منه نتيجة رديئة ولكن ضرره للآدميين مشهور ورأى بورى أن ثمار الازادرخت الذى هو طبيعي بالاندلس كما قال بصير المياه الكثيرة السمة هناك رديئة الصحة وانها تقتل الاسماك كسم الحوت ومما يقوى ذلك نادرة صحيحة حاصلها أنه يوجد في صنتا ماريا من بلاد النمسا ينبوع ماء معين يتجمع ماؤه في أحواض مصنوعة من الحجارة يتنبه دائما لامتلائها فعساكر فرنسا مدة اقامتهم بالاندلس في حرب سنة ١٨٠٨ و١٨١٢ عيسوية حسنوا تلك الاماكن وزينوها بزراعتهم الازادرخت حول هذا الينبوع بمقدار كثير لأجل أن تظلها بظلها واتعطير ما حولها فتغيرت صحة هؤلاء العساكر تغيرا رديئا وكان في تلك الاماكن صيدلاني نباتي ماهر يسمي جونيبيز فنسب رداءة الماء لثمار الازادرخت التى تسقط من الاشجار في الاحواض بمقدار كبير فأمر بازالة تلك الاشجار فلما أزيلت صار الماء كامل النقاوة وزيادة علي ذلك

أنهم نصبوا الطلبات علي تلك المياه لاجل تنظيف تلك الاحواض ويستخرج من الجزء الحبي لهذه الثمار زيت ويستعمل في اليابونيا وفارس وغير ذلك ويقال ان نقاحه أى زهره المتفتح صالح للمشايخ والمبرودين اذا استعمل بمقدار درهم وشمه يفتح السدد الدماغية وجذر هذه الشجيرة الذى هو مر الطعم مغث وسيما الجزء الباطن القشر فيه خاصة مضادة الديدان بمقدار درهمين مطبوخا وكذلك يستعمل في بلاد الجاوة وجزيرة فرنسا وأمريكا الشمالية بل اعتبره برطون أحسن مايعرف من مضادة الديدان وكاد استعماله المذكور يكون عاماً بين الناس في بلاد الجرج وسيما اذا أعطي القشر رطباً بجنياً في شهر مارس وابريل حيث يكون زمن تكون العصارة النباتية وذكر أن المقدار الكبير منه ينتج سباتا واتساعاً في الحدقة وتعباً في التنفس واهتزازاً في الاوتار ونحو ذلك ولكن تلك الاعراض تذهب حالا . وكما يعطي للديدان المبرمة يعطي أيضاً لدودة القرع وللأمراض الديدانية وسيما الحميات المنسوبة للديدان وأوصي هذا الطبيب بأن يغلي ٣ أواق من الجذر الرطب في قنينة ماء حتى تكتسب الماء لون القهوة القوى فيعطي منه حينئذ نصف أوقية أو أوقية في كل ساعتين أو ٣ حتى يؤثر الدواء وأحيانا يوجد قيء عند ما يحصل الاسهال اذا أثر الدواء تأثيراً قوياً . والثمر الجاف يستعمل أيضا مضاداً للديدان وكانوا يرهمون لب الثمر مع الشحم الحلو علاجا للسعفة مع النجاح ولأجل موت القمل ولم يزل هذا الاستعمال موجوداً في بلاد الفرس . واعتبروا أوراق هذا النبات قابضة ومقوية للمعدة ونجح ذلك أيضاً في الاستيريا ، وهو مرض يستعمل فيه ذلك عموماً في كالكوتة فتغلي أوقية من أوراقه في ٣ أرطال من الماء وتشرب المريضة من ذلك أوقيتين تقريباً ثم بعد ساعة تشرب مثل ذلك فينتج تخفيف واضح ثم يجدد ذلك المقدار في كل ساعتين فلا ترجع النوبة لتلك المريضة الشابة أصلا وذكر أطباء العرب أن ورقه تستعمله النساء لتطويل الشعر فيدق ويغلف به الشعر واذا شرب منه عصير الورق وأطراف الاغصان الرطبة الي أوقية بالعسل نفع من السموم الباردة وعرق النسا وأدر البول

والعطش ويحلل الفم الجامد في المثانة وقالوا أن كلا من ورقه وثمره ينقي قروح الرأس المتقيحة اذا جعل عليه مدقوقا واذا سحق بعصارة ورقه وثمره شيء من المرداسنج وأضيف اليهما دهن ورد ولطخ به الرأس مدة أيام ويجدد ذلك مدة أيام ويترك بعضه على الرأس أي تعلى الطلية فوق الطلية ولا تقلع وفي كل ٣ أيام يدخل الحمام فاذا خرج منه طلاه ايضا بالدواء المذكور ودثره بشيء خفيف فان ذلك ينبت شعره ويذهب بقروحه واذا غسل الشعر بماء أطرافه قواه وطوله وحسنه . ومن أنواع ميليامايسمي ميليا ازادركتا ينبت بالهند حيث يسمي نيم ونمبو بكسر النون في الاصسين يستعمل مضاداً للديدان كالنوع السابق وقشره مر يستعمله أطباء الهند مقويا جيداً مع بعض عطريات فيعطونه مسحوقا أو مطبوخا في الحميات وفي الامراض الروماتيزمية المزمنة ويستخرج من لب ثماره التي في حجم الزيتون زيت شحمي فيه خاصة مضادة الديدان وقدم طبيب يسمي بيدنجتون لجمعية العلماء بكلكوتة ملحاً سماه كبريتات الازادرين وقال ان قاعدته مرة مضادة للحمي مستخرجة من هذا النبات ولونها ابيض وتكون بهيئة بلورات صغيرة لامعة وذكروا أن أوراق النبات ملحمة الجروح وعصاراتها مخرجة للديدان (للمادة الطبية)

حرف النون

﴿النون﴾ المفردة تلحق آخر فعل الأمر والفعل المضارع لتأكيد نحو (افعلنه وليقومن) وهي اماخفيفة ساكنة أو ثقيلة مشددة

والنون المفردة أيضا تلحق الفعل مطلقا وتسمي بنون الاناث نحو (افعلن يانساء . والزينبات يقرأن)

وهناك نون تسمي نون الوقاية تلحق الفعل قبل ياء المتكلم نحو (كلمني) لتقي الفعل من الكسر

﴿نابلس﴾ بلدة من بلاد الشام يعمل فيها الصابون الجيد

﴿النابلسي﴾ هو عبدالغني النابلسي الأديب الصوفي له ديوان شعر في كلام القوم وله كتاب (ايضاح الدلالات في الآلات) توفي سنة (١١٤٣) ه

النابلسي ديوان شعر صرح فيه بمذهب الصوفية في وحدة الوجود وأكثر في ذلك حتى بلغ ديوانه نحواً من ثلاثة عشر الف بيت من الشعر استوعب فيها كل مذهب الصوفية في اطلاق والطلق ، والوجود والفناء ، والانسان والكائنات فترى أن نأتي بشيء من هذا الشعر ليتبين للقارئين مذهب الرجل بل مذهب صوفية المسلمين في كل زمان . وانا اذا أكثرنا من هذا الشعر فلأن هذا المذهب قد صار مذهب الفلسفة العصرية كابرى القارىء في كلمة وحدة الوجود في مادة (وحد) فنحيل القارىء اليها

من شعره قوله :

وجه تعدد في المرائي
وبه تحير كل رائي
والكائنات بأمره
موج على صفحات ماء
والامر أمر واحد
فيه التقارب والتنائي
ان العوالم كلها
بظهورها والاختفاء
في سرعة وتقلب
مثل الكتابة في الهواء
قد خطها القلم الذي
هو باب ديوان العطاء
بمداد أنوار الوجود
الحق من يد ذي العلاء
قلم له عدد الورى
أسنان رقم وانشاء
صبغ الارادة طبق ما
في الارض يظهر والسماء
ياباطنا هو ظاهر
في كل ختم وابتداء
اني وانك واحد
واثنان عند الانتهاء
من لي بمجهول المدا
عرفته كل الاولياء
ان غاب عن أغيارنا
هو عندنا ملء الاناء
يشقي ويسعد من يشا
بالداء جاء وبالدواء
هو بالتكبر في الشعار
والتعاظم في الرداء
وهو الجليس بذكره
العارفين وبالثناء
غني بمن غني وقد
طبنا به لا بالغناء

وبدا بكل مهفهف
زاكي الملاحة والبهاء
وبه القلوب تهيمت
لا بالموشح في القباء
قر عما ظالماتنا
بطلوعه وقت القناء
حتى رأيناه به
في كل أنواع الضياء
شمس وكل الخلق في
أنوارها مثل الهباء
طلعت فأعدمت السوى
والكون آل الي الفناء
حتى تجلي في عما
ثم باطل غيب العماء
فاختص قوماً بالضلا
ل وعمها بالاهتـداء
والكشف جاء بعسكر
والكون خفاق اللواء
والطبل أجسام الملا
والزمر أرواح الفضاء
وبموكب الاملاك حـ
ف الغيب سلطان الوفاء
هذا فكيف عقولنا
لاتضمحل من الهناء

وقال أيضا :

أنا عندى ان الشهود حجاب
والتنائي صيان والاقتراب
فادخلوا دار صبوتي ياندامي
واحذروا أن يريبكم مرتاب
هذه ملة المفضـل طه
فافهموا ان لم تكن لـكم ألباب
ماعليكم من لفظها المعذب فيها
الذى ينكر للمعاني عذاب
فهلموا الى الحي وارفعوا عن
بابه الستر فهو نعم الباب
واشربوا فضل خمرتي من اناثي
وسط حاني يا أيها الاحباب
أنما عندى الشراب وغـيرى
عنده موضع الشراب سراب
أنا خمار دبرها وكفوفي
هذه عند أهلها أكواب
ورهاينها رعية حكمي
كل داع بي عندهم مستجاب
قرب الفجر فاشربوا بكر دَنّ
ما على وجهها سواكم نقاب
وارفعوا لي نفوسكم عن كؤوس
هي فيها لـكم بروق الشراب

هي بحر وما سواها فموج
وهي خمر والعالمون حباب
قام شماس ديرها يتمشي
وعليه من نورها أثواب
وجلتها القسوس بين اناس
عندهم في جمالها أوصاب
فاحتسوها بين جنك وعود
حيث راق الصبا ورق رباب
ثم راحوا مجردين سكارى
وتثنوا معربدين فغابوا
خرجوا عن نفوسهم وعن الكو
ن ومن كل مالهم يستطاب
ثم عن ذلك الخروج فكانوا
صوراً الوجود فيها انقلاب
وهم الحان والدنان وكاسا
ت الطلا والديار والابواب
وهم الفوز في جنان نعيم
وسواه جهنم وعذاب
طفح الكأس ياسقاة الحيا
دار من فرط رقصنا الدولاب
وبأشواقنا الحمائم هاجت
فغناء علي الربا وانتحاب
والبرايا عن الحبيب سؤال
كلهم حائر ونحن جواب

وقال أيضا :

قلبي لعلم الاله باب
وماله دونه حجاب
وكل أحوالنا تناج
وكل أدراكنا خطاب
وكل أرواحنا عمار
وكل أجسامنا خراب
وكل معقولنا كؤوس
وكل محسوسنا شراب
وكل أعدائنا سؤال
وكل أحبابنا جواب
وكل وقت لنا دنو
وكل حين لنا اقتراب
وكل شيء له الينا
من حيث معروفنا انتساب
وكل لفظ لنا رسول
وكل معنى لنا كتاب
وروحنا السوى حسام
يخفيه من جسمنا قراب
ورؤية الحق جل فينا
وليس فيها لنا ارتياب
والشمس في الافق ذات نور
وان بدا دونها السحاب

ونحن من ربنا كلام
لنا وألفاظه العذاب
ونحن قوم اذا أردنا
أرشدنا الدف والرباب
ونحن روح الجميع صرنا
وذهب الماء والتراب
ونحن حق ونحن خلق
ونحن قوس ونحن قاب
وكشفت وجهها سليمى
وانهتك الستر والنقاب
وراق خمر الوجود منها
ونحن من فوقه حباب
وحاصل الأمر كل شيء
غير آله الورى سراب

وقال أيضاً :

أنت قيد الوجود ان غبت غابا
واذا ماحضرت كنت حجابا
وكذا الكائنات علواً وسفلا
هو منهن لابس أثوابا
كل ذا باعتبار نفسك أما
هو في ذاته فجل مهابا
واحد مطلق عن القيد بل عن
قيد اطلاقه يلوح اقترابا

وهو في بيت عزة وجلال
لست تلقى اليه غيرك بابا
قف على بابه به وتأدب
بخشوع وقبل الاعتابا
كن بلا أنت تكشف الحجب عنه
ويريك الذى أرى الانجابا
وجه النور ظاهر بك لكن
عنه أبدى عليك منه نقابا
يانديمي خذ المدامة منى
انني قد أردت هذا الشرابا
وبسطت البساط في دار قومي
وملأت الكؤوس والاكوابا
وكنست الكنائس السود مما
كان فيها حتى البياض أجابا
واستحالت الى الاصول فروع
أحكمتها يد الفناء انقلابا
فوجودى هو الوجود الحقيقي
والتصاوير فيه كانت خضابا
ان علمي علم اليقين بأني
كنت سعدى وزينباً والربابا
كنت ليلى أنا ومجنون ليلى
والمحبين قبل والاحبابا
وأنا الآن كل ماهو باد
وسأبدو حبائباً وصحابا

مثل فعل الحرباء يصبغ منها
كل لون به تلوح الاهابا
وهي في أى صبغة هي فيها
ذاتها لا تزال والالقابا
كل شيء نطق الوجود حروف
عاليات تحير الالبابا
قلم ان بحثت عنه ولوح
باعتبار ولقبوه الكتابا
وهي عين ترى وتدرك انت
ما سواها الجفون والاهدابا
شمس ذات لها الاشعة اسما
ء عليها الجميع كان سحابا
تتجلى بنا فنظهر عنها
مثل ما يظهر البقاع السرابا
لكن الغر بالحقائق لا يد
رى شيأ فيحسب الشهد صابا
ويظن الوجود قسمين هذا
خطأ منه لا يكون صوابا
ويزيد الشرك الخفي عليه
كلما غاير الشراب الحبابا
والكلام المجاز مين الحقيقي
وترى في معناهما استغرابا
لكن المنكر الجهول غبي
وحب السوى له ينتابي

والذى يفهم الامور تراه
جامعا فارقا عصيا مجابا
هذه ملة بها الله أدني
منه أهل الكمال والاقطابا
لم يوفق لها الاله سوى من
خرقها على الجهول شهابا
حافظا لم يزل شهود التصابي
في شهود الوجود والآدابا
فعليه السلام ما حن قلب
نحو أحبابه وزاد التهابا
وبسعدى رأى العذاب نعيما
حين وافته والنعيم عذابا

وقال أيضا :

أطوف على ذاتي بكاسات جارتي
وأستمع الالحان في حان حضرتي
وأنفخ مزمارى وأصغي لصوته
وأضرب دفي حين ترقص قينتي
وأنشق من روضي نسيم حقائقي
ويسرح طرفي في حدائق نشأتي
وعندى الى رؤيا جمالى تشوق
كثير وماعشقي لغير حقيقتي
وبالعطف أحشائي على حسنى الذى
فؤادى به صب ويافرط لوعتي

أحن الي ذاتي صباحا وفي المسا
وغاية قصدى في العوالم رؤيتي
وقدوعدتني اليوم نفسي بوصلها
غداً فـي متى تقوم قيامـتي
وأرفع من وجهي خمارى مجرداً
ثيابي عن ذاتي وأهتك سترتي
أبي الحب الا أن اكون مولها
بقلب علي طول النوى متفتت
وشوق كثير واصطبار مهمم
وسقم وأشجان علي شـديدة
واني لارجو من حقيقتي اللقا
وأطلب منها ان أفوز بنظرة
فلا عجب ان بحت بالسر للورى
وعربدت في هذا الوجود بسكرتي
ونهت بمحبوبي علي كل ناسك
وغبت علي الاكوان بل من هو يقي
وعندى انتظار كل يوم وليلة
الي رؤيتي بل كل وقت وساعة
وما أنا الامن احب وان من
أحب أنا من غير شك وشبهة
أردت ظهوراً لي وما كنت خافيا
فطورت في الاطور من كل صورة
وقد كنت قدما في عما ليس فوقه
ولا تحتـه أيضا هواء بوحدة

والقلم الأعلي تنزلت من يدى
واللوح حق للذرات الكثيرة
وقد كنت عرشي واستويت عليه من
قديم زماني في الوجود برحمتي
ومنه الى الكرسي تنزلت بل الي
سموات السبع الطباق العلية
وطورت أملاكي فلي كنت عابداً
وطورت أملاكي فدارت بقدرتي
وعدت نجوماً اشرقت علي الورى
أزيد ضياء في ظلام الدجنة
وطورت شمسا في طلوع نهاركم
وما الليل الا من نتائج غيبتي
وصرت هلالا تحسبون الشهور بي
وأجلو عليكم ضوء شمس الظهيرة
وقد صرت أياما لكم ولياليا
ودهراً وساعات وكل دقيقة
وطورت شكل الجان في الارض قبلكم
وجئت لهم رسلا لابلاغ حجتي
وقد كنت تكذيبا الرسل منهم
فصرت لهم أوفي هلاك ونقمة
وفي كل أطوار الشياطين بينكم
ظهرت بوسواس لاصحاب شقوة
وطورت في شكل العناصر ثم في
مواليدها في الارض تلك الثلاثة

ففي معدن طوراً وطوراً اظهرت في
نبات وحيوان لتتميم حكمتي
وكنت رياحا من شمال ومن صبا
أهب فأروى عن حديث الاحبة
وكنت بحاراً زاخرات علي المدى
تفيض فتبدى موجة بعد موجة
وطورت أرضاً ثم صرت جبالها
لارسائها فوق البحار المحيطة
واني علي ما كنت فيه ولم أزل
ولي رتبة التنزيه أرفع رتبة
وما كثرة الاطوار مني غيرت
صفاتي ولا ذاتي ولا قدر ذرة
وهل أنت في تخييل ذاتك باطنا
تغيرت عما كنت في كل مرة
فيجلو عليك الفكر ما بدا أردت من
زخارف أشباح هنـا مستحيلة
وذلك كهذا غير ان الخيال مع
تخيله في الغير لا في الهوية
وما هي الا أنت لا شيء ههنا
سـواك تحقق سر تلك الحقيقة
واياك والتشبيه في كل موضـع
توهمت فيه الغير واقطن البتة
وخـذ كل ما ألقي عليك منزهاً
ولا تخش عاراً ان فهمت اشارتي

وهذا الذى قد قلته كله أنا
ظهرت به لي قاصداً لتصيحتي
ولما انقضت أطوار ذاتي بمقتضي
صفاتي وأسمائي العظام الجليلة
وتم التنامي بالذى أنا مظهر
له من شخوص فصلتها الرادتي
وسويت جسم الكل بي فهو قابل
لروحي وتفصيلي استمد لخلقي
جمعت من الاشياء طينة آدم
ومنها الي الكل الرقائق مدت
وخمرتها حتي تناسق نشؤها
وسويتها حتي لنفخي استعدت
ولما استتم الامر واستكمل الذى
أردت من الاجمال في البشرية
ففي تلك من روحي نفخت وقد سرت
نسائم أمرى في رياض الطبيعة
فقمت صبيا باصراً متكلما
مريداً عليما ذا حياة وقدرة
فلم يبد مني غير ما هو كائن
لدى وبي مني علي حكومتي
فكنت كساء لونه من انائه
وكالشمس تبدى خضرة بالزجاجة
وأسجدت أملاكي بأمرى لمظهرى
فكان سجودى لي وآدم قبلتي

ولما أبي ابليس عن تكبراً   وعرفت ما بيني وبيني كلاهما
ولم يأت لي من بعد أمرى بسجدة   علي عرفات بعد طول التشتت
عن الملأ الأعلي له كنت مخرجا   فكان نكاح الامر في اطلاق ظاهراً
وآب بخسران وطرد ولعنة   ينافي كلا الشخصين قبل النتيجة
وأسكنته في الارض أظهر كامنا   وأظهرت من صلبي جميع مظاهري
به من شقا أصحاب قبضة يسرتي   بصورة ذر العهود الوثيقة
وأظهرت في ذاك الملا فصل آدم   وأشهدتهم عني ألست بربكم
وأنزلته أعلي مقام بجنتي   فقالوا بلي طراً بنفس مطيعة
وأخرجت حوا منه فهي له كما   وأوهمتهم غيرا فأنكر بعضهم
هو الآن لي من حيث وصفي وصورتي   وأوفوا بعهدي بعضهم مع ابسة
ومن بعض أشجار هناك نهيته   وأول أطواري الكوامن أنني
ولي كان مني النهي فني ماكني   لآدم شيئاً كنت وهو خطيئتي
ولما اقتفى فعلي لما كنت عنه قد   وطورت نوحا جاء ينذر قومه
نهيت كمال الصورة الآدمية   وكنت له التكذيب منهم بيعثتي
أتيت بأقسام الي موصوصاً   والقاسوى خمسين عاماً لبثت في
وأوقعت نفسي في غرور وغفلة   جماعتهم أبني لم تشر دعوتي
وذاقت كما ذاق العدو تباعدي   وهم يعبدون الغير بل يعبدونني
وما الاكل الا الفرق والجمع نوبتي   ولا غير لكن وهمهم هو سترتي
وقد لاح عصياني علي ومذبدت   ولما أبوا واستكبروا كافرين بي
طفقت بأوراق أخصف سوءتي   دعوت عليهم واستجيبت دعوتي
ومن بعد ذا أهبطت للارض هيكلي   وأرسلت طوفانا عليهم فأغرقوا
وكنت بها في العالمين خليفتي   ولم ينج الا من معي في سفينتي
وسخرت لي كل الوجود تفضلا   وطورت ادريس ولي كنت رافعاً
علي صورتي مني وأتممت منتي   مكاناً علياً لي أجل مكانة

وطورت ابراهيم يدعو الى بي   وطورت يعقوب بليت بيوسف
هلي قومه آيته أي حجة   وأصلق حبي له كل محنة
ومذ قال ذاربي له كنت كوكبا   وفرقت ما بيني زمانا وبينه
كذا قمراً ايضا وشمسا بوجهة   ووا أسفي ناديت من طول فرقتي
ولا فرق الا بالافول ألم تكن   وعيناي من حزني قد ابيضتا وقد
اذا لم احب الآفلين مقالتي   منتت بجمع الشمل بعد التشتت
كما قلت صوموا لقوم تملقوا   ويوسف قد طورت زاد ملاحة
بما قيد الامكان من مطلقتي   بوجه سبى كل الوجوه المليحة
وجئت الى النمروذ ادعوه الهدى   وبالثمن البخس اشتراني مشتر
فلم يمتثل حتى توى بالبعوضة   وفي الجب القتني من الكيد اخوتي
وأضرم لي ناراً وأرسلني بها   وقد عشقت حسني زليخاء والهوى
فعادت بأمري لي علي كجنة   أضر بها حتى همت وهمت
وقد كنت مني طالبا انني أرى   وطورت هوداً كان يشهد قومه
لحق يقيني كيف احياء ميتة   علي انه من شركهم ذو براءة
فجاء جوابي لي بأربعة فخذ   ولوطا لقد طورت ايضا وصالحا
من الطير واجعل في الملا كل قطعة   اتيت الي قومي لابلاغ دعوتي
ونادبهم يأتين سعيا وبعد ذا   فزاغوا وعن أمري عتوا وتكبروا
فكن عالما لاشي الا بقدرتي   وقد عقروا لما عصوني ناقتي
وطورت اسماعيل لما بلغت مع   وطورت موسي ضارب البحر بالعصا
أبي السعي ذبحي قد رأيت بنومتي   وقد شق حتى قومه فيه مرت
وناديت لما أسلما حين تله   وآنس ناراً من جوانب طوره
أصدقت حتى كان بالكبش فديتي   فرام ليأتي الاهل منها بجذوة
وطورت اسحق الغيور ولم تكن   فنال الهدى في شكل مقصده وقد
علي غير محرم الفواحش غيرتي   تجلي له من مظهر الاحدية

وقد حاز منه رؤية بسؤاله
ولكنها الاطواد بالصعق دكت
وعيسى لقد طورت يبرىء أكمها
وابرص والاموات يحيى بدعوة
وأرسلت روحي طبق ماهو عادتي
الى الام حتى كان مظهر نفختي
وأظهرت ماقد كان في الاب مضمرا
وبينت للاقوام سر الامومة
فضلوا وزاغوا عن مثال ضربته
لهم علوم في الوجود دقيقة
وقالوا باني قد غدوت له أبا
وقد خص من دون الورى ببنوتي
وأين الوجودان اللذان تباينا
وما عز خلاق كذل خليقة
ومن بعد هذا جئت في طور كل ما
مضي من رسول او نبي لامة
وأصبحت في شكل النبي محمد
الى الله أدعو الناس في أرض مكة
فآذتني الاقوام بغيا وحاولوا
بافواههم اطفاء نور النبوة
وأظهرت دين الحق بعد خفائه
فأصبحت الكفار في سوء حالة
ونكست أصنام الضلالة في الورى
أزلت ظلام الظلم من فرط سطوتي

وطورت اصحابا ومن هو تابع
لهم بالهدى مثل الكرام الائمة
ومن بعد ذا مازلت أظهر دائما
على أمد الازمان في كل هيئة
وطورت اهوال القيامة والذى
يكون غداً في يوم عرض الخليقة
واياك من قولي بأن تفهم الذى
تدين به الكفار بين البرية
فاني برىء من حلول رمت به
عقول تنذت بالظنون الخبيثة
وما بانحلال واتحاد أدين في
حياتي وان دانتهما شر أمة
وكل الذى ابديته لك ناظما
فمن فوق أطوار العقول السليمة
فان كنت من أهل المعارف لم تلم
لانك تلقاه بنفس تزكت
وان كنت مطموس البصيرة جامدا
على ماترى من صورة بعد صورة
فانك معذور بقلة فهم ما
اقول لضعف في قواك الكلية
فواظب على التنزيه وادأب عليه لا
تكن من اناس بالتشبه ضلت
ودع عنك تجسيما لانك جاهلا
باوصاف من ابداك في كل حالة

وقال أيضاً :

شهرت ذاتي الذاتي
في صفات من صفاتي
وبدت في النفس نفس
سكنت في حركات
كنت كالقشر عليها
وهي كاللب المواتي
والذى أبديه عنى
هو نعق ومماتي
عينها غابت ولكن
حصرت باللحظات
وغدت تكشف عنى
لي بها عن ظلماتي
وتبدت شمسها من
فوق سبع طبقات
فأنارت أرض قلبي
وبها ضاءت جهاتي
وأنا الحادث ماض
وأنا الدائم آت
وهو أمر واحد واة
ثان بعد الالتفات
فتنحوا عن طريقي
يانفوساً جاهلات

واحذروا أن تدخلوا في
طرقاتي الضيقات
وابحثوا عنكم وخلوا الـ
بحث عن أوصاف ذاتي
أنا الا روح أمر
فرق كل الكائنات
أنا الامحض نور
فائض بالنفحات
أنا الامر عرش
وأنا ماء الحياة
وأنا المعروف في السبـ
ع الطباق العاليات
وأنا فوق اشارا
تي وكل الشطحات
ومعاني الكون دوني
وهي من أدني هباتي
كيف لا والنفس منى
ذهبت في الذاهبات
وبدا الحق مكاني
يتجلي بصفاتي
والذى يعرف ربي
عارف بي وبذاتي
والذى يجهله يجـ
هلني بالغفلات

يا أخلائي رويداً
كم بتعويج قناني
ظنكم أعدم نوري
عندكم ذا اللمعات
كلا لمم شربنا
كم كؤوسا صافيات
وعلمناكم دنان الـ
باقيات الصالحات
وجهلتم ما لديكم
لحمير سارحات
عندكم ماء وأنتم
قد عطشتم للممات
هيئوا الاكباد منكم
في غد الحسرات
واستعدوا لسؤال
عن جميع السيئات
ليت منكم لو شربتم
ماحويتم ياسقاني
مخرج الافلاك أضحى
بحروف الجسم باني
عن لسان الملأ الأعـ
لي وهاتيك القوات
ومعاني الروح تتلى
في المسا والغدوات

وكلام الله برق
خصنا بالومضات
وصمعنا وتر الو
ر بأيدي الغانيات
ودفوف الجق من نقـ
رتها زالت سناني
ومزامير المثاني
أطربت بالنغمات
وحلي رقصي مع الار
واح تلك الراقصات
ثم يا آتي جيباً
دخلت في ألـغاني
وانقفي صحوى وقد هـ
ت ببحر السكرات
غرست في أرضه بالـ
ـلف منه شجراتي
وهو بزرى وهو أيضاً
ظاهراً من ثمراتي
وانثنت أغصانتا من
أمره بالنسمات
في ربا أوج التجلي
ورفيع الحضرات
ياشذا عرف غرامي
فاح ياطيب نباتي

والسوى في كل حزن
وأنا في النزهات
والذي عندي منه
غير ما عند عداتي
هم يروني في شتات
مثل ما هم في شتات
وانطوى عنهم خصوصي
وانتفي عنهم نباتي
وانجلت شمسي وهم بالـ
جسم خلف الهضبات
فاح مسكي وزكام
عندهم عن نفحاتي
وأنا في محض ايقا
ن وهم في الشبهات
وعلى الجملة فيهم
قد أجيبت دعواتي
وأصيبوا برزايا
هي احدى السطوات

وقال أيضاً :

قف جانب الدير سل عنها القساقيسا
مدامة قدسنها القوم تقديسا
بكر اذا ما انجلت في الكأس تحسبها
من فوق عرش من الياقوت بلقيسا
رقت فراقت وطابت فهي مطربة
كأنها بيننا دقت نواقيسا
مالت بها القوم صرعى عندما برزت
بها البطارق تسقيها الشماميسا
كأنها وهي في الكاسات دائرة
صافي الزلال حوى فيه طواويسا
صرف صفت وصفت دار النعيم لنا
وآدم والذي يحكي وابليسا
عجنا على ديرها والليل معتكر
حتى زجرنا لدى حاناتها العيسا
مستخبرين سألنا عن مكامنها
توما ويوشا ويوحنا وجرجيسا
تأتي الكنائس والرهبان قد عكفوا
لدى الصوامع يدعون النواميسا
طفنا بها واستلمنا دنها شغفاً
فلم نخف عندها هيبا وتدنيسا
حيث القساقس قد قاموا ابرانسهم
يومون بالرأس نحو الشرق من هيدي
والكل في بحر نور البيتر بي حكى
موجاً أرته رياح القرب تأنيسا

وقال أيضاً :

فريدة حسن وجهها البدر طالع
أشاهد معنى حسنها وأطالع

تجلت وكل الحادثات مغارب
تجلت وكل الحادثات مطالع
ولاحت لعيني وهي نور فأعدمت
ظلام سواها واستنارت مرابع
وكانت ولا شيء كما هي لم تزل
كذلك والاشياء منها وقائع
تفتق بأنوار التجلي وأثبتت
فكلي لها منها اليها ودائع
وعندي لها انواع عشق تفصلت
على قدر ما تبديه منها البراقع
تثنت فقالوا لاح ثان وثالث
على الزور والبهتان منهم ورابع
ولو وجدوها طبق مازعموا لما
رأوا غيرها في كل ما هو واقع
فهل من فتى ياغافلون أدله
عليها فيحظى بالذى هو طامع
وتنفتح الابواب بعد انغلاقها
ويدخل بيت العز من هو قارع
نعم هو هذا لو لبثتم على التقى
كما انا ادرى واستقلت مطالع
وسلمتم الاحوال لله كلها
وفيه استقمتم ما تناكم منازع
تريدون لكن بالاماني وصالها
فيدفعكم وهم السوى ويمانع

ولا صدق الا في مراد نفوسكم
لكم وأعاقتكم دعا وقواطع
واين اقتحام الحرب من ذاكر لها
ولا يشبه الشجعان من هو جائع
ومن يخطب الحسناء يسخ بمهرها
وطالب شهد لم تخفه اللواسع
رويدك مهلا ان الحق عصبة
وما منهمو الا وبالحق صادع
أقاموا على محض اليقين بناءهم
وجاهدهم من هيبة الامر مانع
وداموا على صدق الارادة والرجا
وهم كل قرم للخطوب يقارع
وقد عمروا اوقاتهم بحضوره
وعندهم الدنيا ديار بلاقع
واعلى العلا من دون دون نعالهم
يعز بهم متبوعهم والمتابع
هي الشمس ابدت ماسواها أشعة
اذا غربت نحن النجوم الطوالع
اشارت بجفن العين فانثنى الورى
ولا قلب الا وهو حيران والع
وأبصرها طرفي وذلك طرفها
فكان لها منها بصير وسامع
واحببتها بل تلك كانت هي التي
قديما احبتني فزال التقاطع

وقد ملأت عيني بأنوار قدسها
ومنها لغزلان الجمال مراتع
وما الكل الا صورة مستحيلة
كماء له موج وفيه فواقع
وما الماء الا الروح والموج أنفس
فواقعها الاجسام وهي الجوامع
وتلك تقادير بها الامر ظاهر
ومن خلف هذا كله الذات واسع
صدقتك جاء الحق والباطل انتفى
وزالت تماثيل الخيال الخوادع
ومخطوبة الارواح ألقت لثامها
عن الوجه منها وهو بالنور ساطع
فأفنت جميع الكائنات وهيمت
رجالا وهت منهم عليها الاضالع
وكم فتنت من عشقها من متيم
اذا ذكرت منها تفيض المدامع
صلت بالمصلي مهجتي بفراقها
ونلت منى أذلي منى هو جامع
وجادت على كل الذوات بذاتها
فلا ذات الا ذاتها يامدافع
وكل صفات الكون فهي صفاتها
وتنزيهها في الكون بالكون شائع
ولا قائم الا بها في وجوده
ولا صانع الا بها هو صانع

ألفت قديما حبها وهو حب ما
أحب فكانت ما أنا فيه والع
وقرت بها عيني غداة عرفتها
فمن عينها تجرى لعيني منابع
وبانت وما بانت فلاشيء غيرها
سوى انها عنها بروق لوامع
اذا أسفرت عن وجهها برقع السوى
هدت كل ضال في الورى هو ضائع
وان سترت بالغير وجه جمالها
أضلت عقولا تمتلي فتقارع
ولولا دفع الناس بعضا ببعضهم
لهدت كما قال الاله صوامع
ونحن أولاء المؤمنين بحسنها
عداوتنا مر حذارك ناقع
ومن رامنا بالسوء فالله دائما
كما جاء في القرآن عنا يدافع
ألمت بنا والكون كالليل مظلم
فلم تشعر الواشون اذ هم هواجع
وزارت على رغم الاعادي فأنكروا
زيارتها قالوا خيال برافع
وما ذاك الا أنني كنت قارعاً
بيبدائها والغير في السير ظالع
محجبة الا على كل محرم
لها قربته فهو الوتر شافع

ومقبـلة لكن علي كل تارك
سواها بهـا عنها اليها يسارع
أعارت معاني الكون ثوب صفاتها
وكل معار للمعيرة راجع
وأودعت الاشياء سر وجودها
ولا بد يوما أن ترد الودائع
ظهرنا بها لا بل بنا ظهرت وقد
تساوت دوان ههنا وشواسع
ولا دين الا حبها عند أهلها
فكم نحوها من ساجد وهو راكع
اليها صلاة القوم أين توجهوا
وقبلتهم وجه لهـا يتلامع
وبالماء ماء الروح من أمرها لهم
وضوء وغسل دائم متتابع
وان خالطوا الاغيار كانت جنابة
لهم رفعها فرض علي القوم قاطع
وان لم يكن ماء هناك تيمموا
صعيداً له طيب من الجسم ضائع
هو الحق لاقوام سواه نجاسة
فنها قد استنجوا وزالت فظائع
ومن غيره لم ينعاقوا فتمضمضوا
وشموه باستنشاقهم فهو ذائع
وعما سواه كان غسل وجوههم
لكي يقبلوا عنهم له ويسارعوا

وغسل يديهم من جميع امورهم
بتفويضهم فيه تنال المطامع
وتثليث هذا الغسل شكل مثلث
به ظهرت ممن يراه ضائع
وقد مسحوا فيه رؤوس رياسة
فذا الذل الا وصفهم والتواضع
وقد غسلوا أقدامهم في قيامهم
بخ منه عن كل ماهـو مانع
وقد كبروه عن مدى وصفهم له
برفع يديهم ظاهراً وهو رافع
وأثنوا عليه بالذى هو أهله
ومنه استعاذوا فهو ضار ونافع
وهم باسمه قاموا ليتلوا كلامه
فما منهمو الا به هو خاشع
وان ركعوا مالوا اليـه بكلهم
وصاروا لديه والقلوب خواضع
وان سجدوا يفنوا و يبقوا به له
اذا سجدوا الاخرى وتبدو بدائع
وفيهم سكون من قعود تشهد
له واقتضي تحريكهم والتنازع
وقد سلموا طوعا اليه وأسلموا
ومنهم له التسليم السوء دافع
ولا مال عند القوم الانفوسهم
تجارتهم فيها غلت والبضائع

وقد أنفقوها حين آتوا زكاتهم
علي الحق لم يقطع بهم منه قاطع
وأدوا اليـه فطرة فطروا بهـا
وماغيروها والقلوب طوائع
وصاموا عن الاغيار فيه وأفطروا
علي وجهه مذ غاب الكون طالع
وفي الحج كانوا بيت عزته فهم
بذا شأنهم طافوا فست وسابع
وقد رملوا في ذا الطواف تذللا
عليه وفخر عندهم فيـه بارع
ولما بدا من قلبهم حجر الهدى
له استلموا اذ منه بانت أصابع
وفي عرفات الوصل حازوا اقتربا
بوقفتهم فيهـا فزالت موانع
ونالوا مناهم في منى وبها رموا
جمار هموم كاهن مصارع
وقدودعوا البيت العتيق وأقبلوا
علي أصلهم في العلم وهو مواضع
وفي عيد نحر الهجر فازوا بذبحهم
ضحايا طباع هن فيها لوامع
ذبيحة نفس قطع عرق فسادها
الي أن بقي منها خؤون مخادع
وأخذ لقيط القلب في مسجد الحجي
مهم له تسمي الكرام المصاقع

ومن يلتقط سراً بتعريفه له
برد علي الروح الالهي ضـائع
وغيبة مفقود عن الكون حكمها
كموت له في كل أمر يضارع
وحب معاني الحق اخراج عشرها
خراج لارباب الجهالة قاطع
وجزية كفار النفوس تكون عن
يد وصغار حيث قرر واضع
ومن نال صيد الغيب كلب هواه أو
أصابت ببازي القلب طير سواجع
فقد فاز بالقصد الذى هو راكب
اليه علي خيـل وهن الطبائع
وواهب ذات الظل ظلمة كونه
تعوضه نوراً به هو لامع
وقد آجر الاقوام امكانهم له
فأجرتهم انعامه المتسارع
وباعوا نفوساً في هواه نفيسة
له فاشتراها حين أوجب بائع
فقال لهم فاستبشروا اذ يبيعكم
توليتكم فالكل عندى مطاوع
وان جهاد القلب النفس واجب
عليهم لفتح الروح فهو المصارع
وقد دخلوا بالملك في قلعة الانا
فليس لهم عما يرومون دافع

وقادوا أسارى كل خلق مذمم
وفاز شجاع بالغنائم دارع
وقد شاركوه في الوجود فشامن
لفسخ اشتراك كان منهم وتامع
وقد كفل الرحمن أرزاقهم لهم
وطالب بالاعمال وهي منافع
فان التعادى ألزمتهم كفالة
بأعمالهم والكل منه نوابغ
وتوكيلهم الحق أنتج قربهم
اليه وهذا الكمال ذرائع
أحال بهم يوما عليهم فأفلسوا
وقد أصبحوا بعض لبعض يتابع
ولا اليه بالحوله ردهم
لهم بالفنا كانت لديه مواقع
ونحن له وقف لاجل صفاته
وقد عمرت منا لمن المزارع
وقاض قضى بالحق والروح شاهد
فكان لحق النفس منها مقامع
ودعوى الذى تعطي الخصومة في الهوى
وقد جمعت العاشقين مجامع
وجاءت بأنواع الشهادات أمة
علي الحق زكتها صفات بوارع
وهذا نكاح الامر عقد محقق
ومن كل شيء خلق زوجين ادع

شهدنا علي ايجابنا وقبولنا
وكانت لنا بالحضرتين وقائع

الي ان قال :

وانزاله القرآن قد حلت به
فروج قلوب بالعلوم تدافع
و بت طلاق الصبر زوج فتى الهوى
ثلاثا علي سلمى فكيف يراجع
ولو دفعت كل الذى هو ملكها
علي طلقة ماكان قلبي بخالع
و يرث بيين والبين ثلاثة
غموس بحكم الغير للغير رائع
ولغو علي أهل المجاهدة احتوى
ولا اثم فيه لكن القلب جازع
ومنعقد وهو الذى بين قومنا
تلذ به عند اللقاء المسامع
كلام علي حكم العيان مفصل
به الغيث من سحب الحقائق هامع
وتكفيره في حنثه ستر كل ما
بدا فنار الحظ منه أيانع
ومن يأخذ الدنيا بشفعة داره
من الحق لما باعها فهو باخع
ومن رد عبداً آبقا كان أجره
عطاها علي مولاه فهو الوادع

وأحيا موات النفس بالذكر واجب
ليسعد فيها بالحراثة زارع
وقتلك معنى الروح بالروح يقتضى
قصاصا بسيف الحق اذ هو شارع
وان أخذت من وضعها دية له
فذلك حكم القصاص يضارع
وهيأت الاقوام أرض نفوسهم
فكان المساقي شيخهم والمزارع
واقرارهم بالحق حجتهم علي
سواه وكل لابس الامر خالع
واعطاء رأس المال وهو وجودهم
اليه اقتفى ربحا وضل المخادع
مضاربة منه قديما مع الذى
له كل مافي الكائنات توابع
وان غضبوا أوصافهم من ذواتها
أغارت عليهم منه خيل طلائع
وفي الصلح عن دعوى المغايرة اختفوا
فهم منه في الدنيا غيوث هوامع
وقد رهنوه بالديون قلوبهم
وماض وحال الايني ومضارع
حدود الهوى قامت عليهم ربهم
فلم يعتدوها والحدود روادع
ومن يدعي ملكا فذلك سارق
بعد بدأ فالحق اليد قاطع

وعينيك فاسمع لاتعدن قال في
امام فكيف المقتدى وهو تابع
وخمر السوى منه اذا شرب امرؤ
عليه بانواع الخطوب مقارع
وزانية لم تحصن الفرج عن سوى
لها الرجم بالحرمان حد يمانع
وقذف أولي التشبيه يوجب حدهم
سياط بعاد عن حماه قوارع
وقد كان بالتقوى وصيته لنا
غداة بدت سبل ولاحت مشارع
به منه تقوانا فلا ندعي لنا
وجوداً ونرضى حكمه ونطاوع
وميراثه منا بميراثنا له
فرائض كانت منه فينا بواضع
فثمن وثلث ارث ام كتابنا
علي حكمها في قسمتي لا أنازع
ولا يرث المحجوب منهم بحاجب
علي العين حكم قررته الشرائع
وبالعول ان زادت سهام أولي الحجي
خيالا تراءته العيون الهواجع
أعد نظراً مازاد شيء علي الذى
علمت ولكن لجة وزعازع
وقام وصي الحق يحفظ بالهدى لـ
بنيه الالهي والجميع مواضع

وفقه الهوى فرض علي القوم درسه
وكم ناله شيخ وكهل ويافع
ومن كان مقداما يلج كل لجة
اليه وان ضجت عليه الضفادع
وأهل طريق الله قد الفوا السرى
وطال بطاح دونهم وأجارع
وغابوا عن الاكوان في النيث حيث لم
يكن ههنا الا الشخوص الخوادع
ومدت لهم منه يد أقدسية
تبايعهم فيا رأوا فتبايعوا
هم القوم لا يشقي الجليس بهم اذا
لهم كان في سر وجهر يطاوع
وقد زهدوا في الزهد عما سواه اذ
رأوا الزهد معنى المقول يخادع
وعن توبة تابوا وهذا مقامهم
لهم هو من فوق المقامات رافع
وتقواهم التقوى علي كل حالة
لديهم عن التقوى وتلك بدائع
وما ورع الا عن الورع اتقنوا
وما منهمو الا عن القنع قانع
وقالوا مقامات السلوك لانها
علي أوجه الاسرار منهم مقانع
وقاموا بوصف الذات في غيب غيبه
له فيه ختم مثل ما كان طابع

ونمت معانيهم علي كلماته
وماء الهدى من عينهم هو نابع
وزال الذى كانوا يظنون أنه
سواهم له عز عن الكل شاسع
وقد كان وهما ذاك عند عقولهم
كمثل رقوم أظهرتها المدارع
وقد بدلت أرض لهم غير أرضها
كذاك سموات وزالت طوالع
وقد برزوا الواحد الاحد الذى
بهم هو فيه عالم ثم صانع
وكانوا كما كانوا علي الحالة التى
بها أزلا كانوا كلم يك واضع
كما انه باق بما هو فيه من
قديم وهذا الامر الوهم قامع
بداياتهم كانت نهاياتهم به
ومبهمهم آلت اليه المهايع
وفي العلم كل هكذا مترتب
حضوره مافقد مضي والمضارع
فمن يعلم العلم القديم يرى الذى
أقول وترمي عن حمير براذع
وتخفي علوم المقول حوادث
عناكبها تبنى البيوت خوادع
ولم يك ذا الا بتعليمه ولا
يعلم الامن من لديه بوادع

وما كان فيه فهو يبدو له به
وما لم يكن فيه فما هو واقع
هيولي شهدنا انها نور نوره
لها صور شتى به تتدافع
وألوانها ذات الفنون فأزرق
سماوى لون ثم أبيض ناصع
وأسود غربيب وأخضر ناضر
وأحمر قان ثم أصفر فاقع
ظواهر منه فيه عنه له به
بواطن أفناها من الذات لامع
وبالحق أنزلنا وبالحق نازل
لقد حققته العارفون المصاقع
وما الحق الا واحد فهو عالم
وعلم معلوم ثلاث قوارع
ومن ههنا ألهي التكاثر أمة
محققها من كوثر هو جارع
وذلك نهر الجنة العذب ماؤه
وفي الحوض أنبوبان منه شوارع
هو الحوض منه كل من نال شربة
فلا ظمأ يلقي ولا هو جازع
ويطرد عنه كل من تبع الهوى
وتمزيقه دنيا بدنياه راقع
أباريقه قوم به امتلأوا وهم
نجوم بآفاق العلوم سواطع

يضيء بهم ليل السرى الي الحمى
ومنهم رجوم الطغاة قوامع
حنانيك عش ان فزت منهم بواحد
سعيدا قرير العين غصنك يانع
وكن عبده لا حظ عبد وشهوة
فما أنت ناويه علي القلب طابع
وهذا مقام حق بالبؤس والاسى
وما ناله الا الشجاع المقارع
ودم طالبا منه التحقق فيه لا
سواه تجده عنك فيك يسارع
وان زدت صدقا في محبته له
به زدت قربا واهتدى منك ضائع
وزالت غواشى الغير في العين وانطوت
مسافة نفس بالمحال تخادع
وكنت كما قد كنت من قبل لم تكن
وكان كما قد كان وهو الموادع
عليم بذات منه تجلي عليه في
معاني صفات كاهن بوادع
وفيه زمان والمكان تداخلا
وكيف وكم وهو الشكل جامع
له الكل وهو الكل وهو منزه
عن الكل فاعرف واعتبر يا منازع
تصاويره فيه تماثيله له
تقاديره منه فروض بوارع

من العدم امتدت الي العدم انتهت
خيالات عقل واحد يتلاءم
وما هو الا النور نور محمد
تبدى من النور الذى هو طالع
فنور علي نور كذا قال ربنا
وذلك مشفوع لديه وشافع
وأعلاهم النور الالهي شأنه لا
تكبر والأدنى هو المتواضع
وذلك لا يفنى وذا كل لحظة
بأيدى الفنا ثم البقا يتتابع
تجليه يبقيه به واستتاره
فناه له في الفكر والحس قاطع
هو العقل عقل الكل مفرد جوهر
يلوح ويخفي عن ضيا وهو شارع
هو الروح روح الكل والقلم الذى
به الكل مكتوب له اللوح واضع
وعرش وكرسى تجسم فيهما
له صورة تحويهما وأضالع
وفي كل شيء سر أمر ملبس
بخلق جديد الخفاء مسارع
كبرق عن الذات النزيه لامع
فيالك برق من حمى الحب لامع
سرت نسمات الروح من روضة الحمى
فعطرني طيب من الحب ضائع

وعطرت الانفاس منى بنفحها
جميع الورى حتى استطيبت مصانع
وقامت دعاة الحق بالحق عن يدى
تعاهد أرباب التقى وتبايع
فحيهلا ياقوم نحو حقيقتي
فان طيورى بالجمال سواجع
وحوضى ملآن ومائي مروق
وروضى بأنواع المحاسن يانع
وباعي طويل والزمان مساعد
لنا وعيون الدهر عنا هواجع
وكاسات أفراحي براحي رواحي
دهاق وأيامي المواضي رواجع
علي سلام في الورى يوم مولدى
وموتي وبعثى ماهمى الدهر هامع

وقال أيضا :

اني أنا لست أنا
فليت شعرى من أنا
صورة لاهوت بدت
في شكل ناسوت دنا
كلاهما مستحدث
من عدم ومن فنا
وذاك لا ذاك له
ومن هنا ليس هنا

والقصد منى لم يقع
علي سؤالي والمنى
فافهم كلامي وانتفع
به ودع عنك العنا
أياك اياك بأن
يوقعك الجهل بنا
ولا تكن معتديا
ولا تكن مفتننا
ودع كلام عصبة
بنا أساؤوا الظننا
من شرهم ما أحد
بين البرايا أمنا
قد شبهوا خالقهم
وجسموه علنا
ونسبوا اليه ما
كان بهم مكتمنا
وهم علي ذا درجوا
وفيه عاشو بالهنا
وعبدوة مثل قو
م يعبدون الوثنا
قد نشأوا في بدع
لا يعرفون السننا
وهذه حالتهم
قد جعلوها ديدنا

فاحذر تكن مستمعا
لهم بهم ممتحنا
وخذ بما لاح ودع
عنك التباساً فتنا
بالله يامن هجروا
وعظموني شجنا
وقد أطالوا سهرى
وأحرموني الوسنا
وملء قلبي شغف
ودمع عيني هتنا
ولي اليهم أبدا
فرط غرام وعنا
رفقا بصب دنف
بكم غدا مرتهنا
أيان ولي منكو
أبصر وجهاً حسنا
بشعب وادى سلم
جآذر لحن لنا
لما رنوا وانعطفوا
خلت سيوفا وقنا
أواه من جفونهم
وليس لى عنهم غنى
ياليتهم لو سمحوا
ولي أتموا المننا

فهدى بهم قد نزلوا
بالسفح من وادي منى
من كل روح جعلوا
للامر منهم بدنا
وشرفوا منازلا
حلوا بها ودمنا
وكل حي جعلوا
بالوصف فيه وطنا
وشغلوا الكون بهم
وهيجوه شجنا
فهام في بهجتهم
ولم ينل منهم منى
يخفق قلبي بهم
وكم يقاسي محنا
وجوده تحريكه
وقصده ان سكنا

وقال أيضا :

لما به كلنا أواني
ونحن في نفسه معاني
والكل عن أمره ظلال
وذاته الشمس في البيان
مراتب بالوجود صارت
حقائق الغيب والعيان
عن كل أوصافه ابانت
عند الورى مثل ترجمان
وجوده لا يزال منها
يطالي بنيل وزعفران
وبظلام وبضياء
وبضراب وبطعان
وبجماد وبنبات
وبأناس وحيوان
وبرجال وبنساء
وأهل شيب وعنفوان
وكل عقل وكل حسن
والمتمنين والاماني
وكل فهم وكل وهم
وكل وقت وكل آن
وملكوت وجبروت
وكل انس وكل جان
وكل ساق وكل كاس
وكل خمر وكل حان
وبحسان وبقباح
وبهموم وبتهاني
وكل شيء صرفت عنه
ولم يصرح به لساني
توهمات الجميع فيه
من فرط عز ورفع شان

يجل عنها وعن مقال
يجل فيما به صباني
والعلم بالجهل قد تساوى
عجزهما عنه في قران
وكل عبد بما لديه
في محنة منه وافتتان
وقد تجلي بكل شيء
والشيء من عالم الكيان
فضاء منه فضاء كل
كالنور في صبغة القناني
وفيه كانت فصار فيها
والقلب ينبيك عن بيان
وليس غير الوجود فيها
بقائم والجميع فاني
وهو على ما عليه قدما
بلا انتقال ولا اختزان
ولا اتصال ولا انفصال
ولا افتراق ولا اقتران
ولا التفات ولا جهات
ولا زمان ولا مكان
ولا حلول ولا اتحاد
ولا تناء ولا تداني
فان تكن فاهماً والا
فدع كلامي لمن بداني
ولا تعب ما جهلت منه
بقلبك القاصر الجبان
وخل ما قلته لقوم
يطرب أسماعهم اذاني
فان داعي الكمال مني
يسمع من شاء بامتنان
وكل شيء لحق شان
والحق باد في كل شان
مسك له الكل طيب عرف
معنى له الكل كالمباني
نحن التقادير منه فيه
كالكيف والكم والمكان
وهو الوجود القديم صرفا
وماله في الوجود ثاني
رآه موسى الكليم ناراً
عنه بدا الكل كالدخان
ورام منه بان يراه
فجاءه عنه لن تراني
لكونه رائيا فلو لم
يرى رآه اليه داني
لكن هلا شوقه عليه
منه فهدا مالك العنان
وزاد حتى أزال عنه
تثبتا كان في الجنان

ومنه قد صار في ذهول
وفي اندهاش لما يعاني
والشوق يوهي المعقول جداً
في رؤية الاوجه الحسان
حتى اذا دك منه طور
وعاد في الصعق في اكتنان
أفاق مستغفراً منيبا
مسبحا طالب الامان
ماقال اني رأيت أو ما
رأيت اذ كان في عيان
كان محبا له فأضحى
محبوبه الرائق الدنان
وما عليه اختفى تبدى
لما جهاراً بلا توانی
وصار يبديه كل شيء
قد كان أخفاه باجتنان
والمثاني آيات حق
تظهر في نغمة المثاني
يذوقها كل ذي فؤاد
بنيل قرب الاله هاني
مياه بالغرام شقت
ورده صار كالدهان
يموت بالفكر ثم يحيي
بالذكر في القلب واللسان

ويستريب المجهول منه
والله يلقيه في امتحان
ولا تراه يعيش الا
في فرط ذل وفي هوان
وان يمت فالجزاء نار
لانه الضلال جاني
وبافتراء وباعتداء
أنكر حقا وبانبهان
ولا يضيع الاله شيئا
فكيف ايذاء ذي العيان

وقال أيضا :

أنا النور المبين ولا أكنى
أنا الكنز بل يعرفني ابن انی
يضل الله بي خلقا كثيرا
ويهدي بي كثيراً فاستبنى
ولكن لا يضل سوى نفوس
بانكار بغت وبسوء ظن
واني الملك والملكوت فضلا
واني صخرة الوادي واني
ولما كنت منه بغير فصل
ولا وصل شهدت الكل مني
أحقق من أريد بملحقي
وأسكر من أشاء بخمر دني

وأسعد باللقا يوما وأشقي
بهجري آخرين وبالتجني
مقامي ليس يحصل بالترجي
وحالي ليس يدرك بالتمني
وما باب الهبات ولا العطايا
بمسدود على أهل التهني
ولكن القلوب لها عليها
من الأغيار ينشأ كل كن
وبالتوحيد يعرف كل شيء
ويجهل كل شيء بالتثني
هي الأبواب قد سدت جميعا
سوى بابي فدع عنك التمني
وما أنا شاعر وجميع نظمي
بعيد عن مدى شعر المغني
وميز بين الملام وشعر
وصرح بالمقام ولا تكنى
ولا تكفر بجهلك في كلامي
ودعه لمن يوحد يا مثنى
ولا تعجل على ما لست تدري
فانك سوف تدري بالتأني
نصحتك فاستطع صبراً معي ان
سلكت عن الروافض نهج مني
تعالى أصلنا عن كل فرع
وجل عن التزوج والتبني

وكل فتى على مقدار ماقد
سقاه بكفه الساقي يغني
وحين رويت هذه روت بصدق
جميع رجال هذا العصر عني

﴿ النارجيل ﴾ هو جنس من هذه الفصيلة يقال له قوقوس أي نارجيل ويسمى النوع المقصود لنا بالترجمة بهذا الاسم أي نارجيل وبالجوز الهندي وجوز الهند وباللسان النباتي قوقوس نيسيفيرا وهو نبات مسكنه بين المدارين وهو من أجل أشجار الكون لنفع جميع أجزائه في احتياجات الناس اذ بدونه لا تسكن جزائر الاوقيانوس الكبير المادى ولا توجد مساكن في القسم الكبير الاستوائي ولو لم يكن لماتوا جوعاً وعريا فلذلك سمي النبات بملك النباتات اذ يخرج نبيذ وكؤول وخل وزيت وسكر ولوز ولبن وقشدة وحبال وأواني وثياب وزنابيل وخشب . وهو شجر كالنخل من غير فرق الا أن وجه الجريدة فيه الى الأسفل ويقال انه اذا قطع لم يمت ويزرع ثمره قضبا وزمن غرسه نزول الشمس في الجوزاء ويثمر بعد سبع سنين وتبقى شجرته نحو ١٠٠ عام ويدرك ثمره اذا

نزلت الشمس الميزان وجذور هذا النبات قليلة التعمق في الارض متقاربة الفروع الكثيرة وطعمها أولا حريف ثم تصير قابضة تستعمل في الهند في الاستطلاق المزمنة والاسهالات مسحوقة مع مسحوق الانيسون مدة ٨ أيام . وذكروا أن الجذع يعلو ١٦٠ قدما اذا كان قرب البحر وينقص علوه كلما بعد عنه وتتكون منه غابات جميلة المنظر في جزائر بولينسيا والاوقيانوس تأوى اليها السياحون بعد التعب وفقد الزاد وتنفع جذوعها في العمارات والاثاث وغير ذلك وتحتوى أغصانها الصغيرة في باطنها على نخاع مأكول سكرى مقبول الذوق واذا كمل تكون السوق كان خشبها الذى من الخارج قليل الثخن لكن شديد الصلابة مكونا من الياف مستطيلة بطول الجذع ويصنع من تلك الاشجار حبال السفن لكنها أقل متانة من القنبل وانما تبقى في الماء أحسن منها . وأوراق النارجيل تطول من ١٥ قدما الى ١٨ وهي مركبة من وريقات متينة خضراء سهلة الانثناء يصنع منها مايصنع من خوص النخل وكل ورقة محاطة من أول منشئها بنوع شبكة خيطية

هي الليف يستعمل مرشحا ومنخلا وتصنع منها ملبوسات وتسقط كل سنة مع الورقة ويبقى منها أثر على الجذع ويستعمل في بلاد الهند منسوجها القطنى لايقاف دم لدغ العلق . والزر الذى ينتهي به الجذع طرى لطيف الأكل يسمى أيضا بالجمار وهو ألطف من جمار النخل ولكنه مثله فيما اذا قطع ماتت الشجرة ويظهر أنه لايستخرج من الجذع الا قليل من نبيذ وينال من ثمره لبن أحسن من ذلك ويقال أن عصارته النباتية تركز في بعض الأماكن فتنال منها مادة سكرية مسوده تربي مربيات . وأزهار النارجيل كثيرة بيض أو صفر قد تؤخذ وتدق فينال منها سائل مائي يكون مشروبا لذيذا يتحول الى خل قوى واذا تخمرت كانت صدرية وقليل منها يتحول ثمارا والا لكانت الثمار عديمة الحصر . والجزء المهم من النبات هو الثمر وهو النارجيل الحقيقي وحجمه كبير ولونه مسود وشكله قريب التثليث والشجرة يوجد فيها جملة أقناء كل قنو فيه نحو ٣٠ نارجيلة ويخرج النارجيل في غلف ليفية خارجة تسمي بالافرنجية كير بفتح الكاف أو بستان بفتح الباء

يجهز منه بعد الدق والهرس نوع مشاق لقلفطة السفن وقد تعمل منه أقمشة غليظة وملبوسات وغير ذلك ثم في داخل هذا الملاف غلاف خشبي صلب وهو قشرة الجوز تستعمل بمنزلة الاواني وتعمل منها أكواب وأصحن تطلى بالاطلية وتزخرف ويقطر هذا الغلاف الخشبي فينال منه دهن شياطي يستعمل في الهند لوجع الاسنان وفحم خلي قطبقي يستعمل في صناعة التصوير ثم في داخل ذلك الجوزة وهي اذا كانت طرية كانت مملوءة بمادة مائية دهنية بيضاء مسكرة وكذا اذا ارتقى الي الشجرة وقد طلع الطلع قبل أن ينشق فيقطع طرف طلعة من طلعها ويلقم كوزا ويعلق العرجون فيقطر فيه من الطلعة الي آخر النهار الرطلان والثلاثة والخمسة بحيث يسمع حس القطر من هو في أسفل الشجرة فيخرج في الكوز لبن ثخين حلو عذب يسكر سكرا مفرحا قويا فان ضرب الهواء شاربه طرحه بالارض وان شربه من لم يعتده أوضعيف المزاج أذهب عقله فان بات ذلك السائل ليلة صار خلا قاطعا اشد من الخل الاعتيادى مهريا للحوم الغليظة كلحوم الجواميس

كذا قال أطباؤنا . وقال ميره لا يجنى الا الثمر الذى ليس له من نضجه أقل من سنة اذ الثمار والازهار موجودة على الاشجار دائما فتختار والثمار الصغيرة الخضر النير المثلثة اذا أريد أخذها بوصف كونها شديدة القبض ويستعمل مبشورها في فيضان الدم وتدخل في مراهم تعالج بها الاوزيما فاذا اكتسب الثمر حجمه الطبيعي كان مملوءا بعصارة أى سائل أبيض يسمى لبن النارجيل بحيث تحمل الثمرة الواحدة منه رطلين ويمكن اخراجه منها بثقب الخروق الثلاثة التي في قاعدتها وذلك اللبن عذب سكرى فيه قليل حموضة فيكون مشروبا لذيذا مرطبا في البلاد الحارة التي ينبت فيها ويمكن أن يشرب منه مقدار كبير بدون سآمة بل ذكروا أنه نافع لآفات الصدر وذكر بعض الاوروبيين أنه شرب منه ٢٠ زجاجة مسودة في اليوم بدون أن يحصل له أدنى كدر وهو المشروب الاعتيادى لمعظم قبائل بحر الجنوب . ويقال أيضا أنه مدر للبول وأما ميسون فاتهمه بأنه أحدث أكلا شديدا في الجنوريا وحرض صيلانا لوث الطرق بالسودان . ونساء جزائر أنتيلة يغسلن

رجوهون بهذا اللبن . وهو قابل لان يتخمر تخمراً كؤوليا بحيث يستخرج منه الكؤول أو الخل . ووجد فيه بالتحليل الكيماوى ماء وسكر وصمغ وكربونات ومريات ملحية وغير ذلك وكلما نضج الثمر اكتسب اللبن قواما وتيبس تيبساً لوزيا من الدائرة الي المركز فيتكوّن في الوسط بين أجزاء المتيبس والجزء الباقي علي لبنيته نوع قشدة لذ كلها بالسكر وماء زهر البرتقان ويبقي في المركز دائما بعض لبن وفى بعض الاحيان لكن مع الندرة يتكون فيه جسم بيضاوى متجمد هو نوع ب ادزهر نباتى أبيض مزرق كالصينى تنسب الاهالي له خواص طبية جليلة ويسمى ببلاد الهند كلايت أو يقال كلابا ويسميه الاور بيون حجر النارجيل وتباع تلك التجمدات في الصين ويحملونها كالتمائم ويظنون انها تحفظ من الوقوع في كثير من الامراض والوزة النضيجة تؤكل فتكون غذاء اعتياديا لاهالي الجزائر النابت فيها الشجر وهي شديدة البياض منعشة يابسة تشبه البندق في الطعم وتؤكل وحدها أو مبتلة بالفلفل والخل وتدخل في الفطاير وغير ذلك ويدخلها أهالي بلادنا في معاجين يستعملونها في المادة التقوية ويعدونها في البلاد التى ينبت الشجر فيها ثمرة الهضم ومع ذلك هي عندهم أقبل من غيرها ويعمل في جزائر أنتيلة مستحلبات ولعوقات وغير ذلك وتقوم هناك مقام اللوز الحلو ويستخرج من لوزة النارجيل دهن اذا كان جديداً جيد الاستحضار دخل في الاغذية فان عتق أو كان ردىء التحضير استعمل للاستصباح . وسكان تلك البلاد يدهنون به فتصير رائحتهم كريهة ولو استعملوا الاستحمام كل يوم وكذا يدهنون به خيولهم ويستعمل في بلاد الهند لتحضير الصوقات وغيرها وهو مركب تركيبا كيماويا كما ذكر بعض الكيماويين من دهن زيتى سائح في المعصارة اللبنية يستخرج بالعصر ويتجمد بسهولة ومن ماء وسكر سائل وزلال . ومن الكيماويين من استخرج منه زيتا يتجمد في ١٥ درجة من مقياس ريومور فيكون ذلك زبدة نباتية وذكر مرسال صنفا من النارجيل يسمى ثماره بالنارجيل الملوكي ويحتوى علي لبن تنسب له خواص مرطبة أعلي من خواص النارجيل الاعتيادى ومن أنواع النارجيل نوع يقال له نارجيل البرزيل وبالسان النباتي قوقوس بوطراسيا ينبت بالبرزيل وأمريكا الجنوبية مع انه يوجد أصلا في الهند الذى هو بحسب الظاهر ينبوع النوع السابق وربما كان ينبوع هذا أيضا ثم نقل الي أمريكا وزرع فيها وثمره اكبر من بيض الدجاج بيسير ولونه من الظاهر أخضر ويحتوى علي لوزة أى نواة تؤكل ويستخرج منها دهن أو زبد أبيض رائحته مقبولة يستعمل لتتبيل الاطعمة واذا عتق استعمل للاستصباح ويصح استعماله دواء مرخيا وملطفا . وذكر فوكس أنه يمكن تقليده بالصناعة بان يصنع من الشحم الحلو الملون بالكركم والمعطر بايرسا فلورنسة ويوجد تحت الغلاف الليفي الظاهر لهذا الثمر لحم أصفر زعفرانى رقيق عديم الطعم تأكله السودان وتحته قشرة يابسة محتوية علي الوزة التى ليس فيها خروق كخروق النارجيل الاعتيادى وهذا يدل علي انه نوع آخر غيره . وذكر برون انه يسيل من قشرة هذه الشجرة صمغ شفاف رائحته مقبولة يمكن استعماله في محل الصمغ العربي ونخاع الشجرة يؤكل بالملح كما قال برون ولم يذكر هذا المؤلف أنه يستخرج منه عصارة نبيذية اذ ثمره أصغر حجما من أن يجهز لبنا (من المادة الطبية)

﴿النارنج﴾ هو نوع من أنواع البرتقال وقد استوفينا الكلام علي زراعة البرتقال في مادته فلا يحسن بنا أن نعود اليها هنا ولكن يهم قراء دائرة المعارف أن يعرفوا أموراً كثيرة عن فوائد النارنج الصحية والدوائية لان ذلك يفيدهم افادات ذاتية خصوصا وهذه الاصناف تكثر في بلادهم وتباع بثمن رخيص ويهملها الناس غفلة عن منافعها الجليلة أو يأكلونها أحيانا علي سبيل التنقل ليس الا مع أن فيها من الخواص مايجب الالتفات اليه . فنريد الافاضة في الكلام عليها وليس امامنا مصدر اوسع مما كتبه العلامة الرشيدى في مادته الطبية فانه ترجم كل مايمكن ترجمته مما يتعلق بهذا الموضوع فنعتمد عليه أيضا في ايراد هذا الفصل

(الفصيلة النارنجية) تسمى بالافرنجية أورنطياسية نسبة لجنس منها يسمي أورنطيون وقد تسمي أيضا اسبيريديه وانموذج هذه الفصيلة هو النارنج والليمون وتقوم من أشجار وشجيرات جميلة المنظر

تحفظ اوراقها في جميع السنة دائما خضرا وتنبت في الاقسام الحارة من العالم القديم والجديد وتلك النباتات تنتشر فيها غدد كثيرة صغيرة حوصلية مملوءة بدهن طيار رائحته ذكية نفاذة وتوجد في سمك الاوراق والكأس وفي النسيج الخاص للتويج وفي الغلاف السميك المصفر المغطي للثمر من الباطن وتلك القاعدة المربحة هي التي صيرت تلك الاشجار رائحية منبهة بحيث ان اجزاءها المختلفة تؤثر تأثيرا منبها في البنية الحيوانية وهذا الفعل واحد في جميع نباتات هذه الفصيلة فكما يكون ايضا في اوراقها التي لها طعم مر عطري يكون ايضا في ازهارها الذكية الرائحة وفي القشور المرة الخارجية لثمارها حيث يكون فيها قليل حرافة وعطرية وكما توجد تلك الاوصاف في اجزاء النارنج والبرتقال توجد ايضا في غيرهما من نباتات الفصيلة ولب ثمار تلك الفصيلة متشابه في جميع نباتاتها حيث يكون دائما حمضيا تختلف حمضيته بالقلة والكثرة ومبرداً مرطبا وفي البرتقان تكون تلك الحمضية مستورة بطعم سكرى وبمادة لعابية والعصارة المأخوذة بالعصر من هذا اللب قابلة للتخمر فيخرج منها سائل كؤولي أى نوع نبيذ يستعمل في بعض جهات الهند للشرب عند أهالي تلك البلاد

(نارنج) النارنج قال اطباؤنا هو اسم فارسي . انتهي . ويسمي بالافرنجية أورنجيه وباللسان النباتي ستروس اورنطيوم اى الليمون النارنجي واشتهر عند العرب تسميته بشجر النارنج وشجر البرتقال قسم الجنس ستروس من الفصيلة النارنجية كثيرة الاخوة عشرى الذكور واسمه آت من بلد اليهود يسمى سترون فأخذ الرومانيون النوع الذى عرف اولا بأوربا وسموه بذلك وهو يحتوي علي عدد يسير من الانواع كثرت اصنافها وزادت بالزراعة والفلاحة حتى صارت زينة البساتين في البلاد الحارة لجمال اوراقها البسيطة البيضاوية المتتالية البذور فيها نقط شفافة ناشئة من وجود حوصلات مملوءة بدهن طيار وخصوصا لمعانها حتى كأنها مدهونة بطلاء زاه وخضرتها الدائمة وذكاوة ازهارها ومنفعة ثمارها اللطيفة وأصلها من الصين وجزائر الهند والجزائر المتفرقة في وسط الاوقيانوس الهادى واستنبت بكثرة في جميع الاقاليم حتى في الاماكن الباردة

بإحداث حرارة صناعية حولها وأنواع هذا الجنس أشجار وشجيرات مربحة ودائما خضر ومنظرها جميل وأوراقها متعاقبة بسيطة كاملة أو مسننة وعديمة الزغب ومتصلبة في قمة ذنيب بسيط أو منضم علي شكل أجنحة في جوانبها وكثيرا مايوجد في قاعدة أوراق الانواع البرية وبعض الانواع المستنبتة شوكة مستطيلة تختلف خشونتها وكأنها أذين وحيدة الجانب والازهار في الغالب بيض أو وردية متوسطة العظم ويتصاعد منها رائحة شديدة الذكاوة وتنضم غالباً جملة منها مع بعضها في طرف الاغصان الصغيرة والثمار فيها جميع مايمكن من التنوعات أى من مقدار الكرز الي رأس الطفل وأما شكلها فيختلف أيضا بحيث يتعسر شرحه بالضبط ولكن تلك الثمار اذا وصلت لتمام نضجها كان لونها من الظاهر أصفر زاهياً والتنوع الذى يستدعي وضع أسماء مخصوصة لها يؤخذ أصله من الالوان الاولية الاصلية التي يتشكل بها الطيف الشمسى وطعم المنسوج اللبي يختلف كثيرا باختلاف الانواع والاصناف ولكن الغالب كونه حمضياً كثيراً أو قليلا بسبب وجود حمض مخصوص فيها وسمي لاجل ذلك بالحمض الليموني وقد يكون الطعم السكرى متسلطا كما في البرتقان الحقيقي وقد يتسلطن الطعم الحمضي وفي بعض الاحيان يكون تفهاً وفي بعضها يكون مراً وغير ذلك وقد ذكرنا ان أنواع هذا الجنس قليلة ولكن يعسر تمييز صفاتها بالضبط نظراً لكثرة الاصناف التي حصلت لكل نوع منها بالزراعة في الازمنة السالفة الى الآن وقد اشتغل المؤلفون بتحديد ذلك وسيما العالم النباتي المسمي ريصو بكسر الراء فاختار أولا في رسالة ألفها خمسة أنواع : الاول سماه ستروس ميديكا واليه تنسب النباتات التي تسمي سدرات أو سدروت وأصله من آسيا واستنبت قديما في جنوب أوربا الشمالية والثاني ستروس ليمطا بكسر اللام وفتح الميم واليه تنسب نباتات البرجموت وللتيبو أى الليمون الحلو وأصله من آسيا واستنبت بإيطاليا والثالث ستروس لميونيوم وأصله من آسيا واستنبت بأوربا الجنوبية وينسب اليه أصناف الليمون أو الترين والرابع ستروس أورنطيوم وينسب له جميع أصناف البرتقان الحلو وأصله من الهند والطاس

ستروس وبجارس وهو المسمى بيجرد أى
الكباد وينسب اليه أصناف البرتقان
الذى ثمره مر . واختار تلك الانواع الخمسة
دوقندول . ثم ألف ريصو كتابا آخر
رك فيه هذا التقسيم واختار ثمانية أصول
رئيسية وتبعه ريشار في القاموس الطبيعي
فذكر أصناف النارنجيات الكثيرة الوجود
في البساتين فأولا أورنجيير ذو الثمر العذب
وثانيا بيجرديير أو أورنجيير ذو الثمر المر
وثالثا برجوتيير ورابعا لمنيير وخامسا
بمبلوس وسادسا لومي وسابعا ليمونيير
وثامنا سدرتيير . ولنخص كل واحد منها
بفصل مخصوص وقبل أن نشرع في ذلك
نذكر تقسيم ميره

قال هذا الماهر : هناك نوعان
رئيسيان أحدهما أورنجيير المسمى عند لينوس
ستروس أورنطيوم وأزهاره بيض من
الظاهر والباطن والاوراق لها ذنيب مجنح
والذكور ٢٠ تقريبا والثمار كرية ولحمها
عذب وقشرها رقيق محمر غير ملتصق
وثانيهما سترونيير أى ليمون ويسميه لينوس
ستروس ميدكا وأزهاره بيض من الباطن
وحمر من الخارج وأوراقه عديمة الذنيب
والذكور من ٣٠ الي ٤٠ والثمار مستطيلة
ولحمها حمضى وجلدها يختلف ثخنه وهي
صفر زاهية ملتصقة فالنباتات الليمونية
تنقسم الي ٣ أقسام ثانوية الأول ليمون
وبالافرنجية سترون وهو عند ريصو
ستروس ليمونيوم وثمره مستطيل وقشره
أملس رقيق ولبه شديد الحمضية . والثاني
سدرات وهو داخل فيما سماه ريصوستروس
ميدكا وثمره مستطيل وغير مستو وقشره
ثخين جدا ولبه حمضى . والثالث برجوت
وسماه ريصوستروس ليمتا وثمره كرى
صغير وقشره متين ولبه عذب . وأما
النباتات البرتقالية فلا يعرف لها الا
أصلان رئيسيان أحدهما البرتقان الحقيقي
الذى سماه ريصوستروس أو رنطيوم وثمره
كرى وقشره رقيق أملس ولحمه عذب
وثانيهما الكباد المسمى بالافرنجية بيجرد
ويسمى عند ريصو ستروس وبجارس
وثمره كرى وقشره رقيق خشن ولحمه
حريف مر . ويوجد لهذه الاصول أصناف
كثيرة سموها بأسماء مختلفة لكن اهتمام
الاطباء بها قليل ثم مع الاشتغال الكثير
النباتيين لم يزل هناك اشتباه واختلاط في
تلك الانواع والاصناف

(الفصل الاول في النارنج والبرتقان)

النارنج ومعه البرتقان بل الشرح المذكور
هنا شرح شجرة تسمي بالافرنجية أورنجيير
وثمارها أورنج واسم النبات باللسان النباتي
ستروس أورنطيون

(صفاته النباتية) هو شجر جميل
يكون دائما أخضر وجذعه أملس أسطواني
متفرع حتى من قاعدته أحيانا وأوراقه
متعاقبة وحيدة بيضاوية تكاد تنتهي
بطرف دقيق وهي كاملة خالية من الزغب
لامعة من وجهيها واذا وضعت بين العين
والضوء شوهد فيها نقط صغيرة شفافة هي
حوصلات مملوءة بدهن طيار مقبول الرائحة
وتلك الاوراق مفصلية مع الذنيب الذى
طوله تقريباً قيراط مجنح من حافتيه
والازهار بيض كبيرة على هيئة باقات
لكن بعدد يسير في أطراف الاغصان
ويتصاعد منها رائحة ذكية معروفة لكل
أحد والكاس قصير جداً مسطح ذو ٥
أسنان عريضة حادة والتويج ذو ٥ أهداب
تقرب لأن تكون ناقوسية والاهداب
اهليلجية مستطيلة منفرجة الزاوية عديمة
الحامل فيها سموكة ولحمية قليلا وفيها جملة
غدد حوصلية شفافة والذكور نحو ٢٠
نصفها أقصر من التويج وهي قائمة متقاربة
لبعضها بجوانبها ويقوم منها أنبوبة واسعة
من قنتها وهي مندغمة كالذكور حول
قرص سفلي الاندغام على شكل حوية
تحت المبيض والاهداب بيض منضغطة
قليلا ومنضمة ملتصقة اثنين أو ٣ معاً
والمشفنات مختفية في باطن الزهرة قلبية
الشكل حادة وعضو الاناث مركزى
طوله نحو طول الذكور والمبيض بيضاوى
يقرب الكرية ذو ٨ أو ٩ أو ١٠ مساكن
يحتوى كل منها على بزرات عددها من
٤ الي ٦ مرتبطة بالمحور والمهبل غليظ جداً
أسطواني منته بفرج ثخين مستدير كرى
مصفر القمة قليلا والثمر هو المسمي برتقان
او نارنج مستدير فيه بعض انضغاط ولبه
عذب سكرى فيه بعض حمضية . فالمسمي
نارنج اما حلو واما مالح والحلو كثير السكرية
قليل الحمضية جداً والمالح كثير الحمضية
قليل السكرية وهذا النبات أصله من
الهند والصين وانتقل من هناك الي بلاد
العرب ومصر والشام ثم أتي الي ايطاليا
وبروونسة والي أمريكا قال ميره ويظهر
أنه كان غير معروف الرومانيين وانما
كان عندهم الليمون واستنبت بفرنسا في
القرن الحادى عشر الميلادي وما زالت

زراعته تمتد شيئاً فشيئاً حتى صار كما هو الآن لكن ذكر ر بشار في القاموس الطبيعي أن النارنج كان معروفاً في الخرافات القديمة حيث نمت تلك الاشجار كما قيل في بستان اسبيريد التي هي مدينة قديمة يوجد من آثارها برقة ويقال ان أكثر الشعراء خرجوا منها ولذا سميت الفصيلة اسبيريدية أيضاً . وذكر في التاريخ القديم الخرافي ان من أعمال هركول انه أخذ من بستان اسبيريد واختلف العلماء في محل هذا البستان الشهير فبعضهم جعله في الجزء الغربي من افريقية بقرب جبل الاطلس وبعضهم جعله في موريتاني والغالب كونه في جزء افريقية المبتل بمياه البحر المتوسط وعلي رأى سلميوس ان النارنج انتقل من جبال موريتاني الي ميديا ومن هناك الي بلاد اليونان وايطاليا واستبعد بورى مجيئه من آسيا الى اقاليم البحر المتوسط وانما كان مجيئه من اسبيريد ونظر في قناريا ومادير فعلم أن النارنج تطبع هناك اذا لم يكن أصله من هناك وأما البرتقان ذو الثمر العذب فاتفق المؤلفون على أن أصله من الاقاليم الجنوبية الصين وجزائر بحر الهند ومريان ومن جزائر متفرقة في الاوقيانوس الهادى واغلب المتأخرين يقولون ان البرتغاليين هم الذين أدخلوه أوروبا ولعل هذا هو السبب في تسميته برتقان لان هذا الاسم غير عربي وغير موجود في كتب اللغات وهم يقيناً انتشروا في الجزائر المذكورة وسوا عليها ولذا توجد الى الآن أشجار برية من الليمونيات في مور بس ومسقرنيو وغيرهما وزعم بعضهم أن العرب هم الذين أدخلوه بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وايطاليا ومهما كان فقد استنبت الآن جيداً وتطبع في الاقسام الجنوبية من أوروبا بل تطبع أيضاً بجزائر انتيلة وامريكا الجنوبية وأفريقا الشمالية واستنبت بفرنسا وايطاليا واسبانيا أى الاندلس وبلاد اليونان ولكن هو كثير جداً ببلاد الاندلس وما حاذاها حيث تتكون منه هناك أشجار كبار تحصل منها غابات حقيقية وبساتين جليلة كبيرة نشأت منها ثروة أصحابها ولم يزل بقرطبة أشجار منها في أراض كانت بساتين لملوك العرب الذين ملكوا تلك البلاد حتى ان منها ما عمره من ٦ أجيال الى ٧ ولما أخذ جذعها في الاضمحلال اضطر لاسناده ببعض

فروع من الاشجار كذا ذكره بورى وذكر أيضاً أن شجر البرتقان لا يكون مناسبا لشيء من انواع الحزاز فقشره لا يتحمل نوعا منه وأجود البرتقان ذو القشر الحلو يكون عندنا رقيق القشر أملس لامعا عظيم الحجم وكذا يكون في مالطة و بلاد البرتغال . وأما برتقان أصور فهو صغير ولكن مع الجودة وأما مايكون ثخين القشر خشنه فيندر كونه جيداً . ولحم البرتقان قد يكون أحيانا ملونا بلون أحمر نبيذى وما يكون كذلك يكون أكثر حلاوة وهذا موجود ببلادنا والكلام على ثمار البرتقان حقه أن يذكر في المعدلات ولكن حيث أردنا استقصاء أجزاء النارنج والبرتقان وغيره من هذه الفصيلة هنا فلا لوم وكذا دخلت في رتبة من رتب الادوية يناسبها شيء من تلك الاجزاء تحيل على هذا الموضع فاذن نقول البرتقان ثمر جليل طعمه سكرى ممزوج بطعم حمضي مقبول جدا مرطب ومن خصائصه حفظه زمنا مابحيث يسهل نقله لمحال بعيدة فلذا يمكن وجدانه في جميع البلاد ولكن الذى يراد نقله لمحال بعيدة يلزم اجتناؤه قبل تمام نضجه حتى قالوا ان ماينقل من بروونسة الي باريس في شهر ديسمبر ليباع في الايام من السنة يكون أخضر بالكلية حينا يوضع في الصحارات

(قشر ثمر النارنج والبرتقان) نعنى بذلك القشرة الظاهرة للثمر أى جزء الثمر الاصفر المتعرى حسب الامكان من المادة البيضاء العديمة الفعل الموجودة تحته وتلك القشرة غير مستوية أى خشنة فيها غدد مملوأة بدهن طيار ويكفي عرصها بين الاصابع لينقذف منها هذا السائل القابل للالتهاب بعيداً عنها وينال هذا الدهن من تلك القشور بتمزيق الخلايا الحتوية عليه ويجنى مايسيل منها وقد يستخرج منها أيضا بالتقطير في الماء ويسمي الدهن الطيار النارنجي أو البرتقاني

(صفاته الطبيعية) هذا القشر يكون على شكل قطع مسطحة صفر قاتمة خشنة مقطبة من وجه وذلك ناشيء من وجود العدد الكثير من الغدد الحتوية في الرطوبة علي مقدار كبير من الدهن الطيار وطعمها مر عطرى حار لذاع ورائحتها مقبولة جدا

(خواصها الكبادية) يحتوى هذا

القشر كما علت علي دهن طيار كثير يحوى في حوصلات كثيرة تصيره شفافا وكالمنخل وذلك الدهن قريب الشبه من دهن الازهار ولكنه أنقي منه واذا ضغط علي القشرة تجاه شعلة ضوئية احترق الدهن الخارج منه ناشراً رائحة مقبولة وكذا يحتوى القشر علي مادة شديدة المرار والماء والكؤول يأخذان قواعده الفعالة ويستخرج الدهن الطيار من قشر ثمار أنواع النارنجيات باحدى طريقتين فتارة بالتقطير وتارة بالعصر وتقوم هذه الاخيرة من تحويل الجزء الاصفر من القشر الى لب بالحك الناعم بمحكة ثم تعريض ذلك الضغط في منسوج من الشعر فينال سائل ينفصل الي طبقتين احداهما سفلي مكونة من ماء وبعض بقايا وثانيتهما عليا هي الدهن الطيار الذى يكون ملونا دائما وذكي الرائحة جداً أكثر من الدهن المستخرج بالتقطير وهو قليل النقاوة لان في محاوله بعض أجزاء ثابتة وبذلك لايكون أهلا لازالة النكت من الثياب لان الدهن وحده يتصاعد وتبقى المادة الملونة ثابتة علي المنسوج (انظر مبحث الليمون)

(تحضير القشر) يجفف قشر البرتقان أو النارنج بعد تعريته حسب الامكان من الجوهر الابيض المغطي لسطحه الباطن

(الجواهر التى لاتتوافق معه) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(الاستعمال) هذا القشر الكثير العطرية الحار الطعم يدخل في كثير من المستحضرات الاقرباذينية ويعمل منه منقوع بأن يؤخذ منه جافا درهم أو ٢ لاجل رطلين من ماء مغلي وقد يركب من هذا المغلي شراب يقال له شراب البرتقان وهناك فرق عظيم بين تأثير هذا الشراب وشراب ماء زهر البرتقان . قال بر بيير شاهدت استعمال الشراب الاول جملة مرات غلطا عن الشراب الثاني فحرض احتراقا مؤلما في القسم المعدى بل وفي الصدر وقلقاً وضجراً وأحدث قيأ مع أن شراب ماء الزهر لم ينتج شيئاً من هذه العوارض والدهن الطيار المحوى في هذه القشور يفيدها خاصة التنبيه فأجزاء هذا الدهن تؤثر في المنسوجات الحية فتثير الحركات العضوية ولا تنس

فعل هذه القوة المؤثرة اذا دخلت تلك القشور في تركيب أقرباذيني ولو علي سبيل التعطير وكلما كان القشر أرق كان أعظم اعتباراً وكلما كان شحم البرتقان المغطي به أجود ويجفف القشر ليوضع في العطريات وفي مشروبات الموائد المشهورة بأنها مقوية للمعدة ومهضمة وطاردة للريح واشتهر كونه مضاداً للديدان وغير ذلك ويدخل في الشراب المضاد للحفر وفي الروح الطارد للرياح السلفيوس وفي الصبغة المقوية للمعدة وغير ذلك وبربي وتعمل منه عجائن وغير ذلك وذكر أطباؤنا أن قشر الثمر الخارج اذا جفف وشرب منه وزن درهم ونصف بماء حار أزال مغص الفؤاد حالا وسكن القيء والغثيان واذا شرب مع زيت وماء حار أخرج الدود الطوال واذا نقعت القشرة وهي رطبة في دهن ومنها السيرج وشمست ٣ أسابيع نفعت في كل ماينفع فيه دهن الناردين واذا شرب منه مثقالان نفع من لدغة العقرب وسائر نهش الهوام الباردة السموم وكذا حبه نافع من سموم الهوام كما أن الجف والدقاق الشجرة اذا جففت وسحقت وشربت بشراب كانت من أنفع الادوية النافعة من السموم الباردة القاتلة

والاوروبيون يسمون باسم أورنجيت أى النارنج الصغير أو البرتقان الصغير ثمار النارنج أو البرتقان التى تجنى بعد تكونها بزمن يسير وقبل أن تبلغ مقدار حجم الكرز وأكثر ماتجنى من الثمار الساقطة بعد تزهرها بزمن يسير وطعم تلك الثمار مر عطرى وفيها خاصة التقوية والتنبيه واضحة وتقوم مقام الحمص في التقيير علي جرح الحمصة ولا تستعمل في فرنسا الا في ذلك . أما في انكلترة فتستعمل كقشر النارنج وتدخل في تركيب كثير من الادوية ويستخرج منها بالتقطير دهن طيار يسمي بدهن النارنج الصغير وخشب النارنجيات صلب مندمج معرق معروف وقابل الصقل الجيد ويعمل منه شبه حمص صغير الحمصة يستعمل كاستعمال الثمار الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال للقشر) مقدار مسحوقه من نصف درهم الي درهمين ومنقوعه من درهمين الى ٣ لاجل رطلين من الماء المغلي ومنقوعه المركب يصنع بأربعة غرامات من ذلك القشر وغرامين من مطبوخ قشر الليمون الرطب وغرام

كثير من الآفات الحيوية والتقلصات الاستيرية أى الاختناقية والتضايقات الوقتية والخفقانات القلبية والهبوط العصبي والآلام والتضايقات المعدية ونحو ذلك مع أنه يظهر من حال الاعضاء التى تظهر فيها تلك العوارض أنها سليمة وانما التأثير النبر المنتظم للنخاع المستطيل للاستعدادات الفقرية وخصوصاً للاعصاب العقدية هو الذى كدر الحركات الاعتيادية لتلك الاعضاء وحرض الافعال الغير المنتظمة الحاصلة منها فاذا كان هذا التغير في التأثير العصبي ناشئاً من صبب خفيف بحيث يكفي لاذهاب هـذا السبب تنبه يغير الاستعداد الحاضر لجهاز المخي الشوكي كانت تلك الاوراق دواء قوي الفعل لكن أليس لتلك الاوراق في تلك الحالة فعل خاص على المراكز العصبية ؟ أملا ينسب لها هذا الفعل الذى أرجع هـذه المراكز لحالتها الاعتيادية وصار حينئذ هو الخاصة المضادة التشنج ؟ فاذا كانت هذه العوارض ناشئة من عمل التهابي في بعض محال من أغشية المخ أو النخاع الشوكي أو الجوهر النخاعي المصفين المخيين أو الاستعدادات الفقرية فان تلك الاوراق

لاتناسب حينئذ بل تولد ظاهرات جديدة عصبية يبعد أن تسكن الاعراض الموجودة فالتهيج البسيط في الجوهر النخاعي للمخ والنخاع الشوكي بغير النتائج التى تنتجها في العادة أوراق البرتقان قال برسير شاهدت أن هـذه الاوراق بتأثيرها في الرأس صبت هيئة سكر وأعراضا غريبة في النساء المختنقات اللاتي يستشعرن بميل التهابي في المخ وحصل لهم على طول السلسلة الفقرية آلام سمت القسم المعدى وتضايق يظهر أنه حاصل من الحجاب الحاجز وخزات منتشرة مبهمة في الصدر وفي البطن ونحو ذلك وشاهدت أن كونه من منقوع هذه الاوراق القوى المتحمل حصل منه اضطراب وحالة صبات وهيئة اندفاع توجه للقلب والرأس وكانت مصاحبة لحرارة قوية لكن هذه النتائج لاتحصل الا للاشخاص الموجود في مراكز جهازهم العصبي حساسية متزايدة وحالة مرضية لاتشاهد في الاشخاص الذين جهازهم المخي الشوكي في حالة اعتيادية ولو استعملوها بمقدار كبير كما تيسر لي تأكيد ذلك في البحث عن دواء مضاد الحمي في تلك

من القرنفل و ١٢٨ من الماء المثلي والمقدار للاستعمال من درهم الى ٤ دراهم يكون ذلك مرتين أو ٣ في اليوم والصبغة النارنجية تعمل بأخذ ٣ من القشر و ٣٢ من الكؤل والاستعمال من درهم الي درهمين والماء الليموني النارنجي من اوقية الى ٤ والشراب النارنجي من أوقية الى اوقيتين والمعجون النارنجى يصنع بأخذ غرام من قشر النارنج الرطب و ٣ من السكر والاستعمال من درهمين لي ٤ والدهن الطيار القشر من نقطتين الي ٦ نقط والدهن السكرى النارنجي مثله ثم أن أوراق النارنج والبرتقان وأزهارهما يلزم ذكر مايتعلق بهما من مباحث العلاج في مضادات التشنج ولكن أردنا استيفاء جميع أجزاء النارنج هنا واذا وصلنا لمضادات التشنج نحيل الكلام في تلك الاوراق والازهار على ماهنا

(أوراق النارنج والبرتقان) قد علمت أن رائحة هذه الاوراق عطرية تتصاعد منها وتزيد اذا دلكت بين الاصابع وطعمها حار مر وهي مملوءة بغدد حوصلية تشاهد اذا وضعت بين العين والضوء ويدخل في تركيبها أيضا مادة خلاصية

ومادة تنينية ويلزم أن تجنى وهي في أعظم خضرتها ويطرح منها ماكان متغيراً وما كان عتيقاً على الشجر وما يسقط بنفسه ويلزم أن تجفف منزلة عن بعضها في محل يضطرب فيه الهواء في الظل وصناعة العلاج تجد في هذه الاورق خاصة مزدوجة فيوجد فيها أولا قوة منبهة من دهنها الطيار وثانيا قوة مشددة أى مقوية عامة يظهر انها ناشئة من المواد الاخر ويلزم أن ينسب لفعل هاتين القوتين المنافع التى تنال من استعمال تلك الاوراق في ضعف المعدة وبطء الهضم وعدم انتظامه ونحو ذلك ويكتفي عادة في تلك الاحوال باستعمال منقوعها وحده قبل الاكل أو مع نبيذ عند الاكل فهذا الدواء يقوى وينبه عضو الهضم فيزيد في فاعليته وشدته في آن واحد وتستعمل تلك الاوراق كثيرا في الامراض العصبية فبعض أكواب من منقوعها كثيرا ماتنجح لازالة ثقل الرأس المصاحب لضعف القوى العقلية والادبية والكسل وغير ذلك ومن المعلوم يقينا أن تجربة منافعها صيرتها دواء عاميا مستعملا عند العامة من غير استشارة الطبيب في

الأوراق حين أعطيت مسحوقها بمقدار درهمين في مرة واحدة . وقال بر بيير أيضاً استعملوا تلك الاوراق علاجا للصرع وظنوا أنهم وجدوا منها دواء مضاداً لهذا الداء . وأقول قد اتضح نجاح أحوال تأكد فيها الوثوق بتلك الاوراق في هذا الداء عند بعض الاطباء ففي جميع المصروعين الذين باشرت أحوالهم انتهي الحال معي بكشف آفة دائمة فيهم وتلك الآفة هي التي حرضت الآفات النوبية التي ينسب لها النوب الواصفة للصرع ويمكن ان تكون تلك الآفة التهابا مخياً جزئياً أو ورماً في أحد عظام الجمجمة أو ورماً نامياً في الأغشية المخية ضاغطا على الجوهر المخي أو درنا أو خراجا في ذلك الجوهر أو نحو ذلك ويمكن أن يكون مجلس تلك الآفة في القلب اذ كثيراً مايشاهد في المصروعين ضخامة البطين الايسر أو اتساعه واتساع الفتحة الاورطية ولكن في وقت النوبة تظهر آفات أخر فتحصل في الضفائر العصبية العظيم الاشتراكي تركزات حيوية تشير فيها نوع حركة تذهب في القسم الحجابي الحاجز الي الصدر فاذا نفذت في الجمجمة

حصل في القسمين المخيين احتقان دموي وغير ذلك في الآفة التي تعالج بتلك الاوراق من تلك الآفات . نقول هي لا فعل لها في معظم الآفات المستدامة التي توجد في المصروعين لكن يمكن بتلك الاوراق التحرس من ظهور الآفات النوبية فتمنع حصول النوب . والاعتبار في هذا هو المقدار المستعمل من تلك الاوراق الموجهة قوتها المؤثرة لمعالجة الصرع والتشنجات فاذا اختير مسحوقها استعمل منه كل يوم من درهمين الى أوقية لوعا أو معجونا فاذا أختير منقيها وضع مقدار من ٣٠ الي ٣٦ ورقة بل أكثر وتغلي في لتر ونصف من الماء حتى ترجع الي لتر واحد ويشربه المريض في مدة النهار واستعمل بعض الاطباء ١٢٠ ورقة في ٢٠ أوقية من الماء وأضاف لهذا المغلي شيئا من نبيذ أحمر وسكر ومن المعلوم جيداً أن تلك الاوراق اذا استعملت بمقادير كبيرة فان الفعل أى التأثير الحاصل منها يكون عاما فقواعدها تصير المخ والامتداد الفقري في حالة جديدة وتقاوم في كثير من الأحوال الاندفاعات التي تخرجها عن الانتظام

وتمنع تولد الآفات النوبية . وقبل أن يعرض المصروع للعلاج بأوراق البرتقان كثيراً مايضطر لتهيء جسمه والتحرس من الاخطار التي يمكن أن تصدر من تنبه مخائي شديد في جميع المنسوجات العضوية فاذا كان ممتلئا هولج بالفصد المناسب وكثيراً مايضطر للاستحمامات ونحو ذلك ولا تنس أنه يلزم غاية الاحتراس في علاج الآفات العصبية والتشنجية ونحو ذلك اذا انحط الرأي على ايقاف سير العوارض المرضية أو ازالة شدتها بدواء من الادوية اذ هذه الامراض تكابد بطبيعتها ترددأ وتقطعا بدون معرفة سبب ذلك فيلزم خصوصاً في الصرع والتشنجات والتقلصات ونحوها أن لا تنسب التحسينات التي تعرض مدة استعمل الدواء العلاجي لذلك الدواء وانما تنسب للطبيعة وحدها ومعناه أن نسبتها للدواء المستعمل مشكوك فيها . قال بر بيير أيضاً قد استعملت مسحوق هذا الدواء كدواء مضاد الحمي فرأيت أن مقدار درهمين في نصف كوب من نبيذ أو من ماء سكري سبب أولا ثقلا في الجسم المعدى وضيق نفس وقطع الشهية وأثار القلس والقرف من الاغذية

مدة ساعات وما شاهدت منه الغثيان والعطش الا نادراً ثم عرضت قولنجات وحركة في البطن بدون استفراغ ثقلي وحصل لبعض المرضي في اليوم التالي اسهال ولما أعطيت هذه الاوراق بهذا المقدار لم يتعرض منها ظاهرة مخيفة ولا تكدر في ممارسة الحواس ولا في الادراكات ولا في القوى العقلية وأوراق البرتقان أو النارنج واسطة ضعيفة في علاج الحميات المتقطعة فاستعمالها يكاد لا يحدث تنوعا في النوب وزيادة على ذلك ان المقدار اللازم اعطاؤه في ذلك كبير جداً بحيث يعسر تناوله فتقذفه المرضي ويكرهون استعماله انتهي

(الاجسام التي لا تتوافق مع تلك الادوية) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(المقدار وكيفية الاستعمال) قد دلت مما سبق ان أوراق البرتقان والنارنج تستعمل مسحوقة بمقدار من ١٢ قمحة الى غرام بل أكثر في مرة واحدة واذا أريد منها نتيجة عامة استعملت بمقدار درهمين الي نصف أوقية ومنقوعها يصنع بمقدار درهمين لاجل رطلين من الماء

وكذا منابها أى مطبوخها الأن المطبوخ لايحتوى الا علي يسير من جزئه العطرى وأما يوجد فيه بالاكثر قواعدها المرة وأما المنقوع فيحتوى علي جميع الجزء العطرى ولذا كان أعظم. وكثيراً مايجمع مع الزيزفون والمياه المقطرة للاوراق مثل المياه المقطرة للازهار كما أن معظم مستحضرات الاوراق كالازهار سنذكرها في مبحثها الآتى علي الاثر

(أزهار النارنج والبرتقان) هي أزهار النبات المسمى ستروس أورنطيوم كما سبق وهذه الاهداب الزهرية المشربة عن الكاس أو غيره من أجزاء الزهرة شديدة الرائحة وفيها مرار يسير والعطر المتصاعد منها معدود من أجل الاعطار المعروفة لكن لاينبغي استنشاقه في بيت صغير مغلق وسيما في الليل خوفا من الاختناق ويجنى ذلك الزهر طريا لاجل استعماله لانه اذا جف فقد جزءاً عظيما من عطريته بحيث لايعرف حينئذ وفي البلاد الحارة لايكون لاجتناء الازهار وقت معلوم فقد تجنى في معظم السنة لكون الشجرة تحمل منها دائما كما تحمل من الثمار كذلك فلذا لايجنى الا جزء من تلك ويترك الباقي علي الشجرة ليصير ثمراً كاملا أما في أوربا فلا ينضج من تلك الثمار الا يسير. كذا قال أطباء الاوربيين مع ان اجتناء الازهار له في بلادنا وقت معلوم وهو أوائل الربيع ويجمع من تلك الازهار الساقطة تحت الشجر مقدار كبير يجمعه الزراعون ويبيعونه للتقطير ولا يأخذون مما علي الشجر الا اليسير بل لايأخذون شيئاً وذكروا أن الشجرة في نيس من أعمال فرنسا قد يؤخذ منها من ٢٠ الي ٣٠ رطلا من الزهر ويؤخذ منها من نضيج البرتقان ألف وربما ارتفعت الشجرة هناك من ٤٠ الي ٥٠ قدما فرنساويا ويقال ان في فينال من أعمال ايطاليا أيضا قد يؤخذ من الشجرة الثمار من ٥ آلاف الى ٦ آلاف في السنة

(الخواص الكيماوية) يستخرج من زهر البرتقان أو النارنج بالتقطير ماء مقطر تختلف صفاته باختلاف البلاد الآتي منها فنها مايكون فيه دهن ومنه مالا يكون فيكون صافيا شفافا واذا سد بخشب الخفاف حمض وفسد وصار شديد المرار وأكد هنرى أن الماء المقطر

بالبخار لايحمض ولا يرسب منه ندف ولا ينفصل منه دهنه بل يبقي محفوظا جيداً وذكر رويل أنه يمكن تحضير هذا الماء في كل وقت ويكفي لذلك تحويل الزهر الي عجينة في ربع وزنه من الملح عند اجتنائه ويجعل ذلك المخلوط في قنينة يؤخذ منها عند الحاجه فيمكن تقطير هذه الازهار بعد جملة سنين فيكون الماء ذكي الرائحة كما يحضر من الازهار الرطبة وأكد ذلك سلفيبر أيضا

(الاستعمال) الفعل المنبه للازهار قليل الشدة ولكن يؤثر تأثيراواضحا علي المجموع العصبي كتأثير مضادات التشنج فيستعمل منقوعها ومغلوها لمقاومة الآفات العصبية والاكثر استعمال مائها المقطر فيستعمل هذا الماء المر الطعم وحده كثيرا بالملاعق الصغيرة أو يضاف علي مشروبات المرضي وقد يكون هو الحامل في كثير من الجرعات ويخدم أيضا لتعطير المربات والسكريات والمياه السكرية التى تستعملها الناس بعد الاكل لتقوية الهضم أولدفع التكدرات الوقتية فتصير بذلك تلك المشروبات فائحة مقبولة وقد يحول ذلك الماء الي شراب ويركب أيضاً من هذه الازهار عنبرى مقبول وكحولات وتلك الازهار تحتوى علي دهن طيار لطيف عين أشقر اللون حريف قوى الرائحة ينال بالتقطير ويسمي في بيوت الادوية بدهن زهر النارنج والبرتقان (دهن نيرولي) ويحتوى هذا الدهن علي رأى بليصون علي مادة قابلة للتبلور يمكن أن تعد في الاجسام الصمغية ولها خواص تميزها عن الاجسام الشبيهة بها مثل امبرين وكولسترين وغير ذلك. كذا قال ميره. وقال سو بيران النيرولى أى دهن الزهر يحتوى علي دهن صلب قابل التبلور كشفه بليصون ومياه أوراد وفصله بوضع النيرولي في الكؤول الذى في ٨٥ من مقياس الكثافة لجيلوساك وتركه ساكنا مدة أيام. انتهى ووجد بوليه في تلك الازهار غير الدهن الطيار قاعدة صفراء مرة تذوب في الماء والكؤول ولا تذوب في الايتير ومادة صمغية وزلالا وخلات الكلس وحمضا خليا زائد المقدار. ويحقق بلنس انه يوجد فيه كبريت كما وجد بوليه أيضا في هذا الدهن المادة المذكورة التى تتجمد وتصير دسمة كبياض القيطس أى من السمك وليس لها رائحة

ولاطعم وهي المادة التي ذكرها بليصون وهذا الدهن الطيار يخدم التعطير مستحضرات دوائية مختلفة مثل بلسم أبودلدوك وغيره والماء المقطر يؤثر على الاعضاء الحية تأثيرا منبها خفيفا فاذا استعمل بالملاعق الصغيرة سكن أو أضعف العوارض التشنجية الناشئة من تغيير تأثر الاعصاب على الاعضاء الرئيسة وأذهب التضايق والقيء والتجمعات الهوائية في الامعاء والقولنجات والخفقانات القلبية وجميع أنواع الحركات التشنجية ونحو ذلك مع أن الادوية المنبهة الاخر قد لاتنجح في هذه العوارض أفلا ينسب احداث النتائج العلاجية المنالة في تلك الحالة للتأثير المنبه الذي في الماء المقطر المذكور أليس هذا الماء المر محتويا على قاعدة يكون تأثيرها على المخ والنخاع وأعصاب المجموع المقدمي هو سبب نجاح علاج تلك الآفات العصبية . والغالب استعمال هذا الماء في الحميات الغير المنتظمة قبل استعمال الوسايط القوية التي فيها قوة على اذهاب التقلصات والتضايق والتوتر المؤلم في الحجاب الحاجز فان هذه أعراض تضاعف الداء وتزيد في الاخطار

وهذا الماء يدخل في أغلب الجرعات المضادة للتشنج في كثير من المستحضرات الوقتية التي تقاوم بها الآفات العصبية ككثير من المركبات الطبية المدخرة أيضا كالماء الالهي والملكي ولاكبير المقوى للمعدة والمطبوخ الابيض وغير ذلك ويؤخذ ذلك الماء سواء من أزهار النارنج أو البرتقان المذب أو النارنج المر بل يفضل المستخرج من أزهار النارنج المر لان رائحتها أذكي . وقال أطباؤنا ثم الزهر يقوى الدماغ ويطرد الرياح ويحلل الزكام الخفيف واذا احتمل أدر الطمث وشر به ينفع من لسعة العقرب ويعمل منه دهن يقوم مقام دهن الناردين في جميع خصاله وهذا ألطف منه واذا شرب نقيعه سهل الولادة مجرب . وقال انه يستقطر معه ماء طيب الرائحة ذكي مفرح واذا جعل الزهر في الشيرج ٣ أسابيع ناب ذلك الدهن عن دهن الناردين وغيره . انتهى

(المقدار وكيفية الاستعمال للازهار)

تستعمل أهداب الزهر منقوعة أيضاً بمقدار من غرامين الى ٥ غرامات الىتر من الماء فيكون هذا المشروب مقويا ومضادا للتشنج في آن واحد وقد يكون

نافعا أيضا لمقاومة ضعف المعدة والآفات العصبية مع كون هذا المنقوع مقبولا للشرب جداً . ثم المستعمل منه عموما ماؤها المقطر في الآفات العصبية والتشنجية وكيفية تحضيره أن يؤخذ من الازهار الجنية جديداً خمسة كيلو غرامات ومن الماء العام المقدار الكافي وتوضع الازهار بدون تراكم على حجاب حاجز مثقب ومهيأ في الجزء العلوي من القرعة التي يصب فيها قبل ذلك المقدار اللازم من الماء ويتمم جهاز التقطير ويقطر بالبخار ويتلقى السائل المتكاثف في مرصب لاجل عزل الدهن الطيار منه ويداوم على التقطير حتى ينال من الماء المقطر ٢٠ كيلو غراما وهذا الماء هو ماء زهر النارنج المزدوج على حسب الدستور اذا استخرج ٥٠٠ غرام ماء من ٥٠٠ غراما من الزهر فاذا استخرج من الماء بقدر الزهر ٤ مرات حصل ماء زهر النارنج المربع واذا وضعت الازهار مع الماء البارد كما كان يفعل سابقا ثم على الكل كان الناتج متكدرا . أما اذا وضع الزهر بعد غلي الماء فان الناتج يكون صافيا ويوصل لذلك اذا قطرت الازهار بالبخار كما ذكرنا . ثم ان الحمض الخلي

الذي يحتوى عليه ماء زهر النارنج يمر بالتقطير وسيما في آخر العملية وجل منع وجود هذا الحمض في الماء حيث يكون خطراً اذا مر هذا الماء في أواني من نحاس ذكر بوليبه ان يخلط كل ٥٠٠ غرام من الزهر بثمان غرامات من المغنيسيا والمقدار للاستعمال من الماء المقطر من ٣٠ غراما الي ٥٠ غراما في جرعة ويحضر شراب زهر النارنج بجزء من الماء المقطر وجزء من السكر الشديد البياض والمقدار منه للاستعمال من ٣٠ الي ٥٠ غراما . وأما عطر أزهار النارنج المسمي نيرولي فينفصل على سطح الماء اذ قطر زهر النارنج ويحتوى ذلك العطر كما قلنا على نوعين من الدهن الطيار أحدهما سائل والثاني صلب سماه بليصون باسم أوراد وينفصل اذا صب الكؤول الذي في ٣٠ درجة من الكثافة في الدهن الطيار الخام ويستعمل هذا الدهن المسمي نيرولي على السكر بمقدار من ٢ الي ٦ نقط كدواء مضاد للتشنج ومنقوع زهر النارنج يصنع كمنقوع الاوراق بمقدار من ٥ غرامات الي ١٥ لاجل كيلو غرام من الماء والكؤولات أى الصبغة للازهار

أو الاوراق أو قشور الثمار يصنع بأخذ
غرام منها و ٤ غرامات من الكؤول الذى
في ٢٤ درجة من الكثافة والمقدار للاستعمال
من غرامين الي ١٠ غرامات في
جرعة

(الفصل الثاني في الليمون وقشره)

الليمون وقد تحذف نونه سماه لينوس
ستروس ميدكا وسماه ريصوستروس
ليمونيوم وبعضهم يرى أن هذا اسم لنوع
غير الاول وانه المسمي ليمونيير بالافرنجية
وأما الاول فهو المسمي بالافرنجية
سترونيير وقد يسمي بما معناه الليمون
الاعتيادى ولكن الاكثر علي أن مدلول
الاسمين واحد . وهو ينبت طبيعة بالهند
ثم حمل الى آسيا وأوربا الجنوبية ووصل
الي جبال البيرينيا ويعلو أكثر من شجر
النارنج وساقه ممتدة متفرعة تفرعا كثيراً
وهي غالبا بنفسجية وتحمل شوكا سيما في
الحالة الوحشية وأوراقه بيضاوية مستطيلة
منتهية بحرف دقيق مسننة لونها أخضر
مصفر ومحموله علي ذنيبات مفصلية بدون
تجنح في جوانبها والازهار عديده متوسطة
العظم وهيئة غالبا بهيئة عناقيد ملونة من
الخارج بلون أحمر بنفسجي وكاسها قصير
يقرب لان يكون مسطحا واذا خمسة أسنان
والاهداب ٥ مدبية الحامل والذكور
سائبة في الغالب غير ملتصقة بأعصابها
علي هيئة حزم والثمار بيضاوية صفر
زاهية وجلدها رقيق تختلف رقته
باختلاف الاصناف وهو أملس وأحيانا
يكون ثخينا خشنا وتنتهي الثمار من الاعلي
بحلمة مخروطية واللب المحوى فيها مملوء
بعصارة حمضية مقبولة ومن تلك الثمار ما
يبلغ رأس الطفل التام الاشهر
وحويصلات الدهن الطيار الذى في
القشر مقعرة والمستعمل من النبات ثمره
المسمي سترون وبزوره وقشر ثمره
المسمي زيست وأصناف هذا النوع
كثيرة واستنبت بالاكثر في حوض البحر
المتوسط ويندر وجودها في بساتين
البرتقانيات بباريس والفضل في انتشارها
لخلفاء العرب الذين امتدت سلطنتهم
لعمق آسيا الجنوبية والي جبال البيرينيا
وتركوا في جميع الاماكن التى كانت تحت
أيديهم آثاراً مهمة من فنونهم ومعارفهم في
الطب والزراعة فشجر الليمون من جملة ما
انتشر في الجهات التي استولوا عليها ولذا
يوجد في بلاد الشام وفلسطين أشجار منها

من أواخر القرن الحادى عشر الميلادى بل
يظهر أنه في ذلك الزمن نفسه تضاعف بافريقة
وبلاد الاندلس ويظهر أن الحجاج بين الذين
قصدوا قتال المسلمين في الحروب المشهورة
هم الذين أدخلوا شجر الليمون ايطاليا
وسيسليا وقشر الليمون له رائحة جميلة
مخصوصة وهو أحد العطريات التى يرغب
فيها بسبب مافيه من الدهن الطيار
ويحضر من هذا القشر سوائل وعطريات
ومربيات وغير ذلك ويصنع منه شراب
ويدخل في المياه الترياقية والمياه المليسية
المركبة والماء الملكي وغير ذلك ولبه
يدخل في الاقراص المعدية والاقراص
الليمونية والقشر المذكور مقو وطارد
للرياح والدهن الطيار المستخرج منه سائل
ليموني شفاف رائحته ذكية جداً واذا نيل
علي البارد ونقي كان عديم اللون وينفع
للتعطير ويدخل في صناعة عمل الارواح
وفي أعمال بيوت الادوية وفي بعض
الترياقات وغير ذلك . ويستعمل ضد الدود
القرع . والدهن المستخرج بالتقطير يكون
أقل ذكارة ويخدم لازالة الشحم من
الخرق والثياب والدهن الليموني يتحد
بالحمض المرياتي ويتكون من ذلك شبه
ملح يصح أن يسمى مريات ليموني وبزور
الليمون حريف مر يقال انه مضاد للديدان
والسموم ونحوها وهو من الادوية المقوية
والطاردة للرياح ويدخل في معجون
الياقوت ومعجون سلمان والمثلي المر
والمسحوق المضاد للديدان . ويحضر من
قشر جذور الليمون في جودلوب خلاصة
تستعمل كمسحوق في الحميات علي رأى
بعضهم وذكر أطباؤنا لليمون منافع جليلة
وحصروا منافعه أيضا في القشر والحامض
والبزر وقالوا أما القشر فيظهر من مرارته
وحرافته اليسيرة وقبضه الخفي وعطريته
الظاهرة أن طبيعته التسخين القريب من
الاعتدال والتجفيف البين ولذا كان
مزاجه حاراً يابساً ولما فيه من المرارة
والقبض والعطرية كان مقويا للمعدة
خاصة ومنبها لشهوة الغذاء ومعيناً علي
جودة الاستمراء ومطيباً للنكهة محركا
مطيباً للجشاء مقوياً للقلب مصلحاً لكيفية
الاخلاط الرديئة وفيه مع ذلك باد زهرية
تقاوم بها مضار السموم المشروبة والمصبوبة
ويخلص منها هذا حكمه اذا أخذ علي
جهة الدواء وأما علي جهة الغذاء فهو عسر
الانهضام بطيء الانحدار قليل الغذاء

ويدل علي ذلك صلابةجرمه وعسرمضغه وبقاء طعمه ورائحته في الجشاءمدةطويلة وأما حماضه فحقه أن يذكر لي المعدلات وأما بزره ففيه بادزهورية يقاوم بها سم ذوات السموم كبزر الاترج الحامض الا أنه أضعف منه قليلا والشربة منه من منقال الي درهمين مقشوراً أما بشراب واما بماء حار ومضغه يذهب ضرس حمض الليمون قالوا والليمون المملوح ادام حسن يطيب النكهة والجشاء ويقوى المعدة ويذهب بلتها ويعينها علي جودة الاستمراء وهضم الأغذية الغليظة ويزيل وخامتها ويقوى القلب والكبد ويفتح سدد الكلي ويدر البول وينفع من كثير من العلل الباردة كالفالج والاسترخاء ويقاوم سم ذوات السموم وقالوا ومن الليمون صنف مركب علي أترج يسمي بالليمون الصيني وهوالاصنيوب المعروف في مصر بالحامض الشعبرى أو الليمون الشعبرى ويسمي أحيانا بليمون أضاليا انتهي .وأما الدهن الطيار فهو واحد في جميع النباتات النارنجية التي منها الليمون واستخراجه من الليمون كاستخراجه من غيره فاذا قطر الزهر انفصل مقدار من الدهن يسبح علي سطح

الماء ويسمي نيرولي كما ذكرنا ورائحته عطرية ذكية تختلف عن رائحة الازهار قال سوبيران ويظهر أن النيرولي ناتج من تغير الدهن الطيار الطبيعي فأن هذا الطبيعي أكثر ذوبانا من النيرولي ويبقي محلولا في الماء ويمكن اثبات وجوده فيه بتحريك الماء المقطر مع الاتير الخالى من الكؤول فلاتير بتصاعده عن نفسه يترك مقداراً يسيراً من دهن طيار رائحته مثل رائحة الازهار ويذوب بسهولة في الماء وقد ذكرنا أن النيرولي يحتوى علي دهن صلب قابل التبلور سماه بليصون أوراد وفصله بالكؤول كما سبق وقد علمت أن قشر الثمر تتبذر في جزئه الخارج حوصلات أو خلايا مملوأة بدهن طيار منه بخلاف جزئه الابيض فأنه يحتوى علي مادة مرة تكون علي شكل خلاصة مرة لاتذوب في الاتير وتذوب في الكؤول وكشف في قشر الليمون أيضاً جوهر قابل التبلور سموه سابقا اسبيردين ويظهر كما قال سوبيرن انه ينسب الراتينجيات القابلة التبلور وهو لايذوب في الكؤول البارد أو يذوب فيه قليلا وليس للاطباء في هذا الجوهر اهتمام طبي وينبغي أن

تعلم أولا أن بزور النارنجيات لاتحتوى علي دهن وانما تحتوى علي مادة مرة قابلة التبلور سماها برنيه باسم ليمونين وهي غير قابلة الذوبان في الماء ولا في الاتير وتذوب جيداً في الكؤول وفي الحوامض الممدودة وثانيا أن الادهان الطيارة المستخرجة

من الليمون أو غيره من النارنجيات تستخرج كما ذكرنا سابقاً بالعصر أو بالتقطير فقشور الليمون أو النارنج أو البرتقان أو الاترج أو البرجموت أو الليميت أى الاصنيوب تجهز مقداراً من الدهن يكون علي حسب مافي هذا الجدول

				بالعصر	بالتقطير
برجموت	١٠٠ بالعدد فيها من الحب	٣ كيلو غرامات و	٥٥٠ غراما	٨٠	٠٠
أترج	مثله	٣	٠٠٠	٥٠	٢٧
ليمون	مثله	٣	٥٠٠	٦٠	٤٤
اسنيوب	مثله	٣	٥٠٠	٣٠	٣٤
برتقان	مثله	٣	٦٠٠	٨٠	٨٨

والدهن الطيار لليمون مركب من ١٠ من كربون و ٨ من أدروجين فيكون تركيبه مثل تركيب الدهن الطيار التربنتينا ولكن سعته الشبع مزدوجة ويحصل منه مع الحمض كلورادريك كافوران أحدهما صلب والآخر سائل ودهن الليمون سوى رائحته يتميز أيضا من دهن الترينتينا بكونه فيه قوة الدوران الى اليمين لاالى اليسار ومثل ذلك الدهن الطيار للاترج والاصنبوت والبرجموت فان تركيب هذه الادهان واحد ودورانها لجهة واحدة . قال سوبيران ومع ذلك

يظهر أن دهن البرجموت يحتوى علي دهن أوكسيجيني ليس هو الا الادرات الذى شاهدته مع الكبادى المسمى قبطان ويوجد أيضا مقدار يسير جداً من دهن أوكسيجيني في الادهان الاخر للنباتات النارنجية والمستحضر المسمى بالدهن السكرى يصنع بنقطة من الدهن الطيار و ٤ غرامات من السكر يمزجان بالتهوين وتلك المستحضرات هي المستعملة في العادة كعطر من الاعطار وهي ذكية الرائحة اذا نيلت بحك السكر علي القشر الرطب الثمر ثم تهوين ذلك لاجل اتالة

مسحوق متحمل أيضاً الدهن في جميع أجزائه فيؤخذ لذلك ليمونة أو نارنجة أو برتقانة واحدة و ٨ غرامات من السكر وتحضر كؤولات الليمونات بأخذ غرام من قشر ثمر الليمونيات و٦ من الكؤول وبعد ٣ أيام أو ٤ من النقع يقطر الى الجفاف على حمام مارية ويحضر بمثل ذلك كؤولات البرتقانيات والنارنجيات والاترج والبرجموت . وذكر سوبيران هنا ماء قلونيا وجهزه بأخذ ١٦ غراماً من كل من الدهن الطيار لكل من الليمون والبرجموت والاسنبوب والنارنج والحبوب الصغيرة النارنج و ٨ من كل من الدهن الطيار الاترج واكليل الجبل والخزامي وأزهار النارنج والبرتقان و ٤ من الدهن الطيار القرفة و ١٥٠ من الكؤول الذى كثافته في مقياس كرتيير ٣٤ فتحل الادهان في الكؤول وبعد بضعة أيام يقطر على حمام مارية حتى يقرب من الجفاف ويضاف على النارنج ٢٠٠ غرام من كؤولات المليسا المركب و ٣٠ من كؤولات الروسمران أى اكليل الجبل انتهي وقال بوشرده في تحضير ماء قلونيا يؤخذ من الدهن الطيار لكل من البرجموت والليمون والاترج ٩٦ غراماً ولكل من اكليل الجبل وزهر النارنج والخزامي ٤٨ غراما ومن دهن القرفة ٢٤ ومن الكؤول الذى في ٣٤ من مقياس كرتيير ١٢٠٠ ومن كؤول المليسا المركب ١٥٠٠ غرام ومن كؤولات اكليل الجبل ١٠٠٠ غرام تذاب الادهان في الكؤول ويضاف لها النوعان من الكؤولات وتترك ملامسة لبعضها مدة ٨ أيام ثم تقطر على حمام مارية الى أن لايبقي في القرعة الا خمس المخلوط في السائل فالمقطر هو ماء القلونيا كذا في الدستور . وهذا الماء أكثر مايستعمل الزينة والتعطير ويقل استعماله التداوى فيصح استعماله مروخات خفيفة منبهة وصبغة قشور الليمون تحضر كتحضير صبغات غيرها من النارنجيات فيؤخذ غرام من القشور و٥ غرامات من الكؤول الذى في ٢١ من مقياس كرتيير فينقع ذلك مدة ١٥ يوماً ثم يصفي مع العصر ويرشح وهذه الصبغة دوائية وتحتوى في آن واحد على الجزء العطرى والجزء المر الذى في القشر فاذا استخدمت التعطير حضرت بأن يوضع في قنينة مع الكؤول النقي الجزء الاصفر الخارج العطرى

الذى أخذ على هيئة خيوط رقيقة بواسطة سكين ويوجد في تلك الصبغة جميع ذكاوة الثمر الرطب وهي أهل لتعطير الاطعمة والتحاضير الدوائية ويحضر بتلك الكيفية شراب القشر من النارنجيات المرة فيؤخذ غرام من القشر و ٧ من الماء المغلي ومقدار كاف من السكر الابيض أى يقرب الي ١٠ غرامات فيصب الماء المغلي على القشور وبعد نقعه ١٢ ساعة أو ٢٤ يرشح السائل ويذوب في اناء مسدود ١٨٠ غراما من السكر لكل ١٠٠ غرام من السائل فعشرة غرامات من الشراب تعادل نصف غرام من قشر النارنج المر أو غيره وشراب القشر الرطب الليمونيات كشراب قشر البرتقان أو النارنج المذب يحضر بجزء من القشر الرطب الرقيق النارنج أو غيره و٥ غرامات من الماء المغلي فيعمل شراب بذوبان بسيط لمائة جزء من المنقوع و١٨٠ من السكر

﴿ نارشك ﴾ قال داود الانطاكي فارسي معناه رمان برى قيل هو الجلنار أو بريه أو أقماع المندى منه أو هو رمان صغار لايفتح عن بزر بل عن شيء أحمر يوجد بخراسان وهذا هو الصحيح وهو حلو يابس في الثانية أو هو بارد في الاولي أجل منافعه قطع البخار عن الرأس وازالته الوسواس والماليخوليا ويحبس النزف والاسهال ويشد الاعضاء ويهضم بالعصر ويزيل الزوجات شربا والعرق وسيلان القروح طلاء وذروراً وهو يضر المثانة ويصفر اللون ويصلحه دهن اللوز والمرارة خصوصا ان كان حره في الثالثة كما قيل وتصلحه الهندبا وشربته درهما وبدله نصفه قشر فستق وربعه زنجبيل وسدسه سنبل أو بدله مثله كون

﴿ ناركيوا ﴾ هو فلفل الماء لا الخشخاش الاسود وهو فوق ثلاثة أذرع ورقه كورق الزيتون أسود شديد الملاسة له حب كالبندق الي السواد قوى اللذع والحرافة حار يابس في الثانية يحلل الرياح شربا ويزيل الاورام والآثار طلاء (ومن خواصه) ان الكرسنة والباقلا وما قاربهما اذا سلق في مائه وجفف وغش به الفلفل لم يعرف واذا مسح به الوجه عند القيام من النوم نفخه وحمر لونه جداً وبه تدلس المواشط

﴿ نار قيصر ﴾ نبت دقيق أحمر الى

صفرة خفيفة بجلب من الروم و يسمي بعصر ساق الحمام وهو عطرى طيب الرائحة حار يابس في الثانية بحلل الرياح والمغص ويفتح السدد ويقال انه يفرح و يدر البول والدم شربا ويحلل الصلابات وضربان المفاصل طلاء وشربته الى مثقال

﴿ ناصور ﴾ النواصير هى قنوات ضيقة مستطيلة غالباً يخرج منها صديد واذا كانت مستطرقة الي قنوات طبيعية فيخرج منها متحصلات افراز أو مواد تمر في تلك القنوات

وتحصل النواصير من عدم التصاق جدران الجرح الخارجة بعضها ببعض لأن جلد الخارجة يكون علي الغالب رقيقا ومنفصلا عما تحته فلا توجد فيه العروق الدموية الكافية لافراز الليمفا المكونة التى يتم بها الالتصاق فتتخلف عنها النواصير . وقد علمنا ان تباعد الحواقي يمنع الالتحام وقلنا بوجوب تقريبها ووضع العضو الوضع اللائق لذلك فاذا لم تراع هذا الشرط تولد الناصور. ومن الاسباب أيضاً استمرار مرور القيح في مجرى طويل يمتنع به الالتحام ويشاهد ذلك بنوع خاص عند وجود جسم غريب أو عظم متسوس

العلاج — يختلف باختلاف نوع الناصور فالنواصير الجلدية تعالج بالضغط بلا زوق وبالحقن المنبهة والقابضة فان لم ينجع ذلك يستدعي الطبيب لشق الجلد المنفصل وكشف قعر الجرح ومعالجته اذ ذاك كجرح بسيط

أما النواصير المستطرقة الي التجاويف الطبيعية أو المسببة عن نخر وتسوس في العظام فعلاجها منوط بالطبيب دون سواه

﴿ ابن ناقيا ﴾ هو ابو القاسم عبد الله وقيل عبد الباقي بن محمد بن الحسين ابن داود بن ناقيا الاديب الشاعر اللغوى المترسل

قال ابن خلكان هو من أهل الحريم الظاهرى وهي محلة ببغداد وكان فاضلا بارعا وله مصنفات حسنة مفيدة منها مجموع مياه ملح المالحة ومنها كتاب الجمان في تشبيهات القرآن وله مقامات أدبية مشهورة واختصر الاغاني في مجلد واحد وشرح كتاب الفصيح وله ديوان شعر كبير وديوان رسائل وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وأثنى عليه وذكر طرفا من أحواله وأورد له هذين

البيتين في بعض الرؤساء وأقتصد فكتبهما اليه

جمل الله ذو المواهب عقبا

ك من الفصدصحة وسلامة

قل لمناك كيف شئت استهلي

لاعدمت الندى فأنت غمامة

ولقد أجاد فيهما ومن شعره أيضا :

اخلاى اصاحبت في العيش لذة

ولازال عن قلبي حنين التذكر

ولاطاب لي طعم الرقاد ولا اجتنت

لحاظي مذفارقتكم حسن منظر

ولاعبثت كفي بكاس مدامة

يطوف بها ساق ولا جس مزهر

وكان ينسب الى التعطيل ومذهب الاوائل وصنف في ذلك .قاله وكان كثير المجون . وحكي الذى تولى غسله بعد موته انه وجد يده اليسرى مضمومة فاجتهد حتى فتحها فوجد فيها كتابة بعضها علي بعض فتمهل حتى قرأها فاذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لايخيب ضيفه

أرجي نجاتي من عذاب جهنم

واني علي خوف من الله واثق

بانعامه فالله أكرم منعم

ومولده في منتصف ذى القعدة سنة عشر وأربعمائة . وتوفي ليلة الاحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين واربعمائة ودفن بباب الشام ببغداد رحمه الله تعالي

وناقياً بفتح النون وبعد الالف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة و بعدها الف وقد تقدمت له أبيات مرثية في ترجمة الشيخ ابي اسحق الشيرازى

﴿ نانخواه ﴾ هذا الاسم معرب من نانخاه الفارسى ومعناه طالب الخبز كأنه يشهي الطعام اذا ألقي علي الارغفة قبل خبزها أو في عجينة الخبز وأهل مصر تسميه نخوة هندية وأهل الاندلس يسمونه نانخة وهو أيضا الكمون الملوكي ويسمي بالافرنجية أمي بفتح الهمزة وتشديد الميم المكسورة وقد جعل الآن عند النباتيين اسما لجنس من الفصيلة الخيمية خماسى الذكور أحادى الاناث ولهذا الجنس مشابهة كبيرة واضحة بالجنس دوقوس حيث لايختلف عنه الا بثماره الغير المرصعة بنقط شوكية اذ يوجد له كأس كامل وتويج ذو ٥ أهداب متساوية قلبية الشكل و ٥ ذكور ومهبلان متباعدان عن بعضهما

محيط وريقي علم ثنائي التشقق ومحيطات وريقية زهرية خاصة مركبة من وريقات ريشية أو بسيطة وثماره صغيرة بيضاوية وفيها علي كل وجه ٥ أضلاع بارزة ويدخل في هذا الجنس ٥ أنواع أو ٦ تقرب في الشكل من نباتات الجزر وأكثرها استعمالا هو المقصود لنا هنا المسمى عند لينوس باللسان النباتي ابي ماجوس

(صفاته النباتية) الساق نحو من قدم الي قدمين محززة تقرب لان تكون زوويا وهي عديمة الزغب والاوراق السفلي ثنائية التريش ووريقاتها بيضاوية سهمية بسيطة أو مفصية في القاعدة مسننة تسنينا منشاريا عديمة الزغب والعليا وريقاتها ضيقة مستطيلة والمحيط الوريقي الزهري العام وريقاته ثلاثية التشقق وأضيق ومستطيلة والمحيط الوريقي الخاص وريقاته نحو ١٢ وتقرب لان تكون دقيقة خشنة والاهداب ذوات فصين منحرفين والازهار بيض وتزهر في يوليه ويوجد هذا النبات في الحال المزروعة بأماكن كثيرة من أوربا وبلاد العجم والمستعمل من النبات بزوره

(صفاتها الطبيعية) هذه البزور صغيرة مخضرة محززة مستطيلة عديمة الزغب منتهية بطرفين دقيقين ورائحتها ضعيفة . وقال أطباء العرب هي حب معروف أصغر من الكمون ويشبه حب الخردل قوى الرائحة والحدة والحرافة يجلب من الهند وبلاد فارس ويغش في مصر ببزر الطلال أى الوخشيزك والفرق ضعف المرار وأجوده الصفار الرزين المائل الي حمرة وبياض . انتهي . لكن نقول شبهه لحب الخردل بعيد جداً واما شبهه للوخشيزك فقريب وأما النبات المسمي أبي وبروم أى الحقيقي المسمي عند الصيدلانيين لانين أبي وبلارس أى العام الذى فضل عليه النبات المسمي أى كندية المنسوب لجزيرة كندية وهو عند بعضهم ابي وبتيروم فهو عند لينوس سيزون ابي اى تجنه عند لينوس غير جنس النوع السابق وان كان الجنسان من فصيلة واحدة وينبت في جنوب فرنسا وفي جزائر الروم فبزوره المحمولة علي خيم جانبية تكون صغيرة كرية مضلعة سنجابية مخضرة عطرية خالية من الزغب ويندر الآن وجود هذه البزور في المتجر الاوربي واذا وجدت كان الغالب كونها من ابي

ماجوس وقد يوجد النوعان معا مختلطين ومسميين باسم ابي اى نانخواه وتلك البزور كلها فيها مرار قليل

(الاستعمال) اشتهرت تقوية هذه البزور للمعدة وطردها الريح وامر بها شيول وغيره علاجا لعقم النساء واكد بعضهم فاعليتها في ذلك وفي علاج الازهار البيض وتدخل النانخواه في الترياق ولاطباء العرب كلام كثير في النانخواه فنقلوا عن جالينوس انه قال انما يستعمل من النبات بزوره وقوته مجففة مسخنة لطيفة وفي طعمه مرار يسير وحرافة واذا كان كذلك كان مدرا البول محللا والدابوضع من الاسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة . وعن ديسقوريدس يصلح اذا شرب بالشراب المغص وعسر البول ونهش الهوام وقد يدر الطمث ويخلط بالادوية المدرة التى يقع في اخلاطها الرازيانج ليضاد عسر البول واذا خلط بالعسل وتضمد به قلع الكمنة من العين وما جد في العين من نحو مدة واذا شرب أو تلطخ به أحال لون البدن الي الصفرة واذا تدخن به مع الزفت والرازيانج نقي الرحم . وقال ابو جريج طبيخه يحل النفخ البتة وحبه يذهب البلة والحبات العتيقة وطبيخه يصب علي لسع العقرب فيسكن وجعه . وقال الفارسي انه يقطع القيح الذى في الصدر والمعدة ويسكن الرياح ويهضم الطعام وهو جيد لوجع الفؤاد والغثيان وتقلب النفس ويذهب بالحالة التى لايجد الانسان فيها طعم الطعام في فيه طيبا أو طعم الماء كذلك . وقال فولس انه يسخن المعدة والكبد أى الباردتين ويضر الحارتين الا اذا قلل منه منقوعا في الخل أو أخذ عليه سكنجبين ساذج . وقال ابن ماسويه انه ينقي الكلي والمثانة . وقال الطبرى انه يذيب الحصاة وقد يخرج الدود ودودة القرع وقال اذا أكل بالعسل فعل ذلك ايضا . ويقال اذا سحقت تلك البزور وعجنت بعسل وطلي به الوجع في أى موضع كان من البدن حلت ورمه وازالت وجعه واذا أضيف اليها الطفل أى طين قيموليا كانت في ذلك ابلغ واذا حقن بها الرحم نقتها وجففت رطوبتها العفنة وحسنت رائحتها واذا جعلت مع الادوية المسهلة نفعت من يعتريهم منها مغص . وقال اسحق ابن سليمان اذا خلطت بالادوية النافعة

من البرص والبهق قوت فعلها وزادت في تأثيرها . وقالوا ان ماءها المقطر يحل حصر النفس في الوقت و ينفع من الفالج والرعشة وفيه مع قاطر الدار صيني ولسان الثور تفريح يعدل الخمر واذا غلي ٣ مثاقيل منها في رطل حليب وأوقية من السكر حتى يعود الى النصف وشرب فرق اللحم وسمن بالفراط وقالوا أن بدلها في غير التسمين مثلاها شونيزا. انتهي من انواع جنس امي مايذكر علي الاثر (المادة الطبية)

الناوسية — اتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا الي قرية ناوسا قالت ان الامام الصادق حي بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدى ورووا عنه أنه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فني صاحبكم صاحب السيف . وحكي ابو حامد الزوزني أن الناوسية زعمت ان عليا مات وستنشق الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا

وأما الافطحية فقد قالوا بانتقال الامامة من الصادق الي ابنه عبد الله الافطح وهو أخو اسماعيل من أبيه وامه وامهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي وكان أسن اولاد الصادق زعموا انه قال الامامة في اكبر أولاد الامام وقال الامام من يجلس مجلسي وهو الذى جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام وهو الذى تولي ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها الي من يطلبها منه وأن يتخذه اماماً وما طلبها منه أحد الا عبد الله ومع ذلك ماعاش بعد ابيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولداً ذكراً

ومن الامامية الشميطية اتباع يحيى بن ابي شميط قالوا أن جعفرا قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان يولد لك ولد فسميته باسمي فهو امام فالامام بعده ابنه محمد

نأنأ — عجز و (نأنأ في الرأى) ضعف

نأى — عنه ينأى نأيا بعد . و (أنآه) أبعده

نبا — عنه سمعه ينبو اى تجافي و (نَبَّأه الخبرَ) اخبره به ومثله (انبأه) و (تنبّأ) ادعي النبوة وتكلم بالنبوة . و (النَّبَأ) الخبر. و (النُّبُوءة) اسم من النبي وهي الاخبار عن الله . و (النبي) المخبر عن الله بوحي

النبوة والانبياء — الكلام في النبوة والانبياء من أهم أركان الفلسفة الدينية والكلام فيها يطول لما يقتضيه من ايراد آراء علمائنا المتقدمين وشبهات الماديين المعاصرين والخوض في أقوالهم واستخلاص نتيجة حاسمة من مجموع نظرياتهم لذلك هوانا أن نبدأ هذا البحث بايراد أقوال علمائنا الاقدمين ثم نردفه بشبهات الماديين المعاصرين ثم ندلي برأينا في هذا الباب والله الموفق للصواب

قال العلامة ابن حزم في كتاب (الفصل) .

«ذهبت البراهمة وهي قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون انهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا الا انهم أنكروا النبوات . وعمدة احتجاجهم في دفعها ان قالوا لما صح ان الله عز وجل حكيم وكان من بعث رسولا الي من يدرى أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه وقالوا أيضا ان الله تعالي انما بعث الرسل الي الناس ليخرجهم بهم من الضلال الي الايمان فقد كان أولي به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول الي الايمان به. قالوا فبطل ارسال الرسل علي هذا الوجه أيضاً ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع وأما نحن فنقول ان مجيء الرسل قبل أن يبعثهم الله تعالي واقع في باب الامكان وأما بعد ان بعثهم الله عز وجل ففي حد الوجوب . ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالي انه لانبي بعده فقد جد الامتناع ولسنا نحتاج الى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين أن مجيء الرسل من باب الواجب واعتلالهم في ذلك بوجوب الانذار في الحكمة اذ ليس هذا القول صحيحا وانما قلنا الذى بيناه في غير موضع أنه تعالي لا يفعل شيئا لعلة وانه تعالي يفعل ما يشاء وان كل ما فعله فهو عدل وحكمة أى شيء كان. فيقال وبالله التوفيق لمن احتج بالحجة الاولي من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحكيم لا يبعث الرسل الي من يدرى أنه يعصيه ألكم اضطركم هذا الاصل الفاسد الحاكم

بذلك الي موافقة الثنانية علي أصولها في ان الحكيم لا يخلق من يعصيه ولامن يكفر به ويقتل أولياءه وهم يقولون ان الله تعالي خلق الخلق ليدلهم بهم علي نفسه ويقال لهم قد علمنا وعلمتم ان في الناس كثيراً يجحدون الربوبية والوحدانية فقالوا انه ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدرى انه لا يستدل بها . فان قالوا انه قد استدل بها كثير. قيل لهم وقد صدق الرسل أيضاً كثير . فان قالوا انه خلق الخلق كما شاء. قيل لهم وكذلك بعث الرسل أيضا كما شاء . فبعثه تعالي الرسل هي بعض دلائله التى خلقها تعالي ليدل بها علي المعرفة به تعالي وعلي توحيده . ويقال انه احتج بالحجة الثانية من ان الاولي به انه كان يضطر العقول الى الايمان به ان هذا قول مرذول مردود عليكم في قولكم ان الله عز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم علي نفسه ووحدانيته فيلزمكم علي ذلك الاصل الفاسد انه كان الاولي اذ خلقهم أن لايدعهم والاستدلال وقد علم ان فيهم من لا يستدل وان فيهم من يغمض عليه الاستدلال فكان الاولى في الحكمة أن يضطر عقولهم الى الايمان به ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال وأن يلطف بهم الطافاً يختار جميعهم معها الايمان كما فعل بالملائكة

(قال أبو محمد) يعنى نفسه . وملاك هذا كله ماقد قلناه في غير موضع من أن الخلق لما كانوا لايقع منهم فعل الا لعلة ووجب بالبراهين الضرورية ان الباري تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات وجب أن يكون فعله لا لعلة بخلاف أفعال جميع الخلق وانه لا يقال في شيء من أفعاله تعالي انه فعل كذا لعلة ولا اذا جاء الانسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان وخلق بعض الحيوان صائداً وبعضه مصيداً وباين بين جميع مفعولاته كما شاء فليس لاحد أن يقول لم خلق الانسان ناطقا وحرم الحمار النطق وجعل الحجر جامداً لا حياة له ولا نطق. وهذا أصل قد أوقفتنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد وهكذا اذا بعث تعالى الانبياء ليس لاحد أن يقول لم بعثهم أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم بعثهم في هذا الزمان دون غيره من الازمان ولا لم بعثهم في هذا المكان

دون غيره من الامكنة كما لا يقال لم حباه بالسعد في الدنيا دون غيره وهكذا كل ما في العالم اذا نظر فيه تعالي الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال أبو محمد) واذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالي وتأييده فلنقل الآن بعون الله تعالي وتأييده في اثبات النبوة اذ وجدت قولا بينا وبالله تعالى التوفيق : قد قدمنا فيما خلا اثبات حدوث الاشياء وان لها محدثا لم يزل واحداً لامبدأ له ولا كان معه غيره ولا مدبر سواه ولاخالق غيره فاذ قد ثبت هذا كله وصح انه تعالى أخرج العالم كله الي الوجود بعد ان لم يكن بلا كلفة ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثال سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى فقد ثبت انه لم يفعل اذا لم يشأ وفعل اذا شاء كما شاء فيزيد ماشاء وينقص ماشاء فكل منطوق به مما يتشكل في النفس أولا يتشكل فهو داخل له تعالي في باب الامكان علي ما بينا في غير هذا المكان الا اننا نذكر ههنا طرفا ان شاء الله عز وجل فنقول وبالله تعالي نتأيد ان الممكن ليس واقعا في العالم وقوعا واحداً ألا ترى ان نبات اللحية الرجال ما مابين الثمان عشرة الي عشرين سنة ممكن وهو في حدود الاثنتى عشرة سنة الي العامين ممتنع . وان فك الاشكالات العويصة واستخراج المعاني الغامضة وقول الشعر البديع وصناعة البلاغة الرائقة ممكن لذى الذهن اللطيف والذكاء النافذ وغير ممكن من ذى البلادة الشديدة والغباوة المفرطة. فعلي هذا ما كان ممتنعا بيننا اذ ليس في بنيتنا ولا في طبيعتنا ولا من عادتنا فهو غير ممتنع علي الذى لا بنية له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبة لازمة لفعله فاذ قد صح هذا فقد صح انه لانهاية لما يقوى عليه تعالي فصح ان النبوة في الامكان وهي بعثة قوم قد خصهم الله تعالي بالفضيلة لا لعلة الا انه شاء ذلك فعلمهم الله تعالي العلم بدون تعلم ولا تنقل في مراتبه ولا طلب له ومن هذا الباب مايراه أحدنا في الرؤيا فيخرج صحيحا وما هو من باب تقدم المعرفة فاذ قد أثبتنا ان النبوة قبل مجيء الانبياء عليهم السلام واقعة في حد الامكان فلنقل الآن بحول الله تعالى وقوته علي

وجوبها اذا وقعت ولا بد فنقول اذ قد صح ان الله تعالي ابتدأ العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه الله تعالي فبيقين ندرى ان العلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدى أحد اليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم كالطب ومعرفة الطبائع والامراض وسببها علي كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل الي تجربتها كلها أبداً وكيف يجرب كل عقار في كل علة ومتى يتهيأ هذا ولا سبيل له الا في عشرة آلاف من السنين ومشاهدة كل مريض في العالم وهذا يقطع دونه قواطع تلوث الشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق وكعلم النجوم ومعرفة دورانها وقطعها وعودها الي أفلاكها اما لا يتم الا في عشرة آلاف من السنين ولا بد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التى فيها وكاللغة التى لا يصح تربية ولا عيش ولا تصرف الا بها ولا سبيل الي الاتفاق عليها الا بلغة أخرى ولا بد فصح انه لابد من مبدأ لغة ما . وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحرامة المواشي واتخذ الانسان منها والفرس واستخراج الادهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها في قطعها البحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود القز واستخراج المعادن وعمل الابنية منها ومن الخشب والفخار وكل هذا لا سبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم فوجب بالضرورة ولا بد انه لابد من انسان واحد فأكثر علمهم الله تعالي ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده . هذه صفة النبوة فاذا لابد من نبي أو أنبياء ضرورة فقد صح وجود النبوة والنبي في العالم بلا شك

ومن البرهان علي ما ذكرنا اننا نجد كل من لم يشاهد هذه الامور لا سبيل له الى اختراعها البتة كالذى يولد وهو أصم فانه لا يمكن له البتة الاهتداء الى الكلام ولا الي مخارج الحروف وكالبلاد التى ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الامم وسكان البوادى . نعم والحواضر لا يمكن البتة منذ أول العالم الي وقتنا هذا ولا الى انقضائه اهتداء

أحد منهم الي علم يعرفه ولا الي صناعة لم يعرف بها فلا سبيل الى تهديهم اليها البتة حتى يعلموها ولو كان ممكنا في الطبيعة التهدى اليها دون تعليم لوجد من ذلك في العالم علي سعته وعلي مرور الازمان من يهتدى اليها ولو واحداً وهذا أمر يقطع علي أنه لا يوجد ولم يوجد وهكذا القول في العلوم ولا فرق ولسنا نعني بهذا ابتداء جمعها في الكتب لأن هذا أمر لا مؤنة فيه انما هو كتاب ماسمعه الكاتب واحصاه فقط كالكتب المؤلفة في المنطق وفي الطب وفي الهندسة وفي النجوم وفي الهيئة والنحو واللغة والشعر والعروض انما نعني ابتداء مؤنة اللغة والكلام بها وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها فابتداء اشخاص الامراض وانواعها وقوى العقاقير والمعاناة بها وابتداء معرفة الصناعات فصح بذلك انه لابد من وحي من الله تعالي في ذلك

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا ايضا برهان ضرورى علي حدوث العالم وان له محدثا مختاراً ولا بد (اذ لا بقاء) للعالم البتة الا بنشأة ومعاش ولا نشأة ولا معاش الا بهذه الاعمال والصناعات والآلات ولا يمكن وجود شيء من هذه كلها لا بتعليم البارى تعالى فصح أن العالم لم يكن موجوداً اذ لا سبيل الى بقائه الا بما ذكرنا ثم وجد معلما مدبراً مبتدئاً بتعليمه علي ماذكرنا وبالله تعالي التوفيق

(قال ابو محمد رضي الله عنه) واذ قد تكلمنا علي أنه لابد من نبوة وصح ذلك ضرورة فلنتكلم علي براهينها التى يصح بها علم صدق مدعيها اذا وقعت فنقول انه قد صح أن البارى تعالي هو فاعل كل شيء ظهر وانه قادر علي اظهار كل متوهم لم يظهر وعلمنا بكل ماقدمنا انه تعالى مرتب هذه الرتب التى في العالم ومجريها علي طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا وانه لا فاعل علي الحقيقة غيره تعالى (ثم) رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ووجدنا طبائع قد احيلت واشياء في حد الممتنع قد وجبت ووجدت كصخرة انفلقت عن ناقة ، وعصي انقلبت حية وميت احياه انسان ، ومئين من الناس رووا وتوضؤا كلهم من ماء يسير في قدح صغير يضيق عن بسطها اليد فيه لا مادة له (فعلموا) أن محل هذه الطبائع وفاعل

هذه المعجزات هو الاول الذى أحدث كل شيء ووجدنا هذه القوى قد أصحبها الله تعالى رجلا يدعون اليه ويذكرون أنه تعالى أرسلهم الي الناس ويستشهدون به تعالي فيشهد لهم بهذه المعجزات الحدثة منه تعالى في حين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها وضراعتهم اليه في تصديقهم بها فعلمنا علما ضروريا لامجال الشك فيه انهم مبعوثون من قبله عزوجل وانهم صادقون فيما اخبروا به عنه تعالي اذلا سبيل في طبيعة مخلوق في العالم الي التحكم علي البارىء ولا علي طبائع خلقه بمثل هذا ووجوب النبوة اذ ظهر علي مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بنى عليه العالم وقد تكلمنا في غير هذا المكان علي أن هذه الاشياء لها طرق توصل الي صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق وهي نقل الكافة التى قد استشعرت العقول ببدايتها والنفوس باول معارفها انه لاسبيل الي جواز الكذب ولا الوهم عليها وأن ذلك ممتنع فيها فمن تجاهل واجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ولزمه أن لايصدق أن من غاب من

بصره من الانس بأنهم أحياء ناطقون كن شاهد وأن صورهم علي حسب الصورة التى عاين ولزم أن يكون عنده ممكنا في بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ماعهد من الصورة اذلا يعرف أحد ان كل من غاب عن حسه فأنه في مثل كيفية ماشاهد من نوعه الا بنقل الكواف ذلك كما نقلت أن بعضهم بخلاف ذلك في بعض الكيفيات فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وماأشبه ذلك.

ويلزم من يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم أن لايصدق ضرورة بأن أحداً كان قبله في الدنيا ولا أن في الدنيا أحدا الا من شاهد بحسه. فان جوز هذا عرف بقلبه انه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه لان هذا الشيء لايعرف البتة الا من طريق الخبر لاغير فان اقرهن هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء ووقائع وأمم وأيقن بذلك ولم يكن في كثير منها شك بل هي عنده في الصحة كما شاهد ولا فرق، سئل من أين عرفت ذلك وكيف صح عندك فلاسبيل له اصلا الى أن يصح ذلك عنده الا بخبر منقول نقل

كافة وبالله تعالي التوفيق، فنقول له حينئذ فرق بين ما نقل اليك من كل ذلك وبين كل مانقل اليك من علامات الانبياء ولا سبيل له الى الفرق بين شيء من ذلك أصلا فان قال الفرق بينها وبينها انه لاينكر أحد هذه الامور وكثير من الناس ينكرون اعلام الانبياء قيل له وبالله تعالي التوفيق ان كثيراً من الناس لايعرفون كثيراً مماصح عندك من الاخبار العارضة لمن كان في بلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجا لها من الصحة وكذلك جحد من جحد أعلام الانبياء ليس مخرجا لها من الوجوب والصحة فان قال انه ليس يجد الناس علي الكذب فيما كان قبلنا من الاخبار ماتجدهم علي الكذب في اعلام النبوة قيل له وبالله التوفيق هنا كذب بل الامران سواء لافرق بينهما ومن الملوك من يشتد عليهم وصف أسلافهم بالجور والظلم والقبائح ويحمي هذا الباب بالسيف فما دونه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق. قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فضائل من يغضب من ملوك الزمان من مدحه كفضائل علي رضي الله عنه ماقدر قط

ملوك بنى مروان علي سترها وطيها وقد رام المأمون والمعتصم والواثق علي سعة ملكهم لاقطار الارض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا علي ذلك وكل نبى فله عدو من الملوك والامم يكذبونهم فما قدروا قط علي طي اعلامهم ولا علي تحقيق مازادوا علي ذلك لمن يغضب له من لادين له فصح ان الامرين سواء وان الحق حق. فان قال قائل فلعل هذا الذى ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر بها علي اظهار ماظهر قيل له وبالله التوفيق ان الخواص قد علمت ووجوه الحيل قد أحكمت وليس في شيء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذى لم يكن ولا في شيء منه احالة نوع الي نوع آخر دفعة علي الحقيقة ولا جنس الى جنس آخر دفعة علي الحقيقة وهذا كله قد ظهر علي أيدى الانبياء عليهم السلام فصح انه من عند الله تعالي لا مدخل لعلم انسان ولا حيلة فيه ونحن نبين ان شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الانبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر وبين حيل العجائبيين

فنقول وبالله تعالى التوفيق

ان العالم كله جوهر وعرض لاسبيل الي وجود قسم ثالث في العالم دون الله تعالي . فأما الجواهر فاختراعها من ليس الي ايس وهو من العدم الي الوجود فممتنع غير ممكن البتة لاحد دون الله تعالي مبتدىء العالم ومخترعه فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلي الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة شاهدة ان الله تعالي له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلا وكذلك احالة الاعراض التي هي جوهريات ذاتيات وهي الفصول التي تؤخذ من الاجناس وذلك كقلب العصا حية وحنين الجذع واحياء الموتي الذين رموا وصاروا عظاما والبقاء في النار ساعات لاتؤذيه وما أشبه ذلك وكذلك الاعراض التي لا تزول الا بفساد حاملها كالفطس والزرق ونحو ذلك فهذا لايقدر عليه أحد دون الله تعالي بوجه من الوجوه . واما احالة الاعراض من التغيرات التي تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوانات عن مكان ما فلايقرب به أصلا وكابعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه هذا وقد يزيد الامر ويفشو العلم ببعض هذا النوع حتى يحبسه أكثر الناس كالطير والاصباغ وما أشبه هذا وأما التخييل نوع من الخديعة كسكين منقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها انها دخلت في جسد المضروب بها في حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب والحلاج وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراده فالذي يأتي به الانبياء عليهم السلام هو احالة الذاتيات ومن ذلك صرف الحواس عن طبائعها كن أراك مالا يراه غيرك أو مسح يده علي مريض فأفاق أو سقاه مايضر علته فبرىء أو أخبر عن الغيوب في الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة فهذه كلها احالة الذاتيات وما ثبت اذ ثباتها لا يكون الا لنبي فاذ قد تكلمنا علي مكان النبوة قبل مجيئها ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته علي امتناعها بعد ذلك فنقول وبالله تعالى التوفيق . اذ قد صح كل ماذكرنا من المعجزات الظاهرة من الانبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالي لهم يصدق بها أقوالهم فقد وجب

علينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا تيقن كل ماقالوا وقد صح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بنقل الكواف التي نقلت نبوته واعلامه وكتابه أنه أخبر انه لا نبي بعده الا ماجاءت الاخبار الصحاح بنزول عيسى عليه السلام الذي بعث الى بنى اسرائيل وادعي اليهود قتله وصلبه فوجب الاقرار بهذه الجملة وصح أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لايكون البتة وبهذا يبطل أيضا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبداً وبكل ماقدمناه مما أبطلنا به قول من قال بامتناعهما البتة اذ عمدة حجة هؤلاء هي قولهم ان الله حكيم والحكيم لايجوز في حكمه أن يترك عباده هملا دون انذار

(قال ابو محمد) وقد احكما بحول الله تعالي وقوته قبل هذا أن الله تعالي لاشرط عليه ولا علة موجبة عليه أن يفعل شيئاً ولا أن لايفعله وانه تعالي لو اهمل الناس لكان حقاً وحسناً لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذي لم يلزمه شريعة ولا حظر عليه شيء وانه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبداً لكان حقا وحسنا لما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبداً وانه تعالي لو خلق الخلق كفارا كلهم لكان ذلك منه حقا وحسنا أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقا وحسنا كما أن الذي فعل تعالي من كل ذلك حق وحسن وانه لايقبح شيء الا من مأمور منهي تقدمت الاوامر وجوده وسبقت الحدود المرتبة للاشياء كونه ، وأما من سبق كل ذلك فله أن يفعل مايشاء ويترك مايشاء لامعقب لحكمه . وأما الملائكة فكل من له معرفة ببنية العالم والافلاك والعناصر فانه يعلم أن الارض وعنصرها أقرب الى الفساد من سائر العناصر ومن سائر الاجرام العلوية وانها موانية كلها وأن الحياة انما هي النفوس المنزلة قسراً الى مجاورة الاجساد الترابية الموانية من جميع الحيوان فقط ثبت يقينا بضرورة المشاهدة أن محل الحياة وعنصرها ومعدنها ومواضعها انما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما في طبعها من مجاورة هذه الاجساد والتشبث بها عن كمال ماخص بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضله وصفاؤه بمجاورة الاجساد الكدرة الملوثة آفات ودرنا وعيوبا فصح أن العلو الصافي هو محل الاحياء

القاضلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج قاصد المجبورين بكل فضيلة في الخلق وهذه صفة الملائكة عليهم السلام وصح بهذا أن علي قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعماره وانه لانسبة لهذا المحل الضيق والنقطة الكدراء وما هنالك كما لانسبة لمقدار هذا المكان من ذلك وبهذا صحت الرواية وهكذا أخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم من كثرة الملائكة في الاخبار المسندة الثابتة عنه صلي الله عليه وسلم وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الاول تعالي الذى خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العالم وبين انقاذ النفوس من المهلكة

(الرد علي من زعم أن الانبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلا)

(قال ابو محمد) حدثت فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلي الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكنه كان رسول الله صلي الله عليه وسلم وهذا قول ذهب اليه الاشعرية

وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم ان محمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني علي هذه المسئلة قتله بالسم محمود ابن سبكتكين صاحب ما دون وراء النهر من خراسان رحمه الله

(قال ابو محمد) وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالي ولرسوله صلي الله عليه وسلم ولما أجمع عليه جميع أهل الاسلام مذ كان الاسلام الي يوم القيامة وانما حملهم علي هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض والعرض يفني أبداً ويحدث ولا يبقي وقتين فروح النبي صلي الله عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالي وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

(قال ابو محمد) ونعوذ بالله من هذا القول انه كفر صراح لاتردد فيه ويكفي من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع انه مخالف لما أمر الله عز وجل به ورسوله صلي الله عليه وسلم واتفق عليه جميع أهل الاسلام من كل فرقة وكل نحلة من الأذان في الصوامع كل يوم خمس مرات في كل قرية من شرق الارض الي غربها بأعلي اصواتهم قد

قرنه الله تعالي بذكره اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فعلي قول هؤلاء الموكابين الي أنفسهم يكون الاذان كذبا ويكون من امر به كاذبا وانما كان يجب ان يكون الآذان علي قولهم أشهد ان محمداً كان رسول الله والا فمن اخبر عن شيء كان وبطل انه كائن الآن فهو كاذب فلاذان كذب علي قولهم وهذا كفر مجرد . وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الاسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم لا اله الا الله محمد رسول الله فانه باطل علي قول هؤلاء وكذلك ما عمل به رسول الله صلي الله عليه وسلم مدة قتاله الامة وامره عن الله عز وجل بان يعمل به بعده أبداً واجمع علي القول به والعمل جميع اهل الاسلام من أول الاسلام الي آخره ومن شرق الارض الي غربها انسهم وجنهم بيقين مقطوع به دون مخالف فيما تخرج به الدماء من التحليل الي التحريم او الي الحقنة بالجذبة من أن يعرض علي أهل الكفر أن يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فيجب علي قول هؤلاء المحرومين ان هذا باطل وكذب وانما كان يجب

ان يكلفوا ان يقولوا محمد كان رسول الله وكذلك قوله تعالي (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وكذلك قوله تعالي (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم) وقوله تعالي (وجيء بالنبيين والشهداء) فسماهم الله رسلا وقد ماتوا وسماهم نبيين ورسلا وهم في القيامة وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضاً أو نافلة السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فلو لم يكن روحه عليه السلام موجوداً قائماً لكان السلام علي العدم هدراً . فان قالوا كيف يكون ميتا رسول الله وانما الرسول هو الذى يخاطب عن الله بالرسالة ؟ قيل لهم نعم يكون من أرسله الله تعالي مرة واحدة فقط رسولا لله تعالي ابداً لانه حاصل علي مرتبة جلالة لايحطه عنها شيء أبداً ولا يسقط عنه هذا الاسم أبداً ولو كان ما قلتم لوجب ان لايكون رسول الله صلي الله عليه وسلم رسولا الى أهل اليمن في حياته لانه لم يكلمهم ولا شافههم ويلزم أيضاً ان لايكون رسول الله الا مادام يكلم الناس فاذا سكت او أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله

وهذا حق مشوب بكفر وخلاف للاجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان . وأيضاً فان خبر الاسراء الذى ذكره الله عز وجل في القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه رأى الانبياء عليهم السلام في سماء سماء فهل رأى الاّ أرواحهم الـتى هي أنفسهم ومن كذب بهـذا أو ببعضه فقد انسلخ من الاسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان وهذه براهين لا محيد عنها وقد صح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه أخبر أن لله ملائكة يبلغونه منا السلام وأنه من رآه في النوم فقد رآه حقا ولقد بلغنى عن بعضهم أنهم يقولون أن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم لسن الآن أمهات المؤمنين لكنهن كن أمهات المؤمنين

(قال أبو محمد) وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ولو كان هذا لوجب ان لا تكون أم المرء التى ولدته وأبوه الذى ولده أباه ولا أمه الا في حين الولادة والحمل من الام فقط وفي حين الانزال من الاب فقط لابعد ذلك وهذا من السخف الذى لايرضي به لنفسه ذو مسكة فان قالوا تقولون أن عمر أمير المؤمنين اليوم أو عثمان ايضاً كذلك ؟ قلنا لهم لا وهذا اجماع لانه لا يكون أميراً الامن الائتمار لامره واجب وليس هذا لاحد بعد موته الا للنبي صلي الله عليه وسلم وانما هو خليفة بعد خليفة طول حياته فقط فبطل أن يكون لهم فيهـا متعلق . انتهي

نقول هذا ماقاله العلامة ابن حزم في كتابه الفصل ونرى أن نأتي بقول عالم كبير من علمائنا المحدثين وهو الشيخ محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد ثم نبدى رأينا على هذه الاقوال وننظر الى أى حد تقاوم الشبهات المادية العصرية ثم نلقي على مجموع هذه المذاهب المتخالفة نظرة عامة ونحاول حلها على حسب اسلوبنا وبالله التوفيق

قال العلامة الشيخ محمد عبده في كتابه المذكور تحت عنوان حاجة البشر الي الرسالة قال .

﴿ حاجة البشر الي الرسالة ﴾

« سبق لك في الفصل السابق مايهم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه مايجب علي المؤمن اعتقاده في الرسل والكلام في هذا الفصل موجه ان شاء الله

الي بيان الحاجة اليهم وهو معترك الافهام ومزلة الاقدام ومزدحم الكثير من الافكار والاوهام ولسنا بصدد الاتيان بما قال الأولون ولا عرض ماذهب اليه الآخرون ولكنا نلزم ماالتزمنا في هذه الوريقات من بيان المعتقد والذهاب اليه من أقرب الطرق من غير نظر الي ماما ل اليه المخالف أو استقام عليه الموافق اللهم الا اشارة من طرف خفي أو الماع لا يستغنى عنه القول الجلي

« والكلام في بيان الحاجة الي الرسل مسلكان (الاول) وقد سبق الاشارة اليه يبتدىء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقي فيها بعذاب أليم وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والارادات أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات

« اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين وفلاسفة الا قليلا لايقام لهم وزن علي أن لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وأنها لاتموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم في تصور ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم في طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ في أجساد البشر أو الحيوان علي الدوام ومن ذاهب الي أن التناسخ ينتهي عنـد مابلغ النفس أعلي مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الي تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها أو ما به شقوتها . ومنهم من رأى أنها تتعلق بأجساد اثيرية ألطف من هذه الاجسام المرئية وكان اختلاف المذاهب في كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفي الوسائل التى تمهد النعيم أو تبعد من النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديما وحديثاً مما لاتكاد تحصي وجوهه

« هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها وباديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن أن يعد ضلة عقلية أو نزغة وهمية وانما هو بالالهامات التى اختص بها هذا النوع

فكما ألهم الانسان عقله أن عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا وان شذ افرادمنه ذهبوا الى أن العقل والفكر ليسا بكافيين للارشاد في عمل ما أو الى أنه لايمكن العقل أن يوقن باعتقاد ولا الفكر أن يصل الي مجهول بل قالوا أن لاوجود العالم الا في اختراع الخيال وانهم شاكون حتى في انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء في صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع أن الفكر والعقل هما ركن الحياة ورأس البقاء الى الأجل المحدود كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهي ماللانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وان لم يدرك كنهه. ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء يشعر كل نفس انها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجة من الكمال لاتحددها اطراف المراتب والنهايات، معرضة لآلام من الشهوات، ونزغات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لاتدخل تحت عد ولا تنتهي عند حد. الهام يستلفتها بعد هذا الشعور الي أن واهب الوجود للانواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء ولم يعهد في تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول مالا يتناهي من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لايصح أن يكون بقاؤه قاصرا علي أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الأبدي وما عسي أن تكون عليه متى وصلت اليه، وكيف الاهتداء وأين السبيل وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل. شعور بالحاجة الي استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا في الاستقامة علي المنهج الا قوم بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والأعصار في تقويم الانظار وتعديل الافكار واصلاح الوجدان وتثقيف الاذهان ولا نزال الي الآن من هم هذه الحياة الدنيا في اضطراب لاندرى متى نخلص منه وفي شوق الي طمأنينة لانعلم متى ننتهي اليها

وهذا شأننا في فهم عالم الشهادة فاذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب هل فيما بين أيدينا من الشاهد معالم نهتدى بها الي الغائب وهل في طرق الفكر ما يوصل كل أحد الي معرفة ماقدر له في حياة يشعر بها وبان لامندوحة عن القدوم عليها، ولكن لم يوهب من القوة ماينفذ الى تفصيل ماأعد له فيها والشؤون التى لابد أن يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه أو الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون. هل في اساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليك؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي المشاعر ولا اشتراك بينهما الا فيك أنت فالنظر في المعلومات الحاضرة لايوصل الي اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة

وأفليس من حكمة الصانع الحكيم الذى أقام أمر الانسان علي قاعدة الارشاد والتعليم الذى خلق الانسان وعلمه البيان علمه الكلام للتفاهم والكتاب للتراسل أن يجعل مراتب الأنفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه، وهو اعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والامانة علي مكنون سره مما لوانكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه أو ذهبت بعقله جلالته وعظمه فيشرفون علي الغيب باذنه ويعلمون ماسيكون من شأن الناس فيه ويكونون في مراتبهم العلوية علي نسبة من العالمين نهاية الشاهد وبداية الغائب فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفي علي العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من أحوال الآخرة مالا بد لهم من علمه معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن متناول افهامهم يبلغون عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم

وتعلمهم من الاعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في اجماله ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة و باطنة ثم يؤيدهم بالابلاغ عنه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلا من لدنه الي خلقه مبشرين ومنذرين

«ولا ريب أن الذى أحسن كل شيء خلقه وأبدع في كل كائن صنعه وجاد على كل حي بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذى اجاد صنعه وأقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التى اختص بها غيره ان ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط في أهم حياتيه والضلال في أفضل حاليه

«يقول قائل ولم لم يودع في الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ولم يضم فيها الانقياد الي العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية في الحياة الآخرة؟ وما هذا النحو من عجائب الرحمة في الهداية والتعليم وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانساني ذلك النوع على ما به وما دخل في تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف في مراتب الاستعداد باختلاف أفراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيوانا آخر كالنحل والنمل أو ملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثاني) في بيان الحاجة الى الرسالة يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه أرتنا الايام غابرها وحاضرها أن من الناس من يختزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الي بعض الغابات أو الي رؤس الجبال ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الاوابد من الحيوان يتغذى بالاعشاب وجذور النبات ويأوى الي الكهوف والمغاور ويتقي بعض العوادى عليه بالصخور والاشجار ويكتفي من الثياب بما يخصف من ورق الشجر أو جلود الهالك في حيوان البر ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا ولكن مثل

هذا مثل النحلة تنفرد عن الدبر وتعيش عيشة لا تتفق مع ما قدر لنوعها وانما الانسان نوع من تلك الانواع التى غرز في طبعها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات على أن يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود على المجموع في بقائه والمجموع من العمل ما لا غنى للواحد عنه في نمائه وبقائه، وأودع في كل شخص من اشخاصها شعوراً ما بحاجته الي سائر أفراد الجماعة التى يشملها اسم واحد وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الي الاطالة في بيانه وكفاك من الدليل على ان الانسان لا يعيش الا في جملة ما وهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعداً لتصوير المعاني في الالفاظ وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم وليس الاضطرار الي التفاهم بين اثنين أو أكثر الا الشهادة بأن لا غنى لاحدهم عن الآخر

«حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لا يشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدى العاملة فتمتد الحاجة وعلى أثرها الصلة من الأهل الي العشيرة ثم الي الامة والى النوع بأسره. وأيامنا هذه شاهدة على أن الصلة التابعة للحاجة قد تعم النوع كما لا يخفي. هذه الحاجة خصوصا في الامة التى حققت عنوانها لها صلات وعلائق ميزتها عمن سواها حاجة في البقاء حاجة في التمتع بمزايا الحياة حاجة في جلب الرغائب ودفع المكاره من كل نوع

«لو جرى أمر الانسان على أساليب الخلقة في غيره لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفراده عامل يشعر كل نفس ان بقاءها مرتبط ببقاء الكل. فالكل منها بمنزلة بعض قواها المسخرة لمنافعها ودرء مضارها والمحبة عماد السلم وروح السكينة الي القلوب هي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر الناهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظا لنظام الامم وروحا لبقائها وكان من حالها أن تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة انفعك الي من تحب أو ما تحب فان اشتدت كانت ولها وعشقا

« لكن كان من قوانين المحبة أن تنشأ وتدوم بين متحابين اذ كانت الحاجة الى ذات المحبوب أو ماهو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها في الانسان الا اذا كان منشؤه أمراً في روح المحبوب وشمائله التي لاتفارق ذاته حتى تكون لذة الوصول في نفس الاتصال لا في عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعارض ولوحظ في العلاقة بينهما تحولت المحبة الى رغبة في الانتفاع بالعوض وتعلقت بالمنتفع به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة أما سلطان القوة أو ذلة المخافة أو الدهان والخديعة من الجانبين

« يحب الكلب صيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يرى انه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع فقدها بفقده فيحرص عليه حرصه على حياته ولو انه انتقل من حوزته الى حوزة آخر وغاب عنه السنين ثم رآه معرضا لخطر تماعادت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضا واندفع الى خلاصه بما تمكنه القوة

« ذلك لأن الالهام الذي هدى به شعور الكلب ليس مما تتسع به المذاهب فوجد انه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءهما مذهب لحاجته في سد عوزه هي حاجته الى القائم بأمره فيحبه محبته لنفسه ولا يبخس منها شوب التعاوض في الخدمة

« أما الانسان وما أدراك ماهو فليس أمره على شيء من ذلك ليس ممن يلهم ولا يتعلم ولا ممن يشعر ولا يتفكر بل كان كماله النوعي في اطلاق مداركه من القيد ومطالبه عن النهايات وتسليمه على صغره الى العالم الاكبر على جلالته وعظمه يصارعه بعوامله وهي غير محصورة حتى يستصر منه منافعه وهي غير محدودة وايداعه من قوى الادراك والعمل مايعينه على المغالبة ويمكنه من المطالبة بسعيه ورأيه ويتبع ذلك أن يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذة ويجوار كل لذة ألم ومخافة فلا تنتهي رغائبه الى غاية ولا تقف مخاوفه عند نهاية (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) تفاوتت أفراده في مواهب الفهم وفي قوى العمل وفي الهمة

والعزم فمنهم المقصر ضعفا أو كسلا المتطاول في الرغبة شهوة وطمعا يرى في اخيه انه العون له على مايريد من شؤون وجوده لكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة في الاستئثار بجميع ما في يده ولا يقنع بمعارضته في ثمرة من ثمار عمله وقد يجد الدنيء ان يتمتع ولا يعمل ويرى الخير في ان يقيم مقام العمل اعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل ليتمتع وان لم ينفع ويغلب عليه ذلك حتى يخيل له ان لاضير عليه او انفرد بالوجود عمن يطلب مغالبته ولا يبالي بارساله الى عالم العدم بعد سلبه فكلما حثه الذكر والخيال الى دفع مخافة أو الوصول الى لذيذ فتح له الفكر بابا من الحيلة أو هيأ له وسيلة لاستعمال القوة فقام التناهب مقام التواهب وحل الشقاق محل الوفاق وصار الضابط لسيرة الانسان أما الحيلة وأما القهر

« هل وقف الهوى بالانسان عند التنافس في اللذائذ الجسدانية وتجالد افراده طمعاً في وصول كل الى مايظنه غاية مطالبه وان لم تكن له غاية . كلا ولكن قدر له ان تكون له لذائذ روحانية وكان من أعظم همه ان يشعر بالكرامة له في نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما حسبما يمتد اليه نظره وقد بلغت هذه الشهوة حداً من الانفس كادت تتغلب على جميع الشهوات وأخذت لذة الوصول اليها من الارواح مكانا كاد لاتصعد اليه سائر اللذات وهي من أفضل العوامل في احراز الفضائل وتمكين الصلات بين الافراد والامم لو صرفت فيما سيقت لاجله ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها للاسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمة والعزيمة حتى خيل لكثير من العقلاء ان يسعى الى اعلاء منزلته في القلوب باخافة الامن وازعاج الساكن واشعار القلوب رهبة المخافة لاتهيب الحرمة

« وهل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جماعة يبقى نظامهم ويحق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم ورفد بعضهم بعضا في الاعمال أولا تكون هذه الافاعيل السابق ذكرها سببا في تفانيهم لاريب ان البقاء على تلك الاحوال من ضروب المحال فلا بد للنوع الانساني في حفظ بقائه من المحبة أو ماينوب منابها

« لجأ بعض أهل البصيرة في أزمنة مختلفة الي العدل وظنوا كما ظن بعض العارفين ونطق به في كلمة جليلة أن العدل نائب المحبة . نعم لايخلو القول من حكمة ولكن من الذى يضم قواعد العدل ويحمل الكافة علي رعايتها ؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والذكر والخيال ينابيع الشقاء كذلك تكون وسائل السعادة وفيها مستقر السكينة. وقد رأينا ان اعتدال الفكر وسعة العلم وقوة العقل واصالة الحكم تذهب بكثير من الناس الي ماوراء حجب الشهوات وتعلو بهم فوق ماتخيله المخارف فيعرفون لكل حق حرمته ويميزون بين لذة مايفنى ومنفعة مايبقي وقد جاء منهم افراد في كل امة وضعوا اصول الفضيلة وكشفوا وجوه الرذيلة وقسموا اعمال الانسان الى ماتحضر لذته وتسوء عاقبته وهو مايجب اجتنابه ، والي ماقد يشق احتماله ولكن تسر مغبته وهو مايجب الاخذ به . ومنهم من انفق في الدعوة الي رأيه نفسه وماله وقضى شهيد اخلاصه في دعوة قومه الي مايحفظ نظامهم فهؤلاء العقلاء هم الذين يضعون قواعد العدل وعلي أهل السلطان أن يحملوا الكافة علي رعايتها وبذلك يستقيم أمر الناس

« هذا قول لايجافي الحق ظاهره ولكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق علي سنته أن يخضع كافة افراده أو الغالب منهم لرأى العاقل لمجرد أنه الصواب ، وهل كفي في اقناع جماعة منه كشعب أو أمة قول عاقلهم انهم مخطئون وأن الصواب فيما يدعوهم اليه ، وان اقام علي ذلك من الادلة ماهو أوضح من الضياء ، وأجلي من ضرورة المحبة للبقاء ؟ كلا لم يعرف ذلك في تاريخ الانسان ولا هو مما ينطبق علي سنته فقد تقدم لنا أن مهب الشقاء هو تفاوت الناس في الادراك وهم مع ذلك يدعون المساواة في العقول والتقارب في الاصول ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل الا كما يعرف من أمر الجاهل ومن لم يكن في مرتبتك من العقل لم يذق مذاقك من الفضل فمجرد البيان العقلي لايدفع نزاعا ولايرد طمأنينة وقد يكون القائم علي مايضع من شريعة العقل ممن يزعم انه أرفع من واضعها فتذهب بالناس مذاهب شهواته فتذهب حرمتها ويتهدم بناؤها ويفقد ماقصد بوضعها

« أضف الى ماسبق من لوازم نزعات الفكر ونزعات الاهواء شعوراً هو ألصق بالغريزة البشرية وأشد لزوما لها . كل انسان مهما علا فكره وقوى عقله أو ضعفت فطنته وانحطت فطرته ، يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة أرفع من قوته وقوة ماألس منه الغلبة عليه مما حوله وانه محكوم بارادة تصرفه وتصرف ماهو فيه من العوالم في وجوه قد لاتعرفها معرفة العارفين ولاتتطرف اليها ارادة المختارين تشعر كل نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمي فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها أخرى لاسبيل لها الا الطريق التى حددت لنوعها وهي طريق النظر فتذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر فمنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها أو شدة ضررها ، ومنهم من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور اثرها. ومنهم من حجبته الاشجار والاحجار لاعتبارات له فيها ، ومنهم من تبدت له آثار قوى مختلفة في انواع متفرقة تماثل في افراد كل نوع وتتخالف بتخالف الانواع فجعل لكل نوع الها . ولكن كلما رق الوجدان ولطفت الاذهان ونفذت البصائر ارتفع الفكر وجلت النتائج فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك الي معرفة هذه القدرة الباهرة واهتدى الي أنها قدرة واجب الوجود غير أن من أسرار الجبروت ماغمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه ثم لم يكن له من الميزة الفائقة في قومه مايحملهم علي الاهتداء بهديه فبقي الخلاف دائما والرشد ضائعا. اتفق الناس في الاذعان لما فاق قدرهم وعلا متناول استطاعتهم لكنهم اختلفوا في فهم ماتلجئهم الفطرة الى الاذعان له اختلافا كان أشد أثراً في التقاطع بينهم واثارة أعاصير الشقاق فيهم من اختلافهم في فهم النافع والضار لغلبة الشهوات عليهم

ان كان الانسان قد فطر علي أن يعيش في جملة ولم يمنح مع تلك الفطرة مامنحه النحل وبعض أفراد النمل مثلا من الالهام الهادى الي مايلزم لذلك وانما ترك الى فكره يتصرف به علي نحو ماسبق كما فطر علي الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفته ولم يفض عليه مع ذلك الشعور عرفا بذات ذلك القاهر ولا صفاته وانما ألقي به في مطارح

النظر تحمله الافكار في مجاريها وترمي به الى حيث يدرى ولا يدرى وفي كل ذلك الويل على جامعته والخطر على وجوده فهل منى هذا النوع بالنقص ورزىء بالقصور عن مثل مابلغه أضعف الحيوانات وأحطها في منازل الوجود ؟ نعم هو كذلك لولا ماأتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه

«الانسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله الى أعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره ارفع معالم الجبروت ويسامي بقوته ما يعظم عن أن يسامى من قوى لكون الاعظم ثم يصغر ويتضاءل وينحط الى ادنى درك من الاستكانة والخضوع متى عرض له امر مالم يعرف سببه ولم يدرك منشأه ذلك لسر عرفه المستبصرون واستشعرته نفوس الناس اجمعين

«من ذلك الضعف قيد الى هداه ومن تلك الضعة أخذ بيده الى شرف سعادته . اكمل الواهب الجواد لجملته مااقتضت حكمته في تخصيص نوعه بما يميزه عن غيره أن ينقص من افراده وكما جاد على كل شخص بالعقل المصرف للحواس لينظر في طلب اللقمة وستر العورة والتوقي من الحر والبرد جاد على الجملة بما هو أمس بالحاجة في البقاء وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء وأحفظ لنظام الاجتماع الذى هو عماد كونه بالاجماع . من عليه بالنائب الحقيقي عن المحبة بل الراجع بها الى النفوس التى أقفرت منها لم تخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير أنه أتاه مع ذلك من أضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فأقام له من بين أفراده مرشدين هادين وميزهم من بينهم بخصائص في أنفسهم لايشركهم فيها سواهم وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس وتأخذ الطريق على سوابق العقول فيستخذى الطامح ويذل الجامح ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع الى رشده وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ويدهشون المدارك بيواهر من آياته فيحيطون العقول بما لامندوحة عن الاذعان له ويستوى في الركون لما يجيئون به المالك والمملوك والسلطان والصعلوك والعاقل والجاهل والمفضول الفاضل فيكون الاذعان لهم أشبه

بالاضطرارى منه بالاختيارى النظرى يعلمونهم ماشاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم وما أرادوا أن يعلموه من شئون ذاته وكمال صفاته وأولئك هم الانبياء والمرسلون فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ومن أهم حاجاته في بقائه ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة أتمها الله لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وسنتكلم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعد. ثم قال الاستاذ :

﴿ امكان الوحي ﴾

«الكلام في امكان الوحي يأتي بعد تعريفه لتصوير المعنى الذى يراد منه والتعرّف المعنى الحاصل بالمصدر فيفهم معنى المصدر نفسه ولا يعنينا ما تثيره الالفاظ في الاذهان ولنذكر من اللغة مايناسبه . يقال وحيت اليه وأوحيت اذا كلمته بما تخفيه عن غيره . والوحى مصدر من ذلك والمكتوب والرسالة وكل ماألقيته الى غيرك ليعلمه . ثم غلب فيما يلقى الى الانبياء من قبل الله . وقيل الوحى اعلام في خفاء . ويطلق ويراد به الموحي . وقد عرفوه شرعا أنه كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه . أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش . الحزن والسرور . أما امكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحي) وانكشاف ماغاب من مصالح البشر عن عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلا نراه ممايصعب ادراكه الا على من لا يريد أن يدرك ويحب أن يرغب نفسه الغواية على أن لايفهم . نعم انه يوجد في كل أمة وفي كل زمان أناس يقذف بهم الطيش والنقص في العلم الى ما وراء سواحل اليقين فيسقطون في غمرات من الشك في كل مالم يقع تحت حواسهم الخمس . بل قد يدركهم الريب فيما هو من متناولها كما سبقت الاشارة اليه فكأنهم بسقطتهم هذه انحطوا الى ماهو أدنى من مراتب أنواع أخرى من الحيوان فينسون العقل

وشؤونه وسره ومكنونه ويجدون في ذلك لذة الاطلاق عن قيود الاوامر والنواهي بل عن محابس الحشمة التي تضمهم الى التزام ما يليق وتحجزهم عن مقارفة مالا يليق كما هو حال غير الانسان من الحيوان فاذا عرض عليهم شيء من الكلام في النبوات والاديان وهم من أنفسهم هام بالاصغاء دافوه بما أوتوا من الاختيار في النظر وانصرفوا عنه وجعلوا أصابعهم في آذانهم حذر أن يخالط الدليل أذهانهم فيلزمهم العقيدة وتنبههم الشريعة فيحرموا اللذة ماذاقوا وما يحبون أن يتذوقوا وهو مرض في الانفس والقلوب يستشفي منه بالعلم ان شاء الله

« قلت أي استحالة في الوحي وان ينكشف لفلان مالا ينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم ان ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر من حفت العناية من ميزته هذه النعمة

« ومما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضاً وان الادني منها لايدرك ما عليه الاعلي الا علي وجه من الاجمال وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط بل ولابد معه من التفاوت في الفطر التي لا مدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه ولاشبهة في أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو أرقى منه ولاتزال المراتب ترتقي في ذلك الي مالا يحصره العدد وان من أرباب الهمم وكبار النفوس مايرى البعيد عن صغارها قريبا فيسعي اليه ثم يدركه والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون لنهايته ثم يألفون ماصار اليه كأنه من المعروف الذي لاينازع والظاهر الذي لا يجاحد فاذا أنكره منكر ثاروا عليه نورثهم في بادىء الامر علي من دعاهم اليه ولا يزال هذا الصنف من الناس علي قلته ظاهراً في كل أمة الى اليوم

« فاذا سلم ولا محيص عن التسليم بما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول اليها أن لا يسلم بأن من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الالهي أن تتصل بالافق الاعلي وتنتهي من الانسانية الي الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان مالم

يصل غيرها الى تعقله أو تحسسه بعصى الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا علي ما يتلقاه احدنا عن أساتذة التعليم ثم تصدر عن ذلك العلم الي تعليم ما علمت ودعوة الناس الي ماحملت علي ابلاغه اليهم وان يكون ذلك سنة الله في كل امة وفي كل زمان علي حسب الحاجة يظهر برحمته من يختصه بعنايته لبني للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحته الي ان يبلغ النوع الانساني أشده وتكون الاعلام التي نصبها لهدايته الي سعادته كافية في ارشاده فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة كما سنأتي عليه في رسالة نبينا صلي الله عليه وسلم

« أما وجود بعض الارواح العالية وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية فما لا استحالة فيه بعد ما عرفنا من انفسنا وارشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود علي ما هو الطف من المادة وان غيب عنا فأي مانع من ان يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشيء من العلم الالهي وان يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا علي الاذعان بصحته

« أما تمثل الصوت وأشباح لتلك الارواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند اعداء الانبياء مالا يبعد عنه في بعض المصابين بامراض خاصة علي زعمهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل الي درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله انه يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولا شيء من ذلك في الحقيقة بواقع ، فان جاز التمثل في الصور المعقولة ولا منشأ لها الا في النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض علي المخ فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفوس العالية وأن يكون ذلك لها عندما تنزع عن عالم الحس وتتصل بحظائر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صلة العقل في أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم وغاية ما يلزم عنه ان يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف في تلك العلاقة من سواهم وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم في الناس ايضا غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من أهم ما امتازوا به وقام منها الدليل لي رسالتهم والدليل علي سلامة شهودهم وصحة مايحدثون عنه

ان امراض القلوب تشفي بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة في أيمهم التي تأخذ بعقالهم ومن المنكر في البديهة ان يصدر الصحيح من معتل و يستقيم النظام بمختل

« اما ارباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الانبياء ولكنهم رضوا ان يكونوا لهم اولياء على شرعهم ودعوتهم امناء فكثير منهم نال حظه من الانس بما يقارب تلك الحال في النوع او الجنس لهم مشاركة في بعض احوالهم على شيء من عالم الغيب ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثل لاتنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيئا مما يحدث به من الانبياء صلوات الله عليهم ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف ودليل صحة ما يتحدثون به وعنه ظهور الاثر الصالح منهم وسلامة أعمالهم مما يخالف شرائع انبيائهم وطهارة فطرهم مما ينكره العقل الصحيح او يمجه الذوق السليم واندفاعهم بباعث من الحق الناطق في سرائرهم المتلألىء في بصائرهم الى دعوة من يحف بهم الي ما فيه خير العامة وترويج قلوب الخاصة ولا يخلو العالم من متشبهين بهم ولكن أسرع ما ينكشف حالهم و يسوء مآلهم ومآل من غرروا به ولا يكون لهم الا سوء الاثر في تضليل العقول وفساد الاخلاق وانحطاط شأن القوم الذين رزؤا بهم الا ان يتداركهم الله بلطفه فتكون كلمتهم الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار . فلم يبق بين المنكرين لاحوال الانبياء ومشاهدهم وبين الاقرار بامكان ما أنبؤا به بل و بوقوعه الاحجاب من العادة وكثيراً ما حجبت العقول حتى عن ادراك أمور معتادة . ثم قال الاستاذ :

﴿ وقوع الوحي والرسالة ﴾

« والدليل على رسالة نبي وصدقه نبأ يحكي عن ربه ظاهر الشاهد الذي يرى حاله ويبصر ما آتاه الله من الآيات البينات ويحقق بالعيان ما يغنيه عن البيان كما سلف في الوجه الاول من الكلام على الرساله اما الغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر وهو كما تبين في علم آخر رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وآيته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه كالاخبار بوجود مكة أو بأن الصين عاصمة تسمي بكين وسبب استحالة التواطؤ على الكذب استيفاء الخبر لشرائط معلومة وخلوه من عوارض تضعف الثقة به ومرجع كل ذلك الي العدد وبعد الراوى عن التشيع لمضمون الخبر

« لا نزاع بين العقلاء في أن هذا النوع من الاخبار يحصل اليقين بالمخبر به وانما النزاع في اعتبارات تتعلق به ومن الانبياء ما استوفي الخبر عنهم شرائط التواتر كابراهيم وموسي وعيسي وبما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن بعثوا بينهم بالاقوى سلطانا ولا بالاكثر مالا ولم يختصهم احد بالعناية بهم لتعليمهم علم مادعوا اليه وغاية الامر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تعافهم النفوس وتنبو عنهم الانظار ومع ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ووفرة المال لديه واستعلائه عليهم بما كسب من العلم قاموا بدعوة الي الله على رغم الملوك واجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم في عروشهم وادعوا انهم يبلغون عن خالق السموات والارض ما ارد شرعه للناس واقاموا من الدليل ماتصاغرت دونه قوة المعارضة ثم ثبتت في الكون شرائعهم ثبات الغريزة في الفطر وكان الخير لاممهم في اتباع ماجاؤا به حالفتهم القوة واحتضنتهم السعادة ماكانوا قائمين عليها ورزأهم الضعف وغالبهم الشقاء ماانحرفوا عنها وخلطوا فيها فهذا ما أقاموه من الأدلة عند التحدى لايصح معه في العقل أن يكونوا كاذبين في حديثهم عن الله ولا في دعواهم أنه كان يوحي اليهم ماشرعوا للناس على أن من لا يعتقد ما يقول لا يبقي لمقاله أثر في العقول والباطل لابقاء له الا في الغفلة عنه . كالنبات الخبيث في الارض الطيبة ينبت باهمالها وينمو باغفالها فاذا لامستها عناية الزارع غلبه الحصب وذهب به الزكاء ولكن تلك الديانات التي جاء بها اولئك الانبياء قامت في العالم الانساني ماشاء الله بما قدر لها مقام سائر قواه مع كثرة المعارضين وقوة سلطان المغالبين فلا يمكن أن يكون اسها الكذب ودعامتها الحيلة وكلامنا هذا في جوهرها الذى يلوح دائما في خلال ما ألحق بها المبتدعون أما بقية الرسل مما يجب علينا الايمان بهم فيكفي في اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا صلي الله عليه وسلم فقد أخبرنا برسالتهم وهو الصادق فيما بلغ به وسنأتي على الكلام

في رسالة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم في باب علي حدته ان شاء الله

﴿ وظيفة الرسل عليهم السلام ﴾

« تبين مما تقدم في حاجة العالم الانساني الى الرسل انهم من الامم بمنزلة العقول من الاشخاص وان بعثتهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الانسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل مالامس الحس منها فالقصد فيه الى الروح وتطهيرها من دنس الاهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو ايداعها مافيه سعادتها في الحياتين اما تفصيل طريق المعيشة والحذق في وجوه الكسب وتطاول شهوات العقل الى درك ما اعد الوصول اليه من اسرار العلم فذلك مما لادخل للرسالات فيه الا من وجه العظة العامة والارشاد الي الاعتدال فيه وتقرير ان شرط ذلك كله أن لايحدث ريبا في الاعتقاد بأن للكون الهاً واحداً قادراً عالما حكيما متصفا بما اوجب الدليل أن يتصف به وباستواء نسبة الكائنات اليه في انها مخلوقة له وصنع قدرته وان تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال وشرطه أن لاينال شيء من تلك الاعمال السابقة احدا من الناس بشر في نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة علي ماحدد في شريعتها

« يرشدون الخلق الى معرفة الله و ما يجب أن يعرف من صفاته ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان علي وجه لايشق عليه الاطمئنان اليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة . يجمعون كلمة الخلق علي اله واحد لافرق معه ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده وينهضون نفوسهم الي التعلق به في جميع الاعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الاوقات تذكرة لمن ينسي وتزكية مستمرة لمن يخشي تقوى ماضعف منهم وتزيد المتقين يقينا

« يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم وتنازعته مصالحهم ولذاتهم فيفصلون في تلك الخاصمات بأمر الله الصادع ويؤيدون بما يأمرون عنه ماتقوم به المصالح العامة ولا تفوت به المنافع الخاصة . يعودون بالناس الى الالفة

ويكشفون لهم سر المحبة ويلفتونهم الي أن فيها انتظام شمل الجماعة ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ويشعروها أفئدتهم . يعلمونهم لذلك ان يرعي كل حق الآخر وان كان لا يغفل حقه وأن لايتجاوز في الطلب حده وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدى راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم

« يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة يسهل عليهم أن يردوا اليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية الا بحق مع بيان الحق الذى تهدر له وحظر تناول شيء مما كسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذى يبيح تناوله واحترام الاعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الابضاع ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والامانة والوفاء بالعقود والمحافظة علي العهود والرحمة بالضعفاء والاقدام علي نصيحة الاقوياء والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء . يحملونهم علي تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية الي طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والانذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه

« يفصلون في جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضاء الله عنهم ومايعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع في محاظيره . يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به مما لو صعب علي العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده

« بهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر انتظاراً لجزيل الاجر أو ارضاء لمن بيده الامر وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الانساني لايزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله لي اليوم

« ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ولا تفصيل مايحوي به عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها ولا ما استكن في طبقات الارض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ماتحتاج اليه النباتات في نموها ولا

مانفتقر اليه الحيوانات في بقاء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك مما وضعت له العلوم وتسابقت في الوصول الي دقائقه الفهوم فان ذلك كله من وسائل الكسب وتحصيل طرق الراحة ، هدى الله اليه البشر بما أودع فيهم من الادراك يزيد في سعادة المحصلين ويقضي فيه بالنكد علي المقصرين ولكن كانت سنة الله في ذلك أن يتبع طريقة التدرج في الكمال وقد جاءت شرائع الانبياء بما يحمل علي الاجمال بالسعي فيه وما يكفل التزامه بالوصول الي ماأعد الله له الفطر الانسانية من مراتب الارتقاء

« أما ماورد في كلام الانبياء من الاشارة الى شيء مما ذكرنا في أحوال الافلاك او هيئة الارض فانما يقصد منه النظر الى مافيه الدلالة علي حكمة مبدعه او توجيه الفكر الي الغوص لادراك أسراره و بدائعه ولذلهم عليهم الصلاة والسلام في مخاطبة أممهم لايجوز أن تكون فوق مايفهمون والا ضاعت الحكمة في ارسالهم ولهذا قد يأتي التعبير المخصوص الي العامة بما يحتاج الي التأويل والتفسير عند الخاصة وكذلك ماوجه الى الخاصة يحتاج الي الزمان الطويل حتى يفهمه العامة وهذا القسم أقل ماورد في كلامهم

« علي كل حال لايجوز أن يقام الدين حاجزاً بين الارواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الامكان بل يجب أن يكون الدين باعثاً لها علي طلب العرفان مطالباً لها باحترام البرهان فارضاً عليها أن تبذل ماتستطيع من الجهد في معرفة مابين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد والوقوف في سلامة الاعتقاد عند الحد ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وجنى عليه جناية لايغفرها له رب الدين

« اعتراض مشهور »

« قال قائل ان كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر وكمالا لنظام اجتماعهم وطريقا لسعادتهم الدنيوية والاخروية فما بالهم لم يزالوا أشقياء ، عن السعادة بعداء ، يتخالفون ولا يتفقون يتقاتلون ولا يتناصرون ، يتناهبون ولا يتناصفون ، كل يستعد للوثبة ولا ينتظر الا مجيء النوبة ، حشو جلودهم الظلم وملء قلوبهم الطمع، عد أهل كل ذي دين دينهم حجة لمقارعة من خالفهم واتخذوا منه

سبباً جديداً للعداوة والعدوان فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع . بل أهل الدين الواحد قد تنشق عصاهم وتختلف مذاهبهم في فهمه وتتفارق عقولهم في عقائدهم و يثور بينهم غبار الشر وتتشبث أهواؤهم بالفتن فيسفكون دماءهم ويخربون ديارهم الي ان يغلب قويهم ضعيفهم فيستقر الامر للقوة لا للحق والدين فما هو الدين الذى تقول انه جامع الكلمة ووصول المحبة كان سببا في الشقاق ومضرما الضغينة فما هذه الدعوى وما هذا الاثر ؟ تقول في جوابه نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الانبياء وانقضاء عهدهم ووقوع الدين في ايدى من لايفهمه او يفهمه ويغلو فيه اولا يغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه او امتزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الانبياء انفسهم او الخيرة من تبعتهم والا فقل لنا اى نبي لم يأت امته بالخير الجم والفيض الأعم ولم يكن دينه وافيا بجميع ماكانت تمس اليه حاجتها في أفرادها وجملتها؟

« اظن انك لاتخالفنا في ان الجمهور الاعظم من الناس بل الكل الا قليلا لايفهمون فلسفة افلاطون ولا يقيسون افكارهم وآراءهم بمنطق ارسطو بل لو عرض أقرب المعقولات الى العقول عليهم بأوضح عبارة يمكن ان يأتي بها معبر لما أدركوا منها الا خيالا لا أثر له في تقويم النفس ولا في اصلاح العمل فاعتبر هذه الطبقات في حالها التى لاتفارقها من تلاعب الشهوات بها ثم انصب نفسك وأعطنا بيانها في تخفيف بلاء سائقة النزاع اليها فأى الطرق أقرب اليك في مهاجمة شهواتهم وردها الى الاعتدال في رغائبها ؟

« من البديهي انك لاتجد الطريق الأقرب في بيان مضار الاسراف في الرغب وفوائد القصد في الطلب وما ينحو نحو ذلك مما لايصل اليه أرباب العقول السامية الا بطويل النظر وانما تجد قصد الطرق وأقومها أن يأتي اليه من ناحية الوجدان المطلة علي سر القهر المحيط به من كل جانب فتذكره بقدرة الله الذى وهبه ماوهب الغالب عليه في ادني شؤونه المحيط بما في نفسه لآخذ بأزمة همه وتسوق اليه من الامثال في ذلك مايقرب الي فهمه ثم تروى له ما جاء في الدين المعتقد به من مواعظ وعبر ومن سير

السلف في ذلك الدين مافيه اسوة حسنة وتنعش روحه بذكر رضاء الله اذا استقام وسخطه عليه اذا اقتحم . عند ذلك يخشع منه القلب وتدمع العين ويستخذى الغضب وتخمد الشهوة والسامع لم يفهم من ذلك كله الا انه يرضي الله واولياءه اذا اطاع ويسخطهم اذا عصى . ذلك هو المشهود من حال البشر غابرهم وحاضرهم وينكره بسم نفسه انه ليس منهم . كم سمعنا ان عيونا بكت وزفرات صعدت وقلوبا خشعت لواعظ الدين . لكن هل سمعت بمثل ذلك بين يدى نصاح الادب وزعماء السياسة ؟ متى سمعنا ان طبقة من طبقات الناس يغلب الخير على أعمالهم لما فيه من المنفعة لعامتهم او خاصتهم وينفي الشر من بينهم لما يجلبه عليهم من مضار ومهالك ؟ هذا أمر لم يعهد في سير البشر ولا ينطبق على فطرهم . وانما قوام الملكات هو العقائد والتقاليد ولا قيام للأمرين الا بالدين فعامل الدين هو اقوى العوامل في اخلاق العامة بل والخاصة وسلطانه على نفوسهم اعلى من سلطان العقل الذي هو خاصة نوعهم

« قلنا ان منزلة النبوات من الاجتماع هي منزلة العقل من الشخص او منزلة العلم المنصوب على الطريق للسلوك بل نصعد الى مافوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر، أليس من وظيفة الباصرة التمييز بين الحسن والقبيح من المناظر وبين الطريق السهلة السلوك والمعابر الوعرة ومع ذلك فقد يسيء البصير استعمال بصره فيتردى في هاوية يهلك فيها وغيناه سليمتان العمل في وجهه . يقع ذلك لطيش أو اهمال أوغفلة او لجاج وعناد . وقد يقوم من العقل والحس الف دليل على مضرة شيء ويعلم ذلك الباغي في رأيه من اهل الشر ثم يخالف تلك الدلائل الظاهرة ويقتحم المكروه لقضاء شهوة اللجاج أو نحوها ولكن وقوع هذه الامثال لاينقص من قدر الحس او العقل فيما خلق لاجله . كذلك الرسل عليهم السلام اعلام هداية نصبها الله على سبيل النجاة، فمن اهتدى بها انتهى الى غايات السعادة ومنهم من غلط في فهمها او انحراف عن هديها فأنكب في مهاوى الشقاء فالدين هاد والنقص بعرض لمن دعوا الي الاهتداء به ولا يطعن نقصهم في كماله واشتداد حاجتهم اليه » يضل به كثيراً

ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين. ألا ان الدين مستقر السكينة وملجأ الطأنينة به يرضى كل بما قسم له وبه يدأب عامل حتى يبلغ الغاية من عمله وبه تخضع النفوس الى أحكام السنن العامة في الكون وبه ينظر الانسان الى من فوقه في العلم والفضيلة والي من دونه في المال والجاه اتباعا لما وردت به الاوامر الالهية . الدين أشبه بالبواعث الفطرية الالهامية منه بالدواعي الاختيارية. الدين قوة من اعظم قوى البشر وانما قد يعرض عليها من العلل مايعرض لغيرها من القوى وكل ماوجه الى الدين من مثل الاعتراض الذى نحن بصدده فتبعته في اعناق القائمين عليه الناصبين انفسهم منصب الدعوة اليه أو المعروفين بأنهم حفظته ورعاة لحكامة وما عليهم في ابلاغ القلوب بغيتها منه الا أن يهتدوا به ويرجعوا به الى اصوله الطاهرة الاولي ويضعوا عنه اوزار البدع فترجع اليه قوته وتظهر للاعين حكمته

« ربما يقول قائل ان هذه المقابلة بين العقل والدين تميل الي رأى القائلين باهمال العقل بالمرة في قضايا الدين وبأن اساسه هو التسليم المحض وقطع الطريق على أشعة البصيرة ان تنفذ الى فهم ما أودعه من معارف وأحكام . فنقول لو كان الأمر كما عساه أن يقال لما كان الدين هدى يهتدى به وأنما الذى سبق تقريره هو أن العقل وحده لا يستقل بالوصول الى مافيه سعادة الامم بدون مرشد الهي كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف مايشتبه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والاذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود اعمال .

كيف ينكر على العقل حقه في ذلك وهو الذى ينظر في ادلتها ليصل منها الي معرفتها وانها آتية من قبل الله وانما على العقل بعد التصديق برسالة نبي أن يصدق بجميع ماجاء به وان لم يستطع الوصول الي كنه بعضه والنفوذ الي حقيقته ولا يقضي عليه ذلك بقبول ماهو من باب المحال المؤدى الي مثل الجمع بين النقيضين أو بين الضدين في موضوع واحد

في آن واحد فان ذلك مما تتنزه النبوات عن ان تأتي به فان جاءنا ما يوهم ظاهره ذلك في شيء من الوارد فيها وجب على العقل أن يعتقد أن الظاهر غير مراد وله الخيار بعد ذلك في التأويل مسترشداً ببقية ما جاء على لسان من ورد المتشابه في كلامه وفي التفويض الى الله في علمه وفي سلفنا من الناجين من أخذ بالاول ومنهم من أخذ بالثاني » انتهى كلام الشيخ

(رأينا نحن في مسألة النبوة والانبياء)

هذه المسألة أصعب مسائل الفلسفة الدينية وعلى حلها يتوقف ثبوت الاديان السماوية . فقد يسهل على الانسان في هذا العصر أن يستدل على وجود الخالق من النظر الى الكون ، وعلى وجود الروح من عرض المباحث والتجارب النفسية التى قام بها أقطاب العلم الاوروبي في هذا العصر ، ولكن لا يسهل عليه وجدان الادلة الكافية على مسألة النبوة، ولا يهتدى الي الطريق المؤدية الى الاعتقاد بصحة الاديان التى توزعت النوع الانساني منذ ازمان بعيدة

ان كلامنا في هذه المسألة يجب ان يكون حلا لشبهات الملحدين المعاصرين ، ومزيلا للشكوك المترددين من الاعتقاديين، فلا يؤاخذني رجال الدين ان آنسوا مني خلافاً لمقرراتهم في بعض هذه المرامي فان شبهات الملحدين في هذه المسألة لم تدع وجها من وجوه توهينها الا اتت عليه ، فأصبح ايمان المؤمنين مهدداً بالانحلال، وفي هذا ما فيه من الضرر العظيم ، لا بالمؤمنين وحدهم ، بل وبالعلم نفسه . واني أرى انه مادام الاعتقاديون حريصين على ماورد في كتبهم الرسمية من أقوال اسلافهم وان لم يؤيده نص صريح من الوحي فان موقفهم بأزاء الملحدين لا يحتمل المقاومة ، وينتهي امرهم كما انتهي في هذا العصر الي ضعف يبدو على كيانهم ، ويضيع من وجودهم . ونحن اعتمادا على هذا سلكنا في هذا البحث مسلك النقد العلمي حتى يكون ما نكتبه حلا الشبهات الرائجة في هذا العصر

يقرأ الناقد العصرى ما كتبه العلامة ابن حزم في حاجة العالم الي الانبياء ، وما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده وهو أحسن ما يستطيع أن يقوله الاعتقاديون في هذا الباب، فلا يقنعه ولا يحل له بعض ما لديه من الشبهات

اما شبهاته على قول ابن حزم فكثيرة فقد ذهب الي أن الانسان لم يهتد الي أصغر صناعة من صناعاته ، بل أحقر لهجة من لهجاته ، الا بوحي الهي فحط بالانسان الي مادون دركة الحيوان الاعجم، وغمط قواه العاقلة حقها في هدايته وارشاده ، ومثل هذا الكلام لا يقوى على النقد، ولا يحتمل المناقشة

واما شبهاته على قول الاستاذ الشيخ محمد عبده، وهو اكمل وابلغ ما يستطيع الاعتقاديون ان يحتجوا به ، فلا تزال قوية في نظره ولم تنفك غير محلولة ، فاذا لم يجد من القائمين على العقائد من يؤتيه بنظرية في موضوع النبوة والوحي تتمشي مع العقل والعلم اضطر الي ترك الدين والانضمام الى صفوف الملحدين مضطراً بحكم الدافع العلمي

ونحن في هذا المقام سنخول هذا الناقد العلمي الحق في الادلاء بجميع شبهاته مصغين الي ما يقول بسعة صدر، وشدة اهتمام حتى لا يدع في جعبة شكوكه سهما من تلك السهام التي تصيب في أعماق ضميره الا كشف هذه الغطاء وأرانا مكان وجوده ومبلغ تأثيره، علما منا بأن تلك الشبهات لو بقيت كامنة في صدور الناس ساقتهم الي الالحاد بقوتها الذاتية ، و بقيت عاملة في اطفاء عندهم عمل النار في الهشيم ، وذهب وعظ الواعظين ، وتنبيه المنبهين سدى كما هو حاصل اليوم، وأخذ الدين في التضاؤل أمام العلم حتى ينتهي أمره الي التلاشي كما تدل عليه الدلائل اليوم

يمكن تلخيص ما قاله الاستاذ الشيخ محمد عبده في هذه الكلمات.

الانسان في حاجة الي النبوة بدافعين طبيعيين فيه

(أولهما) اعتقاده ببقاء الروح بعد الموت في عالم وراء هذا العالم وحاجته لمعرفة ما عليه ذلك العالم من الشؤون وما أعد له فيه من الحالات ، فرحمه الخالق بان أرسل اليه من يكشف له من أمور ذلك العالم ما تطمئن نفسه اليه، ومن الحالات التى تنتظره فيه ما يجب التعويل عليه

(ثانيهما) قيام أمر الانسان على الاجتماع والتضامن بين افراده في الحياة ولم يفطر الانسان على ما فطر عليه النحل أو النمل مثلا من الاجتماع والتضامن بل ترك لتأثير عقله وفكره ، واستدلاله ونظره ، وليس

في صفاته هذه مايحمله علي احكام روابط الاجتماع علي بنى جنسه لغلبة الشهوات عليه، فكان لابد للناس من أنبياء يرسلهم الله بالاوامر الصادعة، والعظات الرادعة والمعجزات الباهرة ليحملهم كل ذلك علي الاجتماع عليه، وعلي ماجاء به من امر الله فيتحابون بواسطته في الله، ويجتمعون علي هديه وهداه

يقول الناقد العلمي : ليس في هذين العاملين مايكفي لتعليل نظرية حاجة الانسان الي الانبياء لجريان السنن الاجتماعية علي خلافها، ولتظاهر الاحوال الانسانية في مناقضتها، ولمخالفة بعض المسلمات التى استند عليها الاستاذ لمقررات العلم وكلامنافي نقدها ينحصر في الوجوه التالية :

(أولا) ليست الامم كلها تعتقد بخلود الروح فعلي الارض امم منهامن هى علي الحالة الوحشية ومنهامن هى من أرسخ الامم قدما في المدنيا لاتقول بهذه العقيدة أو تقول بها علي نقص فيها، ولم يمنع هذا من ظهور النبوات أو مايشابهها فيها فالامة البوذية وهي تعد بمئات الملايين لاتقول بخلود الروح (علي رأى العلماء الاوربيين وان كان بعض الباحثين في دينهم ينقضه) فرمي عقيدتها علي ماقبل الخلاص من آلام الحياة ومنغصات هذا التكوين بالفناء وضياع كل حس بالوجود الذاتي . وقد دعا الي هذه العقيدة في الهند قبل نحو الفي سنة رجل منهم يقال له بوذا فلباه الناس سراعا والتفوا حوله وتحمسوا لدعوته تحمسا لاغاية بعده حتى كان أحدهم يعذب بالحديد والنار ليصبأ عن دينه فيحتقر انواع هذه الآلام في سبيل تمسكه بمذهبه . وانتشر هذا الدين في سنين معدودة بين الهنود والصينيين انتشاراً زعزع اركان الدين البرهمي القديم

بل هذه امامنا الديانة الموسوية لم يذكر كتابها (التوراة) الخلود بكلمة واحدة بل اقتصر في حث اليهود الى الطاعات علي مكافأتهم بالوصول الي أرض الميعاد وهي فلسطين . ولم تنشأ هذه العقيدة فيهم الا بعد موت موسي عليه السلام كما يدل عليه ماسطر في كتاب التلمود . فلم يكن علة ظهور نبيهم هدايتهم الي مايلتمسونه من الملاعال الحياة الآخرة ولا ارشادهم الي اتقان الاعمال التى توصلهم اليه

والامة المصرية القديمة وان كانت تعتقد بخلود الروح الا انها كانت تعتبره من حظ الدين تمدهم العناية بتصبير أجسادهم بعد موتهم، وما كان يحصل منهم علي هذه الميزة الا الملوك وأفراد من سراة الامة، وهذا كله لم يمنع تمسكهم بأنواع من الاعتقادات، وضروب من العبادات بعثتهم لاقامة الهياكل وتعظيم الكهان

وفي الارض امم تعتقد بالخلود ولكنها تقصره علي ملوكها وكبرائها وجبابرتها ولم يمنعها ذلك من تمسكها ببعض العقائد وتحمسها لها تحمسا تسترخص معه في سبيل نصرتها حياتها النفيسة

فيتبين من هذه النظرة الاجتماعية لكل متأمل ان العقيدة بالخلود لاتصح ان تكون علة في بعث الانبياء ولاسببا موجبا لارسالهم . فان الامم كما رأيت لاتستوى في الجرى وراء هذه العقيدة بل منها ما جعلت الخلاص من الآلام والنجاة من مقتضيات الوجود مرتبطا بالفناء البحت فجعلت عقيدة الفناء غايتها الدينية كبعض الفرق . تقول الاستاذ اتفقت كلمة البشر الا قليلا لايقام لهم وزن علي ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن الخ لاينطبق علي مقررات العلم الاجتماعى ولايصح ان يكون اساسا لارسال الانبياء الى الامم

(ثانيا) قد تقرر في علم الاجتماع البشرى ان السائق الوحيد لاجتماع الانسان علي بنى جنسه هو حاجة أفراده الي التضامن في الحياة وان هذا الاجتماع والتضامن ليسا في حاجة الي عامل من الاعتقاد بالنبوات لظهور اثرها في الامم التى لاتدين للانبياء اكثر من ظهوره في الامم التى تدين لهم . ونحن لا نذهب بالقارىء الى العهود البعيدة من تاريخ الامم غابرها وحاضرها وهذه امامنا الامم المتمدنة قد أقامت وحدانها علي الوطنية المجردة عن كل صبغة دينية حتى ان منها ماحرم تدريس الدين في مدارسه الرسمية وانت ترى ان هذه النزعة فضلا عن انها لم توه روابطها ولم تحل حوافظها قد زادتها قوة علي قوة وكل منها اليوم تناضل عن وحدتها مناضلة الحي عن وجوده لاتبالى في سبيلها بما تريق من مهجاتها، وماتبذل من اموالها : وقد قل فيها التضامن والتكافل والترافد والعدل

على قواعد المصلحة المجردة من كل غرض دنيء، ولم يظهر على بنائها تضعضع، ولا على اركانها تزعزع رغما عن جريها شوطا بعيداً في مناقضة الانبياء والقائمين على تعاليمهم، فلو كان لاقوام العدل والحياة الاجتماعية والتضامن في الوجود الا بالنبوات لكانت انحلت روابط هذه الامم، وساورتها الحالات من حيث تدرى ولاتدرى ولسنا نشذ عن مقررات العلم لو قلنا ان هذه الامم ما اتجهت لهذه الوجهة الصالحة في الحياة، ولاوصلت الى هذه الغايات البعيدة من العلم والعمران الا بتركها التعاليم الدينية، والانفكاك من تقاليدها القديمة

(ثالثا) لو كانت النبوة كما يقول الاستاذ ضرورية لحياة النوع البشرى، ولاقوام لها الا بها فلم كثرت الانبياء في أمم وحرمتهم امم أخرى، كثروا في الامة الاسرائيلية مثلا وحرمتهم الامم الافريقية وكثير من الامم الاسيوية والاوربية؟ ولم كان يمضي بين رسول ورسول مئات من السنين مع اقتضاء حالة الامم وخصوصا في اول عهدها بالحياة لمن يواليها النصيحة ويتابع لها الموعظة ولم تنقطع النبوة بعد خاتم النبيين مع ان اكثر الامم لاتزال على ما كانت عليه قبل آلاف من السنين؟ ولم لم ترسل لمثل أمم الهوتانتوت والنيام نيام في افريقيا وأمثالهم في الاوقيانوسية وأمريكا وآسيا أنبياء ونحن نرى هذه الملايين من المخلوقات في حاجة الي من يقوم اعوجاجهم ويهديهم الي سواء السبيل؟ هل يعقل أن يحابي الخالق الحكيم بعض الامم فيرسل لها مئات الانبياء كالامة الاسرائيلية ويحرم من هذه النعمة بقية البشر، أو يكتفي بأن يرسل اليهم واحداً او اثنين في الوف من السنين؟

يقول الاستاذ قد كان ارسال الانبياء لهداية الخلق الي الحق وان النبوة كانت حاجة من حاجات الاجتماع التى لا محيص عنها، وقد نص القرآن على عكس هذا فذكر في آيات لاتحصي ان الله كان يرسل المرسلين للامم فتنفر منهم وتنكر عليهم تعاليمهم وتناصبهم الحرب فتارة تقتلهم، وطوراً ينتصر الله لانبيائه فيبيد تلك الامم، حتى صرح بأن الامم كافة قد اتحدت كلمتها على مناقضة الانبياء والنفور منهم والتألب عليهم، فكيف

توفق بين هذه التصريحات وبين قول الاستاذ أن النبوة حاجة من حاجات الامم وهاداً لايمكن أن يقوم مقامه غيره في بناء هيئتها؟

لو كانت النبوة حاجة من حاجات الحياة الانسانية لقبلت الأمم دعوتها وعملت بما أتت به طائعة مختارة ولظهر أثرها عليها في أدوار وجودها ولكن الذى نص عليه الكتاب ان الامم والنبوات كانا على طرفي نقيض ولم يكن من اثر تلك النبوات الا هلاك تلك الامم التى وجدت فيها. فان أقوام نوح وابراهيم وصالح وهود وسواهم ممن لايحصي لهم عدد قد كذبوا رسلهم فأبيدوا ودام الحال على هذا المنوال حتى جاء موسي فلقي من قومه مالقي ووجد قومه من جراء عصيانهم له ماوجدوا حتى مات فانشقت عصاهم وتفرقوا في الارض. وتمسكوا بقشور من تعاليمهم الاولي. وجاء عيسي فدعا الناس فلم يجتمع عليه الا ضعفاؤهم ممن لايغنى عن نفسه شيئا ودام أمرهم على هذه الحال حتى جاء الامبراطور كونستانتان بعد عيسى بثلاث مئة سنة واتفق انه كان مسيحيا فحمل الناس على التنصر بالقوة فحملوا الي عقيدتهم الجديدة عقائد اسلافهم في تفصيل ليس هذا موضعه، وجاء خاتم النبيين فكان أوفر الانبياء حظا فدانت له امته بعد مجالدات عنيفة، ومصادمات شديدة، ولكنه لم ينتقل الي جوار ربه حتى ارتد العرب الي وثنيتهم ولولا أبو بكر انتدب لمحاربتهم واجبارهم على الاسلام لكان هذا الدين قاصراً على أفراد من سكان مكة والمدينة، ومع هذا كله عادت الجزيرة جاهليتها ولكن على شكل آخر، فرجعت العصبية القبلية، والمفاخرة بالانساب، والفرقة والشقاق، وما هي الا حياة الخلفاء الاربعة حتى انقلبت الخلافة الى ملك عضوض وطمت البدع، ولم يبق من الاسلام الا اسمه، ولا من القرآن الا رسمه، وخضع الملك الاسلامي للناموس الاجتماعي العام الذى تخضع له كل امة فلم يكن تحولها على مقتضى دينها وشريعتها بل على مقتضي القوانين الاجتماعية التى تخضع لها كل هيئة انسانية. فانقسمت الى طوائف، وجعلت تلك الطوائف همها مقاتلة بعضها بعضا. على نحو ماعليه سائر الطوائف فأين أثر الدين في كل هذا. وماهي حكمة

اوصال الانبياء بعد أن اريناك مارأيت؟
هذه أقوال يستطيع أن يقولها ناقد علي وهي التي تحيك في صدور النشء وتعمل في الخفاء علي سلبهم العقيدة واخراجهم الي متاهة الالحاد وان لم يجرؤوا علي الادلاء بها ، وقد رأينا أن نبرزها للناس من مكامنها حتى يقف عليها كل قائم علي الدين ويجتهد في مكافحتها بالاسلحة التي تناسبها . وانا لوكنا رأينا أن ماكتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده يحل هذه الشبه لاكتفينا بنقله كما هي عادتنا . ولكنه كما ترى لايقوى علي النقد الجدي . ولا يزيل من النفوس بعض ماعلق بها من شبهات الماديين في هذا العصر

وبما أن مسألة النبوة من أهم اركان الفلسفة الدينية وعليها يقوم بناء الدين الاسلامي وكل دين سبقه فقد رأينا أن نبذل الوسع في رد هذه الشبهات ببيان الحقيقة الناصعة في هذه المسئلة بذات الاسلحة العلمية وفي المجال الذي يقف فيه الناقد العلمي . ولا يؤاخذني أحد فيما اخالف فيه من سبقني في الكلام في هذا الصدد فالامر جلل والحقيقة أثمن من أن تضيع تعصبا لمذهب من مذاهب المتقدمين ، أو في سبيل نظرية من نظرياتهم . ان الشبه في عصور آبائنا لم تبلغ الي مثل مابلغته في هذا العصر ولم يكن العلم بأحوال الاجتماع شائعا بين الناس علي ماهو عليه اليوم فكان قليل من العلم يكفي لرد شبهات الشاكين ولكننا اليوم حيال مشاهدات علمية مقررة وامور واقعية ثابتة ، وازاء ملحدة قد حذقوا فنون الجدل ، ومرنوا علي التلاعب بالأدلة الحسية فاذا أردنا أن ننصر العقيدة نصراً صحيحا وجب علينا أن نقابل هؤلاء المناضلين بمثل علومهم وبذات أسلحتهم . ولو أدانا هذا النضال الي التسامح في بعض مقرراتنا الوضعية والا ضاعت العقيدة بالجمود علي تلك المقررات التي لايقوم عليها دليل . بل التي قد قام الدليل العلمي علي بطلانها . واذا كان الله هو الحق ، وليس لنا من حياتنا ومجهوداتنا الا مانقوله ونعمله من حق ، فلا يجوز أن يقف في سبيل وصولنا الى الحق حائل من التعصب القديم ولا مانع من الجمود علي موروث

(رأينا في حلول هذه الشبه) هل النبوة حق ويمكن اثباتها علميا ؟ هل هي حاجة من حاجات الانسان الاجتماعية والروحية ؟ هل أمرها ينطبق علي نواميس الاجتماع البشري ؟ وهل يمكن وجدان الناموس الاجتماعي الذي تسير بموجبه ، وقد ثبت لنا من النظر في أحوال البشر ان شؤونهم مقودة بنواميس ثابتة لاتتغير تشبه النواميس العاملة في المواد الطبيعية ؟ وهل النبوة أن ثبتت ، لاتزال حاجة من حاجات البشر أم انقطعت بانقضاء دورها ؟ وهل هي شرط من شروط صحة الاعتقاد بحيث يدان في العالم الاخروي من لايسلم بها ؟

لا مناص لنا في هذا البحث من استقصاء الكلام في كل هذه المسائل فان الروح العصرية تتطلبها وأصبح الناس من أمرها شيعا متفرقين . وينتظر منا اعطاؤها القسط الواجب لها من الكلام في هذا الكتاب . فنقول والله المستعان :

﴿ هل النبوة حق ﴾
(ويمكن اثباتها علميا ؟)

نعم النبوة حق وقد تناهضت الادلة العلمية اليوم علي اثباتها بعد شيوع المباحث النفسية في اوروبا حتى صار في مكنة من يريد تمحيص مسائلها أن يقف علي أدلتها بالبراهين المحسوسة . هذه جرأة منا في التعبير . ولكنها جرأة يسوغها مالدينا من المعلومات وان كان الشرقيون لايزالون في ناحية عنها . لقد أكب علماء الغرب وأقطاب فلسفته علي دراسة الروح ومظاهرها علي الاسلوب العلمي في النصف الاخير من القرن التاسع عشر واهتموا بها اهتماما لم يسبق له مثيل في مسئلة أخرى من المسائل العلمية وبلغ من عنايتهم بها ان انتدب لبحثها ألوف من رجال العلم في كل أمة من الامم المتمدنة ودونوا مباحثهم في كتب لاتحصى كثرة وأسسوا لها المجلات الخاصة وأقاموا لها المجتمعات والنوادي حتى اجتمعوا لها في شكل مؤتمر مرات عديدة . هذا كله حصل ولا يزال يحصل في العالم المتمدن والشرقيون بما عهد فيهم من الاعراض عن دراسة المسائل العلمية لايزالون في ناحية عنه وقد انقسموا فيما بينهم الى فئتين فئة تؤيد المذاهب القديمة في الروح وأحوالها والنبوة وشؤونها ، وفئة ضربت الصفح عن كل ذلك ووقر في

روحها ان المدنية لا تعني غير الخروج عن كل عقيدة ، والانسلاس من كل رابطة روحية، فادام ذلك الي أشنع حالات الاباحة ، ولم يرزقوا رجالا من ذوى الخبرة العلمية ينبهونهم الي ما هو حاصل في العالم الغربي، وما فتح الله به على الناس في آخريات القرن التاسع عشر ومقدمة القرن العشرين . وقد كنا أول من نبه على خطورة هذه المسائل منذ استطعنا ان نمسك القلم أى منذ نحو عشرين سنة بعد أن هدينا الى هذه المباحث في أثناء اشتغالنا بدراسة المسئلة الدينية ونحن في سن الدراسة التجهيزية فتجلي لنا منها ماتجلي وأخذنا منذ ذلك الحين نشيعها وندعو الناس الي تأملها منفردين لم يندمرنا في الالتفات اليها كاتب بل كانت بعض المجلات تسأل عنها فتجيب بأن هذه حركة قام بها التفل من الناس ، وجرى وراءها من يسهل عليه الانخداع المشعوذين والدجاجلة . والله يعلم ان أصحاب تلك المجلات كانوا أجهل بما يفتنون فيه من سائليهم، بل كان من الكتاب من كتب في الحط من شأنها ما كتب فجني بذلك على الناس والعلم أكبر الجنايات وكان من أثر ذلك ان وقفت هذه المسئلة عند حد محدود من أذهان الشرقيين . ونحن قبل أن نخطو خطوة في الاعتماد على هذه المباحث ننقل للقراء بعض أقوال أقطاب العلم فيها

قال الفيلسوف جان فينو صاحب مجلة المجلات الفرنسية في مجلته :

« ان عدد أشياع المذهب الروحي قد بلغ الآن نحو العشرين مليونا . وهم اما علماء أو أساتذة في الفنون أو أطباء أو مهندسون . ولا يصح أن نتوهم ان هؤلاء الرجال يستخدمون التدليس لانجاح الخرافات ، و يصعب علينا أن نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية أشهر من أن تذكر » انتهى

وقال الاستاذ العلامة روسل ولاس الانجليزي وهو مكتشف مذهب التحول والارتقاء اى مذهب داروين مع داروين في وقت واحد ولكن ثبت ان داروين كان أطلع بعد اصدقائه على مذهبه قبل ان ينشر روسل ولاس مذهبه ببضع سنين فرأى العلماء من العدل ان ينسب المذهب الي داروين ، يكفيك هذا دلالا على

فضل الرجل وسعة اطلاعه ودقته في البحث قال في كتابه المسمي المعجزات في العصر الحاضر .

« لقد كنت ماديا صرفا مقتنعا بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن في ذهني أدني محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل في هذا الكون غير المادة وقوتها ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لاتغالب فانها قهرتني واجبرتني على اعتبارها أشياء مثبتة قبل أن اعتقد نسبتها الى ارواح الموتي بمدة طويلة . ثم اخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيئاً فشيئا ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بوسيلة اخرى» (اى بغير نسبتها الي العالم الروحاني » انتهي

ونحن نستطيع أن نأتي على آراء لا يحصى لها عدد في هذا الصدد وكلها منسوبة لعلماء الاعلام امثال الاساتذة وليم كروكس واوليفر لودج وجارني وميارس ومورجان وشارل ريشيه وكاميل فلامريون وزولنر ولومبروزو ومايس وهار وهيزلوب وهودسون من كل امة من الامم الاوروبية والامريكية فراجع ماكتبناه في كلمة (الله وروح) لتقف على بعض هذا. وما تردادنا لمثل هذه الاسانيد في هذه المناسبات الا ليذكر القارىء اننا لانعتمد في ابحاثنا على الاوهام ، ولا نستند على الاحلام . فان قال قائل بعد هذا ان جميع هؤلاء مخرفون أو واهمون ، وهم أقطاب العلم الطبيعى وأساتذة اساتذة اكبر رأس في هذا الشرق الفقير من العلم والعلماء ، فعلي الفلسفة والفلاسفة السلام

لنرجع الى ماكنا فيه . قلنا أن النبوة ، حق فقد ثبت علمياً وبالتجارب الحسية أن الانسان مكون من جوهرين متميزين المادة والروح ، فهو بجسده مرتبط بهذا العالم المادى المحسوس المحدود ، وبروحه متعلق بعالم روحاني ليس له حد ينتهي اليه ، ولا غاية يقف عندها ، فهو اذا كان بجثمانه لايفترق عن الحيوان الأعجم في حاجته الى الغذاء والتزاوج لحفظ جنسه ونوعه ، الا انه بروحه يلحق بعالم عال لا يدرك كنه رفعته وهم ، ولا يحوم حول جماله وجلاله خيال ، عالم متسلط على المادة يوجدها ويلاشيها ،

متصرف فيها يميتها ويحييها. هو العالم الالهي الحق الذي يعتبر مصدر ومرجع كل وجود غيره . وما هذه المادة الا مظهر من مظاهره وتجلي من تجاليه. نسبتها اليه كنسبة الزبد الي البحر أو الاشعة الي النور

وقد ثبت بما لايحصي من الأدلة العلمية أن الانسان لو أنيم نوما مغناطيسيا فانقطعت عنه خواطر الحس ظهر تعلق روحه بذلك العالم ظهوراً لايحتاج معه الدليل. فتراه يرى بغير عينيه ويسمع بغير أذنيه ويحس بغير مشاعره يرى البعيدين عنه والقريبين منه علي السواء ويسمع مايقال بجانبه وما يتكلم به علي ابعاد شاسعة في أقطار متنائية يقرأ الخواطر التي تجيش بنفس المحيطين به ويطلع علي هواجسهم فيصورها كأنه يشاهد جيشانها في صميم النفوس واعماق الصدور. فاهذه الحال اذا كان الانسان مادة محضاء وجسداً صرفا؟ اذا كان الانسان لا يشعر الا بحواسه ، ولا يدرك الا بمشاعره . فاهذا الاحساس بما هو بعيد عنه والاخبار عما ليس بينه وبينه اتصال ؟

من هنا اقتنع العلماء بالحس علي أن للانسان روحا من غير جنس المادة وان هذه الروح لاحد لسلطانها ، ولا غاية لارتقائها ، وانها تتصل بأرواح متجردة عن المادة فتخبر عنها عن شهود وعيان ، لاعن وهم وخيال . قال العلامة (بيو) الفرنسي في كتابه (المذكرات علي المغناطيس الحيوى)

« النوم المغناطيسي يثبت وجود الروح وخلودها ويبرهن علي امكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة بأخرى لم تزل مكسوة بها

وكتب الكاتب الكبير (جول بوا) في جريدة الطان الشهيرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥ يقول :

(ان ماحدث من أنواع الشفاء بواسطة التنويم المغناطيسي مما يكاد يعد معجزة ، وما حصل من الفوائد بواسطة التلقين والاستهواء ، وما يشاهد من مزايا الاعتقاد وثبات الارادة ، والمحاورات المدهشة بواسطة التليباثيا (وهي التأثير علي الغير والتأثر به من بعد) ومسائل الاحساس بالمستقبل وقراءة الافكار وظهور شبح الانسان في مكان بينما يكون هو في محله لم يتحرك . واستخراج القوة الحيوية من الجسد (وقد توصلوا الى

رسمها وقياسها) وما يراه الانسان من الغيوب في النوم والانباء بالامور المستقبلة والخوارق التي تتم علي يد الوسطاء ودراويش الهنود وهي في أكثر الاحوال صحيحة صادقة كل هذا يتكون منه مجموع عظيم من حوادث ومشاهدات يستحيل علي الانسان أن يزدريها وأن لايعبأ بها »

انتهي

هذا العالم الروحاني الذي تجلي بجلاله وأبهته لعلماء العالم المتمدن أصبح نكرانه ضلة من أكبر الضلالات ، وزلة لا تغتفر لفاعلها

هذا العالم الروحاني مصدر الخلق والايجاد ، ومنشأ الحس والادراك لايحدث في عالمنا المادى حادث صغر أو كبر ، ولا يتحول فيه أمر جل أو حقر ، الا كان متنزلا منه ، وصادراً منه

فاذا ثبت ان المنوم نوما مغناطيسيا يتصل به فيروى عنه معلومات تفوق معلومات البشر ، وان الوسيط الذى يستخدم لتحضير الارواح يتصل منه بالارواح المجردة فتظهر الحاضرين بعد أن تكتسي بالمادة فيلمسونها أو يزنونها ويفحصونها وتأتيهم من الخوارق بما يشبه معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ، اذا ثبت هذا كله ، وقد ثبت ثبوت المشاهدات العلمية علي أيدى أقطاب العلم العصرى ، فهل يسوغ أن ينكر علي أفراد من النوع البشرى ادعوا أنهم أنبياء أن يتصلوا بذلك العالم علي قدر مراتبهم فيأتوا منه الناس بعلم مالا يعلمون ، وتفسير ماكانوا يجهلون ، ويوحي اليهم منه مايرفع نفوسهم ويزيل شكوكهم ، ويفيدهم في دنياهم وأخراهم ؟

من الظلم البين ، بل من الجهل الفاضح أن ينكر الرجل العصرى هذا الامر بعد ماثبت بالمشاهدة في المجامع العلمية . وقد آب العلماء الماديون الي التصديق بالنبوات بعد أن كانوا ينكرونها ويحشرون الانبياء الي مصاف المصابين بالهستريا أو المخادعين المرائين ، وأصبحوا يعتقدون بأن الانبياء كانوا صادقين في ادعائهم الاتصال بالعالم الروحاني ، واستقاء معلوماتهم منه

بقي علينا أن نعرف ماهية الوحي ومراتب الاتصال بالعالم الروحاني ، وشؤون ذلك العالم الي غير ذلك من المعارف الضرورية لهذا البحث فنوجه نظر القارىء

الي ما كتبناه في كلمة وحي في حرف الواو فقد أسهبنا الكلام عليه وأتينا علي آراء العلماء العصريين فيه

﴿ هل النبوة حاجة من حاجات الانسان الاجتماعية والروحية ؟ ﴾

ان دراسة الاحوال الانسانية ، والنظر الي شؤون الاجتماع البشرى يرينا ان النبوة ليست حاجة من حاجات الاجتماع ولكنها حاجة روحية بمعنى ان الاجتماع لا يتوقف عليها ولكن يتوقف عليها استقامة النفوس علي جادة الصواب في مراميها المعنوية

فالاجتماع تدعو اليه الضرورات الحيوية المادية ، وكفى بهذه الضرورات سائقا لانضمام الافراد وتضامنهم في سبيل الحياة وقد نص القرآن الكريم علي ان الله كان يرسل رسلا الي أمم كانت قائمة علي اقوى الدعائم الاجتماعية وعلي جانب عظيم من المدنية المادية فكانت تكذبهم وتستهزىء بهم فيحل بها النكال بسبب ذلك التكذيب . وفي الارض اليوم أمم رفضت تعاليم الانبياء وهي علي احسن مايكون من التضامن الاجتماعي . فالنبوة اذن حاجة روحية بحتة لم تحرم منها

امة من امم الارض مهما كانت درجتها من سلم الارتقاء

قد دلنا تاريخ البشرية علي انه لم توجد امة علي سطح الارض مهما سفلت منزلتها في درجات العقل محرومة من أساطير دينية ولو علي أحط الاشكال ، اللهم الا أفرادا من النوع البشرى يهيمون علي وجوههم كالانعام لا يفترقون عن القردة الا في مجرد أجسادهم من الشعر يصادفهم السائحون في بعض الغابات علي حال من الانحطاط العقلي ليس وراءها غاية ، ويظنهم من يراهم انهم من بعض القردة . ومثل هؤلاء لا يصح أن يعتمد علي حالهم في نقض الحقيقة الاجتماعية التى قررناها من شيوع التدين بين جميع طوائف البشر بغير استثناء وفي كل درجات الاجتماع . فان هؤلاء الهمل أفراد لم يرقوا لدرجة الاجتماع ، ولم يصلوا من الحياة الانسانية لادراك شأن من شؤونها الجامعة

فالتدين عام في جميع الطوائف غابرها ومعاصرها ، باديها وحاضرها . وهذا التدين فيها يتمثل للناظر في عقائد رسمية ، وأصول ايمانية ، وتقاليد محترمة

وان كان منها ماينبذه العقل ، وينفر منه الطبع ، الا انه علي أى الاحوال كان دين قائم علي اسس راسخة في عقول تلك الطوائف ، ومتسلط علي أهوائها بحيث تسترخص في الدفاع عنه أرواحها وتستلين في حياطته كل المراكب الخشنة ، فمن أين أتت هذه الامم تلك المقررات الدينية وكيف اجتمعت كلمتها عليها وبأية وسيلة رسخت اصولها فيها ؟

ان قلنا ان التدين فطرة في النفس البشرية وانها ساقت الامم الى تأليه قوى الطبيعة أو بعض مظاهرها ، فكيف تدرك اتفاق كل طائفة علي رسوم مقررة منها ، واصول معينة فيها ، وكيف توحدت وجوه العبادة لديها واجتمعت اهواؤها علي أشكال محصورة من شؤونها ؟

لا يمكن تعليل هذه الوحدة في الوجهة الا بأحد امرين وهما اما قيام نبي فيهم دعاهم الي دين يناسب عقولهم واحوالهم الاجتماعية فحرف القوم تعاليمه حتى احالوها الي الوثنية ، واما نبغ فرد من أفرادهم لامن طريق النبوة بل من طريق النظر والاستدلال ، والتحمس الديني علي شكل من الاشكال ، فانفتق له حجاب

الحس عن عالم الروح فنال منه طرفا اختلط عليه فيه شيء من الوهم فأتاهم منه بعلم يناسب اهواءهم ومداركهم فاتبعوه ، وتوحدت وجهتهم علي يديه وتلاه علي قيادتهم الروحية خلفاؤه من بعده الى اليوم

لامناص من التسليم بأمر من هذين ، وكلاهما يدل علي أن النبوة بمعناها العام حاجة من الحاجات الروحية للأمم

قلنا النبوة بمعناها العام ونريد بذلك أن تشمل كلمة النبوة مايشتبه بها من الكهانة والعرافة فان كلا من هذه الوظائف تستند في اظهار وجودها علي العالم الروحاني والفرق بينهما أن النبوة حالة سامية تتوارد بواسطتها المعارف علي صاحبها من مصدر علوى ، وأن الكهانة والعرافة وغيرهما حالات لم تبلغ مبلغ النبوة تختلط فيها المعارف العلوية علي أصحابها بكثير من الخرافات والاضاليل الشائنة

فالامم في درجات من أدوار تكونها لاتستطيع أن تتدين الا علي الشكل الوثنى كما يدل عليه شيوع الوثنية بين جميع الطوائف المنحطة فاذا اتفق أن ارسل الي مثل تلك الامم رسول يدعوها الى

التوحيد عارضت دعوته بكل قوة ونفرت منه أشد النفور ، وبالغت في مناصبته العداء حتى قتلته أو استوجبت قارعة من القوارع التى تصيب الامم عند اشتداد الشغب الديني فيها . وهذا فيما يظهر لنا السبب في عدم موالاة الله ارسال الانبياء للأمم المنحطة فهو يدعها حتى تنضج عقولها لقبول التوحيد الخالص ، أو تستدعي حالتها ان تبتلي بدعوة من تلك الدعوات فتبيد في سبيل معاصاتها كما حدث في امم كثيرة

فبطلت من هذا البيان شبه كثيرة من شبه الناقد العلمي فيما يختص بارسال انبياء كثيرين الي امة وعدم ارسال نبي واحد الي غيرها ، أو في اطالة الفترة بين رسول ورسول ، أو في قصرهم علي اقطار دون اقطار في أزمنة محدودة

وقد ثبت بهذا التحليل العلمي ان النبوة أو مايشاكلها حاجة من الحاجات الروحية للامم تتساوى الامم قاطبة اما في الخضوع الى نبي من الانبياء أو لكاهن من الكهان . فلو لم تكن النبوة أو مايشبهها حاجة روحية فلم كان هذا الاجماع من الأمم علي التدين ، ولم كان اطباقها علي الائتلاف حول نبي معلوم أو كاهن معين أو هيئة ثابتة تدعي الوساطة بين العالمين

فهل تسمح لنا المعلومات الحاضرة بوجدان الناموس الذى تسير علي موجبه النبوات أو مايشبهها علي نحو كل الاحوال الاجتماعية ذات النواميس المقررة ؟

لامشاحة في أن اجماع جميع الطوائف البشرية علي التدين وعلي الخضوع لزعيم ديني يدل علي وجود ارتباط تام بين ميول الانسان الذاتية ، والمعلومات الروحية ، فهو بهذا الارتباط قد دل علي انه لايقنعه من الحياة مجرد اشباع حاجاته الجسدية ، بل يميل لان يفتق الغلاف المادية للوصول الي مايشعر بالانجذاب اليه من العوالم الغيبية

قد كان يصح أن يقال أن سبب هذا الانجذاب هو الجهل بأسرار الطبيعة ، والغباوة عن نواميس الخليقة ، لولا أن الانسان قد امعن في طريقه هذا حتى بعد بلوغ علم الطبيعة هذه الغاية البعيدة التى نحن عليها الآن ، بل لانبالغ أن قلنا أن ميل الانسان لفتق حجب المادة والنفوذ الى ماوراء الطبيعة لم يكن في عصر من العصور مثل ماهو عليه في هذا

العصر من القوة وشدة الاندفاع ، فقد تصدى لهذا البحث الوف من العلماء كما ترى في كلمتي الله وروح وغيرهما من هذا الكتاب ، وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح فصار لدينا من علم ما وراء المادة معارف مقررة ثابتة دون انكارها انكار الشمس في رائعة النهار

هذا الارتباط التام بين ميول الانسان وبين المعارف الروحية ، يقتضى وجود الموصل بينهما والقائم علي كسر الحجب التى تفصلها ، ولايكون هذا الاعلي يد نبي او مايشبهه من الوسطاء بين هذين العالمين

والذى يشاهد بالحس انه لم ينقطع المدد الالهي عن الناس من هذه الوجهة في زمن من الازمان فان لم يكن في الامة نبي قام مقامه فيها تابع له علي قدمه أو كاهن أو مايشبهه من الذين يجدون وراء اختراق الحجب الوصول الي عالم الروح حتى وصل الامر الي عصرنا هذا وهو عصر العلم فتولي أمر فتح الطريق الي العالم الروحاني علماء الطبيعة أنفسهم كما قال الاستاذ (كارل دوبرل) « كانت العلوم الطبيعية أول من تجارأت علي انكار الروح فماقبها الله بان كانها هي أن تقيم علي وجودها الادلة الطبيعية »

فالناس لم يحرموا في دور من أدوار وجودهم ، ولا في درجة من درجات مداركهم ممن يمدهم بحاجتهم من هذه الوجهة

اننا لا نستطيع ادراك الناموس الذى أرسلت الانبياء علي موجبه كما لا نستطيع ادراك الناموس الذى تولي توليد القادة والفاتحين أمثال قمبيز وبختنصر والاسكندر وجنكيزخان وغيرهم ولا الفلاسفة الاولين كفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو ، ولكن هذا الجهل منا بناموسهم لا يمنع اعتقادنا بضرورة رسالاتهم لاحداث الانقلابات الاجتماعية التى لامناص منها لترقية النوع البشرى وقد تأثرت البشرية برسالات الانبياء اكثر مما تأثرت بفتوحات الفاتحين . فقد أثارت تلك الفتوحات ثائرة الشعوب وأحدثت في أحوالها الاجتماعية انقلابات كان لها أثر في دفعها الى الامام دوائر معينة ، ولكن تلك الرسالات مع احداثها مثل هذه الانقلابات الاجتماعية من الوجهة المادية احدثت انقلابات نفسية لاتقل عنها خطورة فلطفت

من خشونة تلك الشعوب وهذبت من أخلاقها و بعثتها الي باحات جديدة من الحياة الروحية ولا سبيل الى انكار هذه الآثار الخالدة الي اليوم

يقول الناقد العلمي في نقده ما الحكمة في ارسال الرسل ولم يلبث الناس على تعاليمهم الاسنين معدودة ثم ارتكسوا الي أسوأ مما كانوا عليه وصاروا شيعا ورب الامثال بالاسرائيليين والمسيحيين والمسلمين في تنكبهم مناهج رسلهم وعدم تمسكهم من أصولهم الا بالاسم

نقول ان في هذا الاعتراض شططا عظيما فيجب رده الي حده المعقول ثم الاجابة عليه

نعم ان اتباع الانبياء لم يسيروا على ما دعوا اليه الا مدة وجود انبيائهم بين ظهرانيهم ثم نزعوا الى التبديل والتحريف من بعدهم. وجروا في هذا الدور الي مدى بعيد، ولكنهم لا يزلون متمسكين منه بما يرفعهم عن حالتهم السابقة درجات كثيرة تصلح لان تأخذ بيدهم الي أدوار من الانقلابات جديدة، ولا أحيلك الا الي ما يشبه الحس من مقررات التاريخ

جاء موسي الي بني اسرائيل وهم في أسر فراعنة مصر على حال من الضعف والذل ليس بعدها مرمي فأنقذهم من هذا النير الثقيل وأنشأ لهم دولة ذات بأس شديد صلحت لان تبقي ثابتة قوية مدة حياته وقرونا بعد وفاته ولايزال اليهود شخصية الى اليوم

نعم ان اتباع موسي انحرفوا عن صراطه بعد موته ولكنهم حافظوا من تعاليمه على ما يجعل الفرق بينهم في حالتهم بعده وحالتهم قبله كبيرا جدا وهذا كل ما يطلب من حوادث الانقلابات الاجتماعية فان الطفرة محال والقرون في اعمال الجماعات كالسنين في عمر الانسان

وجاء عيسي الي قومه فأخذ باصوله منهم من أخذ، وجد على ما كان عليه من جد، فلم يمض الا نحو ثلاثة قرون بعده حتى ظهر مذهبه يتلألأ في جو أوروبا تلألؤا يأخذ الابصار فحل الاعتراف بالروح وسلطان الروح، والتخلق بالرحمة والحنان والعطف والزهد، محل الالحاد والقسوة والفظاظة والانغماس في الترف وغيرها من الاخلاق التي كانت سائدة في آخريات عهد الدولة الرومانية فانقلبت

الحال في هذا المدى القصير واخذت الاصول الجديدة تعمل عملها في تهيئة الاوروبيين الي الباحات الجديدة حتى تأدوا بعوامل الترقي لما وصلوا اليوم اليه لا باسم الدين بل باسم العلم

نعم ان اتباع عيسي انحرفوا عن طريقته في تمسكهم بمذهبه في كثير من الشئون ولكنهم ابقوا من اصوله على ما يميزهم عما كانوا عليه ويكفي لادخالهم في الادوار التي تؤدى اليها تلك الاصول. ولا ينكر هذا الا متعنت

يقول قائل ان أقطاب النهضة الاوروبية يزعمون انهم ما نهضوا بالعلم الا بمنابذة الدين وما أسسوا ما أسسوه من أصول المدنية الا بقهر زعماء الدين ومن لف لفهم من افراد الامة

نقول كل ذلك كان ولكنه لا يقدح في قولنا ان الدين المسيحي اوجد لاروبا مزاجا جديداً لم يكن لها في عهد الرومان ولم يكن في اصول المدنية الرومانية ما يؤدى اليه وقد انتهي امرها الى اخلاق تستحيل معها الحياة من البذخ والترف والاباحة فلولا ان اسعفها الله بالدين المسيحي في ذلك العهد بما فيه من ملطفات الحياة البهيمية لارتكست تلك المدنية الرومانية الي وحشية ليس لها مثيل

ثم ان المسيحية بما كان في اصولها من الزهد وترك الدنيا وبما جمد زعماؤها علي درجة معينة من العلم الكنيسى قد وقفت بأوروبا نحو الف سنة فلم تمد نحو الترقي قدما ولكنها كانت وقفة لا بد منها لازالة ما تركته وثنية الرومانيين من صفات الوحشية ولازهاق عوامل الفناء التي كانت ولدتها تلك المدنية المادية، فلما تهيأت النفوس هنالك للنهضة وجد العاملون عليها من القائمين علي الدين ما لم يجده من سبقهم من العاملين في امة من انواع الاضطهاد، ولكنه كان اضطهاداً أشبه بالوثني منه بالمسيحي لان الدين المسيحي ينهي عن الاكراه ولو في مصلحة الدين ويحرم استعمال القوة ولو للدفاع عن النفس. فلما نشأ العلم بشكوكه وعدائه للدين لم يأنف الاوروبيون ان ينتسبوا للمسيحية مع ما أثاره العلم من الشبهات فيها اجلالا لاصول من التحاب والتعاطف والتراحم فيها لم تأت بأرفع منها فلسفة الي اليوم

ولما جاء محمد الى قومه كانوا على حال من الانحطاط والوثنية ليس وراءها

مدى قدماهم الي دين لانقول أنه يصلح لمباراة غيره من الاديان بل لمباراة العلم العصرى في جلالة قدره : اصول راقيــة للاخلاق ، ومبادىء قويمــه الشريعة ، وحدود حكيمة للمعاملات ، ووجهة كريمة للحياة ، وغاية معقولة للعبادة ، وميــدان مفتوح للترقي الصورى والمعنــوى ، فقابله العرب بالنفــور والمصــادمة ، ثم انتهي امره بالغلبــة . فخرج العرب به من حضيض انحطاطهم الى باحات من الحياة جديدة تؤديهم الى درجات من المدنيــة عالية ، فتم لهم في عشرات من الســنين مالم يتم لسواهم في مئات منهــا فصارت لهم دوله نشرت سلطانهــا علي اكثر المعروف من الاقطار علي عهدها . ثم لمــا ضعف امر العرب قام مقامهم باسم الاسلام غيرهــم من امــم الفرس والديلم والكرد وسواهم ، وكان من اثر هذا كله ان تم في العالم الانساني انقلاب كبير باسم الاسلام ولا يزل هــذا الدين عاملا كبيرا من عوامل الامــم التى تدين به وان بعــدت به عن اصوله ، وجردته من اكثر مزاياه

فلا يسوغ بعد هذا لناقد مهما استند علي مقررات العلم ان يزعم بأن الانبيــاء لم يفيدوا المجموعة الانسانية بكبير شيء وهو يرى بعينيه ان العالم قد توزعته عدة أديان وصبته في قالبها، وقادته الي وجهتها ، والفت الحالة التى عليها الناس اليوم

ربما قال الناقد هنا : أليس من شر المصائب علي الناس ان توزعتهم هــذه الاديان فجعلتهم أعداء الداء ، يتوارثون العداوة والبغضاء ؟ أليس كان الاولي بهم أن لايكون لهــم دين من أن يكونوا علي هذه الحال ؟

نقول لم تكن الاديان سببا أوليا لهذا الخلاف فليس في اليهودية نص يأمر ببغض غير اليهود والحقد عليهم ، وطبيعة الديانة المسيحية تنافي التعصب الذميم ، وناهيك بدين يأمر الآخذ به أن يعطي قميصه لمن يسلبه رداءه ، وجوهر الاسلام يجافي التقاطع لاجل الدين وتاريخ نبيــه وخلفائه ومن تبعهم باحسان مفعم بآيات في باب التسامح فالاديان لم تنشيء هــذا التحاقد المشــاهد بين الامم وانمــا هي الطبيعة البشرية حولت الاديان الي هواها فتحاقدت باسمها كما هو شأنهــا في جميع اهوائها ، ولو كانت هذه الامم غير متدينة لكان هذا التحاقد علي أشد مما هو عليه

الآن ؟ ألا ترى بعينيــك الامــم ذات الدين الواحد بل المذهب الواحد تتصارع وتتناحر من أجل مصالحها المادية لاغير

يستخلص من كلا منا الذى مر ان النبوة آتت الامم التى حدثت فيها خيرا عظيما ، وأحدثت بها في العالم انقلابات كانت ضرورية لبعثها الي باحات جــديدة من الترقي، وان هذه الاديان لا تزال من أكبر العوامل المؤثرة في تلك الامم وان بعدت بأهواء أهلها عن حقائقها الاولي ، وخرجت بأوهامهــم عن حدودها النافعة

﴿ هل النبوة لاتزال حاجة ﴾
(من حاجات البشر ؟)

الانسان مسوق الى التدين بفطرته، والتــدين اذا أحلناه الى معنــاه الحقيقي وجدنا انه هو شعوره بأن فوق هذا العــالم المادى المحسوس عالما أرقي منــه يصرفه ويتولي تدبيره ، وانه هو مخــلوق تلك القوة ومسخر لها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا بها ، وان سعادته وشقاءه في يد تلك القوة التى لا يدركها عقله .

هذا الشعور الفطرى من الانسان دفعه لتلمس تلك القوة العاليــة في ذلك العالم الاقدس فاحتاج لمن يحدثه عنهــا ويدله علي ما يرضيها وما لا يرضيهــا من الاعمال لتدر عليه اخلاف الرزق ، وتهبه من القوة ما يتغلب بها علي أعدائه ومزاحميه

فكان الانسان في جهله هذا مستعدا لقبول كل ما يقــال له عن تلك القوة ، ومتطلعا لخبــير من بنى جنســه يستطيع أن يعاونه علي كشف حقيقتها ومعرفة شؤنها لا لأنه يتوق الخلود في حياة بعــد هذه الحيــاة ، ولا لأنه يعشق جمــال العــالم الروحاني ، ولكن لأنه كان يتخيــل من تغير أحوال الطبيعة حوله ان تلك القوة ترضى وتغضب ، وتهب وتنتقم ، فاذا رضيت أشرقت الشمس وهبت النسمات اللطيفة، وأخصبت الارض ، وسمنت الحيوانات المفترســة ، وان غضبت غامت السماء ، وزمجر الرعد وسقطت الصواعق، وجرفت السيول أكواخ الناس ، وأجدبت الارض، وانتشرت الامراض ، وأغارت الحيوانات الكاسرة . فكان يرى ان هذه القوة الخفية يجب أن يخضع لهــا ويتقرب اليها بالطاعات والاضحيات لترضى عنه وتحبوه مواهبها

هـذا هو الذى كان يدفع الانسان
في دوره الاول لطلب الدين وهو دافع
شديد كان يضطره لتلقف كل ما يقال له
من الخرافات حتى قبل في سبيله ان
يضحي فلذة كبده لارضاء ذلك الاله
المنتقم الجبار . ولا أدرى أكان الخالق
يرسل الي أمثال هذه الشعوب أنبياء
مزودين بالعقائد الضرورية لهم ، أم كان
يقوم فيهم مقام الانبياء كهنة يعلمونهم
من خيالاتهم وأوهامهم ماكانوا يرون انه
حق يجب الجرى عليه ؟ لا أستطيع ان
أبت في هذه المسألة فان تاريخ الامم
الاولية غامض ولم تقص علينا الكتب
السماوية من أسماء الانبياء الاعدداً محصوراً
أرسلوا الى أمم محدودة

فلما ارتقى علم الانسان بعد ألوف من
السنين ، وتلطف شعوره بعض التلطف
ارتقت عقائده ، وتلطفت تبعاً لذلك
وظهرت فيه ميول جديدة تقتضيها درجة
الرغد الذى وصل اليه من حياته العملية ،
فأخذ يتخيل الموت وآلامه ، والفناء
وقبحه ، فتنبهت فيه عاطفة الخلود في عالم
وراء هذا العالم ، فاندفع يتطلبه فراجت
لديه الاساطير التى تمثل الحياة في العالم
الآخر ووقف فريق أنفسهم لاختراق
الحجب التى تفصل بين العالمين بأفكارهم
فتوصلوا الي درجات مختلفة من الفلسفة
النفسية حتى أداهم هذا الميل الي الاهتداء
الي التنويم المغناطيسي واستحضار أرواح
الموتي كما دل علي ذلك تاريخ المصريين
القدماء والهنود والصينيين

ولكن مثل هذا الاندفاع الاعتقادى
وراء مسئلة من المسائل الغيبية يؤدى
عادة الي الخلط بين الحق والباطل فيها ،
والباطل يجر وراءه جيشا من الاضاليل
والاوهام فتشوه حالة الامم وتفسد نفوسها
وقلوبها ، فكان الخالق يرسل اليها رسلا
لاقامتها علي الطريق القويم ولاعطائها
من علم ما وراء المادة القدر الذى ينفعها
ولا يصح أن تتجاوزه فكان يقف عند
حدود ما جاؤا به أفراد ويعصيهم الباقون
الى أن استعد النوع الانساني لقبول
الرسالات الكبرى كرسالة موسي وعيسي
ومحمد صلوات الله عليهم فجاؤا يحملون
الناس علما جا من عالم ماوراء المادة بل
كانوا هم أنفسهم في وقوفهم بين العالمين،
وتوسطهم بين عالم الشهادة وعالم الروح آيات
الناظرين ، فكان موسي يضرب البحر

بعصاه فتظهر اليابسة ويكون كل فرق
من الماء كالطود العظيم ، ويضرب
الصخر بها فيفجر منها العيون الغزيرة ،
ويمكن بذلك من انقاذ قومه من فرعون
مصر الطاغية علي حال لم يسبق لهمثيل في
تاريخ الشعوب المهضومة الحقوق . وكان
عيسي يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى .
وكان محمد في اتيانه بهذا القرآن المعجز
واتصاله بجبريل واسترشاده بالوحي
في كل صغيرة وكبيرة اكبر آية
للمتوسمين

استقرت هذه الاديان الثلاثة
الكبرى في أقطارها المقدرة لها وثبتت
أديان أخرى في أقطار أخرى لدى الامم
وصلت من الرقي الي درجات صالحة
ورضي أهل كل دين من دينهم وان كان
اكثرهم قد خرجوا عن مناهجها بما
زادوا الي أصولها وما نقصوا منها علي
ما يوافق اهواءهم الا أن اولئك المرسلين
قد عرف تاريخهم ودونت آثارهم واعتبروا
بحق مؤسسين لمجموعات كبيرة من
الاسرة البشرية العامة ودام الحال
بين تلك المجموعات علي ما يكون بين
الامم من التدافع حتى وصلوا الي القرن
السادس عشر الميلادى الذى فيه ولد العلم،
ذلك العلم الذى يطلق اليوم ويراد به
مجموع الثمرات العقلية التى حصلها الانسان
بجهاده المنكر الطبيعة وخلصتها العقول
النقادة مما أضيف اليها من الاوهام .
ذلك العلم الذى اوجد جميع المخترعات
والمكتشفات الصناعية التى هي اليوم روح
هذه المدنية الفتانة وقوامها ، فمال بعض
المفكرين الي الزعم بأن عصر النبوات
قد انقضي وجاء العصر الذى ينظر
الانسان لنفسه بنفسه فيتخذ لها العقائد
التى يهواها غير متقيد بتعاليم نبى ولا
رسول . وتطرف بعضهم فزعم أن اولئك
الانبياء كانوا مدلسين ظهروا بما ظهروا
به لامتلاك نواصي الامم في طفولة العقل
البشرى . فان قلت لهم ان اولئك
الرسل كانوا يأتون الخوارق المحيرة للعقول
هزوا اليك أكتافهم وقالوا أساطير
الاولين ....

بهؤلاء القوم جاء دور الماديين
فنشروا في العالم تعاليمهم الالحادية مستهزئين
بكتب الوحي وزارين علي رجالها فوجدت
هذه الاقوال هوى من الافئدة وكان
العلم الطبيعي في أثناء ذلك يؤيدهم بالملهيات

ويفتح لهم من ألرقي الباحات بعد الباحات فعلم الالحاد وانزوى الدينيون والقائلون بعالم الروح الي زاوية لا تسمع لهم فيها ركزاً فان تجارأ واحد منهم وصاح بالناس قائلا: أيها الاخوان لقد اهملتم عالم الروح . صاحوا اليه من جميع الجهات أرأيت ذلك العالم بعينيك؟ أطفت ارجاءه برجليك؟ ألمست أعلاه بيديك؟

فان قال لهم ان ذلك العالم لا يدرك الا بالبصائر وليس هو من اختصاص المشاعر . صاحوا به لا تصدق الا ماترى لان البصائر التى تذكرها قد تهيم فتضل أصحابها كما اضلت اهل القرون الاولي .

خذ ماتراه ودع شيأ سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ولكن عالم الروح ذلك العالم العلوى الحق الموجد لهذه المادة والمتصرف فيها لم يطل صبره علي هذا التحدى الا ريثما يدرك الناس الشبهة فانبثق من خلال المادة الصماء عارضا نفسه التجارب الحسية وكان أول ظهوره في اوروبا علي يد المتطبب (مسمر) باسم المغناطيس الحيواني ثم في أمريكا باسم (استحضار الارواح) فثارت ثائرة الماديين واستنجدوا بالعلم المادى، ذلك الغول الكبير، لتبديد هذه الاوهام. وما هي الاجولات حتى سجد العلم امام ذلك المظهر الالهى الحق، وأقر لنفسه بالنقص، وشاع الامر في أمريكا ومنها تعدى الي اوروبا، وانتشر فيها انتشار النور في الظلام فابتدأت اليوم دولة الروح، تلك الدولة الخالدة، التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لقيامها علي دعائم العلم العملي، والفلسفة الحسية، فأخذت العقول المتعطشة للنور الحق تستهدى بأعلام الروح سالكة في طريق عروجها، راقية في درجات صعودها، سابحة في انوار قدسها، مهتدية بمقررات العلم الطبيعي في أمور دنياها، وباصول الفلسفة الروحانية في شؤون أخراها، فهل انقضي دور الانبياء ولم يعد الناس بهم حاجة؟

لا. ان هؤلاء الانبياء كانوا في ازمانهم اعلاما لعالم الروح ونجوما مشرقة يهتدى بهم السالك فيه وهم لا يزالون علي ذلك الطريق بمر السالك بهم وهو ينقل من مراحله، ويعرج عليهم وهو ينتقل في منازله، حتى أن محاني اوروبا لم يكادوا يسيرون في هذه الطريق الروحانية حتى صادفوا هذه النبوات فيه قائمة، فآمنوا بها عن بينة وتم قول ربك : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز » فانظر كيف بدأ القرن التاسع عشر ملحداً مكذبا بالروح والخلود والانبياء والنبوات، وكيف ختم مؤمنا بكل ذلك ايمانا مؤيدا بكل الوسائل العلمية

لا أريد أن يفهم القارىء من هذا ان أقطاب العلم الاوروبي آمنوا بالانبياء ايمان الآخذين بأديانهم فأخذوا يعمرون البيع والكنائس والمساجد مشتغلين بتلاوة الكتب المقدسة تعبداً بألفاظها، وتبركا بحروفها . لا . وانما أريد انهم اهتدوا في بحثهم الي فهم حقيقة الانبياء فاعترفوا بأنهم لم يكونوا مشعوذين ولا مدلسين، وانما كانوا وسطاء بين العالم الروحاني والعالم المادى، فرأوا (أى الانبياء) تلك المشاهد الروحانية، واجتمعوا بأرواح مجردة ندبتهم الى ارشاد أممهم الي طريق الحياة الصحيحة، فصدعوا بأمرهم يدعون الي عقائدهم، معززين دعواهم بخوارق تحير الالباب، وتدهش المشاعر علي نحو الخوارق التى تحدث علي أيدى الوسطاء اليوم

هذه هي عقيدة رجال العلم اليوم في الانبياء والنبوة، ولا يدرى الا الله الي أى درجة يصل بهم البحث في سبيل الايمان بهم، فلندعهم في بحثهم دائبين، فسيتأدون بحول الله الي معارف علوية لا يدركها خيال أحدنا الآن، ومن جد وجد، وكل من سار علي الدرب وصل

﴿ المتنبي ﴾ هو أبو الطيب المتنبي الشاعر الأشهر. اسمه احمد بن الحسين ابن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندى الكوفي وانما سمي المتنبي لأنه علي ماقيل ادعي النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ علي البوادى كلاما ذكر انه قرآن أنزل عليه (منه) والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، ان الكافر لفي أخطار، امض علي سننك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل (وكان) اذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه من هذا الكلام أنكره وجحده ولما

أطلق من السجن التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافور الاخشيدى وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم تلحقه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الاسدى في عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد . ويقال انه قال شيئا في عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب فاخرة . ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة . فقال هذا أجزل الا انه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً . فغضب عضد الدولة فلما

انصرف جهز عليه قوماً من بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديداً ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتنى قتلك الله ثم قاتل فقتل. ويقال ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع . وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل ليلتين بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ومولده كان في سنة ثلاث مئة بالكوفة في محلة تسمى كندة وليس هو من كندة التى هى قبيلة بل هو جعفي . وقيل ان أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعبدان ثم انتقل الي الشام بولده والي هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال:

أى فضل لشاعر يطلب الفضـ
ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما
ء وحيناً يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسداً له علي فضله وتمكنه من

الملوك ومراعاة لتيهه وتكبره وممن أفحش في ذلك ابن حجاج

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين علي غريبها وحواشيها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع علي وزن فعلي فقال المتنبي في الحال حجلي وظربي قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال علي ان اجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اجد. وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة . وقال ابو الفتح بن جنى قرأت ديوان المتنبي عليه فلما بلغت الي قوله في كافور الاخشيدى :

ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة
فلا اشتكى فيها ولا أتعتب
وبي ما يذود الشعر عنى أقله
ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

قلت له يعز علي كون هذا الشعر في غير سيف الدولة. فقال حذرناه وانذرناه فما نفع ، ألست القائل فيه :

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك
ولا تعطين الناس ما أنا قائله

فهو الذى أعطاني بسوء تدبيره وقلة تمييزه. والناس في شعره علي طبقات فمنهم من يرجحه علي أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه . ورزق في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل انه وجد له مايزيد علي الاربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى بسند صحيح متصل به بيتان وهما :

أبعين مفتقر اليك نظرتنى
فأهنتنى وقذفتنى من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانني
أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بقوله :

لا رعى الله سرب هذا الزمان
اذ دهانا في مثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثاني المتنبي
أى ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيـ
ـش وفي كبرياء ذى سلطان
هو في شعره نبي ولكن
ظهرت معجزاته في المعاني

(ويحكي) أن المعتمد بن عباد اللخمي

صاحب قرطبة واشبيلية انشد يوما في
مجلسه بيت المتنبي الذى هو من جملة
قصيدته المشهورة وهو :
اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمه
وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه
ابو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي
فأنشد ارتجالا :
لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بأنك تروى شعره لتألها
وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار
في جعفر بن يحيي
لابن يحيي مآثر بلغت بي الى السها
جاد شعرى بجوده واللها تفتح اللها
واللها بالضم العطايا و بالفتح جمع
لهاة الحلق ، ورثاه ايضا محمد بن عبد الله
الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها
عضد الدولة على مضحفي قدمه ومريقي
دمه

المتنبي قصائد مطولة تعد الى اليوم
من معجزات الشعر فترى ان نلم بطرف
منها لان الرجل في نظرنا أشعر شعراء
العرب جاهلية واسلاما وانه قد انتهي
اليه الابداع الشعرى فصار آيته الكبرى
وسيكونها مادامت اللغة العربية . فمن محاسن
شعره قوله :
كم قتيل كما قتلت شهيد
ببياض الطلي وورد الخدود
وعيون المهي ولا كعيون
فتكت بالمتيم المعمود
در درُّ الصباء أيام تجري
ر ذيولي بدار أثلة عودى
عمرك الله هل رأيت بدوراً
طلعت فى براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهد
ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمي رشفات
هن فيه حلاوة التوحيد
كل خمصانة أرق من الخمـ
ـر بقلب أقسي من الجلمود
ذات فرع كأنما ضرب العنـ
ـبر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف جثل دجو
جيٍّ أثيث جعد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غدائرها الريـ
ـح وتفتر عن شنيب برود

جمعت بين جسم احمد والسقـ
ـم و بين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لحيني
فانقصي من عذابها أوفزيدي
أصل ما بي من الضنى بطل صيـ
ـد بتصفيف طرة و بجيد
كل شيء من الدماء حرام
شربه ما خلا ابنة العنقود
فاسقنيها فدى لعينيك نفسي
من غزال وطارفي وتليدي
شيب رأسي وذلتي ونحولي
ودموعي على هواك شهودى
أى يوم سررتنى بوصال
لم ترعنى ثلاثة بصدود
ما مقامي بأرض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود
مفرشي صهوة الحصان ولكـ
ـن قميصي مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلي اذا قنعت من الدهـ
ـر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدرى وطال في طلب الرز
ق قيامي وقل عنه قعودى
أبداً أقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود
ولعلي مؤمل بعض ما أبلـ
ـغ باللطف من عزيز حميد
لسرى لباسه خشن القطـ
ـن ومروى مرو لبس القرود
عش عزيزاً أومت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للغيـ
ـظ واشفي لغل صدر الحقود
لا كما قد حييت غير حميد
واذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظي ودع الذ
ل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعـ
ـجز عن قطع بخنق المولود
و يوقي الفتى المخش وقد خو
ض في ماء لبة الصنديد
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعوذ الجاني وغوث الطريد
ان أكن معجبا فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

اتا ترب الندى ورب القوافي
وسهام العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

وقال أيضاً في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن اوس بن معن بن الرضى الازدى

أرق على أرق ومثلي يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة أن تكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفق
مالاح برق أو ترنم طائر
الا أنثنيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوى ما تنطفي
نار الغضى وتكل عما يحرق
وعذلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي انني
عيرتهم فلقيت منه ما لقوا
ابني أبينا نحن أهل منازل
أبداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر
جمعتهم الدنيا ولم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابرة الألى
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا كأن لم يعلموا
ان الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت والنفوس نفائس
والمستغر بما لديه الاحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتي
مسودة ولماء وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه
حتى لكدت بماء جفني أشرق
أما بنو أوس بن معن بن الرضى
فأعز من تحدى اليه الاينق
كبرت حول ديارهم لما بدت
منها الشموس وليس فيها المشرق
وعجبت من أرض سحاب أكفهم
من فوقها وصخورها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات الا انها
وحشية بسواهم لا تعبق

أمريد مثل محمد في عصرنا
لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد
أحداً وظني أنه لا يخلق
ياذا الذي يهب الكثير وعنده
أني عليه بأخذه أتصدق
أمطر علي سحاب جودك ثرة
وانظر الي برحمة لا أغرق
كذب ابن فاعلة يقول بجهلة
مات الكرام وأنت حي يرزق

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي

عزيز إسا من داؤه الحدق النجل
عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الى فمنظري
نذير الى من ظن أن الهوى سهل
وما هي الا لحظة بعد لحظة
اذا نزلت في قلبه رحل العقل
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي
فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
سبتني بدل ذات حسن يزينها
تكحل عينيها وليس لها كحل
كأن لحاظ العين في فتكه بنا
رقيب تعدى او عدو له ذحل

ومن جسدي لم يترك السقم شعرة
فما فوقها الا وفيها له فعل
اذا عذلوا فيها اجبت بأنه
حبيبة قلبي فؤادي هيا جمل
كأن رقيبا منك سد مسامعي
عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد الليل يعشق مقلتي
فبينهما في كل هجر لنا وصل
أحب التي في البدر منها مشابه
وأشكو الى من لا يصاب له شكل
الى واحد الدنيا الى ابن محمد
شجاع الذي لله ثم له الفضل
الى الثمر الحلو الذي طيء له
فروع وقحطان بن هود لها أصل
الى سيد لو بشر الله امة
بغير نبي بشرتنا به الرسل
الى القابض الارواح والضيغم الذي
تحدث عن وقفاته الخيل والرجل
الى رب مال كلما شت شمله
تجمع في تشتيته للعلى شمل
همام اذا ما فارق الغمد سيفه
وعاينته لم تدر أيهما النصل
رأيت ابن ام الموت لو أن بأسه
فشا بين أهل الارض لانقطع النسل

علي سابح موج المنايا بنحرة
غداة كأن النبل في صدره وبل
وكم عين قرن حدقت لنزاله
فلم تغض الا والسنان لها كحل
اذا قيل رفقا قال الحلم موضع
وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ولولا تولي نفسه حمل حلمه
عن الارض لانهدت وناء بها الحمل
تباعدت الآمال عن كل مقصد
وضاقت بها الا الى بابه السبل
ونادى الندى بالنائمين عن السرى
فأسمعهم هبوا فقد هلك البخل
وحالت عطايا كفه دون وعده
فليس له انجاز وعد ولا مطل
فأقرب من تحديدها رد فائت
وأيسر من احصائها القطر والرمل
وما تنقم الايام ممن وجوهها
لاخمصه في كل نائبة نعل
وما عزة فيها مراد أراده
وان عز الا أن يكون له مثل
كفى ثعلا فخراً بأنك منهم
ودهر لان اسيت من أهله اهل
وويل لنفس حاولت منك غرة
وطوبى لعين ساعة منك لا تخلو

فما بفقير شام برقك فاقة
ولا في بلاد أنت صيبها محل
وقال يمدح عبد الله بن يحيي البحتري
بكيت ياربع حتى كدت ابكيكا
وجدت بي وبدمعي في مغانيكا
فعم صباحا لقد هيجت لي طربا
واردد تحيتنا انا محيوكا
بأى حكم زمان صرت متخذاً
رئم الفلا بدلا من رئم أهليكا
أيام فيك شموس ماانبعثن لنا
الا ابتعثن دما بالحظ مسفوكا
والعيش أخضر والاطلال مشرقة
كان نور عبيد الله يعلوكا
نجا امرؤ ياابن يحيي كنت بغيته
وخاب ركب ركاب لم يؤموكا
أحييت للشعراء الشعر فامتدحوا
جميع من مدحوه بالذى فيكا
وعلموا الناس منك المجد واقتدروا
علي دقيق المعاني من معانيكا
فكن كما شئت يا من لاشبيه له
وكيف شئت فاخلق يدانيكا
شكر العفاة لما اوليت اوجدني
الي نداك طريق العرف مسلوكا

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني
اني بقلة ما اثنيت أهجوكا
كفي بأنك من قحطان في شرف
وان فخرت فكل من مواليكا
ولو نقصت كما قد زدت من كرم
علي الورى لرأوني مثل شانيكا
لبي نداك لقد نادى فأسمعني
يفديك من رجل صحبي وأفديكا
مازلت تتبع ماتولي يداً بيد
حتى ظننت حياتي من اياديكا
فان تقل ها فعادات عرفت بها
او لا فانك لا يسخو بلا فوكا

وقال يمدحه أيضا :

مُلث القطر أعطشها ربوعا
والا فاسقها السم النقيعا
أسائلها عن المتدير بيها
فلا تدري ولا تذرى دموعا
لحاها الله الا ماضييها
زمان اللهو والخود الشموعا
منعّمة ممنعة رداح
يكلف لفظها الطير الوقوعا
كأن نقابها غيم رقيق
يضيء بمنعه البدر الطلوعا

أقول لها اكشفي ضرى وقولي
بأكثر من تدللها خضوعا
أخفت الله في احياء نفس
متى عصي الاله بأن اطيعا
غدا بك كل خلو مستهاما
وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جر نمل
ثبيرا أو ابن ابراهيم ريعا
بعيد الصوت منبث السرايا
يشيب ذكره الطفل الرضيعا
يغض الطرف من مكر ودهي
كأن به وليس به خشوعا
اذا استعطيته ما في يديه
فقدك سألت عن سر مذيعا
قبولك منه من عليه
وان لا يبتدى بره فظيعا
لهون المال افرشه اديما
والتفريق يكره أن يضيعا
اذا ضرب الامير رقاب قوم
فما لكرامة مد النطوعا
فليس بواهب الا كثيراً
وليس بقاتل الا قريعا
وليس مؤدبا الا بنصل
كفى الصمصامة التعب القطيعا

علي ليس يمنع من مجيء
مبارزه ويمنعه الرجوعا
علي قاتل البطل المفدى
ومبدله من الزرد النجيعا
اذا اعوج القنا في حامليه
وجازالي ضلوعهم الضلوعا
ونالت ثأرها الاكباد منه
فأولته اندقاقا أو صدوعا
فحد في ملتقي الخيلين عنه
وان كنت الخبعثنة الشجيعا
ان استجرأت ترمقه بعيداً
فأنت استطعت شيأ ما استطيعا
وان مار ينني فاركب حصانا
ومثله تخر له صريعا
غمام ربما مطر انتقاما
فأقحط ودقه البلد المريعا
رآني بعد ما قطع المطايا
تيممه وقطعت القطوعا
فصير سيله بلدي غديراً
وصير خيره سنتي ربيعا
وجاودني بأن يعطي وأحوى
فأغرق نيله أخذي سريعا
امنسي السكون وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسبيعا
قد استقصيت في سلب الاعادي
فرد لهم من السلب الهجوعا
اذا مالم تسر جيشاً اليهم
أسرت الي قلوبهم الهلوعا
رضوا بك كالرضي بالشيب قسراً
وقد وخط النواصي والفروعا
فلا عزل وأنت بلا سلاح
لحاظك ما تكون به منيعا
لو استبدلت ذهنك من حسام
قددت به المغافر والدروعا
لو استفرغت جهدك في قتال
أتيت به علي الدنيا جميعا
سموت بهمة تسمو فتسمو
فما تلفي بمرتبة قنوعا
وهبك سمحت حتى لا جواد
فكيف علوت حتي لا رفيعا
وقال يمدح علي بن منصور الحاجب :
بأبي الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلابيا
المنهبات عقولنا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا
ت المبديات من الدلال غرائبا

حاولن تفديتي وخفن مراقبا
فوضعن ايديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت اذيبه
من حر انفاسي فكنت الذائبا
يا حبذا المتحملون وحبذا
واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا
من بعد ما أنشبن في مخالبا
اوحدنني ووجدن حزناً واحداً
متناهيا فجعلته لي صاحبا
ونصبنني غرض الرماة تصيبني
محن أحد من السيوف مضاربا
اظمتني الدنيا فلما جئتها
مستسقيا مطرت علي مصائبا
وحبيت من خوص الركاب بأسود
من دارش فغدوت امشي راكبا
حال متى علم ابن منصور بها
جاء الزمان الي منها تائبا
ملك سنان قناته وبنانه
يتباريان دما وعرفا ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده
ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
كرما فلو حدثته عن نفسه
بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا
سل عن شجاعته وزره مسالما
وحذار ثم حذار منه محاربا
فالموت تعرف بالصفات طباعه
لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا
ان تلقه لا تلق الا جحفلا
أو قسطلا أو طاعنا أو ضاربا
أو هاربا أو طالبا أو راغباً
أو راهبا أو هالكا أو نادبا
واذا نظرت الى الجبال رأيتها
فوق السهول عواسلا وقواضبا
واذا نظرت الى السهول رأيتها
تحت الجبال فوارساً وجنائباً
وعجاجة ترك الحديد سوادها
زنجاً تبسم او قذالا شائباً
فكأنما كسي النهار بها دجي
ليل واطلعت الرماح كواكبا
قد عسكرت معها الرزايا عسكراً
وتكتبت فيها الرجال كتائبا
أسد فرائسها الأسود يقودها
اسد تصير له الاسود ثعالبا
في رتبة حجب الورى عن نيلها
وعلا فسموه علي الحاجبا
ودعوه من فرط السخاء مبذراً
ودعوه من غصب النفوس الغاصبا

هذا الذي أفنى النضار مواهبا
وعداه قتلا والزمان تجارِبا
وتخيّب السؤال مما أملوا
منه وليس يرد كفا خائبا
هذا الذي ابصرت منه حاضراً
مثل الذي ابصرت منه غائبا
كالبدر من حيث التفت رأيته
يهدي الي عينيك نوراً ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً
جوداً ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها
يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
أمهجّن الكرماء والمزري بهم
وتروك كل كريم قوم عاتبا
شادوا مناقبهم وشدت مناقبا
وجدت مناقبهم بهن مثالبا
لبيك غيظ الحاسدين الراتبا
انا لنخبر من يديك عجائبا
تدبير ذي حنك يفكر في غد
وهجوم غر لا يخاف عواقبا
وعطاء مال لو عداه طالب
انفقته في ان تلاقي طالبا
خذ من ثناي عليك ما اسطيعه
لا تلزمني في الثناء الواجبا

فلقد شهدت لما قلت ودونه
مايدهش الملك الحفيظ الكاتبا

وخرج بدر بن عمار الي اسد فهرب الاسد منه وكان قد خرج قبله لي أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب الي كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش فقال ابو الطيب :

في الخد ان عزم الخليط رحيلا
مطر تزيد به الخدود محولا
يا نظرة نفت الرقاد وغادرت
في حد قلبي ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انما
اجلي تمثل في فؤادي سولا
اجد الجفاء علي سواك مروءة
والصبر الا في نواك جميلا
وأرى تدللك الكثير محببا
وأرى قليل تدلل مملولا
حدق الحسان من الغواني هجن لي
يوم الفراق صبابة وغليلا
حدق يذم من القواتل غيرها
بدر بن عمار بن اسماعيلا
الفارج الكرب العظام بمثلها
والتارك الملك العزيز ذليلا

محك اذا مطل الغريم بدينه
جعل الحسام بما أراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه
أعطي بمنطقه القلوب عقولا
أعدى الزمان سخاؤه فسخا به
ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكأن برقا في متون غمامة
هندية في كفه مسلولا
ومحل قائمه يسيل مواهبا
لو كن سيلا ما وجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كأنما
يبدين من عشق الرقاب نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت علي الاردن منه بلية
نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذ ورد البحيرة شاربا
ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس
في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا
تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا أنه
لا يعرف التحريم والتحليلا

يطأ الثرى مترفقا من تيهه
فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الي يأفوخه
حتى تصير لرأسه إكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه
عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما
ركب الكمي جواده مشكولا
ألقى فريسته وبربر دونها
وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في إقدامه
وتخالفا في بذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كليهما
متنا أزل وساعدا مفتولا
في سرج ظامئة الفصوص طمرة
يأبى تفردها لها التمثيلا
نيالة الطلبات لولا أنها
تعطي مكان لجامها ما نيلا
تندى سوالفها اذا استحضرتها
ويظن عقد عنانها محلولا
ما زال يجمع نفسه في زوره
حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه
يبغي الى ما في الحضيض سبيلا

وكأنه غرته عين فادنى
لا يبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من الدنيئة تارك
في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف
من حتفه من خاف مما قيلا
سبق التقاءكه بوثبة هاجم
لو لم تصادمه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كافحته
فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه
فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله
فنجا يهرول امس منك مهولا
وامر مما فر منه فراره
وكقتله ان لا يموت قتيلا
تلف الذى اتخذ الجراءة خلة
وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك بالاله مقسما
في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما انزل الـ
فرقان والتوراة والانجيلا
لو كان ما تعطيهم من قبل ان
تعطيهم لم يعرفوا التأميلا

فلقد عرفت وما عرفت حقيقة
ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسؤددك الحمام تغنيا
وبما تجشمها الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالي نافذا
فيها ولا كل الرجال فحولا
وسار بدر الي الساحل ولم يسر أبو
الطيب معه ثم بلغه أن ابن كروس الاعور
كتب الى بدر يقول له ان أبا الطيب انما
تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك.
ولما عاد بدر الي طبرية ضربت له قباب
عليها امثلة من تصاوير فقال ابو الطيب
الحب ما منع الكلام الالسنا
وألذ شكوى عاشق ما أعلنا
ليت الحبيب الهاجرى هجر الكرى
من غير جرم واصلي صلة الضنى
بتنا ولو حليتنا لم تدر ما
الواننا مما استفعن تلونا
وتوقدت انفاسنا حتى لقد
اشفقت تحترق العواذل بيننا
أفدى المودعة التى اتبعتها
نظرا فرادى بين زفرات ثنا
انكرت طارقة الحوادث مرة
ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي
فيها ووقتي الضحى والموهنا
فوقفت منها حيث أوقفني الندى
وبلغت من بدر بن عمار المنى
لابي الحسين جدا يضيق وعاؤه
عنه ولو كان الوعاء الازمنا
وشجاعة أغناه عنها ذكرها
ونهى الجبان حديثها ان يجبنا
نيطت حمائله بعاتق محرب
ما كر قط وهل يكر وما انثنى
فكأنه والطعن من قدامه
متخوف من خلفه أن يطعنا
نفت التوهم عنه حدة ذهنه
فقضى على غيب الامور تيقنا
يتفزع الجبار من بغتاته
فيظل في خلواته متكفنا
أمضى ارادته فسوف له قد
واستقرب الأقصى فثم له هنا
يجد الحديد على بضاضة جلده
ثوبا أخف من الحرير وألينا
وأمر من فقد الاحبة عنده
فقد السيوف الفاقدات الاجفنا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه
يوما ولا الاحسان أن لا يحسنا

مستنبط من علمه ما في غد
فكأن ما سيكون فيه دونا
تتقاصر الافهام عن ادراكه
مثل الذى الافلاك فيه والدنى
من ليس من قتلاه من طلقائه
من ليس ممن دان ممن حينا
لما قفلت من السواحل نحونا
قفلت اليها وحشة من عندنا
أرج الطريق فما مررت بموضع
الا أقام به الشذا مستوطنا
لو تعقل الشجر التى قابلتها
مدت محيية اليك الاغصنا
سلكت تماثيل القباب الجن من
شوق بها فأدرن فيك الاعينا
طربت مراكبنا فخلنا أنها
لولا حياء عاقها رقصت بنا
اقبلت تبسم والجياد عوابس
يخببن بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عثيرا
لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا
والامر امرك والقلوب خوافق
في موقف بين المنية والمنى
فعجبت حتى ما عجبت من الظبى
ورأيت حتى ما رأيت من السنى

الي اوراك من المكارم عسكراً
في عسكر ومن المعالي معدنا
فطن الفؤاد لما أتيت على النوى
ولما تركت مخافة أن تفطنا
أضحى فراقك لي عليه عقوبة
ليس الذي قاسيت منه هينا
فاغفر فدى لك واحبني من بعدها
لتخصني بعطية منها أنا
وانه المشير عليك في بضلة
فالحر ممتحن بأولاد الزنى
واذا الفتى طرح الكلام معرضا
في مجلس أخذ الكلام اللذعنى
ومكايد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقارنة اللئيم فانها
ضيف يجر من الندامة ضيفنا
غضب الحسود اذا لقيتك راضيا
رزء أخف علي من أن يوزنا
امسي الذي امسي بربك كافراً
من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا
خلت البلاد من الغزالة ليلها
فأعاضهاك الله كي لاتحزنا
وقال يمدح ابا عبد الله محمد بن عبد
الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ
يتقلد القضاء بانطاكية :
أفاضل الناس أغراض لدى الزمن
يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانما نحن في جيل سواسية
شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق
تخطي اذا جئت في استفهامها بمن
لا اقترى بلداً الا على غرر
ولا امر بخلق غير مضطغن
ولا اعاشر من املاكهم ملكا
الا احق بضرب الرأس من وثن
اني لأعذرهم مما اعنفهم
حتى اعنف نفسي فيهم واني
فقر الجهول بلا قلب الى ادب
فقر الحمار بلا رأس الى رسن
ومدقعين بسبروت صحبتهم
عارين من حلل كاسين من درن
خراب بادية غرثي بطونهم
مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبري
وما يطيش لهم سهم من الظنن
وخلة في جليس اتقيه بها
كيما يرى اننا مثلان في الوهن

وكلمة في طريق خفت اعربها
فيهتدى لي فلم أقدر على اللحن
قدهون الصبر عندي كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشن
كم مخلص وعلى في خوض مهلكة
وقتلة قرنت بالذم في الجبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته
وهل تروق دفينا جودة الكفن
لله حال أرجيها وتخلفني
وأقتضي كونها دهري ويمطلني
مدحت قوما وان عشنا نظمت لهم
قصائداً من اناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة
اذا تنوشدن لم يدخلن في اذن
فلا أحارب مدفوعا الى جدر
ولا أصالح مغروراً على دخن
مخيم الجمع بالبيداء يصهره
حر الهواجر في صم من الفتن
ألقى الكرام الأُلى بادوا مكارمهم
على الخصيبي عند الفرض والسنن
فهن في الحجر منه كلما عرضت
له اليتامى بدا بالمجد والمنن
قاض اذا التبس الامران عن له
رأى يخلص بين الماء واللبن
غض الشباب بعيد فجر ليلته
مجانب العين للفحشاء والوسن
شرابه النشح لا للري يطلبه
وطعمه لقوام الجسم لا السمن
القائل الصدق فيه ما يضر به
والواحد الحالتين السر والعلن
الفاصل الحكم عي الاولون به
والمظهر الحق للساهي على الذهن
أفعاله نسب لو لم يقل معها
جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن
العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ
ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن
قد صيرت أول الدنيا وآخرها
آباؤه من مغار العلم في قرن
كأنهم ولدوا من قبل أن ولدوا
أو كان فهمهم أيامهم لم يكن
الخاطرين على أعدائهم أبداً
من المحامد في أوقى من الجنن
للناظرين الى اقباله فرح
يزيل ما بجباه القوم من غضن
كأن مال ابن عبد الله مغترف
من راحتيه بأرض الروم واليمن
لم نفتقد بك من مزن سوى لثق
ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من اليث الاقبح منظره
ومن سواه سوى ماليس بالحسن
منذا حنيت بانطاكية اعتدلت
حتى كأن ذوى الاوتار في هدن
ومذ مررت على أطوادها قرحت
من السجود فلا نبت على القنن
اخلت مواهبك الاسواق من صنع
أغنى نداك عن الاعمال والمهن
ذا جود من ليس من دهر على ثقة
وزهد من ليس من دنياه في وطن
وهذه همة لم يؤتها بشر
وذا اقتدار لسان ليس في المنن
فمروا ومي ءنطم قدست من جبل
تبارك الله مجرى الروح في حضن

وقال يمدح علي بن احمد بن عامر الانطاكي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا واقولي كذا ومعي الصبر
وأشجع مني كل يوم سلامتي
وما ثبتت الا وفي نفسها امر
تمرست بالآفات حتى تركتها
تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت اقدام الاتي كأن لي
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

ومنها :

وتركك في الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر
اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقر
علي لأهل الجور كل طمرة
عليها غلام ملء حيزومه غمر
يدير بأطراف الرماح عليهم
كؤوس المنايا حيث لا تشتهي الخمر
وكم من جبال جبت تشهد انني الـ
جبال وبحر شاهد انني البحر
وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر
يخدن بنا في جوزه وكأننا
على كرة أو أرضه معنا سفر
ويوم وصلناه بليل كأنما
على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما
على متنه من دجنه حلل خضر
وغيث ظننا تحته ان عامراً
علا لم يمت أو في السحاب له قبر
او ابن ابنه الباقي علي بن احمد
يجود به لو لم أجز ويدى صفر
وان سحابا جوده مثل جوده
سحاب على كل السحاب له فخر
فتى لا يضم القلب همات قلبه
ولو ضمها قلب لما ضمه صدر
ولا ينفع الامكان الا سخاؤه
وهل نافع لولا الاكف القنا السمر
قران تلاقي الصلت فيه وعامر
كما يتلاقي الهندواني والنصر
فجاء به صلت الجبين معظما
ترى الناس قلا حوله وهم كثر
مفدى بآباء الرجال سميذعا
هو الكرم المد الذى ما له جزر
وما زلت حتى قادني الشوق نحوه
يسايرني في كل ركب له ذكر
واستكبر الاخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغر الخبر الخبر
اليك طعنا في مدى كل صفصف
بكل وآة كل ما لقيت نحر

اذا ورمت من لسعة مرحت لها
كأن نوالا صر في جلدها النبر
فجئناك دون الشمس والبدر في النوى
ودونك في احوالك الشمس والبدر
كأنك برد الماء لاعيش دونه
ولو كنت برد الماء لم يكن العشر
دعاني اليك العلم والحلم والحجى
وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد بيوته
اذا كتبت يبيض من نورها الحبر
كأن المعاني في فصاحة لفظها
نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

ومنها :

واني رأيت الضر أحسن منظراً
واهون من مرأى صغير به كبر
لساني وعيني والفؤاد وهمتي
أود اللواتي ذا اسمها منك والشطر
وما انا وحدى قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر
وماذا الذى فيه من الحسن رونقا
ولكن بدا في وجهه نحوك البشر
واني ولو نلت السماء لعالم
بأني ما نلت الذى يوجب القدر

ازالت بك الايام عتبي كأنما
بنوها لها ذنب وانت لها عذر

وقال يمدح سيف الدولة ايضا :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي
وللحب مالم يبق مني وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضى والسخط والقرب والنوى
مجال لدمع المقلة المترقرق
وأحلى الهوى ماشك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي
وغضبى من الادلال سكرى من الصبى
شفعت اليها من شبابي بريّق
واشنب معسول الثنيات واضح
سترت فمي عنه فقبّل مفرقي
واجياد غزلان كجيدك زرنني
فلم اتبين عاطلا من مطوّق
وما كل من يهوى يعف اذا خلا
عفافي ويرضي الحب والخيل تلتقي
سقى الله ايام الصبى ما يسرها
ويفعل فعل البابلي المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعا به
تخرقت والملبوس لم يتخرق
ولم أر كالالحاظ يوم رحيلهم
بعثن بكل القتل من كل مشفق
ادرن عيونا حائرات كأنها
مركبة احداقها فوق زئبق
عشية يعدونا عن النظر البكا
وعن لذة التوديع خوف التفرق
نودعهم والبين فينا كأنه
قنا ابن ابي الهيجاء في قلب فيلق
قواض مواض نسج داود عندها
اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق
هواد لاملاك الجيوش كأنها
تخير ارواح الكماة وتنتقي
تقد عليهم كل درع وجوشن
وتفري اليهم كل سور وخندق
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلّق
ويرجعها حمرا كأن صحيحها
يبكّي دما من رحمة المتدقق

الي هنا انتهي المجلد التاسع ويليه المجلد العاشر
ان شاء الله واوله مادة (نبب)

